تفسير التابعين

قدم له وحققه وعلق حواشيه
الدكتور عبدالله خضر حمد
الجزء الرابع
[سورة المائدة، الآية: ٥٧]- [سورة التوبة، الآية: ٤٨]

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

{بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧)} [المائدة: ٥٧]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تتخذوا الذين يستهزئون ويتلاعبون بدينكم من أهل الكتاب والكفارَ أولياءَ، وخافوا الله إن كنتم مؤمنين به وبشرعه.

سبب النزول:

قال ابن عباس:" كان رفاعة بن زيد بن التابوت وسويد بن الحارث قد أظهرا الإسلام ثم نافقا، وكان رجال من المسلمين يوادُّونهما، فأنزل الله فيهما:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ}، إلى قوله:{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ}[١]"[٢].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة: ٥٧]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[٣].

قال خيثمة: "ما تقرأون في القرآن: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، فإنه في التوراة: يا أيها المساكين"[٤].

قوله تعالى:{لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ} [المائدة: ٥٧]، أي:" لا تتخذوا الذين يستهزئون ويتلاعبون بدينكم من أهل الكتاب والكفارَ أولياءَ"[٥].

قال السدي:" نهاهم وتقدم إليهم"[٦].

قوله تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة: ٥٧]، أي:" وخافوا الله إن كنتم مؤمنين به وبشرعه"[٧].

قال سعيد بن جبير:" يعني: المؤمنين، يحذرهم"[٨].

القرآن

{وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (٥٨)} [المائدة: ٥٨]

التفسير:

وإذا أذَّن مؤذنكم -أيها المؤمنون- بالصلاة سخر اليهود والنصارى والمشركون واستهزؤوا من دعوتكم إليها؛ وذلك بسبب جهلهم بربهم، وأنهم لا يعقلون حقيقة العبادة.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: قال الكلبي: " ان منادي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا نادى إلى الصلاة، فقام المسلمون إليها، قالت اليهود: قاموا لا قاموا، صلوا لا صلوا، ركعوا لا ركعوا. على طريق الاستهزاء والضحك فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٩]. [موضوع]

---

(١)[سورة المائدة : ٦١].

(٢)أخرجه ابن إسحاق في "المغازي"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١٠٧) -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٢٢١٦):ص١٠/٤٢٩-٤٣٠، وابن أبي حاتم في "التفسير" (٦٥٥٦):ص٤/ ١١٦٣، وذكره الواحدي في أسباب النزول:٢٠٠.

وهذا إسناد ضعيف؛ لجهالة شيخ ابن إسحاق محمد بن أبي محمد.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٠٧) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ.

وقال محقق أسباب النزول للواحدي:أخرجه" ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما به. وإسناده حسن.[انظر: أسباب النزول:٢٠٠]

(٣) التفسير الميسر:١١٧.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٠٢٦):ص٣/٩٠٢.

(٥) التفسير الميسر:١١٧.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٥٥):ص٤/١١٦٣.

(٧) التفسير الميسر:١١٧.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٢١٤١):ص٢/٤٠٦.

(٩) أسباب النزول للواحدي:٢٠٠، ذكره دون إسناد، وتفسير الثعلبي:٤/٨٢، والكلبي ضعيف، متروك متهم بالكذب.

الثاني: قال السدي: " نزلت في رجل من نصارى المدينة كان إذا سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمدا رسول الله قال: حرق الكاذب. فدخل خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم وأهله نيام، فطارت منها شرارة في البيت فاحترق هو وأهله"[١٠].[مرسل]

الثالث: نقل الواحدي عن بعضهم: "إن الكفار لما سمعوا الآذان حسدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين على ذلك، فدخلوا على رسول الله وقالوا: يا محمد لقد أبدعت شيئا لم نسمع به فيما مضى من الأمم الخالية، فإن كنت تدعي النبوة فقد خالفت فيما أحدثت من هذا الآذان الأنبياء من قبلك، ولو كان في هذا الأمر خير كان أولى الناس به الأنبياء والرسل من قبلك، فمن أين لك صياح كصياح العير؟ فما أقبح من صوت ولا أسمج من كفر! فأنزل الله تعالى هذه الآية وأنزل: {ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا} الآية. [فصلت: ٣٣]"[١١].

قوله تعالى:{وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا} [المائدة: ٥٨]، أي:" وإذا أذَّن مؤذنكم -أيها المؤمنون- بالصلاة سخر اليهود والنصارى والمشركون واستهزؤوا من دعوتكم إليها"[١٢].

عن محمد بن مسلم بن شهاب الزهري: "قد ذكر الله الأذان في كتابه فقال: {وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا}"[١٣].

القرآن

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩)} [المائدة: ٥٩]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المستهزئين من أهل الكتاب: ما تَجِدُونه مطعنًا أو عيبًا هو محمدة لنا: من إيماننا بالله وكتبه المنزلة علينا، وعلى من كان قبلنا، وإيماننا بأن أكثركم خارجون عن الطريق المستقيم!

سبب النزول:

قال ابن عباس-رضي الله عنه-:" أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - نفر من اليهود، فيهم: أبو ياسر بن أخطب، ورافع بن أبي رافع، وعازر، وزيد، وخالد، وأزار بن أبي أزار، وأشيع، فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، قال: "أؤمن بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون"، فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا نؤمن بمن آمن به؛ فأنزل الله فيهم: {قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ}"[١٤].[ضعيف]

قوله تعالى:{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ} [المائدة: ٥٩]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المستهزئين من أهل الكتاب: هل تعيبون علينا من شيء وتكرهوننا لأجله، إلا إيماننا بالله وكتبه المنزلة علينا، وعلى من كان قبلنا"[١٥].

قرأ الحسن، والأعمش: «تنقمون» بفتح القاف[١٦]." والفصيح كسرها"[١٧].

وأخرجه البيهقي في "الدلائل" (٢٧٥/٦) من طريق محمد بن مروان السدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به وهو موضوع.

(١٠)أسباب النزول للواحدي:٢٠١، ذكره دون إسناد، وأخرجه الطبري(١٢٢١٨):ص٤٣٢/١٠، مرسلا، وابن ابي حاتم(٦٥٥٧):ص١١٦٣/٤-١١٦٤، وليس فيهما "نزلت".

وعزاه في الدر:٢/ ٢٩٤، لابن أبي حاتم وأبي الشيخ، وانظر: تفسير الثعلبي:٨٢/٤.

(١١)أسباب النزول للواحدي:٢٠١،ذكره دون إسناد، وانظر: تفسير الثعلبي:٨٢/٤، وتفسير القرطبي:٢٢٤/٦.

(١٢) تفسير الطبري: ٤٣٣/١٠، وانظر: التفسير الميسر:١١٨.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٥٥٨):ص١١٦٤/٤.

(١٤)أخرجه ابن إسحاق في "المغازي"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١٠٨) -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٢٢١٩):ص٤٣٤/١٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٥٥٩) :ص١١٦٤/٤ : ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لجهالة محمد هذا كما تقدم مراراً.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٠٧) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ.

(١٥) انظر: تفسير المراغي:١٤٧/٦، والتفسير الميسر:١١٨.

قوله تعالى:{وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: ٥٩]، أي:" وإيماننا بأن أكثركم خارجون عن الطريق المستقيم"[١٨].

قال الحسن: "بفسقكم نقمتم ذلك علينا"[١٩].

القرآن

{قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠)} [المائدة: ٦٠]

التفسير:

قل -أيها النبي- للمؤمنين: هل أخبركم بمن يُجازَى يوم القيامة جزاءً أشدَّ مِن جزاء هؤلاء الفاسقين؟ إنهم أسلافهم الذين طردهم الله من رحمته وغَضِب عليهم، ومَسَخَ خَلْقهم، فجعل منهم القردة والخنازير، بعصيانهم وافترائهم وتكبرهم، كما كان منهم عُبَّاد الطاغوت [وهو كل ما عُبد من دون الله وهو راضٍ]، لقد ساء مكانهم في الآخرة، وضلَّ سَعْيُهم في الدنيا عن الطريق الصحيح.

قوله تعالى:{قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ} [المائدة: ٦٠]، أي:" قل -أيها النبي- للمؤمنين: هل أخبركم بمن يُجازَى يوم القيامة جزاءً أشدَّ مِن جزاء هؤلاء الفاسقين؟"[٢٠].

قال السدي:"{ مثوبة عند الله}، يقول: ثوابا عند الله"[٢١].

قوله تعالى:{وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ} [المائدة: ٦٠]، أي:" ومَسَخَ خَلْقهم، فجعل منهم القردة والخنازير"[٢٢].

قال مجاهد:": مسخت من يهود"[٢٣].

وفي سبب مسخهم خنازير، فروي عن عُمرَ بن كثير بن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري، قال: "حدِّثت أن المسخ في بني إسرائيل من الخنازير، كان أن امرأة من بني إسرائيل كانت في قرية من قرى بني إسرائيل، وكان فيها مَلِك بني إسرائيل، وكانوا قد استجمعوا على الهلكة، إلا أنّ تلك المرأة كانت على بقية من الإسلام متمسكة به، فجعلت تدعو إلى الله، حتى إذا اجتمع إليها ناس فتابعوها على أمرها قالت لهم: إنه لا بد لكم من أن تجاهدوا عن دين الله، وأن تنادوا قومكم بذلك، فاخرجوا فإني خارجة. فخرجت، وخرج إليها ذلك الملك في الناس، فقتل أصحابها جميعًا، وانفلتت من بينهم. قال: ودعت إلى الله حتى تجمَّع الناس إليها، حتى إذا رضيت منهم، أمرتهم بالخروج، فخرجوا وخرجت معهم، وأصيبوا جميعًا وانفلتت من بينهم. ثم دعت إلى الله حتى إذا اجتمع إليها رجال واستجابوا لها، أمرتهم بالخروج، فخرجوا وخرجت، فأصيبوا جميعًا، وانفلتت من بينهم، فرجعت وقد أيست، وهي تقول: سبحان الله، لو كان لهذا الدين وليٌّ وناصرٌ، لقد أظهره بَعْدُ! قال: فباتت محزونة، وأصبح أهل القرية يسعون في نواحيها خنازيرَ، قد مسخهم الله في ليلتهم تلك، فقالت حين أصبحت ورأت ما رأت: اليوم أعلم أن الله قد أعزَّ دينه وأمر دينه! قال: فما كان مسخ الخنازير في بني إسرائيل إلا على يديْ تلك المرأة"[٢٤].

قوله تعالى:{وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} [المائدة: ٦٠]، أي:" وجعل منهم عُبَّاد الطاغوت"[٢٥].

قال الطبري:أي:" ومن عبد الطاغوت"[٢٦]. قال البغوي:" وتصديقها قراءة ابن مسعود: «ومن عبدوا الطاغوت»"[٢٧].

---

(١٦) انظر: الكشاف: ٦٥٠/١، وزاد المسير:٥٦٢/١.
(١٧)الكشاف: ٦٥٠/١.
(١٨) التفسير الميسر:١١٨.
(١٩) التفسير البسيط للواحدي: ٤٤٣/٧، وزاد المسير: ٢/ ٣٨٧ ، والكشاف:٦٥١/١
(٢٠) التفسير الميسر:١١٨.
(٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٦٠):ص١١٦٤/٤.
(٢٢) التفسير الميسر:١١٨.
(٢٣) أخرجه الطبري(١٢٢٢٤):ص٤٣٩/١٠.
(٢٤)أخرجه الطبري(١٢٢٢٣):ص٤٣٨/١٠.
(٢٥) التفسير الميسر:١١٨، وصفوة التفاسير:٣٢٤/١
(٢٦) تفسير الطبري:٤٤٣/١٠.
(٢٧) تفسير البغوي:٧٥/٣.

قال أبو غسان: "قلت لابن أبي ليلى:{وعبد الطاغوت}، فقال: فخدم الطاغوت"[٢٨].

وقد تعددت عبارات أهل التفسير في معنى«الطاغوت» على أقوال:

أحدها: أنه الشيطان[٢٩]، وهو قول مجاهد[٣٠]، والشعبي[٣١]، والضحاك[٣٢]، وقتادة[٣٣]، والسدي[٣٤]، وعكرمة[٣٥]، واختاره الزجاج[٣٦]، وابن كثير[٣٧]، والقاسمي[٣٨] وآخرون.

الثاني: أنه الساحر، وهو قول أبي العالية[٣٩]، ومحمد ابن سيرين[٤٠] والشعبي[٤١].

الثالث: الكاهن، وهو قول سعيد بن جبير[٤٢]، وأبي العالية[٤٣]، وابن جريج[٤٤].

الرابع: الأصنام والأوثان، وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون اللّه تعالى[٤٥]. روي ذلك عن مالك[٤٦].

الخامس: وقيل: أنه كل ذي طغيان طغى على الله، فيعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبده، أو بطاعة له، سواء كان المعبود إنساناً أو صنماً، روي ذلك عن الإمام مالك[٤٧].

والراجح-والله أعلم- أن الطاغوت عبارة عن كل مُعتدٍ وكل معبود من دون الله[٤٨]، وهو اختيار الإمام الطبري وأبي حيان[٤٩] وغيرهم. وبه قال أكثر أهل العلم.

القرآن

{وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ (٦١)} [المائدة: ٦١]

التفسير:

---

(٢٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٦٣):ص١١٦٥/٤.

(٢٩) قال الشنقيطي:" قال بعض العلماء : (الطاغوت): الشيطان، ويدل لهذا قوله تعالى : {إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه}، أي يخوفكم من أوليائه . وقوله تعالى : {الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا، وقوله : {أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو} وقوله : {إنهم اتخذوا الشياطين أولياء}، والتحقيق أن كل ما عبد من دون الله فهو طاغوت والحظ الأكبر من ذلك للشيطان كما قال تعالى : {ألم أعهد إليكم يا بنى ءادم أن لا تعبدوا الشيطان}، وقال: {إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا}، وقال عن خليله ابرهيم:{يا أبت لا تعبد الشيطان}، وقال:{وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون}،إلى غير ذلك من الآيات".[أضواء البيان: ١٥٩/١].

(٣٠) أنظر: تفسير الطبري(٥٨٣٦):ص٤١٧/٥.

(٣١)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٣٧):ص٤١٧/٥.

(٣٢)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٣٨):ص٤١٧/٥.

(٣٣)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٣٩):ص٤١٧/٥.

(٣٤)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٠):ص٤١٧/٥.

(٣٥)البخاري، كتاب التفسير، باب قوله: (وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ)، قبل الحديث رقم ٤٥٨٣، ولفظه: "الْجِبْتُ بِلِسَانِ الْحَبَشَةِ: شَيْطَانٌ، وَالطَّاغُوتُ: الْكَاهِنُ".

(٣٦) انظر: معاني القرآن:١٨٧/٢.

(٣٧) أنظر: تفسير ابن كثير: ٦٨٣/١، إذ يقول: " ومعنى قوله في الطاغوت : إنه الشيطان قوي جدًّا فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية ، من عبادة الأوثان والتحاكم إليها والاستنصار بها".

(٣٨) محاسن التأويل: ١٩٤/٢.

(٣٩)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤١):ص٤١٧/٥.

(٤٠)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٢):ص٤١٧/٥.

(٤١) أنظر تفسير ابن أبي حاتم(٢٦٢٠):ص٤٩٥/٢.

(٤٢)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٣):ص٤١٨/٥.

(٤٣)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٤):ص٤١٨/٥. والرفيه: ، هو أبو العالية الرياحي.

(٤٤)أنظر: تفسير الطبري(٥٨٤٥):ص٤١٨/٥.

(٤٥) انظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢/ ٤٤٦- ٤٤٧، تفسير قوله تعالى: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ}.

(٤٦) تفسير ابن أبي حاتم(٢٦٢٢):ص٤٩٥/٢.

(٤٧) ذكره القرطبي في تفسيره، ٥/ ٢٤٨، عن ابن وهب، عن الإمام مالك، وانظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٤٤.

(٤٨)انظر :المفردات فى غريب القرآن للأصفهانى: ٣٠,٤

(٤٩) قال أبو حيان بعد أن سرد الأقوال في معنى (الطاغوت): " وينبغي أن تجعل هذه الأقوال كلها تمثيلاً ، لأن الطاغوت محصور في كل واحد منها".[البحر المحيط: ٢١٠/٢].

وإذا جاءكم -أيها المؤمنون- منافقو اليهود، قالوا: آمنَّا، وهم مقيمون على كفرهم، قد دخلوا عليكم بكفرهم الذي يعتقدونه بقلوبهم، ثم خرجوا وهم مصرُّون عليه، والله أعلم بسرائرهم، وإن أظهروا خلاف ذلك.

قوله تعالى:{ وَإِذَا جَاءُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ} [المائدة: ٦١]، أي:" وإذا جاءكم -أيها المؤمنون- منافقو اليهود، قالوا: آمنَّا ، وهم مقيمون على كفرهم، قد دخلوا عليكم بكفرهم الذي يعتقدونه بقلوبهم، ثم خرجوا وهم مصرُّون عليه"[٥٠].

قال السدي:" هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يهود. يقول: دخلوا كفارًا، وخرجوا كفارًا"[٥١].

قال قتادة:" أناسٌ من اليهود، كانوا يدخلون على النبيّ صلى الله عليه وسلم فيخبرونه أنهم مؤمنون راضون بالذي جاء به، وهم متمسكون بضلالتهم والكفر. وكانوا يدخلون بذلك ويخرجون به من عند نبي الله -صلى الله عليه وسلم-"[٥٢].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ} [المائدة: ٦١]، أي:" والله أعلم بسرائرهم، وإن أظهروا خلاف ذلك"[٥٣].

قال محمد بن إسحاق:" أي: ما يخفون"[٥٤].

القرآن

{وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٦٢)} [المائدة: ٦٢]

التفسير:

وترى -أيها الرسول- كثيرًا من اليهود يبادرون إلى المعاصي من قول الكذب والزور، والاعتداء على أحكام الله، وأكْل أموال الناس بالباطل، لقد ساء عملهم واعتداؤهم.

قوله تعالى:{وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ} [المائدة: ٦٢]، أي:" وترى -أيها الرسول- كثيرًا من اليهود يبادرون إلى المعاصي من قول الكذب والزور، والاعتداء على أحكام الله"[٥٥].

قال قتادة:" وكان هذا في حُكّام اليهود بين أيديكم"[٥٦].

قال السدي:" الإثم: الكفر"[٥٧].

قوله تعالى:{وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ} [المائدة: ٦٢]، أي:"وأكْل أموال الناس بالباطل"[٥٨].

وفي معنى «السحت»، ثلاثة أقوال:

ومعنى «السحت»: الرشوة في الحكم. وهو قول مجاهد[٥٩]، والضحاك[٦٠]، وسعيد بن جبير[٦١]، والحسن[٦٢]، وإبراهيم[٦٣]، وعكرمة[٦٤]، واختاره الطبري[٦٥]، والسمرقندي[٦٦]، والبغوي[٦٧].

وروي عن النبي-صلى الله عليه وسلم-:" كُلُّ لحم أنبَتَه السُّحت فالنار أولى به. قيل: يا رسول الله، وما السحت ؟ قال: الرشوة في الحكم "[٦٨].

---

(٥٠) التفسير الميسر:١١٨.
(٥١) أخرجه الطبري(١٢٢٣١):ص٤٤٥/١٠.
(٥٢) أخرجه الطبري(١٢٢٣٠):ص٤٤٥/١٠.
(٥٣) التفسير الميسر:١١٨.
(٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٦٦):ص١١٦٦/٤.
(٥٥) التفسير الميسر:١١٨.
(٥٦) أخرجه الطبري(١٢٢٣٦):ص٤٤٦/١٠.
(٥٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٣٥):ص٤٤٦/١٠.
(٥٨) التفسير الميسر:١١٨.
(٥٩) انظر: تفسير الطبري(١١٩٤٤):ص٣١٩/١٠.
(٦٠) انظر: تفسير الطبري(١١٩٥٧):ص٣٢١/١٠.
(٦١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٨٧):ص١١٣٥/٤.
(٦٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٨٧):ص١١٣٥/٤، وتفسير الطبري(١١٩٤٢):ص٣١٨/١٠-٣١٩
(٦٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٨٧):ص١١٣٥/٤.
(٦٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٨٧):ص١١٣٥/٤.
(٦٥) انظر: تفسير الطبري:٤٤٧/١٠.
(٦٦) انظر: بحر العلوم:٤٠٣/١.
(٦٧) انظر: تفسير البغوي:٧٦/٣.

القرآن

{لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (٦٣)} [المائدة: ٦٣]

التفسير:

هلا ينهى هؤلاء الذين يسارعون في الإثم والعدوان أئمتُهم وعلماؤهم، عن قول الكذب والزور، وأكل أموال الناس بالباطل، لقد ساء صنيعهم حين تركوا النهي عن المنكر.

قوله تعالى:{لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ} [المائدة: ٦٣]، أي:" أي هلا يزجرهم علماؤهم وأحبارهم"[٦٩].

قال الضحاك:" فقهاؤهم وقراؤهم وعلماؤهم"[٧٠].

عن يحيى بن يعمر قال: "خطب علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما هلك من هلك قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار، فلما تمادوا في المعاصي ولم يمنعهم الربانيون والأحبار أخذتهم العقوبات. فمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل الذي نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقا ولا يقرب أجلا"[٧١].

وقد تعددت عبارات أهل التفسير في معنى قوله«الربانيين»، على وجوه:

أحدها: فقهاء. قاله مجاهد[٧٢].

الثاني: حكماء علماء. قاله أبو رزين[٧٣].

الثالث: فقهاء علماء , وهو قول الحسن[٧٤]، ومجاهد- في رواية أخرى-[٧٥]، والضحاك[٧٦]، وقتادة[٧٧]،وسعيد بن جبير -في رواية عنه-[٧٨]، وعطاء الخراساني[٧٩]، والربيع بن أنس[٨٠]، وعطية[٨١]، ويحيى بن عقيل[٨٢].

الرابع: حكماء فقهاء. قاله السدي[٨٣].

الخامس: حكماء أتقياء , وهو قول سعيد بن جبير[٨٤].

السادس: أن المراد: كونوا أهل عبادة، وأهل تقوى لله. قاله الحسن –في رواية أخرى-[٨٥].

والراجح-والله أعلم- أن «الربانيين»: جمع: «رباني»، وهو المنسوب إلى«الرَّبَّان»، الذي يربُّ الناسَ، وهو الذي يُصلْح أمورهم، ويربّها، ويقوم بها[٨٦].

---

(٦٨) أخرجه الطبري(١١٩٦٧):ص٣٢٣/١٠، وأخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢ : ٢٨٤ ، ونسبه لعبد بن حميد ، وابن مردويه مرفوعًا من حديث ابن عمر ، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.
قال الحافظ: رواه ابن جرير مرفوعا ورجاله ثقات ولكنّه مرسل". انظر: ٥/ ٣٦٠ (كتاب الإجارة - باب ما يعطى في الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب.

(٦٩) صفوة التفاسير:٣٢٥.

(٧٠) أخرجه الطبري(١٢٢٤٠):ص٤٤٩/١٠.

(٧١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٧١):ص١١٦٦/٤-١١٦٧.

(٧٢) انظر: تفسير الطبري(٧٣٠٦)-(٨٣٠٨):ص٥٤١/٦.

(٧٣) انظر: تفسير الطبري(٧٣٠١)-(٧٣٠٤):ص٥٤٠/٦-٥٤١، وتفسير ابن أبي حاتم(٣٧٤٧):ص٦٩١/٢

(٧٤) انظر: تفسير الطبري(٧٣٠٥):ص٥٤١/٦.

(٧٥) انظر: تفسير الطبري(٧٣١٢):ص٥٤١/٦-٥٤٢.

(٧٦) انظر: تفسير الطبري(٧٣١٧):ص٥٤٢/٦.

(٧٧) انظر: تفسير الطبري(٧٣٠٩):ص٥٤١/٦.

(٧٨)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٧٤٩):ص٦٩٢/٢، ذكره دون إسناد.

(٧٩)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٧٤٩):ص٦٩٢/٢، ذكره دون إسناد.

(٨٠)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٧٤٩):ص٦٩٢/٢، ذكره دون إسناد.

(٨١)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٧٤٩):ص٦٩٢/٢، ذكره دون إسناد.

(٨٢) انظر: تفسير الطبري(٧٣١٤):ص٥٤٢/٦.

(٨٣) انظر: تفسير الطبري(٧٣١١):ص٥٤١/٦.

(٨٤) انظر: تفسير الطبري(٧٣١٨):ص٥٤٢/٦.

(٨٥)انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٧٤٨):ص٦٩١/٢.

(٨٦) انظر: تفسير الطبري:٥٤٣/٦.

وفي:{ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ} [المائدة: ٦٣]، وجهان:
أحدهما: أن الربانيين هم فوق الأحبار. قاله مجاهد[٨٧].
الثاني: أن الربانيين علماء النصارى، والأحبار علماء اليهود. وهذا قول الحسن[٨٨].
قال الضحاك: "ما في القرآن آية أخوف عندي منها: إنا لا ننهى"[٨٩].
وروي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-:"ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي هم أعز منه وأمنع، لم يغيروا، إلا أصابهم الله منه بعذاب"[٩٠].

القرآن
{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ (٦٤)} [المائدة: ٦٤]
التفسير:
يُطلع الله نَبيَّه على شيء من مآثم اليهود -وكان مما يُسرُّونه فيما بينهم- أنهم قالوا: يد الله محبوسة عن فعل الخيرات، بَخِلَ علينا بالرزق والتوسعة، وذلك حين لحقهم جَدْب وقحط. غُلَّتْ أيديهم، أي: حبست أيديهم هم عن فِعْل الخيرات، وطردهم الله من رحمته بسبب قولهم. وليس الأمر كما يفترونه على ربهم، بل يداه مبسوطتان لا حَجْرَ عليه، ولا مانع يمنعه من الإنفاق، فإنه الجواد الكريم، ينفق على مقتضى الحكمة وما فيه مصلحة العباد، لكنهم سوف يزدادون طغيانًا وكفرًا بسبب حقدهم وحسدهم; لأن الله قد اصطفاك بالرسالة. ويخبر تعالى أن طوائف اليهود سيظلون إلى يوم القيامة يعادي بعضهم بعضًا، وينفر بعضهم من بعض، كلما تآمروا على الكيد للمسلمين بإثارة الفتن وإشعال نار الحرب ردَّ الله كيدهم، وفرَّق شملهم، ولا يزال اليهود يعملون بمعاصي الله مما ينشأ عنها الفساد والاضطراب في الأرض. والله تعالى لا يحب المفسدين.
في سبب نزول الآية أقوال:
أحدها: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "قال رجل من اليهود -يقال له: النباش بن قيس-: إن ربك بخيل لا ينفق؛ فأنزل الله: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}"[٩١].[ضعيف]
والثاني: قال عكرمة:" نزلت في فنحاص اليهودي"[٩٢].[ضعيف]
والثالث: وقال مقاتل:" يعني: ابن صوريا وفنحاص اليهوديين وعازر بن أبي عازر"[٩٣].
قوله تعالى:{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} [المائدة: ٦٤]، أي:" يد الله محبوسة عن فعل الخيرات، بَخِلَ علينا بالرزق والتوسعة"[٩٤].
وفي قوله تعالى:{وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ} [المائدة: ٦٤]، وجهان:

---

(٨٧) انظر: تفسير الطبري(٧٣١٢):ص٥٤١/٦-٥٤٢.
(٨٨) انظر: تفسير القرطبي:٢٣٧/٦، وتفسير الثعلبي:٨٦/٤. ذكروه بلا نسبة.
(٨٩) أخرجه الطبري(١٢٢٣٨):ص٤٤٩/١٠.
(٩٠)المسند (٣٦٣/٤) ورواه الطبراني في المعجم الكبير (٣٣١/٢) من طريق يزيد بن هارون به.
(٩١)أخرجه ابن إسحاق في "السيرة" -ومن طريقه الطبراني في "المعجم الكبير" (١٢/ ٥٣ رقم ١٢٤٩٧) -: ثني محمد بن أبي محمد مولى آل زيد بن ثابت عن سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس به.
وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٧): "رواه الطبراني ورجاله ثقات"!!
قلنا: وسنده ضعيف؛ لجهالة محمد هذا كما تقدم مراراً.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١١٢) وزاد نسبته لابن مردويه.
.
(٩٢)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان"(١٢٢٤٧):ص٤٥٣/١٠، وسنده ضعيف؛ للانقطاع بين عكرمة وابن جريج، وضعف سنيد صاحب "التفسير"..
(٩٣) تفسير مقاتل بن سليمان:٤٩٠/١.
(٩٤) التفسير الميسر:١١٨.

أحدهما: أي مقبوضة عن العطاء على جهة البخل، قاله قتادة[٩٥]، وعكرمة[٩٦]، والضحاك[٩٧].
الثاني: مقبوضة عن عذابهم، قاله الحسن[٩٨].
قوله تعالى:{غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ} [المائدة: ٦٤]، أي:" حبست أيديهم هم عن فِعْلِ الخيرات"[٩٩].
قال الضحاك:" أمسكت أيديهم عن النفقة والخير"[١٠٠].
قال الحسن:"غلت أيديهم في نار جهنم على وجه الحقيقة"[١٠١].
قوله تعالى:{وَلُعِنُوا بِمَا} [المائدة: ٦٤]، أي:" وطردهم الله من رحمته بسبب قولهم"[١٠٢].
عن السدي قوله: "{ولعنوا بما قالوا}، قال: قالوا إن الله وضع يده على صدره فلم يبسطها أبدا حتى يرد علينا ملكنا"[١٠٣].
قوله تعالى:{بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: ٦٤]، أي:" بل يداه مبسوطتان لا حَجْرَ عليه، ولا مانع يمنعه من الإنفاق، فإنه الجواد الكريم، ينفق على مقتضى الحكمة وما فيه مصلحة العباد"[١٠٤].
عن قتادة: قوله:"{ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ}، ينفق بهما كيف يشاء"[١٠٥].
عن السدي:"{ينفق كيف يشاء}، قال: يرزق كيف يشاء"[١٠٦].
قوله تعالى:{وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا} [المائدة: ٦٤]، أي:" لكنهم سوف يزدادون طغيانًا وكفرًا بسبب حقدهم وحسدهم"[١٠٧].
قال قتادة:" حملهم حسدُ محمد صلى الله عليه وسلم والعرب على أن كفروا به، وهم يجدونه مكتوبًا عندهم"[١٠٨].
قال الحسن:" أراد بين اليهود والنصارى في تباين قولهم في المسيح"[١٠٩].
قوله تعالى:{وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ} [المائدة: ٦٤]، أي:" أي ألقينا بين اليهود العداوة والبغضاء فكلمتهم مختلفة وقلوبهم شتّى لا يزالون متباغضين متعادين إلى قيام الساعة"[١١٠].
قال مجاهد:" اليهود والنصارى "[١١١].
عن إبراهيم التيمي قوله: "{العداوة والبغضاء}، قال: الخصومات والجدال في الدين"[١١٢].
قوله تعالى:{كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ} [المائدة: ٦٤]، أي:" كلما تآمروا على الكيد للمسلمين بإثارة الفتن وإشعال نار الحرب ردَّ الله كيدهم، وفرَّق شملهم"[١١٣].
قال مجاهد:" هم اليهود"[١١٤]، "{كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله}، قال: حربُ محمد -صلى الله عليه وسلم-"[١١٥].

---

(٩٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٤٥):ص٤٥٢/١٠.
(٩٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١١٦٧/٤. ذكره دون إسناد.
(٩٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٤٨):ص٤٥٣/١٠-٤٥٤.
(٩٨) انظر: النكت والعيون:٥١/٢.
(٩٩) التفسير الميسر:١١٨.
(١٠٠) أخرجه الطبري(١٢٢٤٨):ص٤٥٣/١٠-٤٥٤.
(١٠١) انظر: النكت والعيون:٥١/٢. وذكره الزجاج:١٩٠/٢، بلانسبة.
(١٠٢) التفسير الميسر:١١٨.
(١٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٧٩):ص١١٦٨/٤.
(١٠٤) التفسير الميسر:١١٨.
(١٠٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٨١):ص١١٦٨/٤.
(١٠٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٨٢):ص١١٦٨/٤.
(١٠٧) التفسير الميسر:١١٨.
(١٠٨) أخرجه الطبري(١٢٢٤٩):ص٤٥٧/١٠.
(١٠٩) انظر: النكت والعيون:٥٢/٢.
(١١٠) صفوة التفاسير:٣٢٥.
(١١١) أخرجه الطبري(١٢٢٥٠):ص٤٥٨/١٠.
(١١٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٨٤):ص١١٦٨/٤.
(١١٣) التفسير الميسر:١١٨.
(١١٤) أخرجه الطبري(١٢٢٥٢):ص٤٦٠/١٠.
(١١٥) أخرجه الطبري(١٢٢٥٥):ص٤٦١/١٠.

وفي رواية أخرى عن مجاهد:" كلما مكروا مكرا أطفأ الله النار والمكر"[١١٦].
قال الحسن:" كلما اجتمعت السفلة على قتل العرب أذلهم الله"[١١٧].
قال قتادة:" أولئك أعداء الله اليهود، كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله، فلن تلقَى اليهود ببلد إلا وجدتهم من أذلّ أهله. لقد جاء الإسلام حين جاء، وهم تحت أيدي المجوس أبغض خلقه إليه"[١١٨].
قال السدي:" كلما أجمعوا أمرهم على شيء فرَّقه الله، وأطفأ حَدَّهم ونارهم، وقذف في قلوبهم الرعب"[١١٩].

روي عن الربيع في قوله:"{لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ } [سورة الإسراء: ٤ - ٦]، قال: كان الفساد الأول، فبعث الله عليهم عدوًّا فاستباحوا الديار، واستنكحوا النساء، واستعبدوا الولدان، وخرَّبوا المسجد. فغَبَرُوا زمانًا، ثم بعث الله فيهم نبيًّا وعاد أمرهم إلى أحسن ما كان. ثم كان الفساد الثاني بقتلهم الأنبياء، حتى قتلوا يحيى بن زكريا، فبعث الله عليهم بُخْت نصَّر، فقتل من قتل منهم، وسبى من سبى، وخرب المسجد. فكان بخت نصر الفسادَ الثاني قال: و الفساد ، المعصية ثم قال، {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ } إلى قوله: {وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا} [سورة الإسراء: ٧، ٨] فبعث الله لهم عُزَيْرًا، وقد كان علم التوراة وحفظها في صدره وكتبها لهم. فقام بها ذلك القرن، ولبثوا فنسوا. ومات عزير، وكانت أحداثٌ، ونسوا العهد وبَخَّلوا ربهم، وقالوا: يد الله مغلولة غُلَّت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء ، وقالوا في عزير: إن الله اتخذه ولدًا ، وكانوا يعيبون ذلك على النصارى في قولهم في المسيح، فخالفوا ما نَهَوْا عنه، وعملوا بما كانوا يكفِّرون عليه، فسبق من الله كلمة عند ذلك أنهم لن يظهروا على عدوٍّ آخرَ الدهر، فقال: كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادًا والله لا يحب المفسدين ، فبعث الله عليهم المجوس الثالثة أربابًا، فلم يزالوا كذلك والمجوس على رقابهم، وهم يقولون: يا ليتنا أدركنا هذا النبي الذي نجده مكتوبًا عندنا، عسى الله أن يفكّنا به من المجوس والعذاب الهون ! فبعث محمدًا صلى الله عليه وسلم واسمه محمد ، واسمه في الإنجيل أحمد فلما جاءهم وعرفوا،كفروا به، قال: {فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ}[سورة البقرة: ٨٩]، وقال: {فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ }، بسورة البقرة: ٩٠]"[١٢٠].
قوله تعالى:{وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا} [المائدة: ٦٤]، أي:" ولا يزال اليهود يعملون بمعاصي الله مما ينشأ عنها الفساد والاضطراب في الأرض"[١٢١].
قال قتادة:" أولئك أعداء الله اليهود"[١٢٢].

القرآن
{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (٦٥)} [المائدة: ٦٥]
التفسير:
ولو أن اليهود والنصارى صدَّقوا الله ورسوله، وامتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه، لكفَّرنا عنهم ذنوبهم، ولأدخلناهم جنات النعيم في الدار الآخرة.
قوله تعالى:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا} [المائدة: ٦٥]، أي:" ولو أن اليهود والنصارى صدَّقوا الله ورسوله"[١٢٣].
قال قتادة:" يقول: آمنوا بما أنزل الله"[١٢٤].

---

(١١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٨٥):ص١١٦٨/٤-١١٦٩
(١١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٨٩):ص١١٦٩/٤
(١١٨) أخرجه الطبري(١٢٢٥٣):ص٤٦٠/١٠.
(١١٩) أخرجه الطبري(١٢٢٥٤):ص٤٦٠/١٠.
(١٢٠) أرجه الطبري(١٢٢٥١):ص٤٥٩/١٠-٤٦٠.
(١٢١) التفسير الميسر:١١٨.
(١٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٩١):ص١١٦٩/٤
(١٢٣) التفسير الميسر:١١٩.
(١٢٤) أخرجه الطبري(١٢٢٥٦):ص٤٦٢/١٠.

قوله تعالى:{وَاتَّقَوْا} [المائدة: ٦٥]، أي:" وامتثلوا أوامر الله واجتنبوا نواهيه"[١٢٥].
قال قتادة:" واتقوا ما حرم الله"[١٢٦].
قوله تعالى:{ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ} [المائدة: ٦٥]، أي:" لكفَّرنا عنهم ذنوبهم ولأدخلناهم جنات النعيم في الدار الآخرة"[١٢٧].
قال مالك بن دينار:" جنات النعيم بين جنان الفردوس وبين جنات عدن، وفيها جواري خلقن من ورد الجنة، قيل: فمن يسكنها؟ قال: الذين عملوا بالمعاصي فلما ذكروا عظمتي راقبوني والذين انثنت أصلابهم من خشيتي وعزتي إني لأهم بعذاب أهل الأرض فإذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم العذاب"[١٢٨].

القرآن
{وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ (٦٦)} [المائدة: ٦٦]
التفسير:
ولو أنَّهم عملوا بما في التوراة والإنجيل، وبما أُنْزل عليك أيها الرسول -وهو القرآن الكريم- لرُزِقوا من كلِّ سبيلٍ، فأنزلنا عليهم المطر، وأنبتنا لهم الثمر، وهذا جزاء الدنيا. وإنَّ مِن أهل الكتاب فريقًا معتدلا ثابتًا على الحق، وكثير منهم ساء عملُه، وضل عن سواء السبيل.
قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ} [المائدة: ٦٦]، أي:" ولو أنَّهم عملوا بما في التوراة والإنجيل، وبما أُنْزل عليك أيها الرسول -وهو القرآن الكريم-"[١٢٩].
قال مجاهد:" أما إقامتهم التوراة والإنجيل فالعمل بهما"[١٣٠].
عن السدي:"{وما أنزل إليهم من ربهم}، يقول: لو عملوا بما أنزل إليهم مما جاءهم به محمد -صلى الله عليه وسلم-"[١٣١].
قوله تعالى:{لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ} [المائدة: ٦٦]، أي:" لرُزِقوا من كلِّ سبيلٍ، فأنزلنا عليهم المطر، وأنبتنا لهم الثمر"[١٣٢].
قال مجاهد:" أما {من فوقهم}، فأرسلت عليهم مطرا، وأما {من تحت أرجلهم}، يقول: لأنبت لهم من الأرض من رزقي ما يغنيهم"[١٣٣]. وروي عن ابن جبير نحوه[١٣٤].
قال قتادة:" إذا لأعطتهم السماء بركتها والأرض نباتها"[١٣٥].
قال السدي:" لو عملوا بما أنزل إليهم مما جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم، لأنزلنا عليهم المطر، فلأنبت الثمر"[١٣٦].
قوله تعالى:{مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ} [المائدة: ٦٦]، أي:"وإنَّ مِن أهل الكتاب فريقًا معتدلا ثابتًا على الحق"[١٣٧].
وفي قوله تعالى:{مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ} [المائدة: ٦٦]، وجوه:
أحدها: مقتصدة على أمر الله تعالى وكتابه، قاله قتادة[١٣٨].

---

(١٢٥) التفسير الميسر:١١٩.
(١٢٦) أخرجه الطبري(١٢٢٥٦):ص٤٦٢/١٠.
(١٢٧) التفسير الميسر:١١٩.
(١٢٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٩٤):ص١١٧٠/٤.
(١٢٩) التفسير الميسر:١١٩.
(١٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٩٦):ص١١٧٠/٤.
(١٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٥٩٨):ص١١٧٠/٤-١١٧١.
(١٣٢) التفسير الميسر:١١٩.
(١٣٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٦٠):ص٤٦٤/١٠.
(١٣٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ١١٧١/٤. ذكره دون إسناد
(١٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٥٨):ص٤٦٣/١٠.
(١٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٥٩):ص٤٦٣/١٠-٤٦٤.
(١٣٧) التفسير الميسر:١١٩.

الثاني: مؤمنة. قاله السدي[١٣٩].
الثالث: قال الربيع:" فهذه الأمة المقتصدة، الذين لا هم جَفَوا في الدين ولا هم غلوا، و الغلو ، الرغبة عنه، والفسق ، التقصير عنه"[١٤٠].
الرابع: معناه: منهم جماعة مقتصدة في القول في عيسى ابن مريم، قائلةٌ فيه الحقَّ أنه رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، لا غاليةٌ قائلةٌ: إنه ابن الله، تعالى الله عما قالوا من ذلك، ولا مقصرة قائلةٌ: هو لغير رِشْدَة. وهذا معنى قول مجاهد[١٤١].
قال مجاهد:" تفرَّقت بنو إسرائيل فِرَقًا، فقالت فرقة:عيسى هو ابن الله، وقالت فرقة: هو الله، وقالت فرقة:هو عبد الله وروحه، وهي المقتصدة، وهي مسلمةُ أهل الكتاب"[١٤٢].
قال يعقوب بن يزيد:" كان علي بن أبي طالب إذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، تلا فيه قرآنا: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ } إلى قوله تعالى: { مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ } وتلا أيضًا: { وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ } [الأعراف: ١٨١]، يعني: أمة محمد صلى الله عليه وسلم"[١٤٣].
قوله تعالى:{وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ} [المائدة: ٦٦]، أي:" وكثير منهم ساء عملُه، وضل عن سواء السبيل"[١٤٤].
قال مجاهد:"{ وكثير منهم}، يهود"[١٤٥].
قال قتادة:" ثم ذم أكثر القوم فقال: {وكثير منهم ساء ما يعملون}"[١٤٦].

القرآن
{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)} [المائدة: ٦٧]
التفسير:
يا أيها الرسول بلِّغ وحي الله الذي أنزل إليك من ربك، وإن قصَّرت في البلاغ فَكَتَمْتَ منه شيئًا، فإنك لم تُبَلِّغ رسالة ربِّك، وقد بلَّغ صلى الله عليه وسلم رسالة ربه كاملة، فمن زعم أنه كتم شيئًا مما أنزل عليه، فقد أعظم على الله ورسوله الفرية. والله تعالى حافظك وناصرك على أعدائك، فليس عليك إلا البلاغ. إن الله لا يوفق للرشد مَن حاد عن سبيل الحق، وجحد ما جئت به من عند الله.
في سبب نزول الآية أقوال:
أحدها: روى الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً، وعرفت أن الناس مكذبي، فوعدني لأبلغن أو ليعذبني"؛ فأنزل الله -تعالى-: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}"[١٤٧]. [ضعيف جداً].
والثاني: وقال مجاهد: لما نزلت {بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}؛ قال: "يا رب إنما أنا واحد، كيف أصنع ليجتمع عليّ من الناس؟ "؛ فنزلت: {وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}"[١٤٨].[ضعيف]

---

(١٣٨) أنظر: تفسير الطبري(١٢٢٦٦):ص٤٦٦/١٠.
(١٣٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٦٧):ص٤٦٦/١٠.
(١٤٠) أخرجه الطبري(١٢٢٦٩):ص٤٦٦/١٠.
(١٤١) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٦٥):ص٤٦٥/١٠-٤٦٦، وانظر: (١٢٢٦٦):ص٤٦٦/١٠.
(١٤٢) أخرجه الطبري(١٢٢٦٥):ص٤٦٥/١٠-٤٦٦، وانظر: (١٢٢٦٦):ص٤٦٦/١٠.
(١٤٣) تفسير ابن كثير: ١٤٩/٣، ورواه أبو يعلى في مسنده (٣٤٠/٦) من طريق أبي معشر ، عن يعقوب بن زيد به من حديث طويل. وقال الهيثمي في المجمع (٢٥٧/٧) : "فيه أبو معشر نجيح وهو ضعيف"..
(١٤٤) التفسير الميسر:١١٩.
(١٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٠٦):ص١١٧٢/٤.
(١٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٠٧):ص١١٧٢/٤.
(١٤٧)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١١٦، ١١٧) ونسبه لأبي الشيخ.
مراسيل الحسن واهية كما هو مقرر في كتب المصطلح. وانظر :تفسير الشوكاني: ٨٢٥.
(١٤٨)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٢٧٢):ص٤٦٨/١٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦١٣):ص٤/ ١١٧٣، من طريق سفيان الثوري عن رجل عن مجاهد.

وقال مقاتل: لما دعا اليهود، وأكثر عليهم، جعلوا يستهزئون به، فسكت عنهم، فحرض بهذه الآية"[١٤٩].[ضعيف]
والثالث: قال ابن عباس: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحرس، فكان يرسل معه عمه أبو طالب كل يوم رجالاً من بني هاشم يحرسونه، حتى نزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} إلى قوله: {وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ}؛ فأراد عمه أن يرسل معه من يحرسه؛ فقال: "يا عم! إن الله -عزّ وجلّ- قد عصمني من الجن والإنس"[١٥٠]. [ضعيف جداً]
والرابع:وقال أبو سعيد الخدري:" نزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} على رسول الله يوم غدير خم في علي بن أبي طالب"[١٥١].[ضعيف جداً]
والخامس: قال ابن عباس:" سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أي آية أنزلت من السماء أشد عليك؟ قال: فقال: "كنت بمنى أيام موسم، واجتمع مشركوا العرب وأفناء الناس في الموسم، فأنزل عليَّ جبريل؛ فقال: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} قال: فقمت عند العقبة، فناديت: يا أيها الناس من ينصرني على أن أبلغ رسالة ربي ولكم الجنة، أيها الناس قولوا: لا إله إلا الله، وأنا رسول الله إليكم؛ تفلحوا أو تنجحوا ولكم الجنة، قال: فما بقي رجل ولا امرأة ولا صبي إلا يرمون عليّ بالتراب والحجارة، ويبصقون في وجهي، ويقولون: كذاب صابئ، فعرض عليّ عارض فقال: يا محمد! إن كنت رسول الله؛ فقد آن لك أن تدعو عليهم كما دعا نوح على قومه بالهلاك. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: اللهم اهدِ قومي؛ فإنهم لا يعلمون، وانصرني عليهم أن يجيبوني إلى طاعتك"، فجاء العباس عمه فأنقذه منهم وطردهم عنه، قال الأعمش: فبذلك تفتخر بنو العباس، ويقولون: فيهم نزلت: {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [القصص: ٥٦] هوى النبي - صلى الله عليه وسلم - أبا طالب، وشاء الله عباس بن عبد المطلب"[١٥٢]. [ضعيف]

قلنا: وسنده ضعيف؛ لإرساله، وجهالة الرجل الذي لم يسم.
والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ١١٧) وزاد نسبته لعبد بن حميد وأبي الشيخ.
(١٤٩) .
(١٥٠)أخرجه الطبراني في "الكبير" (١١/ ٢٠٥ رقم ١١٦٦٣)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٣٥)، و"الوسيط" (٢/ ٢٠٩)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٨١) من طريق الحماني عن النضر أبي عمر عن عكرمة عنه به.
قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ فيه علتان:
الأولى: النضر هذا؛ متروك الحديث؛ كما في "التقريب" (٢/ ٣٠٢).
الثانية: الحماني؛ ضعيف.
وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٧): "وفيه النضر بن عبد الرحمن، وهو ضعيف".
والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١١٨) وزاد نسبته لأبي الشيخ وأبي نعيم في "الدلائل" -ولم نجده فيه بعد طول بحث- وابن عساكر.
(١٥١)أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦٠٩):ص٤/ ١١٧٢ ، والواحدي في "الأسباب" (ص ١٣٥) من طريق علي بن عابس عن الأعمش وأبي حجاب عن عطية عن أبي سعيد به.
قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لأن عطية ضعيف مدلس، وتدليسه معروف أنه من شر أنواع التدليس، وهو المسمى بتدليس السكوت، هذا أولًا، وثانياً: علي بن عابس؛ ضعيف؛ كما في "التقريب".
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١١٧) وزاد نسبته لابن مردويه وابن عساكر.
قال فصيح الدين الحيدري:" وذهب الشيعة إلى أن الله تعالى قد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بأن يجعل الخليفة من بعده علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه، وأنه صلى الله عليه وسلم قد أشار في مرض موته إلى علي رضي الله عنه خفية بأنه الخليفة من بعده بالاستحقاق، وأن الآية نزلت في علي رضي الله تعالى عنه، أي بلّغ ما أنزل إليك من أمر علي، بزعمهم الباطل، إلا أنه أسرّ أمر الخلافة بينه وبين علي وأمره بعدم دعوى الخلافة فانظر إلى هذا الهذيان المستلزم لعدم تبليغ النبي صلى الله عليه وسلم أوامر الله تعالى، لأن معنى التبليغ إعلان الأمر لجميع الأمة. فما أعمى بصائرهم! والعياذ بالله تعالى من سوء المنقلب".[النكت الشنيعة في بيان الخلاف بين الله تعالى والشيعة:١٠٩-١١٠].
(١٥٢)أخرجه ابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١١٧، ١١٨) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ١٣، ١٤ رقم ٢) - بسند ضعيف؛ فيه قابوس بن أبي ظبيان؛ لين الحديث، والأعمش مدلس، وفيه من لم نعرفه.

والسادس: أنها نزلت لأنه -صلى الله عليه وسلم- كان يخاف قريشًا، فأومن من ذلك. وهذا قول ابن جريج[١٥٣].[ضعيف جدا]
والسابع: وقال مقاتل: "لما دعا اليهود، وأكثر عليهم، جعلوا يستهزئون به، فسكت عنهم، فحرض بهذه الآية"[١٥٤].

قال البغوي:" قيل: نزلت في عيب اليهود، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دعاهم إلى الإسلام، فقالوا أسلمنا قبلك وجعلوا يستهزئون به، فيقولون له: تريد أن نتخذك حنانا كما اتخذت النصارى عيسى ابن مريم حنانا، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ذلك سكت فنزلت هذه الآية، وأمره أن يقول لهم: "{يا أهل الكتاب لستم على شيء}[المائدة:٦٨] الآية"[١٥٥].
والثامن: وقيل: "نزلت في الجهاد، وذلك أن المنافقين كرهوه كما قال الله تعالى: فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت [محمد: ٥]، وكرهه بعض المؤمنين قال الله تعالى: ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم [النساء:٧٧] الآية. فكان النبي صلى الله عليه وسلم يمسك في بعض الأحايين عن الحث على الجهاد لما يعلم من كراهة بعضهم، فأنزل الله هذه الآية"[١٥٦].
والتاسع: وقيل: "بلغ ما أنزل إليك من الرجم والقصاص، نزلت في قصة اليهود"[١٥٧].
والعاشر: وقيل: "نزلت في أمر زينب بنت جحش ونكاحها"[١٥٨].
الحادي عشر: عن أبي هريرة؛ قال: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا نزل منزلاً نظروا أعظم شجرة يرونها فجعلوها للنبي - صلى الله عليه وسلم - فينزل تحتها، وينزل أصحابه بعد ذلك في ظل الشجرة. فبينما هو نازل تحت شجرة -وقد علق السيف عليها- إذ جاء أعرابي فأخذ السيف من الشجرة ثم دناه من النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو نائم فأيقظه، فقال: يا محمد من يمنعك مني الليلة؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "الله"؛ فأنزل الله -تعالى-: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}"[١٥٩]. [حسن]

---

(١٥٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٢٧٩):٤٧١/١٠.[ضعيف جدا]، أخرجه من طريق سنيد صاحب "التفسير" عن حجاج عن ابن جريج به.
قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف سنيد.
(١٥٤)عزاه ابن الجوزي في زاد المسير:٥٦٨/١ لمقاتل، وهو ابن سليمان إذا أطلق، وخبره معضل، وهو متروك متهم إذا وصل الحديث، فكيف إذا أرسله؟!.
وفي تفسيره٤٩٢/١:" {والله يعصمك من الناس}، يعني: من اليهود فلا تقتل، {إن الله لا يهدي القوم الكافرين}، يعني اليهود، فلما نزلت هذه الآية أمن النبي- صلى الله عليه وسلم- من القتل والخوف فقال: لا أبالي من خذلني ومن نصرني ، وذلك أنه كان خشي أن تغتاله اليهود فتقتله ".
(١٥٥) تفسير البغوي:٧٨/٣.
(١٥٦) تفسير البغوي:٧٨/٣.
(١٥٧) تفسير البغوي:٧٨/٣.
(١٥٨) تفسير البغوي:٧٨/٣.
(١٥٩)أخرجه ابن أبي شيبة؛ كما في "فتح الباري" (٦/ ٩٨)، وابن حبان في "صحيحه" (رقم ١٧٣٩ - موارد)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٨٢) من طريق محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة به.
قلنا: وهذا إسناد حسن، وكذا حسنه شيخنا في "الصحيحة".
قال الحافظ: "وهذا إسناد حسن، فيحتمل -إن كان محفوظاً- أن يقال: كان مخيراً في اتخاذ الحرس؛ فتركه مرة؛ لقوة يقينه، فلما وقعت هذه القصة ونزلت هذه الآية ترك ذلك".
قلنا: وأصل الحديث في "الصحيحين" من حديث جابر بن عبد الله عند البخاري في "صحيحه" (٦/ ٩٦ رقم ٢٩١٠، ص ٩٧ رقم ٢٩١٣)، ومسلم في "صحيحه" (٤/ ١٧٨٦، ١٧٨٧) بلفظ: أنه غزا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فلما قفل رسول الله قفل معه، فأدركهم القائلة في واد كثير العضاه، فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتفرق الناس يستظلون بالشجر، فنزل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تحت شجرة وعلق بها سيفه ونمنا نومةً، فإذا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعونا، وإذا عنده أعرابي فقال: "إن هذا اخترط عليّ سيفي وأنا نائم، فاستيقظت وهو في يده صلتاً، فقال: من يمنعك مني؟ فقلت: الله (ثلاثًا) "، ولم يعاقبه فجلس.
ومنها: حديث عائشة عند البخاري (٦/ ٨١ رقم ٢٨٨٥، ١٣/ ٢١٩ رقم ٧٢٣١)، ومسلم (٤/ ١٨٧٥/ ٢٤١٠)؛ قالت عائشة - رضي الله عنهما-: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - سهر، فلما قدم المدينة قال: ليت رجلًا من أصحابي صالحاً يحرسني

الثاني عشر: قالت عائشة -رضي الله عنها-: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُحرس؛ فنزلت: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}؛ فأخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رأسه من القبة، فقال:«أيها الناس انصرفوا؛ فقد عصمني الله من الناس»"(١٦٠).[حسن لغيره]

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ} [المائدة: ٦٧]، أي:" يا أيها الرسول بلِّغ وحي الله الذي أنزل إليك من ربك"(١٦١).

عن مسروق، عن عائشة قالت: "من حَدّثك أن محمدًا -صلى الله عليه وسلم- كتم شيئًا مما أُنزل عليه، فقد كذب، الله يقول: { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } الآية"(١٦٢).

عن هارون بن عنترة، عن أبيه قال:" كنت عند ابن عباس فجاء رجل فقال له: إن ناسًا يأتونا فيخبرونا أن عندكم شيئًا لم يبده رسولُ الله صلى الله عليه وسلم للناس. فقال: ألم تعلم أن الله تعالى قال: { يَا

الليلة، إذ سمعنا صوتَ سلاح، فقال: "من هذا؟ " فقال: أنا سعد بن أبي وقاص جئت لأحرسك، فنام النبي - صلى الله عليه وسلم -.

و-أيضاً- من حديث جابر عند ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٧٣ رقم ٦٦١٤) من طريق موسى بن عبيدة ثني زيد بن أسلم عن جابر؛ قال: لما غزا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بني أنمار نزل ذات الرقاع بأعلى نخل، فبينا هو جالس على رأس بئر قد دلى رجليه؛ فقال الحارث من بني النجار: لأقتلن محمداً، فقال أصحابه: كيف تقتله، قال: أقول له: أعطني سيفك، فإذا أعطانيه قتلته به، قال: فأتاه، فقال: يا محمد أعطني سيفك أشيمه فأعطاه إياه، فرعدت يده حتى سقط السيف من يده، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "حال الله بينك وبين ما تريد"؛ فأنزل الله -عز وجل-: {يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧)}.

وسنده ضعيف؛ موسى بن عبيدة ضعيف.

وقال ابن كثير: "هذا حديث غريب من هذا الوجه".

لكنه حسن في الشواهد.

ومنها مرسل محمد بن كعب القرظي عند الطبري في "جامع البيان" (٦/ ١٩٩) وسنده صحيح.

ومنها مرسل سعيد بن جبير عنده -أيضاً- بسند ضعيف.

وانظر: ما كتبه شيخنا الإمام الألباني -رحمه الله- في "الصحيحة" (رقم ٢٤٨٩).

(١٦٠)أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٤/ ١٥٠٣، ١٥٠٤ رقم ٧٦٨ - تكملة)، والترمذي (٥/ ٢٥١ رقم ٣٠٤٦)، والطبري في "جامع البيان" (١٢٢٧٦):ص١٠/٤٦٩، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦١٥):ص٤/ ١١٧٣ ، والقاضي عياض في "الشفا" (ص ٣٤٦، ٣٤٧)، والحاكم (٢/ ٣١٣)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٩/ ٨)، و"الدلائل" (٢/ ١٨٤) جميعهم من طريق الحارث بن عبيد عن الجريري عن عبد الله بن شقيق عن عائشة به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الحارث بن عبيد؛ ضعفه ابن معين والنسائي وابن حبان وأبو زرعة والذهبي وغيرهم، ولخصه الحافظ بقوله: "صدوق يخطئ".

انظر: "تاريخ الدوري" (٢/ ٩٣)، و"ضعفاء النسائي" (رقم ١١٩)، و"المجروحين" (١/ ٢٢٤)، و"الكامل" (٢/ ٦٠٧، ٦٠٨)، و"الميزان" (١/ ٤٣٨، ٤٣٩)، و"التهذيب" (٢/ ١٤٩، ١٥٠)، و"التقريب" (١/ ١٤٢).

الثانية: الجريري؛ اختلط، ولم يذكروا الحارث ضمن الذين رووا عنه قبل الاختلاط.

قال الترمذي: "هذا حديث غريب، وروى بعضهم هذا الحديث عن الجريري عن عبد الله بن شقيق قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يحرس ولم يذكروا فيه عن عائشة".

وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

وقال الحافظ "فتح الباري" (٦/ ٨٢): "إسناده حسن، واختلف في وصله وإرساله".

قلنا: والصواب أن الحديث مرسل؛ فقد أخرجه الطبري في "جامع البيان" (٦/ ١٩٩)، وابن مردويه؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٨١) من طريق إسماعيل بن عليه ووهيب بن خالد كلاهما عن الجريري عن عبد الله بن شقيق به مرسلاً.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد، وابن عليه سمع من الجريري قبل الاختلاط وهو أصح من سابقه.

وقال شيخنا العلّامة الألباني -رحمه الله- في "الصحيحة" (٥/ ٦٤٥): "فهو صحيح مرسل".

وقال قبل ذلك: "وهذا أصح -يعني: المرسل-".

فهو ضعيف إذًا، لكن للحديث شواهد كثيرة يصح بها.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١١٨) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

(١٦١) التفسير الميسر:١١٩.

(١٦٢)صحيح البخاري برقم (٤٦١٢) وبرقم (٤٨٥٥ ، ٧٣٨٠) وصحيح مسلم برقم (١٧٧) وسنن الترمذي برقم (٣٠٦٨) وسنن النسائي الكبرى برقم (١١١٤٧).

أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ } والله ما ورثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم سوداءَ في بيضاء"[١٦٣].

قوله تعالى:{وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} [المائدة: ٦٧]، أي:" وإن قصَّرت في البلاغ فَكَتَمْتَ منه شيئًا، فإنك لم تُبَلِّغ رسالة ربِّك"[١٦٤].

قال قتادة:" أخبر الله نبيَّه صلى الله عليه وسلم أنه سيكفيه الناس، ويعصمه منهم، وأمره بالبلاغ. ذكر لنا أن نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم قيل له: لو احتجبت! فقال: والله لأبدِيَنَّ عَقِبي للناس ما صاحبتهم"[١٦٥].

قال مجاهد:" لما نزلت: {بلغ ما أنزل إليك من ربك}، قال: إنما أنا واحد، كيف أصنع ؟ تجَمَّع عليّ الناس! فنزلت: {وإن لم تفعل فما بلغت رسالته}، الآية"[١٦٦].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ} [المائدة: ٦٧]، أي:" والله تعالى حافظك وناصرك على أعدائك"[١٦٧].

قال قتادة:" أخبر الله نبيه أنه سيكفيه الناس ويعصمه منهم وأمره بالبلاغ"[١٦٨].

قال سعيد بن جبير:"لما نزلت: {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس}، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا تحرسوني، إنّ ربّي قد عَصَمني"[١٦٩].

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة: "أن عائشة كانت تحدث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سَهر ذات ليلة، وهي إلى جنبه، قالت: فقلتُ: ما شأنك يا رسول الله ؟ قال: "ليت رجلا صالحاً من أصحابي يحرسني الليلة ؟" قالت: فبينا أنا على ذلك إذ سمعت صوت السلاح فقال: "من هذا ؟" فقال: أنا سعد بن مالك. فقال: "ما جاء بك ؟" قال: جئت لأحرسك يا رسول الله. قالت: فسمعت غطيط رسول الله صلى الله عليه وسلم في نومه"[١٧٠].

القرآن

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨)} [المائدة: ٦٨]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لليهود والنصارى: إنكم لستم على حظٍّ من الدين ما دمتم لم تعملوا بما في التوراة والإنجيل، وما جاءكم به محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن، وإن كثيرًا من أهل الكتاب لا يزيدهم إنزالُ القرآن إليك إلا تجبُّرًا وجحودًا، فهم يحسدونك; لأن الله بعثك بهذه الرسالة الخاتمة، التي بَيَّن فيها معايبهم، فلا تحزن -أيها الرسول- على تكذيبهم لك.

سبب النزول:

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-:" جاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رافع بن حارثة وسلام بن مشكم ومالك بن الصيف ورافع بن حرملة، فقالوا: يا محمد! ألست تزعم أنك على ملة إبراهيم ودينه، وتؤمن بما عندنا من التوراة، وتشهد أنها من الله حق؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "بلى؛ ولكنكم أحدثتم وجحدتم ما فيها، مما أخذ عليكم من الميثاق، وكتمتم منها ما أمرتم أن تبينوه للناس، وأنا برئ من أحداثكم"، قالوا: فإنا نأخذ بما في أيدينا؛ فإنا على الحق والهدى، ولا نؤمن بك ولا نتبعك؛ فأنزل الله -تعالى-:

---

(١٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم كما في تفسير ابن كثير:١٥٠/٣. قال ابن كثير:١٥٠/٣:" وهذا إسناد جيد".
(١٦٤) التفسير الميسر:١١٩.
(١٦٥) أخرجه الطبري(١٢٢٧١):ص٤٦٨/١٠.
(١٦٦)أخرجه الطبري(١٢٢٧٢):ص٤٦٨/١٠.
(١٦٧) التفسير الميسر:١١٩.
(١٦٨) .أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦١٦):ص١١٧٤/٤
(١٦٩)أخرجه الطبري(١٢٢٧٣):ص٤٦٨/١٠.
(١٧٠)المسند (١٤٠/٦) وصحيح البخاري برقم (٢٨٨٥) وصحيح مسلم برقم (٢٤١٠).
وفي لفظ : سَهر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة مَقْدَمِه المدينة. يعني : على أثر هجرته إليها بعد دخوله بعائشة ، رضي الله عنها ، وكان ذلك في سنة ثنتين منها. [انظر: تفسير ابن كثير:١٥١/٣].

{قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ}"[١٧١]. [ضعيف]

قوله تعالى:{ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} [المائدة: ٦٨]، أي:" قل -أيها الرسول- لليهود والنصارى: إنكم لستم على حظٍّ من الدين ما دمتم لم تعملوا بما في التوراة والإنجيل، وما جاءكم به محمد -صلى الله عليه وسلم- من القرآن "[١٧٢].

عن مجاهد:{ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ}، قال: "ما أنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-"[١٧٣].

قوله تعالى:{فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ} [المائدة: ٦٨]، أي:" فلا تحزن -أيها الرسول- على تكذيبهم لك"[١٧٤].

قال السدي:" يقول: فلا تحزن"[١٧٥].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٩)} [المائدة: ٦٩]

التفسير:

إن الذين آمنوا -وهم المسلمون-، واليهود، -والصابئون كذلك -وهم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه-، والنصارى -وهم أتباع المسيح- من آمن منهم بالله الإيمان الكامل، وهو توحيد الله والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به، وآمن باليوم الآخر، وعمل العمل الصالح، فلا خوف عليهم من أهوال يوم القيامة، ولا هم يحزنون على ما تركوه وراءهم في الدنيا.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة: ٦٩]، أي: إن الذين "صدّقوا الله ورسوله وهم المسلمون"[١٧٦].

قال سعيد بن جبير:"قوله: {آمنوا بالله}، يعني: بتوحيد الله"[١٧٧].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ هَادُوا} [المائدة: ٦٩]، أي:" واليهود"[١٧٨].

قال ابن جريج:" إنما سميت اليهود من أجل أنهم قالوا: {إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ}[الأعراف: ١٥٦]"[١٧٩].

قوله تعالى:{وَالصَّابِئُونَ} [المائدة: ٦٩]، أي:" والصابئون-وهم قوم باقون على فطرتهم، ولا دين مقرر لهم يتبعونه-"[١٨٠].

وقد اختلفت عبارات المفسرون في تفسير معنى (الصابئة) على أقوال:

أحدها:أنهم قوم بين المجوس واليهود والنصارى، وليس لهم دين. قاله مجاهد[١٨١]، وعطاء[١٨٢].

الثاني: أنهم منزلة بين اليهود والنصارى. قاله سعيد بن جبير[١٨٣].

---

(١٧١)أخرجه ابن إسحاق في "السيرة" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٢٢٨٤):ص٤٧٣/١٠-٤٧٤: ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: وسنده ضعيف؛ لجهالة محمد شيخ ابن إسحاق؛ كما قال الحافظان الذهبي والعسقلاني.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٢٠) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

قلنا: أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦١٨):ص٤/ ١١٧٤: من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد به معضلاً.

(١٧٢) التفسير الميسر:١١٩.

(١٧٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٢١):ص١١٧٥/٤.

(١٧٤) التفسير الميسر:١١٩.

(١٧٥) انظر: تفسير الطبري (١٢٢٨٧):ص٤٧٦/١٠.

(١٧٦) صفوة التفاسير:٣٢٩.

(١٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.

(١٧٨) التفسير الميسر:٣٢٩.

(١٧٩) أنظر: تفسير الطبري(١٠٩٤):ص١٤٣/٢.

(١٨٠) التفسير الميسر:٣٢٩.

(١٨١) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٨):ص١٢٧/١.

(١٨٢) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٦):ص١٤٦/٢.

(١٨٣) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٧):ص١٢٧/١.

الثالث: قبيلة بين المجوس واليهود، ولاتؤكل ذبائحهم ولاتنكح نساؤهم. قاله الحسن[١٨٤]، ومجاهد[١٨٥]، وابن أبي نجيح[١٨٦].
الرابع: هم فرقة من أهل الكتاب يقرؤون الزبور. قاله أبو العالية[١٨٧]والسدي، والربيع بن أنس، وأبو الشعشاء جابر بن زيد، والضحاك، وإسحاق بن راهويه[١٨٨].
الخامس: هم قوم يعيدون الملائكة ويصلون إلى القبلة. قاله قتادة[١٨٩]، وزياد بن أبيه[١٩٠].
السادس: أنهم طائفة من أهل الكتاب. قاله السدي[١٩١].
وأظهر الأقوال – والله أعلم – قول مجاهد ومتابعيه، ووهب بن منبه: أنهم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا المجوس ولا المشركين وإنما هم باقون على فطرتهم، ولادين مقرر يتبعونه ويقتضونه[١٩٢].
قوله تعالى:{وَالنَّصَارَى} [المائدة: ٦٩]، أي:"والنصارى-وهم اتباع المسيح-"[١٩٣].
قال قتادة:" إنما سموا نصارى، لأنهم كانوا بقرية يقال لها ناصرة ينزلها عيسى ابن مريم، فهو اسم تسموا به، ولم يؤمروا به"[١٩٤].
قال ابن جريج:" إنما سموا نصارى من أجل أنهم نزلوا أرضا يقال لها: ناصرة"[١٩٥].
ولفظة (النصرانية) و(نصارى) التي تطلق في العربية على أتباع المسيح، من الألفاظ المعربة، يرى بعضى المستشرقين أنّها من أصل سرياني هو: (نصرويو) Nosroyo، (نصرايا) Nasraya [١٩٦]، ويرى بعضٌ آخر أنّها من Nazerenes النّسمية العبرانية التي أطلقها اليهود على من اتّبع ديانة المسيح، وقد وردت في العهد الجديد في (أعمال الرسل) حكاية على لسان يهود[١٩٧]، ويرى بعض المؤرخين أن لها صلةً (بالناصرة) التي كان منها (يسوع) حيث يُقال: (يسوع الناصري) أو أنّ لها صلة بـ (الناصريين) Nasarenes = Nazarenes إحدى الفرق القديمة اليهودية المتنصرة. وقد بقي اليهود يطلقون على من اتّبع ديانة المسيح (النصارى)، وبهذا المعنى وردت الكلمة في القرآن الكريم، ومن هنا صارت النصرانية علماً لديانة المسيح عند المسلمين.
ولعلماء اللغة الإسلاميين آراء في معنى هذه الكلمة وفي أصلها، هي من قبيل التفسيرات المألوفة المعروفة عنهم في الكلمات الغريبة التي لا يعرفون لها أصلاً، وقد ذهب بعضهم إلى أنها نسبة إلى الناصرة التي نُسب اليها المسيح[١٩٨]، وزعم بعض منهم أنها نسبة إلى قرية يُقال لها (نصران)، فقبل نصراني وجمعه نصارى[١٩٩]، ودُكر أن (النصرانة) هي مؤنث النصراني[٢٠٠].
قوله تعالى:{مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [المائدة: ٦٩]، أي:" مَنْ آمن من هؤلاء المذكورين إيماناً صحيحاً خالصاً لا يشوبه ارتيابٌ بالله وباليوم الآخر، وعمل بطاعة

---

(١٨٤) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٣):ص١٤٦/٢.
(١٨٥)أنظر: تفسير الطبري(١١٠٢):ص١٤٦/٢.
(١٨٦)أنظر: تفسير الطبري(١١٠٤):ص١٤٦/٢.
(١٨٧) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٣٩):ص١٢٧/١، وتفسير الطبري(١١١٠):ص١٤٧/٢.
(١٨٨) انظر تفسير الطبري، ١/ ٢٥٢- ٢٥٣. وتفسير ابن أبي حاتم: ١٢٧/١، وتفسير القرطبي، ١/ ٤٧٥-٤٧٦.
(١٨٩) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٩):ص١٤٧/٢.
(١٩٠) أنظر: تفسير الطبري(١١٠٨):ص١٤٧/٢. زياد بن أبيه: هو والى العراق في زمن معاوية رضي الله عنه .
(١٩١) أنظر: تفسير الطبري(١١١١):ص١٤٧/٢.
(١٩٢) تفسير ابن كثير، ١٠٤/١.
(١٩٣) التفسير الميسر:٣٢٩.
(١٩٤) أنظر: تفسير الطبري(١٠٩٧)، و(١٠٩٨):ص١٤٥/٢.
(١٩٥) أنظر: تفسير الطبري(١٠٩٥):ص١٤٥/٢.
١٩٦ غرائب اللغة (ص ٢٠٧)، ٨٤٨ .Ency. , III, p.
١٩٧ أعمال الرسل: الإصحاح ٢٤، الآية ٥ « فإننا إذْ وجدنا هذا الرجل مفسداً ومهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة ومقدام شيعة الناصريين »، ٥٧٤ .Ency. Relig. Ethic. , III, p.
١٩٨ اللسان (٧/ ٦٨)، تاج العروس (٣/ ٥٦٨)، (نصر).
(١٩٩) المفردات، للأصفهاني (ص ٥١٤).
(٢٠٠) ومنه قول الشاعر:
فكلتاهما خرت وأسجد رأسها كما أسجدت نصرانة لم تحنف
اللسان (٧/ ٦٨)، (نصر)، « والنصرانية واحدة النصارى »، تاج العروس (٣/ ٥٦٩)، (نصر).

الله في دار الدنيا فلا خوف عليهم من أهوال يوم القيامة، ولا هم يحزنون على ما تركوه وراءهم في الدنيا "[٢٠١].

قال سعيد بن جبير:" {فلا خوف عليهم}، يعني: في الآخرة"، "{ولا هم يحزنون}، يعني: لا يحزنون للموت"[٢٠٢].

القرآن

{لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ (٧٠)} [المائدة: ٧٠]

التفسير:

لقد أخذنا العهد المؤكَّد على بني إسرائيل في التوراة بالسمع والطاعة، وأرسلنا إليهم بذلك رسلنا، فَنَقَضوا ما أُخذ عليهم من العهد، واتبعوا أهواءهم، وكانوا كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما لا تشتهيه أنفسهم عادَوْه: فكذبوا فريقًا من الرسل، وقتلوا فريقًا آخر.

قوله تعالى:{لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ} [المائدة: ٧٠]، أي:" لقد أخذنا العهد المؤكَّد على بني إسرائيل في التوراة بالسمع والطاعة"[٢٠٣].

قال أبو العالية:" أخذ مواثيقهم أن يخلصوا له ولا يعبدوا غيره"[٢٠٤].

قوله تعالى:{وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ} [المائدة: ٧٠]، أي:" وأرسلنا إليهم بذلك رسلنا، كلما جاءهم رسول من أولئك الرسل بما يخالف أهواءهم وشهواتهم"[٢٠٥].

قال السدي:" لما جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم عارضوه بالتوراة وخاصموه"[٢٠٦].

القرآن

{وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُوا وَصَمُّوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (٧١)} [المائدة: ٧١]

التفسير:

وظنَّ هؤلاء العُصاة أن الله لن يأخذهم بالعذاب جزاء عصيانهم وعُتُوِّهم، فمضوا في شهواتهم، وعمُوا عن الهدى فلم يبصروه، وصَمُّوا عن سماع الحقِّ فلم ينتفعوا به، فأنزل الله بهم بأسه، فتابوا فتاب الله عليهم، ثم عَمِي كثيرٌ منهم، وصمُّوا، بعدما تبين لهم الحقُّ، والله بصير بأعمالهم خيرها وشرها وسيجازيهم عليها.

قوله تعالى:{وَحَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ} [المائدة: ٧١]، أي:" وظنَّ هؤلاء العُصاة أن الله لن يأخذهم بالعذاب جزاء عصيانهم وعُتُوِّهم"[٢٠٧].

قال قتادة:" يقول: حسب القوم أن لا يكون بلاءٌ {فعموا وصموا}، كلما عرض بلاء ابتلوا به، هلكوا فيه"[٢٠٨].

قال السدي:" يقول: حسبوا أن لا يبتلوا"[٢٠٩].

قال الحسن:" {فتنة}: بلاء"[٢١٠].

قال عبد الله بن كثير: "هذه الآية لبني إسرائيل، و{الفتنة}، البلاء والتَّمحيص"[٢١١].

---

(٢٠١) صفوة التفاسير:٣٢٩.
(٢٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٢٥)، (٤٢٦):ص٩٣/١.
(٢٠٣)التفسير الميسر:١١٩.
(٢٠٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٣٤):ص١١٧٧/٤.
(٢٠٥) صفوة التفاسير:٣٢٩.
(٢٠٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٣٥):ص١١٧٧/٤.
(٢٠٧) التفسير الميسر:١٢٠.
(٢٠٨) أخرجه الطبري(١٢٢٨٨):ص٤٧٩/١٠.
(٢٠٩) أخرجه الطبري(١٢٢٨٩):ص٤٧٩/١٠.
(٢١٠) أخرجه الطبري(١٢٢٩٠):ص٤٧٩/١٠.
(٢١١) أخرجه الطبري(١٢٢٩٣):ص٤٨٠/١٠.

قوله تعالى:{فَعَمُوا وَصَمُّوا} [المائدة: ٧١]، أي:" فمضوا في شهواتهم، وعمُوا عن الهدى فلم يبصروه، وصَمُّوا عن سماع الحقِّ فلم ينتفعوا به"(٢١٢).

عن مجاهد فعموا وصموا قال: يهود"(٢١٣).

قال السدي:" فعموا عن الحق وصمُّوا"(٢١٤).

قوله تعالى:{ ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ} [المائدة: ٧١]، أي:" :" فأنزل الله بهم بأسه، فتابوا فتاب الله عليهم ، ثم عَمِي كثيرٌ منهم، وصمُّوا، بعدما تبين لهم الحقُّ"(٢١٥).

قال قتادة:" كلما عرض لهم بلاء ابتلوا به هلكوا"(٢١٦).

القرآن

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢)} [المائدة: ٧٢]

التفسير:

يقسم الله تعالى بأن الذين قالوا: إن الله هو المسيح بن مريم، قد كفروا بمقالتهم هذه، وأخبر تعالى أن المسيح قال لبني إسرائيل: اعبدوا الله وحده لا شريك له، فأنا وأنتم في العبودية سواء. إنه من يعبد مع الله غيره فقد حرَّم الله عليه الجنة، وجعل النار مُستَقَرَّه، وليس له ناصرٌ يُنقذُه منها.

قوله تعالى:{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [المائدة: ٧٢]، أي:" أي أقسم إن هؤلاء الذين ادعوا أن الله هو المسيح بن مريم- قد كفروا"(٢١٧).

قال ابن جريج:" بلغنا أن نصارى نجران قدم وفدهم على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة منهم السيد، والعاقب، وأخبرت أن معهما عبد المسيح، وهما يومئذ سيدا أهل نجران، فقالوا: يا محمد فيم تشتم صاحبنا؟ قال: " ومن صاحبكم "، قالوا: عيسى بن مريم، تزعم أنه عبد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " أجل هو عبد الله، وكلمته ألقاها إلى مريم "، فغضبوا، وقالوا: إن كنت صادقا فأرنا عبدا يحيي الموتى يبرئ الأكمه، والأبرص، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ولكنه الله، فسكت النبي صلى الله عليه وسلم حتى جاءه جبريل عليهما السلام، فقال: يا محمد {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم} هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم: " إنهم قد سألوني أن أخبرهم مثل عيسى "، قال جبريل: {إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون إلى قوله: فمن حاجك فيه}"(٢١٨).

القرآن

{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)} [المائدة: ٧٣]

التفسير:

لقد كفر من النصارى من قال: إنَّ الله مجموع ثلاثة أشياء: هي الأب، والابن، وروح القدس. أما عَلِمَ هؤلاء النصارى أنه ليس للناس سوى معبود واحد، لم يلد ولم يولد، وإن لم ينته أصحاب هذه المقالة عن افترائهم وكذبهم ليُصِيبَنَّهم عذاب مؤلم موجع بسبب كفرهم بالله.

قوله تعالى:{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ} [المائدة: ٧٣]، أي:" لقد كفر من النصارى من قال: إنَّ الله مجموع ثلاثة أشياء: هي الأب، والابن، وروح القدس"(٢١٩).

قال مجاهد:" النصارى، يقولون: إن الله ثالث ثلاثة، وكذبوا"(٢٢٠).

---

(٢١٢) التفسير الميسر:١٢٠.

(٢١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٤٠):ص١١٧٨/٤.

(٢١٤) أخرجه الطبري(١٢٢٨٩):ص٤٧٩/١٠.

(٢١٥) التفسير الميسر:١٢٠.

(٢١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٤١):ص١١٧٨/٤.

(٢١٧) تفسير المراغي:١٦٥/٦.

(٢١٨) تفسير ابن المنذر(٥٣٨):ص٢٢٤/١-٢٢٥.

(٢١٩)التفسير الميسر:١٢٠.

وعن مجاهد أيضا:" تفرقت بنوا إسرائيل ثلاث فرق في عيسى فقالت فرقة: هو الله، وقالت فرقة هو ابن الله وقالت فرقة: هو عبد الله، ورسوله وروحه، وهي المقتصدة، ومن مسلمة أهل الكتاب"[٢٢١].

قال السدي:" قالت النصارى: هو والمسيح وأمه، فذلك قول الله تعالى: {أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [سورة المائدة: ١١٦] "[٢٢٢].

وقال أبو الصخر:" هو قول اليهود: عزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، فجعلوا لله تبارك وتعالى ثالث ثلاثة"[٢٢٣].

قوله تعالى:{ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة: ٧٣]، أي:" وإن لم ينته أصحاب هذه المقالة عن افترائهم وكذبهم، لَيُصِيبَنَّهم عذاب مؤلم موجع بسبب كفرهم بالله"[٢٢٤].

قال أبو العالية:" {عذاب أليم}: موجع"[٢٢٥].

القرآن

{أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤)} [المائدة: ٧٤]

التفسير:

أفلا يرجع هؤلاء النصارى إلى الله تعالى، ويتوبون عمَّا قالوا، ويسألون الله تعالى المغفرة؟ والله تعالى متجاوز عن ذنوب التائبين، رحيمٌ بهم.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة: ٧٤]، أي:" والله تعالى متجاوز عن ذنوب التائبين، رحيمٌ بهم"[٢٢٦].

عن قتادة:" قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"[٢٢٧].

قال قتادة:" قوله:{رحيما}، بعياده"[٢٢٨].

قال سعيد بن جبير:" قوله:{رحيما} بهم بعد التوب"[٢٢٩].

القرآن

{مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥)} [المائدة: ٧٥]

التفسير:

ما المسيح ابن مريم عليه السلام إلا رسولٌ كمن تقدمه من الرسل، وأُمُّه قد صَدَّقت تصديقًا جازمًا علمًا وعملا وهما كغيرهما من البشر يحتاجان إلى الطعام، ولا يكون إلهًا مَن يحتاج الى الطعام ليعيش. فتأمَّل -أيها الرسول- حال هؤلاء الكفار. لقد وضحنا العلاماتِ الدالة على وحدانيتنا، وبُطلان ما يَدَّعونه في أنبياء الله. ثم هم مع ذلك يَضِلُّون عن الحق الذي نَهديهم إليه، ثم انظر كيف يُصرفون عن الحق بعد هذا البيان؟

قوله تعالى:{ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المائدة: ٧٥]، أي:" ثم انظر كيف يُصرفون عن الحق بعد هذا البيان"[٢٣٠].

قال أبو مالك:" كيف يؤفكون؟"[٢٣١].

---

(٢٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٤٤):ص١١٧٨/٤.
(٢٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٤٥):ص١١٧٩/٤.
(٢٢٢) أخرجه الطبري(١٢٢٩٤):ص٤٨٣/١٠.
(٢٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٤٧):ص١١٧٩/٤.
(٢٢٤)التفسير الميسر:١٢٠.
(٢٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٤٩):ص١١٧٩/٤.
(٢٢٦) التفسير الميسر:١٢٠.
(٢٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٠٣):ص٩١٥/٣.
(٢٢٨)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣
(٢٢٩)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٤):ص٨٩٦/٣
(٢٣٠) التفسير الميسر:١٢٠.
(٢٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٥٢):ص١١٨٠/٤.

القرآن

{قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦)} [المائدة: ٧٦]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكفرة: كيف تشركون مع الله من لا يَقْدِرُ على ضَرِّكم، ولا على جَلْبِ نفع لكم؟ والله هو السميع لأقوال عباده، العليم بأحوالهم.

قوله تعالى:{قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا} [المائدة: ٧٦]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء الكفرة: كيف تشركون مع الله من لا يَقْدِرُ على ضَرِّكم، ولا على جَلْبِ نفع لكم؟"[٢٣٢].

عن مجاهد:{ضرا ولا نفعا}، قال: {ضرا}، ضلالة"[٢٣٣].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [المائدة: ٧٦]، أي:" والله هو السميع لأقوال عباده، العليم بأحوالهم"[٢٣٤].

قال محمد بن إسحاق:" {السميع}، أي: سميع ما يقولون"[٢٣٥]، {العليم}، أي: عليم بما يخفون"[٢٣٦].

القرآن

{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ (٧٧)} [المائدة: ٧٧]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للنصارى: لا تتجاوزوا الحقَّ فيما تعتقدونه من أمر المسيح، ولا تتبعوا أهواءكم، كما اتَّبع اليهود أهواءهم في أمر الدين، فوقعوا في الضلال، وحملوا كثيرًا من الناس على الكفر بالله، وخرجوا عن طريق الاستقامة إلى طريق الغَواية والضلال.

قوله تعالى:{قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ} [المائدة: ٧٧]، أي:" قل -أيها الرسول- للنصارى: لا تتجاوزوا الحقَّ فيما تعتقدونه من أمر المسيح"[٢٣٧].

قال قتادة:" {لا تغلوا في دينكم}، يقول: لا تبتدعوا"[٢٣٨].

قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ} [المائدة: ٧٧]، أي:" ولا تتبعوا أهواءكم، كما اتَّبع اليهود أهواءهم في أمر الدين، فوقعوا في الضلال"[٢٣٩].

قوله تعالى:{وَأَضَلُّوا كَثِيرًا} [المائدة: ٧٧]، أي:" وحملوا كثيرًا من الناس على الكفر بالله"[٢٤٠].

قال السدي:" {وأضلوا كثيرا}، أتباعهم"[٢٤١].

عن السدي:{لا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرًا}، فهم أولئك الذين ضلُّوا وأضلوا أتباعهم" [٢٤٢].

قوله تعالى:{وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: ٧٧]، أي:" وخرجوا عن طريق الاستقامة إلى طريق الغَواية والضلال"[٢٤٣].

قال السدي:" {عن سواء السبيل}، عن عَدْل السبيل" [٢٤٤].

---

(٢٣٢) التفسير الميسر:١٢٠.
(٢٣٣) تفسير ابن أبي حاتم(٦٦٥٣):ص١١٨٠/٤.
(٢٣٤) التفسير الميسر:١٢٠.
(٢٣٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٥٤):ص١١٨٠/٤.
(٢٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٥٥):ص١١٨٠/٤.
(٢٣٧) التفسير الميسر:٢٤٠.
(٢٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٥٦):ص١١٨٠/٤.
(٢٣٩) التفسير الميسر:٢٤٠.
(٢٤٠) التفسير الميسر:٢٤٠.
(٢٤١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٥٨):ص١١٨١/٤.
(٢٤٢) أخرجه الطبري(١٢٢٩٧):ص٤٨٨/١٠.
(٢٤٣) التفسير الميسر:٢٤٠.
(٢٤٤) أخرجه الطبري(١٢٢٩٧):ص٤٨٨/١٠.

عن مجاهد في قول الله:"{وضلوا عن سواء السبيل}، قال:هم يهود" [٢٤٥]. وروي عن الحسن[٢٤٦]، نحوه.

قال الربيع بن أنس قال: "وقد كان قائم قام عليهم فأخذ بالكتاب والسنة زمانا فأتاه الشيطان فقال: إنما تركب أثرا أو أمرا قد عمل به قبلك فلا تحمد عليه ولكن إبتدع أمرا من قبل نفسك وادع إليه وأجبر الناس عليه ففعل، ثم تذكر من بعد فعله زمانا، فأراد أن يتوب، فخلع سلطانه وملكه، وأراد أن يتعبد فلبث في عبادته أياما، فأتي فقيل له: لو أنك تبت من خطيئة عملتها فيما بينك وبين ربك عسى أن يتاب عليك، ولكن ضل فلان وفلان وفلان في سبيلك حتى فارقوا الدنيا وهم على الضلالة. فكيف لك بهداهم، فلا توبة لك أبدا، ففيه سمعنا وفي أشباهه هذه الآية يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل"[٢٤٧].

قال عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام: "ما ابتدع رجل بدعة إلا أتى غداً بما ينكره اليوم"[٢٤٨].

قال عبد الله بن عون البصري:"إذا غلب الهوى على القلب،استحسن الرجل ما كان يستقبحه"[٢٤٩].

قال الحسن البصري: "شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل ؛ ليعموا بها عباد الله"[٢٥٠].

قال سعيد بن عنبسة: "ما ابتدع رجل بدعة إلا غلّ صدرُه على المسلمين، واختلجتْ منه الأمانة"[٢٥١].

قال نعيم: فسمعه مني الأوزاعي، فقال: أنت سمعته من عنبسة؟ قلت نعم. قال: "صدق لقد كنا نتحدث أنه ما ابتدع رجل بدعة إلا سلب ورعه"[٢٥٢].

عن عبد الرزاق، عن معمر، قال:" كنت عند ابن طاوس، وعنده ابن له، إذ أتاه رجل يقال له: صالح، يتكلم في القدر فتكلم بشيء فتنبه، فأدخل ابن طاوس إصبعيه في أذنيه، وقال لابنه: «أدخل أصابعك في أذنيك واشدد، فلا تسمع من قوله شيئا فإن القلب ضعيف»"[٢٥٣].

وقال إبراهيم النَخعي: "لا تجالسوا أهل الأهواء، فإنّ مجالستهم تذهب بنور الإيمان، وتسلب محاسن الوجوه، وتورث البغيضة في قلوب المؤمنين"[٢٥٤].

وروى الدارمي عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه قال: "إذا رأيت قوما يتناجون في دينهم بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة"[٢٥٥]

القرآن

{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨)} [المائدة: ٧٨]

التفسير:

يخبر تعالى أنه طرد من رحمته الكافرين من بني إسرائيل في الكتاب الذي أنزله على داود -عليه السلام- وهو الزَّبور، وفي الكتاب الذي أنزله على عيسى - عليه السلام - وهو الإنجيل; بسبب عصيانهم واعتدائهم على حرمات الله.

---

(٢٤٥) أخرجه الطبري(١٢٢٩٦):ص٤٨٨/١٠، وابن ابي حاتم(٦٥٩):ص١١٨١/٤.

(٢٤٦) انظر: التفسير البسيط للواحدي:٤٨٩/٧، ولم أقف عليه.

(٢٤٧) اخرجه ابن ابي حاتم:١١٨٠/٤-١١٨١.

(٢٤٨)الشرح والإبانة على أصول السنَّة والديانة؛ ابن بطة، تحقيق: الدكتور رضا بن نعسان معطي، المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، الطبعة الأولى، ١٤٢٣ هـ، ص ١٤٨، برقم ٨٣..

(٢٤٩)الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة ، تقديم وضبط: كمال الحوت، المدينة المنورة: مكتبة الزمان، ط١، ١٤٠٩ هـ، ٣ /٤٥.

(٢٥٠)جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، ابن رجب :١٠٢ ، وتفسير ابن رجب: ٤٥٧/١.

(٢٥١)أخرجه ابن بطة في الشرح والإبانة ص١٥٢.

(٢٥٢) ذم الكلام وأهله(٩١٩):ص١٢٦/٥.

(٢٥٣) جامع معمر بن راشد (٢٠٠٩٩):ص ١١/ ١٢٥، وأخرجه: اللالكائي من طريق عبد الرزاق. (شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ١٣٥) . وأخرجه: ابن بطة في الإبانة (١/ ٤٠ - ب).

(٢٥٤)الإبانة: (٣٧٥):ص١٣٧/١.

(٢٥٥)أخرجه اللالكائي (١/ ١٣٥).

قوله تعالى:{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} [المائدة: ٧٨]، أي:" طرد الله من رحمته الكافرين من بني إسرائيل في الكتاب الذي أنزله على داود -عليه السلام- وهو الزَّبور، وفي الكتاب الذي أنزله على عيسى - عليه السلام - وهو الإنجيل "[٢٥٦].

قال مجاهد[٢٥٧]، وقتادة[٢٥٨]، وأبو مالك الغفاري[٢٥٩]:" يقول: لعنوا على لسان داود فصاروا قردة، ولعنوا على لسان عيسى بن مريم فصاروا خنازير"[٢٦٠].

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} [المائدة: ٧٨]، أي:ذلك اللعن" بسبب عصيانهم واعتدائهم على حرمات الله"[٢٦١].

قال قتادة:" اجتنبوا المعصية والعرفان فإن بنا ملك من ملك قبلكم من الناس"[٢٦٢].

القرآن

{كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)} [المائدة: ٧٩]

التفسير:

كان هؤلاء اليهود يُجاهرون بالمعاصي ويرضونها، ولا يَنْهى بعضُهم بعضًا عن أيِّ منكر فعلوه، وهذا من أفعالهم السيئة، وبه استحقوا أن يُطْرَدُوا من رحمة الله تعالى.

قوله تعالى:{كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ} [المائدة: ٧٩]، أي:" كان هؤلاء اليهود يُجاهرون بالمعاصي ويرضونها، ولا يَنْهى بعضُهم بعضًا عن أيِّ منكر فعلوه"[٢٦٣].

قال ابن جريج:" لا تتناهى أنفسهم بعد أن وقعوا في الكفر"[٢٦٤].

القرآن

{تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ (٨٠)} [المائدة: ٨٠]

التفسير:

تَرَى -أيها الرسول- كثيرًا من هؤلاء اليهود يتخذون المشركين أولياء لهم، ساء ما عملوه من الموالاة التي كانت سببًا في غضب الله عليهم، وخلودهم في عذاب الله يوم القيامة.

قوله تعالى:{تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [المائدة: ٨٠]، أي:" تَرَى -أيها الرسول- كثيرًا من هؤلاء اليهود يتخذون المشركين أولياء لهم"[٢٦٥].

وفي عود الضمير في قوله تعالى:{كثيرا مِنْهُمْ}[المائدة: ٨٠]، وجهان:

أحدهما: أن الضمير في {منهم } راجع إلى اليهود، وهم كعب بن الأشرف وأصحابه، يتولون كفار قريش حين خرجوا إليهم يجيشون على النبي -صلى الله عليه وسلم- حكاه الجصاص عن الحسن وغيره[٢٦٦].

الثاني: أنه راجع إلى المنافقين، يتولون الذين كفروا، يعني: اليهود. وهذا قول مجاهد[٢٦٧]، والحسن[٢٦٨].

---

(٢٥٦) التفسير الميسر:١٢١.

(٢٥٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٠١):ص٤٩٠/١٠.

(٢٥٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٠٣):ص٤٩٠/١٠.

(٢٥٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٦٦٤):ص١١٨٢/٤. واللفظ له.

(٢٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٦٤):ص١١٨٢/٤.

(٢٦١) التفسير الميسر:١٢١.

(٢٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٦٥):ص١١٨٢/٤.

(٢٦٣) التفسير الميسر:١٢١.

(٢٦٤) أخرجه الطبري(١٢٣١٣):ص٤٩٦/١٠.

(٢٦٥) التفسير الميسر:١٢١.

(٢٦٦)انظر: احكام القرءن للجصاص:١٠٩/٤.

(٢٦٧) انظر: التفسير البسيط:٤٩٢/٧، وتفسير البغوي:٨٥/٣، وزاد المسير:٥٧٤/١.

(٢٦٨) انظر: التفسير البسيط:٤٩٢/٧، وتفسير البغوي:٨٥/٣، وزاد المسير:٥٧٤/١.

قوله تعالى:{لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ} [المائدة: ٨٠]، أي:" ساء ما عملوه من الموالاة التي كانت سببًا في غضب الله عليهم، وفي عذاب جهنم مخلدون أبد الآبدين "[٢٦٩].

عن مسلمة بن علي، عن الأعمش بإسناده ذكره، قال: "يا معشر المسلمين إياكم والزنا فإن فيه ستة خصال ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة: فأما التي في الدنيا فإنه يذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر. وأما التي في الآخرة فإنه يوجب السخط من الرب وسوء الحساب والخلود في النار، ثم تلا النبي صلى الله عليه وسلم: {لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون}"[٢٧٠].

القرآن

{وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (٨١)} [المائدة: ٨١]

التفسير:

ولو أن هؤلاء اليهود الذين يناصرون المشركين كانوا قد آمنوا بالله تعالى والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأقرُّوا بما أنزل إليه -وهو القرآن الكريم- ما اتخذوا الكفار أصحابًا وأنصارًا، ولكن كثيرًا منهم خارجون عن طاعة الله ورسوله.

قوله تعالى:{وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ} [المائدة: ٨١]، أي:" ولو أن هؤلاء اليهود الذين يناصرون المشركين كانوا قد آمنوا بالله تعالى والنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأقرُّوا بما أنزل إليه -وهو القرآن الكريم- ما اتخذوا الكفار أصحابًا وأنصارًا "[٢٧١].

عن مجاهد قوله:"{ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء}، قال: المنافقون"[٢٧٢].

القرآن

{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢)} [المائدة: ٨٢]

التفسير:

لتجدنَّ -أيها الرسول- أشدَّ الناس عداوة للذين صدَّقوك وآمنوا بك واتبعوك، اليهودَ; لعنادهم، وجحودهم، وغمطهم الحق، والذين أشركوا مع الله غيره، كعبدة الأوثان وغيرهم، ولتجدنَّ أقربهم مودة للمسلمين الذين قالوا: إنا نصارى، ذلك بأن منهم علماء بدينهم متزهدين وعبَّادًا في الصوامع متنسكين، وأنهم متواضعون لا يستكبرون عن قَبول الحق، وهؤلاء هم الذين قبلوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وآمنوا بها.

سبب نزول الآيات [٨٢- ٨٦]:

قال المفسرون: نزلت هذه الآية وما بعدها مما يتعلق بها في النجاشي وأصحابه، وفيما يأتي ذكر الأخبار في ذلك:

أولا:- عن سعيد بن المسيب وأبي بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وعروة بن الزبير؛ قالوا: "بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عمرو بن أمية الضمري، وكتب معه كتاباً إلى النجاشي، فقدم على النجاشي، فقرأ كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين معه، وأرسل النجاشي إلى الرهبان والقسيسين فجمعهم، ثم أمر جعفر بن أبي طالب أن يقرأ عليهم القرآن، فقرأ عليهم سورة مريم، فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع، وهم الذين أنزل فيهم: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ

---

(٢٦٩) التفسير الميسر:١٢١.

(٢٧٠) أخرجه انب أبي حاتم(٦٦٦٨):ص١١٨٣/٤.

(٢٧١) التفسير الميسر:١٢١.

(٢٧٢) أخرجه الطبري(١٢٣١٤):ص٤٩٨/١٠.

قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)}"[٢٧٣]. [ضعيف]
ثانيا:-عن عروة بن الزبير؛ قال: "في قوله: {تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ} نزل ذلك في النجاشي "[٢٧٤].[ضعيف]
ثالثا: عن سعيد بن جبير: {ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا}؛ قال: هم رسل النجاشي الذين أرسل بإسلامه وإسلام قومه، كانوا سبعين رجلًا اختارهم الخيّر فالخيّر، فدخلوا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقرأ عليهم: {يس (١) وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ (٢)}؛ فبكوا وعرفوا الحق؛ فأنزل الله فيهم: {ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ}، وأنزل فيهم: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢)} إلى قوله: {يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا} [القصص: ٥٢ - ٥٤]"[٢٧٥].[ضعيف]
رابعا: عن سلمان؛ قال: «لما قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة صنعت طعاماً، فجئت به النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: "ما هذا يا سلمان؟ "، قلت: صدقة، فقال لأصحابه: "كلوا" ولم يأكل، ثم إني رجعت حتى جمعت طعاماً، فأتيته به، فقال: "ما هذا يا سلمان؟ "، قلت: هدية فضرب بيده فأكل، وقال لأصحابه: "كلوا"، قلت: يا رسول الله! أخبرني عن النصارى؟ قال: "لا خير فيهم ولا فيمن أحبهم"، فقمت وأنا مثقل؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} حتى بلغ: {تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ}؛ فأرسل إلي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: "يا سلمان! إن أصحابك هؤلاء الذين ذكر الله"» [٢٧٦]. [صحيح]

---

(٢٧٣) . أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٤/ ٣٤٩ رقم ١٨٤٩١)، وابن أبي حاتم في "التفسير" (٤/ ١١٨٥ رقم ٦٦٧٨)، وأبو نعيم الأصبهاني في "حلية الأولياء" (١/ ١١٧)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٣٦) جميعهم من طريق الزهري عنهم به.
قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.
(٢٧٤)أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٤/ ٣٤٨، ٣٤٩ رقم ١٨٤٨٩)، و"المغازي" (١٦٧، ١٦٨ رقم ١٠٩)، والطبري في "جامع البيان"(١٢٣٢٨):ص٥٠٨/١٠ من طريق هشام بن عروة عن أبيه به.
قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.
والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٠) وزاد نسبته لأبي الشيخ.
هكذا رواه عن هشام بن عروة: عبدة بن سليمان وأبو معاوية مرسلاً.
ورواه عمر بن علي بن مقدم عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير به موصولاً.
أخرجه النسائي في "التفسير" (١/ ٤٤٣ رقم ١٦٨)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٨٥ رقم ٦٦٨٠)، والطبري في "جامع البيان" (١٢٣٢٦):ص٥٠٨/١٠، والطبراني في "المعجم الكبير" (ص ١٠٧ رقم ٢٥٨ - قطعة من الجزء ١٣) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٩/ ٣٢٣ رقم ٢٨٤) -، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١٢٩) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٩/ ٣٢٣، ٣٢٤ رقم ٢٨٥، ٢٨٦)، والبزار في "المسند" (٣/ ٢٨٦ رقم ٢٧٥٨ - كشف).
قلنا: ورجاله ثقات رجال "الصحيح"؛ لكن فيه علة؛ قال ابن سعد -عن عمر بن علي-: "وكان يدلس تدليساً شديداً، يقول: ثنا ثم يسكت، ثم يقول: هشام بن عروة أو الأعمش أو غيرهما"؛ كما في "التهذيب" (٧/ ٤٨٦).
فعلى رأي ابن سعد لا يقبل حديثه حتى ولو صرح بالتحديث كما في حديثنا، والله أعلم.
والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٢٩) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ.
* ملاحظة: في مسند البزار: (ثنا محمد بن عثمان ثنا محمد بن عبد الرحمن الطفاوي أو عمر بن علي).
قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٩/ ٤١٩): "ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عثمان بحر وهو ثقة".
قلنا: وفي "التقريب": "صدوق يغرب"، ولعل هذا منها، والصواب رواية الجماعة دون شك..
(٢٧٥)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣٢٤):٥٠٥/١٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٨٥ رقم ٦٦٧٩)، والبغوي في "مسند علي بن الجعد" -ومن طريقه الواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٣٧) -، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تخريج أحاديث الكشاف" (١/ ٤١٦) من طريق قيس بن الربيع عن سالم الأفطس عن سعيد به.
قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:
الأولى: الإرسال.
الثانية: قيس الربيع؛ ضعيف.
والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٠) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ..
(٢٧٦)أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٦/ ٢٤٩ رقم ٦١٢١) من طريق السري بن يحيى عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان به.
قلنا: وسنده صحيح.

خامسا: عن السدي؛ قال: "بعث النجاشي إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - اثني عشر رجلًا يسألونه ويأتونه بخبره، فقرأ عليهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فبكوا، وكان منهم رهبان وخمسة قسيسين، أو خمسة رهبان وسبعة قسيسين؛ فأنزل الله فيهم: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)}"[٢٧٧]. [ضعيف جداً]

قوله تعالى:{وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى} [المائدة: ٨٢]، أي:"ولتجدنَّ أقربهم مودة للذين للذين صدَّقوك وآمنوا بك واتبعوك، الذين قالوا: إنا نصارى"[٢٧٨].

قال مجاهد:" هم الوفد الذين جاءوا مع جعفر وأصحابه من أرض الحبشة"[٢٧٩]. وروي عن عطاء نحو ذلك[٢٨٠].

قال عطاء:" ما ذكر الله به النصارى من خير فإنما يراد به النجاشي وأصحابه"[٢٨١].

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا} [المائدة: ٨٢]، أي:" ذلك بأن منهم علماء بدينهم متزهدين وعبَّادًا في الصوامع متنسكين"[٢٨٢].

عن الحسن:"{ ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا}، قال: علماؤهم وفقهاؤهم"[٢٨٣].

قال سعيد بن جبير:" هم أصحاب النجاشي بعث من خيار أصحابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثين رجلا فقرأ عليهم يس فبكوا وقالوا نعرف والله فنزلت فيهم"[٢٨٤].

قوله تعالى:{وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ} [المائدة: ٨٢]، أي:" وأنهم متواضعون لا يستكبرون عن قَبول الحق، وهؤلاء هم الذين قبلوا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وآمنوا بها"[٢٨٥].

وأخرجه البزار في "البحر الزخار" (٦/ ٤٩٩ رقم ٢٥٣٧)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٦/ ٢٦٦ رقم ٦١٧٥)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٨٣ رقم ٦٦٧١)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٨٩)، والبخاري في "التاريخ الكبير" (٨/ ١١٦ رقم ٢٤٠٥)، وعبد بن حميد في "تفسيره"؛ كما في "الإكمال" (٤/ ٥)، و"الدر المنثور" (٣/ ١٣٢)، وأبو عبيد في "فضائل القرآن" (ص ٢٩٨)، وأبو بكر بن أبي شيبة في "مسنده" (١/ ٣٠٩، ٣١٠ رقم ٤٦٥)، والحارث بن أبي أسامة في "مسنده" (٢/ ٧٢٠ رقم ٧١٠ - بغية) جميعهم من طريق نصير بن زياد الطائي عن الصلت الدهان عن حامية بن رئاب قال: سمعت سلمان يقول -وقد سئل عن قوله-: {ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا}؛ قال: الرهبان الذين في الصوامع، قال سلمان: نزلت على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: {ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا}، هذا لفظ الطبراني وهو عند غيره بنحوه.

قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ فيه علتان:

١ - حامية هذا؛ مجهول لم يرو عنه إلا الصلت الدهان، ولم يوثقه إلا ابن حبان.

٢ - نصير هذا؛ قال الأزدي: "منكر الحديث".

"الميزان" (٤/ ٢٦٤)، و"اللسان" (٦/ ١٦٦).

والصلت هذا روى عنه جماعة ووثقه ابن حبان.

والحديث ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٧)، وقال: "فيه الحماني ونصير بن زياد وكلاهما ضعيف".

قلنا: الحماني توبع عند البخاري والبزار فالعلة ممن ذكرنا.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٢) وزاد نسبته للحكيم الترمذي في "نوادر الأصول" وابن الأنباري في "المصاحف" وابن المنذر.

(٢٧٧)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣١٨):١٠/٥٠٠-٥٠١، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٨٤/ ٦٦٧٥) من طريقين عن أسباط بن نصر عن السدي به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف أسباط بن نصر.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٢/ ١٣١)..

(٢٧٨) التفسير الميسر:١٢١.

(٢٧٩) تفسير مجاهد:٢٠٢/١، وتفسير ابن ابي حاتم:١١٨٣/٤ ذكره دون إسناد.

(٢٨٠) انظر:تفسير ابن ابي حاتم:١١٨٣/٤.

(٢٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٧٠):ص١١٨٣/٤.

(٢٨٢) التفسير الميسر:١٢١.

(٢٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٧٤):ص١١٨٤/٤.

(٢٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٧٣):ص١١٨٤/٤.

(٢٨٥) التفسير الميسر:١٢١.

قال السدي:" بعث النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنى عشر رجلا سبعة قسيسين وخمسة رهبانا، ينظرون إليه ويسألونه، فلما لقوه فقرأ عليهم ما أنزل إليه بكوا وأسفوا فأنزل الله فيهم: {وأنهم لا يستكبرون}"[٢٨٦].

القرآن

{وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣)} [المائدة: ٨٣]

التفسير:

ومما يدل على قرب مودتهم للمسلمين أن فريقًا منهم -وهم وفد الحبشة لما سمعوا القرآن- فاضت أعينهم من الدمع فأيقنوا أنه حقٌّ منزل من عند الله تعالى، وصدَّقوا بالله واتبعوا رسوله، وتضرعوا إلى الله أن يكرمهم بشرف الشهادة مع أمَّة محمد عليه السلام على الأمم يوم القيامة.

قوله تعالى:{وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ} [المائدة: ٨٣]، أي:" أي إذا سمعوا القرآن المُنْزَل على محمد رسول الله، فاضت أعينهم بالدمع، من أجل معرفتهم أنه حقٌّ منزل من عند الله تعالى "[٢٨٧].

قال السدي:" بعث النجاشي إلى النبيّ -صلى الله عليه وسلم- اثنى عشر رجلا يسألونه ويأتونه بخبره، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن، فبكوا. وكان منهم سبعة رهبانٍ وخمسة قسيسين أو: خمسة رهبان، وسبعة قسيسين، فأنزل الله فيهم: {وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع}، إلى آخر الآية"[٢٨٨].

قال ابن شهاب: "أخبرني سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وعروة بن الزبير، قالوا: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمري. وكتب معه كتابا إلى النجاشي، فقدم على النجاشي، فقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا جعفر ابن أبي طالب والمهاجرين معه، وأرسل النجاشي إلى الرهبان والقسيسين، ثم أمر جعفر بن أبي طالب فقرأ عليهم سورة مريم فآمنوا بالقرآن وفاضت أعينهم من الدمع فهم الذين أنزل الله فيهم ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إلى قوله: {ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين}"[٢٨٩].

قال قتادة:" هم أناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى عليه الصلاة والسلام، يؤمنون به وينتهون إليه، فلما بعث الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فصدقوا وآمنوا به وعرفوا الذي جاء به أنه الحق من الله فأثنى عليهم كما تسمعون قوله تعالى: {ترى أعينهم}"[٢٩٠].

قال سعيد عن عمرو بن مرة: "قدم على أبي بكر الصديق وفد من اليمن، فقالوا: اقرأ علينا القرآن، فقرأ عليهم القرآن فجعلوا يبكون، فقال أبو بكر: كذا كنا حتى قست القلوب، وكان أبو بكر لا يملك دمعة حين يقرأ القرآن"[٢٩١].

قوله تعالى:{يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [المائدة: ٨٣]، أي:" أي يقولون يا ربنا صدقنا بنبيّك وكتابك، فاكتبنا "مع أمة محمد عليه السلام الذين يشهدون على الأمم يوم القيامة"[٢٩٢].

عن الحسن: {فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}، قال: "الذين يشهدون بالإيمان"[٢٩٣].

القرآن

---

(٢٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٦٧٥):ص١١٨٤/٤.
(٢٨٧) صفوة التفاسير:٣٣٤.
(٢٨٨) أخرجه الطبري(١٢٣٢٥):ص٥٠٧/١٠-٥٠٨.
(٢٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٧٨):ص١١٨٥/٤.
(٢٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٧٦):ص١١٨٤/٤.
(٢٩١) أخرجه الثعلبي في تفسيره:١٠٠/٤.
(٢٩٢) صفوة التفاسير:٣٣٤.
(٢٩٣) تفسير القرطبي:٢٥٩/٦.

{فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٨٥)} [المائدة: ٨٥]

التفسير:

فجزاهم الله بما قالوا من الاعتزاز بإيمانهم بالإسلام، وطلبهم أن يكونوا مع القوم الصالحين، جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها لا يخرجون منها، ولا يُحوَّلون عنها، وذلك جزاء إحسانهم في القول والعمل.

قوله تعالى:{فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا} [المائدة: ٨٥]،أي:" فجزاهم الله بما قالوا من الاعتزاز بإيمانهم بالإسلام، وطلبهم أن يكونوا مع القوم الصالحين"(٢٩٤).

عن عطاء:" يريد: بما سألوا، يعني قولهم: {فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ}، وقولهم: {وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا} الآية"(٢٩٥).

وقرأ الحسن: «فآتاهم الله بما قالوا»(٢٩٦).

قوله تعالى:{جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [المائدة: ٨٥]،أي:" جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار"(٢٩٧).

قال أبو مالك:" يعني: المساكن تجري أسفلها أنهارها"(٢٩٨).

قال مسروق: "أنهار الجنة تجري في غير أخدود، ثمرها كالقلال، كلما نزعت ثمرة عادت مثلها أخرى، والعنقود اثنا عشر ذراعا"(٢٩٩).

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا} [المائدة: ٨٥]،أي:" ماكثين فيها لا يخرجون منها، ولا يُحوَّلون عنها"(٣٠٠).

عن سعيد بن جبير: {خَالِدِينَ فِيهَا}، يعني: لا يموتون"(٣٠١).

القرآن

{وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ (٨٦)} [المائدة: ٨٦]

التفسير:

والذين جحدوا وحدانية الله وأنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وكذَّبوا بآياته المنزلة على رسله، أولئك هم أصحاب النار الملازمون لها.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ} [المائدة: ٨٦]، أي:" أولئك هم أصحاب النار الملازمون لها"(٣٠٢).

عن أبي مالك قوله: {الجحيم}، قال: "ما عظم من النار"(٣٠٣).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧)} [المائدة: ٨٧]

التفسير:

يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات أحلَّها الله لكم من المطاعم والمشارب ونكاح النساء، فتضيقوا ما وسَّع الله عليكم، ولا تتجاوزوا حدود ما حرَّم الله. إن الله لا يحب المعتدين.

---

(٢٩٤) التفسير الميسر:١٢٢.

(٢٩٥)انظر: التفسير البسيط، للواحدي:٤٩٨/٧، وكذلك التفسير الوسيط له:٢١٩/٢.

(٢٩٦) انظر: الكشاف:٦٧٠/١.

(٢٩٧) التفسير الميسر:١٢٢.

(٢٩٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٦٨٥):ص١١٨٦/٤.

(٢٩٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٦٧٨):ص٨٤٥/٣.

(٣٠٠) التفسير الميسر:١٢٢.

(٣٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٥٩):ص٨٩١/٣.

(٣٠٢) التفسير الميسر:١٢٢.

(٣٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٣):ص١٨٩٤/٦.

في سبب نزول الآية ثلاثة اقوال:

أحدها: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "أن رجلًا أتى النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا رسول الله! إني إذا أصبت اللحم انتشرت للنساء وأخذتني شهوتي؛ فحرمت عليّ اللحم؛ فأنزل الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧)}[٣٠٤]. [صحيح لغيره]

الثاني: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-:"قوله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ}؛ قال: هم رهط من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - قالوا: نقطع مذاكيرنا، ونترك شهوات الدنيا، ونسبح في الأرض كما يفعل الرهبان، فبلغ ذلك النبي - صلى الله عليه وسلم - فأرسل إليهم فذكر لهم، فقالوا: نعم، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لكني أصوم وافطر، وأصلي وانام، وأنكح النساء، فمن أخذ بسنتي؛ فهو مني، ومن لم يأخذ بسنتي؛ فليس مني»" [٣٠٥]. [حسن]

قال أبو مالك:" نزلت في عثمان بن مظعون وأصحابه حرموا عليهم كثيراً من الطيبات والنساء، فهَمَّ بعضهم أن يقطع ذكره؛ فأنزل الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}"[٣٠٦]. [صحيح]

قال قتادة:" نزلت في أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، أرادوا أن يتخلَّوا من الدُّنيا، ويتركوا النساء ويتزهدوا، منهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون"[٣٠٧].[ضعيف]

---

(٣٠٤)أخرجه الترمذي (٥/ ٢٥٥، ٢٥٦ رقم ٣٠٥٤)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١١/ ٢٧٧ رقم ١١٩٨١)، والطبري في "جامع البيان" (١٢٣٥٠):ص٥٢٠/١٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦٨٧):ص٤/ ١١٨٦، وابن عدي في "الكامل" (٥/ ١٨١٧)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٣٧) من طريق عثمان بن سعد الكاتب عن عكرمة عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه عثمان هذا وهو ضعيف؛ ضعفه ابن معين وأبو زرعة والنسائي وغيرهم.

انظر: "الجرح والتعديل" (٦/ رقم ٨٣٨)، و"تهذيب الكمال" (١٩/ ٣٧٦ - ٣٧٨)، و"التقريب" (٢/ ٩).

وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب".

لكن للحديث شواهد تدل على أن له أصلًا، ومعناه صحيح؛ فيرتقي الحديث إلى درجة الصحيح لغيره.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٩) وزاد نسبته لابن مردويه.

وقد قال الترمذي عقب الحديث: "ورواه بعضهم عن عثمان بن سعد مرسلاً، ليس فيه عن ابن عباس، ورواه خالد الحذاء عن عكرمة مرسلاً".

يشير الترمذي إلى أن عثمان بن سعد قد خولف في إسناده.

فقد أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣٣٧)، (١٢٣٣٨)، (١٢٣٤٠):ص٥١٤/١٠-٥١٥، من طريق يزيد بن زريع وإسماعيل بن علية وعبد الوهاب الثقفي ثلاثتهم عن خالد الحذاء عن عكرمة؛ قال: كان أناس من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - هموا بالخصاء وترك اللحم والنساء؛ فنزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٨٧)}. هذا لفظ يزيد.

قلنا: وهذا سند صحيح كالشمس إلى عكرمة؛ لكنه مرسل.

فقد خالف عثمان بن سعد خالداً لحذاء فوصله، والصواب رواية خالد؛ لأنه ثقة من رجال الشيخين بخلاف عثمان.

فتبين أن الصواب في الحديث هو الإرسال، لكن له شواهد تؤكد معناه وتثبت صحته، وانظر الأحاديث والآثار الآتية.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٠) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣٠٥)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣٤٦):ص٥١٨/١٠: ثني المثنى، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١١٨٧ رقم ٦٦٨٩): ثنا أبي، كلاهما قال: ثنا عبد الله بن صالح -كاتب الليث- ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عنه به.

قلنا: وهذا سند حسن، وقد أعلّ بعلتين وهما ليستا بشيء:

الأولى: الانقطاع بين علي وابن عباس، وقد تقدم مراراً أن رواية علي عن ابن عباس محمولة على الاتصال؛ كما نص على ذلك أهل العلم كابن حجر وغيره.

الثانية: ضعف عبد الله بن صالح؛ لكن الراوي عنه هنا أبو حاتم الرازي الثقة الحافظ، وقد قال الحافظ ابن حجر في "هدي الساري" (ص ٤١٤): "ظاهر كلام هؤلاء الأئمة: أن حديثه في الأول كان مستقيماً ثم طرأ عليه فيه تخليط، فمقتضى ذلك أن ما يجيء من روايته عن أهل الحذق؛ كيحيى بن معين والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم، فهو من صحيح حديثه. ..".

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٩) وزاد نسبته لابن مردويه.

(٣٠٦)أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٤/ ١٥١٥ رقم ٧٧١ - تكملة)، والطبري في "جامع البيان" (٧/ ٧)، وأبو داود في "مراسيله" (رقم ٢٠١) من طريقين عن حصين بن عبد الرحمن السلمي عن أبي مالك به.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد، أما ما يخشى من أن حصيناً تغيّر حفظه بآخره فالراوي عنه عند أبي داود وسعيد بن منصور هو خالد الطحان وهو ممن روى عنه قبل الاختلاط.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٣٩) وزاد نسبته لعبد بن حميد.

(٣٠٧) أخرجه الطبري(١٢٣٤٢):٥١٥/١٠: ثنا ابن وكيع ثنا جرير عن مغيرة عن إبراهيم به.

وقال مجاهد:" أراد رجال منهم عثمان بن مظعون وعبد الله بن عمرو أن يتبتلوا ويُخْصوا أنفسهم، ويلبسوا المسوح؛ فنزلت هذه الآية إلى قوله: {وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ}"(٣٠٨).[ضعيف]

عن المغيرة بن عثمان؛ قال: "كان عثمان بن مظعون وعلي وابن مسعود والمقداد وعمار أرادوا الاختصاء، وتحريم اللحم، ولبس المسوح في أصحاب لهم، فأتى النبي - صلى الله عليه وسلم - عثمان بن مظعون، فسأله عن ذلك؛ فقال: قد كان بعض ذلك، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أنكح النساء وآكل اللحم، وأصوم وأفطر، وأصلي وأنام، وألبس الثياب، لم آت بالتبتل ولا بالرهبانية، ولكن جئت بالحنيفية السمحة، ومن رغب عن سنتي؛ فليس مني"، قال ابن جريج: فنزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}"(٣٠٩).[ضعيف]

وعن عكرمة: "أن عثمان بن مظعون، وعلي بن أبي طالب، وابن مسعود، والمقداد بن الأسود، وسالمًا مولى أبي حذيفة في أصحابٍ، تبتَّلوا، فجلسوا في البيوت، واعتزَلوا النساءَ، ولبسوا المسوحَ، وحرَّموا طيبات الطعام واللّباس إلا ما أكل ولبس أهل السِّيَاحة من بني إسرائيل، وهمُّوا بالإخصَاء، وأجمعُوا لقيام الليل وصيام النهار، فنزلت: {يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحلّ الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين}"(٣١٠).[ضعيف]

وروى أبو صالح عن ابن عباس، قال: "كانوا عشرة: أبو بكر، وعمر، وعلي، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، والمقداد بن الأسود، وسالم مولى أبي حذيفة، وسلمان الفارسي، وأبو ذر، وعمار بن ياسر، اجتمعوا في دار عثمان بن مظعون، فتواثقوا على ذلك، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «من رغب عن سنتي فليس مني» ونزلت هذه الآية"(٣١١).[ضعيف جدا]

وعن الحسن العرني؛ قال: "كان علي في أناس ممن أرادوا أن يحرموا الشهوات؛ فأنزل الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}"(٣١٢). [ضعيف]

وعن السدي:"{يا أيها الذين آمنوا لا تحرّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين}، " وذلك أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس يومًا فذكر الناس، ثم قام ولم يزدهم على التَّخويف. فقال أناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا عشرة، منهم علي بن أبي طالب وعثمان بن مظعون: ما خِفْنا إن لم نُحْدِث عملا! فإنّ النصارى قد حرَّموا على أنفسهم، فنحن نحرِّم! فحرَّم

قلت: وهذا سند ضعيف؛ مسلسل بالعلل:
الأولى: الإرسال.
الثانية: المغيرة؛ ثقة متقن؛ إلا أنه كان يدلس، ولا سيما عن إبراهيم؛ كما في "التقريب" (٢/ ٢٧٠).
الثالثة: سفيان بن وكيع شيخ الطبري؛ قال الحافظ في "التقريب" (١/ ٣١٢):
"كان صدوقاً إلا أنه ابتلي بوراقه؛ فأدخل عليه ما ليس من حديثه؛ فنصح؛ فلم يقبل؛ فسقط حديثه".
(٣٠٨)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣٤٨):٥١٩/١٠ -: ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد به.
قلنا: وسنده ضعيف؛ فيه علل:
الأولى: الإرسال.
الثانية: ابن جريج لم يسمع من مجاهد.
الثالثة: سنيد صاحب "التفسير"؛ ضعيف؛ ضعفه أبو حاتم، والنسائي، وابن حجر وغيرهم.
والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٢) وزاد نسبته لأبي الشيخ.
(٣٠٩)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٣) ونسبه لأبي الشيخ.
(٣١٠)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٢) ونسبه لابن المنذر والطبري وأبي الشيخ.
وهو عند الطبري في جامع البيان(١٢٣٤٨):٥١٩/١٠، من طريق سنيد صاحب "التفسير" ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة به.
قلنا: وسنده ضعيف أيضاً؛ فيه ثلاث علل:
الأولى: الإرسال.
الثانية: ابن جريج لم يسمع من عكرمة.
الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" ضعيف.
(٣١١) انظر: زاد المسير:٥٧٧/١، عزاه المصنف لأبي صالح عن ابن عباس، وأبو صالح غير ثقة في روايته عن ابن عباس، وراويته هو الكلبي، وهو ممن يضع الحديث، وذكر أبي بكر وعمر في هذا الحديث غريب جدا..
(٣١٢)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٣) ونسبه لابن مردويه.

بعضهم أكل اللَّحم والوَدَك، وأن يأكل بالنهار، وحرَّم بعضهم النوم، وحرَّم بعضهم النساء. فكان عثمان بن مظعون ممَّن حرم النساءَ، وكان لا يدنو من أهله ولا يدنون منه. فأتت امرأتُه عائشة، وكان يقال لها: الحولاء ، فقالت لها عائشة ومن عندها من نساءِ النبيّ صلى الله عليه وسلم: ما بالُك، يا حولاءُ متغيِّرةَ اللون لا تمتشِطين ولا تطيَّبين ؟ فقالت: وكيف أتطيَّب وأمتشط، وما وقع عليّ زوجي، ولا رفع عني ثوبًا، منذ كذا وكذا! فجعلن يَضحكن من كلامها. فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهنّ يضحكن، فقال: ما يضحككن ؟ قالت: يا رسول الله، الحولاءُ، سألتها عن أمرها فقالت: ما رفع عني زوجي ثوبًا منذ كذا وكذا ! فأرسل إليه فدعاه فقال: ما بالك يا عثمان ؟ قال: إني تركته لله لكي أتخلَّى للعبادة! وقَصَّ عليه أمره. وكان عثمان قد أراد أن يَجُبَّ نفسه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أقسمتُ عليك إلا رجعت فواقعتَ أهلك! فقال: يا رسول الله إني صائم! قال: أفطر! فأفطر، وأتى أهله. فرجعت الحولاءُ إلى عائشة قد اكتحلت وامتشطت وتطيَّبت. فضحكت عائشة، فقالت: ما بالك يا حولاء ؟ فقالت: إنه أتاها أمس! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما بالُ أقوامٍ حرَّموا النساء، والطعامَ، والنومَ ؟ ألا إني أنام وأقوم، وأفطر وأصوم، وأنكح النساء، فمن رغب عن سُنَّتي فليس مني! فنزلت: {يا أيها الذين آمنوا لا تحرِّموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا}، يقول لعثمان: لا تَجُبَّ نفسك. فإن هذا هو الاعتداء وأمرهم أن يكفِّروا أيْمانهم، فقال: {لا يؤاخذكم الله باللَّغو في أيمانكم ولكن يُؤَاخذكم بما عقّدتم الأيمان}"[٣١٣].[ضعيف جدا]

والثالث: عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قوله: "{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}؛ قال: "قال أبي: ضاف عبد الله بن رواحة ضيف، فانقلب ابن رواحة ولم يتعش، فقال لأهله: ما عشيته؟ فقالت: كان الطعام قليلاً فانتظرت أن تأتي، قال: فحبست ضيفي من أجلي؛ فطعامك عليّ حرام إن ذقته، فقالت: هي وهو عليّ حرام إن ذقته إن لم تذقه، وقال الضيف: هو عليّ حرام إن ذقته إن لم تذوقوه، فلما رأى ذلك، قال ابن رواحة: قربي طعامك، كلوا بسم الله، وغدا إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "قد أحسنت"؛ فنزلت هذه الآية: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}، وقرأ حتى بلغ: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ} وإذا قلت: والله لا أذوقه؛ فذلك العقد"[٣١٤]. [ضعيف جداً]

والظاهر - والله أعلم - أن القول الأول هو سبب نزول الآية وإن كان الصحيح فيه الإرسال، لأمور ثلاثة:

أحدها: التصريح بالسببية.

الثاني: مطابقة سياق الحديث للفظ الآية، إذ أن قوله: "فحرمت عليَّ اللحم"، يوافق قوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ}.

الثالث: الاحتجاج به عند جمهور المفسرين.

قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة: ٨٧]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[٣١٥].

قال سعيد بن جبير:"قوله: {آمنوا بالله}، يعني: بتوحيد الله"[٣١٦].

قوله تعالى:{لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا} [المائدة: ٨٧]، أي:" لا تحرِّموا طيبات أحلَّها الله لكم من المطاعم والمشارب ونكاح النساء، فتضيقوا ما وسَّع الله عليكم، ولا تتجاوزوا حدود ما حرَّم الله"[٣١٧].

---

(٣١٣) أخرجه الطبري(١٢٣٤٥):ص٥١٧/١٠-٥١٨: ثني محمد بن الحسين ثنا أحمد بن مفضل ثنا أسباط عن السدي به.
قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ فيه علل:
الأولى: الإعضال، فلم يصح أن السدي روى عن واحد من الصحابة.
الثانية: أسباط بن نصر؛ صدوق، كثير الخطأ، يغرب.
الثالثة: محمد بن الحسين لم نجد له ترجمة.
وهذا المتن أصله محفوظ بشواهده المرسلة والموصولة.

(٣١٤)أخرجه الطبري في "جامع البيان"(١٢٣٤٩):ص٥١٩/١٠-٥٢٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٦٦٩٢):ص٤/ ١١٨٧ من طريق ابن وهب عنه به.
قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف عبد الرحمن.

(٣١٥) التفسير الميسر:١٠٦.

(٣١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.

وفي قوله تعالى:{وَلَا تَعْتَدُوا} [المائدة: ٨٧]، أقوال:
أحدها: لا تجبوا أنفسكم[٣١٨]، أراد ما هَمَّ به عثمان بن مظعون من جبِّ نفسه. قاله السدي[٣١٩].
الثاني: لا تأتوا ما نهى الله عنه، قاله الحسن[٣٢٠].
الثالث: لا تسيروا بغير سيرة المسلمين من ترك النساء، وإدامة الصيام، والقيام، قاله عكرمة[٣٢١].
قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [المائدة: ٨٧]، أي:"إن الله لايحب المتجاوزين الحد"[٣٢٢].
وروي أن الحسن:" كان يأكل الفالوذج فدخل عليه فرقد السبخي، فقال: يا فرقد ما تقول في هذا؟ فقال فرقد: لا آكله فلا أحب أكله فأقبل الحسن على غيره كالمتعجب وقال: يا هذا أتحب لباب البر مع سمن البقر؟ هل يعيبه مسلم"[٣٢٣].
وجاء رجل إلى الحسن فقال: "إن لي جار لا يأكل الفالوذ، قال: ولم؟ قال: يقول: لا يروي شكره. قال الحسن: ويشرب الماء البارد؟ قال: نعم، قال: جارك جاهل إن نعمة الله عليه في الماء البارد أكثر من نعمته عليه في الفالوذ"[٣٢٤].
وعن أبي حنيفة، قال: "بلغني عن عثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وعمران بن حصين، وعبد الله بن أبي أوفى، وأبي هريرة، وأنس بن مالك وحسين بن علي، وابن الزبير، وشريح رضي الله عنهم: أنهم كانوا يلبسون الخز"[٣٢٥].

القرآن
{وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٨٨)} [المائدة: ٨٨]
التفسير:
وتمتعوا -أيها المؤمنون- بالحلال الطيب مما أعطاكم الله ومنحكم إياه، واتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه; فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه ومراقبته.
قوله تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ} [المائدة: ٨٨]، أي:" واتقوا الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه; فإن إيمانكم بالله يوجب عليكم تقواه ومراقبته"[٣٢٦].
قال محمد بن إسحاق:{واتقوا الله}، أي: أطيعوا الله"[٣٢٧].

القرآن
{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨٩)} [المائدة: ٨٩]
التفسير:
لا يعاقبكم الله -أيها المسلمون- فيما لا تقصدون عَقْدَه من الأيمان، مثل قول بعضكم: لا والله، وبلى والله، ولكن يعاقبكم فيما قصدتم عقده بقلوبكم، فإذا لم تَفُوا باليمين فإثم ذلك يمحوه الله بما تقدِّمونه مما شرعه الله لكم كفارة

---

(٣١٧) التفسير الميسر:١٢٢.
(٣١٨) وزاد الواحدي، وابن الجوزي نسبته الى ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وإبراهيم. انظر: التفسير البسيط:٤٩٩/٧-٥٠٠، وزاد المسير:٥٧٨/١.
(٣١٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٥٢):ص٥٢١/١٠، و(١٢٣٤٥):٥١٧/١٠-٥١٨.
(٣٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٥٤):ص٥٢١/١٠، وتفسير ابن أبي حاتم(٦٦٩٦):ص١١٨٨/٤، وتفسير زاد المسير:٥٧٨/١.
(٣٢١) أخرجه الطبري(١٢٣٥٣):ص٥٢١/١٠، و(١٢٣٤٨):٥١٩/١٠.
(٣٢٢) انظر: صفوة التفاسير:٣٢٥.
(٣٢٣) تفسير الثعلبي:١٠٢/٤.
(٣٢٤) تفسير الثعلبي:١٠٢/٤.
(٣٢٥) حديث موقوف، الآثار لأبي يوسف(٩٩٣)، باب في لبس الحرير والذهب.
الخز : ثياب تنسج من صوف وحرير.
(٣٢٦) التفسير الميسر:١٢٢.
(٣٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٠٠):ص١١٨٩/٤.

من إطعام عشرة محتاجين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، لكل مسكين نصف صاع من أوسط طعام أهل البلد، أو كسوتهم، لكل مسكين ما يكفي في الكسوة عُرفًا، أو إعتاق مملوك من الرق، فالحالف الذي لم يف بيمينه مخير بين هذه الأمور الثلاثة، فمن لم يجد شيئًا من ذلك فعليه صيام ثلاثة أيام. تلك مكفرات عدم الوفاء بأيمانكم، واحفظوا -أيها المسلمون- أيمانكم: باجتناب الحلف، أو الوفاء إن حلفتم، أو الكفارة إذا لم تفوا بها. وكما بيَّن الله لكم حكم الأيمان والتحلل منها يُبيِّن لكم أحكام دينه; لتشكروا له على هدايته إياكم إلى الطريق المستقيم.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: عن عائشة-رضي الله تعالى عنها-؛ قالت في قوله: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}؛ نزلت في قوله: لا والله، بلى والله"[٣٢٨].

والثاني: قال عبدالله بن عباس- رضي الله عنهما-: "لما نزلت: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} في القوم الذين كانوا حرموا النساء واللحم على أنفسهم؛ قالوا: يا رسول الله! كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ فأنزل الله -تعالى ذكره-: {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}[٣٢٩]. [ضعيف جداً]

والثالث: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- في قوله: {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ} قال: "كان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه سعة، [وفي رواية: فضل]: وكان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه شدة؛ فأنزل الله -تعالى-: {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ} قال: ليس بأرفعه ولا بأدناه"[٣٣٠]. [صحيح]

والرابع: قال سعيد بن جبير:" كان أهل المدينة يفضلون الحر على العبد، والكبير على الصغير، ويقولون: الصغير على قدره، والكبير على قدره؛ فنزلت: {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ}؛ فأمروا بأوسط من ذلك ليس بأرفعه "[٣٣١]. [ضعيف جداً]

---

(٣٢٨)أخرجه البخاري في "صحيحه" (١١/ رقم ٦٦٦٣).

(٣٢٩)خرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٣٥٦):ص٥٢٣/١٠ من طريق العوفي عنه.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ مسلسل بالعوفيين.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٢، ١٤٣) ونسبه لابن مردويه، وأعاده في (٣/ ١٤٩، ١٥٠) ونسبه للطبري.

(٣٣٠)أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٨٢، ٦٨٣ رقم ٢١١٣)، والطبري في "جامع البيان" (١٢٤٤٠):ص٥٤٢/١٠-٥٤٣، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ رقم ٦٧٢٢)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١٥٣) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ١٧٢ رقم ١٦٩) -، والضياء -من طريق أخرى- (١٠/ ١٧١ رقم ١٦٨) من طريق سفيان بن عيينة عن سليمان بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عنه به.

قال البوصيري في "مصباح الزجاجة" (ص ٧٤٩): "هذا إسناد موقوف، صحيح الإسناد".

وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في "صحيح سنن ابن ماجه" (رقم ١٧١٧).

(٣٣١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٤٣٦)، و(١٢٤٣٧):ص٥٤١/١٠-٥٤٢، بسندين عنه:

الأول(١٢٤٣٦):ص٥٤٢/١٠: ثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا عبد العزيز بن أبان ثنا قيس بن الربيع عن سالم الأفطس عنه به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ فيه علتان:

الأولى: عبد العزيز هذا؛ متروك الحديث، وكذبه ابن معين وغيره؛ كما في "التقريب" (١/ ٥٠٨).

الثانية: قيس بن الربيع؛ صدوق، تغيّر لما كبر، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٥٣) ونسبه لعبد بن حميد وأبي الشيخ.

فيحتمل أن عبد العزيز توبع من قبل عبد بن حميد، ويحتمل أن عبد بن حميد رواه من طريق غيره، فلو قدرنا أن عبد بن حميد تابع عبد العزيز فيبقى علة الحديث قيس بن الربيع وهو من شيوخ عبد بن حميد وإلا؛ فله إسناد آخر، والله أعلم.

الثاني(١٢٤٣٧):ص٥٤١/١٠-٥٤٢: ثنا ابن حميد ثنا حكام بن سلم عن سليمان العبسي عنه به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ فابن حميد حافظ ضعيف، بل إنه اتهم، وسليمان هذا لم نجد له ترجمة، ولعله وقع تصحيف في اسمه؛ فإن النسخة التي بين أيدينا -طبع دار المعرفة- كثيرة التصحيف والتحريف.

وكلا الطريقين لا تقويان بعضهما البعض؛ نظراً للضعف الشديد فيهما.

قوله تعالى:{لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ } [المائدة: ٨٩]، أي:" لا يعاقبكم الله -أيها المسلمون- فيما لا تقصدون عَقْدَه من الأيمان"[٣٣٢].

قال الحسن:" هو أن تحلف على الشيء وأنت يخيَّل إليك أنه كما حلفت وليس كذلك، فلا يؤاخذكم الله، فلا كفارة. ولكن المؤاخذة والكفارة، فيما حلفتَ عليه على علمٍ"[٣٣٣].

قال الشعبي:" اللغو ليس فيه كفارة ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان ، قال: ما عُقِدت فيه يمينه، فعليه الكفارة"[٣٣٤].

قال أبو مالك:" الأيمان ثلاثٌ: يمين تكفّر، ويمين لا تُكَفَّر، ويمين لا يؤاخذ بها صاحُبها. فأما اليمين التي تكفَّر، فالرجل يحلِف على الأمر لا يفعله، ثم يفعله، فعليه الكفارة. وأما اليمين التي لا تكفّر: فالرجل يحلف على الأمر يتعمّد فيه الكذِبَ، فليس فيه كفارة. وأما اليمين التي لا يؤاخذ بها صاحبها، فالرجل يحلف على الأمر يَرَى أنه كما حلف عليه، فلا يكون كذلك، فليس عليه فيه كفارة. وهو اللغو"[٣٣٥].

عن عطاء قال: "قالت عائشة: لغوُ اليمين، ما لم يعقد عليه الحالِفُ قلبه"[٣٣٦].

وعن عائشة ايضا:": أيمانُ الكفارة، كلّ يمين حلف فيها الرجل على جدٍّ من الأمور في غضب أو غيره: ليفعلن، ليتركنّ ، فذلك عقد الأيمان التي فَرض الله فيها الكفارة، وقال تعالى ذكره: {لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان}"[٣٣٧].

قال الحسن[٣٣٨]، وإبراهيم[٣٣٩]، ويحيى بن سعيد[٣٤٠]، علي بن أبي طلحة[٣٤١]، وقتادة[٣٤٢]، والسدي[٣٤٣]:" ليس في لغو اليمين كفّارة".

قوله تعالى:{وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ } [المائدة: ٨٩]، أي:" ولكن يعاقبكم فيما قصدتم عقده بقلوبكم"[٣٤٤].

قال مجاهد:" بما تعمدتم"[٣٤٥].

قال الحسن:"يقول: ما تعمَّدت فيه المأثَم، فعليك فيه الكفارة"[٣٤٦].

قال عطاء بن أبي مسلم:"أما ما عقدتم الأيمان، فيقال: ما عزمتم على وفائه"[٣٤٧]. قال ابن أبي حاتم:" يعني: أن لا تحنثوا"[٣٤٨].

وقال عطاء: "هو أن يضمر الأمر، ثم يحلف بالله لا إله إلا هو، فيعقد عليه اليمين"[٣٤٩].

وروى أن الحسن -رضى الله عنه- سئل عن لغو اليمين، والمسبية ذات الزوج، فوثب الفرزدق، وقال: أما سمعت ما قلت:[٣٥٠]:

ولسْتَ بمأخُوذٍ بلَغْوٍ تَقُولُه إذا لم تَعَمَّد عاقِداتِ العَزَائم

---

(٣٣٢) التفسير الميسر:١٢٢.
(٣٣٣) أخرجه الطبري(١٢٣٦٠):ص٥٢٥/١٠-٥٢٦.
(٣٣٤) أخرجه الطبري(١٢٣٦١):ص٥٢٦/١٠.
(٣٣٥) أخرجه الطبري(١٢٣٦٢):ص٥٢٦/١٠.
(٣٣٦) أخرجه الطبري(١٢٣٦٣):ص٥٢٦/١٠.
(٣٣٧) أخرجه الطبري(١٢٣٦٥):ص٥٢٦/١٠-٥٢٧.
(٣٣٨) أخرجه الطبري(١٢٣٦٨):ص٥٢٧/١٠.
(٣٣٩) أخرجه الطبري(١٢٣٦٤):ص٥٢٦/١٠.
(٣٤٠) أخرجه الطبري(١٢٣٦٦):ص٥٢٧/١٠.
(٣٤١) أخرجه الطبري(١٢٣٦٦):ص٥٢٧/١٠.
(٣٤٢) أخرجه الطبري(١٢٣٦٧):ص٥٢٧/١٠.
(٣٤٣) أخرجه الطبري(١٢٣٦٩):ص٥٢٧/١٠.
(٣٤٤) التفسير الميسر:١٢٢.
(٣٤٥) أخرجه الطبري(١٢٣٥٧):ص٥٢٥/١٠.
(٣٤٦) أخرجه الطبري(١٢٣٥٩):ص٥٢٥/١٠.
(٣٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧١٣):ص١١٩١/٤.
(٣٤٨) تفسير ابن أبي حاتم: ١١٩١/٤.
(٣٤٩) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط:٥٠٢/٧، ولم اقف عليه..
(٣٥٠)البيت للفرزدق في "ديوانه" ٢/ ٣٠٧، وانظره في "طبقات فحول الشعراء" ٢/ ٣٣٦، "الدر المصون" ٢/ ٤٣٠، "والأغاني" ١٩/ ١٤، "المفردات" ص ٥٢، "وضح البرهان" للغزنوي ١/ ٢٠٧.

وما قلت[٣٥١]:

وذات حَليلٍ أنكحَتْنا رِماحُنا حلالاً، لمن يَبْني بها لم تُطلّق

فتبسم الحسن ولم يردّ عليه ما قال، وفي رواية:فقال الحسن: ما أذكاك لولا حنثك!، وفي رواية: قال: أصبت، فقال الفرزدق: كنت أراني أشعر منك، فإذا أنا أفقه منك أيضا![٣٥٢]

قوله تعالى:{فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ} [المائدة: ٨٩]، أي:" فإذا لم تَفُوا باليمين فإثم ذلك يمحوه الله بما تقدِّمونه مما شرعه الله لكم كفارة من إطعام عشرة محتاجين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم"[٣٥٣].

قال سعيد بن جبير:" يعني: اليمين العمد الكذب. إطعام عشرة مساكين"[٣٥٤].

وفي قوله تعالى:{فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ} [المائدة: ٨٩]، وجهان:

أحدهما: أنها كفارة ما عقدوه من الأيمان، قاله الحسن[٣٥٥]، وأبو مالك[٣٥٦]، والشعبي[٣٥٧]، وقتادة[٣٥٨]،وإبراهيم[٣٥٩]، ويحيى بن سعيد[٣٦٠]، علي بن أبي طلحة[٣٦١].

الثاني: أنها كفارة الحنث فيما عقدة منها، وهذا يشبه أن يكون قولسعيد بن جبير[٣٦٢]، والضحاك[٣٦٣]، وإبراهيم[٣٦٤].

والصواب في ذلك، أن تكون الهاء في قوله:{فكفارته}، عائدة على ما التي في قوله:{بما عقدتم الأيمان}، لما قدَّمنا فيما مضى قبل أنّ من لزمته في يمينه كفّارة وأُوخذ بها، غيرُ جائز أن يقال لمن قد أوخذ: لا يؤاخذه الله باللغو، وفي قوله تعالى:{لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم}، دليلٌ واضح أنه لا يكون مؤاخذًا بوجه من الوجوه، مَنْ أخبرنا تعالى ذكره أنه غيرُ مؤاخذه.

فإن ظنّ ظان أنه إنما عنى تعالى ذكره بقوله: {لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم}، بالعقوبة عليها في الآخرة إذا حنثتُم وكفَّرتم إلا أنه لا يؤاخذهم بها في الدنيا بتكفير فإن إخبار الله تعالى ذكره وأمرَه ونهيَه في كتابه، على الظاهر العامّ عندنا بما قد دللنا على صحّة القول به في غير هذا الموضع، فأغنى عن إعادته دون الباطن العامِّ الذي لا دلالة على خصوصه في عقل ولا خبر. ولا دلالة من عقل ولا خبرٍ أنه عنى تعالى ذكره بقوله: لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ، بعضَ معاني المؤاخذة دون جميعها، وإذ كان ذلك كذلك، وكان من لزمته كفّارة في يمينٍ حنث فيها مؤاخذًا بها بعقوبة في ماله عاجلة، كان معلومًا أنه غيرُ الذي أخبرنا تعالى ذكره أنه لا يؤاخذه بها[٣٦٥].

قوله تعالى:{مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ} [المائدة: ٨٩]، أي:" لكل مسكين نصف صاع من أوسط طعام أهل البلد"[٣٦٦].

قال عطاء:"أوسطه، أعدله"[٣٦٧]، وروي عن ابن عباس[٣٦٨]، وعكرمة[٣٦٩]، وسعيد بن جبير[٣٧٠]، نحو ذلك.

---

(٣٥١) البيت في ديوانه: ٣٨/٢، والأغاني:٣٠٤/٢١، وأنساب الأشراف:١٠٣/١٢ديوانه:٣٩٨.

(٣٥٢) انظر: التفسير البسيط للواحدي:١٩٦/٤، والكشاف:٦٧٢/١-٦٧٣، وتفسير القرطبي:٩٦/٣، وتفسير البحر المحيط:٤٤٤/٢، وتاريخ دمشق:٦٠/٧٤، ومحاضرات الادباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: ١٣٣/٢.

(٣٥٣) التفسير الميسر:١٢٢.

(٣٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧١٣):ص١١٩١/٤.

(٣٥٥) أخرجه الطبري(١٢٣٦٠):ص٥٢٥/١٠-٥٢٦.

(٣٥٦) أخرجه الطبري(١٢٣٦٢):ص٥٢٦/١٠.

(٣٥٧) أخرجه الطبري(١٢٣٦١):ص٥٢٦/١٠.

(٣٥٨) أخرجه الطبري(١٢٣٦٧):ص٥٢٧/١٠.

(٣٥٩) أخرجه الطبري(١٢٣٦٤):ص٥٢٦/١٠.

(٣٦٠) أخرجه الطبري(١٢٣٦٦):ص٥٢٧/١٠.

(٣٦١) أخرجه الطبري(١٢٣٦٦):ص٥٢٧/١٠.

(٣٦٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٧١)-(١٢٣٧٤):٥٢٨/١٠-٥٢٩.

(٣٦٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٧٦):٥٢٩/١٠.

(٣٦٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٧٥):٥٢٩/١٠.

(٣٦٥) تفسير الطبري:٥٣٠/١٠.

(٣٦٦) التفسير الميسر:١٢٢.

(٣٦٧) أخرجه الطبري(١٢٣٧٧):٥٣١/١٠.

(٣٦٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١١٩٢/٤، ذكره دون إسناد.

وروي عن عطاء:" {من أوسط}، قال: من أمثل"[٣٧١].
وفي قوله تعالى:{مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ} [المائدة: ٨٩]، قولان:
أحدهما: من أوسط أجناس الطعام، قاله الحسن[٣٧٢]، وابن سيرين[٣٧٣].
الثاني: من أوسطه في القدر، قاله سعيد بن جبير[٣٧٤]، ومجاهد[٣٧٥]، وإبراهيم[٣٧٦].
ثم اختلفوا في القدر على أقوال:
أحدها: أنه مُدٌّ واحد، من سائر الأجناس. قاله ابن المسيب[٣٧٧]، والحسن[٣٧٨]، وعطاء[٣٧٩]، والقاسم[٣٨٠]، وسالم[٣٨١]، وهو قول الشافعي[٣٨٢].
الثاني: أنه مدّان، ثم اختلفوا في الأجناس، على أقوال:
فقال سعيد بن جبير:"لكل مسكين مُدَّين من حنطة "[٣٨٣].
وقال الحسن:" مكُّوك تمر ومكوك برّ لكل مسكين"[٣٨٤].
وفي رواية أخرى عن الحسن:أنه" البرُّ والتمر، لكل مسكين مد من تمر، ومدّ من برّ"[٣٨٥].
وقال الشعبي:" مَكُّوكين، مكوكًا لطعامه، ومكوكًا لإدامه "[٣٨٦].
وقال مجاهد:" مدَّان من طعام لكل مسكين"[٣٨٧].
الثالث: أنه نصف صاع من سائر الأجناس، قاله ميمون بن مِهْران[٣٨٨]، وأبو مالك[٣٨٩]،الضحاك[٣٩٠]، والحكم[٣٩١]، وإبراهيم[٣٩٢]، وأبو قلابة[٣٩٣]، وهو مذهب أبي حنيفة[٣٩٤].
الرابع: أنه غداء وعشاء، قاله علي في رواية الحارث عنه[٣٩٥]، وهو قول محمد بن كعب القرظي[٣٩٦]، والحسن البصري –في قوله الآخر[٣٩٧].

---

(٣٦٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١١٩٢/٤، ذكره دون إسناد.
(٣٧٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٧١٧):ص١١٩٢/٤.
(٣٧١) أخرجه ابن أبي حاتم:ص١١٩٢/٤.[الخبر غير مرقم]
(٣٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٨٨):ص٥٣٣/١٠.
(٣٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٨٧):ص٥٣٣/١٠.
(٣٧٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٧٢٣):ص١١٩٣/٤.
(٣٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٠٥):ص٥٣٦/١٠.
(٣٧٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٣٩٩):ص٥٣٥/١٠.
(٣٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٦):ص٥٤٠/١٠.
(٣٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٣):٥٣٩/١٠.
(٣٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٤):ص٥٤٠/١٠.
(٣٨٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٠):٥٣٩/١٠.
(٣٨١) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٠):٥٣٩/١٠.
(٣٨٢)انظر: النكت والعيون:٦١/٢.
(٣٨٣)انظر: تفسير الطبري(١٢٤٠٠):ص٥٣٥/١٠.
(٣٨٤) أخرجه الطبري(١٢٤٠٧):ص٥٣٧/١٠.
(٣٨٥)أخرجه الطبري(١٢٤٢٣):ص٥٣٩/١٠.
(٣٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٠٢):ص٥٣٦/١٠. و المكوك ، مكيال قديم معروف ، لأهل العراق ، ويراد به المد . وانظر تفسيره في لسان العرب (مكك).
(٣٨٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٠٥):ص٥٣٦/١٠.
(٣٨٨) انظر: تفسير ابن كثير:١٧٤/٣.
(٣٨٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٤١٠):٥٣٨/١٠.
(٣٩٠) أخرجه الطبري(١٢٤١٣):ص٥٣٨/١٠.
(٣٩١) انظر: تفسير الطبري(١٢٤١١):٥٣٨/١٠.
(٣٩٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٤١٢):٥٣٨/١٠.
(٣٩٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١١٩١/٤، ذكره دون إسناد، وانظر: تفسير ابن كثير:١٧٤/٣.
(٣٩٤)انظر: النكت والعيون:٦١/٢.
(٣٩٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٧):٥٤٠/١٠.
(٣٩٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٨):٥٤٠/١٠.
(٣٩٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٢٩):٥٤٠/١٠.

الخامس: أنه ما جرت به عادة المكفر فى عياله، إن كان يشبعهم أشبع المساكين، وإن كان لا يشبعهم فعلى قدر ذلك، قاله سعيد بن جبير[٣٩٨]، والضحاك[٣٩٩].

وأولى الأقوال من قال:من أوسط ما تطعمون أهليكم في القلّة والكثرة، وذلك أن أحكام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكفارات كلّها بذلك وردت. وذلك كحكمه صلى الله عليه وسلم في كفارة الحلق من الأذى بفَرَق من طعام بين ستة مساكين، لكل مسكين نصف صاع وكحكمه في كفارة الوطء في شهر رمضان بخمسة عشر صاعًا بين ستين مسكينًا، لكل مسكين ربُعْ صاع.، ولا يُعْرف له صلى الله عليه وسلم شيء من الكفارات، أمر بإطعام خبز وإدام، ولا بغداء وعشاء، فإذْ كان ذلك كذلك، وكانت كفارة اليمين إحدى الكفارات التي تلزم من لزمته، كان سبيلُها سبيلَ ما تولَّى الحكم فيه صلى الله عليه وسلم: من أن الواجب على مكفِّرها من الطعام، مقدّرًا للمساكين العشرة محدودًا بكيل، دون جمعهم على غداء أو عشاء مخبوز مأدوم، إذ كانت سنته صلى الله عليه وسلم في سائر الكفارات كذلك[٤٠٠].

وقرأ سعيد بن جبير:«مِن وَسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ»[٤٠١].

قوله تعالى:{أَوْ كِسْوَتُهُمْ} [المائدة: ٨٩]، أي:" أو كسوتهم، لكل مسكين ما يكفي في الكسوة عُرفًا"[٤٠٢].

وفي قوله تعالى:{أَوْ كِسْوَتُهُمْ} [المائدة: ٨٩]، أقوال:

أحدها: كسوة ثوب واحد، قاله: الحسن[٤٠٣]، وأبو مالك[٤٠٤]، ومجاهد[٤٠٥]، وإبراهيم[٤٠٦]، وطاووس[٤٠٧]، وعطاء[٤٠٨]، وأبو جعفر[٤٠٩]، والشافعي[٤١٠].

الثاني: كسوة ثوبين، قاله ابن المسيب[٤١١]، والحسن[٤١٢]، والضحاك[٤١٣]، وابن سيرين[٤١٤].

الثالث: كسوة ثوب جامع كالملحفة والكساء، قاله إبراهيم[٤١٥].

الرابع: أنه يجزئ عمامة في كفارة اليمين. وهذا قول الحكم[٤١٦]، والحسن –في إحدى الروايات-[٤١٧].

الخامس: أنه يجزئ في كفارة اليمين كل شيء إلا التُّبَّان[٤١٨]، والمعنى: كسوة ما تجزىء فيه الصلاة، وهذا قول مجاهد[٤١٩]، وبه قال بعض البصريين[٤٢٠].

والصحيح: أن الواجب لكل مسكين ما يصلح به الكسوة في العرف[٤٢١].

---

(٣٩٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٣٤):٥٤١/١٠.
(٣٩٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٣٨):٥٤٢/١٠.
(٤٠٠) تفسير الطبري:٥٤٣/١٠-٥٤٢.
(٤٠١) انظر: النكت والعيون:٦١/٢.
(٤٠٢) التفسير الميسر:١٢٢.
(٤٠٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٤٣):ص٥٤٥/١٠.
(٤٠٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٥٣):ص٥٤٧/١٠.
(٤٠٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٤١):ص٥٤٥/١٠.
(٤٠٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٤٩):ص٥٤٦/١٠.
(٤٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٤٨):ص٥٤٥/١٠.
(٤٠٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٤٧):ص٥٤٦/١٠.
(٤٠٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٤٧):ص٥٤٦/١٠.
(٤١٠)انظر: النكت والعيون:٦١/٢.
(٤١١) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٥٦)، و(١٢٤٥٧):ص٥٤٧/١٠.
(٤١٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٥٩):ص٥٤٨/١٠.
(٤١٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٦٧):ص٥٤٨/١٠.
(٤١٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٥٨):ص٥٤٧/١٠.
(٤١٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٧٠)-(١٢٤٧٦):ص٥٤٩/١٠-٥٥٠.
(٤١٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٨١):ص٥٥١/١٠.
(٤١٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٧٩):ص٥٥٠/١٠-٥٥١.
(٤١٨)التبان -بضم التاء وتشديد الباء- : سراويل صغير مقدار شبر ، يستر العورة المغلظة فقط ، يكون للملاحين.
(٤١٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٧٨):ص٥٥٠/١٠.
(٤٢٠)انظر: النكت والعيون:٦٢/٢.
(٤٢١) تفسير السمعاني:٦١/٢.

قوله تعالى:{أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ} [المائدة: ٨٩]، أي:" أو إعتاق مملوك من الرق"[٤٢٢].

قال إبراهيم:"من كانت عليه رقبة واجبة، فاشترى نَسَمة، قال: إذا أنقذها من عمل أجزأته، ولا يجوز عتق من لا يعمل. فأما الذي يعمل، كالأعور ونحوه. وأما الذي لا يعمل فلا يجزئ، الأعمى والمقعد"[٤٢٣].

وعن إبراهيم أيضا: "أنه كان لا يرى عتقَ المغلوب على عقله يجزئ في شيء من الكفارات"[٤٢٤].

عن الحسن قال: "كان يكره عتق المخَبَّل في شيء من الكفارات"[٤٢٥].

وقال عطاء:" لا يجزئ في الرقبة إلا صحيح"[٤٢٦].

وعن عطاء أيضا:"يجزئ المولودُ في الإسلام من رقبة"[٤٢٧].

وقال إبراهيم:": ما كان في القرآن من رقبة مؤمنة ، فلا يجزئ إلا ما صام وصلى. وما كان ليس بمؤمنة، فالصبي يجزئ"[٤٢٨].

وقال سليمان:" إذا ولد الصبي فهو نسمة، وإذا انقلبَ ظهرًا لبطن فهو رقبة، وإذا صلى فهو مؤمنة"[٤٢٩].

عن مسروق، قال: "جاء معقل بن مقرن إلى عبد الله فقال: إني آليتُ من النساء والفراش! فقرأ عبد الله هذه الآية: {لا تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ}[سورة المائدة: ٨٧]. قال فقال معقل: إنما سألتك أنْ أتيتُ على هذه الآية الليلة ؟ فقال عبد الله: ائت النساء ونَمْ، وأعتق رقبة، فإنك موسر"[٤٣٠].

قوله تعالى:{فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ} [المائدة: ٨٩]، أي:" فمن لم يجد شيئًا من ذلك فعليه صيام ثلاثة أيام"[٤٣١].

واختلف فيما إذا لم يجده صام على أقوال:

أحدها: إذا لم يجد ثلاثة دراهم صام، قاله سعيد بن جبير[٤٣٢]، وقتادة[٤٣٣].

الثاني: إذا لم يجد درهمين، قاله الحسن[٤٣٤].

الثالث: إذا لم يجد مائتي درهم صام، قاله أبو حنيفة[٤٣٥].

وفي تتابع صيامه قولان:

أحدهما: يلزمه، وهذا قول مجاهد[٤٣٦]، وإبراهيم[٤٣٧]، وقتادة[٤٣٨]، وبه قال مالك[٤٣٩]، والأوزاعي[٤٤٠]، وهو احد قولي الشافعي[٤٤١].

قال أبو العالية، والربيع بن انس:"وكان أبي بن كعب يقرأ:«فصيام ثلاثة أيام متتابعات»"[٤٤٢].

---

(٤٢٢) التفسير الميسر:١٢٢.
(٤٢٣) أخرجه الطبري(١٢٤٨٢):٥٥٤/١٠.
(٤٢٤) أخرجه الطبري(١٢٤٨٤):٥٥٤/١٠.
(٤٢٥) أخرجه الطبري(١٢٤٨٣):٥٥٤/١٠.
(٤٢٦) أخرجه الطبري(١٢٤٨٥):٥٥٤/١٠.
(٤٢٧) أخرجه الطبري(١٢٤٨٦):٥٥٤/١٠.
(٤٢٨) أخرجه الطبري(١٢٤٨٧):٥٥٤/١٠.
(٤٢٩) أخرجه الطبري(١٢٤٨٨):٥٥٥/١٠.
(٤٣٠) أخرجه الطبري(١٢٤٣٩):ص٥٥٥/١٠-٥٥٦، وانظر: (١٢٤٩٠):ص٥٥٦/١٠.
(٤٣١) التفسير الميسر:١٢٢.
(٤٣٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٩٢)، و(١٢٤٩٥):ص٥٥٨/١٠.
(٤٣٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٩٣):ص٥٥٨/١٠.
(٤٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٩٤):ص٥٥٨/١٠.
(٤٣٥) انظر: تفسير الطبري:٥٥٨/١٠، والنكت والعيون:٦٣/٢.
(٤٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٩٦):ص٥٥٩/١٠.
(٤٣٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٠١)، و(١٢٥٠٢):ص٥٦٠/١٠.
(٤٣٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٠٧):ص٥٦١/١٠.
(٤٣٩) انظر: تفسير السمعاني:٦١/٢.
(٤٤٠) انظر: تفسير السمعاني:٦١/٢.
(٤٤١) انظر: تفسير السمعاني:٦١/٢.
(٤٤٢) أخرجه الطبري(١٢٤٩٧)، (١٢٤٩٨):ص٥٥٩/١٠-٥٦٠.

وعن مجاهد وإبراهيم، وعامر، وأبو إسحاق السبيعي، والأعمش، قالوا:" في قراءة عبد الله:«فصيام ثلاثة أيام متتابعات»[٤٤٣].

الثاني: إن صامها متفرقة جاز، قاله مالك[٤٤٤]، والشافعي في أحد قوليه[٤٤٥].

والصواب –والله أعلم- أن يقال: "إن الله تعالى ذكره أوجب على من لزمته كفّارة يمين، إذا لم يجد إلى تكفيرها بالإطعام أو الكسوة أو العتق سبيلا أن يكفرّها بصيام ثلاثة أيام، ولم يشرطْ في ذلك متتابعة. فكيفما صامهنَّ المكفِّر مفرَّقة ومتتابعة، أجزأه. لأن الله تعالى ذكره إنما أوجب عليه صيام ثلاثة أيام، فكيفما أتَى بصومهنّ أجزأ"[٤٤٦].

قوله تعالى:{ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ} [المائدة: ٨٩]، أي:" تلك مكفرات عدم الوفاء بأيمانكم، واحفظوا -أيها المسلمون- أيمانكم: باجتناب الحلف، أو الوفاء إن حلفتم، أو الكفارة إذا لم تفوا بها"[٤٤٧].

قال سعيد بن جبير: {وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ}:" يعني: لا تتعمدوا الأيمان الكاذبة"[٤٤٨].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ} [المائدة: ٨٩]، أي:" وكما بيَّن الله لكم حكم الأيمان والتحلل منها يُبيِّن لكم أحكام دينه"[٤٤٩].

قال سعيد بن جبير:"يعني: ما ذكر من الكفارة"[٤٥٠].

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [المائدة: ٨٩]، أي:" لتشكروا له على هدايته إياكم إلى الطريق المستقيم"[٤٥١].

قال محمد بن إسحاق:"{لعلكم تشكرون}، أي: فاتقون فإنه شكر نعمتي"[٤٥٢].

قال سعيد بن جبير:قوله:"{لعلكم}، يعني: لكي"[٤٥٣].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)} [المائدة: ٩٠]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إنما الخمر: وهي كل مسكر يغطي العقل، والميسر: وهو القمار، وذلك يشمل المراهنات ونحوها، مما فيه عوض من الجانبين، وصدٌّ عن ذكر الله، والأنصاب: وهي الحجارة التي كان المشركون يذبحون عندها تعظيمًا لها، وما ينصب للعبادة تقربًا إليه، والأزلام: وهي القِداح التي يستقسم بها الكفار قبل الإقدام على الشيء، أو الإحجام عنه، إن ذلك كله إثمٌ مِن تزيين الشيطان، فابتعدوا عن هذه الآثام، لعلكم تفوزون بالجنة.

في سبب النزول الآيات[٩٠-٩٣]، أقوال:

أحدها: عن سعد بن أبي وقاص: "أنه نزلت فيه آيات من القرآن؛ قال: حَلَفَت أم سعد أن لا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه، ولا تأكل ولا تشرب، قالت: زَعَمْت أن الله وصاك بوالديك، وأنا أمك، وأنا آمرك بهذا، قال: مكثت ثلاثاً حتى غشي عليها من الجَهْد، فقام ابن لها يقال له: عُمارة، فسقاها، فجعلت تدعو على سعد؛ فأنزل الله - عزّ وجلّ- في القرآن هذه الآية: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي} [العنكبوت: ٨]، وفيها: {وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}، قال: وأصاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غنيمة عظيمة، فإذا

---

(٤٤٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٤٩٩)-(١٢٥٠٥):ص١٠/٥٦٠- ٥٦١.

(٤٤٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٠٩):ص١٠/٥٦١.

(٤٤٥) انظر: النكت والعيون:٢/٦٣، وتفسير ابن كثير:٣/١٧٧

(٤٤٦) تفسير الطبري:١٠/٥٦١-٥٦٢.

(٤٤٧) التفسير الميسر:١٢٢.

(٤٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٣٨):ص٤/١١٩٥.

(٤٤٩) التفسير الميسر:١٢٢.

(٤٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٤٠):ص٤/١١٩٥.

(٤٥١) التفسير الميسر:١٢٢.

(٤٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٤١):ص٤/١١٩٦.

(٤٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٤٠):ص٤/١١٩٥.

فيها سيف فأخذته، فأتيت به الرسول - صلى الله عليه وسلم -، فقلت: نفلني هذا السيف؛ فأنا من قد علمت حاله، فقال: "رده من حيث أخذته"، فانطلقت، حتى إذا أردت أن ألقيه في القَبَض لامتني نفسي، فرجعت إليه، فقلت: أعطنيه، قال: فشد لي صوته: "رده من حيث أخذته"، قال: فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} [الأنفال: ١]، قال: ومرضت فأرسلت إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأتاني، فقلت: دعني أقسم مالي حيث شئت، قال: فأبى، قلت: فالنصف؟ قال: فأبى، قلت: فالثلث؟ قال: فسكت، فكان بعد الثلث جائزاً، قال: وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين، فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمراً، وذلك قبل أن تحرم الخمر، قال: فأتيتهم في حش -والحش: البستان- فإذا رأس جزور مشوي عندهم، وزقّ من خمر، قال: فأكلت وشربت معهم، قال: فذكرت الأنصار والمهاجرون عندهم، فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، قال: فأخذ رجل أحد لحيى الرأس فضربني به فجرح بأنفي، فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ- فيّ -يعني: نفسه- شأن الخمر: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ}"[٤٥٤]. [صحيح]

وفي السياق نفسه قال سالم بن عبد الله: "إن أول ما حرمت الخمر أن سعد بن أبي وقاص وأصحاباً له شربوا؛ فاقتتلوا، فكسروا أنف سعد؛ فأنزل الله: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)}"[٤٥٥]. [ضعيف]

والثاني: قال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "نزل تحريم الخمر في قبيلتين من قبائل الأنصار، شربوا حتى إذا ثملوا عبث بَعضُهُم ببعض، فلما صَحَوا جعل الرجل يرى الأثر بوجهه وبرأسه وبلحيته، فيقول: قد فعل بي هذا أخي، وكانوا إخوة ليس في قلوبهم ضغائن، والله لو كان بي رؤوفاً رحيماً ما فعل بي هذا، فوقعت في قلوبهم الضغائن؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ} إلى قوله: {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)}؛ فقال ناس: هي رجس، وهي في بطن فلان قتل يوم بدر، وفلان قتل يوم أُحد؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)}"[٤٥٦]. [حسن]

الثالث: قال أبو هريرة:" حرمت الخمر ثلاث مرات، قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة وهم يشربون الخمر ويأكلون الميسر، فسألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنهما؛ فأنزل الله على نبيه - صلى الله عليه وسلم -: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا} [البقرة: ٢١٩] إلى آخر الآية. فقال الناس: ما حرم علينا إنما قال: فيهما إثم كبير، وكانوا يشربون

---

(٤٥٤)أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤/ ١٨٧٧، ١٨٧٨ رقم ١٧٤٨) وغيره.

(٤٥٥)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٢٥٢١):ص٥٧٠/١٠، والواحدي في "الوسيط" (٢/ ٢٢٢) من طريق ابن وهب أنبأني عمرو بن الحارث: أن الزهري أخبره: أن سالم بن عبد الله حدثه به.

قلنا: وسنده صحيح رجاله ثقات؛ لكنه مرسل.

(٤٥٦)أخرجه النسائي في "تفسيره" (١/ ٤٤٧، ٤٤٨ رقم ١٧١)، والطبري في جامع البيان(١٢٥٢٢):ص٥٧١، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٢/ ٤٤، ٤٥ رقم ١٢٤٥٩) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٣٤١، ٣٤٢ رقم ٣٧٠) -، والحاكم (٤/ ١٤١، ١٤٢)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٨/ ٢٨٥، ٢٨٦) من طريقين عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه عن سعيد بن جبير عنه به.

قلنا: وهذا إسناد حسن؛ رجاله رجال الصحيح، فربيعة بن كلثوم وثقه ابن معين والعجلي وابن شاهين، وقال أحمد: صالح. وضعفه النسائي مرة، وقال مرة أخرى: ليس به بأس، ولخصه الحافظ بقوله: صدوق يهم.

انظر: "الجرح والتعديل" (٣/ ٤٧٧، ٤٧٨ رقم ٢١٤٥)، و"الثقات" للعجلي (رقم ٤٣٤)، و"التهذيب" (٣/ ٢٦٣)، و"التقريب" (١/ ٢٤٨).

وكلثوم بن جبر؛ وثقه أحمد وابن معين والعجلي وابن حبان وابن شاهين، وقال النسائي: ليس بالقوي، ولخصه الحافظ بقوله: "صدوق يخطئ".

انظر: "الجرح والتعديل" (٧/ ١٦٤ رقم ٩٢٦)، و"الثقات" للعجلي (رقم ١١٨٤)، و"التهذيب" (٨/ ٤٤٢)، و"التقريب" (٢/ ١٣٦).

وسكت عنه الحاكم، وتعقبه الذهبي بقوله: "صحيح على شرط مسلم".

وقد نقل السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٥٨) تصحيحه عن الحاكم.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٨): "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح".

وسكت عنه الحافظ في "فتح الباري" (٨/ ٢٧٩).

وزاد نسبته في "الدر المنثور" لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

الخمر حتى إذا كان يوم من الأيام صلى رجل من المهاجرين أمَّ أصحابه في المغرب خلط في قراءته؛ فأنزل الله فيها آية أغلظ منها: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ} [النساء: ٤٣] وكان الناس يشربون حتى يأتي أحدهم الصلاة وهو مفيق؛ ثم أنزلت آية أغلظ من ذلك: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠)}؛ فقالوا: انتهينا ربنا. فقال الناس: يا رسول الله! ناس قتلوا في سبيل الله أو ماتوا على فرشهم كانوا يشربون الخمر ويأكلون الميسر، وقد جعله الله رجساً ومن عمل الشيطان؛ فأنزل الله: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ} إلى آخر الآية، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لو حرمت عليهم لتركوها كما تركتم"[٤٥٧]. [ضعيف]

الرابع: قال ابن عمر: "نزل في الخمر ثلاث آيات؛ فأول شيء نزل: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ}؛ فقيل: حرمت الخمر، فقالوا: يا رسول الله! دعنا ننتفع بها كما قال الله، فسكت عنهم، ثم نزلت هذه الآية: {لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى}؛ فقيل: حرمت الخمر، فقالوا: يا رسول الله! لا نشربها قرب الصلاة، فسكت عنهم، ثم نزلت: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ} [المائدة: ٩٠] الآية، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "حرمت الخمر"، قال: وقدمت لرجل راوية من الشام -أو روايا- فقام النبي - صلى الله عليه وسلم - وأبو بكر وعمر ولا أعلم عثمان إلا معهم، فانتهوا إلى الرجل، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "خل عنا نشقها"، فقال: يا رسول الله! أفلا نبيعها؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله لعن الخمر، ولعن غارسها، ولعن شاربها, ولعن عاصرها, ولعن موكلها, ولعن مديرها, ولعن ساقيها, ولعن حاملها, ولعن آكل ثمنها, ولعن بائعها"[٤٥٨].[منكر]

الخامس: عن جابر بن عبد الله: "اصطبح ناس الخمر من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم قتلوا شهداء يوم أُحد، فقالت اليهود: فقد مات بعض الذين قتلوا وهي في بطونهم؛ فأنزل الله: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)}"[٤٥٩]. [صحيح]

---

(٤٥٧)أخرجه أحمد في "مسنده" (٢/ ٣٥١): ثنا سريج بن النعمان: ثنا أبو معشر عن أبي وهب مولى أبي هريرة عن أبي هريرة به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: أبو وهب مولى أبي هريرة؛ مجهول لا يعرف؛ كما في "تعجيل المنفعة" (ص ٥٢١).

الثانية: أبو معشر؛ نجيح السندي؛ ضعيف أسن واختلط؛ كما في "التقريب" (٢/ ٢٩٨).

وقال الحافظ ابن حجر في "الكافي الشاف" (رقم ٤٧٨): "إسناده ضعيف؛ فإنه من رواية أبي معشر؛ عن أبي وهب، وأبو معشر ضعيف".

ونقله عنه المناوي في "الفتح السماوي" (٢/ ٥٨٦).

وقال العلامة الشيخ أحمد شاكر في "تحقيق المسند" (٦/ ٢٥٤ رقم ٨٦٠٥):

"إسناده ضعيف؛ لضعف أبي معشر نجيح، ولجهالة أبي وهب مولى أبي هريرة".

وقد قال الحافظ ابن كثير في "تفسيره" (٢/ ٩٥): "انفرد به أحمد".

* ملاحظة: تصحف اسم شيخ الإمام أحمد في كل من "تعجيل المنفعة"، و"تفسير القرآن العظيم" -طبع دار المعرفة-، و"تخريج أحاديث تفسير الكشاف" للزيلعي من سريج إلى شريح؛ فليحرر.

(٤٥٨)أخرجه الطيالسي في "المسند" (رقم ١٩٥٧) -ومن طريقه البيهقي في "شعب الإيمان" (٥/ ٤، ٥ رقم ٥٥٧٠)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٢/ ٣٨٩ رقم ٢٠٤٦) -، وابن جرير في "جامع البيان" (٤١٤٣):ص٤/٣٣١، من طريق محمد بن أبي حميد عن أبي توبة المصري عن ابن عمر به.

قلنا: وسنده ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: جهالة أبي توبة المصري.

قلنا: هو مجهول، وقد ذكره الحافظ في "اللسان" (٧/ ٢٣)، وقال: "أبو توبة المصري عن ابن عمر -رضي الله عنهما- روى عنه محمد بن أبي حميد، قال ابن عساكر: "لم أجد له ذكراً في شيء من الكتب"، قلت: وفي حديثه عن ابن عمر -رضي الله عنهما- في لعن شارب الخمر زيادة منكرة قال فيه: "ولعن غارسها". اهـ.

الثانية: محمد بن أبي حميد ضعفه أحمد وابن معين والبخاري والنسائي وأبو زرعة والترمذي وغيرهم.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٥٧، ١٥٨) وزاد نسبته لابن مردويه.

(٤٥٩)أخرجه البزار في "مسنده"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٩٨، ٩٩): ثنا أحمد بن عبدة ثنا سفيان عن عمرو بن دينار سمع جابراً (فذكره).

قال البزار: "وهذا إسناد صحيح".

السادس: عن البراء بن عازب؛ قال: "مات ناس من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - وهم يشربون الخمر، فلما نزل تحريمها؛ قال ناس من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)} "[٤٦٠]. [صحح لغيره]

السادس: قال عبد الله بن مسعود: "لما نزل تحريم الخمر، قالت اليهود: أليس إخوانكم الذين ماتوا كانوا يشربونها؟ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا} قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "فقيل لي: إنك منهم"[٤٦١]. [ضعيف]

وفي السياق نفسه قال مجاهد:"نزلت: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا} فيمن قتل ببدر وأحد مع محمد - صلى الله عليه وسلم –"[٤٦٢]. [ضعيف]

السابع: قال السمرقندي :"يقال: إن بعض الصحابة كانوا في سفرة فشربوا منها بعد التحريم، ولم يعرفوا تحريمها. فلما رجعوا سألوا عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا}، يعني: شربوا قبل تحريمها"[٤٦٣].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة: ٩٠]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[٤٦٤].

قال سعيد بن جبير:"قوله: {آمنوا بالله}، يعني: بتوحيد الله"[٤٦٥].

قوله تعالى:{إِنَّمَا الْخَمْرُ} [المائدة: ٩٠]، أي:" إنما الخمر: وهي كل مسكر يغطي العقل"[٤٦٦].

قال ابن كثير: "وهو كما قال، وفي سياقه غرابة".

وسكت عليه الحافظ في "الفتح" (٨/ ٢٧٩) مشيراً إلى تقويته.

قلنا: وهذا سند صحيح على شرط مسلم، وأصله في البخاري (٦/ ٣١ رقم ٢٨١٥، ٧/ رقم ٤٠٤٤، ٨/ ٢٧٧ رقم ٤٦١٨) بلفظ: صبح أناس غداة أحد الخمر، فقتلوا من يومهم جميعاً شهداء وذلك قبل تحريمها.

(٤٦٠)أخرجه الطيالسي في "مسنده" (ص ٧١٥)، وعبد بن حميد في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ١٧٢) -وعنه الترمذي (٥/ ٢٥٤ رقم ٣٠٥٠) -، والطبري في "جامع البيان" (٧/ ٢٥)، والترمذي (٥/ ٢٥٤، ٢٥٥ رقم ٣٠٥١)، وأبو يعلى في "المسند" (٣/ ٢٦٥، ٢٦٦ رقم ١٧١٩، ١٧٢٠)، وابن حبان في "صحيحه" (رقم ١٧٤٠ - موارد)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٢٠١ رقم ٦٧٧٥)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٤٠، ١٤١) من طريق إسرائيل وشعبة عن أبي إسحاق عن البراء به.

قلنا: وهذا سند ظاهره الصحة، لكن قال شعبة: قلت لأبي إسحاق: أسمعته من البراء؟ قال: لا. ذكره أبو يعلى عقب روايته للحديث.

قلنا: وهذا نص صريح -وهو من الأدلة الكثيرة- أن أبا إسحاق السبيعي كان يدلس، وقد اعترف أنه لم يسمع هذا الحديث من البراء؛ لكن يشهد له حديث ابن عباس وابن مسعود السابقين ويرتقي إلى درجة الصحيح.

وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح"، وصححه ابن حبان.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٧٢) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٤٦١)أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (١٠/ ٧٧، ٧٨ رقم ١٠٠١١)، والبزار في "البحر الزخار" (٤/ ٣٢٥ رقم ١٥١٣)، والحاكم (٤/ ١٤٣، ١٤٤) جميعهم من طريق سليمان بن قرم عن الأعمش عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن ابن مسعود به.

قلنا: وسنده ضعيف؛ فيه سليمان بن قرم؛ سيئ الحفظ، يتشيع؛ كما في "التقريب" (١/ ٣٢٩).

قال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي!!.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ١٨): "في "الصحيح" بعضه، ورجاله ثقات".

وهو وهم منهم جميعاً -رحمهم الله-.

وقد أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤/ ١٩١٠ رقم ٢٤٥٩) -مختصرًا- بلفظ: "لما نزلت هذه الآية: {لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)} قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "قيل لي: أنت منهم".

(٤٦٢)أخرجه ابن جرير في "جامع البيان"(١٢٥٣٠):ص٥٨٠/١٠، بسند صحيح إلى ابن جريج عن مجاهد به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن جريج لم يسمع من مجاهد.

(٤٦٣) بحر العلوم:٤١٧/١، ولم أقف عليه.

(٤٦٤) التفسير الميسر:١٢٢.

(٤٦٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.

قال سعيد بن المسيب: "إنما سميت الخمر، لأنها صفا صفوها وسفل كدرها"[٤٦٧].
و«الخمر»:" كل ما أسكر على وجه اللذة، والطرب"[٤٦٨].
قوله تعالى:{وَالْمَيْسِرُ} [المائدة: ٩٠]، أي:" والميسر: وهو القمار"[٤٦٩].
وقد تعددت أقوال أهل التفسير في معنى:{ الْمَيْسِرُ}[البقرة:٢١٩]، على وجوه:
أحدها: أنه القمار. قاله مجاهد[٤٧٠]، وسعيد بن جبير[٤٧١]، والحسن[٤٧٢]، وعطاء[٤٧٣]، وطاووس[٤٧٤]، ومحمد بن سيرين[٤٧٥]، وقتادة[٤٧٦]، والضحاك[٤٧٧]، ومكحول[٤٧٨]، والسدي[٤٧٩].
الثاني: أن كل ما لهى عن ذكر الله وعن الصلاة، فهو ميسر. وهذا قول القاسم بن محمد[٤٨٠].
الثالث: أنه الضرب بالقداح على الأموال والثمار. قاله الأعرج[٤٨١].
قوله تعالى:{رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ} [المائدة: ٩٠]، أي:" إن ذلك كله إثمٌ مِن تزيين الشيطان"[٤٨٢].
قال سعيد بن جبير:" يعني: إنما يعني ما ذكر من الخمر والميسر والأنصاب والأزلام"[٤٨٣]، " إثم"[٤٨٤]، " من عمل الشيطان يعني من تزيين الشيطان"[٤٨٥].
قوله تعالى:{فَاجْتَنِبُوهُ} [المائدة: ٩٠]، أي:" فابتعدوا عن هذه الآثام"[٤٨٦].
قال سعيد بن جبير:" فهذا تحريمهن كما قال الله: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ}[٤٨٧]، يعني: عبادة الأصنام فحرم الخمر كما حرم عبادة الأصنام"[٤٨٨].
قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: ٩٠]، أي:"لعلكم تفوزون بالجنة"[٤٨٩].
قال سعيد بن جبير:"يعني: لكي تفلحون"[٤٩٠].
قال محمد بن كعب القرظي:" يقول: لعلكم غدا إذا لقيتموني"[٤٩١].
قال محمد بن إسحاق:" أي: لعلكم أن تنجوا مما حذركم الله به من عذابه وتدركون ما وعدكم فيه من ثوابه"[٤٩٢].

---

(٤٦٦) التفسير الميسر:١٢٢.
(٤٦٧) تفسير ابن أبي حاتم(٢٠٤٩):ص ٣٩٠/٢.
(٤٦٨) تفسير ابن عثيمين: ٦٧/٣.
(٤٦٩) التفسير الميسر:١٢٢.
(٤٧٠) تفسير الطبري(٤١٠٧):ص ٣٢٢/٤.
(٤٧١) تفسير الطبري(٤١٢٤):ص ٣٢٤/٤.
(٤٧٢) تفسير الطبري(٤١١٥):ص ٣٢٣/٤.
(٤٧٣) تفسير الطبري(٤١١٦):ص ٣٢٣/٤.
(٤٧٤) تفسير الطبري(٤١١٦):ص ٣٢٣/٤.
(٤٧٥) تفسير الطبري(٤١١١):ص ٣٢٣/٤.
(٤٧٦) تفسير الطبري(٤١٢٠):ص ٣٢٤/٤.
(٤٧٧) تفسير الطبري(٤١٢٥):ص ٣٢٤/٤.
(٤٧٨) تفسير الطبري(٤١٢٩):ص ٣٢٥/٤.
(٤٧٩) تفسير الطبري(٤١٢٢):ص ٣٢٤/٤.
(٤٨٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٢٠٥٦):ص ٣٩١/٢.

(٤٨١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٢٠٥٧):ص ٣٩١/٢.

(٤٨٢) التفسير الميسر:١٢٢.
(٤٨٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٥٩):ص١١٩٩/٤.
(٤٨٤) حكاه عنه ابن كثير:١٧٩/٣.
(٤٨٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦١):ص١١٩٩/٤.
(٤٨٦) التفسير الميسر:١٢٢.
(٤٨٧)[الحج : ٣٠].
(٤٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٣):ص١١٩٩/٤.
(٤٨٩) التفسير الميسر:١٢٢.
(٤٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٤):ص١٢٠٠/٤.
(٤٩١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٥):ص١٢٠٠/٤.

القرآن

{إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١)} [المائدة : ٩١]

التفسير:

إنما يريد الشيطان بتزيين الآثام لكم أن يُلقِي بينكم ما يوجد العداوة والبغضاء، بسبب شرب الخمر ولعب الميسر، ويصرفكم عن ذكر الله وعن الصلاة بغياب العقل في شرب الخمر، والاشتغال باللهو في لعب الميسر، فانتهوا عن ذلك.

قوله تعالى:{إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ } [المائدة : ٩١]، أي:" إنما يريد الشيطان بتزيين الآثام لكم أن يُلقِي بينكم ما يوجد العداوة والبغضاء، بسبب شرب الخمر ولعب الميسر"[٤٩٣].

قال سعيد بن جبير:" يعني: حين شج الأنصاري رأس سعد بن أبي وقاص"[٤٩٤].

قال قتادة:" ان الرجل في الجاهلية يقامِر على أهله وماله، فيقعد حَرِيبًا سليبًا ينظر إلى ماله في يَدَي غيره، فكانت ثُورث بينهم عداوة وبغضاءَ، فنهى الله عن ذلك وقدَّم فيه. والله أعلم بالذي يصلح خلقه"[٤٩٥].

قوله تعالى:{وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ } [المائدة : ٩١]، أي:" ويصرفكم عن ذكر الله وعن الصلاة بغياب العقل في شرب الخمر والاشتغال باللهو في لعب الميسر"[٤٩٦].

قوله تعالى:{فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة : ٩١]، أي:" فانتهوا عن ذلك"[٤٩٧].

قال سعيد:" فهذا وعيد التحريم، قالوا: قد انتهينا يا ربنا، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: من كان عنده شيء فلا يبعها ولا يشربها"[٤٩٨].

القرآن

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٩٢)} [المائدة : ٩٢]

التفسير:

وامتثلوا -أيها المسلمون- طاعة الله وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما تفعلون وتتركون، واتقوا الله وراقبوه في ذلك، فإن أعرضتم عن الامتثال فعملتم ما نهيتم عنه، فاعلموا أنما على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم البلاغ المبين.

قوله تعالى:{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا} [المائدة : ٩٢]، أي:" وامتثلوا -أيها المسلمون- طاعة الله وطاعة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في كل ما تفعلون وتتركون، واتقوا الله وراقبوه في ذلك"[٤٩٩].

عن سعيد بن جبير: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}، قال: " يعني: في تحريم الخمر والميسر والأنصاب والأزلام"[٥٠٠].

قوله تعالى:{فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ} [المائدة : ٩٢]، أي:" فإن أعرضتم عن الامتثال فعملتم ما نهيتم عنه"[٥٠١].

قال سعيد بن جبير:" يعني: أعرضتم عن طاعتها"[٥٠٢].

---

(٤٩٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٦):ص١٢٠٠/٤.

(٤٩٣) التفسير الميسر:١٢٣.

(٤٩٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٨):ص١٢٠٠/٤.

(٤٩٥) أخرجه الطبري(١٢٥٢٤):ص٥٧٣/١٠.

(٤٩٦) التفسير الميسر:١٢٣.

(٤٩٧) التفسير الميسر:١٢٣.

(٤٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٧٠):ص١٢٠١/٤.

(٤٩٩) التفسير الميسر:١٢٣.

(٥٠٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٧١):ص١٢٠١/٤.

(٥٠١) التفسير الميسر:١٢٣.

(٥٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٧١):ص١٢٠١/٤.

قوله تعالى:{فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [المائدة : ٩٢]، أي:" فاعلموا أنما على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم البلاغ المبين"(٥٠٣).

قال سعيد بن جبير:" {رسولنا}، يعني: محمدا صلى الله عليه وسلم"(٥٠٤)، " {البلاغ المبين}، يعني: أن يبين تحريم ذلك. في صفة أعمال المؤمنين وما أعد لهم في أموالهم"(٥٠٥).

القرآن

{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (٩٣)} [المائدة : ٩٣]

التفسير:

ليس على المؤمنين الذين شربوا الخمر قبل تحريمها إثم في ذلك، إذا تركوها واتقوا سخط الله وآمنوا به، وقدَّموا الأعمال الصالحة التي تدل على إيمانهم ورغبتهم في رضوان الله تعالى عنهم، ثم ازدادوا بذلك مراقبة لله عز وجل وإيمانا به، حتى أصبحوا مِن يقينهم يعبدونه، وكأنهم يرونه. وإن الله تعالى يحب الذين بلغوا درجة الإحسان حتى أصبح إيمانهم بالغيب كالمشاهدة.

قوله تعالى:{لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا} [المائدة : ٩٣]، أي:" ليس على المؤمنين الذين شربوا الخمر قبل تحريمها إثم في ذلك"(٥٠٦).

عن مجاهد: في قول الله تعالى:"{ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا}، لمن كان يشرب الخمرَ ممن قتل مع محمد صلى الله عليه وسلم ببدرٍ وأحُد"(٥٠٧).

قال الضحاك:" هذا في شأن الخمر حين حرِّمت، سألوا نبيَّ الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إخواننا الذين ماتوا وهم يشربونها؟ فأنزل الله تعالى ذكره هذه الآية"(٥٠٨).

قال الوليد: "سمعت شيخا من شيوخنا ممن قد سمع العلم يقول في تفسير هذه الآية: {وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا}، من الخمر قبل تحريمها"(٥٠٩).

قوله تعالى:{إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [المائدة : ٩٣]، أي:" إذا تركوها واتقوا سخط الله وآمنوا به، وقدَّموا الأعمال الصالحة التي تدل على إيمانهم ورغبتهم في رضوان الله تعالى عنهم"(٥١٠).

قال الوليد: "سمعت شيخا من شيوخنا ممن قد سمع العلم يقول:{إذا ما اتقوا} أن يعودوا في شربها، {وآمنوا} بتحريمها في هذه الآية"(٥١١).

قوله تعالى:{ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا} [المائدة : ٩٣]، أي:" ثم ازدادوا بذلك مراقبة لله عز وجل وإيمانا به"(٥١٢).

قال الوليد: "سمعت شيخا من شيوخنا ممن قد سمع العلم يقول:{ثم اتقوا وآمنوا}، برسوله، اتقوا المعاصي"(٥١٣).

قوله تعالى:{ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا} [المائدة : ٩٣]، أي:" حتى أصبحوا مِن يقينهم يعبدونه، وكأنهم يرونه"(٥١٤).

قال الوليد:"سمعت شيخا من شيوخنا ممن قد سمع العلم يقول في تفسير هذه الآية: {ثم اتقوا وأحسنوا}، في أداء الزكاة"(٥١٥).

---

(٥٠٣) التفسير الميسر:١٢٣.
(٥٠٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٧٣):ص١٢٠١/٤.
(٥٠٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٧٤):ص١٢٠١/٤.
(٥٠٦) التفسير الميسر:١٢٣.
(٥٠٧) أخرجه الطبري(١٢٥٣٥):ص٥٨٢/١٠.
(٥٠٨) أخرجه الطبري(١٢٥٣٦):ص٥٨٢/١٠.
(٥٠٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٨١):ص١٢٠٢/٤.
(٥١٠) التفسير الميسر:١٢٣.
(٥١١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٨١):ص١٢٠٢/٤.
(٥١٢) التفسير الميسر:١٢٣.
(٥١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٨١):ص١٢٠٢/٤.
(٥١٤) التفسير الميسر:١٢٣.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [المائدة : ٩٣]، أي:" وإن الله تعالى يحب الذين بلغوا درجة الإحسان حتى أصبح إيمانهم بالغيب كالمشاهدة"(٥١٦).

عن قتادة:" قوله :"{ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا}، إلى قوله:{والله يحب المحسنين}، لما أنزل الله تعالى ذكره تحريم الخمر في"سورة المائدة"، بعد"سورة الأحزاب"، قال في ذلك رجال من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أصيب فلانٌ يوم بدر، وفلانٌ يوم أحد، وهم يشربونها! فنحن نشهد أنهم من أهل الجنة! فأنزل الله تعالى ذكره:{ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين}، يقول: شربها القومُ على تقوى من الله وإحسانٍ، وهي لهم يومئذ حلال، ثم حرِّمت بعدهم، فلا جناح عليهم في ذلك"(٥١٧).

روى عطاء بن السائب، عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: "شرب نفر من أهل الشام الخمر وعليهم يومئذ معاوية بن أبي سفيان، وقالوا هي لنا حلال وتأولوا قوله: {ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا}، فكتب في ذلك إلى عمر فكتب إليه عمر: أن ابعثهم إلي، قبل أن يفسدوا من قبلك. فلما قدموا على عمر، جمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم ما ترون؟ فقالوا: إنهم قد افتروا على الله كذبا، وشرعوا في دينه ما لم يأذن به، فاضرب أعناقهم، وعلي ساكت فقال: يا علي ما ترى؟ قال: أرى أن تستتيبهم، فإن تابوا فاضربهم ثمانين جلدة، وإن لم يتوبوا فاضرب أعناقهم، فاستتابهم فتابوا، فضربهم ثمانين جلدة وأرسلهم"(٥١٨).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٤)} [المائدة : ٩٤]

التفسير:

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، ليبلونكم الله بشيء من الصيد يقترب منكم على غير المعتاد حيث تستطيعون أخْذَ صغاره بغير سلاح وأخذ كباره بالسلاح; ليعلم الله علمًا ظاهرًا للخلق الذين يخافون ربهم بالغيب، ليقينهم بكمال علمه بهم، وذلك بإمساكهم عن الصيد، وهم محرمون. فمن تجاوز حَدَّه بعد هذا البيان فأقدم على الصيد -وهو مُحْرِم- فإنه يستحق العذاب الشديد.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة : ٩٤]، أي:" يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"(٥١٩).

قال سعيد بن جبير:"قوله: {آمنوا بالله}، يعني: بتوحيد الله"(٥٢٠).

قوله تعالى:{لَيَبْلُوَنَّكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنَ الصَّيْدِ} [المائدة : ٩٤]، أي:" ليختبرنكم الله ببعض الصيد "(٥٢١).

قال سعيد بن جبير:" {ليبلونكم الله}، يعني: ليبتلينكم، يعني: المؤمنين"(٥٢٢).

قوله تعالى:{تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ} [المائدة : ٩٤]، أي:"يسهل عليكم أخذ بعضه بأيديكم وبعضه برماحكم"(٥٢٣).

قال مجاهد:" {أيديكم}: صغار الصيد، أخذ الفراخ والبيض، و{الرماح} قال: كبار الصيد"(٥٢٤).

قرأ إبراهيم: "ينالـه"، بالياء (٥٢٥).

---

(٥١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٨٢):ص١٢٠٣/٤.

(٥١٦) التفسير الميسر:١٢٣.

(٥١٧) أخرجه الطبري(١٢٥٣٢):ص٥٨٠/١٠-٥٨١.

(٥١٨) بحر العلوم:٤١٧/١، وتنبيه الغافلين(٣٦٦):ص١١٣.

(٥١٩) التفسير الميسر:١٢٣.

(٥٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.

(٥٢١) تفسير الطبري:٥٨٢/١٠.

(٥٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٨٣):ص١٢٠٣/٤

(٥٢٣) تفسير المراغي:٣١/٧.

(٥٢٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٣٧)-(١٢٥٤١):ص٥٨٣/١٠-٥٨٤.

(٥٢٥) انظر: الكشاف:٦٧٧/١.

قوله تعالى:{فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [المائدة : ٩٤]، أي:" فمن تجاوز حَدَّه بعد هذا البيان فأقدم على الصيد -وهو مُحْرِم- فإنه يستحق العذاب الشديد"(٥٢٦).

قال السدي: "يعني بعد هذا"(٥٢٧).

عن مجاهد:"{فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم}، قال: هي موجبة"(٥٢٨).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ (٩٥)} [المائدة : ٩٥]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تقتلوا صيد البر، وأنتم محرمون بحج أو عمرة، أو كنتم داخل الحرم ومَن قتل أيَّ نوعٍ من صيد البرِّ متعمدًا فجزاء ذلك أن يذبح مثل ذلك الصيد من بهيمة الأنعام: الإبل أو البقر أو الغنم، بعد أن يُقَدِّره اثنان عدلان، وأن يهديه لفقراء الحرم، أو أن يشتري بقيمة مثله طعامًا يهديه لفقراء الحرم لكل مسكين نصف صاع، أو يصوم بدلا من ذلك يوما عن كل نصف صاع من ذلك الطعام، فَرَضَ الله عليه هذا الجزاء; ليلقى بإيجاب الجزاء المذكور عاقبة فِعْله. والذين وقعوا في شيء من ذلك قبل التحريم فإن الله تعالى قد عفا عنهم، ومَن عاد إلى المخالفة متعمدًا بعد التحريم، فإنه مُعَرَّض لانتقام الله منه. والله تعالى عزيز قويٌّ منيع في سلطانه، ومِن عزته أنه ينتقم ممن عصاه إذا أراد، لا يمنعه من ذلك مانع.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة : ٩٥]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"(٥٢٩).

قال خيثمة: "ما تقرأون في القرآن: {يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: يا أيها المساكين"(٥٣٠).

قوله تعالى:{لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ} [المائدة : ٩٥]، أي:" لا تقتلوا صيد البر، وأنتم محرمون بحج أو عمرة، أو كنتم داخل الحرم"(٥٣١).

قال سعيد بن جبير:" حرم صيده ... وأكله"(٥٣٢).

قوله تعالى:{وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا} [المائدة : ٩٥]، أي:" ومَن قتل أيَّ نوعٍ من صيد البرِّ متعمدًا"(٥٣٣).

وفي قوله تعالى:{وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا} [المائدة : ٩٥]، وجهان:

أحدهما : متعمداً لقتله ، ناسياً لإحرامه ، قاله مجاهد(٥٣٤)، والحسن(٥٣٥)، وإبراهيم(٥٣٦)، وابن جريج(٥٣٧).

الثاني : متعمداً لقتله ذاكراً لإحرامه ، قاله سعيد بن جبير(٥٣٨)، وعطاء(٥٣٩)، والزهري(٥٤٠)، وطاووس(٥٤١).

---

(٥٢٦) التفسير الميسر:١٢٣.
(٥٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٩٠):ص١٢٠٤/٤.
(٥٢٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٩٢):ص١٢٠٤/٤.
(٥٢٩) التفسير الميسر:١٢٣.
(٥٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٠٢٦):ص٩٠٢/٣.
(٥٣١) التفسير الميسر:١٢٣.
(٥٣٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٩٤):ص١٢٠٤/٤.
(٥٣٣) التفسير الميسر:١٢٣.
(٥٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٤٤):ص٨/١١.
(٥٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٥٣):ص٩/١١.
(٥٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٥٤):ص٩/١١-١٠.
(٥٣٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٥٢):ص٩/١١.
(٥٣٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٦٣):ص١١/١١.
(٥٣٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٥٩):ص١١/١١.
(٥٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٦١):ص١١/١١.
(٥٤١) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٦٥):ص١١/١١.

والراجح-والله أعلم- هو القول الثاني، لأن الله تعالى "لم يخصص به المتعمِّد قتلَه في حال نسيانه إحرامَه، ولا المخطئَ في قتله في حال ذكره إحرامَه، بل عمَّ في التنزيل بإيجاب الجزاء، كلَّ قاتل صيد في حال إحرامه متعمدًا، وغير جائز إحالة ظاهر التنزيل إلى باطن من التأويل لا دلالة عليه من نصّ كتاب، ولا خبر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا إجماع من الأمة، ولا دلالة من بعض هذه الوجوه.

فإذْ كان ذلك كذلك، فسواءٌ كان قاتل الصيد من المحرمين عامدًا قتلَه ذاكرًا لإحرامه، أو عامدًا قتله ناسيًا لإحرامه، أو قاصدًا غيره فقتله ذاكرًا لإحرامه في أن على جميعهم من الجزاء ما قال ربنا تعالى ذكره، وهو: مثلُ ما قتل من النعم يحكم به ذوا عدل من المسلمين، أو كفارة طعامُ مساكين، أو عدل ذلك صيامًا"[٥٤٢].

واختلف أهل العلم في صفة«الجزاء»، وكيف يجزي قاتلُ الصيد من المحرمين ما قتل بمثله من النعم، وفي ذلك قولان [٥٤٣]:

أحدهما:أن يقوَّم الصيد المقتول قيمتَه من الدراهم، ثم يشتري القاتل بقيمته نِدًّا من النعم، ثم يهديه إلى الكعبة، وهو قول إبراهيم[٥٤٤]، وبه قال أبو حنيفة[٥٤٥].

والثاني : ينظر إلى أشبه الأشياء به شبهًا من النعم، فيجزيه به، ويهديه إلى الكعبة، وهذا قول مجاهد[٥٤٦]، وعطاء[٥٤٧]، والضحاك[٥٤٨]، السدي[٥٤٩]، والحسن بن مسلم[٥٥٠]. وبه قال الشافعي [٥٥١].

والصواب: أن المقتول من الصيد يُجْزَي بمثله من النعم، كما قال الله تعالى ذكره:{فجزاء مثل ما قتل من النعم}. وغير جائز أن يكون مثل الذي قتل من الصيد دراهم، وقد قال الله تعالى:{من النعم}، لأن الدراهم ليست من النعم في شيء"[٥٥٢].

قال قبيصة بن جابر: "أصبت ظبيًا وأنا محرم، فأتيت عمر فسألته عن ذلك، فأرسل إلى عبد الرحمن بن عوف، فقلت: يا أمير المؤمنين، إنّ أمرَه أهون من ذلك! قال: فضربني بالدِّرّة حتى سابقته عدوًا!قال: ثم قال: قتلتَ الصيد وأنتَ محرم، ثم تَعْمِص الفُتيا! قال: فجاء عبد الرحمن، فحكما شاة"[٥٥٣].

وقال إبراهيم النخعي :" ما أصاب المحرم من شيء، حكم فيه قيمته"[٥٥٤]، وهو قول جماعة من الكوفيين[٥٥٥].

قوله تعالى:{يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ} [المائدة : ٩٥]، أي:" بعد أن يُقَدِّره اثنان عدلان، وأن يهديه لفقراء الحرم"[٥٥٦].

عن بكر بن عبد الله المزني قال: "كان رجلان من الأعراب محرمين، فأحاش أحدهما ظبيًا، فقتله الآخر. فأتيا عمر، وعنده عبد الرحمن بن عوف، فقال له عمر: وما ترى؟ قال: شاة، قال: وأنا أرى ذلك، اذهبا فأهديا شاة. فلما مضَيا قال أحدهما لصاحبه: ما درَى أمير المؤمنين ما يقول حتى سأل صاحبه!! فسمعها عمر، فردّهما فقال: هل تقرأان سورة المائدة؟ فقالا لا! فقرأها عليهما:{يحكم به ذوا عدل منكم}، ثم قال: استعنت بصاحبي هذا"[٥٥٧].

---

(٥٤٢) تفسير الطبري:١٢/١١.
(٥٤٣) انظر: النكت والعيون:٦٧/٢.
(٥٤٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٨٣):ص٢٠/١١.
(٥٤٥) انظر: النكت والعيون:٦٧/٢.
(٥٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٦٨):ص١٥/١١.
(٥٤٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٦٧):ص١٥/١١.
(٥٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٨٠):ص١٨/١١.
(٥٤٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٦٦):ص١٤/١١-١٥.
(٥٥٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٥٨٢):ص١٩/١١.
(٥٥١) انظر: النكت والعيون:٦٧/٢.
(٥٥٢) تفسير الطبري:٢٠/١١.
(٥٥٣) أخرجه الطبري(١٢٥٧٧):ص١٧/١١.
(٥٥٤) أخرجه الطبري(١٢٥٨٣):٢٠/١١.
(٥٥٥) انظر: تفسير الطبري:٢٩/١١.
(٥٥٦) التفسير الميسر:١٢٣.
(٥٥٧) أخرجه الطبري(١٢٥٨٥):ص٢٣/١١.

قال قتادة:" ذكر لنا أن رجلا أصاب صيدًا، فأتى ابن عمر فسأله عن ذلك، وعنده عبد الله بن صفوان، فقال ابن عمر لابن صفوان: إما إن أقول فتصدقني، وإما أن تقول فأصدقك. فقال ابن صفوان: بل أنت فقل. فقال ابن عمر، ووافقه على ذلك عبد الله بن صفوان"[٥٥٨].

عن عمرو بن حبشي قال: "سمعت رجلا سأل عبد الله بن عمر، عن رجل أصاب ولدَ أرنب، فقال: فيه ولد ماعز، فيما أرى أنا. ثم قال لي: أكذاك؟ فقلت: أنت أعلم مني. فقال: قال الله تعالى ذكره:{يحكم به ذوا عدل منكم}"[٥٥٩].

قال شريح:" لو وجدت حكمًا عدلا لحكمت في الثعلب جَدْيًا، وجديٌ أحبُّ إليّ من الثعلب"[٥٦٠].

قوله تعالى:{أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ} [المائدة : ٩٥]، أي:" أو أن يشتري بقيمة مثله طعامًا يهديه لفقراء الحرم لكل مسكين نصف صاع"[٥٦١].

وفي قوله تعالى:{أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ} [المائدة : ٩٥]، قولان:

أحدهما : أنه يُقَوِّم المثل من النعم ويشتري بالقيمة طعاماً ، قاله عطاء[٥٦٢]، والشافعي[٥٦٣] .

الثاني : يقوِّم الصيد ويشتري بالغنيمة طعاماً ، قاله قتادة[٥٦٤]، وأبو حنيفة[٥٦٥].

قوله تعالى:{أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا} [المائدة : ٩٥]، أي:" أو يصوم بدلا من ذلك يوما عن كل نصف صاع من ذلك الطعام"[٥٦٦].

وفي قوله تعالى:{أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا} [المائدة : ٩٥]، ثلاثة اقوال:

أحدها : أنه يصوم عن كل مد يوماً ، قاله عطاء[٥٦٧].

الثاني : يصوم عن كل مد ثلاثة أيام ، قاله سعيد بن جبير[٥٦٨] .

الثالث : يصوم عن كل صاع يومين ، قاله قتادة[٥٦٩].

واختلفوا في التكفير بهذه الثلاثة ، هل هو على الترتيب أو التخيير على قولين :

أحدهما: أنه على التخيير بين إخراج النظير بأي الثلاثة شاء، قاله عطاء[٥٧٠]، والضحاك[٥٧١]، وعكرمة[٥٧٢]، وهو أحد قولي مجاهد[٥٧٣]، ومذهب الشافعي[٥٧٤].

الثاني: على الترتيب، إن لم يجد المثل فالإطعام ، فإن لم يجد الطعام فالصيام ، قاله مجاهد[٥٧٥]، وعطاء -في أحد قوليه-[٥٧٦]، وعامر[٥٧٧]، وإبراهيم[٥٧٨]، والسدي[٥٧٩].

وبالأول قال جمهور الفقهاء[٥٨٠].

---

(٥٥٨) أخرجه الطبري(١٢٥٩٠):ص٢٥/١١.
(٥٥٩) أخرجه الطبري(١٢٥٩٨):ص٢٨/١١.
(٥٦٠) أخرجه الطبري(١٢٥٩١):ص٢٥/١١.
(٥٦١) التفسير الميسر:١٢٣.
(٥٦٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٦١٨):ص٣٦/١١.
(٥٦٣) انظر: النكت والعيون:٦٨/٢.
(٥٦٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٦١٩):ص٣٦/١١-٣٧.
(٥٦٥) انظر: النكت والعيون:٦٨/٢.
(٥٦٦) التفسير الميسر:١٢٣.
(٥٦٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٦١٨):ص٣٦/١١.
(٥٦٨) انظر: النكت والعيون: ٦٨/٢.
(٥٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٦١٩):ص٣٦/١١-٣٧.
(٥٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٦١٠):ص٣٣/١١، و(١٢٦١٤):ص٣٥/١١.
(٥٧١) انظر: تفسير الطبري(١٢٦١٥):ص٣٥/١١.
(٥٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٦١٢):ص٣٥/١١.
(٥٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٦١٤):ص٣٥/١١.
(٥٧٤) انظر: النكت والعيون:٦٨/٢.
(٥٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٠٣):ص٣٢/١١.
(٥٧٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٠٣):ص٣٢/١١.
(٥٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٠٣):ص٣٢/١١.
(٥٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٠٤):ص٣٢/١١.
(٥٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٠٧):ص٣٣/١١.

وقرأ أبو رزين، والضحاك، وقتادة، والجحدري، وطلحة: «أو عدل ذلك» ، بكسر العين[٥٨١].

قوله تعالى:{لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ} [المائدة : ٩٥]، أي:" فَرَضَ الله عليه هذا الجزاء; ليلقى بإيجاب الجزاء المذكور عاقبة فِعْله"[٥٨٢].

قال السدي:" أما {وبال أمره}: فعقوبة أمره"[٥٨٣].

قوله تعالى:{عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ} [المائدة : ٩٥]، أي:" والذين وقعوا في شيء من ذلك قبل التحريم فإن الله تعالى قد عفا عنهم"[٥٨٤].

قال سعيد بن جبير[٥٨٥] وعطاء[٥٨٦]:"ما كان في الجاهلية".

قوله تعالى:{وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ} [المائدة : ٩٥]، أي:" ومَن عاد إلى المخالفة متعمدًا بعد التحريم، فإنه مُعَرَّض لانتقام الله منه"[٥٨٧].

قال سعيد بن جبير:" يحكم عليه في العمد مرة واحدة، فإن عاد لم يحكم عليه، وقيل له:"اذهب ينتقم الله منك"، ويحكم عليه في الخطأ أبدا"[٥٨٨].

عن عامر قال: جاء رجل إلى شريح فقال: إني أصبت صيدا وأنا محرم! فقال: هل أصبت قبل ذلك شيئا؟ قال: لا. قال: لو قلت"نعم"، وكلتك إلى الله يكون هو ينتقم منك، إنه عزيز ذو انتقام! قال داود: فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال: بل يحكم عليه، أفيخلع!" [٥٨٩].

عن إبراهيم": في الذي يقتل الصيد ثم يعود، قال: كانوا يقولون: من عاد لا يحكم عليه، أمره إلى الله عز وجل"[٥٩٠].

عن الحسن:" في الذي يصيب الصيد فيحكم عليه ثم يعود، قال: لا يحكم عليه"[٥٩١].

وروي عن زيد أبو المعلى: أن رجلا أصاب صيدًا وهو محرم، فتجُوِّز له عنه. ثم عاد، فأرسل الله عليه نارًا فأحرقته، فذلك قوله:{ومن عاد فينتقم الله منه}، قال: في الإسلام"[٥٩٢].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ} [المائدة : ٩٥]، أي:" والله تعالى عزيز قويٌّ منيع في سلطانه، ومِن عزته أنه ينتقم ممن عصاه إذا أراد، لا يمنعه من ذلك مانع"[٥٩٣].

عن أبي العالية: {والله عزيز}، يقول: عزيز في نقمته إذا انتقم"[٥٩٤].

عن محمد بن إسحاق: "{والله عزيز ذو انتقام}، قال: عزيز ذو بطش"[٥٩٥]، "{ذو انتقام}: ذوا انتقام ممن آذاه"[٥٩٦].

وفي رواية أخرى عن محمد بن إسحاق:" أي: أن الله منتقم ممن كفر بآياته بعد علمه بها ومعرفته بما جاءه منه فيها"[٥٩٧].

القرآن

---

(٥٨٠) زاد المسير:٥٨٧/١.
(٥٨١) انظر: زاد المسير:٥٨٧/١.
(٥٨٢) التفسير الميسر:١٢٣.
(٥٨٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٨١٦):ص١٢٠٩/٤.
(٥٨٤) التفسير الميسر:١٢٣.
(٥٨٥) انظر: فسير الطبري(١٢٦٤٩):ص٥٠/١١.
(٥٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٤٠):ص٤٩/١١.
(٥٨٧) التفسير الميسر:١٢٣.
(٥٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٥٨):ص٥١/١١.
(٥٨٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٥٢):ص٥١/١١.
(٥٩٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٥٤):ص٥١/١١.
(٥٩١) انظر: تفسير الطبري(١٢٦٦٤):ص٥٣/١١.
(٥٩٢) أخرجه الطبري(١٢٦٦٦):ص٥٤/١١.
(٥٩٣) التفسير الميسر:١٢٣.
(٥٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٦٨٢٤):ص١٢١٠/٤.
(٥٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٢٥):ص١٢١٠/٤.
(٥٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٢٦):ص١٢١٠/٤.
(٥٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٢٦):ص١٢١٠/٤.

{أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٩٦)} [المائدة : ٩٦]

التفسير:

أحل الله لكم -أيها المسلمون- في حال إحرامكم صيد البحر، وهو ما يصاد منه حيًّا، وطعامه: وهو الميت منه; من أجل انتفاعكم به مقيمين أو مسافرين، وحرم عليكم صيد البَرِّ ما دمتم محرمين بحج أو عمرة. واخشوا الله ونفذوا جميع أوامِره، واجتنبوا جميع نواهيه; حتى تظفَروا بعظيم ثوابه، وتَسْلموا من أليم عقابه عندما تحشرون للحساب والجزاء.

قوله تعالى:{أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ} [المائدة : ٩٦]،أي:" أحل الله لكم -أيها المسلمون- في حال إحرامكم صيد البحر، وهو ما يصاد منه حيًّا"[٥٩٨].

واختلف أهل العلم في حكم الحيوانات البرمائية[٥٩٩] على قولين[٦٠٠]:

أحدهما: أن كل ما يعيش في البر وله فيه حياة فهو من صيد البر، لذلك إنْ قتله المحرم وَدَاه، وهذا قول مالك[٦٠١]، وأبو مجلز[٦٠٢]، وابن أبي ليلى[٦٠٣]، وعطاء[٦٠٤]، وسعيد بن جبير[٦٠٥]، وغيرهم[٦٠٦].

الثاني: ان صيد البحر هو مبني على أكثر عيش الحيوان، وأن صيد البر ما كان كونه في البرّ أكثر من كونه في البحر. وهذا قول عطاء بن ابي رباح.

سئل عطاء: " ابن الماء ، أصيد برّ أم بحر ؟ وعن أشباهه ؟ فقال : حيث يكون أكثر ، فهو صيده"[٦٠٧]. وفي رواية أخرى: " أكثر ما يكون حيث يُفْرخ ، فهو منه"[٦٠٨].

والصواب في ابن ماء أنه صيد بر طائر يرعى ويأكل الحب[٦٠٩].

قال أبو حنيفة، والثوري: "لا يؤكل شيء من حيوان البحر إلا السمك"[٦١٠].

قوله تعالى:{ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ} [المائدة : ٩٦]،أي:"وما يُطعم من صيده كالسمك وغيره منفعةً وقوتاً لكم وزاداً للمسافرين يتزودونه في أسفارهم "[٦١١].

قال عكرمة:"{ متاعًا لكم وللسيارة}، لمن كان بحضرة البحر، {وللسيارة}، السَّفْر"[٦١٢].

وعن الحسن:" {وللسيارة}، قال: هم المحرمون"[٦١٣].

اخرج ابن ابي حاتم عن سعيد بن جبير في قوله: "{وللسيارة} قال: الظهر""[٦١٤].

قال ابن أبي حاتم:"قال أبي وقال غيره: التتمير"[٦١٥].

وقال مجاهد:{وطعامه متاعا لكم}: أهل القرَى، {وللسيارة}: أهل الأمصَار"[٦١٦]، "والحيتانُ للناس كلهم"[٦١٧].

---

(٥٩٨) التفسير الميسر:١٢٤.

(٥٩٩) وهي التي تعيش في **البر والماء معاً، كالضفدع والسلحفاة والسرطان، والحية والتمساح وكلب الماء ونحوها**.

(٦٠٠) انظر: المحرر الوجيز:٢٤٢/٢-٢٤٣.

(٦٠١) انظ{: المحرر الوجيز:٢٤٣/٢.

(٦٠٢) انظر: الطبري: (١٢٧٧٣):ص٨٧/١١، ومصنف ابن أبي شيبة:١٢٤/٤، وتفسير ابن ابي حاتم(٦٨٤٩):ص١٢١٣/٤،

(٦٠٣) انظ{: المحرر الوجيز:٢٤٣/٢.

(٦٠٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٧٤):ص٨٧/١١.

(٦٠٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٧٦):٨٧/١١-٨٨.

(٦٠٦) انظر: زاد المسير:٥٨٧/١، والمحرر الوجيز:٢٤٢/٢-٢٤٣، وتفسير القرطبي:٢١٣/٧.

(٦٠٧)أخرجه الطبري(١٢٧٧٨):ص٨٨/١١. وعبدالرزاق(٨٤٢٢)،

(٦٠٨) اخرجه الطبري (١٢٧٧٩):ص٨٨/١١.

(٦٠٩) المحرر الوجيز:٢٤٣/٢.

(٦١٠) التمهيد٢٢٣/١٦، وزاد المسير:٥٨٧/١، وتفسير القرطبي:٢١٠/٧[تحقيق التركي].

(٦١١) صفوة التفاسير:٣٣٧/١.

(٦١٢) أخرجه الطبري(١٢٧٣١):ص٧١/١١.

(٦١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٨٤٥):ص١٢١٢/٤.

(٦١٤) تفسير ابن ابي حاتم(٦٨٤٥):ص١٢١٢/٤.

(٦١٥) تفسير ابن ابي حاتم(٦٨٤٥):ص١٢١٢/٤.

(٦١٦) أخرجه الطبري(١٢٧٣٨):ص٧٣/١١.

(٦١٧) أخرجه الطبري(١٢٧٣٩):ص٧٣/١١.

وفي معنى قوله تعالى:{ وَطَعَامُهُ} [المائدة : ٩٦]، قولان:
أحدهما: ما نبذه البحر ميتا، قاله قتادة[٦١٨].
الثاني: أنه مليحه، قاله سعيد بن المسيب[٦١٩]، وسعيد بن جبير[٦٢٠]،والسدي[٦٢١]، وعن مجاهد[٦٢٢]، وقتادة[٦٢٣]، وعكرمة[٦٢٤] كالقولين.

واختلفت الرواية عن النخعي. فروي عنه كالقولين، وروي عنه أنه جمع بينهما، فقال: طعامه المليح [٦٢٥]، وما لفظه[٦٢٦].

والصحيح أن :{طعامه}، ما قذفه البحر، أو حَسَر عنه فوُجد ميتًا على ساحله. وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر قبله صيدَ الذي يصاد، فقال:{أحل لكم صيد البحر}، فالذي يجب أن يعطف عليه في المفهوم ما لم يُصَدْ منه، فقال: أحل لكم ما صدتموه من البحر، وما لم تصيدوه منه[٦٢٧].

وقد روي عن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"{أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعًا لكم}، قال:{طعامه}، ما لفظه ميتًا فهو طعامه"[٦٢٨].

قوله تعالى:{وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا} [المائدة : ٩٦]،أي:" وحرم عليكم صيد البَرِّ ما دمتم محرمين بحج أو عمرة"[٦٢٩].

واختلف أهل العلم اختلف العلماء فيما يأكله المحرم من الصيد على أربعة اقوال:
أحدها: أنه لا يجوز للمحرم أكل صيد على حال من الأحوال سواء صيد من أجله أو لم يصد. به قال الثوري[٦٣٠].

واحتجوا بما روي عن الصعب بن جَثَّامة :"أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رِجْلَ حمار وحش يقطر دمًا، فردّه فقال: إنا حُرُم"[٦٣١].

وبما روي عن عائشة: "أن وَشِيقة ظبي أهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم، فردّها"[٦٣٢].

والثاني: إنه لا بأس بأكل المحرم الصيد إذا لم يصد له ولا من أجله. به قال مالك والشافعي وأصحابهما وأحمد[٦٣٣].

واحتجوا بحديث جابر عن النبيّ صلى الله عليه وسلم بقوله:"صيد البرّ لكم حلال، مالم تصيدوه او يُصدْ لكم "[٦٣٤].

الثالث: أن أكل الصيد للمحرم جائز على كل حال إذا اصطاده الحلال، سواء صيد من أجله أم لا، وهذا قول سعيد بن جبير[٦٣٥]، ومجاهد[٦٣٦]، وعطاء[٦٣٧]، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه[٦٣٨].

---

(٦١٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٠٤):ص٦٥/١١.
(٦١٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٢٤):ص٦٨/١١.
(٦٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٧١١):ص٦٦/١١.
(٦٢١) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٢٣):ص٦٨/١١.
(٦٢٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٧١٩):ص٦٧/١١.
(٦٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٧١٧):ص٦٧/١١.
(٦٢٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٧١٠):ص٦٦/١١.
(٦٢٥)في «اللسان» الملح والمليح: خلاف العذب من الماء.
(٦٢٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٧١٨):ص٦٧/١١.
(٦٢٧) تفسير الطبري:٦٩/١١.
(٦٢٨) أخرجه الطبري(١٢٧٢٩):ص٧٠/١١ . قال الطبري:" وقد وقف هذا الحديث بعضهم على أبي هريرة".
(٦٢٩) التفسير الميسر:١٢٤.
(٦٣٠)تفسير القرطبي: ٦/ ٣٢١- ٣٢٢، وانظر: المغني: ٥/ ١٣٥- ١٣٦[بتصرف].
(٦٣١)حديث الصعب بن جثامة، رواه مسلم في صحيحه من طرق ٨: ١٠٣- ١٠٦، والسنن الكبرى للبيهقي ٥: ١٩١، ١٩٤.
(٦٣٢)حديث عائشة رواه أحمد في المسند ٦: ٤٠.
(٦٣٣)تفسير القرطبي: ٦/ ٣٢١- ٣٢٢، وانظر: المغني: ٥/ ١٣٥- ١٣٦[بتصرف].
(٦٣٤) انظر: سنن الترمذي(٨٤٦)، والمجتبى:١٨٧/٥، وسنن الدراقطني(٢٧٤٤)، وهو عند احمد(١٤٨٩٤)، وأبي داود(١٨٥١)،
وخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٥/ ١٩٠، فانظر ما قاله فيه، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٢: ٣٣٣ وقال: أخرجه أحمد والحاكم وصححه.

واحتجوا بحديث البهزي عن النبي-صلى الله عليه وسلم- في حمار الوحش العير، أنه أمر ابابكر فقسّمه في الرفاق، من حديث مالك وغيره[٦٣٩].

وكذلك احتجوا بحديث أبي قتادة عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، وفيه«إنما هي طعمة اطعمكموها الله»[٦٤٠].

الرابع: أن المراد حرام اصطياده، وفأما شراؤه من مالك يملكه وذبحه وأكله، بعد أن يكون مِلكه إياه على غير وجه الاصطياد له، وبيعه وشراؤه جائز. قالوا: والنهي من الله تعالى ذكره، عن صيده في حال الإحرام دون سائر المعاني. وهذا قول أبو سلمة[٦٤١].

والصواب في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره، عمَّ تحريم كل معاني صيد البرّ على المحرم في حال إحرامه، من غير أن يخص من ذلك شيئًا دون شيء، فكل معاني الصيد حرام على المحرم ما دام حرامًا، بيعه وشراؤه واصطياده وقتله، وغير ذلك من معانيه، إلا أن يجده مذبوحًا قد ذبحه حلال لحلال، فيحلّ له حينئذ أكله، للثابت عن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:« عبد الرحمن بن عثمان قال: كنا مع طلحة بن عبيد الله ونحن حُرُم، فأهدي لنا طائرٌ، فمنا من أكل، ومنا من تَورَّع فلم يأكل. فلما استيقظ طلحة وفَّق من أكل، وقال: أكلناه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم»[٦٤٢].

قوله تعالى:{وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [المائدة : ٩٦]،أي:" أي خافوا الله الذي تبعثون إليه يوم القيامة فيجازيكم على أعمالكم"[٦٤٣].

قال محمد بن إسحاق:{واتقوا الله}، أي: أطيعوا الله"[٦٤٤].

قال سعيد بن جبير:" يعني: المؤمنين، يحذرهم"[٦٤٥].

القرآن

{جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٩٧)} [المائدة : ٩٧]

التفسير:

امتنَّ الله على عباده بأن جعل الكعبة البيت الحرام صلاحًا لدينهم، وأمنًا لحياتهم; وذلك حيث آمنوا بالله ورسوله وأقاموا فرائضه، وحرَّم العدوان والقتال في الأشهر الحرم -وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب- فلا يعتدي فيها أحد على أحد، وحرَّم تعالى الاعتداء على ما يُهدَى إلى الحرم من بهيمة الأنعام، وحرَّم كذلك الاعتداء على القلائد، وهي ما قُلِّد إشعارًا بأنه بقصد به النسك; ذلك لتعلموا أن الله يعلم جميع ما في السموات وما في الأرض، ومن ذلك ما شرعه لحماية خلقه بعضهم من بعض، وأن الله بكل شيء عليم، فلا تخفى عليه خافية.

قوله تعالى:{جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ} [المائدة : ٩٧]، أي :"جعل الله الكعبة المشرّفة وهي البيت المحرّم صلاحاً ومعاشاً للناس لقيام أمر دينهم ودنياهم"[٦٤٦].

وفي تسميتها كعبة قولان:

أحدهما : سميت بذلك لتربيعها ، قاله مجاهد[٦٤٧]، وعكرمة[٦٤٨]، واختاره الطبري[٦٤٩]، والقرطبي[٦٥٠].

---

(٦٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٦٩):ص٨٤/١١.
(٦٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٦٩):ص٨٤/١١.
(٦٣٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٧٠):ص٨١/١١-٨٤.
(٦٣٨)تفسير القرطبي: ٦/ ٣٢١- ٣٢٢، وانظر: المغني: ٥/ ١٣٥- ١٣٦[بتصرف].
(٦٣٩) انظر: حديث البهزي في الموطأ:٣٥١/١، والمجتبى:١٨٣/٥.
(٦٤٠) اخرجه أحمد(٢٢٥٦٧)، والبخاري(٢٩١٤)، ومسلم(١١٩٦) : (٥٧).
(٦٤١) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٧١):ص٨٤/١١-٨٥.
(٦٤٢) تفسير الطبري:٨٥/١١، ورقم الخبر(١٢٧٧٢):ص٨٥/١١.
(٦٤٣) صفوة التفاسير: ٣٣٧.
(٦٤٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٠٠):ص١١٨٩/٤.
(٦٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٢١٤١):ص٤٠٦/٢.
(٦٤٦) صفوة التفاسير:٣٣٩.
(٦٤٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٨٠):ص٩٠/١١.

الثاني : سميت بذلك لعلوها ونتوئها من قولهم : قد كعب ثدي المرأة إذا علا ونتأ، وهو قول الجمهور[٦٥١].
و«الكعبة»: الحرم كله، وسماها الله حراما، لتحريمه إياها أن يصاد صيدها، أو يختلى خلاها ، أو يعضد شجرها[٦٥٢].
وفي قوله تعالى:{قِيَامًا لِلنَّاس} [المائدة : ٩٧]، جوه من التفسير:
أحدها: قياما لأمر من توجه إليها. وهو معنى قول قتادة[٦٥٣]، وابن شهاب[٦٥٤].
عن قتادة قوله : " {جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد}، حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية ، فكان الرجل لو جَرَّ كل جريرة ثم لجأ إلى الحرم لم يُتناول ولم يُقرب. وكان الرجل لو لقي قاتلَ أبيه في الشهر الحرام لم يعرض له ولم يقرَبه. وكان الرجل إذا أراد البيت تقلد قلادةً من شعر فأحمته ومنعته من الناس"[٦٥٥].
قال ابن شهاب:" : فجعل الله ذلك قياما للناس يأمنون به في ذلك كله في الجاهلية الأولى لا يخاف بعضهم بعضا حين يلقونهم عند البيت وفي الحرم أو في الشهر الحرام."[٦٥٦].
الثاني: قياما لبقاء الدين، فلا يزال في الأرض دين ما حجت واستقبلت، قاله الحسن[٦٥٧].
الثالث: يعني: صلاحاً لهم ، قاله سعيد بن جبير[٦٥٨].
وهذه الأقوال وإن أختلفت من قائليها ألفاظُها، فإن معانيها آيلةٌ إلى ما قلنا في ذلك ، من أن «القوام» للشيء ، هو الذي به صلاحه ، كما الملك الأعظم ، قوامُ رعيته ومن في سلطانه ، لأنه مدبِّر أمرهم ، وحاجز ظالمهم عن مظلومهم ، والدافع عنهم مكروه من بغاهم وعاداهم. وكذلك كانت الكعبة والشهرُ الحرام والهدي والقلائد ، قوامَ أمر العرب الذي كان به صلاحهم في الجاهلية ، وهي في الإسلام لأهله معالمُ حجهم ومناسكهم ، ومتوجَّههم لصلاتهم ، وقبلتهم التي باستقبالها يتمُّ فرضُهم"[٦٥٩].
قوله تعالى:{وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ} [المائدة : ٩٧]، أي:" وحرَّم العدوان والقتال في الأشهر الحرم -وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب- فلا يعتدي فيها أحد على أحد، وحرَّم تعالى الاعتداء على ما يُهدَى إلى الحرم من بهيمة الأنعام، وحرَّم كذلك الاعتداء على القلائد، وهي ما قُلِّد إشعارًا بأنه بقصد به النسك"[٦٦٠].
عن السدي: {جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ}، " جعل الله هذه الأربعة قياما للناس، هو قوام أمرهم"[٦٦١].
قال مجاهد:" {القلائد}: اللحاء في رقاب الناس والبهائم أمان لهم، وهي من الشعائر، والشعائر: الهدي، والقلائد: والصفا والمروة والبدن، هذا كله من شعائر الله، وذلك لأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون هذا من عمل الجاهلية فعله وإقامته، وأحل ذلك كله بالإسلام إلا القلائد اللحاء فإنه ترك"[٦٦٢].

---

(٦٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٨١):ص٩٠/١١.
(٦٤٩) انظر: تفسير الطبري:٨٩/١١.
(٦٥٠) انظر: تفسير القرطبي:٣٢٤/٦.
(٦٥١) انظر: النكت والعيون:٧٠/٢، وزاد المسير:٥٨٨/١، وتفسير العز بن عبدالسلام:٤١٤/١ وغيرها.
(٦٥٢) انظر: تفسير الطبري:٩١/١١، والنكت والعيون:٧٠/٢.
(٦٥٣) أخرجه الطبري(١٢٧٩٠):ص٩٣/١١.
(٦٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٨٥٨):ص١٢١٤/٤.
(٦٥٥) أخرجه الطبري(١٢٧٩٠):ص٩٣/١١.
(٦٥٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٨٥٨):ص١٢١٤/٤.
(٦٥٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٨٥٧):ص١٢١٤/٤.
(٦٥٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٧٨٣):ص٩١/١١.
(٦٥٩) تفسير الطبري:٩٢/١١-٩٣.
(٦٦٠) التفسير الميسر: ١٢٤.
(٦٦١) أخرجه الطبري(١٢٧٨٩):ص٩٢/١١.
(٦٦٢) تفسير مجاهد: ٢٩٨.

قوله تعالى:{ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [المائدة : ٩٧]، أي:" ذلك لتعلموا أن الله يعلم جميع ما في السموات وما في الأرض، ومن ذلك ما شرعه لحماية خلقه بعضهم من بعض"(٦٦٣).

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [المائدة : ٩٧]، أي:" وأن الله بكل شيء عليم، فلا تخفى عليه خافية"(٦٦٤).

قال محمد بن إسحاق: "{والله عليم} أي: عليم بما يخفون"(٦٦٥).

القرآن

{اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩٨)} [المائدة : ٩٨]

التفسير:

اعلموا -أيها الناس- أن الله جل وعلا شديد العقاب لمن عصاه، وأن الله غفور رحيم لمن تاب وأناب.

قوله تعالى:{اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة : ٩٨]، أي:" اعلموا -أيها الناس- أن الله جل وعلا شديد العقاب لمن عصاه"(٦٦٦).

قال علي بن زيد: "تلا مطرف هذه الآية {شديد العقاب}، قال: لو يعلم الناس قدر عقوبة الله ونقمة الله وبأس الله، ونكال الله، لما رقى لهم دمع وما قرت أعينهم بشيء"(٦٦٧).

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة : ٩٨]، أي:" وأن الله غفور رحيم لمن تاب وأناب"(٦٦٨).

قال محمد بن إسحاق. وأن الله غفور أي يغفر الذنب. رحيم يرحم العباد على ما فيهم"(٦٦٩).

القرآن

{مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (٩٩)} [المائدة : ٩٩]

التفسير:

يبيِّن الله تعالى أن مهمة رسوله صلى الله عليه وسلم هداية الدلالة والتبليغ، وبيد الله -وحده- هداية التوفيق، وأن ما تنطوي عليه نفوس الناس مما يُسرون أو يعلنون من الهداية أو الضلال يعلمه الله.

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ} [المائدة : ٩٩]، أي:" والله لا يخفى عليه شيء من أحوالكم وأعمالكم وسيجازيكم عليها"(٦٧٠).

قال محمد بن إسحاق:{وما تكتمون}، أي: ما تخفون"(٦٧١).

القرآن

{قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠٠)} [المائدة : ١٠٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: لا يستوي الخبيث والطيب من كل شيء، فالكافر لا يساوي المؤمن، والعاصي لا يساوي المطيع، والجاهل لا يساوي العالم، والمبتدع لا يساوي المتبع، والمال الحرام لا يساوي الحلال، ولو أعجبك -أيها الإنسان- كثرة الخبيث وعدد أهله. فاتقوا الله يا أصحاب العقول الراجحة باجتناب الخبائث، وفعل الطيبات; لتفلحوا بنيل المقصود الأعظم، وهو رضا الله تعالى والفوز بالجنة.

---

(٦٦٣) التفسير الميسر:١٢٣.
(٦٦٤) التفسير الميسر:١٢٣.
(٦٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٤٧):ص٨٩٠/٣.
(٦٦٦) التفسير الميسر:١٢٤.
(٦٦٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٨٦٧):ص١٢١٦/٤.
(٦٦٨) التفسير الميسر:١٢٤.
(٦٦٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٨٦٨):ص١٢١٦/٤.
(٦٧٠) صفوة التفاسير:٣٤٠/١.
(٦٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٦٩):ص١٢١٦/٤.

في سبب النزول الآية قولان:
أحدهما: عن جابر؛ قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن الله -عزّ وجلّ- حرم عليكم عبادة الأوثان وشرب الخمر والطعن في الأنساب، ألا أن الخمر لُعن شاربها وعاصرها وساقيها وبائعها وآكل ثمنها"، فقام إليه أعرابي فقال: يا رسول الله! إني كنت رجلًا كانت هذه تجارتي، فاقتنيت مع بيع الخمر مالًا فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله؟ فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: "إن أنفقته في حج أو جهاد أو صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة؛ إن الله لا يقبل إلا الطيب"؛ فأنزل الله -تعالى- تصديقاً لقوله - صلى الله عليه وسلم -: {قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ}"[٦٧٢]. [ضعيف]
الثاني: أنها نزلت في شأن حجاج اليمامة شريح بن ضبيعة حين أراد المسلمون أخذ ماله، فنهاهم الله تعالى عن ذلك، وأخبرهم أن أخذ ماله حرام. قاله الكلبي[٦٧٣]، وذكره السمرقندي[٦٧٤] والثعلبي[٦٧٥]، والبغوي[٦٧٦]، والزمخشري[٦٧٧]، وغيرهم.
قوله تعالى:{قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ} [المائدة : ١٠٠]، أي:" أي قل يا محمد لا يتساوى الخبيث والطيّب"[٦٧٨].
وفي «الخبيث» و«الطيب» قولان:
أحدهما: أن " {الخبيث}، هم المشركون و{الطيب}، هم المؤمنون". قاله السدي[٦٧٩].
والثاني: أن {الخبيث}، و{الطيب}: الحلال والحرام. قاله الحسن[٦٨٠].
وهذا على ضرب المثال، والصحيح أن اللفظ عام في جميع الأمور، يتصور في المكاسب والأعمال، والناس، والمعارف من العلوم وغيرها، فالخبيث من هذا كله لا يفلح ولا ينجب، ولا تحسن له عاقبة وإن كثر، والطيب وإن قل نافع جميل العاقبة، قال الله تعالى:{والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا}[الأعراف: ٥٨]، ونظير هذه الآية قوله تعالى:{أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار}[ص: ٢٨] وقوله:{أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات}[الجاثية: ٢١]، فالخبيث لا يساوي الطيب مقدارا ولا إنفاقا، ولا مكانا ولا ذهابا، فالطيب يأخذ جهة اليمين، والخبيث يأخذ جهة الشمال، والطيب في الجنة، والخبيث في النار وهذا بين. وحقيقة الاستواء الاستمرار في جهة واحدة، ومثله الاستقامة وضدها الاعوجاج"[٦٨١].
قوله تعالى:{وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ} [المائدة : ١٠٠]، أي:" ولو أعجبك -أيها الإنسان- كثرة الخبيث وعدد أهله"[٦٨٢].
قال يعقوب بن عبد الرحمن الإسكندراني: "كتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض عماله يذكر أن الخراج قد انكسر، فكتب إليه عمر، يقول: إن الله يقول: {لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث}، وكتب عمر إلى بعض عماله: إن استطعت أن تكون في العدل والإصلاح والإحسان بقولة من كان قبلك في الظلم والفجور والعدوان فافعل ولا قوة إلا بالله"[٦٨٣].

---

(٦٧٢)أخرجه الواحدي في "أسباب النزول":٢١٠، عن الحاكم نا محمد بن القاسم المؤدب قال: ثنا إدريس بن علي الرازي ثنا يحيى بن الضريس ثنا سفيان عن محمد بن سوقة عن ابن المنكدر عن جابر به.
قلنا: وهذا سند ضعيف؛ شيخ الحاكم ما كان بشيء؛ كما قال الدارقطني، وإدريس بن علي الرازي لم نجد له ترجمة بعد طول بحث.
وعزاه السيوطي في اللباب (ص ١١٤) للأصبهاني في الترغيب والواحدي.
(٦٧٣) انظر: بحر العلوم:٤٢١/١.
(٦٧٤) انظر: بحر العلوم:٤٢١/١.
(٦٧٥) انظر: الكشف والبيان:١١٣/٤.
(٦٧٦) انظر: تفسير البغوي:١٠٥/٣.
(٦٧٧) انظر: الكشاف:٦٨٣/١.
(٦٧٨) صفوة التفاسير:٣٤٠.
(٦٧٩) أخرجه الطبري(١٢٧٩٣):ص٩٧/١١.
(٦٨٠) حكاه عنه القرطبي في تفسيره:٣٢٧/٦.
(٦٨١) تفسير القرطبي:٣٢٧/٦-٣٢٨.
(٦٨٢) التفسير الميسر:١٢٤.
(٦٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٧١):ص١٢١٦/٤.

قوله تعالى:{فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ} [المائدة : ١٠٠]، أي:" فاتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه يا ذوي العقول"[٦٨٤].

قال سعيد بن جبير:" {فاتقوا الله}، يعني: المؤمنين يحذرهم"[٦٨٥]، "{يا أولي الألباب}، يقول: من كان له لب أو عقل"[٦٨٦].

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة : ١٠٠]، أي:" لتفلحوا بنيل المقصود الأعظم، وهو رضا الله تعالى والفوز بالجنة"[٦٨٧].

قال سعيد بن جبير:قوله:"{لعلكم}، يعني: لكي"[٦٨٨].

قال سعيد بن جبير:"يعني: لكي تفلحون"[٦٨٩].

قال محمد بن كعب القرظي:" يقول: لعلكم غدا إذا لقيتموني"[٦٩٠].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِنْ تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٠١)} [المائدة : ١٠١]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تسألوا عن أشياء من أمور الدين لم تؤمروا فيها بشيء، كالسؤال عن الأمور غير الواقعة، أو التي يترتب عليها تشديدات في الشرع، ولو كُلِّفتموها لشقَّتْ عليكم، وإن تسألوا عنها في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحين نزول القرآن عليه تُبيَّن لكم، وقد تُكلَّفونها فتعجزون عنها، تركها الله معافيًا لعباده منها. والله غفور لعباده إذا تابوا، حليم عليهم فلا يعاقبهم وقد أنابوا إليه.

في سبب نزولها ستة أقوال:

أحدها: أن الناس سألوا النبي صلى الله عليه وسلم حتى أحفوه بالمسألة، فقام مغضبا خطيبا، فقال:«سلوني فو الله لا تسألوني عن شيء ما دمت في مقامي هذا إلا بينته لكم» ، فقام رجل من قريش، يقال له: عبد الله بن حذافة كان إذا لاحى [٦٩١] يدعى إلى غير أبيه، فقال: يا نبي الله من أبي؟ قال: أبوك حذافة، فقام آخر، فقال: أين أبي؟ قال: في النار، فقام عمر فقال: رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وبالقرآن إماما، إنا حديثو عهد بجاهلية، والله أعلم من أباؤنا، فسكن غضبه، ونزلت هذه الآية، رواه أبو صالح عن أبي هريرة[٦٩٢]، وقتادة عن أنس[٦٩٣].[صحيح]

والثاني: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس، فقال: «إن الله كتب عليكم الحج، فقام عكاشة ابن محصن، فقال: أفي كل عام يا رسول الله؟ فقال: أما إني لو قلت نعم لوجبت، ولو وجبت ثم تركتم لضللتم، اسكتوا عني ما سكت عنكم، فإنما هلك من هلك ممن كان قبلكم بكثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم» فنزلت هذه الآية، رواه محمد بن زياد عن أبي هريرة[٦٩٤]. وقيل: إن السائل عن ذلك الأقرع بن حابس. [صحيح]

---

(٦٨٤) صفوة التفاسير:٣٤٠.

(٦٨٥) اخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٧٣):ص١٢١٧/٤.

(٦٨٦) اخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٧٤):ص١٢١٧/٤.

(٦٨٧) التفسير الميسر:١٢٤.

(٦٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٤٠):ص١١٩٥/٤.

(٦٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٤):ص١٢٠٠/٤.

(٦٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٥):ص١٢٠٠/٤.

(٦٩١)لاحى: أي خاصم.

(٦٩٢) . حديث صحيح. أما حديث أبي هريرة، فأخرجه الطبري (١٢٨٠٢):ص١٠٣/١١، وفيه قيس بن الربيع، وهو غير قوي، لكن للحديث شواهد كثيرة منها الآتي.

(٦٩٣)أخرجه البخاري ٤٦٢١ و ٤٣٦٢ و ٧٢٩٥ ومسلم ٢٣٥٩ والنسائي في «التفسير» ١٧٤ والترمذي ٣٠٥٦ وابن حبان ٦٤٢٩ والبغوي في «التفسير» ٨٣٩ من طرق عن أنس، رووه بألفاظ متقاربة، وطوله بعضهم. انظر «أحكام القرآن» ٨٠١.

(٦٩٤)صحيح. أخرجه مسلم ١٣٣٧ والنسائي ٥/ ١١٠- ١١١ وأحمد ٢/ ٥٠٨ وابن حبان ٣٧٠٤ و ٣٧٠٥ والبيهقي ٤/ ٣٢٦ والدارقطني ٢/ ٢٨١ والطبري (١٢٨٠٥):ص١٠٥/١١، وأخرجه الطبري (١٢٨٠٤):ص١٠٥/١١ من طريق عبد الرحيم بن

والثالث: أن قوما كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء، فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فنزلت هذه الآية، رواه أبو الجويرية عن ابن عباس[٦٩٥].[صحيح]
والرابع: أن قوما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام، فنزلت هذه الآية، رواه مجاهد عن ابن عباس[٦٩٦]، وبه قال ابن جبير[٦٩٧].[ضعيف]
والخامس: أن قوما كانوا يسألون الآيات والمعجزات، فنهوا عن ذل، روي هذا المعنى عن عكرمة[٦٩٨].
والسادس: أنها نزلت في تمنيهم الفرائض، وقولهم: وددنا أن الله تعالى أذن لنا في قتال المشركين، وسؤالهم عن أحب الأعمال إلى الله، ذكره أبو سليمان الدمشقي[٦٩٩].
والظاهر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد سئل مسائل كثيرة، فنزلت هذه الآية في ذلك جميعا، والله أعلم.
قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ} [المائدة : ١٠١]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، لا تسألوا الرسول عن أمور لا حاجة لكم بها إن ظهرت لكم ساءتكم"[٧٠٠].
قال الحسن:" فسألوه عن أشياء فوعظهم الله فاتعظوا"[٧٠١].
قرأ مجاهد «إن تبد» بفتح التاء وضم الدال على بناء الفعل للفاعل، وقرأ الشعبي «إن يبد لكم» بالياء من أسفل مفتوحة والدال مضمومة «يسؤكم» بالياء من أسفل، أي يبده الله لكم[٧٠٢].
قال عطاء:" كان عبيد بن عمير يقول : إن الله تعالى أحلّ وحرَّم ، فما أحلّ فاستحلُّوه ، وما حرَّم فاجتنبوه ، وترك من ذلك أشياء لم يحلها ولم يحرمها ، فذلك عفو من الله عفاه. ثم يتلو : " يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم}"[٧٠٣].
قوله تعالى:{وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} [المائدة : ١٠١]، أي:" والله غفور لعباده إذا تابوا، حليم عليهم فلا يعاقبهم وقد أنابوا إليه"[٧٠٤].
عن قتادة:" قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"[٧٠٥].

القرآن
{قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ (١٠٢)} [المائدة : ١٠٢]
التفسير:
إن مثل تلك الأسئلة قد سألها قومٌ مِن قبلكم رسلهم، فلما أُمِروا بها جحدوها، ولم ينفذوها، فاحذروا أن تكونوا مثلهم.
قوله تعالى:{قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ} [المائدة : ١٠٢]، أي:" إن مثل تلك الأسئلة قد سألها قومٌ مِن قبلكم رسلهم"[٧٠٦].

سليمان والدارقطني ٢/ ٢٨٢ عن محمد بن فضيل، كلاهما عن إبراهيم بن مسلم الهجري- وهو ضعيف- عن أبي عياض عن أبي هريرة..
(٦٩٥)صحيح. أخرجه البخاري ٤٦٢٢ والطبري ١٢٧٩٨ والطبراني ١٢٦٩٥ والواحدي ٤١٨ والبغوي ٨٤٢ كلهم عن ابن عباس به. وانظر «أحكام القرآن» ٨٠٢.
(٦٩٦)أخرجه الطبري (١٢٨١١):١١١/١١ عن ابن عباس، وإسناده ضعيف، فيه خصيف الجزري، وهو صدوق لكنه سيء الحفظ كثير الخطأ، وكرره الطبري (١٢٨١٢):ص١١١/١١-١١٢ عن عكرمة مرسلا، وهو أصح، والمتقدم عن ابن عباس أصح، وكذا المتقدم عن أنس وأبي هريرة.
(٦٩٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٨١٢):ص١١١/١١-١١٢.
(٦٩٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٨١١):١١١/١١، وزاد المسير:٥٩١/١.
(٦٩٩) انظر: زاد المسير:٥٩١/١.
(٧٠٠) صفوة التفاسير:٣٤٠.
(٧٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٨٨٠):ص١٢١٨/٤.
(٧٠٢) انظر: المحرر الوجيز:٢٤٦/٢.
(٧٠٣) أخرجه ابن ابي شيبة:٤٤٢/١٣، والطبري(١٢٨١٤):ص١١٤/١١.
(٧٠٤) التفسير الميسر:١٢٤/١.
(٧٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٠٣):ص٩١٥/٣.

قال السدي:" قد سأل الآيات قوم من قبلكم، وذلك حين قيل له: غير لنا الصفا ذهبا"[٧٠٧].

القرآن

{مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (١٠٣)} [المائدة : ١٠٣]

التفسير:

ما شرع الله للمشركين ما ابتدعوه في بهيمة الأنعام مِن تَرْك الانتفاع ببعضها وجعلها للأصنام، وهي: البَحيرة التي تُقطع أذنها إذا ولدت عددًا من البطون، والسائبة وهي التي تُترك للأصنام، والوصيلة وهي التي تتصل ولادتها بأنثى بعد أنثى، والحامي وهو الذكر من الإبل إذا وُلد من صلبه عدد من الإبل، ولكن الكفار نسبوا ذلك إلى الله تعالى افتراء عليه، وأكثر الكافرين لا يميزون الحق من الباطل.

قوله تعالى:{مَا جَعَلَ اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ} [المائدة : ١٠٣]، أي:" ما شرع الله للمشركين ما ابتدعوه في بهيمة الأنعام مِن تَرْك الانتفاع ببعضها وجعلها للأصنام، وهي: البَحيرة التي تُقطع أذنها إذا ولدت عددًا من البطون، والسائبة وهي التي تُترك للأصنام، والوصيلة وهي التي تتصل ولادتها بأنثى بعد أنثى، والحامي وهو الذكر من الإبل إذا وُلد من صلبه عدد من الإبل"[٧٠٨].

وفي «البحيرة»، أقوال:

أحدها: فهي الناقة إذا أنتجت خمسة أبطن نظروا إلى الخامس فإن كان ذكرا ذبحوه، فأكله الرجال دون النساء، وإن كانت أنثى جدعوا آذانها فقالوا: هذه بحيرة، قاله السدي.

الثاني: أنها الناقة تلد خمس إناث ليس فيهن ذكر، فيعمدون إلى الخامسة، فيبتكون أذنها، حكاه ابن الجوزي عن عطاء[٧٠٩].

الثالث: أنها ابنة السائبة، قاله ابن إسحاق[٧١٠].

قال ابن إسحاق: السائبة الناقة إذا تابعت بين عشر إناث، ليس بينهن ذكر، سيبت فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف، فما نتجت بعد ذلك من أنثى، شقت أذنها، ثم خلّي سبيلها مع امها فلم يركب ظهرها، ولم يجز وبرها، ولم يشرب لبنها إلا ضيف كما فعل بأمها، فهي البحيرة بنت السائبة"[٧١١].

وأما «السائبة»، فإنها المسيبة المخلاة وكانت العرب تفعل ذلك ببعض مواشيها فتحرم الانتفاع بها على أنفسها تقرباً إلى الله تعالى[٧١٢] ، قال الشاعر[٧١٣]:

عقرتم ناقة كانت لربي ... وسائبة فقوموا للعقاب

عن أبي الأحوص ، عن أبيه قال : دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أرأيت إبلك ألست تنتجها مسلَّمةً آذانُها ، فتأخذ الموسى فتجْدَعها ، تقول : هذه بحيرة، وتشق آذانها ، تقولون:هذه صَرْم ؟ قال : نعم! قال : فإن ساعدَ الله أشدّ ، وموسَى الله أحدَ! كلّ مالك لك حلالٌ ، لا يحرَّم عليك منه شيء "[٧١٤].

وكذا كان بعض أهل الإسلام يعتق عبده سائبة ، ولا ينتفع به ولا بولائه ، وكان أبو العالية سائبة فلما أتِي مولاه بميراثه فقال : هو سائبة وأبى أن يأخذه[٧١٥].

---

(٧٠٦) التفسير الميسر:١٢٤.

(٧٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٨١٨):ص١١٦/١١.

(٧٠٨) التفسير الميسر:١٢٤.

(٧٠٩) انظر: زاد المسير:٥٩٢/١. ولم أقف عليه.

(٧١٠) انظر: سيرة ابن هشام:٦٧/٢، وزاد المسير:٥٩٢/١.

(٧١١)سيرة ابن هشام:٦٧/٢.

(٧١٢) انظر: تفسير الطبري:١٢٣/١١.

(٧١٣) لم اتعرف على قائله، والبيت من شواهد الماوردي في النكت والعيون:٧/٢، وتفسير القرطبي:٣٣٦/٦.

(٧١٤) أخرجه الطبري(١٢٨٢٥):ص١٢١/١١-١٢٢.

(٧١٥) انظر: النكت والعيون:٧٣/٢.

قال الشعبي: كانوا يهدون لآلهتهم الإبل والغنم فيتركونها عند آلهتهم ، فتذهب فتختلطُ بغنم الناس، فلا يشرب ألبانها إلا الرجال ، فإذا مات منها شيء أكله الرجال والنساء جميعًا"[٧١٦].

وأما «الوصيلة» فأجمعوا على أنها من الغنم[٧١٧]، وفيها قولان:

أحدهما: أنها الناقة البكر تبتكر في أول نتاج الإبل بالأنثى، ثم تثني بالأنثى، فكانوا يستبقونها لطواغيتهم، ويدعونها الوصيلة، أي: وصلت إحداهما بالأخرى، ليس بينهما ذكر، رواه الزهري عن ابن المسيب[٧١٨].

الثاني: أنها الغنم إذا ولدت عشر إناث في خمسة أبطن توأمين في كل بطن سميت الوصيلة وتركت، فما ولدت بعد ذلك في ذكر أو أنثى جعلت للذكور دون الإناث، وإن كانت ميتة اشتركوا فيها، قاله ابن إسحاق[٧١٩].

وأما «الحام» فأجمعوا عليه: أنه البعير ينتج من صلبه عشرة أبطن ، فيقال حمى ظهره ويخلَّى[٧٢٠].

وفيه قولان:

أحدها: أنه الفحل يظهر من أولاده عشر إناث من بناته، وبنات بناته، قاله عطاء[٧٢١].

الثاني: أنه الذي لصلبه عشرة كلها تضرب في الإبل، قاله أبو روق[٧٢٢].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ} [المائدة : ١٠٣]، أي:" ولكن الكفار نسبوا ذلك إلى الله تعالى افتراء عليه"[٧٢٣].

قال قتادة:" {يفترون}، أي: يشركون"[٧٢٤].

قال الشعبي:" أما الذين افتروا، فعقلوا أنهم افتروا"[٧٢٥].

عن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "قد عرفت أوّلَ من بَحَر البحائر ، رجلٌ من مُدْلج كانت له ناقتان ، فجدَع آذانهما ، وحرّم ألبانهما وظهورَهما ، وقال : هاتان لله! ثم احتاج إليهما ، فشرب ألبانهما ، وركب ظهورهما. قال : فلقد رأيته في النار يؤذِي أهل النار ريح قُصْبه"[٧٢٦].

قوله تعالى:{وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [المائدة : ١٠٣]، أي:" وأكثر الكافرين لا يميزون الحق من الباطل"[٧٢٧].

وفي قوله تعالى:{وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ} [المائدة : ١٠٣]، قولان:

أحدهما: وأكثرهم، يعني: الأتباع لا يعقلون أن ذلك كذب على الله من الرؤساء الذين حرموا، قاله الشعبي[٧٢٨].

والثاني: لا يعقلون أن هذا التحريم من الشيطان، قاله قتادة[٧٢٩].

وفي المعني بهم في قوله تعالى: { وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ [المائدة : ١٠٣]، وجهان:

أحدهما: أنهم أهل ملّة واحدة ، ولكن «المفترين»، المتبوعون، و«الذين لا يعقلون»، الأتباع. وهذا قول الشعبي[٧٣٠].

الثاني: أن المعنيّ بـ{الذين كفروا}، اليهود ، وبـ{الذين لا يعقلون}، أهل الأوثان. وهذا قول محمد بن ابي موسى[٧٣١].

---

(٧١٦) أخرجه الطبري(١٢٨٣٤):ص١٢٨/١١.
(٧١٧) انظر: تفسير الطبري:١٢٤/١١، والنكت والعيون:٧٣/٢
(٧١٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٤٠):ص١٣١/١١.
(٧١٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٩٠٠):ص١٢٢٣/٤.
(٧٢٠) انظر: تفسير الطبري:١٢٤/١١، والنكت والعيون:٧٤/٢.
(٧٢١) انظر: زاد المسير:٥٩٣/١.
(٧٢٢) انظر: زاد المسير:٥٩٣/١.
(٧٢٣) التفسير الميسر:١٢٤.
(٧٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩١٢):ص١٢٢٥/٤.
(٧٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩١١):ص١٢٢٥/٤.
(٧٢٦) أخرجه الطبري(١٢٨٢١):ص١١٨/١١.
(٧٢٧) التفسير الميسر:١٢٤.
(٧٢٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٤٦):ص١٣٥/١١.
(٧٢٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٩١٣):ص١٢٢٥/٤.
(٧٣٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٤٦):ص١٣٥/١١.

والراجح-والله أعلم- إن المعنيين بقوله : {ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب}، الذين بحروا البحائر ، وسيَّبوا السوائب ، ووصلوا الوصائل ، وحموا الحوامي ، مثل عمرو بن لحي وأشكاله ممن سنّ لأهل الشرك السنن الرديئة ، وغيَّر دين الله دين الحق، وأضافوا إلى الله تعالى ذكره : أنه هو الذي حرّم ما حرّموا ، وأحلَّ ما أحلوا ، افتراءً على الله الكذب وهم يعلمون ، واختلاقًا عليه الإفك وهم يفهمون ، فكذبهم الله تعالى ذكره في قيلهم ذلك ، وإضافتهم إليه ما أضافوا من تحليل ما أحلوا وتحريم ما حرموا.

وأما المعنيون بقوله :{وأكثرهم لا يعقلون}، فهم أتباع من سنّ لهم هذه السنن من جهلة المشركين ، فهم لا شك أنهم أكثر من الذين لهم سنوا ذلك لهم ، فوصفهم الله تعالى بأنهم لا يعقلون ، لأنهم لم يكونوا يعقلون أن الذين سنوا لهم تلك السنن وأخبروهم أنها من عند الله ، كذبةٌ في إخبارهم ، أفَكَةٌ ، بل ظنوا أنهم فيما يقولون محقُّون ، وفي إخبارهم صادقون[٧٣٢].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٠٥)} [المائدة : ١٠٥]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه ألزموا أنفسكم بالعمل بطاعة الله واجتناب معصيته، وداوموا على ذلك وإن لم يستجب الناس لكم، فإذا فعلتم ذلك فلا يضركم ضلال مَن ضلَّ إذا لزمتم طريق الاستقامة، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، إلى الله مرجعكم جميعًا في الآخرة، فيخبركم بأعمالكم، ويجازيكم عليها.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: نقل الواحدي: عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس:"كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل هجر- وعليهم منذر بن ساوى- يدعوهم إلى الإسلام، فإن أبوا فليؤدوا الجزية. فلما أتاه الكتاب عرضه على من عنده من العرب واليهود والنصارى والصابئين والمجوس، فأقروا بالجزية، وكرهوا الإسلام. وكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أما العرب فلا تقبل منهم إلا الإسلام أو السيف، وأما أهل الكتاب والمجوس فاقبل منهم الجزية» . فلما قرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أسلمت العرب، وأما أهل الكتاب والمجوس فأعطوا الجزية، فقال منافقو العرب: عجبا من محمد، يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا، ولا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، فلا نراه إلا قبل من مشركي أهل هجر ما رد على مشركي العرب! فأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم يعني من ضل من أهل الكتاب}"[٧٣٣].[ضعيف]

والثاني: قال عمر مولى غفرة: "إنما نزلت هذه الآية: لأن الرجل كان يسلم ويكفر أبوه، ويسلم الرجل ويكفر أخوه، فلما دخل قلوبهم حلاوة الإيمان دعوا آباءهم وإخوانهم. فقالوا: حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا، فأنزل الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}"[٧٣٤].

قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} [المائدة : ١٠٥]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، ألزموا أنفسكم بالعمل بطاعة الله واجتناب معصيته، وداوموا على ذلك وإن لم يستجب الناس لكم"[٧٣٥].

قال السدي:" يقول: أهل ملتكم مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر"[٧٣٦].

عن الربيع عن صفوان بن محرز قال: "أتاه رجل من أصحاب الأهواء، فذكر له بعض أمره. فقال له صفوان: ألا أدلك على خاصة الله التي خص بها أولياءه: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}"[٧٣٧].

---

(٧٣١) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٤٥):ص١٣٥/١١.

(٧٣٢) تفسير الطبري:١٣٥/١١-١٣٦.

(٧٣٣)أسباب النزول(٤٢٠):ص٢١٤، إسناده ضعيف لضعف الكلبي.

(٧٣٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٢٥):ص١٢٢٨/٤.

(٧٣٥) التفسير الميسر:١٢٥.

(٧٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩١٧):ص١٢٢٦/٤.

عن أبي أمية الشعباني قال: "أتيت أبا ثعلبة الخشني، فقلت: كيف تصنع بهذه الآية؟ قال: وأية آية؟ قال: قلت: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}، فقال أبو ثعلبة: أما والله لقد سألت عنها خبيرا: سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: بل امروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا، وهوى متبعا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أيام الصبر، صبر منهن على مثل قبض على الجمر للعامل فيهن كأجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله"(٧٣٨).

قوله تعالى:{لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة : ١٠٥]، أي:" أي لا يضركم ضلال من ضلَّ من الناس إذا كنتم مهتدين"(٧٣٩).

وفي تفسير قوله تعالى:{لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} [المائدة : ١٠٥]، أقوال:

أحدها: معنى ذلك: أنّ العبد إذا عمل بطاعة الله لم يضره من ضَلَّ بعده وهلك.

قال ضمرة بن ربيعة :" ، تلا الحسن هذه الآية :{ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم}، فقال الحسن : الحمد لله بها ، والحمد لله عليها ، ما كان مؤمن فيما مضى ، ولا مؤمن فيما بقي ، إلا وإلى جانبه منافق يكرَه عمله"(٧٤٠).

الثاني: معنى ذلك : " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم " ، فاعملوا بطاعة الله " لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم " ، فأمرتم بالمعروف ، ونهيتم عن المنكر.

قال سعيد بن المسيب:" إذا أمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر ، لا يضرك من ضل إذا اهتديت"(٧٤١).

عن السدي قوله : "{ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم} ، يقول : مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر ، قال أبو بكر بن أبي قحافة : يا أيها الناس لا تغترُّوا بقول الله : {عليكم أنفسكم }، فيقول أحدكم : عليَّ نفسي ، والله لتأمرن بالمعروف وتنهوُنَّ عن المنكر ، أو ليَستعملن عليكم شراركم ، فليسومنّكم سوء العذاب ، ثم ليدعون الله خياركم ، فلا يستجيب لهم"(٧٤٢).

قال قيس بن أبي حازم:" سمعت أبا بكر يقول وهو يخطب الناس : يا أيها الناس ، إنكم تقرءون هذه الآية ولا تدرون ما هي ؟ : { يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم }، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الناس إذا رأوا منكرًا فلم يغيِّروه ، عمّهم الله بعقاب"(٧٤٣).

الرابع: أن معنى هذه الآية : لا يضركم من حاد عن قصد السبيل وكفر بالله من أهل الكتاب وغيرهم من المشركين.

عن سعيد بن جبير في قوله : "{لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم}، قال : يعني من ضلّ من أهل الكتاب"(٧٤٤). وفي رواية:"أنزلت في أهل الكتاب"(٧٤٥).

عن أبي سنان:"{لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}، قال: من الأمم إذا اهتديتم"(٧٤٦).

علي بن مدرك عن أبي عامر:" أنه كان فيهم شيء فاحتبس على النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتاه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ما حبسك. قال: يا رسول الله قرأت هذه الآية: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل} من الكفار {إذا اهتديتم}"(٧٤٧).

---

(٧٣٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩١٨):ص١٢٢٦/٤.

(٧٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩١٥):ص١٢٢٥/٤، وأخرجه الطبري(١٢٨٦٢):ص١٤٥/١١، وروى نحوه الطحاوى فى مشكل الآثار ج ٢ ص ٦٤، وروى نحوه ابن ماجة في السنن ج ٢، كتاب الفتن «باب قوله تعالى يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ» الآية ص ١٣٣٠، ١٣٣١ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي.

وروى نحوه أيضا الترمذي في سننه، كتاب التفسير(٣٠٥٨):٢٤١/٥، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٧٣٩) صفوة التفاسير:٣٤١.

(٧٤٠) أخرجه الطبري(١٢٨٦٨):ص١٤٨/١١.

(٧٤١) أخرجه الطبري(١٢٨٦٩):ص١٤٨/١١.

(٧٤٢) أخرجه الطبري(١٢٨٧٤):ص١٤٩/١١.

(٧٤٣) أخرجه الطبري(١٢٨٧٨):ص١٥١/١١.

(٧٤٤) أخرجه الطبري(١٢٨٧٩):ص١٥٢/١١.

(٧٤٥)أخرجه الطبري(١٢٨٨٠):ص١٥٢/١١.

(٧٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٢١):ص١٢٢٦/٤.

(٧٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٢٠):ص١٢٢٦/٤-١٢٢٧.

الخامس:أن المراد: إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر فلم يُقبل منكم.

عن مكحول: "أن رجلا سأله عن قول الله عز وجل: {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}، فقال: إن تأويل هذه الآية لم يجئ، إذا هاب الواعظ وأنكر الموعوظ، فعليك لا يضرك حينئذ من ضل إذا اهتديت"(٧٤٨).

قال سفيان بن عقال: "قيل لابن عمر : لو جلست في هذه الأيام فلم تأمر ولم تنه ، فإن الله تعالى ذكره يقول : {عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم} ؟ فقال ابن عمر : إنها ليست لي ولا لأصحابي ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «ألا فليبلّغ الشاهد الغائبَ» ، فكنَّا نحن الشهودَ وأنتم الغَيَب، ولكن هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا ، إن قالوا لم يقبل منهم"(٧٤٩).

قال أبو زمان:" انطلقت على عهد عثمان إلى المدينة ، فإذا قومٌ من المسلمين جلوس ، فقرأ أحدهم هذه الآية : {عليكم أنفسكم}، فقال أكثرهم : لم يجئ تأويل هذه الآية اليوم"(٧٥٠).

قال سوّار بن شبيب :" كنت عند ابن عمر ، إذ أتاه رجل جليدٌ في العين ، شديد اللسان ، فقال : يا أبا عبد الرحمن ، نحن ستة كلهم قد قرأ القرآن فأسرع فيه ،وكلهم مجتهد لا يألو ، وكلهم بغيضٌ إليه أن يأتي دناءةً ، وهم في ذلك يشهد بعضهم على بعض بالشرك! فقال رجل من القوم : وأيَّ دناءة تريد ، أكثرَ من أن يشهد بعضهم على بعض بالشرك! قال : فقال الرجل : إني لستُ إيّاك أسأل ، أنا أسأل الشيخ! فأعاد على عبد الله الحديث ، فقال عبد الله بن عمر : لعلك ترى لا أبا لك ، إني سآمرك أن تذهب أن تقتلهم! عظهم وانههم ، فإن عصوك فعليك بنفسك ، فإن الله تعالى يقول :{يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون}"(٧٥١).

وعن قتادة ، عن رجل قال : "كنت في خلافة عثمان بالمدينة ، في حلقة فيهم أصحابُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فإذا فيهم شيخ يُسْنِدون إليه ، فقرأ رجل :{عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}، فقال الشيخ : إنما تأويلها آخرَ الزمان"(٧٥٢).

قال جبير بن نفير :" كنت في حلقة فيها أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنّي لأصغر القوم ، فتذاكروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فقلت أنا : أليس الله يقول في كتابه : {يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم} ؟ فأقبلوا عليَّ بلسان واحد وقالوا : أتنتزع بآية من القرآن لا تعرفها، ولا تدري ما تأويلها!! حتى تمنيت أني لم أكن تكلمت. ثم أقبلوا يتحدثون ، فلما حضر قيامهم قالوا : " إنك غلام حدَثُ السن ، وإنك نزعت بآية لا تدري ما هي ، وعسى أن تدرك ذلك الزمان ، إذا رأيت شحًّا مطاعًا ، وهوًى متبعًا وإعجابَ كل ذي رأي برأيه ، فعليك بنفسك ، لا يضرك من ضل إذا اهتديت"(٧٥٣).

قال الحسن:" تأوّل بعضُ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية :{يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضلّ إذا اهتديتم}، فقال بعض أصحابه : دعوا هذه الآية ، فليست لكم"(٧٥٤).

وعن كعب: "في قول الله: {عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}، قال: إذا هدمت كنيسة مسجد دمشق فجعلوها مسجدا وظهر لبس العصب فحينئذ تأويل هذه الآية"(٧٥٥).

عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني :" أن أبا الدرداء وكعبا كانا جالسين بالجابية، فأتاهما آت فقال: لقد رأيت اليوم أمرا إن كان لحقا على من رآه أن يغيره، فقال رجل: إن الله يقول: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ الآية}، فقال كعب: إن هذا لا يقول شيئا، ذبّ عن محارم الله كما تذب عن عينيك حتى يأتي تأويلها، قال:فانتبه لها أبو الدرداء فقال: متى يأتي تأويلها؟ قال: إذا هدمت كنيسة دمشق وبني مكانها مسجد فذاك من تأويلها، وإذا رأيت الكاسيات العاريات فذلك من تأويلها، وذكر خصلة ثالثة لا

---

(٧٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٢٣):ص١٢٢٧/٤.
(٧٤٩) أخرجه الطبري(١٢٨٥١):١٣٩/١١.
(٧٥٠) أخرجه الطبري(١٢٨٥٢):١٤٠/١١.
(٧٥١) أخرجه الطبري(١٢٨٥٤):ص١٤٠/١١-١٤١.
(٧٥٢) أخرجه الطبري(١٢٨٥٦):ص١٤١/١١-١٤٢.
(٧٥٣) أخرجه الطبري(١٢٨٥٨):ص١٤٢/١١-١٤٣.
(٧٥٤) أخرجه الطبري(١٢٨٦١):ص١٤٤/١١-١٤٥.
(٧٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٢٤):ص١٢٢٧/٤.

أحفظها فذلك من تأويلها، قال أبو مسهر:وكان هدم الكنيسة بعهد الوليد بن عبد الملك أدخلها في مسجد دمشق فزاد في سعته بها"[٧٥٦].

والراجح أن المعنى: الزموا العملَ بطاعة الله وبما أمركم به ، وانتهوا عما نهاكم الله عنه:{لا يضركم من ضل إذا اهتديتم}، يقول : فإنه لا يضركم ضلال من ضل إذا أنتم لزمتم العمل بطاعة الله، وأدَّيتم فيمن ضل من الناس ما ألزمكم الله به فيه ، من فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يركبه أو يحاول ركوبه ، والأخذ على يديه إذا رام ظلمًا لمسلم أو معاهد ومنعه منه فأبى النزوع عن ذلك ، ولا ضير عليكم في تماديه في غيِّه وضلاله ، إذا أنتم اهتديتم وأديتم حق الله تعالى ذكره فيه.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلات في ذلك بالصواب ، لأن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين أن يقوموا بالقسط ، ويتعاونوا على البر والتقوى. ومن القيام بالقسط ، الأخذ على يد الظالم. ومن التعاون على البر والتقوى ، الأمر بالمعروف. وهذا مع ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمره بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولو كان للناس تركُ ذلك ، لم يكن للأمر به معنًى ، إلا في الحال التي رخَّص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تركَ ذلك ، وهي حال العجز عن القيام به بالجوارح الظاهرة ، فيكون مرخصًا له تركه ، إذا قام حينئذ بأداء فرض الله عليه في ذلك بقلبه، وإذا كان ما وصفنا من التأويل بالآية أولى ، فبيِّنٌ أنه قد دخل في معنى قوله : {إذا اهتديتم}، ما قاله حذيفة وسعيد بن المسيب من أن ذلك : إذا أمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، ومعنى ما رواه أبو ثعلبة الخشني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[٧٥٧].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ (١٠٦)} [المائدة : ١٠٦]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه إذا قرب الموت من أحدكم، فلْيُشْهد على وصيته اثنين أمينين من المسلمين أو آخرين من غير المسلمين عند الحاجة، وعدم وجود غيرهما من المسلمين، تُشهدونهما إن أنتم سافرتم في الأرض فحلَّ بكم الموت، وإن ارتبتم في شهادتهما فقفوهما من بعد الصلاة -أي صلاة المسلمين، وبخاصة صلاة العصر-، فيقسمان بالله قسمًا خالصًا لا يأخذان به عوضًا من الدنيا، ولا يحابيان به ذا قرابة منهما، ولا يكتمان به شهادة لله عندهما، وأنهما إن فَعَلا ذلك فهما من المذنبين.

سبب النزول:

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-:" خرج رجل من بني سهم مع تميم الداري، وعدي[٧٥٨] بن بداء، فمات السهمي بأرض ليس بها مسلم، فلما قدما بتركته، فقدوا جاما[٧٥٩] من فضة مخوصا[٧٦٠] من ذهب، فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم وجد الجام بمكة، فقالوا: ابتعناه من تميم وعدي، فقام رجلان من أوليائه[٧٦١]، فحلفا لشهادتنا أحق من شهادتهما، وإن الجام لصاحبهم، قال: وفيهم نزلت هذه الآية: {يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت} [المائدة: ١٠٦]"[٧٦٢].[صحيح]

---

(٧٥٦) الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام:٢٨٧/١-٢٨٨، وروي جزءا منه ابن ابي حاتم في تفسيره(٦٩٢٤):ص١٢٢٧/٤. ونصه:"إذا هدمت كنيسة مسجد دمشق فجعلوها مسجدا وظهر لبس العصب فحينئذ تأويل هذه الآية".

(٧٥٧) تفسير الطبري:١٥٢/١١-١٥٣.

(٧٥٨)تميم. . عدي) كانا نصرانيين عندما حدثت القصة المذكورة في الحديث وتميم أسلم بعد ذلك رضي الله عنه وأما عدي فلم يسلم.

(٧٥٩)جاما: كأسا.

(٧٦٠)(مخوصا) منقوشا فيه خطوط دقيقة طويلة كالخوص وهو ورق النخل.

(٧٦١)(أوليائه) من أولياء السهمي والرجلان هما عمرو بن العاص والآخر قيل هو المطلب بن أبي وداعة رضي الله عنهما.

(٧٦٢)أخرجه البخاري (٢٧٨٠)، وأبو داود (٣٦٠٦)، والترمذي في التفسير(٣٠٦٠)، وقال: حسن غريب، وأخرجه الدارقطني: ٤/ ١٦٦، والطبري (١٢٩٦٦):ص١٨٥/١١، والجصاص في «الأحكام»: ٤/ ١٦٠، والطبراني:١٢/ ٧١، والواحدي: (٤٢١):ص٢١٥، والبيهقي:١٠/ ١٦٥ كلهم من حديث ابن عباس به، فهو من مسند ابن عباس، وهو مختصر كما

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [المائدة : ١٠٦]،أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[٧٦٣].

قال خيثمة: "ما تقرأون في القرآن: {يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: يا أيها المساكين"[٧٦٤].

قوله تعالى:{شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ} [المائدة : ١٠٦]،أي:" إذا شارف أحدكم على الموتِ وظهرت علائمه فينبغي أن يُشهد على وصيته، يُشهد على الوصية شخصين عدلين من المسلمين أو اثنان من غير المسلمين إن لم تجدوا شاهدين منكم "[٧٦٥].

قوله تعالى:{اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ} [المائدة : ١٠٦]، أي يُشهد على الوصية شخصين عدلين من المسلمين أو اثنان من غير المسلمين إن لم تجدوا شاهدين منكم"[٧٦٦].

عن سعيد بن المسيب: {اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ }"، قال: ذَوَي عقل"[٧٦٧].

وفي قوله: {مِنْكُمْ} [المائدة : ١٠٦]، قولان:

أحدهما:من أهل دينكم وملتكم، قاله مجاهد[٧٦٨]، والحسن[٧٦٩]، وسعيد بن المسيب[٧٧٠]، ويحيى بن معمر[٧٧١]، وعبيدة[٧٧٢]، وقتادة[٧٧٣]، وشريح[٧٧٤]، والشعبي[٧٧٥]، والسدي[٧٧٦].

الثاني: من عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضا، قاله الحسن[٧٧٧] وعكرمة[٧٧٨]، والزهري[٧٧٩]، والسدي[٧٨٠].

والظاهر-والله أعلم- أن الشاهدين من أهل الملة ، دون من تأوّله أنهما من حيّ الموصي، لأن الله عمّ المؤمنين بخطابهم بذلك، وأما صرف ما عمّه الله تعالى إلى الخصوص فيحتاج إلى دليل.

وفي قوله تعالى:{مِنْ غَيْرِكُمْ} [المائدة : ١٠٦]، ثلاثة اقوال:

أحدها: من غير ملتكم ودينكم، قاله شريح[٧٨١]، وسعيد بن المسيب[٧٨٢]، ومحمد بن سيرين[٧٨٣]، ويحي بن يعمر[٧٨٤]، وعكرمة[٧٨٥]، ومجاهد[٧٨٦]، وسعيد بن جبير[٧٨٧]، والشعبي[٧٨٨]، وإبراهيم النخعي[٧٨٩]، وقتادة[٧٩٠]، وأبي مجلز[٧٩١]، والسدي[٧٩٢].

ترى.

وزاد السيوطي نسبته في الدر (٢/ ٣٤٢) لابن المنذر والنحاس وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٧٦٣) التفسير الميسر:١٢٥.

(٧٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٠٢٦):ص٩٠٢/٣.

(٧٦٥) صفوة التفاسير:٣٤١.

(٧٦٦) صفوة التفاسير:٣٤١.

(٧٦٧) أخرجه الطبري(١٢٨٨٢):١٥٤/١١.

(٧٦٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٩١):ص١٥٦/١١.

(٧٦٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٩٣٣):ص١٢٢٩/٤. ذكره دون إسناد.

(٧٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٨٣):ص١٥٥/١١.

(٧٧١) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٨٤):ص١٥٥/١١.

(٧٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٨٦)-(١٢٨٩٠):ص١٥٥/١١-١٥٦.

(٧٧٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٩٣٣):ص١٢٢٩/٤. ذكره دون إسناد.

(٧٧٤) انظر: زاد المسير:٥٩٦/١.

(٧٧٥) انظر: زاد المسير:٥٩٦/١.

(٧٧٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٩٣٣):ص١٢٢٩/٤. ذكره دون إسناد.

(٧٧٧) انظر:تفسير الطبري(١٢٩٣٢)، و(١٢٩٣٤)، و(١٢٩٣٨):ص١٦٦/١١-١٦٧، والنكت والعيون:٧٥/٢، وزاد المسير:٥٩٦/١.

(٧٧٨) انظر:تفسير الطبري(١٢٩٣٥)- (١٢٩٣٧):ص١٦٧/١١، و النكت والعيون:٧٥/٢، وزاد المسير:٥٩٦/١.

(٧٧٩) انظر:تفسير الطبري(١٢٩٣٣):ص١٦٦/١١، زاد المسير:٥٩٦/١.

(٧٨٠) انظر:زاد المسير:٥٩٦/١.

(٧٨١) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٩):ص١٦٢/١١.

(٧٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٥٩):ص١٦٠/١١.

(٧٨٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٢٢٩/٤. ذكره دون إسناد.

(٧٨٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٨):ص١٦٢/١١.

(٧٨٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٢٢٩/٤. ذكره دون إسناد.

(٧٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٢٢):ص١٦٤/١١.

الثاني: من غير عشيرتكم وقبيلتكم، وهم مسلمون أيضا. قاله الحسن[٧٩٣]، وعبيدة[٧٩٤]، وعكرمة[٧٩٥]، وهو معنى قول الزهري[٧٩٦].
الثالث: من أهل الميراث. قاله ابن شهاب[٧٩٧].
والراجح-والله أعلم- ان المراد أو آخران من غير أهل الإسلام، " وذلك أن الله تعالى عرَّف عباده المؤمنين عند الوصية ، شهادة اثنين من عدول المؤمنين ، أو اثنين من غير المؤمنين. ولا وجه لأن يقال في الكلام صفة شهادة مؤمنين منكم ، أو رجلين من غير عشيرتكم ، وإنما يقال : صفة شهادة رجلين من عشيرتكم أو من غير عشيرتكم أو رجلين من المؤمنين أو من غير المؤمنين، فإذ كان لا وجه لذلك في الكلام ، فغير جائز صرف معنى كلام الله تعالى ذكره إلا إلى أحسن وجوهه"[٧٩٨].
وفي «أو» قولان:
أحدهما: أنها ليست للتخيير، وإنما المعنى: أو آخران من غيركم إن لم تجدوا منكم، وبه قال زيد بن اسلم[٧٩٩]، وشريح[٨٠٠]، ويحيى بن يعمر[٨٠١]، وأبو مجلز[٨٠٢]، سعيد بن المسيب[٨٠٣]، وسعيد بن جبير[٨٠٤]، وإبراهيم[٨٠٥]، والشعبي[٨٠٦]، والسدي[٨٠٧].
الثاني: أنها للتخيير، ذكره الطبري عن آخرين[٨٠٨].
قوله تعالى:{إِنْ أَنْتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ} [المائدة : ١٠٦]، أي:" إن أنتم سافرتم في الأرض فحلَّ بكم الموت"[٨٠٩].
قوله تعالى:{تَحْبِسُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ} [المائدة : ١٠٦]، أي:" توقفونهما من بعد الصلاة"[٨١٠].
وفي هذه «الصلاة» قولان:
أحدهما: صلاة العصر، به قال شريح[٨١١]، وعبيدة[٨١٢]، وابن جبير[٨١٣]، وإبراهيم[٨١٤]، وقتادة[٨١٥]، والشعبي[٨١٦].

---

(٧٨٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٠):ص١٦١/١١.
(٧٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٢٦):ص١٦٥/١١.
(٧٨٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٢):ص١٦١/١١.
(٧٩٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٢٢٩/٤. ذكره دون إسناد.
(٧٩١) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠١):ص١٦١/١١.
(٧٩٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٢٢٩/٤. ذكره دون إسناد.
(٧٩٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٣٢)، و(١٢٩٣٤)، و(١٢٩٣٨):ص١٦٦/١١-١٦٧، وتفسير ابن أبي حاتم(٦٩٣٦):ص١٢٣٠/٤.
(٧٩٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٣٩):ص١٦٧/١١
(٧٩٥) انظر:تفسير الطبري(١٢٩٣٥)- (١٢٩٣٧):ص١٦٧/١١، و النكت والعيون:٧٥/٢، وزاد المسير:٥٩٦/١.
(٧٩٦) انظر:تفسير الطبري(١٢٩٣٣):ص١٦٦/١١، زاد المسير:٥٩٦/١.
(٧٩٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٩٣٥):ص١٢٢٩/٤-١٢٣٠.
(٧٩٨) تفسير الطبري:١٦٨/١١-١٦٩.
(٧٩٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٣١):١٦٦/١١.
(٨٠٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٩):١٦٢/١١.
(٨٠١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي:٧٢٢/٢.
(٨٠٢) انظر: أحكام القرآن لابن العربي:٧٢٢/٢.
(٨٠٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٤٢):١٧٠/١١.
(٨٠٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٤٥):١٧١/١١.
(٨٠٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٤٥):١٧١/١١.
(٨٠٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٢٦):١٦٥/١١.
(٨٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٤٤):١٧١/١١.
(٨٠٨) انظر: تفسير الطبري:١٧١/١١-١٧٢، والنكت والعيون:٧٥/٢.
(٨٠٩) التفسير الميسر:١٢٥.
(٨١٠) التفسير الميسر:١٢٥.
(٨١١) انظر: زاد المسير:٥٩٦/١.
(٨١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٦٩٤٠):ص١٢٣٠/٤.
(٨١٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٤٩):١٧٤/١١.

الثاني: بعد صلاة العصر أو الظهر لأن أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما. حكاه الزمخشري عن الحسن[٨١٧].

والراجح –والله أعلم- هو القول الاول، " لأن الله تعالى عرَّف «الصلاة » في هذا الموضع بإدخال « الألف واللام » فيها ، ولا تدخلهما العرب إلا في معروف ، إما في جنس ، أو في واحد معهود معروف عند المتخاطبين. فإذا كان كذلك ، وكانت «الصلاة » في هذا الموضع مجمعًا على أنه لم يُعْنَ بها جميع الصلوات ، لم يجز أن يكون مرادًا بها صلاة المستحلف من اليهود والنصارى ، لأن لهم صلوات ليست واحدة ، فيكون معلومًا أنها المعنيَّة بذلك. فإذْ كان ذلك كذلك ، صح أنها صلاة بعينها من صلوات المسلمين. وإذ كان ذلك كذلك ، وكان النبي صلى الله عليه وسلمصحيحًا عنه أنه إذْ لاعَنَ بين العَجْلانيين ، لاعَن بينهما بعد العصر دون غيره من الصلوات كان معلومًا أنّ التي عنيت بقوله : { تحبسونهما من بعد الصلاة }، هي الصلاة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخيَّرها لاستحلاف من أراد تغليظ اليمين عليه. هذا مع ما عند أهل الكفر بالله من تعظيم ذلك الوقت ، وذلك لقربه من غروب الشمس"[٨١٨].

قوله تعالى:{فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ} [المائدة : ١٠٦]، أي:" أي يحلفان بالله إن شككتم وارتبتم في شهادتهما"[٨١٩].

قال السدي:" فيقسمان بالله أصاحبكم لهذا أوصى وأن هذه لتركته"[٨٢٠].

قال ابن شهاب:"كانوا يقولون هي فيما بين أهل الميراث من المسلمين يشهد بعضهم الميت الذي يرثونه ويغيب عنه بعضهم، فيشهد من شهده على ما أوصى به لذوي القربى وغيرهم فيخبرون من غاب عنهم منهم بما حضروا من وصيته، فإن سلموا جازت وصيته، وإن إرتابوا في أن يكون بدلوا قول الميت، وآثروا بالوصية من أرادوا، وتركوا من لم يوص له الميت بشيء يحلف اللذان يشهدان على ذلك بعد الصلاة وهي صلاة المسلمين: {فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا}، الآية"[٨٢١].

قوله تعالى:{لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} [المائدة : ١٠٦]، أي:" أي لا نحلف بالله كاذبين من أجل المال ولو كان من نُقسم له قريباً لنا "[٨٢٢].

قال أبو العالية:" يقول: لا نأخذ عليه أجرا"[٨٢٣].

عن سعيد بن جبير في قول الله :"{ذا قربى}، يعني: قرابته"[٨٢٤].

قوله تعالى:{وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ} [المائدة : ١٠٦]، أي:" ولا نكتم الشهادة التي أمرنا الله تعالى بإقامتها، إنّا إن فعلنا ذلك كنا من الآثمين "[٨٢٥].

وفي أي معنى وجبت اليمين على هذين الشاهدين، روي عن الحسن، ومجاهد: "لأن الورثة كانوا يقولون: كان مال ميتنا أكثر، فاستخانوا الشاهدين"[٨٢٦].

وقرأ سعيد بن جبير: «ولا نكتم شهادة» بالتنوين «الله» بقطع الهمزة وقصرها، وكسر الهاء، ساكنة النون في الوصل. وقرأ سعيد بن المسيب، وعكرمة «شهادة» بالتنوين والوصل منصوبة الهاء. وقرأ أبو عمران الجوني «شهادة» بالتنوين وإسكانها في الوصل «الله» بقطع الهمزة وقصرها مفتوحة الهاء، وقرأ

---

(٨١٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٥٠):١٧٤/١١.
(٨١٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٥١):١٧٤/١١.
(٨١٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٤٨):١٧٤/١١.
(٨١٧) انظر: الكشاف:٦٨٧/١.
(٨١٨) تفسير الطبري:١٧٦/١١-١٧٧.
(٨١٩) صفوة التفاسير:٣٤١.
(٨٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٤٣):ص١٢٣١/٤.
(٨٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٤٣):ص١٢٣١/٤-١٢٣٢.
(٨٢٢) صفوة التفاسير:٣٤١.
(٨٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٤٥):ص١٢٣٢/٤.
(٨٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٤٨):ص١٢٣٢/٤.
(٨٢٥) صفوة التفاسير:٣٤١.
(٨٢٦) انظر: زاد المسير:٥٩٧/١.

الشعبي وابن السميفع «شهادة» بالتنوين وإسكانها في الوصل «الله» بقطع الهمزة، ومدها، وكسر الهاء. وقرأ أبو العالية، وعمرو بن دينار مثله، إلا أنهما نصبا الهاء[٨٢٧].

وعلى قول القائل بأن المراد بقوله: { أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ } [المائدة : ١٠٦]، أهل الكتاب إذا شهدوا على الوصية في السفر، فلهم في حكم هذه الآية قولان:

أحدهما: أنها محكمة، وشهادة أهل الكتاب على الوصية خاصة في السفر جائزة عند فقد المسلمين للضرورة، والعمل على هذا باق، وهذا قول شريح[٨٢٨]، وهشام بن هبيرة[٨٢٩]، ومحمد[٨٣٠]، وإبراهيم[٨٣١]، ومجاهد[٨٣٢]، ويحي بن يعمر[٨٣٣]، وابن المسيب[٨٣٤]، وابن جبير[٨٣٥]، وابن سيرين[٨٣٦]، وقتادة[٨٣٧]، والشعبي[٨٣٨]، والثوري[٨٣٩]، والأوزاعي[٨٤٠].

عن ضمرة بن حبيب، وعطية بن قيس قالا: "قال رسول الله- صلّى الله عليه وسلم- المائدة من آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها وحرموا حرامها "[٨٤١].

وعن جبير بن نفير قال: "حججت فدخلت على عائشة، فقالت لي: يا جبير هل تقرأ المائدة؟ قلت: نعم: قالت: أما إنها من آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم فيها من حرام فحرموه"[٨٤٢].

وعن أبي ميسرة قال: "في المائدة ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ"[٨٤٣].

وعن ابن عون قال: "سألت الحسن: هل نسخ من المائدة شيء؟ فقال: لا"[٨٤٤].

القول الثاني: أنها منسوخة بقوله تعالى: {وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُم} [الطلاق : ٢]، وهو قول إبراهيم[٨٤٥]، وزيد بن أسلم[٨٤٦]، وإليه يميل أبو حنيفة[٨٤٧]، ومالك[٨٤٨]، والشافعي[٨٤٩].

---

(٨٢٧) انظر: تفسير الطبري:١١/١٧٧-١٧٨، وزاد المسير:١/٥٩٧.

(٨٢٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٩):ص١١/١٦٢، والإيضاح، مكي بن ابي طالب:٢٣٨، والناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٢٩٢):ص١/١٥٨.

(٨٢٩) انظر: تفسير الطبري(١٢٩١٣):ص١١/١٦٣.

(٨٣٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٢٨):ص١١/١٦٥.

(٨٣١) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٢):ص١١/١٦١، والإيضاح، مكي بن ابي طالب:٢٣٨، والناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٢٩٨):١/١٦٠.

(٨٣٢) انظر: الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٢٩٣):١/١٥٩.

(٨٣٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٨):ص١١/١٦٢.

(٨٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٨٥٩):ص١١/١٦٠، والإيضاح، مكي بن ابي طالب:٢٣٨، والناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٢٩٥):ص١/١٥٩.ونواسخ القرآن لابن الجوزي:٢/٤٢١.

(٨٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٠٠):ص١١/١٦١، والإيضاح، مكي بن ابي طالب:٢٣٨، والناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٢٩٦):ص١/١٥٩، ونواسخ القرآن لابن الجوزي:٢/٤٢١.

(٨٣٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٤/١٢٢٩. ذكره دون إسناد ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي:٢/٤٢١.

(٨٣٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٤/١٢٢٩. ذكره دون إسناد ، ونواسخ القرآن لابن الجوزي:٢/٤٢١.

(٨٣٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٢٦):ص١١/١٦٥، والناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٢٩٧):١/١٦٠، ونواسخ القرآن لابن الجوزي:٢/٤٢١.

(٨٣٩) انظر: الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٣٠٠):١/١٦٠، نواسخ القرآن لابن الجوزي:٢/٤٢١. ولم أتمكن من تخريجه.

(٨٤٠) انظر: الإيضاح، مكي بن ابي طالب:٢٣٨.

(٨٤١)أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى أبى عبيد ج ٣ سورة المائدة ص ٤، واظر: الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٣٠١):ص١/١٦١.

(٨٤٢)رواه الحاكم في المستدرك وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي فى التلخيص (المستدرك ج ٢، كتاب التفسير: المائدة ص ٣١١.

ورواه البيهقي فى السنن الكبرى، كتاب النكاح «باب نكاح حرائر أهل الكتاب» ج ٧ ص ١٧٢، وانظر: الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٣٠٢):ص١/١٦١.

(٨٤٣)أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى الفريابي وأبي عبيد وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ ج ٣ سورة المائدة ص ٤، وانظر: الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٣٠٣):ص١/١٦١-١٦٢.

(٨٤٤)أورده السيوطي في الدر المنثور وعزاه إلى عبد بن حميد وأبي داود في ناسخه وابن المنذر ج ٣ سورة المائدة ص ٤. ، وانظر: الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام(٣٠٤):ص١/١٦٢.

(٨٤٥)انظر: تفسير الطبري(١٢٩٨٤):ص١١/٢٠٧.

واحتجوا بقول الله تبارك وتعالى: {وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ}[الطلاق:٢]، وبقوله عز وجل: {وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَداءِ }[البقرة:٢٨٢]، قالوا ولا يكون أهل الشرك عدولا أبدا، ولا ممن ترضى شهادته(٨٥٠).

أخرج الطبري عن زيد بن أسلم في هذه الآية : " {شهادة بينكم }الآية كلها ، قال : كان ذلك في رجل تُوُفّيَ وليس عنده أحد من أهل الإسلام ، وذلك في أوّل الإسلام ، والأرض حرب ، والناس كفار ، إلا أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه بالمدينة ، وكان الناس يتوارثون بالوصية ، ثم نُسِخت الوصية وفرضت الفرائض ، وعمل المسلمون بها"(٨٥١).

والأول أصح، لأن هذا موضع ضرورة كما يجوز في بعض الأماكن شهادة نساء لا رجل معهن بالحيض والنفاس والاستهلال(٨٥٢).

القرآن

{فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ (١٠٧)} [المائدة : ١٠٧]

التفسير:

فإن اطلع أولياء الميت على أن الشاهدين المذكورين قد أثما بالخيانة في الشهادة أو الوصية فليقم مقامهما في الشهادة اثنان من أولياء الميت فيقسمان بالله: لشهادتنا الصادقة أولى بالقبول من شهادتهما الكاذبة، وما تجاوزنا الحق في شهادتنا، إنا إن اعتدينا وشهدنا بغير الحق لمن الظالمين المتجاوزين حدود الله.

قوله تعالى:{فَإِنْ عُثِرَ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا} [المائدة : ١٠٧]، أي:" فإن اطلع أولياء الميت على أن الشاهدين المذكورين قد أثما بالخيانة في الشهادة أو الوصية"(٨٥٣).

قال قتادة:" أي : اطلع منهما على خيانة أنهما كذبا أو كتما"(٨٥٤).

قال سعيد بن جبير:" إذا كان الرجل بأرض الشرك ، فأوصى إلى رجلين من أهل الكتاب ، فإنهما يحلفان بعد العصر. فإذا اطُّلع عليهما بعد حلفهما أنهما خانا شيئًا ، حلف أولياء الميت أنه كان كذا وكذا ، ثم استحقوا"(٨٥٥). وروي عن إبراهيم مثل ذلك(٨٥٦).

قوله تعالى:{فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ} [المائدة : ١٠٧]، أي:" فرجلان آخران من الورثة المستحقين للتركة يقومان مقام الشاهدين الخائنين وليكونا من أولى من يستحق الميراث"(٨٥٧).

قال السدي:" {على الأوليان}، يقول: من الذين شهد عليها"(٨٥٨).

وفي قوله تعالى:{مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ} [المائدة : ١٠٧]، قولان:

أحدهما : الأوليان بالميت من الورثة ، قاله سعيد بن جبير(٨٥٩).

الثاني : الأوليان بالشهادة من المسلمين ، قاله شريح(٨٦٠)، وقتادة(٨٦١).

---

(٨٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٣١):١٦٥/١١، نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢.

(٨٤٧) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢.

(٨٤٨) انظر:الناسخ والمنسوخ للقاسم بن سلام:١٦٢/١، ونواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢.

(٨٤٩) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢.

(٨٥٠) انظر: الناسخ والمنسوخ للقسم بن سلام:١٦٢/١، ونواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٢١/٢.

(٨٥١)تفسير الطبري(١٢٩٣١):١٦٥/١١.

(٨٥٢) زاد المسير:٥٩٦/١.

(٨٥٣) التفسير الميسر:١٢٥.

(٨٥٤) أخرجه الطبري(١٢٩٦٢):ص١٨١/١١.

(٨٥٥) أخرجه الطبري(١٢٩٥٩):ص١٨١/١١.

(٨٥٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٦٠):ص١٨١/١١.

(٨٥٧) صفوة التفاسير:٣٤٢.

(٨٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٩٥٧):ص١٢٢٣/٤.

(٨٥٩) انظر: النكت والعيون:٧٧/٢.

(٨٦٠) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٧٤):ص٢٠١/١١-٢٠٢.

وروى نصر بن على عن أبيه عن قرة قال: "سألت ابن كثير فقرأ {استحق} بفتح التاء {الأولين} بالألف على التثنية"[٨٦٢].

قوله تعالى:{فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا} [المائدة : ١٠٧]، أي:" فيقسمان بالله: لَشهادتنا الصادقة أولى بالقبول من شهادتهما الكاذبة"[٨٦٣].

قال السدي:" حلفا بالله لشهادتنا إنهما لخائنان متهمان في دينهما مطعون عليها أحق من شهادتهما بما شهدا"[٨٦٤].

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي له حَكَم اللهُ تعالى ذكره على الشاهدين بالأيمان فنقلها إلى الآخرين، بعد أن عثر عليهما أنهما استحقا إثمًا، وفيه قولان:

أحدهما: إذا ارتيب في شهادتهما على الميت في وصيته أنه أوصى بغير الذي يجوز في حكم الإسلام، وذلك أن يشهد أنه أوصى بماله كله ، أو أوصى أن يفضل بعض ولده ببعض ماله. وهذا قول السدي[٨٦٥].

الثاني: إذا ارتابت الورثة من الشاهدين، لادعاءهما أن الميت أوصى لهما ببعض المال. وهذا قول يحيى بن معمر[٨٦٦].

والصواب-والله أعلم- "أنّ الشاهدين ألزما اليمينَ في ذلك باتهام ورثة الميت إياهما فيما دفع إليهما الميت من ماله ، ودعواهم قبلهما خيانة مالٍ معلوم المبلغ ، ونقلت بعد إلى الورثة عند ظهور الريبة التي كانت من الورثة فيهما ، وصحة التهمة عليهما بشهادة شاهد عليهما أو على أحدهما ، فيحلف الوارث حينئذ مع شهادة الشاهد عليهما ، أو على أحدهما ، إنما صحح دعواه إذا حُقّق حقه أو : الإقرار يكون من الشهود ببعض ما ادَّعى عليهما الوارث أو بجميعه ، ثم دعواهما في الذي أقرّا به من مال الميت ما لا يقبل فيه دعواهما إلا ببينة ، ثم لا يكون لهما على دعواهما تلك بيِّنة ، فينقل حينئذ اليمين إلى أولياء الميت، لأنا لا نعلم من أحكام الإسلام حكمًا يجب فيه اليمين على الشهود ، ارتيب بشهادتهما أو لم يُرْتَبْ بها ، فيكون الحكم في هذه الشهادة نظيرًا لذلك ولا - إذا لم نجد ذلك كذلك - صحّ بخبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا بإجماع من الأمة. لأن استحلاف الشهود في هذا الموضع من حكم الله تعالى ذكره ، فيكون أصلا مسلمًا. والقول إذا خرج من أن يكون أصلا أو نظيرًا لأصل فيما تنازعت فيه الأمة ، كان واضحًا فسادُه"[٨٦٧].

قال ابن عباس:" خرج رجل من بني سهم مع تميم الداريّ وعديّ بن بدَّاء ، فمات السَّهمي بأرض ليس فيها مسلم. فلما قدِما بتركته ، فقدوا جامًا من فضة مخوَّصًا بالذهب، فأحلفهما رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم وُجِد الجام بمكة ، فقالوا:اشتريناه من تميم الداريّ وعديّ بن بدّاء! فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا : {لشهادتنا أحق من شهادتهما}، وأنّ الجام لصاحبهم. قال : وفيهم أنزلت : {يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم}"[٨٦٨].

القرآن

{ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (١٠٨)} [المائدة : ١٠٨]

التفسير:

ذلك الحكم عند الارتياب في الشاهدين من الحلف بعد الصلاة وعدم قبول شهادتهما، أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة على حقيقتها خوفًا من عذاب الآخرة، أو خشية من أن ترد اليمين الكاذبة من قِبَل أصحاب الحق بعد حلفهم، فيفتضح الكاذب الذي ردت يمينه في الدنيا وقت ظهور خيانته. وخافوا الله -أيها الناس- وراقبوه أن

---

(٨٦١) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٧٥):ص٢٠٢/١١.

(٨٦٢) السبعة في القراات:٢٤٩.

(٨٦٣) التفسير الميسر:١٢٥.

(٨٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٩٥٩):ص١٢٢٤/٤.

(٨٦٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٦٤):ص١٨٢/١١-١٨٣.

(٨٦٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٦٥):ص١٨٣/١١.

(٨٦٧) تفسير الطبري:١٨٣/١١-١٨٤.

(٨٦٨) أخرجه الطبري(١٢٩٦٦):ص١٨٥/١١. وسبقت الإشارة إليه في سبب نزول الآية رقم(١٠٦).

تحلفوا كذبًا، وأن تقتطعوا بأيمانكم مالا حرامًا، واسمعوا ما توعظون به. والله لا يهدي القوم الفاسقين الخارجين عن طاعته.

قوله تعالى:{ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهِهَا} [المائدة : ١٠٨]، أي:" ذلك الحكم عند الارتياب في الشاهدين من الحلف بعد الصلاة وعدم قبول شهادتهما، أقرب إلى أن يأتوا بالشهادة على حقيقتها خوفًا من عذاب الآخرة"[٨٦٩].

قال قتادة:" يقول: ذلك أحرَى أن يصدقوا في شهادتهم"[٨٧٠].

قال السدي:" يوقف الرجلان بعد صلاتهما في دينهما، فيحلفان بالله:"لا نشتري به ثمنًا قليلا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذًا لمن الآثمين، أنّ صاحبكم لبهذا أوصى، وأنّ هذه لتركته". فيقول لهما الإمام قبل أن يحلفا:"إنكما إن كنتما كتمتما أو خنتما، فضحتكما في قومكما، ولم أجز لكما شهادة، وعاقبتكما". فإن قال لهما ذلك، فإنّ {ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها}"[٨٧١].

قوله تعالى:{أَوْ يَخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ} [المائدة : ١٠٨]، أي:" أو خشية من أن ترد اليمين الكاذبة من قِبَل أصحاب الحق بعد حلفهم، فيفتضح الكاذب الذي ردت يمينه في الدنيا وقت ظهور خيانته"[٨٧٢].

قال قتادة:" وأن يخافوا العَقِب"[٨٧٣].

القرآن

{يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١٠٩)} [المائدة : ١٠٩]

التفسير:

واذكروا -أيها الناس- يوم القيامة يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام، فيسألهم عن جواب أممهم لهم حينما دعوهم إلى التوحيد فيجيبون: لا علم لنا، فنحن لا نعلم ما في صدور الناس، ولا ما أحدثوا بعدنا. إنك أنت عليم بكل شيء مما خفي أو ظهر.

قوله تعالى:{يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا} [المائدة : ١٠٩]، أي:" واذكروا - أيها الناس- يوم القيامة يوم يجمع الله الرسل عليهم السلام، فيسألهم: ما الذي أجابتكم به أممكم؟ قالوا: لا علم لنا إلى جنب علمك"[٨٧٤].

وفي قوله تعالى:{قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا} [المائدة : ١٠٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : لم يكن ذلك إنكاراً لِمَا علموه، ولكن ذهلوا عن الجواب من هول ذلك اليوم ثم أجابوا بعدما ثابت عقولهم ، قاله الحسن[٨٧٥]، ومجاهد[٨٧٦]، والسدي[٨٧٧].

قال مجاهد:" فيفرعون ثم فيقولون لا علم لنا"[٨٧٨].

قال مجاهد:" فترد إليهم أفئدتهم فيعلمون"[٨٧٩].

قال السدي:" ذلك أنهم نزلوا منزلا ذهبت فيه العقول فلما سئلوا قالوا: لا علم لنا. ثم نزلوا منزلا آخر فشهدوا على قومهم"[٨٨٠].

الثاني : لا علم لنا إلا ما علمتنا ، قاله مجاهد –في قوله الآخر-[٨٨١].

---

(٨٦٩) التفسير الميسر:١٢٥.
(٨٧٠) أخرجه الطبري(١٢٩٨٠):ص٢٠٥/١١.
(٨٧١) أخرجه الطبري(١٢٩٨٢):ص٢٠٦/١١.
(٨٧٢) التفسير الميسر:١٢٥.
(٨٧٣) أخرجه الطبري(١٢٩٨٠):ص٢٠٥/١١.
(٨٧٤) التفسير الميسر:١٢٦.
(٨٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٨٧):ص٢١٠/١١.
(٨٧٦) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٨٨):ص٢١٠/١١.
(٨٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٨٦):ص٢١٠/١١.
(٨٧٨) تفسير سفيان الثوري(٢٦١: ٣٠: ٢٧):ص١-٥.
(٨٧٩) تفسير ابن أبي حاتم(٦٩٧٢):ص١٢٣٦/٤.
(٨٨٠) تفسير ابن أبي حاتم(٦٩٧٣):ص١٢٣٦/٤.
(٨٨١) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٨٩):ص٢١١/١١.

الثالث : أن معنى قوله :{مَاذَا أُجِبْتُمْ}، أي:ماذا عملوا بعدكم ، {قَالُواْ لاَ عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلاَّمُ الْغُيُوْبِ}، قاله ابن جريج[٨٨٢].

والصواب-والله أعلم- أن المعنى: " لا علم لنا، إلا علم أنت أعلم به منّا، لأنه تعالى ذكره أخبر عنهم أنهم قالوا:{لا علم لنا إنَّك أنتَ علام الغيوب}، أي: إنك لا يخفى عليك ما عندنا من علم ذلك ولا غيره من خفيِّ العلوم وجليِّها. فإنما نَفى القومُ أن يكون لهم بما سُئلوا عنه من ذلك علم لا يعلمه هو تعالى ذكره لا أنَّهم نَفَوا أن يكونوا علموا ما شاهدُوا. كيف يجوز أن يكون ذلك كذلك، وهو تعالى ذكره يخبر عنهم أنَّهم يُخْبرون بما أجابتهم به الأمم، وأنهم يستشهدون على تبليغهم الرسالة شهداء، فقال تعالى ذكره: {وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا} [سورة البقرة:١٤٣][٨٨٣].

القرآن

{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (١١٠)} [المائدة : ١١٠]

التفسير:

إذ قال الله يوم القيامة: يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك إذ خلقتك من غير أب، وعلى والدتك حيث اصطفيتها على نساء العالمين، وبرأتها مما نُسِب إليها، ومن هذه النعم على عيسى أنه قوَّاه وأعانه بجبريل عليه السلام، يكلم الناس وهو رضيع، ويدعوهم إلى الله وهو كبير بما أوحاه الله إليه من التوحيد، ومنها أن الله تعالى علَّمه الكتابة والخط بدون معلم، ووهبه قوة الفهم والإدراك، وعلَّمه التوراة التي أنزلها على موسى عليه السلام، والإنجيل الذي أنزل عليه هداية للناس، ومن هذه النعم أنه يصوِّر من الطين كهيئة الطير فينفخ في تلك الهيئة، فتكون طيرًا بإذن الله، ومنها أنه يشفي الذي وُلِد أعمى فيبصر، ويشفي الأبرص، فيعود جلده سليمًا بإذن الله، ومنها أنه يدعو الله أن يحييَ الموتى فيقومون من قبورهم أحياء، وذلك كله بإرادة الله تعالى وإذنه، وهي معجزات باهرة تؤيد نبوة عيسى عليه السلام، ثم يذكِّره الله جل وعلا نعمته عليه إذ منع بني إسرائيل حين همُّوا بقتله، وقد جاءهم بالمعجزات الواضحة الدالة على نبوته، فقال الذين كفروا منهم: إنَّ ما جاء به عيسى من البينات سحر ظاهر.

قوله تعالى:{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ} [المائدة : ١١٠]، أي:" إذ قال الله يوم القيامة: يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك إذ خلقتك من غير أب، وعلى والدتك حيث اصطفيتها على نساء العالمين، وبرأتها مما نُسِب إليها"[٨٨٤].

قال وهب:" قدم رجل من أهل الكتاب اليمن فقال أبي آتية فاسمع منه فقلت: تحيلني على رجل نصراني. قال: نعم آتية واسمع منه- فأتيته فقال: لما رفع الله عيسى صلى الله عليه وسلم أقامه بين يدي جبريل وميكائيل. فقال له: {اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك}. فعلت بك وفعلت بك ثم أخرجتك من بطن أمك ففعلت بك، وفعلت بك وستكون أمة بعدك ينتحلونك وينتحلون ربوبيتك ويشهدون أنك قدمت وكيف يكون رب يموت فجزى لأناصهم الحساب يوم القيامة ولأقيمنهم مقام الخصم مع الخصم حتى ينفذوا ما قالوا ولن ينفذوه أبدا قال: قلت كيف تكلم بذا الكلام في عيسى وأنت نصراني قال: لا أجد أحدا أثق به. قال قلت: فأنا. قال: فأسلم وجاء من الأحاديث لم أسمع مثلها"[٨٨٥].

قوله تعالى:{إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ} [المائدة : ١١٠]، أي:" أي حين قوّيتك بالروح الطاهرة المقدسة «جبريل» عليه السلام"[٨٨٦].

واختلف أهل التفسير في معنى {رُوحِ الْقُدُسِ}[البقرة:٨٧]، على وجهين:

---

(٨٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٩١):ص٢١١/١١.
(٨٨٣) تفسير الطبري:٢١١/١١-٢١٢.
(٨٨٤) التفسير الميسر:١٢٦.
(٨٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٦١٩٥):ص١٢٤٧/٤.
(٨٨٦) صفوة التفاسير:٣٤٤.

أحدهما: أنه جبريل عليه السلام[٨٨٧] والقدس: الطهارة، هو قول قتادة[٨٨٨]، والربيع بن أنس[٨٨٩]، والسدي[٨٩٠]، والضحاك[٨٩١]، ومحمد ابن كعب القرظي[٨٩٢]، وعطية العوفي[٨٩٣]، وإسماعيل بن أبي خالد[٨٩٤]، و شهر بن حوشب الأشعري[٨٩٥]. واختاره الزجاج[٨٩٦]، والطبري[٨٩٧]، والشنقيطي[٨٩٨]، وغيرهم.

ويؤيده قوله -صلى الله عليه وسلم-: "اللهم أيد حسان بروح القدس كما نافح عن نبيك"[٨٩٩].

ومنه قول حسان[٩٠٠]:

وجبريل رسول الله ينادي ... وروح القدس ليس به خفاء

وعن شهر بن حوشب الأشعري : أن نفرًا من اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : أخبرنا عن الروح. فقال : "أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه جبريل ؟ وهو الذي يأتيني ؟" قالوا : نعم"[٩٠١].

---

(٨٨٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٦٩/١-٢٧٠، جامع البيان للطبري: ٣٢٠/٢، النكت والعيون للماوردي: ١٥٦/١، زاد المسير لابن الجوزي: ١١٢/١. وذهب إليه: الزجاج في معاني القرآن: ١٦٨/١، والطبري في جامع البيان: ٣٢١/٢، والماوردي في النكت والعيون: ١٥٦/١، وابن عطية في المحرر الوجيز: ٢٨٧/١، والرازي في مفاتيح الغيب: ١٩١/١، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن: ٢٤/٢، وابن كثير في تفسير القرآن العظيم: ١٥٥/١، والسمين الحلبي في الدر المصون: ٢٩٤/١، وغيرهم.

(٨٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٨٥):ص٣٢٠/٢

(٨٨٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٨٨):ص٣٢٠/٢

(٨٩٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٨٦):ص٣٢٠/٢

(٨٩١) انظر: تفسير الطبري(١٤٨٧):ص٣٢٠/٢

(٨٩٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٨٤):ص١٦٨/١.

(٨٩٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٦٨/١.

(٨٩٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٨٣):ص١٦٨/١.

(٨٩٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٨٩):ص٣٢٠/٢

(٨٩٦) انظر: معاني القرآن: للزجاج:١٦٨/١.

(٨٩٧) انظر: تفسير الطبري: ص٣٢٠/٢

(٨٩٨) انظر: أضواء البيان: ٤٥٣/٢.

(٨٩٩)وكذا عزاه المزي في تحفة الأشراف (١٠/١٢) للبخاري ، وقال الحافظ ابن حجر في "النكت الظراف" : "لم أر هذا الموضع في صحيح البخاري ، وقد وصله أحمد والطبراني وصححه الحاكم".

(٩٠٠)ديوانه: ١ / ١٧، ١٨، و " سيرة ابن هشام " ٢ / ٤٢١، ٤٢٤، والسهيلي ٢ / ٢٨٠، وابن سيد الناس ٢ / ١٨١، و " تهذيب ابن عساكر " ٤ / ١٣٠، ١٣١.

ونص الحديث: (حديث مرفوع) "أَخْبَرَنَا أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرٍ الصَّيْدَلانِيُّ ، بِقِرَاءَتِي عَلَيْهِ بِأَصْبَهَانَ ، قُلْتُ لَهُ : أَخْبَرَتْكُمْ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ ، قِرَاءَةً عَلَيْهَا ، أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رِيذَةَ ، أَخْبَرَنَا أَبُو الْقَاسِمِ سُلَيْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ الطَّبَرَانِيُّ ، حَدَّثَنَا مُطَّلِبُ بْنُ شُعَيْبٍ الأَزْدِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَالِحٍ ، حَدَّثَنِي اللَّيْثُ ، حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي هِلالٍ ، عَنْ عُمَارَةَ بْنِ غَزِيَّةَ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ " : اهْجُوا قُرَيْشًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهِمْ مِنْ رَشْقٍ النَّبْلِ " ، فَأَرْسَلَ إِلَى ابْنِ رَوَاحَةَ ، فَقَالَ : اهْجُهُمْ فَهَجَاهُمْ ، فَلَمْ يَرْضَ ، فَأَرْسَلَ إِلَى كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ ، فَلَمَّا دَخَلَ حَسَّانٌ ، قَالَ : قَدْ آنَ أَنْ تُرْسِلُوا إِلَى هَذَا الأَسَدِ الضَّارِبِ بِذَنَبِهِ ، دَلَعَ لِسَانَهُ فَجَعَلَ يُحَرِّكُهُ ، فَقَالَ : وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَفْرِيَنَّهُمْ فَرْيَ الأَدِيمِ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لا تَعْجَلْ فَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ أَعْلَمُ قُرَيْشٍ بِأَنْسَابِهَا ، وَإِنَّ لِي فِيهِمْ نَسَبًا حَتَّى يَخْلُصَ لَكَ نَسَبِي " ، فَأَتَاهُ حَسَّانٌ ثُمَّ رَجَعَ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَدْ خَلَصَ لِي نَسَبُكَ ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لأَسُلَّنَّكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةُ مِنَ الْعَجِينِ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لِحَسَّانٍ : " إِنَّ رُوحَ الْقُدْسِ لا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ مَا نَافَحْتَ عَنِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ " ، قَالَ : فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " هَجَاهُمْ حَسَّانٌ فَشَفَى وَاشْتَفَى . " قَالَ حَسَّانٌ : هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا رَسُولَ اللَّهِ شِيمَتُهُ الْوَفَاءُ فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ تَكَلْتُ بُنَيَّتِي إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقْعَ مِنْ كَنَفَيِ كَدَاءُ تُنَازِعُنِي الأَعِنَّةَ مُصْعِدَاتٍ عَلَى أَكْتَافِهَا الأَسَلُ الظِّمَاءُ تَظَلُّ جِيَادُنَا مُتَمَطِّرَاتٍ تُلَطِّمُهُنَّ بِالْخُمُرِ النِّسَاءُ فَإِنْ أَعْرَضْتُمُ عَنَّا اعْتَمَرْنَا وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ وَإِلا فَاصْبِرُوا لِضِرَابِ يَوْمٍ يُعِزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أَرْسَلْتُ عَبْدًا يَقُولُ الْحَقَّ لَيْسَ بِهِ خَفَاءُ وَقَالَ اللَّهُ قَدْ يَسَّرْتُ جُنْدًا هُمُ الأَنْصَارُ عُرْضَتُهَا اللِّقَاءُ تَلاقِي مِنْ مَعَدٍّ كُلَّ يَوْمٍ سِبَابٌ أَوْ قِتَالٌ أَوْ هِجَاءُ فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَيَمْدَحُهُ وَيَنْصُرُهُ سَوَاءُ وَجِبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا وَرُوحُ الْقُدْسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ رَوَاهُ مُسْلِمٌ بِنَحْوِهِ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ شُعَيْبِ بْنِ اللَّيْثِ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ جَدِّهِ ، بِإِسْنَادِهِ ، وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ : يُبَارِينَ الأَعِنَّةَ".

(٩٠١) أخرجه الطبري في تفسيره(١٤٨٩):ص٣٢٠/٢، من طريق سلمة عن ابن إسحاق به.

وفي صحيح ابن حبان أظنه عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن روح القدس نفخ في روعي : إن نفسًا لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب"[٩٠٢].

الثاني: أن روح القدس: اسم الله الأعظم الذي كان عيسى يُحيي به الموتى[٩٠٣]، روي نحوه عن سعيد بن جبير[٩٠٤].

والقول الأول أظهر، وهو قول الجمهور، لأن التسمية فيه أظهر مما عداه[٩٠٥]، ولأن التأييد به على الحقيقة، ولأن الله-جل ثناؤه-أخبر أنه أيد عسى به في قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ} [المائدة:١١٠] وهي تدل من جهتين على أن «روح القدس» غير الإنجيل:

الأولى: قوله-عز وجل-: {تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ}[المائدة:١١٠] ونزول الإنجيل على عيسى كان في مرحلة الرجولة لا المهد.

والثانية: أنه لو كان المراد به الإنجيل لكان ذكر الإنجيل مرة أخرى لا معنى له،"وذلك خلف من الكلام والله-تعالى ذكره-يتعالى عن أن يخاطب عباده بما لا يفيدهم به فائدة"[٩٠٦]، لكن قد يقال: إن الكلام في معرض الامتنان فإعادة ذكر الإنجيل مرة أخرى لا تخلو من فائدة؛ لأنه في الأول امتنان بالتأييد وفي الثاني امتنان بالتعليم وهما شيئان مختلفان لكن الجهة الأولى لا جواب عنها. وكونه اسم الله الأعظم الذي كان عيسى يحي به الموتى يحتاج إلى نقل صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم. أما كون المراد روح عيسى-عليه السلام-فوجه تأييد عيسى به متكلف. والله أعلم.

وفي معنى {القُدُس}[المائدة:١١٠]، قولان:

أحدهما : هو الله تعالى، ولذلك سُمِّي عيسى عليه السلام روح القدس، لأن الله تعالى كوَّنه من غير أب، وهذا قول الحسن[٩٠٧]، والربيع[٩٠٨]، وجعفر[٩٠٩].

الثاني : أن القدس البركة، وهو قول السدي[٩١٠].

قوله تعالى:{تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا} [المائدة : ١١٠]، أي:" وإذ تكلّم الناس في المهد صبيّاً وفي الكهولة نبيا"[٩١١].

قال الحسن:" كلمهم في المهد صبيا، وكلمهم كبيرا"[٩١٢].

قال محمد بن جعفر بن الزبير:" يخبرهم بحالاته التي يتقلب بها في عمره، كتقلب بني آدم في أعمارهم صغارا وكبارا، إلا أن الله خصه بالكلام في مهده آية لنبوته، وتعريفا للعباد مواقع قدرته"[٩١٣].

قال مجاهد:" الكهل الحليم"[٩١٤].

قوله تعالى:{وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي} [المائدة : ١١٠]، أي:" واذكر أيضاً حين كنت تصوّر الطين كصورة الطير بتيسيري وأمري، فتنفخ في تلك الصورة والهيئة فتصبح طيراً بأمر الله ومشيئته فتنفخ في تلك الصورة والهيئة فتصبح طيراً بأمر الله ومشيئته "[٩١٥].

---

(٩٠٢)ورواه البغوي في شرح السنة (٣٠٤/١٤) من طريق أبي عبيد عن هشيم عن إسماعيل بن أبي خالد عن زبيد اليامي ، عمن أخبره ، عن ابن مسعود به مرفوعًا.

(٩٠٣)انظر: تفسير للطبري: ٣٢١/٢، وتفسير ابن أبي حاتم: ٢٧٠/١-٢٧١، وغيرهما.

(٩٠٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٦٩/١.

(٩٠٥) انظر: تفسير الرازي: ١٦٣/٢.

(٩٠٦) تفسير الطبري: ٣٢٢/٢.

(٩٠٧) انظر: النكت والعيون:١٥٦/١.

(٩٠٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٨٧):ص١٦٩/١.

(٩٠٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٣):ص٣٢٢/٢.

(٩١٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٢):ص٣٢٢/٢، وتفسير ابن أبي حاتم(٨٨٨):ص١٦٩/١.

(٩١١) صفوة التفاسير:٣٤٤.

(٩١٢) أخرجه الطبري(٧٠٧٧):ص٤١٩/٦.

(٩١٣) أخرجه الطبري(٧٠٧٢):ص٤١٩/٦.

(٩١٤) أخرجه الطبري(٧٠٧٥):ص٤١٩/٦.

(٩١٥) صفوة التفاسير:٣٤٥.

قال ابن جريج:"قوله :{أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير}، قال: أيّ الطير أشدّ خلقًا ؟ قالوا : الخفاش ، إنما هو لحم. قال ففعل"[٩١٦].

قال ابن إسحاق : "إنّ عيسى صلوات الله عليه جلسَ يومًا مع غلمان من الكُتّاب ، فأخذ طينًا ، ثم قال : أجعل لكم من هذا الطين طائرًا ؟ قالوا : وتستطيع ذلك! قال : نعم! بإذن ربي. ثم هيّأه ، حتى إذا جعله في هيئة الطائر نفخ فيه ، ثم قال : " كن طائرًا بإذن الله " ، فخرج يطيرُ بين كفيه. فخرج الغلمان بذلك من أمره ، فذكروه لمعلّمهم فأفشوه في الناس. وترعرع ، فهمَّت به بنو إسرائيل ، فلما خافت أمه عليه حملته على حُمَيرٍّ لها ، ثم خرجت به هاربة"[٩١٧].

وعن ابن إسحاق أيضا:" ثم جعل الله على يديه يعني: عيسى أمورا تدل به على قدرته في بعثه، بعث من يريد أن يبعث بعد الموت، وخلقه ما يشاء أن يخلق من شيء، يرى أو لا يرى فجعله ينفخ في الطين فيكون طيرا بإذن الله"[٩١٨].

قوله تعالى:{وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي} [المائدة : ١١٠]، أي:" وتشفي الأعمى الذي لايبصر والأبرص الذي استعصى شفاؤه بأمري ومشيئتي"[٩١٩].

وقد اختلف أهل التفسير في معنى {الأكمه} على أقوال:

أحدها: أنه الذي يُبصر بالنهار، ولايبصر بالليل. قاله مجاهد[٩٢٠].

الثاني: أنه الأعمى الذي ولدته أمه كذلك ولم يبصر ضوءا قط. قاله قتادة[٩٢١].

الثالث: أنه الأعمى على الإطلاق. وهذا قول الحسن[٩٢٢]، والسدي[٩٢٣]، وكذلك روي عن قتادة-في أحد قوليه-[٩٢٤]، وعكرمة- في أحد قوليه-[٩٢٥].

الرابع: أنه الأعمش. قاله عكرمة[٩٢٦].

والراجح –والله أعلم- هو القول الثاني، أي: الذي يولد أعمى، وعليه الجمهور، كما يقول ابن حجر في فتح الباري؛ لأن إبراء الذي يولد أعمى هو الذي فيه المعجزة، أما من يصيب عينيه مرض عارض، فهذا قد يعالجه الطب البشري[٩٢٧].

والمشهور في كلام العرب، أن الأكمه، هو الأعمى، قال سويد بن أبي كاهل[٩٢٨]:

كَمَّهَتْ عَيْنَيْهِ حَتَّى ابْيَضَّتَا ... فَهْوَ يَلْحَى نَفْسَهُ لَمَّا نزعْ

ومنه قول رؤبة[٩٢٩] :

هَرَّجْتُ فَارْتَدَّ ارْتِدَادَ الأَكْمَهِ ... فِي غَائِلاتِ الحَائِرِ المُتَهْتِهِ

قوله تعالى:{وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي} [المائدة : ١١٠]، أي:" تحيي الموتى بأمري ومشيئتي"[٩٣٠].

قال وهب بن منبه: "لما صار عيسى ابن اثنتي عشرة سنة ، أوحى الله إلى أمه وهي بأرض مصر ، وكانت هربت من قومها حين ولدته إلى أرض مصر:أن اطّلعي به إلى الشام. ففعلت الذي أمرت به. فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة ، وكانت نبوّته ثلاث سنين ، ثم رفعه الله إليه قال : وزعم وهب أنه ربما

---

(٩١٦) أخرجه الطبري(٧٠٨٧):ص٦/٤٢٦.
(٩١٧) أخرجه الطبري(٧٠٨٦):ص٦/٤٢٥-٤٢٦.
(٩١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٥٤١):ص٢/٦٥٥.
(٩١٩) صفوة التفاسير:٣٤٥.
(٩٢٠) انظر: تفسير مجاهد:٢٥٢، وتفسير الطبري(٧٠٨٨):ص٦/٤٢٨.
(٩٢١) انظر: تفسير الطبري(٧٠٩٠):ص٦/٤٢٨.
(٩٢٢) انظر: تفسير الطبري(٧٠٩٦):ص٦/٤٢٩.
(٩٢٣) انظر: تفسير الطبري(٧٠٩٣):ص٦/٤٢٩.
(٩٢٤) انظر: تفسير الطبري(٧٠٩٥):ص٦/٤٢٩.
(٩٢٥) انظر: تفسير ابن المنذر(٤٩٥):ص١/٢١٠.
(٩٢٦) انظر: تفسير الطبري(٧٠٩٧):ص٦/٤٢٩.
(٩٢٧) انظر: فتح الباري:٦/٤٧٢.
(٩٢٨) انظر: المفضليات : ٤٠٥ ، اللسان (كمه).
(٩٢٩)ديوانه : ١٦٦ ، واللسان (كمه) (هرج) (تهته)، ومجاز القرآن ١ / ٩٣، وسيرة ابن هشام ٢ / ٢٣٠.
(٩٣٠) صفوة التفاسير:٣٤٥.

اجتمع على عيسى من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفًا ، من أطاق منهم أن يبلغه بلغه ، ومن لم يطق منهم ذلك أتاه عيسى يمشي إليه ، وإنما كان يداويهم بالدعاء إلى الله"[٩٣١].

وعن أبي الهذيل قال : "كان عيسى ابن مريم ، عليه السلام ، إذا أراد أن يحيي الموتى صلى ركعتين ، يقرأ في الأولى : { تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ } [سورة الملك] ، وفي الثانية : { الم. تَنزِيلُ الْكِتَابِ } [سورة السجدة]. فإذا فرغ منهما مدح الله وأثنى عليه ، ثم دعا بسبعة أسماء : يا قديم ، يا خفي ، يا دائم ، يا فرد ، يا وتر ، يا أحد ، يا صمد - وكان إذا أصابته شدة دعا بسبعة أخر : يا حي ، يا قيوم ، يا الله ، يا رحمن ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا نور السموات والأرض ، وما بينهما ورب العرش العظيم ، يا رب"[٩٣٢].

القرآن

{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١)} [المائدة : ١١١]

التفسير:

واذكر -يا عيسى- نعمتي عليك، إذ ألهمتُ، وألقيتُ في قلوب جماعة من خلصائك أن يصدقوا بوحدانية الله تعالى ونبوتك، فقالوا: صدَّقنا يا ربنا، واشهد بأننا خاضعون لك منقادون لأمرك.

قوله تعالى:{وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي} [المائدة : ١١١]، أي:" واذكر -يا عيسى- نعمتي عليك، إذ ألهمتُ، وألقيتُ في قلوب جماعة من خلصائك أن يصدقوا بوحدانية الله تعالى ونبوتك[٩٣٣].

عن السدي: {وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ}، قال: " قدفت في قلوبهم"[٩٣٤].

والْحَوَارِيُّونَ: هم أتباع عيسى عليه السلام[٩٣٥].

واخْتُلِف في تسميتهم بالحواريين على أقوال :

أحدها : انهم سُمُّوا بذلك لبياض ثيابهم، وهذا قول سعيد بن جبير[٩٣٦]، ومسلم البطين[٩٣٧].

الثاني : أنهم كانوا قَصَّارين يبيضون الثياب ، وهذا قول ابن أبي نجيح [٩٣٨]، والضحاك[٩٣٩] في -أحد قوليه-.

الثالث : أنهم خاصة الأنبياء وصفوتهم، سموا بذلك لنقاء قلوبهم ، وهذا قول قتادة[٩٤٠]-في أحد قوليه-، والضحاك[٩٤١].

الرابع: أن الحواري: الوزير. قاله قتادة[٩٤٢].

والصحيح أن الحواري الناصر ، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نَدبَ الناس يوم الأحزاب ، فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدَبَ الزبير ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال: «إنَّ لِكُلِّ نَبيٍّ حَوَارِيًا وَحَوَارِيي الزُّبَيْرُ»[٩٤٤][٩٤٣].

قوله تعالى:{قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ} [المائدة : ١١١]، أي:" فقالوا: صدَّقنا يا ربنا واشهد بأننا خاضعون لك منقادون لأمرك[٩٤٥].

---

(٩٣١) أخرجه الطبري(٧٠٩٨):ص٦/٤٣١-٤٣٢.
(٩٣٢) تفسير ابن كثير:٣/٢٢٤-٢٢٥.
(٩٣٣) التفسير الميسر:١٢٦.
(٩٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٩٢):ص١١/٢١٧-٢١٨.
(٩٣٥) تفسير ابن كثير:٣/٢٢٥.
(٩٣٦) انظر: تفسير الطبري(٧١٢٤):ص٦/٤٤٥.
(٩٣٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٥٦٨):ص٢/٦٥٩.
(٩٣٨) انظر: تفسير الطبري(٧١٢٥):ص٦/٤٤٦.
(٩٣٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٥٦٩):ص٢/٦٥٩.
(٩٤٠) انظر: تفسير الطبري(٧١٢٦):ص٦/٤٤٦.
(٩٤١) انظر: تفسير الطبري(٧١٢٧):ص٦/٤٤٦.
(٩٤٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٥٧٣):ص٢/٦٦٠.
(٩٤٣) تفسير ابن كثير:٢/٤٦.
(٩٤٤)صحيح البخاري برقم (٣٧١٩) وصحيح مسلم برقم (٢٤١٥) من حديث جابر رضي الله عنه.
(٩٤٥) التفسير الميسر:١٢٦.

قال محمد بن إسحاق:" {واشهد بأننا مسلمون} لا ما يقول هؤلاء الذين يحاجونك فيه"[٩٤٦].

القرآن

{إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١١٢)} [المائدة : ١١٢]

التفسير:

واذكر إذ قال الحواريون: يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك إن سألته أن ينزل علينا مائدة طعام من السماء؟ فكان جوابه أن أمرهم بأن يتقوا عذاب الله تعالى، إن كانوا مؤمنين حقَّ الإيمان.

قوله تعالى:{إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ} [المائدة : ١١٢]، أي:" واذكر إذ قال الحواريون: يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك إن سألته أن ينزل علينا مائدة طعام من السماء؟"[٩٤٧].

عن سعيد بن جبير: "أنه قرأها كذلك: (هل تستطيع ربك) ، وقال: تستطيع أن تسأل ربك. وقال: ألا ترى أنهم مؤمنون؟"[٩٤٨].

وقرأ الباقون:{هل يستطيع ربك}، بالياء والإظهار[٩٤٩]، وفي ذلك وجهان من التفسير:

أحدهما : معناه: هل يفعل ربك ، قاله الحسن[٩٥٠]، لأنهم سموا بالحواريين بعد إيمانهم .

الثاني : معناه:هل يستجيب لك ربك ويطيعك،{أَن يُنَزِّلَ عَلَينَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ}. قاله السدي[٩٥١].

قوله تعالى:{قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة : ١١٢]، أي:" اتقوا الله في أمثال هذه الأسئلة إن كنتم مصدقين بكمال قدرته تعالى"[٩٥٢].

قال السدي:" فأنزل الله عليهم مائدة من السماء فيها جميع الطَّعام إلا اللحم ، فأكلوا منها"[٩٥٣].

القرآن

{قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ (١١٣)} [المائدة : ١١٣]

التفسير:

قال الحواريون: نريد أن نأكل من المائدة وتسكن قلوبنا لرؤيتها، ونعلم يقينا صدقك في نبوتك، وأن نكون من الشاهدين على هذه الآية أن الله أنزلها حجة له علينا في توحيده وقدرته على ما يشاء، وحجة لك على صدقك في نبوتك.

قوله تعالى:{قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا} [المائدة : ١١٣]، أي:" قال الحواريون: نريد أن نأكل من المائدة، وتسكن قلوبنا لرؤيتها"[٩٥٤].

عن سعيد بن جبير، قوله:{ تَطْمَئِنَّ}، قال: توقن"[٩٥٥].

قال عطاء: "نزداد يقينًا"[٩٥٦].

قوله تعالى:{وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ} [المائدة : ١١٣]، أي:" وأن نكون من الشاهدين على هذه الآية أن الله أنزلها حجة له علينا في توحيده وقدرته على ما يشاء، وحجة لك على صدقك في نبوتك"[٩٥٧].

---

(٩٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٠١٣):ص١٢٤٣/٤.

(٩٤٧) التفسير الميسر:١٢٦.

(٩٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٩٤):ص٢١٩/١١.

(٩٤٩) انظر: السبعة في القراءات:٢٤٩.

(٩٥٠) انظر: النكت والعيون:٨٢/٢.

(٩٥١) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٩٦):ص٢٢٢/١١.

(٩٥٢) صفوة التفاسير:٣٤٥.

(٩٥٣) أخرجه الطبري(١٢٩٩٦):ص٢٢٢/١١.

(٩٥٤) التفسير الميسر:١٢٦.

(٩٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٠١٨):ص١٢٤٤/٤.

(٩٥٦) التفسير البسيط للواحدي: ٥٩٤/٧، وتفسير البغوي: ١١٨/٣.

قال عطاء: يريد شهودًا على بني إسرائيل"[٩٥٨].

القرآن

{قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (١١٤)} [المائدة : ١١٤]

التفسير:

أجاب عيسى بن مريم طلب الحواريين فدعا ربه جل وعلا قائلا: ربنا أنزل علينا مائدة طعام من السماء، نتخذ يوم نزولها عيدًا لنا، نعظمه نحن ومَن بعدنا، وتكون المائدة علامة وحجة منك -يا أله- على وحدانيتك وعلى صدق نبوتي، وامنحنا من عطائك الجزيل، وأنت خير الرازقين.

قوله تعالى:{قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ} [المائدة : ١١٤]، أي:" أجاب عيسى بن مريم طلب الحواريين فدعا ربه جل وعلا قائلا: ربنا أنزل علينا مائدة طعام من السماء"[٩٥٩].

عن سعيد بن جبير: "المائدة": الخوان"[٩٦٠].

قوله تعالى:{تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا} [المائدة : ١١٤]، أي:" نتخذ يوم نزولها عيدًا لنا، نعظمه نحن ومَن بعدنا"[٩٦١].

قال السدي:" نتخذ اليوم الذي نزلت فيه عيدا نعظمه نحن ومن بعدنا"[٩٦٢].

قال قتادة:" أرادوا أن تكون لعقبهم من بعدهم"[٩٦٣].

عن ابن جريج قوله:" {أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا}، قال: الذين هم أحياء منهم يومئذ، {وآخرنا}، من بعدهم منهم"[٩٦٤].

القرآن

{قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ (١١٥)} [المائدة : ١١٥]

التفسير:

قال الله تعالى: إني منزل مائدة الطعام عليكم، فمن يجحد منكم وحدانيتي ونبوة عيسى عليه السلام بعد نزول المائدة فإني أعذبه عذابًا شديدًا، لا أعذبه أحدًا من العالمين.

قوله تعالى:{قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ} [المائدة : ١١٥]، أي:" قال الله تعالى: إني منزل مائدة الطعام عليكم"[٩٦٥].

واختلفوا في نزول المائدة على ثلاثة أقوال .

أحدها : أنه مثل ضربه الله تعالى لخلقه ، ينهاهم به عن مسألة الآيات لأنبيائه ، قاله مجاهد[٩٦٦].

الثاني : أنهم سألوا ووعدهم بالإجابة ، فلما قال لهم {فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ}، استعفوا منها فلم تنزل عليهم ، قاله الحسن[٩٦٧]، وهو مري عن مجاهد ايضا[٩٦٨].

---

(٩٥٧) التفسير الميسر:١٢٦.

(٩٥٨) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٧/٥٩٤-٥٩٥، وزاد المسير: ٢/ ٤٥٨.

(٩٥٩) التفسير الميسر:١٢٧.

(٩٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٠٢١):ص١٢٤٥/٤.

(٩٦١) التفسير الميسر:١٢٧.

(٩٦٢) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٩٧):ص٢٢٥/١١.

(٩٦٣) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٩٨):ص٢٢٥/١١.

(٩٦٤) انظر: تفسير الطبري(١٢٩٩٩):ص٢٢٥/١١.

(٩٦٥) التفسير الميسر:١٢٧.

(٩٦٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٠١٩):ص٢٣٠/١١-٢٣١.

(٩٦٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٢٠):ص٢٣١/١١.

(٩٦٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٢٢):ص٢٣١/١١.

الثالث : أنهم سألوا فأجابهم ، ولم يستعفوا ، لأنه ما حكى الاستعفاء عنهم ، ثم أنزلها عليهم ، لأنه قد وعدهم ، ولا يجوز أن يخلف وعده .

ومن قال بهذا اختلفوا في الذي كان عليها حين نزلت على أقوال:

أحدها : أنه كان عليها ثمار الجنة ، قاله قتادة[٩٦٩].

والثاني : أنه كان عيها خبز ولحم ، قاله عمار بن ياسر[٩٧٠].

وروي عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "نزلت المائدة خبزًا ولحمًا ، وأمروا أن لا يخونوا ولا يدَّخروا ولا يرفعوا لغدٍ ، فخانوا وادّخروا ورفعوا ، فمسخوا قردة وخنازير"[٩٧١].

الثالث : أنه كان عليها سبعة أرغفة وسبعة أحْوات ، يأكلون منها ما شاؤوا. قال : فسرق بعضهم منها وقال : " لعلها لا تنزل غدًا! " ، فرفعت . قاله إسحاق بن عبد الله[٩٧٢].

الرابع : كان عليها سمكة فيها طعم كل الطعام ، قاله عطاء[٩٧٣]، وعطية[٩٧٤].

الخامس:أنه كان خبزا وسمكا. قاله أبو عبدالرحمن السلمي[٩٧٥].

السادس : كان عليها كل طعام إلا اللحم ، قاله ميسرة[٩٧٦]، وزادان[٩٧٧].

السابع : نزل عليهم قرصة من شعير وأحوات. قاله وهب بن منبه[٩٧٨].

الثامن: أنه الطعام ينزل عليهم حيث نزلوا. قاله مجاهد[٩٧٩].

التاسع: رغيفان وحوتان ، أكلوا منها أربعين يوماً في سفرة ، وكانوا ومن معهم نحو خمسة آلاف ، قاله جويبر[٩٨٠] .

والصحيح الذي عليه الأكثرون: أنها نزلت، لقوله تعالى: {إني منزلها عليكم}، ولا خلف في خبره، لتواتر الأخبار فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين[٩٨١].

قوله تعالى:{فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ} [المائدة : ١١٥]، أي:" فمن يجحد منكم وحدانيتي ونبوة عيسى عليه السلام"[٩٨٢].

قال السدي:" بعد ما جاءته المائدة"[٩٨٣].

قوله تعالى:{فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ} [المائدة : ١١٥]، أي:" فإني أعذبه عذابًا شديدًا، لا أعذبه أحدًا من العالمين"[٩٨٤].

قال السدي:" يقول: أعذبه عذابا لا يعذب به أحد من العالمين غير أهل المائدة"[٩٨٥].

وقوله تعالى:{ مِنَ الْعَالَمِينَ} [المائدة : ١١٥]، يحتمل وجهين:

عن أبي العالية[٩٨٦]، وقتادة[٩٨٧]، ومجاهد[٩٨٨]، يعني: "من عالمي زمانهم".

---

(٩٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٠١٥):ص٢٢٩/١١-٢٣٠.
(٩٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٣١١)٢٢٨/١١.
(٩٧١) أخرجه الطبري(١٣٠١٢):ص٢٢٨/١١-٢٢٩.
(٩٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٣١٠)٢٢٨/١١.
(٩٧٣) انظر: النكت والعيون: ٨٥/٢.
(٩٧٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٠٤)٢٢٧/١١.
(٩٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٠٣)٢٢٧/١١.
(٩٧٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٠١٦):ص٢٣٠/١١.
(٩٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٠١٨):ص٢٣٠/١١.
(٩٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٠٧)٢٢٧/١١.
(٩٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٠٨)٢٢٧/١١.
(٩٨٠) انظر: النكت والعيون:٨٥/٢.
(٩٨١) تفسير البغوي:١١٩/٣.
(٩٨٢) التفسير الميسر:١٢٧.
(٩٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٠٤٣):ص١٢٥١/٤.
(٩٨٤) التفسير الميسر:١٢٧.
(٩٨٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٠٤٧):ص١٢٥٢/٤.
(٩٨٦) أخرجه الطبري(٨٦٩):ص٢٤/٢.
(٩٨٧) أخرجه الطبري(٨٦٨):ص٢٤/٢.
(٩٨٨) أخرجه الطبري(٨٧٠):ص٢٤/٢.

قال أبو العالية:" فإن لكل زمان عالما"[٩٨٩].

القرآن

{وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦)} [المائدة : ١١٦]

التفسير:

واذكر إذ قال الله تعالى يوم القيامة: يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اجعلوني وأمي معبودين من دون الله؟ فأجاب عيسى -منزِّهًا الله تعالى-: ما ينبغي لي أن أقول للناس غير الحق. إن كنتُ قلتُ هذا فقد علمتَه; لأنه لا يخفى عليك شيء، تعلم ما تضمره نفسي، ولا أعلم أنا ما في نفسك. إنك أنت عالمٌ بكل شيء مما خفي أو ظهر.

قوله تعالى:{وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ} [المائدة : ١١٦]، أي:" واذكر إذ قال الله تعالى يوم القيامة: يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اجعلوني وأمي معبودين من دون الله؟"[٩٩٠].

وفي زمان هذا السؤال قولان :

أحدهما : أن الله تعالى قال ذلك لعيسى حين رفعه إليه في الدنيا ، قاله السدي[٩٩١].

والثاني : أن الله تعالى يقول له ذلك يوم القيامة ، قاله ابن جريج[٩٩٢]، وقتادة[٩٩٣]، وميسرة[٩٩٤].

والذي قاله قتادة وغيره هو الأظهر ، والله أعلم : أن ذلك كائن يوم القيامة ، ليدل على تهديد النصارى وتقريعهم وتوبيخهم على رؤوس الأشهاد يوم القيامة"[٩٩٥].

قوله تعالى:{تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ} [المائدة : ١١٦]، أي:" تعلم ما تضمره نفسي، ولا أعلم أنا ما في نفسك"[٩٩٦].

قال أبو روق :" تعلم ما كان مني في دار الدنيا ولا أعلم ما يكون منك في الآخرة"[٩٩٧].

القرآن

{مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧)} [المائدة : ١١٧]

التفسير:

قال عيسى عليه السلام: يا ربِّ ما قلتُ لهم إلا ما أوحيته إليَّ، وأمرتني بتبليغه من إفرادك بالتوحيد والعبادة، وكنتُ على ما يفعلونه -وأنا بين أظهرهم- شاهدًا عليهم وعلى أفعالهم وأقوالهم، فلما وفيتني أجلي على الأرض، ورفعتني إلى السماء حيًّا، كنت أنت المطَّلِع على سرائرهم، وأنت على كل شيء شهيد، لا تخفى عليك خافية في الأرض ولا في السماء.

قوله تعالى:{فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ} [المائدة : ١١٧]، أي:" فلما وفيتني أجلي على الأرض، ورفعتني إلى السماء حيًّا، كنت أنت المطَّلِع على سرائرهم"[٩٩٨].

قال السدي[٩٩٩] وابن جريج[١٠٠٠]:" أما {الرقيب}، فهو الحفيظ".

---

(٩٨٩) أخرجه الطبري(٨٦٩):ص٢٤/٢.
(٩٩٠) التفسير الميسر:١٢٧.
(٩٩١) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٢٨):ص٢٣٤/١١.
(٩٩٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٢٩):ص٢٣٤/١١.
(٩٩٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٣١):ص٢٣٤/١١.
(٩٩٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٣٠):ص٢٣٤/١١.
(٩٩٥) تفسير ابن كثير:٢٣٢/٢.
(٩٩٦) التفسير الميسر:١٢٧.
(٩٩٧) انظر: تفسير البغوي:١٢٢/٣.
(٩٩٨) التفسير الميسر:١٢٧.
(٩٩٩) أخرجه الطبري(١٣٠٣٢):ص٢٣٩/١١. واللفظ له.

عن ميسرة قال : "قال الله تعالى ذكره : {يا عيسى أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله}؟ قال : فأرعدت مفاصله ، وخشى أن يكون قد قالها ، فقال : {سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب}"[١٠٠١].

قال طاووس:" : احتج عيسى ، والله وقّفه"[١٠٠٢].

القرآن

{إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨)} [المائدة : ١١٨]

التفسير:

إنك يا أله إن تعذبهم فإنهم عبادك -وأنت أعلم بأحوالهم-، تفعل بهم ما تشاء بعدلك، وإن تغفر برحمتك لمن أتى منهم بأسباب المغفرة، فإنك أنت العزيز الذي لا يغالَبُ، الحكيم في تدبيره وأمره.

قوله تعالى:{إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ} [المائدة : ١١٨]، أي:" إنك يا أله إن تعذبهم فإنهم عبادك -وأنت أعلم بأحوالهم-، تفعل بهم ما تشاء بعدلك"[١٠٠٣].

قال السدي:" يقول: إن تعذبهم تميتهم بنصرانيتهم فيحق عليهم العذاب فإنهم عبادك"[١٠٠٤].

قوله تعالى:{وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [المائدة : ١١٨]، أي:" وإن تغفر برحمتك لمن أتى منهم بأسباب المغفرة، فإنك أنت العزيز الذي لا يغالَبُ، الحكيم في تدبيره وأمره"[١٠٠٥].

قال السدي:" {وإن تغفر لهم}، فتخرجهم من النصرانية، وتهديهم إلى الإسلام فإنك أنت العزيز الحكيم. هذا قول عيسى عليه السلام في الدنيا"[١٠٠٦].

القرآن

{قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩)} [المائدة : ١١٩]

التفسير:

قال الله تعالى لعيسى عليه السلام يوم القيامة: هذا يوم الجزاء الذي ينفع الموحدين توحيدهم ربهم، وانقيادهم لشرعه، وصدقهم في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم، لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار، ماكثين فيها أبدًا، رضي الله عنهم فقبل حسناتهم، ورضوا عنه بما أعطاهم من جزيل ثوابه. ذلك الجزاء والرضا منه عليهم هو الفوز العظيم.

قوله تعالى:{قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ} [المائدة : ١١٩]، أي:" قال الله تعالى لعيسى عليه السلام يوم القيامة: هذا يوم الجزاء الذي ينفع الموحدين توحيدهم ربهم، وانقيادهم لشرعه، وصدقهم في نياتهم وأقوالهم وأعمالهم"[١٠٠٧].

قال السدي:" هذا فصل من كلام عيسى ، وهذا يوم القيامة"[١٠٠٨].

قوله تعالى:{لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} [المائدة : ١١٩]، أي:" لهم جنات تجري من تحت قصورها وأشجارها الأنهار"[١٠٠٩].

قال أبو مالك:" يعني: المساكن تجري أسفلها أنهارها"[١٠١٠].

قوله تعالى:{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا} [المائدة : ١١٩]، أي:" ماكثين فيها أبدًا"[١٠١١].

(١٠٠٠) أخرجه الطبري(١٣٠٣٣):ص٢٣٩/١١.
(١٠٠١) أخرجه الطبري(١٣٠٣٦):ص٢٤٠/١١.
(١٠٠٢) أخرجه الطبري(١٣٠٣٤):ص٢٤٠/١١.
(١٠٠٣) التفسير الميسر:١٢٧.
(١٠٠٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٠٦٠):ص١٢٥٥/٤.
(١٠٠٥) التفسير الميسر:١٢٧.
(١٠٠٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٠٦٢):ص١٢٥٥/٤.
(١٠٠٧) التفسير الميسر:١٢٧.
(١٠٠٨) أخرجه الطبري(١٠٣٩):ص٢٤١/١١.
(١٠٠٩) التفسير الميسر:١٢٧.
(١٠١٠) اخرجه ابن ابي حاتم(٧٠٦٧):ص١٢٥٦/٤.

قال سعيد بن جبير:" يعني: لا يموتون"[١٠١٢].

قوله تعالى:{ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [المائدة : ١١٩]، أي:" ذلك الجزاء والرضا منه عليهم هو الفوز العظيم"[١٠١٣].

قال سعيد بن جبير:" يعني: ذلك الثواب الفوز العظيم"[١٠١٤].

القرآن

{لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٢٠)} [المائدة : ١٢٠]

التفسير:

لله وحده لا شريك له ملك السموات والأرض وما فيهن، وهو -سبحانه- على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

قوله تعالى:{لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ} [المائدة : ١٢٠]، أي:" لله وحده لا شريك له ملك السموات والأرض وما فيهن"[١٠١٥].

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"[١٠١٦].

قوله تعالى:{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة : ١٢٠]، أي:" وهو -سبحانه- على كل شيء قدير لا يعجزه شيء"[١٠١٧].

قال محمد بن إسحاق:" {إن الله على كل شيء} ما أراد بعباده من نقمة أو عفو فهو {قدير}"[١٠١٨].

قال ابن وَهْب : "سمعت حُيَيّ بن عبد الله يحدث ، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي ، عن عبد الله بن عَمْرو قال : آخر سورة أنزلت سورة المائدة"[١٠١٩].

«آخر تفسير سورة المائدة، والحمد لله وحده»

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الأنعام»

سورة «الأنعام»: هي السورة السادسة من سور القرآن الكريم في ترتيب المصحف، نزلت بعد سورة: «الحجر»، وقبل سورة: «الصافات»[١٠٢٠]، وعدد آياتها: (١٦٥)خمسة وستون ومائة آية عند القرّاء الكوفيين، ويرى البصريون والشاميون أن عدد آياتها: (١٦٦)ستة وستون ومائة آية، وعند الحجازيين، عدد

(١٠١١) التفسير الميسر:١٢٧.

(١٠١٢) اخرجه ابن ابي حاتم(٧٠٦٨):ص١٢٥٦/٤.

(١٠١٣) التفسير الميسر:١٢٧.

(١٠١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٠٧١):ص١٢٥٧/٤.

(١٠١٥) التفسير الميسر:١٢٧.

(١٠١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(١٠١٧) التفسير الميسر:١٢٧.

(١٠١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٠٧٢):ص١٢٥٧/٤.

(١٠١٩)رواه الترمذي في السنن برقم (٣٠٦٣) عن قتيبة ، عن عبد الله بن وهب به ، وقال : "هذا حديث حسن غريب".

(١٠٢٠) انظر: الكشاف:٣/٢.

آياتها: (١٦٧)سبعة وستون ومائة آية[١٠٢١]، وعدد كلماته:(٣٠٥٢) ثلاثة آلاف واثنتان وخمسون كلمة، عدد حروفها: (١٢٢٤٠) اثنا عشر ألفاً ومائتا وأربعون حرفاً[١٠٢٢].

مكان نزول السورة:

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها مكية قيل: إلا آية واحدة هي قوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ} [الأنعام : ١١١] فإنها مدنية. رواه ابن المنذر عن أبي جحيفة[١٠٢٣].

والثاني: انها مكية قيل: إلا آيتين ومن ثم اختلفوا فيهما على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن الآيتين نزلتا في المدينة في رجل من اليهود قال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فنزل فيهم: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ}[الأنعام : ٩١] الآيتين، وهو قول الكلبي في رواية أبي الشيخ عنه[١٠٢٤].

وأخرج أبو الشيخ عن سفيان مثل ذلك وزاد: "هو فنحاص اليهودي أو مالك بن الصيف[١٠٢٥]"[١٠٢٦].

القول الثاني: وقيل: هما قوله تعالى:{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} [الأنعام : ١٥١] إلى آخر الآيتين، رواه إسحاق بن راهويه في مسنده عن شهر بن حوشب[١٠٢٧]، والفريابي عن بشر[١٠٢٨].

قال محمد رشيد رضا:"وما قبله أقوى من جهة معنى الآيتين، فإنه في محاجة اليهود الذين كانوا في المدينة، وأما {قل تعالوا} الآيتين، فمعناهما من موضوع السور المكية، وهم متصلتان بما بعدهما"[١٠٢٩].

القول الثالث: وقيل: هما قوله تعالى: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}[الأنعام : ٩١]، والأخرى، قوله:{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ} [الأنعام : ١٤١]. حكاه القرطبي عن ابن عباس[١٠٣٠]، وقتادة[١٠٣١].

وجاءت في الأخبار، أن قوله:{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}[الأنعام : ٩١]، نزلت في مالك بن الصيف[١٠٣٢] وكعب ابن الأشرف اليهوديين[١٠٣٣]، وقيل نزلت في فنحاص اليهودي[١٠٣٤]،وقوله:{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ} [الأنعام : ١٤١]، نزلت في ثابت بن قيس بن شماس الأنصاري[١٠٣٥]. وقيل: نزلت في معاذ بن جبل[١٠٣٦].

(١٠٢١) انظر: الإتقان للسيوطي:١٢٤٥/٢، وإتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر:٢٦٠.

(١٠٢٢) انظر: بصائر ذوى التمييز: ١٨٧/١.

(١٠٢٣) انظر: الدر المنثور:٢٤٤/٣.

(١٠٢٤) انظر: الدر المنثور: ٢٤٥/٣، والإتقان:٥٧/١. وهو: محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي، صاحب التفسير، ضعّفه الأئمة، ورمي بالرفض، توفي سنة[١٤٦هـ]. انظر: تهذيب التهذيب:١٧٨/٩، والجرح والتعديل:٢١٠/٧، وميزان الاعتدال:٥٥٦/٣.

(١٠٢٥) أخرج الطبري(١٣٥٣٥):ص٥٢١/١١-٥٢٢، والواحدي في اسباب النزول:٢٢٠، أن هذا الرجل هو مالك بن الصيف، وانظر: تفسير ابن كثير:٣٠٠/٣.

(١٠٢٦) انظر: الدر المنثور:٢٤٥/٣.

(١٠٢٧) انظر: مسند إسحاق بن راهويه(٢٢٩٨):ص١٧٤/٥، والدر المنثور:٢٤٥/٣.

(١٠٢٨) انظر: الإتقان:٥٧/١.

(١٠٢٩) تفسير المنار:٢٣٧/٧.

(١٠٣٠) انظر: تفسير القرطبي:٣٨٢/٦.

(١٠٣١) انظر: تفسير القرطبي:٣٨٢/٦.

(١٠٣٢)أخرج الطبريبرقم (١٣٥٣٥):ص٥٢١/١١-٥٢٢،عن سعيد بن جبير، وبرقم (١٣٥٣٦):ص٥٢٢/١١، عن عكرمة. وأخرجه الواحدي في اسباب النزول:٢٢٠، عن سعيد بن جبير أن هذا الرجل هو مالك بن الصيف، وانظر: تفسير ابن كثير:٣٠٠/٣.

(١٠٣٣) انظر: تفسير القرطبي:٣٨٢/٦.

(١٠٣٤) أخرجه الطبري(١٣٥٣٧):ص٥٢٢/١١، عن السدي.

(١٠٣٥) قاله ابن جريج، أخرج الخبرسنيد في "تفسيره" –ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٤٠٤٠):١٧٤/١٢ -: ثنا حجاج عنه به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله،وضعف سنيد صاحب "التفسير".

والثالث: وقيل: أنها مكية إلا ثلاث آيات نزلت بالمدينة، وهي: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} [الأنعام : ١٥١]إلى تمام الآيات الثلاث. رواه النحاس عن مجاهد عن ابن عباس[١٠٣٧].

قال السيوطي:"وقد صحّ النقل عن ابن عباس باستثناء{قُلْ تَعَالَوْا} الآيات"[١٠٣٨].

والرابع:وقال الثعلبي[١٠٣٩]: أنها مكية إلا ست آيات، هي: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ} [الأنعام : ١٥١] الآيات الثلاث, وقوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه} [الأنعام : ٩١], وقوله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى} [الأنعام : ٩٣], الآيتين.

وهذا جمع بين الأقوال السابقة كلها.

والخامس: وذكر البغوي عن ابن عباس[١٠٤٠] أنها مكية إلا ست آيات هي: قوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه} [الأنعام : ٩١] إلى آخر ثلاث آيات، وقوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ} [الأنعام : ١٥١]، إلى قوله:{لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام : ١٥٣].

والسادس: وفي رواية عن ابن عباس[١٠٤١]، أنها مكية إلا خمس آيات، هي: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ} [الأنعام : ١٥١]، وقوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه} [الأنعام : ٩١], وقوله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى}{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ } [الأنعام : ٩٣]، وقوله:{وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ} [الأنعام : ١١٤]، وقوله:{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ} [الأنعام : ٢٠].

والسابع: وقال مقاتل: انها مكية إلا سبع آيات، هي: {قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ} [الأنعام : ١٥١] الآيات الثلاث, وقوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِه} [الأنعام : ٩١], وقوله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى} [الأنعام : ٩٣], وقوله:{وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَق} [الأنعام : ١١٤]، وقوله:{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ} [الأنعام : ٢٠][١٠٤٢].

والثامن: وقال الزمخشري:" سورة الأنعام مكية إلا الآيات:«٢٠ و ٢٣ و ٩١ و ٩٣ و ١١٤ و ١٤١ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ »، فمدنية"[١٠٤٣].

والتاسع: وذكر ابن العربي: أن قوله تعالى:{قُلْ لَا أَجِدُ} [الأنعام : ١٤٥]، مدنية مكية في قول الأكثر، نزلت على النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم نزل عليه قوله: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي} [المائدة: ٣] وذلك يوم عرفة[١٠٤٤].

أخرج ابن الضريس وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في "الدلائل"، عن ابن عباس قال: "أنزلت سورة الأنعام بمكة"[١٠٤٥].

قال ابن كثير:" قال العَوْفيّ وعِكْرمة وعَطاء ، عن ابن عباس : أنزلت سورة الأنعام بمكة"[١٠٤٦].

قال العلامة ابن عاشور: " واعلم أن نزول هذه السورة جملة واحدة على الصحيح لا يناكد ما يذكر لبعض آياتها من أسباب نزولها، لأن أسباب نزول تلك الآيات إن كان لحوادث قبل الهجرة فقد تتجمع أسباب كثيرة في مدة قصيرة قبل نزول هذه السورة، فيكون نزول تلك الآيات مسببا على تلك الحوادث، وإن كان بعد الهجرة جاز أن تكون تلك الآيات مدنية ألحقت بسورة الأنعام لمناسبات. على أن أسباب النزول لا يلزم أن تكون مقارنة لنزول آيات أحكامها فقد يقع السبب ويتأخر تشريع حكمه، وعلى القول الأصح أنها مكية فقد

وأخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٣٩٩ رقم ٧٩٦٦) من طريق عبدالرزاق عن ابن جريج: جدّ معاذ بن جبل –رضي الله عنه- نخلة، فلم يزل يتصدق من ثمره حتى لم يبق منه شيء؛ فنزلت: {وَلَاتُسْرِفُوا}.

قلنا: وهذا معضل..

(١٠٣٦) انظر: النكت والعيون:١٧٩/٢، وتفسير القرطبي:٣٨٢/٦.

(١٠٣٧)الناسخ والمنسوخ: ١٦٧، وانظر الإتقان:٣٩/١-٤٠، قال السيوطي:"وإسناده جيد رجاله كلهم ثقات من علماء العربية المشهورين".

(١٠٣٨) الإتقان:٥٧/١.

(١٠٣٩) انظر: الكشف والبيان:١٣١/٤.

(١٠٤٠) انظر: تفسير البغوي:١٢٥/٣، .

(١٠٤١) حكاه عنه ابن عطية في المحرر الوجيز:٢٦٥/٢.

(١٠٤٢) انظر:تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٧/١-٥٤٨. قال:"هذه الآيات مدنيات، وسائرها مكي".

(١٠٤٣) الكشاف:٣/٢.

(١٠٤٤) انظر احكام القرآن:٢٩٠/٢.

(١٠٤٥) الدر المنثور:٢٤٣/٣.

(١٠٤٦) تفسير ابن كثير:٢٣٦/٣.

عدت هذه السورة الخامسة والخمسين في عد نزول السور. نزلت بعد سورة الحجر وقبل سورة الصافات"[١٠٤٧].

(١٠٤٧) التحرير والتنوير:١٢٣/٧.

القرآن

{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١)} [الأنعام : ١]

التفسير:

الثناء على الله بصفاته التي كلّها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، الذي أنشأ السموات والأرض وما فيهن، وخلق الظلمات والنور، وذلك بتعاقب الليل والنهار. وفي هذا دلالة على عظمة الله تعالى، واستحقاقه وحده العبادة، فلا يجوز لأحد أن يشرك به غيره. ومع هذا الوضوح فإن الكافرين يسوون بالله غيره، ويشركون به.

في سبب نزول الآية أربعة أقوال:

أحدها: أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن مجاهد، قال:"نزلت هذه الآية في الزنادقة، قالوا: إن الله لا يخلق الظلمة ولا الخنافس ولا العقارب ولا شيئا قبيحا، وإن الله يخلق الضوء وكل شيء حسن قال: فأنزلت فيهم هذه الآية"(١٠٤٨).

الثاني:وذكر السمرقندي عن الضحاك: "هذه الآية نزلت في شأن المجوس. قالوا: الله خالق النور، والشيطان خالق الظلمة، فأنزل الله تعالى إكذابا لقولهم، وردا عليهم، فقال: {وجعل الظلمات والنور}"(١٠٤٩).

الثالث:وقال مقاتل: وذلك أن قريشا قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-: من ربك! فقال: «ربي الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» فقالوا: أنت كذاب ما اختصك الله بشيء وما أنت عليه بأكرم منا فأنزل الله- عز وجل: بسم الله الرحمن الرحيم {الحمد لله...}"(١٠٥٠).

الرابع: أنها نزلت في أهل الكتاب. قاله علي بن ابي طالب(١٠٥١)، وابن أبزى(١٠٥٢).

قوله تعالى:{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [الأنعام : ١]، أي:" الثناء على الله بصفاته التي كلّها أوصاف كمال، وبنعمه الظاهرة والباطنة، الدينية والدنيوية، الذي أنشأ السموات والأرض وما فيهن"(١٠٥٣).

قال كعب:"{الحمد لله}: ثناء الله"(١٠٥٤).

قال الضحاك:"{الحمد لله}: رداء الله، الرحمن تبارك وتعالى"(١٠٥٥).

قوله تعالى:{وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} [الأنعام : ١]، أي:" أي وأنشأ الظلمات والأنوار"(١٠٥٦).

قال السدي:" الظلمات ظلمة الليل ، والنور نورُ النهار"(١٠٥٧).

قال قتادة:" فإنه خلق السَّماوات قبل الأرض ، والظلمة قبل النور ، والجنّة قَبل النار"(١٠٥٨).

والمراد بـ«الظلمات» و«النور» هنا،وجوه :

أحدها : وهو المشهور من قول قتادة(١٠٥٩)، قدم الظلمة على النور، لأنه قدم خلق الظلمة على خلق النور ، وجمع «الظلمات»ووحد «النور»لأن «الظلمات»أعم من «النور» (١٠٦٠).

الثاني : أن «الظلمات»: الليل، و«النور»: النهار. قاله قتادة(١٠٦١)، والسدي(١٠٦٢)، والواقدي(١٠٦٣)، وهو قول الجمهور(١٠٦٤).

(١٠٤٨) تفسير ابن ابي حاتم(٧٠٨١):ص١٢٥٩/٤.

(١٠٤٩) بحر العلوم:٤٣٣/١.

(١٠٥٠) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٤٨/١-٥٤٩.

(١٠٥١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٠٨٦):ص١٢٦٠/٤.

(١٠٥٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٤٥):ص٢٥٣/١١، وتفسير ابن ابي حاتم(٧٠٨٧):ص١٢٦٠/٤.

(١٠٥٣) التفسير الميسر:١٢٨.

(١٠٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٠٧٦):ص١٢٥٨/٤.

(١٠٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٠٧٧):ص١٢٥٨/٤.

(١٠٥٦) صفوة التفاسير:٣٥١.

(١٠٥٧) أخرجه الطبري(١٣٠٤٠):ص٢٤٨/١١.

(١٠٥٨) أخرجه الطبري(١٣٠٤١):ص٢٤٨/١١.

(١٠٥٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٤١):ص٢٤٨/١١.

(١٠٦٠) انظر: النكت والعيون:٩٢/٢.

الثالث : أن «الظلمات»: الكفر ، و«النور»: الإيمان ، قاله الحسن[١٠٦٥] .
قوله تعالى:{ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الأنعام : ١]، أي:" أي ثم بعد تلك الدلائل الباهرة والبراهين القاطعة على وجود الله ووحدانيته يشرك الكافرون بربهم"[١٠٦٦].
قال مجاهد[١٠٦٧]، والسدي[١٠٦٨]:"{ يَعْدِلُونَ}، يقال: يشركون"[١٠٦٩].
واختلف فيمن عني بقوله: تعالى:{ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} [الأنعام : ١]، على قولين:
أحدهما: أنهم المشركون من عبدةِ الأوثان. قاله قتادة[١٠٧٠]، والسدي[١٠٧١].
الثاني: انهم المجوس. وهذا القول حكاه السمرقندي عن الضحاك[١٠٧٢].
قال كعب:"فاتحة التوراة فاتحة «الأنعام»: {الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجَعَل الظلمات والنور ثم الذين كَفَروا بربِّهم يعدلون}"[١٠٧٣].

القرآن
{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (٢)} [الأنعام : ٢]
التفسير:
هو الذي خلق أباكم آدم من طين وأنتم سلالة منه، ثم كتب مدة بقائكم في هذه الحياة الدنيا، وكتب أجلا آخر محدَّدًا لا يعلمه إلا هو جل وعلا وهو يوم القيامة، ثم أنتم بعد هذا تشكُّون في قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت.
قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ} [الأنعام : ٢]، أي:" هو الذي خلق أباكم آدم من طين وأنتم سلالة منه"[١٠٧٤].
قوله تعالى:{ثُمَّ قَضَى أَجَلًا} [الأنعام : ٢]، أي:" ثم كتب مدة بقائكم في هذه الحياة الدنيا"[١٠٧٥].
عن مجاهد وعكرمة:" {ثم قضى أجلا}، قال: الموت "[١٠٧٦]. وروي عن الحسن، وسعيد بن جبير، والسدي وعطية، وقتادة، والضحاك، وزيد بن أسلم نحو ذلك[١٠٧٧].
وروي سعيد بن جبير عن ابن عباس:{ثم قضى أجلا}، قال: أجل الدنيا"[١٠٧٨].
وقال عطاء بن أبي مسلم الخراساني:" أما قوله: {قضى أجلا}، فيقال: ما خلق في ستة أيام"[١٠٧٩].
قوله تعالى:{ وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ} [الأنعام : ٢]، أي:" وكتب أجلا آخر محدَّدًا لا يعلمه إلا هو جل وعلا وهو يوم القيامة"[١٠٨٠].
عن مجاهد، وخالد بن معدان، أنهما قالا: "أجل البعث"[١٠٨١].

(١٠٦١) انظر: المحرر الوجيز:٢٦٦/٢.
(١٠٦٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٤٠):ص٢٤٨/١١، وتفسير ابن ابي حاتم(٧٠٨٢)، و(٧٠٨٥):ص١٢٥٩/٤، ١٢٦٠.
(١٠٦٣) انظر: تفسير الثعلبي:١٣٢/٤.
(١٠٦٤) انظر: المحرر الوجيز:٢٦٦/٢.
(١٠٦٥) انظر: البغوي:١٢٦/٣، وتفسير القرطبي:٣٨٦/٦.
(١٠٦٦) صفوة التفاسير:٣٥١.
(١٠٦٧) أخرجه الطبري(١٣٠٤٤):ص٢٥٣/١١، ابن ابي حاتم(٧٠٨٨):ص١٢٦٠/٤.
(١٠٦٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٠٨٨):ص١٢٦٠/٤.
(١٠٦٩) أخرجه الطبري(١٣٠٤٤):ص٢٥٣/١١.
(١٠٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٤٦):ص٢٥٤/١١.
(١٠٧١) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٤٧):ص٢٥٤/١١.
(١٠٧٢) انظر: بحر العلوم:٤٣٣/١.
(١٠٧٣) أخرجه الطبري(١٣٠٤٢):٢٥٢/١١.
(١٠٧٤) التفسير الميسر:١٢٨.
(١٠٧٥) التفسير الميسر:١٢٨.
(١٠٧٦) أخرجه الطبري(١٣٠٦٣):ص٢٥٨/١١.
(١٠٧٧) تفسير ابن أبي حاتم:١٢٦١/٤.
(١٠٧٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٠٩٠):ص١٢٦٠/٤.
(١٠٧٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٠٩٤):ص١٢٦١/٤.
(١٠٨٠) التفسير الميسر:١٢٨.

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ} [الأنعام : ٢]، على وجوه:
أحدها: أن الاجل الأول هو الدنيا، والأجل الثاني هو الآخرة، والمعنى: ثم قضى الدنيا، وعنده الآخرة. وهذا قول مجاهد(١٠٨٢)، والحسن-في قوله الآخر(١٠٨٣)، وعكرمة(١٠٨٤)، وقتادة -في قوله الآخر-(١٠٨٥)، والسدي(١٠٨٦).
الثاني: أن الله تعالى قضى للناس أجلين: الأجل الأول هو ما بين أن يُخْلق الإنسان إلى أن يموت، والأجل الثاني: ما بين أن يموت إلى أن يبعث، وهو الحياة البرزخ. وهذا قول الحسن(١٠٨٧)، والضحاك(١٠٨٨)، وقتادة(١٠٨٩).

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، قولُ من قال: معناه: ثم قضى أجلَ الحياة الدنيا ،{وأجلٌ مسمى عنده}، وهو أجل البَعْث عنده، لأنه تعالى ذكره نبَّه خلقَه على موضع حُجَّته عليهم من أنفسهم فقال لهم: أيها الناس، إن الذي يعدِلُ به كفارُكم الآلهة والأندادَ، هو الذي خلقكم فابتدأكم وأنشأكم من طين، فجعلكم صورًا أجسامًا أحياءً، بعد إذ كنتم طينًا جمادًا، ثم قضى آجال حياتكم لفنائكم ومماتكم، ليعيدكم ترابًا وطينًا كالذي كنتم قبل أن ينشئكم ويخلقكم وأجل مسمى عندَه لإعادتكم أحياءً وأجسامًا كالذي كنتم قبل مماتكم، وذلك نظير قوله: {كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [سورة البقرة: ٢٨]"(١٠٩٠).

قوله تعالى:{ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ} [الأنعام : ٢]، أي:" ثم أنتم بعد هذا تشكُّون في قدرة الله تعالى على البعث بعد الموت"(١٠٩١).

قال الربيع بن أنس:" يعني:الشك والريبة في أمر الساعة"(١٠٩٢).
وعن السدي:{ تَمْتَرُونَ }، قال: الشكّ" (١٠٩٣).
عن خالد بن معدان:"{ثم أنتم تمترون}، يقول: في البعث"(١٠٩٤).

القرآن
{وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (٣)} [الأنعام : ٣]
التفسير:
والله سبحانه هو الإله المعبود في السموات والأرض. ومن دلائل ألوهيته أنه يعلم جميع ما تخفونه -أيها الناس- وما تعلنونه، ويعلم جميع أعمالكم من خير أو شر; ولهذا فإنه -جلَّ وعلا- وحده هو الإله المستحق للعبادة.

قوله تعالى:{يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ} [الأنعام : ٣]، أي:" ومن دلائل ألوهيته أنه يعلم جميع ما تخفونه - أيها الناس- وما تعلنونه"(١٠٩٥).

قال سعيد بن جبير:" «السر»: ما حدثت به نفسك"(١٠٩٦).

(١٠٨١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٠١٩٩):ص١٢٦٢/٤.
(١٠٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٥٨)-(١٣٠٦٠):ص٢٥٧/١١.
(١٠٨٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٦٤):ص٢٥٧/١١.
(١٠٨٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٦٢):ص٢٥٧/١١-٢٥٨.
(١٠٨٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٦٤):ص٢٥٨/١١.
(١٠٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٦٧):ص٢٥٨/١١.
(١٠٨٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٥٤):ص٢٥٦/١١.
(١٠٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٥٦):ص٢٥٦/١١.
(١٠٨٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٥٥):ص٢٥٦/١١.
(١٠٩٠) تفسير الطبري:٢٥٩/١١.
(١٠٩١) التفسير الميسر:١٢٨.
(١٠٩٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٠٣):ص١٢٦٢/٤.
(١٠٩٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٧١):ص٢٦٠/١١.
(١٠٩٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٠٣):ص١٢٦٢/٤.
(١٠٩٥) التفسير الميسر:١٢٨.

القرآن

{وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٤)} [الأنعام : ٤]

التفسير:

هؤلاء الكفار الذين يشركون مع الله تعالى غيره قد جاءتهم الحجج الواضحة والدلالات البينة على وحدانية الله -جل وعلا- وصِدْقِ محمد صلى الله عليه وسلم في نبوته، وما جاء به، ولكن ما إن جاءتهم حتى أعرضوا عن قبولها، ولم يؤمنوا بها.

قوله تعالى:{وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ} [الأنعام : ٤]، أي:" أي ما يظهر لهم دليل من الأدلة أو معجزة من المعجزات أو آية من آيات القرآن "[١٠٩٧].

قال قتادة:" يقول: ما تأتيهم من شيء من كتاب الله"[١٠٩٨].

قال أبو العالية:"مثل الشمس والقمر والنجوم"[١٠٩٩].

قال عطاء :"يريد القرآن"[١١٠٠].

قوله تعالى:{إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ} [الأنعام : ٤]، أي:" إلاّ تركوا النظر فيها ولم يلتفتوا إليها"[١١٠١].

قال قتادة:" إلا أعرضوا عنه"[١١٠٢].

القرآن

{فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٥)} [الأنعام : ٥]

التفسير:

لقد جحد هؤلاء الكفار الحقَّ الذي جاءهم به محمد صلى الله عليه وسلم وسخروا من دعاته; جهلا منهم بالله واغترارًا بإمهاله إياهم، فسوف يرون ما استهزءوا به أنه الحق والصدق، ويبين الله للمكذبين كذبهم وافتراءهم، وسيجازيهم عليه.

قوله تعالى:{فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الأنعام : ٥]، أي:" فسوف يرون ما استهزءوا به أنه الحق والصدق، ويبين الله للمكذبين كذبهم وافتراءهم، وسيجازيهم عليه"[١١٠٣].

قال قتادة:" يقول: سيأتيهم يوم القيامة أنباء ما استهزءوا به من كتاب الله عز وجل"[١١٠٤].

القرآن

{أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٦)} [الأنعام : ٦]

التفسير:

ألم يعلم هؤلاء الذين يجحدون وحدانية الله تعالى واستحقاقه وحده العبادة، ويكذبون رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم ما حلَّ بالأمم المكذبة قبلهم من هلاك وتدمير، وقد مكَّناهم في الأرض ما لم نمكن لكم أيها الكافرون، وأنعمنا عليهم بإنزال الأمطار وجريان الأنهار من تحت مساكنهم؛ استدراجًا وإملاءً لهم، فكفروا بنعم الله وكذبوا الرسل، فأهلكناهم بسبب ذنونهم، وأنشأنا من بعدهم أممًا أخرى خلفوهم في عمارة الأرض؟

(١٠٩٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٠٦):ص١٢٦٣/٤.

(١٠٩٧) صفوة التفاسير:٣٥١/١.

(١٠٩٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٠٧):ص١٢٦٣/٤.

(١٠٩٩) حكاه عنه الواحدي في التفسير البسيط:١٦/٨، ولم أقف عليه.

(١١٠٠) ذكره الواحدي في التفسير البسيط:١٦/٨، و"الوسيط" ١/ ٩،والبغويفي "تفسيره" ٣/ ١٢٨.

(١١٠١) صفوة التفاسير:٣٥١/١.

(١١٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٠٧):ص١٢٦٣/٤.

(١١٠٣) التفسير الميسر:١٢٨.

(١١٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٧١٠٨):ص١٢٦٣/٤.

قوله تعالى:{مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ} [الأنعام : ٦]، أي:"وقد منحناهم من أسباب السعة والعيش والتمكين في الأرض ما لم نعطكمأيها الكافرون"(١١٠٥).

قال قتادة:"يقول : أعطيناهم ما لم نعطكم"(١١٠٦).

قوله تعالى:{وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا} [الأنعام : ٦]، أي:" أي أنزلنا المطر غزيراً متتابعاً يدرُّ عليهم درّا"(١١٠٧).

عن هارون التيمي، في قول الله: "{وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا}، قال: المطر في إبانه"(١١٠٨).

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ} [الأنعام : ٦]، أي:"وأنعمنا عليهم بجريان الأنهار من تحت مساكنهم؛ استدراجًا وإملاءً لهم"(١١٠٩).

قوله تعالى:{فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ} [الأنعام : ٦]، أي:" أي فكفروا وعصوا فأهلكناهم بسبب ذنوبهم"(١١١٠).

قال ابن سليمان: سمعت مالك بن دينار يقول:"إذا كان القحط يقول:بذنوبنا، وإذا كان الخصب يتلو هذه الآية: {وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم فأهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين}"(١١١١).

القرآن

{وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ (٧)} [الأنعام : ٧]

التفسير:

ولو نزَّلنا عليك -أيها الرسول- كتابًا من السماء في أوراق فلمسه هؤلاء المشركون بأيديهم لقالوا: إنَّ ما جئت به -أيها الرسول- سحر واضح بيِّن.

سبب النزول:

عن الحسن، قال:" وذلك أنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بآية:بكتاب يقرءونه، وقالوا: لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه من الله إلى كل رجل باسمه؛ أن آمن بمحمد؛ فإنه رسولي"(١١١٢).

قوله تعالى:{وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ} [الأنعام : ٧]، أي:" ولو نزَّلنا عليك -أيها الرسول- كتابًا من السماء في أوراق"(١١١٣).

عن السدي : " {ولو نزلنا عليك كتابًا في قرطاس}، الصحف"(١١١٤).

قال قتادة:" يقول : في صحيفة"(١١١٥).

قوله تعالى:{فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ } [الأنعام : ٧]، أي:" فلمسه هؤلاء المشركون بأيديهم"(١١١٦).

قال مجاهد:" فمسوه ونظروا إليه ، لم يصدِّقوا به"(١١١٧).

قال قتادة:" يقول : فعاينوه معاينة"(١١١٨).

(١١٠٥) صفوة التفاسير:٣٥٢/١، والتفسير الميسر:١٢٨.

(١١٠٦) أخرجه الطبري(١٣٠٧٢):ص٢٦٣/١١.

(١١٠٧)صفوة التفاسير:٣٥٢/١.

(١١٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٧١١٣):ص١٢٦٤/٤.

(١١٠٩) التفسير الميسر:١٢٨.

(١١١٠)صفوة التفاسير:٣٥٢/١.

(١١١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٧١١٣):ص١٢٦٤/٤.

(١١١٢) تفسير ابن ابي زمنين:٥٩/٢.

(١١١٣) التفسير الميسر:١٢٨.

(١١١٤) أخرجه الطبري(١٣٠٧٦):ص٢٦٦/١١.

(١١١٥) أخرجه الطبري(١٣٠٧٧):ص٢٦٦/١١.

(١١١٦) التفسير الميسر:١٢٨.

(١١١٧) أخرجه الطبري(١٣٠٧٣):ص٢٦٥/١١.

(١١١٨) أخرجه الطبري(١٣٠٧٤):ص٢٦٦/١١.

قوله تعالى:{لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ} [الأنعام : ٧]، أي:" لقالوا: إنَّ ما جئت به -أيها الرسول- سحر واضح بيِّن"[١١١٩].

قال مجاهد:" فنظروا إليه، ولم يصدقوا به"[١١٢٠].

القرآن

{وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ (٨)} [الأنعام : ٨]

التفسير:

وقال هؤلاء المشركون: هلا أنزل الله تعالى على محمد مَلَكًا من السماء; ليصدقه فيما جاء به من النبوة، ولو أنزلنا مَلَكًا من السماء إجابة لطلبهم لقضي الأمر بإهلاكهم، ثم لا يمهلون لتوبة، فقد سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون.

سبب النزول:

قال ابن إسحاق:" دعا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قومه إلى الإسلام وكلمهم، فأبلغ إليهم فيما بلغني، فقال له زمعة بن الأسود بن المطلب، والنضر بن الحارث بن كلدة، وعبدة بن عبد يغوث، وأبيّ بن خلف بن وهب، والعاص بن وائل بن هشام الذي يقول له: لو جعل معك يا محمدملك يحدث عنك الناس ويرى معك؛ فأنزل الله في ذلك من قولهم {وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ}"[١١٢١]. [ضعيف]

قوله تعالى:{وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ} [الأنعام : ٨]، أي:" وقال هؤلاء المشركون: هلا أنزل الله تعالى على محمد مَلَكًا من السماء; ليصدقه فيما جاء به من النبوة"[١١٢٢].

عن مجاهد: قوله: "{لولا أنزل عليه ملك}، قال: في صورته"[١١٢٣].

قوله تعالى:{وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ} [الأنعام : ٨]، أي:" ولو أنزلنا مَلَكًا من السماء إجابة لطلبهم لقضي الأمر بإهلاكهم"[١١٢٤].

قال مجاهد:"{لقضي الأمر}: لقامت الساعة"[١١٢٥]. وروي عن عكرمة مثل ذلك[١١٢٦].

قال قتادة:" يقول: لو أنزلنا ملكا، ثم لم يؤمنوا لعجل لهم العذاب"[١١٢٧]. وروي عن السدي مثل ذلك[١١٢٨].

قوله تعالى:{ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ} [الأنعام : ٨]، أي:" ثم لا يمهلون لتوبة، فقد سبق في علم الله أنهم لا يؤمنون"[١١٢٩].

قال قتادة:" يقول: ثم لم ينظروا"[١١٣٠].

القرآن

{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (٩)} [الأنعام : ٩]

التفسير:

(١١١٩) التفسير الميسر:١٢٨.

(١١٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١١٩):ص١٢٦٤/٤.

(١١٢١)أخرجهابنأبيحاتمفي "تفسيره" (٤/ ١٢٦٥ رقم ٧١٢٠) حدثنامحمدبنالعباسثنامحمدبنعمروثناسلمةعنهبه.
ذكرهالسيوطيفي "الدرالمنثور" (٣/ ٢٥١) وزادنسبتهلابنالمنذر.
قننا: وسندهضعيف.

(١١٢٢) التفسير الميسر:١٢٨.

(١١٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٢١):ص١٢٦٥/٤.

(١١٢٤) التفسير الميسر:١٢٨.

(١١٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٢٤):ص١٢٦٥/٤.

(١١٢٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٢٦٥/٤. حكاه دون ذكر السند

(١١٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٢٥):ص١٢٦٥/٤-١٢٦٦.

(١١٢٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٢٦٦/٤. حكاه دون ذكر السند

(١١٢٩) التفسير الميسر:١٢٨.

(١١٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٢٧):ص١٢٦٦/٤.

ولو جعلنا الرسول المرسل إليهم مَلَكًا إذ لم يقتنعوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، لجعلنا ذلك الملك في صورة البشر، حتى يستطيعوا السماع منه ومخاطبته; إذ ليس بإمكانهم رؤية الملك على صورته الملائكية، ولو جاءهم الملك بصورة رجل لاشتبه الأمر عليهم، كما اشتبه عليهم أمر محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:{وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًالَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا} [الأنعام : ٩]، أي:"ولو جعلنا الرسول ملكاً لكان في صورة رجل لأنهم لا طاقة لهم على رؤية الملك في صورته"(١١٣١).

قال مجاهد:" في صورة رجل ، في خَلْق رجل"(١١٣٢).

قال قتادة:" يقول : لو بعثنا إليهم ملكًا لجعلناه في صورة آدم"(١١٣٣).

قوله تعالى:{وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ} [الأنعام : ٩]، أي:" ولو جاءهم الملك بصورة رجل لاشتبه الأمر عليهم، كما اشتبه عليهم أمر محمد -صلى الله عليه وسلم-"(١١٣٤).

قال السدي:" شبهنا عليهم ما يشبهون على أنفسهم"(١١٣٥).

قال قتادة:" ما لبس قوم على أنفسهم إلا لبس الله عليهم. واللبس إنما هو من الناس"(١١٣٦).

وقال جوبير:" وللبسنا على الملائكة من الثبات ما يلبسه الناس من ثيابهم ، ليكونوا على صورهم وعلى زِيِّهم"(١١٣٧).

وعن الضحاك في قوله : " {وللبسنا عليهم ما يلبسون}، يعني : التحريفَ ، هم أهل الكتاب ، فرقوا كتبهم ودينَهم ، وكذَّبوا رسلهم ، فلبَّس الله عليهم ما لبَّسوا على أنفسهم"(١١٣٨).

القرآن

{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١٠)} [الأنعام : ١٠]

التفسير:

ولمَّا كان طلبهم إنزال الملك على سبيل الاستهزاء بمحمد صلى الله عليه وسلم بيَّن الله تعالى له أن الاستهزاء بالرسل عليهم السلام ليس أمرا حادثا، بل قد وقع من الكفار السابقين مع أنبيائهم، فأحاط بهم العذاب الذي كانوا يهزؤون به وينكرون وقوعه.

سبب النزول:

قال محمد بن إسحاق: "ومرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بلغني بالوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، وأبي جهل بن هشام، فهمزوه واستهزءوا به، فغاظه ذلك، فأنزل الله تعالى عليه في ذلك من أمرهم: {وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}"(١١٣٩).[ضعيف]

عن الضحاك: "كان النبي صلى الله عليه وسلم جالسا في المسجد الحرام مع المستضعفين من المؤمنين بلال بن رباح وصهيب بن سنان وعمار بن ياسر وغيرهم. فمر بهم أبو جهل بن هشام في ملأ من قريش وقال: يزعم محمد أن هؤلاء ملوك أهل الجنة فأنزل الله تعالى عل رسوله هذه الآية ليثبت بها فؤاده، ويصبره على أذاهم فقال: :{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ}"(١١٤٠).

قوله تعالى:{فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ} [الأنعام : ١٠]، أي:"فأحاط ونزل بهؤلاء المستهزئين بالرسل عاقبة استهزائهم"(١١٤١).

قال السدي:" يقول: وقع بهم العذاب الذي استهزءوا به"(١١٤٢).

(١١٣١) صفوة التفاسير:٣٥٢/١.

(١١٣٢) أخرجه الطبري(١٣٠٨٥):ص٢٦٨/١١-٢٦٩.

(١١٣٣) أخرجه الطبري(١٣٠٨٦):ص٢٦٩/١١.

(١١٣٤) التفسير الميسر:١٢٩.

(١١٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٩١):ص٢٧٠/١١.

(١١٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٠٩٠):ص٢٧٠/١١.

(١١٣٧) انظر: النكت والعيون:٩٦/٢.

(١١٣٨) أخرجه الطبري(١٣٠٩٣):ص٢٧١/١١.

(١١٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٣٧):ص١٢٦٧/٤.

(١١٤٠) بحر العلوم:٤٣٦/١.

(١١٤١)صفوة التفاسير:٣٥٢/١.

(١١٤٢) أخرجه الطبري(١٣٠٩٤):ص٢٧٢/١١.

قال الربيع بن أنس:"{ فَحَاقَ}: ترك"[١١٤٣]. ونقل عنه الواحدي والبغوي، أنه قال:"نزل"[١١٤٤].
قال عطاء: "أحل"[١١٤٥].
قال الضحاك: "{فَحَاقَ}: أي: أحاط"[١١٤٦].

القرآن
{قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١١)} [الأنعام : ١١]
التفسير:
قل لهم -أيها الرسول-: سيروا في الأرض ثم انظروا كيف أعقب الله المكذبين الهلاك والخزي؟ فاحذروا مثل مصارعهم، وخافوا أن يحلَّ بكم مثل الذي حل بهم.
قوله تعالى:{كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ} [الأنعام : ١١]، أي:" كيف أعقب الله المكذبين الهلاك والخزي؟ فاحذروا مثل مصارعهم، وخافوا أن يحلَّ بكم مثل الذي حل بهم"[١١٤٧].
قال قتادة:" بئس والله ما كان عاقبة المكذبين، دمر الله عليهم وأهلكهم ثم صيرهم إلى النار"[١١٤٨].

القرآن
{قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢)} [الأنعام : ١٢]
التفسير:
قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: لمن مُلكُ السموات والأرض وما فيهن؟ قل: هو لله كما تقرون بذلك وتعلمونه، فاعبدوه وحده. كتب الله على نفسه الرحمة فلا يعجل على عباده بالعقوبة. ليجمعنكم إلى يوم القيامة الذي لا شك فيه للحساب والجزاء. الذين أشركوا بالله أهلكوا أنفسهم، فهم لا يوحدون الله، ولا يصدقون بوعده ووعيده، ولا يقرون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.
قوله تعالى:{كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الأنعام : ١٢]، أي:" كتب الله على نفسه الرحمة فلا يعجل على عباده بالعقوبة"[١١٤٩].
قال طاوس:" إن الله تعالى ذكره لما خلق الخلق ، لم يعطف شيء على شيء ، حتى خلق مئة رحمة ، فوضع بينهم رحمة واحدة ، فعطف بعضُ الخلق على بعض"[١١٥٠].
قال معمر: وأخبرني الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، حسبته أسنده قال : "إذا فرغ الله عز وجلّ من القضاء بين خلقه ، أخرج كتابًا من تحت العرش فيه : «إن رحمتي سبقت غضبي ، وأنا أرحم الراحمين»، قال : فيخرج من النار مثل أهل الجنة أو قال : «مِثلا أهل الجنة»، ولا أعلمه إلا قال : «مثلا»، وأما «مثل »فلا أشك مكتوبًا ها هنا ، وأشار الحكم إلى نحره ، «عتقاء الله»، فقال رجل لعكرمة : يا أبا عبد الله ، فإن الله يقول : {يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ} [سورة المائدة : ٣٧] ؟ قال : ويلك ! أولئك أهلها الذين هم أهلها"[١١٥١].
عن أبي المخارق زهير بن سالم: قال عمر لكعب : "ما أوَّل شيء ابتدأه الله من خلقه ؟ فقال كعب : كتب الله كتابًا لم يكتبه بقلم ولا مداد ، ولكنه كتب بأصبعه يتلوها الزبرجد واللؤلؤ والياقوت « أنا الله لا إله إلا أنا ، سبقت رحمتي غضبي»"[١١٥٢].

(١١٤٣) الكشف والبيان:١٣٦/٤.
(١١٤٤) التفسير البسيط:٣٠/٨، وتفسير البغوي:١٣٠/٣.
(١١٤٥)الكشف والبيان:١٣٦/٤. وتفسير البغوي:١٣٠/٣، وعزاه الواحدي لابن عباس، انظر: التفسير البسيط:٣٠/٨.
(١١٤٦) ذكره عنه الواحدي في التفسير البسيط:٣١/٨، والبغوي في تفسيره:١٣٠/٣.
(١١٤٧) التفسير الميسر:١٢٩.
(١١٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٤٠):ص١٢٦٨/٤.
(١١٤٩) التفسير الميسر:١٢٩.
(١١٥٠) أخرجه الطبري(١٣١٠١):ص٢٧٦/١١.
(١١٥١) أخرجه الطبري(١٣١٠٣):ص٢٧٦/١١.
(١١٥٢) أخرجه الطبري(١٣١٠٨):ص٢٧٧/١١.

قوله تعالى:{لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ} [الأنعام : ١٢]، أي:" ليجمعنكم إلى يوم القيامة الذي لا شك فيه للحساب والجزاء"[١١٥٣].

روي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، ونافع مولى، بن عمر، وعطاء بن أبي رباح، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، ومقاتل بن حيان، والسدي، وإسماعيل بن أبي خالد قالوا: "الريب: الشك"[١١٥٤].

القرآن

{وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١٣)} [الأنعام : ١٣]

التفسير:

ولله ملك كل شيء في السموات والأرض، سكن أو تحرك، خفي أو ظهر، الجميع عبيده وخلقه، وتحت قهره وتصرفه وتدبيره، وهو السميع لأقوال عباده، الحليم بحركاتهم وسرائرهم.

سبب النزول:

نقل الواحدي عن الكلبي عن ابن عباس: "إن كفار مكة أتوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا محمد إنا قد علمنا أنه إنما يحملك على ما تدعو إليه الحاجة، فنحن نجعل لك نصيبا في أموالنا حتى تكون أغنانا رجلا وترجع عما أنت عليه، فنزلت هذه الآية"[١١٥٥]. [ضعيف]

قوله تعالى:{وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ} [الأنعام : ١٣]، أي:" ولله ملك كل شيء في السموات والأرض، سكن أو تحرك، خفي أو ظهر، الجميع عبيده وخلقه، وتحت قهره وتصرفه وتدبيره"[١١٥٦].

قال السدي:" يقول: ما استقر في الليل والنهار"[١١٥٧].

قوله تعالى:{وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنعام : ١٣]، أي:" وهو السميع لأقوال عباده، الحليم بحركاتهم وسرائرهم"[١١٥٨].

قال محمد بن إسحاق:" أي : سميع لما يقولون، عليم بما يخفون"[١١٥٩].

القرآن

{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٤)} [الأنعام : ١٤]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين مع الله تعالى غيره: أغير الله تعالى أتخذ وليًّا ونصيرًا، وهو خالق السموات والأرض وما فيهن، وهو الذي يرزق خلقه ولا يرزقه أحد؟ قل -أيها الرسول-: إني أُمِرْتُ أن أكون أول مَن خضع وانقاد له بالعبودية من هذه الأمة، ونهيت أن أكون من المشركين معه غيره.

سبب النزول:

قوله تعالى:{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا} [الأنعام : ١٤]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين مع الله تعالى غيره: أغير الله تعالى أتخذ وليًّا ونصيرًا"[١١٦٠].

قال السدي:" أما«الولي»، فالذي يتولّونه ويقرّون له بالربوبية"[١١٦١].

قوله تعالى:{فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الأنعام : ١٤]، أي:" وهو خالق السموات والأرض وما فيهن"[١١٦٢].

(١١٥٣) التفسير الميسر:١٢٩.

(١١٥٤) تفسير ابن ابي حاتم(٧١٤٥):ص١٢٦٩/٤.

(١١٥٥) أسباب النزول:٢١٣-٢١٤. الكلبي هو ممن يضع الحديث، فالخبر لاشيء.

(١١٥٦) التفسير الميسر:١٢٩.

(١١٥٧) تفسير ابن ابي حاتم(٧١٤٦):ص١٢٦٩/٤.

(١١٥٨) التفسير الميسر:١٢٩.

(١١٥٩) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص١٦٥/٧.

(١١٦٠) التفسير الميسر:١٢٩.

(١١٦١) أخرجه الطبري(١٣١١٠):ص٢٨٢/١١.

(١١٦٢) التفسير الميسر:١٢٩.

قال قتادة[١١٦٣] والسدي[١١٦٤]:" خالق السماوات والأرض".
قال مجاهد:" سمعت ابن عباس يقول: كنت لا أدري ما{فاطر السماوات والأرض}، حتى أتاني أعرابيّان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه:«أنا فَطَرتها»، يقول: أنا ابتدأتها"[١١٦٥].
قوله تعالى:{وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ} [الأنعام : ١٤]، أي:"وهو الذي يرزق خلقه ولا يرزقه أحد"[١١٦٦].
قال السدي:" يَرْزق، ولا يُرزق"[١١٦٧].

القرآن
{مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ (١٦)} [الأنعام : ١٦]
التفسير:
من يصرف الله عنه ذلك العذاب الشديد فقد رحمه، وذلك الصرف هو الظفر البين بالنجاة من العذاب العظيم.
قوله تعالى:{مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ} [الأنعام : ١٦]، أي:" من يصرف الله عنه ذلك العذاب الشديد فقد رحمه"[١١٦٨].
قال قتادة:" من يصرف عنه العذاب"[١١٦٩].

القرآن
{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٧)} [الأنعام : ١٧]
التفسير:
وإن يصبك الله تعالى -أيها الإنسان- بشيء يضرك كالفقر والمرض فلا كاشف له إلا هو، وإن يصبك بخير كالغنى والصحة فلا راد لفضله ولا مانع لقضائه، فهو -جل وعلا- القادر على كل شيء.
قوله تعالى:{وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ} [الأنعام : ١٧]، أي:" وإن يصبك الله تعالى - أيها الإنسان- بشيء يضرك كالفقر والمرض فلا كاشف له إلا هو"[١١٧٠].
عن السدي:"«الضر» -هاهنا- المرض"[١١٧١].
قوله تعالى:{وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الأنعام : ١٧]، أي:" وإن يصبك بخير كالغنى والصحة فلا راد لفضله ولا مانع لقضائه، فهو -جل وعلا- القادر على كل شيء"[١١٧٢].
عن السدي:"«الخير» العافية"[١١٧٣].
عن السدي :"في قوله {وإن يمسسك بخير} يقول: بعافية"[١١٧٤].
قال محمد بن إسحاق:" أي: لا يقدر على هذا غيرك بسلطانك وقدرتك"[١١٧٥].

القرآن
{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (١٨)} [الأنعام : ١٨]
التفسير:

(١١٦٣) أخرجه الطبري(١٣١١٣):ص٢٨٣/١١.
(١١٦٤) أخرجه الطبري(١٣١١٢):ص٢٨٣/١١.
(١١٦٥) أخرجه الطبري(١٣١١١):ص٢٨٣/١١.
(١١٦٦) التفسير الميسر:١٢٩.
(١١٦٧) أخرجه الطبري(١٣١١٤):ص١٨٤/١١.
(١١٦٨) التفسير الميسر:١٢٩.
(١١٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٧١٥٥):ص١٢٧٠/٤.
(١١٧٠) التفسير الميسر:١٢٩.
(١١٧١) المحرر الوجيز:٢٧٤/٢.
(١١٧٢) التفسير الميسر:١٢٩.
(١١٧٣) المحرر الوجيز:٢٧٤/٢.
(١١٧٤) الدر المنثور:٢٥٥/٣.
(١١٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٥٦):ص١٢٧٠/٤.

والله سبحانه هو الغالب القاهر فوق عباده; خضعت له الرقاب وذلّتْ له الجبابرة، وهو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها وَفْق حكمته، الخبير الذي لا يخفى عليه شيء. ومن اتصف بهذه الصفات يجب ألا يشرك به.

قوله تعالى:{وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [الأنعام : ١٨]، أي:" وهو الحكيم الذي يضع الأشياء مواضعها وَفْق حكمته، الخبير الذي لا يخفى عليه شيء"(١١٧٦).

قال أبو العالية:" الحكيم في أمره"(١١٧٧).

قال محمد بن إسحاق:" الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"(١١٧٨).

القرآن

{قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٩)} [الأنعام : ١٩]

التفسير:

قل -أيها الرسول لهؤلاء المشركين-: أيُّ شيء أعظم شهادة في إثبات صدقي فيما أخبرتكم به أني رسول الله؟ قل: الله شهيد بيني وبينكم أي: هو العالم بما جئتكم به وما أنتم قائلونه لي، وأوحى الله إليَّ هذا القرآن مِن أجل أن أنذركم به عذابه أن يحلَّ بكم، وأنذر به مَن وصل إليه من الأمم. إنكم لتقرون أن مع الله معبودات أخرى تشركونها به. قل لهم -أيها الرسول-: إني لا أشهد على ما أقررتم به، إنما الله إله واحد لا شريك له، وإنني بريء من كل شريك تعبدونه معه.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "جاء النحام بن زيد وقردم بن كعب وبحري بن عمير، فقالوا: يا محمد! ما تعلم مع الله إلهاً غيره، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لا إله إلا الله، بذلك بُعثت وإلى ذلك أدعو»؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ- فيهم وفي قولهم: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللهِ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (١٩) الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠)}(١١٧٩). [ضعيف]

الثاني: نقل الواحدي عن الكلبي: "إن رؤساء مكة قالوا: يا محمد ما نرى أحدا يصدقك بما تقول من أمر الرسالة، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أن ليس لك عندهم ذكر ولا صفة، فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم، فأنزل الله تعالى هذه الآية"(١١٨٠).[ضعيف]

قوله تعالى:{وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ} [الأنعام : ١٩]، أي:" وأوحى الله إليَّ هذا القرآن مِن أجل أن أنذركم به عذابه أن يحلَّ بكم، وأنذر به مَن وصل إليه من الأمم"(١١٨١).

قال محمد بن كعب:"من بلغه القرآن فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم - زاد أبو خالد : وكلّمه"(١١٨٢).

(١١٧٦) التفسير الميسر:١٢٩.

(١١٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٥٧):ص١٢٧٠/٤.

(١١٧٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٥٨):ص١٢٧١/٤.

(١١٧٩)أخرجه ابن إسحاق في "المغازي" –ومن طريقه الطبري في "جامع البيان"(١٣١٢٩):ص٢٩٣/١١، وذكر الطبري أن هذا الإسناد لم تثبت صحته عندهـ قال المحقق:"وهذه أول مرة يذكر أبو جعفر أن هذا الإسناد لم تثبت صحته عنده ، كما قدم قبل ذكره".

وهذا سند ضعيف ؛لجهالة محمد هذا؛ فلم يرو عنه إلا ابن إسحاق ، وقال الذهبي في "الميزان": لايعرف، وقال ابن حجر: مجهول.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٥٦) وزاد نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

وهو عند ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٧١٦٨):ص١٢٧٢/٤،معضلاً.

(١١٨٠) أسباب النزول:٢١٤. الكلبي هو ممن يضع الحديث، فالخبر لاشيء.

(١١٨١) التفسير الميسر:١٣٠.

عن قتادة في قوله : "{ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ } إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : "بلغوا عن الله ، فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بَلَغه أمر الله"[١١٨٣].

قال الربيع بن أنس : "حق على من اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو كالذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن ينذر كالذي أنذر"[١١٨٤].

القرآن

{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٠)} [الأنعام : ٢٠]

التفسير:

الذين آتيناهم التوراة والإنجيل، يعرفون محمدًا صلى الله عليه وسلم بصفاته المكتوبة عندهم كمعرفتهم أبناءهم، فكما أن أبناءهم لا يشتبهون أمامهم بغيرهم، فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم لا يشتبه بغيره لدقة وصفه في كتبهم، ولكنهم اتبعوا أهواءهم، فخسروا أنفسهم حين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به.

قوله تعالى:{الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ} [الأنعام : ٢٠]، أي:" الذين آتيناهم التوراة والإنجيل، يعرفون محمدًا صلى الله عليه وسلم بصفاته المكتوبة عندهم كمعرفتهم أبناءهم، فكما أن أبناءهم لا يشتبهون أمامهم بغيرهم، فكذلك محمد صلى الله عليه وسلم لا يشتبه بغيره لدقة وصفه في كتبهم"[١١٨٥].

قال قتادة:" اليهود , والنصارى يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتابهم كما يعرفون أبناءهم"[١١٨٦].

وروي عن خصيف أنه قال: "يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم وصفته كما يعرفون أبناءهم"[١١٨٧].

القرآن

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢١)} [الأنعام : ٢١]

التفسير:

لا أحد أشد ظلمًا ممَّن تَقَوَّلَ الكذب على الله تعالى، فزعم أن له شركاء في العبادة، أو ادَّعى أن له ولدًا أو صاحبة، أو كذب ببراهينه وأدلته التي أيَّد بها رسله عليهم السلام. إنه لا يفلح الظالمون الذين افتروا الكذب على الله، ولا يظفرون بمطالبهم في الدنيا ولا في الآخرة.

سبب النزول:

عن عكرمة قال: قال النضر وهو من بني عبد الدار: إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات والعزى فأنزل الله تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ}"[١١٨٨].

قوله تعالى:{أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ} [الأنعام : ٢١]، أي:" أو كذب ببراهينه وأدلته التي أيَّد بها رسله عليهم السلام"[١١٨٩].

قال الحسن: "كل ما في القرآن:«بآياتنا وآياته»، يعني به: الدين بما فيه"[١١٩٠].

القرآن

(١١٨٢) اخرجه ابن أبي حاتم والطبري كما في تفسير ابن كثير:٢٤٥/٣.
(١١٨٣) تفسير ابن كثير:٢٤٥/٣.
(١١٨٤) تفسير ابن كثير:٢٤٥/٣.
(١١٨٥) التفسير الميسر:١٣٠.
(١١٨٦) تفسير عبدالرزاق(٧٨٨):ص٤٧/٢.
(١١٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٧١٧١):ص١٢٧٣/٤.
(١١٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧١٧٣):ص١٢٧٣/٤.
(١١٨٩) التفسير الميسر:١٣٠.
(١١٩٠) تفسير الثعلبي:١٤١/٤.

{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٢٢)} [الأنعام : ٢٢]

التفسير:

وليحذر هؤلاء المشركون المكذبون بآيات الله تعالى يوم نحشرهم ثم نقول لهم: أين آلهتكم التي كنتم تدَّعون أنهم شركاء مع الله تعالى ليشفعوا لكم؟

قوله تعالى:{وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا} [الأنعام : ٢٢]، أي:" أي اذكر يوم نحشرهم جميعاً للحساب"(١١٩١).

قال مجاهد:" الحشر: الموت"(١١٩٢).

القرآن

{ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ (٢٣)} [الأنعام : ٢٣]

التفسير:

ثم لم تكن إجابتهم حين فتنوا واختبروا بالسؤال عن شركائهم إلا أن تبرؤوا منهم، وأقسموا بالله ربهم أنهم لم يكونوا مشركين مع الله غيره.

قوله تعالى:{ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ} [الأنعام : ٢٣]، أي:"ثم لم يكن جوابهم حين اختبروا بهذا السؤال ورأوا الحقائق"(١١٩٣).

وفي معنى «الفتنة»في الآية الكريمة،أربعة أقوال :

أحدها : يعني معذرتهم ، فسماها فتنة لحدوثها عن الفتنة ، قاله قتادة(١١٩٤).

الثاني: أنها بمعنى البلية، يعني: بَلِيَّتُهم التي ألزمتهم الحجة وزادتهم لائمة ، قاله عطاء الخراساني(١١٩٥).

الثالث: أنها بمعنى الكلام والقول. وهذا قول قتادة-في قوله الآخر(١١٩٦)- والضحاك(١١٩٧).

والصواب من القول في ذلك أن يقال : معناه : ثم لم يكن قيلهم عند فتنتنا إياهم ، اعتذارًا مما سلف منهم من الشرك بالله {إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين}، فوضعت «الفتنة» موضع «القول»، لمعرفة السامعين معنى الكلام. وإنما «الفتنة»، الاختبار والابتلاء ، ولكن لما كان الجواب من القوم غيرَ واقع هنالك إلا عند الاختبار ، وضعت «الفتنة» التي هي الاختبار ، موضع الخبر عن جوابهم ومعذرتهم"(١١٩٨).

قوله تعالى:{إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام : ٢٣]، أي:" أقسموا كاذبين بقولهم والله يا ربنا ما كنا مشركين"(١١٩٩).

قال مجاهد:" قول أهل الشرك، حين رأوا كل أحد يخرج منها غير أهل الشرك، ورأوا الذنوب تغفر، ولا يغفر الله الشرك"(١٢٠٠).

عن سعيد بن جبير:" أنه كان يقرأ هذا الحرف، "ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا". حلفوا واعتذروا"(١٢٠١).

القرآن

{انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤)} [الأنعام : ٢٤]

التفسير:

(١١٩١) صفوة التفاسير:٣٥٦/١.

(١١٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٧١٧٤):ص١٢٧٣/٤.

(١١٩٣) صفوة التفاسير:٣٥٦/١.

(١١٩٤) انظر: تفسير الطبري(١٣١٣٨):ص٢٩٩/١١.

(١١٩٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧١٧٨):ص١٢٧٣/٤.

(١١٩٦) انظر: تفسير الطبري(١٣١٣٤):ص٢٩٩/١١.

(١١٩٧) انظر: تفسير الطبري(١٣١٣٧):ص٢٩٩/١١.

(١١٩٨) تفسير الطبري:٣٠٠/١١.

(١١٩٩) صفوة التفاسير:٣٥٦/١.

(١٢٠٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧١٨٢):ص١٢٧٤/٤.

(١٢٠١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧١٨٣):ص١٢٧٤/٤.

تأمل -أيها الرسول- كيف كذب هؤلاء المشركون على أنفسهم وهم في الآخرة قد تبرؤوا من الشرك؟ وذهب وغاب عنهم ما كانوا يظنونه من شفاعة آلهتهم.

قوله تعالى:{انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ} [الأنعام : ٢٤]، أي:" تأمل -أيها الرسول- كيف كذب هؤلاء المشركون على أنفسهم وهم في الآخرة قد تبرؤوا من الشرك؟"[١٢٠٢].

قال مجاهد:" بتكذيب الله إياهم"[١٢٠٣].

قوله تعالى:{وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [الأنعام : ٢٤]، أي:" وذهب وغاب عنهم ما كانوا يظنونه من شفاعة آلهتهم"[١٢٠٤].

قال قتادة:" أي: يشركون"[١٢٠٥].

القرآن

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥)} [الأنعام : ٢٥]

التفسير:

ومن هؤلاء المشركين من يستمع إليك القرآن -أيها الرسول-، فلا يصل إلى قلوبهم; لأنهم بسبب اتباعهم أهواءهم جعلنا على قلوبهم أغطية; لئلا يفقهوا القرآن، وجعلنا في آذانهم ثقلا وصممًا فلا تسمع ولا تعي شيئًا، وإن يروا الآيات الكثيرة الدالة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم لا يصدقوا بها، حتى إذا جاؤوك -أيها الرسول- بعد معاينة الآيات الدالة على صدقك يخاصمونك: يقول الذين جحدوا آيات الله: ما هذا الذي نسمع إلا ما تناقله الأولون من حكايات لا حقيقة لها.

سبب النزول:

قال ابن عباس في رواية أبي صالح: "إن أبا سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث، وعتبة وشيبة ابني ربيعة، وأمية وأبيا ابني خلف، استمعوا إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا للنضر: يا أبا قتيلة ما يقول محمد؟ قال: والذي جعلها بيته ما أدري ما يقول، إلا أني أرى يحرك شفتيه يتكلم بشيء وما يقول إلا أساطير الأولين مثلما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، وكان النضر كثير الحديث عن القرون الأولى، وكان يحدث قريشا فيستملحون حديثه، فأنزل الله تعالى هذه الآية"[١٢٠٦].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ} [الأنعام : ٢٥]، أي:" جعلنا على قلوبهم أغطية لئلا يفقهوا القرآن"[١٢٠٧].

قال السدي:" أما {أكنة}، فالغطاء أكن قلوبهم"[١٢٠٨]. قال ابن أبي حاتم:"وروي، عن مجاهد، وعطية، والضحاك، نحو ذلك"[١٢٠٩].

وعن السدي ايضا:" قوله: {أن يفقهوه}: لا يفقهون الحق"[١٢١٠].

قوله تعالى:{وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا} [الأنعام : ٢٥]، أي:" وجعلنا في آذانهم ثقلا وصممًا فلا تسمع ولا تعي شيئًا"[١٢١١].

قال قتادة:" يسمعونه بآذانهم، ولا يعون منه شيئا، كمثل البهيمة التي تسمع النداء، وما تدري ما يقال لها"[١٢١٢].

عن السدي:"{وفي آذانهم وقرا}، قال: صمم"[١٢١٣].

(١٢٠٢) التفسير الميسر:١٣٠.

(١٢٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٧١٨٤):ص١٢٧٥/٤.

(١٢٠٤) التفسير الميسر:١٣٠.

(١٢٠٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧١٨٧):ص١٢٧٥/٤.

(١٢٠٦) أسباب النزول:٢١٤-٢١٥. أبو صالح لم يسمع من ابن عباس.

(١٢٠٧)صفوة التفاسير:٣٥٧/١.

(١٢٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٧١٩٠):ص١٢٧٥/٤.

(١٢٠٩) تفسير ابن ابي حاتم:١٢٧٥/٤.

(١٢١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٧١٩١):ص١٢٧٦/٤.

(١٢١١) التفسيرالميسر:١٣٠.

(١٢١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٧١٩٢):ص١٢٧٦/٤.

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [الأنعام : ٢٥]، أي:" حتى إذا جاؤوك -أيها الرسول- بعد معاينة الآيات الدالة على صدقك يخاصمونك: يقول الذين جحدوا آيات الله: ما هذا الذي نسمع إلا ما تناقله الأولون من حكايات لا حقيقة لها"(١٢١٤).

عن السدي قوله: "{إن هذا إلا أساطير الأولين}: أساجيع الأولين"(١٢١٥).

عن قتادة:{أساطير الأولين}، أي: أحاديث الأولين وباطلهم"(١٢١٦).

القرآن

{وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٢٦)} [الأنعام : ٢٦]

التفسير:

وهؤلاء المشركون ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والاستماع إليه، ويبتعدون بأنفسهم عنه، وما يهلكون -بصدهم عن سبيل الله- إلا أنفسهم، وما يحسون أنهم يعملون لهلاكها.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: "نزلت في أبي طالب، كان نهى المشركين أن يؤذوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويتباعد عما جاء به "(١٢١٧). [حسن لغيره] وروي عن عطاء بن دينار(١٢١٨) نحو ذلك.

وعن القاسم بن مخيمرة؛ قال: "نزلت في أبي طالب كان ينهى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يؤذي ولا يصدق به "(١٢١٩). [حسن لغيره]

(١٢١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٧١٩٣):ص١٢٧٦/٤.

(١٢١٤) التفسير الميسر:١٣٠.

(١٢١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٧١٩٧):ص١٢٧٦/٤.

(١٢١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٧١٩٨):ص١٢٧٦/٤.

(١٢١٧)أخرجه الحاكم في "المستدرك" (٢/ ٣١٥) -وعنه البيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٣٤٠، ٣٤١) -، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٤٤) من طريق محمد بن منده الأصبهاني ثنا بكر بن بكار ثنا حمزة بن حبيب عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: حبيب بن أبي ثابت؛ مدلس وقد عنعنه، ورواه عنه الثوري كما سيأتي؛ فقال: عمن سمع ابن عباس.

الثانية: بكر بن بكار؛ ضعيف؛ ضعفه النسائي، وابن معين، وأبو حاتم، وابن الجارود، وابن أبي حاتم وغيرهم، راجع: "الميزان" (١/ ٣٤٣ رقم ١٢٧٤)، و"اللسان" (٢/ ٤٨ رقم ١٧٨) وغيرها.

والصواب: أن حبيب لم يسمعه من سعيد؛ كذا رواه الثقة الثبت الحافظ الثوري؛ فأخرجه عبد الرزاق في "التفسير" (١/ ٢/ ٢٠٦) -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٣١٧٢):ص٣١٣/١١، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٣٤٠) -، والطبري - أيضاً- من طريق أخرى (٧/ ١١٠)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٢٧٦، ١٢٧٧ رقم ٧١٩٩)، والحاكم (٢/ ٣١٥) -وعنه البيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٣٤٠) - من طرق عن الثوري -وهذا في "تفسيره" (١٠٦ - ١٠٧/ ٢٦٤) - عن حبيب بن أبي ثابت عمن سمع ابن عباس به.

ورواه الطبراني في "الكبير" (١٢/ ١٠٤ رقم ١٢٨٢) من طريق قيس بن الربيع عن حبيب عن ابن عباس، وهذا كما ترى شبه الموصول، وليس الأمر كذلك؛ فقيس ضعيف لا يعادل الثوري في الحفظ، والصواب أن حبيباً لم يسمعه، فعلته الانقطاع.

أما الحاكم، فقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وقال الذهبي: صحيح!!

وفاتهما ما ذكرنا.

وتوبع الإمام الثوري: تابعه حماد بن شعيب عن حبيب به؛ أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٥/ ١٠ - ١١/ ٨٧٤ - تكملة).

قلنا: وحماد ضعيف يستشهد به.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٦٠) وزاد نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

(١٢١٨)أخرجه الطبري (١٣١٧٨):ص٣١٤/١١،بسند صحيح إليه.

قلنا: وسندهضعيف؛لإعضاله.

(١٢١٩)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣١٧٣):ص٣١٣/١١، من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد عن القاسم به.

قلنا: وهذا مرسل رجاله ثقات، فيرتقي حديث ابن عباس السابق إلى درجة الحسن لغيره بمجموعهما -إن شاء الله-، والله أعلم.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٦٠) وزاد نسبته لابن أبي شيبة -ولم نجده فيه بعد طول بحث- وابن المنذر وأبي الشيخ.

وعن سعيد بن أبي هلال؛ قال:" نزلت في عمومة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وكانوا عشرة، فكانوا أشد الناس معه في العلانية وأشد الناس عليه في السر"[١٢٢٠]. [ضعيف]
والثاني: أنها: نزلت في كفار مكة كانوا ينهون الناس عن اتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - ويتباعدون بأنفسهم عنه، قاله محمد بن الحنفية[١٢٢١]، والسدي[١٢٢٢]، والضحاك[١٢٢٣]، وهو قول ابن عباس في رواية الوالبي[١٢٢٤].

قوله تعالى:{وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ} [الأنعام : ٢٦]، أي:" وهؤلاء المشركون ينهون الناس عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم والاستماع إليه، ويبتعدون بأنفسهم عنه"[١٢٢٥].

وفي قوله تعالى:{وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ} [الأنعام : ٢٦]، ثلاثة وجوه:
أحدها : يَنْهَون عن اتباع محمد -صلى الله عليه وسلم- ، ويتباعدون عنه فراراً منه ، قاله محمد ابن الحنفية[١٢٢٦]، والحسن[١٢٢٧]، والسدي[١٢٢٨]، والضحاك[١٢٢٩]، وحبيب بن ابي ثابت[١٢٣٠].
الثاني : يَنْهَون عن القرآن أن يُعْمَل بما فيه ، ويتباعدون من سماعه كيلا يسبق إلى قلوبهم العلم بصحته ، قاله مجاهد[١٢٣١]، وقتادة[١٢٣٢].
الثالث : ينهون عن قتل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-. قال القرظي[١٢٣٣].
روي عن محمد بن كعب: ينهون، عن قتله" [١٢٣٤].

وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية ، قولُ من قال : تأويلُه : {وهم ينهون عنه}، عن إتباع محمد صلى الله عليه وسلم مَنْ سواهم من الناس ، وينأون عن اتباعه، وذلك أن الآيات قبلها جرت بذكر جماعة المشركين العادِلين به ، والخبرِ عن تكذيبهم رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ، والإعراض عما جاءهم به من تنزيل الله ووحيه ، فالواجب أن يكون قوله : {وهم ينهون عنه}، خبرًا عنهم ، إذ لم يأتنا ما يدُلُّ على انصراف الخبر عنهم إلى غيرهم. بل ما قبل هذه الآية وما بعدها ، يدلّ على صحة ما قلنا ، من أن ذلك خبر عن جماعة مشركي قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دون أن يكون خبرًا عن خاصٍّ منهم"[١٢٣٥].

القرآن
{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢٧)} [الأنعام : ٢٧]
التفسير:

(١٢٢٠)أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٢٧٧ رقم ٧٢٠٤): ثنا أبي ثنا هشام بن خالد ثنا الوليد عن ابن لهيعة عن خالد بن يزيد عنه به.
قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ مسلسل بالعلل:
الأولى: الإعضال.
الثانية: ابن لهيعة؛ سيئ الحفظ.
الثالثة: الوليد بن مسلم يدلس تدليس التسوية، وقد عنعنه.
(١٢٢١)انظر: أسباب النزول للواحدي:٢١٥.ذكره بدون إسناد.
(١٢٢٢)انظر: أسباب النزول للواحدي:٢١٥.ذكره بدون إسناد.
(١٢٢٣)انظر: أسباب النزول للواحدي:٢١٥.ذكره بدون إسناد.
(١٢٢٤) انظر: أسباب النزول للواحدي:٢١٥.ذكره بدون إسناد، والوالبي: هوعلي بن أبي طلحة وهو لم يسمع من ابن عباس.
(١٢٢٥) التفسيرالميسر:١٣٠.
(١٢٢٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٢٠١):ص١٢٧٧/٤.
(١٢٢٧) انظر: النكت والعيون:١٠٤/٢، ولم أقف عليه.
(١٢٢٨) انظر: تفسير الطبري(١٣١٦١):ص٣١١/١١.
(١٢٢٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٢٧٧/٤، ذكره دون إسناد.
(١٢٣٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٢٧٧/٤، ذكره دون إسناد.
(١٢٣١) انظر: تفسير الطبري(١٣١٦٧):ص٣١٢/١١.
(١٢٣٢) انظر: تفسير الطبري(١٣١٦٨):ص٣١٢/١١.
(١٢٣٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٠٥):ص١٢٧٧/٤.
(١٢٣٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٠٥):ص١٢٧٧/٤.
(١٢٣٥) تفسير الطبري:٣١٥/١١.

ولو ترى -أيها الرسول- هؤلاء المشركين يوم القيامة لرأيت أمرًا عظيمًا، وذلك حين يُحْبَسون على النار، ويشاهدون ما فيها من السلاسل والأغلال، ورأوا بأعينهم تلك الأمور العظام والأهوال، فعند ذلك قالوا: ياليتنا نُعاد إلى الحياة الدنيا، فنصدق بآيات الله ونعمل بها، ونكون من المؤمنين.

قوله تعالى:{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ} [الأنعام : ٢٧]، أي:" أي لو ترى -أيها الرسول- هؤلاء المشركين يوم القيامة إذ عرضوا على النار لرأيت أمراً عظيماً"(١٢٣٦).

وفي تفسير قوله تعالى:{إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ} [الأنعام : ٢٧]، وجهان:

أحدهما: أن يكونوا عليها وهي تحتهم.

وفي هذا السياق قال كعب: "ترفع جهنم يوم القيامة كأنها متن إهالة وتستوي أقدام الخلائق، فينادي منادٍ: أن خذي أصحابك ودعي أصحابي، فتنخسف بهم ولهي أعرف بهم من الوالدة بولدها وتمر أولياء الله تندى ثيابهم"(١٢٣٧).

الثاني: يعني: جمعوا على ابوابها. قاله الضحاك(١٢٣٨).

القرآن

{بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٢٨)} [الأنعام : ٢٨]

التفسير:

ليس الأمر كذلك، بل ظهر لهم يوم القيامة ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق ما جاءت به الرسل في الدنيا، وإن كانوا يظهرون لأتباعه خلافه. ولو فرض أن أعيدوا إلى الدنيا فأمهلوا لرجعوا إلى العناد بالكفر والتكذيب. وإنهم لكاذبون في قولهم: لو رددنا إلى الدنيا لم نكذب بآيات ربنا، وكنا من المؤمنين.

قوله تعالى:{بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ} [الأنعام : ٢٨]، أي:" ليس الأمر كذلك، بل ظهر لهم يوم القيامة ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق ما جاءت به الرسل في الدنيا، وإن كانوا يظهرون لأتباعه خلافه"(١٢٣٩).

عن قتادة في قوله:"{بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل}، قال: من أعمالهم"(١٢٤٠).

وفي قوله تعالى:{بَلْ بَدَا لَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ} [الأنعام : ٢٨]، وجوه:

أحدها : بدا لهم ما كان يخفيه بعضهم عن بعض ، قاله الحسن(١٢٤١).

وعليه فإن:" المراد الكفار وكانوا إذا وعظهم النبي صلى الله عليه وسلم خافوا وأخفوا ذلك الخوف لئلا يفطن بهم ضعفاؤهم، فيظهر يوم القيامة"(١٢٤٢).

الثاني: بدت لهم أعمالهم في الآخرة، التي أخفوها في الدنيا. قاله السدي(١٢٤٣).

الثالث: ظهر لهم ما كانوا يجحدونه من الشرك فيقولون: {والله ربنا ما كنا مشركين}، فينطق الله جوارحهم فتشهد عليهم بالكفر فذلك حين {بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل}. قاله أبو روق(١٢٤٤).

قوله تعالى:{وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ} [الأنعام : ٢٨]، أي:" ولو فرض أن أعيدوا إلى الدنيا فأمهلوا لرجعوا إلى العناد بالكفر والتكذيب"(١٢٤٥).

قال قتادة:" يقول: ولو وصل الله لهم دُنيا كدنياهم، لعادوا إلى أعمالهم أعمال السوء"(١٢٤٦).

(١٢٣٦) صفوة التفاسير:١/٣٥٧، [بتصرف].

(١٢٣٧)أخرجه أحمد (١/ ٤٣٤)، والترمذي (٣١٥٩)،والحاكم (٢/ ٣٧٥)،والبيهقي في البعث (٦٥٧)، والحديث حسن الإسناد.

(١٢٣٨) عزاه إليه السمرقندي في البحر العلوم:١/٤٤١، والقرطبي في تفسيره:٦/٤٠٥.

(١٢٣٩) التفسير الميسر:١٣١.

(١٢٤٠) أخرجه الطبري(١٣١٨٢):ص١١/٣٢٢.

(١٢٤١) انظر: النكت والعيون:٢/١٠٦، وتفسير القرطبي:٦/٤١٠.

(١٢٤٢) تفسير القرطبي:٦/٤١٠.

(١٢٤٣) انظر: تفسير الطبري(١٣١٨١):ص١١/٣٢٢.

(١٢٤٤) انظر: تفسير القرطبي:٦/٤١٠، وأبوروق: -فتح الراء وسكون الواو وبعدها قاف-هو عطية بن الحرث الهمذاني الكوفي ذكره بن سعد في الطبقة الخامسة، وقال: هوصاحب التفسير. (التهذيب).

(١٢٤٥) التفسير الميسر:١٣١.

(١٢٤٦) أخرجه الطبري(١٣١٨٣):ص١١/٣٢٢.

القرآن

{وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٠)} [الأنعام : ٣٠]

التفسير:

ولو ترى -أيها الرسول- منكري البعث إذ حُبسوا بين يدي الله تعالى لقضائه فيهم يوم القيامة، لرأيت أسوأ حال، إذ يقول الله جل وعلا أليس هذا بالحق، أي: أليس هذا البعث الذي كنتم تنكرونه في الدنيا حقًّا؟ قالوا: بلى وربنا إنه لحق، قال الله تعالى: فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون أي: العذاب الذي كنتم تكذبون به في الدنيا بسبب جحودكم بالله تعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:{قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [الأنعام : ٣٠]، أي:"قال الله تعالى: فذوقوا العذاب الذي كنتم تكذبون به في الدنيا بسبب جحودكم بالله تعالى ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم"(١٢٤٧).

عن الحسن:" {تكفرون}، قال: تجحدون"(١٢٤٨).

القرآن

{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٣١)} [الأنعام : ٣١]

التفسير:

قد خسر الكفار الذين أنكروا البعث بعد الموت، حتى إذا قامت القيامة، وفوجئوا بسوء المصير، نادَوا على أنفسهم بالحسرة على ما ضيَّعوه في حياتهم الدنيا، وهم يحملون آثامهم على ظهورهم، فما أسوأ الأحمال الثقيلة السيئة التي يحملونها!!

قوله تعالى:{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ} [الأنعام : ٣١]، أي:"قد خسر الكفار الذين أنكروا البعث بعد الموت"(١٢٤٩).

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً} [الأنعام : ٣١]، أي:"حتى إذا جاءتهم القيامة فجأةً من غير أن يعرفوا وقتها"(١٢٥٠).

قال عكرمة:"لا تقوم الساعة حتى ينادي مناد: يا أيها الناس. أتتكم الساعة، أتتكم الساعة، أتتكم الساعة. ثلاثا"(١٢٥١).

قوله تعالى:{قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِيهَا} [الأنعام : ٣١]، أي:"قالوا يا ندامتنا علىما قصَّرنا وضيّعنا في الدنيا من صالح الأعمال"(١٢٥٢).

قال السدي:"أمّا{يا حسرتنا}، فندامتنا ، {على ما فرطنا فيها}، فضيعنا من عمل الجنة"(١٢٥٣).

عن مجاهد: "{يا حسرة}، قال: كانت عليهم حسرة استهزاؤهم بالرسل"(١٢٥٤).

قوله تعالى:{وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ} [الأنعام : ٣١]، أي:"وهم يحملون آثامهم على ظهورهم"(١٢٥٥).

قال عمرو بن قيس الملائي: "إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن شيء صورة وأطيبُه ريحًا، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: لا إلا أن الله قد طيَّب ريحك وحسَّن صورتك! فيقول: كذلك كنت في الدنيا، أنا

(١٢٤٧) التفسير الميسر:١٣١.
(١٢٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٢٢١):ص١٢٨٠/٤.
(١٢٤٩) التفسير الميسر:١٣١.
(١٢٥٠) صفوة التفاسير:٣٥٧/١.
(١٢٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٢٢٤):ص١٢٨٠/٤.
(١٢٥٢) صفوة التفاسير:٣٥٧/١.
(١٢٥٣) أخرجه الطبري(١٣١٨٥):ص٣٢٦/١١.
(١٢٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٢٢٧):ص١٢٨١/٤.
(١٢٥٥) التفسير الميسر:١٣١.

عملك الصالح، طالما ركبتك في الدنيا، فاركبني أنت اليوم! وتلا:{يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا} [سورة مريم: ٨٥] . وإن الكافر يستقبله أقبح شيء صورة وأنتنه ريحًا، فيقول، هل تعرفني؟ فيقول: لا إلا أن الله قد قَبّح صورتك وأنتن ريحك! فيقول: كذلك كنتُ في الدنيا، أنا عملك السيئ، طالما ركبتني في الدنيا، فأنا اليوم أركبك، وتلا":{وهم يحملون أوزارهم على ظُهورهم ألا ساء ما يزرون}"[١٢٥٦].

وقال السدي:"فإنه ليس من رجل ظالم يموت فيدخل قبره، إلا جاء رجل قبيح الوجه، أسودُ اللون، مُنتن الريح، عليه ثياب دَنِسة، حتى يدخل معه قبره، فإذا رآه قال له: ما أقبح وجهك! قال: كذلك كان عملك قبيحًا! قال: ما أنتن ريحك! قال: كذلك كان عملك منتنًا! قال: ما أدْنس ثيابك! قال فيقول: إن عملك كان دنسًا. قال: من أنت؟ قال: أنا عملك! قال: فيكون معه في قبره، فإذا بعث يوم القيامة قال له: إني كنت أحملك في الدنيا باللذَّات والشهوات، فأنت اليوم تحملني. قال: فيركب على ظهره فيسوقه حتى يدخله النار، فذلك قوله:{يحملون أوزارهم على ظهورهم}"[١٢٥٧].

قوله تعالى:{أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ} [الأنعام : ٣١]، أي:"فما أسوأ الأحمال الثقيلة السيئة التي يحملونها!"[١٢٥٨].

قال قتادة:"ساء ما يعملون"[١٢٥٩].

القرآن

{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٣٢)} [الأنعام : ٣٢]

التفسير:

وما الحياة الدنيا في غالب أحوالها إلا غرور وباطل، والعمل الصالح للدار الآخرة خير للذين يخشون الله، فيتقون عذابه بطاعته واجتناب معاصيه. أفلا تعقلون -أيها المشركون المغترون بزينة الحياة الدنيا- فتقدِّموا ما يبقى على ما يفنى؟

قوله تعالى:{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} [الأنعام : ٣٢]، أي:"وما الحياة الدنيا في غالب أحوالها إلا غرور وباطل"[١٢٦٠].

عن مجاهد قال: "«اللهو» هو:الطبل"[١٢٦١].

قوله تعالى:{وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} [الأنعام : ٣٢]، أي:" ولدّار الآخرة وما فيها من انواع النعيم خير للذين يخشون الله، فيتقون عذابه بطاعته واجتناب معاصيه"[١٢٦٢].

عن عكرمة قوله: "{وللدار الآخرة}، يقول: الجنة"[١٢٦٣].

عن الحسن:"وما أهل الحياة الدنيا إلا أهل لعب ولهو لاشتغالهم بها عما هو أولى منها"[١٢٦٤].

القرآن

{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (٣٣)} [الأنعام : ٣٣]

التفسير:

إنا نعلم إنه ليُدْخل الحزنَ إلى قلبك تكذيبُ قومك لك في الظاهر، فاصبر واطمئن; فإنهم لا يكذبونك في قرارة أنفسهم، بل يعتقدون صدقك، ولكنهم لظلمهم وعدوانهم يجحدون البراهين الواضحة على صدقك، فيكذبونك فيما جئت به.

(١٢٥٦) أخرجه الطبري(١٣١٨٧):ص٣٢٧/١١.
(١٢٥٧) أخرجه الطبري(١٣١٨٨):ص٣٢٨/١١.
(١٢٥٨) التفسير الميسر:١٣١.
(١٢٥٩) أخرجه الطبري(١٣١٨٩):ص٣٢٨/١١.
(١٢٦٠) التفسير الميسر:١٣١.
(١٢٦١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٣١):ص١٢٨٢/٤.
(١٢٦٢) التفسير الميسر:١٣١.[بتصرف]
(١٢٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٣٣):ص١٢٨٢/٤.
(١٢٦٤) انظر: النكت والعيون:١٠٧/٢.

في سبب نزول الآية أقوال:
أحدها:عن علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قال: "قال أبو جهل للنبي - صلى الله عليه وسلم -: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به؛ فأنزل الله: {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ. . .}"[١٢٦٥]. [ضعيف]
وفي السياق نفسه روي عن أبي ميسرة؛ قال: "مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على أبي جهل، فقال: والله يا محمد ما نكذبك؛ إنك عندنا لمصدق، ولكنا نكذب بالذي جئت به؛ فأنزل الله: {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} "[١٢٦٦]. [ضعيف]
وعن أبي صالح؛ قال: "كان المشركون إذا رأوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمكة؛ قال بعضهم لبعض فيما بينهم: إنه لنبي؛ فنزلت هذه الآية: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}"[١٢٦٧]. [ضعيف]
والثاني: وقال مقاتل:"نزلت فى الحارث بن عامر ابن نوفل بن عبد مناف بن قصي. كان الحارث يكذب النبي- صلى الله عليه وسلم- في العلانية فإذا خلا مع أهل ثقته، قال: ما محمد من أهل الكذب، وإني لأحسبه صادقا وكان إذا لقي النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: إنا لنعلم أن هذا الذي تقول حق وإنه لا يمنعنا أن نتبع الهدى معك إلا مخافة أن يتخطفنا الناس، يعني: العرب من أرضنا إن خرجنا فإنما نحن أكلة رأس ولا طاقة لنا بهم نظيرها في القصص {وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا}[١٢٦٨]، فأنزل الله: قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون"[١٢٦٩].
والثالث: وعن أبي صالح في قوله: {قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ}؛ قال: "جاء جبريل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم وهو جالس حزين، فقال له:ما يحزنك؟، فقال: كذبني هؤلاء، قال: فقال له جبريل:{فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ} هم يعلمون أنك صادق ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون"[١٢٧٠]. [ضعيف]

(١٢٦٥)أخرجه الترمذي (٥/ ٢٦١ رقم ٣٠٦٤) –ومن طريقه القاضي عياض في "الشفا" (١/ ١٣٤) – والدارقطني في "العلل" (٤/ ١٤٣، ١٤٤)، وابن أبي حاتم في "التفسير" (٤/ ١٢٨٢ رقم ٧٢٣٤)،والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٢/ ٣٦٤، ٣٦٥ رقم ٧٤٨) –من طريق معاوية بن هشام القصار عن الثور يعن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب عن علي.
قلنا: وهذا سند ضعيف ؛فيه علتان:
الأولى: أبو إسحاق السبيعي مدلس وقد عنعن، ولم يصرح بالتحديث. أما اختلاطه؛ فالراوي عنه هنا الثوري وقد سمع منه قبل الاختلاط.
الثانية: المخالفة؛ فرواه عبد الرحمن بن مهدي ويحيى بن آدم عن الثوري عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب به مرسلاً، لم يذكر علياً.
أخرجه الترمذي، والطبري في "جامع البيان" (١٣١٩٥)، و(١٣١٩٦):ص٣٣٤/١١، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٢٨٢ رقم ٧٢٣٥)، والضياء المقدسي في "المختارة" (٢/ ٣٦٥) وهو أصح.
وقد خالفهما معاوية -وهو صدوق له أوهام- فرواه موصولاً مسنداً، وهو وهم، والصواب الإرسال.
قال الترمذي بعد روايته من طريق ابن مهدي مرسلاً: "وهذا أصح".
وقال الدارقطني في "العلل" (٤/ ١٤٣ رقم ٤٧٤) -عن حديث ناجية بن كعب-: "يرويه الثوري عن أبي إسحاق عن ناجية بن كعب عن علي؛ قاله معاوية بن هشام عن الثوري.
وغيره يرويه عن الثوري مرسلاً لا يذكر فيه علياً، وهو المحفوظ". ا. هـ.
لكن رواه الحاكم (٢/ ٣١٥) من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق به موصولاً مثل رواية معاوية بن هشام، فلعل الحديث مروي من الوجهين. أما الحاكم؛ فقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، وتعقبه الذهبي بقوله: "قلت: فيه ناجية بن كعب ولم يخرجا له شيئاً".
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٦٣) وزاد نسبته لأبي الشيخ وابن مردويه.
(١٢٦٦)ذكره السيوطي في "الدرالمنثور" (٣/ ٢٦٤)،والشوكاني في "فتح القدير" (٢/ ١١٣) ونسباه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.
وذكره الدارقطني في "العلل" (٤/ ١٤٣)،وقال: "ورواه إسرائيل عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة مرسلاً عن النبي – صلى الله عليه وسلم -".
قلنا: وأبوإسحاق مدلس مختلط وقد عنعنه، ورواية إسرائيل عنه بعد اختلاطه؛كما قال الإمام أحمد.
(١٢٦٧)ذكره السيوطي في "الدرالمنثور" (٣/ ٢٦٤) ونسبه لأبي الشيخ.
(١٢٦٨)[القصص : ٥٧].
(١٢٦٩) تفسير مقاتل بن سليمان:٥٥٨/١، وانظر: اسباب النزول للواحدي:٢١٦.
(١٢٧٠) أخرجه الطبري(١٣١٩١):ص٣٣٢/١١-٣٣٣. مرسل صحيح الإسناد.

قوله تعالى:{فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ} [الأنعام : ٣٣]، أي:"فإنهم لا يكذبونك في قرارة أنفسهم، بل يعتقدون صدقك"[١٢٧١].

وفي قوله تعالى:{فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ} [الأنعام : ٣٣]، وجوه:

أحدها : فإنهم لا يكذبونك بحجة ، وإنما هو تكذيب بهت وعناد ، فلا يحزنك ، فإنه لا يضرك ، قاله أبو صالح[١٢٧٢]، وقتادة[١٢٧٣]، والسدي[١٢٧٤].

قال السدي:" لما كان يوم بدر قال الأخنس بن شريق لبني زهرة : يا بني زهرة ، إن محمدًا ابن أختكم ، فأنتم أحقُّ مَنْ كَفَّ عنه ، فإنه إن كان نبيًّا لم تقاتلوهُ اليوم ، وإن كان كاذبًا كنتم أحق من كف عن ابن أخته! قفوا ههنا حتى ألقى أبا الحكم فإن غُلب محمدٌ [صلى الله عليه وسلم] رجعتم سالمين ، وإن غَلَب محمدٌ فإن قومكم لا يصنعون بكم شيئًا فيومئذ سمّي :«الأخنس»[١٢٧٥] ، وكان اسمه «أبيّ» فالتقى الأخنس وأبو جهل ، فخلا الأخنس بأبي جهل ، فقال : يا أبا الحكم ، أخبرني عن محمد ، أصادق هو أم كاذب ؟ فإنه ليس ههنا من قريش أحد غيري وغيرك يسمع كلامنا! فقال أبو جهل : وَيْحك ، والله إن محمدًا لصادق ، وما كذب محمّد قط ، ولكن إذا ذهب بنو قُصَيٍّ باللواء والحجابة والسقاية والنبوة ، فماذا يكون لسائر قريش ؟ فذلك قوله : {فإنهم لا يكذّبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون}، فآيات الله: محمدٌ صلى الله عليه وسلم[١٢٧٦].

وعن عن أبي يزيد المدني:" أن النبي صلى الله عليه وسلم لقي أبا جهل فصافحه. فقال له رجل: ألا أراك تصافح هذا الصابئ. فقال: والله إني لأعلم أنه لنبي، ولكن متى كنا لبني عبد مناف تبعا؟ فتلا أبو يزيد: {فإنهم لا يكذبونك}، الآية"[١٢٧٧].

الثاني : فإنهم لا يكذبون قولك لعلمهم بصدقك ، ولكن يكذبون ما جئت به ، قاله ناجية بن كعب[١٢٧٨].

الثالث : معناه أن تكذيبهم لقولك ليس بتكذيب لك ، لأنك رسول مُبَلِّغ ، وإنما هو تكذيب لآياتي الدالة على صدقك والموجبة لقبول قولك، وقد بين ذلك بقوله تعالى:{وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِئَآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ}، أي: يكذبون[١٢٧٩].

عن سعيد بن جبير : " {فإنهم لا يكذبونك}، قال : ليس يكذّبون محمدًا ، ولكنهم بآيات الله يجحدون "[١٢٨٠].

عن سالم بن أبي حفصة قال: "قرأ علي بن أبي طالب: {فإنهم لا يكذبونك}، قال: لا يجيئون بحق هو أحق من حقك. وقرأ: {وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَق} [الأنعام : ٦٦]"[١٢٨١].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} [الأنعام : ٣٣]، أي:"ولكنهم لظلمهم وعدوانهم يجحدون البراهين الواضحة على صدقك، فيكذبونك فيما جئت به"[١٢٨٢].

قال قتادة:" يقول: يعلمون أنك رسول الله ويجحدون"[١٢٨٣].

وقال السدي:"آيات الله: محمدٌ -صلى الله عليه وسلم-"[١٢٨٤].

قال أبو الأشهب :" قرأ رجل عند الحسن: «فإنهم لا يكذبونك» خفيفة. قال الحسن:«فإنهم لا يكذبونك». وقال: إن القوم قد عرفوه، ولكنهم جحدوا بعد المعرفة"[١٢٨٥].

(١٢٧١) التفسير الميسر:١٣١.
(١٢٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٣١٩٠)، و(١٣١٩١):ص١١/٣٣٢-٣٣٣.
(١٢٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٣١٩٢):ص١١/٣٣٣.
(١٢٧٤) انظر: تفسير الطبري(١٣١٩٣):ص١١/٣٣٣.
(١٢٧٥)) سمى " الأخنس " ، لأنه من " خنس يخنس خنوسا " ، إذا انقبض عن الشيء وتأخر ورجع.
(١٢٧٦) أخرجه الطبري(١٣١٩٣):ص١١/٣٣٣.
(١٢٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٣٩):ص٤/١٢٨٣.
(١٢٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٣١٩٥)، و(١٣١٩٦):ص١١/٣٣٤.
(١٢٧٩) انظر: النكت والعيون:٢/١٠٨.
(١٢٨٠) أخرجه الطبري(١٣١٩٤):ص١١/٣٣٤.
(١٢٨١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٣٨):ص٤/١٢٨٣.
(١٢٨٢) التفسير الميسر:١٣١.
(١٢٨٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٤١):ص٤/١٢٨٣.
(١٢٨٤) أخرجه الطبري(١٣١٩٣):ص١١/٣٣٣.
(١٢٨٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٤٢):ص٤/١٢٨٣.

القرآن

{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ (٣٤)} [الأنعام : ٣٤]

التفسير:

ولقد كذَّب الكفارُ رسلا من قبلك أرسلهم الله تعالى إلى أممهم وأوذوا في سبيله، فصبروا على ذلك ومضوا في دعوتهم وجهادهم حتى أتاهم نصر الله. ولا مبدل لكلمات الله، وهي ما أنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم مِن وعده إياه بالنصر على مَن عاداه. ولقد جاءك -أيها الرسول- مِن خبر مَن كان قبلك من الرسل، وما تحقق لهم من نصر الله، وما جرى على مكذبيهم من نقمة الله منهم وغضبه عليهم، فلك فيمن تقدم من الرسل أسوة وقدوة. وفي هذا تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ} [الأنعام : ٣٤]، أي:"ولقد كذَّب الكفارُ رسلا من قبلك أرسلهم الله تعالى إلى أممهم"[١٢٨٦].

قال الضحاك[١٢٨٧]وابن جريج[١٢٨٨]:"يعزّي نبيَّه -صلى الله عليه وسلم-".

قوله تعالى:{فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا} [الأنعام : ٣٤]، أي:"فصبروا على ما نالهم من قومهم من التكذيب والاستهزاء والأذى ومضوا في دعوتهم وجهادهم حتى أتاهم نصر الله"[١٢٨٩].

قال قتادة:"يعزِّي نبيه صلى الله عليه وسلم كما تسمعون، ويخبره أن الرسل قد كُذّبت قبله، فصبروا على ما كذبوا، حتى حكم الله وهو خير الحاكمين"[١٢٩٠].

قوله تعالى:{وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ} [الأنعام : ٣٤]، أي:"ولا مغيِّر لكلمات الله"[١٢٩١].

قال عكرمة: {كلمات الله}: "يعني: قوله:{وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا} [الصافات : ١٧١]، إلى قوله:«غالبون»[١٢٩٢]، وقوله:{إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [غافر : ٥١]، وقوله تعالى:{كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} [المجادلة : ٢١]"[١٢٩٣].

القرآن

{وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ (٣٥)} [الأنعام : ٣٥]

التفسير:

وإن كان عَظُمَ عليك -أيها الرسول- صدود هؤلاء المشركين وانصرافهم عن الاستجابة لدعوتك، فإن استطعت أن تتخذ نفقًا في الأرض، أو مصعدًا تصعد فيه إلى السماء، فتأتيهم بعلامة وبرهان على صحة قولك غير الذي جئناهم به فافعل. ولو شاء الله لَجمعهم على الهدى الذي أنتم عليه ووفَّقهم للإيمان، ولكن لم يشأ ذلك لحكمة يعلمها سبحانه، فلا تكونن -أيها الرسول- من الجاهلين الذين اشتد حزنهم، وتحسَّروا حتى أوصلهم ذلك إلى الجزع الشديد.

قوله تعالى:{فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ} [الأنعام : ٣٥]، أي:"فإن استطعت أن تتخذ نفقًا في الأرض"[١٢٩٤].

قال قتادة[١٢٩٥] والسدي[١٢٩٦]:"{نَفَقًا}: سَرَبًا".

(١٢٨٦) التفسير الميسر:١٣١.
(١٢٨٧) أخرجه الطبري(١٣١٩٩):ص٣٣٦/١١.
(١٢٨٨) أخرجه الطبري(١٣٢٠٠):ص٣٣٦/١١.
(١٢٨٩) التفسير الميسر:١٣١، وصفوة التفاسير:٣٥٨/١.[بتصرف]
(١٢٩٠) أخرجه الطبري(١٣١٩٨):ص٣٣٦/١١.
(١٢٩١) تفسير الطبري:٣٣٥/١١.
(١٢٩٢) لعله يقصد الآية:{وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ} [الصافات : ١٧٣].
(١٢٩٣) انظر: الكشف والبيان:١٤٥/٤.
(١٢٩٤) التفسير الميسر:١٣١.
(١٢٩٥) أخرجه الطبري(١٣٢٠٢):ص٣٣٨/١١.
(١٢٩٦) أخرجه الطبري(١٣٢٠٣):ص٣٣٨/١١.

قوله تعالى:{أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ} [الأنعام : ٣٥]، أي:"أو مصعدًا تصعد فيه إلى السماء"[١٢٩٧].
وفي قوله تعالى:{أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ} [الأنعام : ٣٥]، وجهان:
أحدهما : مصعداً ، قاله السدي[١٢٩٨].
الثاني : دَرَجاً ، قاله قتادة[١٢٩٩].

القرآن
{إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ (٣٦)} [الأنعام : ٣٦]
التفسير:
إنما يجيبك -أيها الرسول- إلى ما دعوت إليه من الهدى الذين يسمعون الكلام سماع قبول. أما الكفار فهم في عداد الموتى; لأن الحياة الحقيقية إنما تكون بالإسلام. والموتى يخرجهم الله من قبورهم أحياء، ثم يعودون إليه يوم القيامة ليوفوا حسابهم وجزاءهم.
قوله تعالى:{إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ} [الأنعام : ٣٦]، أي:"نما يجيبك -أيها الرسول- إلى ما دعوت إليه من الهدى الذين يسمعون الكلام سماع قبول، أما الكفار فهم في عداد الموتى; لأن الحياة الحقيقية إنما تكون بالإسلام "[١٣٠٠].
قال قتادة:"هذا مثل المؤمن سمع كتاب الله فأخذ به، وانتفع به وعقله"[١٣٠١].
قوله تعالى:{وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ} [الأنعام : ٣٦]، أي:"والموتى يخرجهم الله من قبورهم أحياء"[١٣٠٢].
قال مجاهد:"{والموتى}: الكفار، حين يبعثهم الله مع الموتى"[١٣٠٣]. وروي عن الحسن[١٣٠٤]، وقتادة[١٣٠٥]، نحوه.

القرآن
{وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٧)} [الأنعام : ٣٧]
التفسير:
وقال المشركون -تعنتًا واستكبارًا-: هلا أنزل الله علامة تدل على صدق محمد صلى الله عليه وسلم من نوع العلامات الخارقة، قل لهم -أيها الرسول-: إن الله قادر على أن ينزل عليهم آية، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن إنزال الآيات إنما يكون وَفْق حكمته تعالى.
سبب النزول:
قال ابن عباس: "نزلت في رؤساء قريش"[١٣٠٦].
قوله تعالى:{وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} [الأنعام : ٣٧]، أي:"ولكن أكثرهم لا يعلمون أن إنزال الآيات إنما يكون وَفْق حكمته تعالى"[١٣٠٧].
قال السدي:"{أَكْثَرَهُمْ} يعني: جماعتهم، {لَا يَعْلَمُونَ}"[١٣٠٨].

القرآن

(١٢٩٧) التفسير الميسر:١٣١.
(١٢٩٨) أخرجه الطبري(١٣٢٠٣):ص٣٣٨/١١.
(١٢٩٩) أخرجه الطبري(١٣٢٠٢):ص٣٣٨/١١.
(١٣٠٠) التفسير الميسر:١٣٢.
(١٣٠١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٥٣):ص١٢٨٥/٤.
(١٣٠٢) التفسير الميسر:١٣٢.
(١٣٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٥٥):ص١٢٨٥/٤.
(١٣٠٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٠٩):ص٣٤٢/١١.
(١٣٠٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٠٨):ص٣٤٢/١١.
(١٣٠٦) حكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير:٢٦/٢.
(١٣٠٧) التفسير الميسر:١٣٢.
(١٣٠٨) تفسير يحيى بن سلام: ٥٨١/٢.

{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ (٣٨)} [الأنعام : ٣٨]

التفسير:

ليس في الأرض حيوان يَدِبُّ على الأرض أو طائر يطير في السماء بجناحيه إلا جماعات متجانسة الخلق مثلكم. ما تركنا في اللوح المحفوظ شيئًا إلا أثبتناه، ثم إنهم إلى ربهم يحشرون يوم القيامة، فيحاسب الله كلا بما عمل.

قوله تعالى:{وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ} [الأنعام : ٣٨]، أي:"ليس في الأرض حيوان يَدِبُّ على الأرض أو طائر يطير في السماء بجناحيه إلا جماعات متجانسة الخلق مثلكم"[١٣٠٩].

عن مجاهد في قوله : " {أمم أمثالكم}، أصناف مصنفة تُعرَف بأسمائها"[١٣١٠].

قال قتادة:" يقول : الطير أمة ، والإنس أمة ، والجن أمة"[١٣١١].

قال السدي:"يقول : إلا خلق أمثالكم"[١٣١٢].

قال ابن جريج:"الذرّة فما فوقها من ألوان ما خلق الله من الدواب"[١٣١٣].

قوله تعالى:{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام : ٣٨]، أي:"ما تركنا في اللوح المحفوظ شيئًا إلا أثبتناه"[١٣١٤].

قال قتادة:" في الكتاب الذي عنده"[١٣١٥].

قوله تعالى:{ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} [الأنعام : ٣٨]، أي:"ثم إنهم إلى ربهم يحشرون يوم القيامة، فيحاسب الله كلا بما عمل"[١٣١٦].

وفي قوله تعالى:{ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} [الأنعام : ٣٨]، وجهان:

أحدهما: أن الحشر الجمع لبعث الساعة. وهذا قول الحسن[١٣١٧].

قال أبو ذر: "بينا أنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ انتطحت عنزان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون فيما انتطحتا ؟ قالوا : لا ندري! قال : لكن الله يدري ، وسيقضي بينهما"[١٣١٨].

قال أبو هريرة: "يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة ، البهائمَ والدوابَّ والطيرَ وكل شيء ، فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذ للجمَّاء من القَرْناء ، ثم يقول : كوني ترابًا، فلذلك يقول الكافر : يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا [سورة النبأ : ٤٠]"[١٣١٩].

الثاني : أن المراد بالحشر الموت ، قاله الضحاك[١٣٢٠].

والأول أصح لظاهر الآية والخبر الصحيح، وفي التنزيل:{وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ} [التكوير : ٥]، وقالت جماعة: هذا الحشر الذي في الآية يرجع إلى الكفار وما تخلل كلام معترض وإقامة حجج، وأما الحديث فالمقصود منه التمثيل على جهة تعظيم أمر الحساب والقصاص والاعتناء فيه حتى يفهم منه أنه لا بد لكل أحد منه، وأنه لا محيص له عنه، وعضدوا هذا بما في الحديث في غير الصحيح عن بعض رواته من الزيادة فقال: حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء، وللحجر لما ركب على الحجر، وللعود لما خدش العود، قالوا: فظهر من هذا أن المقصود منه التمثيل المفيد للاعتبار والتهويل، لأن الجمادات لا يعقل خطابها ولا ثوابها ولا عقابها، ولم يصر إليه أحد من العقلاء، ومتخيله من جملة المعتوهين الأغبياء، قالوا: ولأن القلم لا يجري

(١٣٠٩) التفسير الميسر:١/٥٢٥.

(١٣١٠) أخرجه الطبري(١٣٢١١):ص١١/٣٤٥.

(١٣١١) أخرجه الطبري(١٣٢١٢):ص١١/٣٤٥.

(١٣١٢) أخرجه الطبري(١٣٢١٣):ص١١/٣٤٥.

(١٣١٣) أخرجه الطبري(١٣٢١٤):ص١١/٣٤٥.

(١٣١٤) التفسير الميسر:١/٥٢٥.

(١٣١٥) تفسير عبدالرزاق(٧٩٢):ص٢/٤٧.

(١٣١٦) التفسير الميسر:١/٥٢٥.

(١٣١٧) انظر: تفسير القرطبي:٦/٤٢١.

(١٣١٨) أخرجه الطبري(١٣٢٢٣):ص١١/٣٤٧-٣٤٨.

(١٣١٩) أخرجه الطبري(١٣٢٢٢):ص١١/٣٤٧.

(١٣٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٢١):ص١١/٣٤٦-٣٤٧.

عليهم فلا يجوز أن يؤاخذوا. قلت: الصحيح القول الأول لما ذكرناه من حديث أبي هريرة، وإن كان القلم لا يجري عليهم في الأحكام ولكن فيما بينهم يؤاخذون به"[١٣٢١].

القرآن

{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣٩)} [الأنعام : ٣٩]

التفسير:

والذين كذبوا بحجج الله تعالى صمٌّ لا يسمعون ما ينفعهم، بُكْمٌ لا يتكلمون بالحق، فهم حائرون في الظلمات، لم يختاروا طريقة الاستقامة. من يشأ الله إضلاله يضلله، ومن يشأ هدايته يجعله على صراط مستقيم.

قوله تعالى:{ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ} [الأنعام : ٣٩]، أي:" والذين كذبوا بحجج الله تعالى صمٌّ لا يسمعون كلام الله سماع قبول بكمٌ لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر"[١٣٢٢].

عن قتادة:"{صم وبكم}، هذا مثل الكافر، أصم أبكم، لا يبصر هدًى، ولا ينتفع به، صَمَّ عن الحق في الظلمات، لا يستطيع منها خروجًا، متسكِّع فيها"[١٣٢٣].

قوله تعالى:{مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [الأنعام : ٣٩]، أي:"من يشأ الله إضلاله يضلله، ومن يشأ هدايته يجعله على صراط مستقيم"[١٣٢٤].

وعن عاصم الأحول عن أبي العالية، قال:"«الصراط المستقيم»: هو النبي صلى الله عليه وسلم وصاحباه من بعده. قال عاصم: فذكرنا ذلك للحسن. فقال صدق أبو العاليةونصح"[١٣٢٥].

وعن مجاهد في قوله: «صراط مستقيم»، قال: الحق"[١٣٢٦].

القرآن

{قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٤٠)} [الأنعام : ٤٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن جاءكم عذاب الله في الدنيا أو جاءتكم الساعة التي تبعثون فيها: أغير الله تدعون هناك لكشف ما نزل بكم من البلاء، إن كنتم محقين في زعمكم أن آلهتكم التي تعبدونها من دون الله تنفع أو تضر؟

قوله تعالى:{قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ} [الأنعام : ٤٠]، أي:"قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن جاءكم عذاب الله في الدنيا أو جاءتكم الساعة التي تبعثون فيها"[١٣٢٧].

عن مجاهد: قوله:"{قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله}، قال: فجاءة آمنين"[١٣٢٨].

القرآن

{بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ (٤١)} [الأنعام : ٤١]

التفسير:

بل تدعون -هناك- ربكم الذي خلقكم لا غيره، وتستغيثون به، فيفرج عنكم البلاء العظيم النازل بكم إن شاء; لأنه القادر على كل شيء، وتتركون حينئذ أصنامكم وأوثانكم وأولياءكم.

قوله تعالى:{وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ} [الأنعام : ٤١]، أي:"وتتركون حينئذ أصنامكم وأوثانكم وأولياءكم"[١٣٢٩].

(١٣٢١) تفسير القرطبي:٤٢١/٦.

(١٣٢٢) صفوة التفاسير:٣٦١/١.

(١٣٢٣) أخرجه الطبري(١٣٢٢٥):ص٣٥١/١١، وابن أبي حاتم(٧٢٦٣)، و(٧٢٦٤):ص١٢٨٦/٤-١٢٨٧.

(١٣٢٤)التفسير الميسر:١٣٢.

(١٣٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٦٧):ص١٢٨٧/٤.

(١٣٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٦٨):ص١٢٨٧/٤.

(١٣٢٧) التفسير الميسر:١٣٢.

(١٣٢٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٦٩):ص١٢٨٧/٤.

عن الحسن:" تعرضون عنه إعراض الناسي، أي: لليأس في النجاة من مثله"[١٣٣٠].

القرآن

{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢)} [الأنعام : ٤٢]

التفسير:

ولقد بعثنا -أيها الرسول- إلى جماعات من الناس من قبلك رسلا يدعونهم إلى الله تعالى، فكذَّبوهم، فابتليناهم في أموالهم بشدة الفقر وضيق المعيشة، وابتليناهم في أجسامهم بالأمراض والآلام; رجاء أن يتذللوا لربهم، ويخضعوا له وحده بالعبادة.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ} [الأنعام : ٤٢]، أي:" ولقد بعثنا -أيها الرسول- إلى جماعات من الناس من قبلك رسلا يدعونهم إلى الله تعالى"[١٣٣١].

قوله تعالى:{فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ} [الأنعام : ٤٢]، أي:" فكذَّبوهم، فابتليناهم في أموالهم بشدة الفقر وضيق المعيشة، وابتليناهم في أجسامهم بالأمراض والآلام"[١٣٣٢].

وفي تفسير { الْبَأْسَاءِ }[١٣٣٣][الأنعام : ٤٢]، على أربعة أقوال:

أحدهما: أنه الفقر. قاله أبو العالية، والحسن -في أحد قوليه-، ومرة الهمداني، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والضحاك، والربيع بن أنس والسدي[١٣٣٤].

الثاني: أنه البلاء. قاله الحسن[١٣٣٥].

الثالث:انه البؤس. قاله عبيد بن عمير[١٣٣٦].

الرابع: انه الخوف من السلطان. وهذا قول سعيد بن جبير[١٣٣٧].

واختلف في قوله:{الضَّرَّاءِ}[١٣٣٨][الأنعام : ٤٢]،، على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنه السقم. قاله السدي[١٣٣٩]، وأبو العالية ومرة وأبي مالك والحسن ومجاهد والربيع بن أنس، والضحاك[١٣٤٠].

الثاني: أنه الأمراض والجوع. قاله الحسن[١٣٤١].

الثالث: أنه البلاء والشدة. قاله سعيد بن جبير[١٣٤٢].

(١٣٢٩) التفسير الميسر:١٣٢.

(١٣٣٠) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ١٣٥/٨، ومفاتيح الغيب ١٢/ ٢٢٣، وتفسير القرطبي ٦/ ٤٢٣.

(١٣٣١) التفسير الميسر:١٣٢.

(١٣٣٢) التفسير الميسر:١٣٢.

(١٣٣٣) الباء والهمزة والسين أصل واحد يدل على الشدة وما ضارعها، فالبأس: الشدة في الحرب، يقال: رجل ذو بأس، أي: ذو شجاعة وشدة، والبؤس: الشدة والضنك في العيش، يقال: بَئِس الرجل فهو بائس إذا اشتدت حاجته. انظر: تهذيب اللغة للأزهري: ١٠٧/١٣، معجم مقاييس اللغة لابن فارس: ٣٢٨/١، الصحاح للجوهري: ٩٠٦/٣-٩٠٧، لسان العرب لابن منظور: ١٩٩/١.

وانظر: الدر المصون للسمين: ٤٥٠/١، البحر المحيط لأبي حيان: ٤٩٧/١، ومن قال: من البؤس قال: المراد بالبأساء: شدة الفقر، ومن قال: من البأس، قال: المراد بالبأساء: شدة القتال، انظر: البحر المحيط لأبي حيان: ٨/٢، تفسير غريب القرآن لابن قتيبة: ٧٠، معالم التنزيل للبغوي: ١٨٨/١.

(١٣٣٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٢٨٨/٤

(١٣٣٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٢٧٤):ص١٢٨٨/٤.

(١٣٣٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٢٧٣):ص١٢٨٨/٤.

(١٣٣٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٢٧٥):ص١٢٨٨/٤.

(١٣٣٨)عن قتادة قال : كنا نُحدِّث أن البأساء البؤس والفقر ، وأن الضراء السُّقم. وقد قال النبي أيوب صلى الله عليه وسلم(أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) [سورة الأنبياء : ٨٣].[تفسير الطبري: ٣٤٩/٣-٣٥٠].

(١٣٣٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٢٧٦):ص١٢٨٩/٤.

(١٣٤٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٢٨٩/٤.

(١٣٤١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٢٧٩):ص١٢٨٩/٤.

(١٣٤٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٢٧٨):ص١٢٨٩/٤.

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ} [الأنعام : ٤٢]، أي:" رجاء أن يتذللوا لربهم، ويخضعوا له وحده بالعبادة"[١٣٤٣].

عن أبي مالك قوله: "{لعلهم}، يعني: كي"[١٣٤٤].

و«التضرع»: هو:التفعل من«الضراعة»، وهي الذلة والاستكانة"[١٣٤٥].

القرآن

{فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٤٣)} [الأنعام : ٤٣]

التفسير:

فهلا إذ جاء هذه الأمم المكذبة بلاؤنا تذللوا لنا، ولكن قست قلوبهم، وزيَّن لهم الشيطان ما كانوا يعملون من المعاصي، ويأتون من الشرك.

قوله تعالى:{فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ} [الأنعام : ٤٣]، أي:" فهلا إذ جاء هذه الأمم المكذبة بلاؤنا تذللوا لنا، ولكن ظهر منهم النقيض حيث قست قلوبهم فلم تلن للإيمان"[١٣٤٦].

قال قتادة:" عاب الله عليهم القسوة عند ذلك، فتضعضعوا لعقوبة الله. بارك الله فيكم لا تعرضوا لعقوبة الله بالقسوة، فإنه عاب ذلك على قوم قبلكم"[١٣٤٧].

القرآن

{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤)} [الأنعام : ٤٤]

التفسير:

فلما تركوا العمل بأوامر الله تعالى معرضين عنها، فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الرزق فأبدلناهم بالبأساء رخاءً في العيش، وبالضراء صحة في الأجسام; استدراجا منا لهم، حتى إذا بطروا، وأعجبوا بما أعطيناهم من الخير والنعمة أخذناهم بالعذاب فجأة، فإذا هم آيسون منقطعون من كل خير.

قوله تعالى:{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ} [الأنعام : ٤٤]، أي:" فلما تركوا العمل بأوامر الله تعالى معرضين عنها"[١٣٤٨].

عن ابن جريج قوله : "{ نسوا ما ذكروا به}، قال : ما دعاهم الله إليه ورسله ، أبوْه وردُّوه عليهم"[١٣٤٩].

قوله تعالى:{فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام : ٤٤]، أي:" فتحنا عليهم أبواب كل شيء من الرزق فأبدلناهم بالبأساء رخاءً في العيش، وبالضراء صحة في الأجسام; استدراجا منا لهم"[١٣٥٠].

عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره : " {فتحنا عليهم أبواب كل شيء} ، قال : رخاء الدنيا ويُسْرها ، على القرون الأولى"[١٣٥١].

قال قتادة:" يعني الرخاء وسعة الرزق"[١٣٥٢].

عن السدي قوله : "{ فتحنا عليهم أبواب كل شيء}، يقول : من الرزق"[١٣٥٣].

(١٣٤٣) التفسير الميسر:١٣٢.
(١٣٤٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٢٨٠):ص١٢٨٩/٤.
(١٣٤٥) تفسير الطبري:٣٥٥/١١.
(١٣٤٦) التفسير الميسر:١٣٢.
(١٣٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٨١):ص١٢٨٩/٤.
(١٣٤٨) التفسير الميسر:١٣٢.
(١٣٤٩) أخرجه الطبري(١٣٢٢٧):ص٣٥٧/١١-٣٥٨.
(١٣٥٠) التفسير الميسر:١٣٢.
(١٣٥١) أخرجه الطبري(١٣٢٢٨):ص٣٥٨/١١.
(١٣٥٢) أخرجه الطبري(١٣٢٢٩):ص٣٥٨/١١.
(١٣٥٣) أخرجه الطبري(١٣٢٣٠):ص٣٥٨/١١.

وروي عن أبي سنان الشيباني، أنه قال في قوله: "{فتحنا عليهم أبواب كل شيء}، قال: فتح عليهم أربعين سنة"[١٣٥٤].

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا} [الأنعام : ٤٤]، أي:" حتى إذا بطروا، وأعجبوا بما أعطيناهم من الخير والنعمة"[١٣٥٥].

عن السدي : " {حتى إذا فرحوا بما أوتوا}، من الرزق"[١٣٥٦].

قال ابن جريج:"أعجبَ ما كانت إليهم ، وأغَرَّها لهم"[١٣٥٧].

قوله تعالى:{ أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً} [الأنعام : ٤٤]، أي:" أخذناهم بالعذاب فجأة"[١٣٥٨].

قال مجاهد:" فجأة آمنين"[١٣٥٩].

قال السدي:" يقول : أخذهم العذابُ بغتةً"[١٣٦٠].

عن محمد بن النضر الحارثي في قوله :"{خذناهم بغتة}، قال : أمهلوا عشرين سنة"[١٣٦١].

عن حماد بن زيد قال : "كان رجل يقول : رَحم الله رجلا تلا هذه الآية ، ثم فكر فيها ماذا أريد بها :{حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة}"[١٣٦٢].

قال قتادة:" بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قوما قط إلا عند سلوتهم وعزتهم ونعمتهم، فلا تفتروا بالله، إنه لا يفتر بالله إلا القوم الفاسقون"[١٣٦٣].

قوله تعالى:{فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ} [الأنعام : ٤٤]، أي:" فإذا هم آيسون منقطعون من كل خير"[١٣٦٤].

قال السدي:" فإذا هم مهلكون ، متغيِّر حالهم"[١٣٦٥].

وفي رواية اخرى عن السدي:" فإذا هم مبلسون، قال: تغير الوجه، وإنما سمي إبليس لأن الله عز وجل أبلسه وغيره"[١٣٦٦].

عن مجاهد : {فإذا هم مبلسون}، قال : الاكتئاب"[١٣٦٧].

وعن عكرمة قال: "{فإذا هم مبلسون}، قال: عام الفتح"[١٣٦٨].

وروي عن الحسن، أنه قال:" من وسع عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأي له. ثم قرأ: {فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون}، قال الحسن: مكر بالقوم ورب الكعبة أعطوا حاجتهم ثم أخذوا"[١٣٦٩].

القرآن

{فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٥)} [الأنعام : ٤٥]

التفسير:

فاستؤصل هؤلاء القوم وأُهلكوا إذ كفروا بالله وكذَّبوا رسله، فلم يبق منهم أحد. والشكر والثناء لله تعالى -خالق كل شيء ومالكه- على نصرة أوليائه وهلاك أعدائه.

(١٣٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٨٧):ص١٢٩٠/٤.

(١٣٥٥) التفسير الميسر:١٣٢.

(١٣٥٦) أخرجه الطبري(١٣٢٣١):ص٣٥٩/١١.

(١٣٥٧) أخرجه الطبري(١٣٢٣٤):ص٣٦٠/١١.

(١٣٥٨) التفسير الميسر:١٣٢.

(١٣٥٩) أخرجه الطبري(١٣٢٣٦):ص٣٦٠/١١.

(١٣٦٠) أخرجه الطبري(١٣٢٣٥):ص٣٦٠/١١.

(١٣٦١) أخرجه الطبري(١٣٢٣٣):ص٣٥٩/١١-٣٦٠.

(١٣٦٢) أخرجه الطبري(١٣٢٣٢):ص٣٥٩/١١.

(١٣٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٩٤):ص١٢٩١/٤.

(١٣٦٤) التفسير الميسر:١٣٢.

(١٣٦٥) أخرجه الطبري(١٣٢٣٧):ص٣٦٠/١١-٣٦١.

(١٣٦٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٩٨):ص١٢٩٢/٤.

(١٣٦٧) أخرجه الطبري(١٣٢٣٨):ص٣٦١/١١.

(١٣٦٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٢٩٩):ص١٢٩٢/٤.

(١٣٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٢٩٣):ص١٢٩١/٤.

قوله تعالى:{فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا} [الأنعام : ٤٥]، أي:" فاستؤصل هؤلاء القوم وأهلكوا إذ كفروا بالله وكذَّبوا رسله، فلم يبق منهم أحد"[١٣٧٠].

قال السدي:" يقول: قطع أصل الذين ظلموا"[١٣٧١].

قوله تعالى:{وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام : ٤٥]، أي:" والشكر والثناء لله تعالى -خالق كل شيء ومالكه- على نصرة أوليائه وهلاك أعدائه"[١٣٧٢].

واختُلِف في (العالم)، على أقوال:

أحدها : أن العالم كل ما خلقه الله تعالى في الدنيا والآخرة ، وهذا قول قتادة[١٣٧٣]، ومجاهد[١٣٧٤].

الثاني: أنّه الإنس ، والجنّ ، وهذا قول سعيد بن جبير[١٣٧٥]، ومجاهد[١٣٧٦]، وابن جريج[١٣٧٧].

ودليلهم قوله تعالى:{تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً}[الفرقان: ١]، ولم يكن نذيرا للبهائم[١٣٧٨].

كما ويقوي هذا القول، جمع الكلمة على (عالمون)، وهو جمع لايكون إلا مع العاقل! فيكون هذا دليلا على أن الحديث عن عوالم عاقلة.

الثالث: العالمون: أهل الجنة وأهل النار. حكاه الثعلبي عن جعفر الصادق[١٣٧٩].

والظاهر أن{العالمين}: جمع «عالم»، وهو كل موجود سوى الله جل وعلا، و«العالم» جمع لا واحدَ له من لفظه، و«العوالم» أصناف المخلوقات في السموات والأرض في البر والبحر، فالإنس عالم، والجن عالم، والملائكة عالم[١٣٨٠]. والله أعلم.

القرآن

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (٤٦)} [الأنعام : ٤٦]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن أذهب الله سمعكم فأصمَّكم، وذهب بأبصاركم فأعماكم، وطبع على قلوبكم فأصبحتم لا تفقهون قولا أيُّ إله غير الله جل وعلا يقدر على ردِّ ذلك لكم؟! انظر -أيها الرسول- كيف ننوِّع لهم الحجج، ثم هم بعد ذلك يعرضون عن التذكر والاعتبار؟

قوله تعالى:{وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ} [الأنعام : ٤٦]، أي:"وطبع على قلوبكم فأصبحتم لا تفقهون قولا"[١٣٨١].

عن أبي مالك، قوله: "{وختم}، يعني: طبع"[١٣٨٢].

قوله تعالى:{مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ} [الأنعام : ٤٦]، أي:"أيُّ إله غير الله جل وعلا يقدر على ردِّ ذلك لكم؟!"[١٣٨٣].

قوله تعالى:{انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ} [الأنعام : ٤٦]، أي:" انظر كيف نبيّن ونوضح الآيات الدالة على وحدانيتنا، ثم هم بعد ذلك يعرضون عنها فلا يعتبرون "[١٣٨٤].

(١٣٧٠) التفسير الميسر:١٣٣.
(١٣٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٣٠٢):ص١٢٩٣/٤.
(١٣٧٢) التفسير الميسر:١٣٣.
(١٣٧٣) حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.
(١٣٧٤)حكاه عنه الثعلبي في تفسيره: ١١٢/١.
(١٣٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٩)، و(١٦٠):ص١٤٤/١-١٤٥.
(١٣٧٦) انظر: تفسير الطبري(١٦١)، و(١٦٢):ص١٤٥/١.
(١٣٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٥):ص١٤٦/١.
(١٣٧٨) انظر: تهذيب اللغة للأزهري: ٤١٦/٢.
(١٣٧٩) تفسير الثعلبي:١١٢/١.
(١٣٨٠) انظر: تفسير الطبري: ١٤٣/١، معاني القرآن للزجاج: ٤٦/١.
(١٣٨١) التفسير الميسر:١٣٣.
(١٣٨٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٣٠٩):ص١٢٩٤/٤.
(١٣٨٣) التفسير الميسر:١٣٣.

عن السدي:"{ثم هم يصدفون}، قال: يصدُّون"[١٣٨٥].
عن مجاهد في قوله:"{يصدفون}، قال: يعرضون"[١٣٨٦].
عن قتادة في قوله:"{نصرف الآيات ثم هم يصدفون}، قال: يعرضون عنها"[١٣٨٧].

القرآن
{قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ (٤٧)} [الأنعام : ٤٧]
التفسير:
قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن نزل بكم عقاب الله فجأة وأنتم لا تشعرون به، أو ظاهرًا عِيانًا وأنتم تنظرون إليه: هل يُهلك إلا القوم الظالمون الذين تجاوزوا الحد، بصرفهم العبادة لغير الله تعالى وبتكذيبهم رسله؟
قوله تعالى:{قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً} [الأنعام : ٤٧]، أي:"قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أخبروني إن نزل بكم عقاب الله فجأة وأنتم لا تشعرون به، أو ظاهرًا عِيانًا وأنتم تنظرون إليه"[١٣٨٨].
عن مجاهد:"{قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة}، فجأة آمنين ، {أو جهرة}، وهم ينظرون"[١٣٨٩].

القرآن
{وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٤٨)} [الأنعام : ٤٨]
التفسير:
وما نرسل رسلنا إلا مبشرين أهل طاعتنا بالنعيم المقيم، ومنذرين أهل المعصية بالعذاب الأليم، فمن آمن وصدَّق الرسل وعمل صالحًا فأولئك لا يخافون عند لقاء ربهم، ولا يحزنون على شيء فاتهم من حظوظ الدنيا.
قوله تعالى:{وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ} [الأنعام : ٤٨]، أي:"وما نرسل رسلنا إلا مبشرين أهل طاعتنا بالنعيم المقيم، ومنذرين أهل المعصية بالعذاب الأليم"[١٣٩٠].
قال قتادة:"فكان أول نبي بعث نوحا صلى الله عليه وسلم"[١٣٩١].
قوله تعالى:{فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ} [الأنعام : ٤٨]، أي:"فمن آمن وصدَّق الرسل وعمل صالحًا"[١٣٩٢].
عن قتادة:"{وأصلح} قال: أصلح ما بينه وبين الله"[١٣٩٣].
قوله تعالى:{فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} [الأنعام : ٤٨]، أي:"فأولئك لا يخافون عند لقاء ربهم،"[١٣٩٤].
قال سعيد بن جبير ومقاتل بن حيان:"يعني: في الآخرة"[١٣٩٥].
قوله تعالى:{وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأنعام : ٤٨]، أي:"ولا يحزنون على شيء فاتهم من حظوظ الدنيا"[١٣٩٦].
قال سعيد بن جبير:" يعني: لا يحزنون للموت"[١٣٩٧].

(١٣٨٤) صفوة التفاسير:١/٣٦٢.
(١٣٨٥) أخرجه الطبري(١٣٢٤٨):ص١١/٣٦٨.
(١٣٨٦) أخرجه الطبري(١٣٢٤٤):ص١١/٣٦٧.
(١٣٨٧) أخرجه الطبري(١٣٢٤٧):ص١١/٣٦٧.
(١٣٨٨) التفسير الميسر:١٣٣.
(١٣٨٩) أخرجه الطبري(١٣٢٥٠):ص١١/٣٦٨-٣٦٩.
(١٣٩٠) التفسير الميسر:١٣٣.
(١٣٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٣١٦):ص٤/١٢٩٥.
(١٣٩٢) التفسير الميسر:١٣٣.
(١٣٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٣١٨):ص٤/١٢٩٥.
(١٣٩٤) التفسير الميسر:١٣٣.
(١٣٩٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٣٢٠):ص٤/١٢٩٥.
(١٣٩٦) التفسير الميسر:١٣٣.

القرآن

{قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ (٥٠)} [الأنعام : ٥٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إني لا أدَّعي أني أملك خزائن السموات والأرض، فأتصرف فيها، ولا أدَّعي أني أعلم الغيب، ولا أدَّعي أني ملك، وإنما أنا رسول من عند الله، أتبع ما يوحى إليَّ، وأبلِّغ وحيه إلى الناس، قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: هل يستوي الكافر الذي عَمِي عن آيات الله تعالى فلم يؤمن بها والمؤمن الذي أبصر آيات الله فآمن بها؟ أفلا تتفكرون في آيات الله; لتبصروا الحق فتؤمنوا به؟

سبب النزول:

عن ابن عباس في رواية أبي صالح:" أن أهل مكة قالوا: يا محمد، لو أنزل الله عليك كنزا فتستغني به، فانك فقير محتاج أو تكون لك جنة تأكل منها، فانك تجوع، فنزلت هذه الآية"[١٣٩٨].

قوله تعالى:{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ} [الأنعام : ٥٠]، أي:"قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: هل يستوي الكافر الذي عَمِي عن آيات الله تعالى فلم يؤمن بها والمؤمن الذي أبصر آيات الله فآمن بها؟"[١٣٩٩].

عن مجاهد في قول الله تعالى ذكره:"{قل هل يستوي الأعمى والبصير}، قال: الضال والمهتدي"[١٤٠٠].

قال قتادة:"{الأعمى}، الكافر الذي قد عمي عن حق الله وأمره ونعمه عليه، و{البصير}، العبد المؤمن الذي أبصر بصرًا نافعًا، فوحّد الله وحده، وعمل بطاعة ربه، وانتفع بما آتاه الله"[١٤٠١].

القرآن

{وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١)} [الأنعام : ٥١]

التفسير:

وخوِّف -أيها النبي- بالقرآن الذين يعلمون أنهم يُحشرون إلى ربهم، فهم مصدِّقون بوعد الله ووعيده، ليس لهم غير الله وليّ ينصرهم، ولا شفيع يشفع لهم عنده تعالى، فيخلصهم من عذابه; لعلهم يتقون الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي.

سبب النزول:

أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس:"مرّ الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنده خباب وبلال وصهيب فقالوا: أهؤلاء من الله عليهم من بيننا، أتأمرنا أن نكون تبعا لهؤلاء؟ اطردهم عنك فلعلنا نتبعك. فأنزل الله:{وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ}، إلى قوله: {وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام : ٥٥]، الآيات:[٥٢- ٥٥]"[١٤٠٢].

وعنه –أيضا-رضي الله عنهما-؛ قال: "نزلت هذه الآية: {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ} في بلال، وصهيب، وعمار، ومهجع، وعامر بن فهيرة، وخباب، وسالم"[١٤٠٣]. [موضوع]

(١٣٩٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٣٢١):ص١٢٩٥/٤.

(١٣٩٨) انظر: زاد المسير:٣١/٢، وأبوصالح لم يسمع ابن عباس فهو منقطع.

(١٣٩٩) التفسير الميسر:١٣٣.

(١٤٠٠) أخرجه الطبري(١٣٢٥٢):ص٣٧٢/١١.

(١٤٠١) أخرجه الطبري(١٣٢٥٤):ص٣٧٢/١١.

(١٤٠٢) تفسير ابن أبي حاتم(٧٣٢٦):ص١٢٩٦/٤.

(١٤٠٣)أخرجه أبونعيم الأصبهاني في "معرفة "الصحابة" (٥/ ٢٦١٤ رقم ٦٢٩٦)،وابن منده في "معرفة "الصحابة"، وأبوموسى المديني في "الصحابة"؛ كما في "أسد الغابة" (٤/ ٥٠٤)،و"الإصابة" (٣/ ٤٦٧) من طريق السدي الصغيرعن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا موضوع؛من دون ابن عباس متهمون.

قوله تعالى:{وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ} [الأنعام : ٥١]، أي:"أي خوِّف يا محمد بهذا القرآن المؤمنين المصدقين بوعد الله ووعيده الذي يتوقعون عذاب الحشر"(١٤٠٤).

عن السدي قوله: "{وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع}، هؤلاء المؤمنون"(١٤٠٥).

قوله تعالى:{لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ} [الأنعام : ٥١]، أي:"ليس لهم غير الله وليّ ينصرهم، ولا شفيع يشفع لهم عنده تعالى، فيخلصهم من عذابه"(١٤٠٦).

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأنعام : ٥١]، أي:"لعلهم يتقون الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي"(١٤٠٧).

قال مجاهد:"لعلهم يطيعون"(١٤٠٨).

قال الضحاك:" لعلهم يتقون النار بالصلوات الخمس"(١٤٠٩).

القرآن

{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)} [الأنعام : ٥٢]

التفسير:

ولا تُبْعد -أيها النبي- عن مجالستك ضعفاء المسلمين الذين يعبدون ربهم أول النهار وآخره، يريدون بأعمالهم الصالحة وجه الله، ما عليك من حساب هؤلاء الفقراء من شيء، إنما حسابهم على الله، وليس عليهم شيء من حساب عليك، فإن أبعدتهم فإنك تكون من المتجاوزين حدود الله، الذين يضعون الشيء في غير موضعه.

في سبب نزول الآيات:[٥٢، ٥٣]قولان:

أحدها: روي عن سعد بن أبي وقاص؛ قال: "فيّ نزلت: {وَلَا تَطْرُدِ. . .}؛ قال: نزلت في ستة: أنا وابن مسعود منهم، وكان المشركون قالوا له: تدني هؤلاء. وفي رواية: كنا مع النبي - صلى الله عليه وسلم - في ستة نفر، فقال المشركون للنبي - صلى الله عليه وسلم -: اطرد هؤلاء؛ لا يجترؤون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ما شاء أن يقع، فحدث نفسه؛ فأنزل الله: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)}(١٤١٠). [صحيح]

وفي السياق نفسه لاوي عن عبدالله بن مسعود:" مرّ الملأ من قريش على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وعنده صهيب وبلال وعمار وخباب ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد! اطردهم، أرضيت هؤلاء من قومك؟ أفنحن نكون تبعاً لهؤلاء؟ أهؤلاء مَنَّ الله عليهم من بيننا؟ فلعل إن طردتهم أن نأتيك، قال: فنزلت: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ}"(١٤١١).[ضعيف]

(١٤٠٤) صفوة التفاسير:٣٦٣/١.

(١٤٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٣٢٧):ص١٢٩٦/٤.

(١٤٠٦) التفسير الميسر:١٣٣.

(١٤٠٧) صفوة التفاسير:٣٦٣/١.

(١٤٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٣٣٠):ص١٢٩٧/٤.

(١٤٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٣٢٩):ص١٢٩٧/٤.

(١٤١٠)أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤/ ١٨٧٨ رقم ٢٤١٣)، والنسائي في "الكبرى" (٥/ ٧٢، ٧٣ رقم ٨٢٦٤، ٨٢٦٦)، و"التفسير" (١/ ٤٦٩، ٤٧٠ رقم ١٨٣) وغيرهما كثير. وفي رواية لابن ماجه (٢/ رقم ٤١٢٨)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٤٥) تسمية الستة وهم: ابن مسعود وسعد وصهيب وعمار والمقداد وبلال، وفي سنده قيس بن الربيع؛ قال الحافظ: "صدوق، تغيّر لما كبر، أدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به".

(١٤١١)أخرجه أحمد في "المسند" (١/ ٤٢٠)، والطبري في "جامع البيان" (١٣٢٥٥):ص٣٧٤/١١-٢٧٥، والبزار في "مسنده" (٣/ ٤٨، ٤٩ رقم ٢٢٠٩ - كشف)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١٠/ ٢١٧ رقم ١٠٥٠٢)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٢٩٦ رقم ٧٣٢٦)، وأبو الشيخ في "تفسيره" -وعنه الواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٤٦) - من طريق أشعث بن سوار عن كردوس الثعلبي عن ابن مسعود به.

والثاني: روي عن خباب بن الأرت؛ قال: "جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعداً في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي - صلى الله عليه وسلم -؛ حقروهم، فأتوه فخلوا به، وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلساً، تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك؛ فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا؛ فاقعد معهم إن شئت، قال: "نعم"، قالوا: فاكتب لنا عليك كتاباً، قال: فدعا بصحيفة ودعا علياً ليكتب ونحن قعود في ناحية؛ فنزل جبريل -عليه السلام- فقال: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)} ثم ذكر الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن، فقال: {وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣)} ثم قال: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}؛ قال: فدنونا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، وكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا؛ فأنزل الله: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ} ولا تجالس الأشراف {تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا}؛ يعني: عيينة والأقرع، {وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: ٢٨] , قال: هلاكاً، قال: أمر عيينة والأقرع، ثم ضرب لهم مثل الرجلين ومثل الحياة الدنيا. قال خباب: فكنا نقعد مع النبي - صلى الله عليه وسلم -، فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم "[١٤١٢]. [حسن]

والراجح-والله أعلم- أن سبب نزول هذه الآيات حديث سعد - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - لصحة إسناده، وموافقته للفظ الآية، وتصريحه بالنزول، واحتجاج المفسرين به مع عدم المعارض الراجح.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه أشعث بن سوار وهو ضعيف؛ كما في "التقريب"، وكردوس هذا؛ روى عنه جمع من الثقات، ووثقه ابن حبان (٥/ ٣٤٢، ٣٤٣)، وقال ابن معين: "مشهور"؛ كما في "تهذيب الكمال" (٢٤/ ١٧٠)، ووثقه الهيثمي؛ فرجل هذا حاله لا ينزل حديثه عن مرتبة الحسن خاصة أنه من التابعين، والله أعلم.

قال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ٢٠، ٢١): "رواه أحمد والطبراني، ورجال أحمد رجال "الصحيح"! غير كردوس وهو ثقة".

وصححه الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- في "تحقيقه للمسند" (٦/ ٣٦، ٣٧ رقم ٣٩٨٥) وقد وهما في ذلك، والصواب ما قدمنا.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٧٢) وزاد نسبته لابن مردويه وأبي نعيم.

(١٤١٢)أخرجه ابن أبي شيبة في "مسنده" (١/ ٣١٨، ٣١٩ رقم ٤٧٧)، و"مصنفه" (١٢/ ٢٠٧، ٢٠٨ رقم ١٢٥٦٤) -ومن طريقه الطبراني في "المعجم الكبير" (٤/ ٧٥، ٧٧ رقم ٣٦٩٣)، وأبو نعيم في "الحلية" (١/ ١٤٦، ١٤٧) -ومن طريقه المزي في "تهذيب الكمال" (٣٤، ٢٣٠، ٢٣١) -، وإسحاق بن راهويه في "مسنده" -ومن طريقه البيهقي في "الشعب" (٧/ ٣٣٤/ ١٠٤٩) -، وأبو يعلى في "مسنده"؛ كما في "تخريج أحاديث الكشاف" (١/ ٤٣٩)، و"المطالب العالية" (٨/ ٥٦٨، ٥٦٩ رقم ٣٩٧٧)، و"إتحاف الخيرة المهرة" (٨/ ١٠٧، ١٠٨ رقم ٧٧٤٣)، والبزار في "البحر الزخار" (٦/ ٦٩، ٧١ رقم ٢١٢٩، ٢١٣٠)، وابن ماجه في "سننه" (٢/ ١٣٨٢، ١٣٨٣ رقم ٤١٢٧)، والطبري في "جامع البيان" (١٣٢٥٨):ص١١/٣٧٦-٣٧٧، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٢٩٧ رقم ٧٣٣١)، والطحاوي في "مشكل الآثار" (١/ ١٥٧، ١٥٨)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٤٥، ١٤٦)، و"الوسيط" (٢/ ٢٧٤، ٢٧٥)، والخطيب البغدادي في "الأسماء المبهمة" (ص ٤٨٣)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (١/ ٣٥٢، ٣٥٣) من طريق حكيم بن يزيد وأسباط بن نصر كلاهما عن السدي عن أبي سعيد الأزدي عن أبي الكنود عن خباب به.

قلنا: وهذا إسناد حسن -إن شاء الله-، السدي صدوق يهم؛ كما في "التقريب" وأبو سعيد الأزدي أو أبو سعد الأزدي؛ صدوق -إن شاء الله-؛ روى عنه جمع ووثقه ابن حبان (٥/ ٥٦٨)، ولخصه الحافظ بقوله: "مقبول"، وأما أبو الكنود؛ فهو ثقة روى عنه جمع من الثقات، ووثقه ابن حبان (٥/ ١٤٤) وكذا ابن سعد في "الطبقات" (٦/ ١٧٧)، ولخصه الحافظ بقوله: "مقبول".

ويشهد له في الجملة ما سبق؛ فيرتقي إلى درجة الصحيح لغيره -إن شاء الله-.

قال البوصيري في "مصباح الزجاجة" (٣/ ٢٧٦، ٢٧٧ رقم ١٤٦٢): "هذا إسناد صحيح، رواه أبو بكر بن أبي شيبة في "مسنده" عن أحمد بن المفضل ثنا أسباط بن نصر فذكره بإسناده ومتنه. . . وأصله في "صحيح مسلم" وغيره من حديث سعد بن أبي وقاص".

وقال الحافظ ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ١٣٩): "وهذا حديث غريب؛ فإن الآية مكية، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بشهر".

وصححه شيخنا في "صحيح ابن ماجه".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٧٣) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

وقد ذكرت المصادر مجموعة من الروايات التي لا تصح وذلك لاعتلال إسنادها، نذكر منها على سبيل البيان:

- عن عكرمة:"جاء عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، ومطعم بن عدي، والحارث بن نوفل، وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل، في أشراف من بني عبد مناف من الكفار إلى أبي طالب، فقالوا: لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءنا؛ فإنما هم عبيدنا وعسفاؤنا؛ كان أعظم في صدورنا، وأطوع له عندنا، وأدنى لأتباعنا إياه، وتصديقاً له، قال: فأتى أبو طالب النبي - صلى الله عليه وسلم - فحدثه بالذي كلموه به، فقال عمر بن الخطاب: لو فعلت ذلك حتى تنظر ما الذي يريدون وإلام يصيرون من قولهم؛ فأنزل الله -تعالى- هذه الآية: {وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٥١) وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢) وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣)}"[١٤١٣]. [ضعيف]
- وروى أبو صالح عن ابن عباس: "أن هذه الآيات نزلت في الموالي، منهم بلال، وصهيب، وخباب، وعمار، ومهجع، وسلمان، وعامر بن فهيرة، وسالم مولى أبي حذيفة وأن قوله:{وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم} نزلت فيهم أيضا"[١٤١٤].[ضعيف]
- وعن الربيع بن أنس؛ قال: "كان رجال يستبقون إلى مجلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ منهم: بلال، وصهيب، وسلمان، فيجيء أشراف قومه وسادتهم وقد أخذ هؤلاء المجلس فيجلسون ناحية، فقالوا: صهيب: رومي، وسلمان: فارسي، وبلال: حبشي، يجلسون عنده ونحن نجيء فنجلس ناحية، حتى ذكروا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: أنا سادة قومك وأشرافهم، فلو أدنيتنا منك إذا جئنا؟ قال: فَهَمَّ أن يفعل؛ فأنزل الله: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)} "[١٤١٥]. [ضعيف]
- وعن مجاهد؛ قال: "كان أشراف قريش يأتون النبي - صلى الله عليه وسلم - وعنده بلال وسلمان وصهيب وغيرهم؛ مثل: ابن أم عبد وعمار وخباب، فإذا أحاطوا به؛ قال أشراف قريش: بلال: حبشي، وسلمان: فارسي، وصهيب: رومي، فلو نحاهم لأتيناه؛ فأنزل الله -تعالى-: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)}"[١٤١٦]. [ضعيف]
- وعن قتادة؛ قال: إن ناساً من كفار قريش قالوا للنبي - صلى الله عليه وسلم -: إن سرك أن نتبعك! فاطرد عنك فلانًا وفلاناً ناساً من ضعفاء المسلمين، فقال الله: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ

(١٤١٣)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٣٢٦٤):ص٣٧٩/١١-٣٨٠ -: ثنا حجاج بن محمد المصيصي عن ابن جريج عن عكرمة.
قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه ثلاث علل:
الأولى: الإرسال.
الثانية: ابن جريج لم يسمع عن عكرمة.
الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" هذا؛ ضعيف؛ ضعفه أبو حاتم والنسائي وغيرهما.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٧٢) وزاد نسبته لابن المنذر
(١٤١٤)عزاه ابن الجوزي في زاد المسير:٣٢/٢، لأبي صالح عن ابن عباس، وأبوصالح غير ثقة في ابن عباس، وراويته الكلبي يضع الحديث، والمتن منكر جدا بذكر سلمان فإن إسلامه كان في المدينة، والسورة مكية.
(١٤١٥)أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٢٩٨ رقم ٧٣٣٢): ثنا أبي ثنا سهل بن عثمان ثنا عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر عنه به.
قلنا: هذا مرسل صحيح الإسناد.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٧٤، ٢٧٥) وزاد نسبته لعبد بن حميد وأبي الشيخ.
(١٤١٦)ذكره السيوطي في "الدرالمنثور" (٣/ ٢٧٥) ونسبه لابن عساكر.

رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)}"[١٤١٧]. [ضعيف]

- وعن عمر بن عبد الله بن المهاجر مولى غفرة؛ أنه قال في أسطوان التوبة: "كان أكثر نافلة النبي - صلى الله عليه وسلم - إليها، وكان إذا صلى الصبح انصرف إليها وقد سبق إليها الضعفاء، والمساكين، وأهل الضر، وضيفان النبي - صلى الله عليه وسلم - والمؤلفة قلوبهم، ومن لا مبيت له إلا المسجد، قال: وقد تحلقوا حولهاحلقاً بعضها دون بعض، فينصرف إليهم من مصلاه من الصبح، فيتلو عليهم ما أنزل الله عليه من ليلته، ويحدثهم ويحدثونه، حتى إذا طلعت الشمس جاء أهل الطول والشرف والغنى فلم يجدوا إليه مخلصاً؛ فتاقت أنفسهم إليه وتاقت نفسه إليهم؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} إلى منتهى الآيتين، فلما نزل ذلك فيهم؛ قالوا: يا رسول الله! لو طردتهم عنا ونكون نحن جلساءك وإخوانك لا نفارقك؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)} "[١٤١٨]. [ضعيف]
- وعن ابن عباس" -رضي الله عنهما-؛ أنه قال: "نزلت هذه الآية: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ} في بلال، وصهيب، وعمار، وخباب، وسعد بن خولة، ومالك بن خولي وأصحابهم "[١٤١٩]. [موضوع]
- وعن الكلبي في قوله -تعالى-: "{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)}؛ قال عيينة بن حصن للنبي - صلى الله عليه وسلم -: إن سرّك أن نتبعك؛ فاطرد عنك فلانًا وفلانًا؛ فإنه قد آذاني ريحهم؛ يعني: بلالاً، وسلمانَ، وصهيباً، وناساً من ضعفاء المسلمين؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ (٥٢)}"[١٤٢٠]. [موضوع]
- وروى عن ابن عباس أيضا: قوله : "{وكذلك فتنا بعضهم ببعض}[١٤٢١] الآية ، فهم أناس كانوا مع النبيّ صلى الله عليه وسلم من الفقراء ، فقال أناس من أشراف الناس : نؤمن لك ، وإذا صلينا فأخِّر هؤلاء الذين معك فليصلُّوا خلفنا! "[١٤٢٢].

قال ابن الجوزي:"فعلى هذا، إنما سألوه تأخيرهم عن الصف، وعلى الأقوال التي قبله، سألوه طردهم عن مجلسه"[١٤٢٣].

قوله تعالى:{وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} [الأنعام : ٥٢]، أي:"ولا تُبْعد -أيها النبي- عن مجالستك ضعفاء المسلمين الذين يعبدون ربهم أول النهار وآخره"[١٤٢٤].

وفي معنى «الدعاء»في قوله تعالى:{يَدْعُونَ رَبَّهُمْ} [الأنعام : ٥٢]، أقوال :

(١٤١٧)أخرجه عبدالرزاق في "تفسيره" (١/ ٢/ ٢٠٨) –ومن طريقه الخطيب في "الأسماء المبهمة" (ص ٤٨٢) -: نا معمر عن قتادة.

قلنا: وهذامرسل رجاله ثقات.

(١٤١٨)ذكره السيوطي في "الدرالمنثور" (٣/ ٢٧٤) ونسبه للزبير بن بكار في أخبار المدنية.

(١٤١٩)أخرجه أبونعيم الأصبهاني في "معرفة "الصحابة" (٣/ ١٢٨٢ رقم ١٢٨٤، ٣٢١٨، ٥/ ٢٦١٤ رقم ٦٢٩٥) م نطريق عبد الغني بن سعيد الثقفي ثنا موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاءعن ابن عباس به.

قلنا: وهذا موضوع؛كما تقدم بيانه مرارا.

(١٤٢٠)أخرجه عبدالرزاق في "تفسيره" (١/ ٢/ ٢٠٧) عن معمرعن الكلبي.

قلنا: وهذا كذب؛ فالكلبي متهم،اعترف بنفسه بالكذب.

(١٤٢١) [الأنعام:٥٣].

(١٤٢٢)أخرجه الطبري(١٣٢٨٣):ص٣٨٥/١١،عن ابن عباس به، وإسناده ضعيف جدا، فيه عطية العوفي ضعيف، وعنه مجاهيل.

(١٤٢٣) زاد المسير:٣٢/٢-٣٣.

(١٤٢٤) التفسير الميسر:١٣٣.

أحدها: أنه الصلاة المكتوبة، قاله الحسن[١٤٢٥]، ومجاهد[١٤٢٦]، وقتادة[١٤٢٧]، وسعيد بن المسيب[١٤٢٨]، وعبدالرحمن بن أبي عمرة[١٤٢٩]، وعامر[١٤٣٠].

وفي رواية عن مجاهد[١٤٣١]، وقتادة[١٤٣٢]، قالا:يعني "صلاة الصبح والعصر".

الثاني: أنه ذكر الله تعالى، قاله إبراهيم النخعي[١٤٣٣]، وعنه كالقول الأول[١٤٣٤].

الثالث: أنه عبادة الله، قاله الضحاك[١٤٣٥]، وعنه كالقول الاول[١٤٣٦].

الرابع: أنه تعلم القرآن غدوة وعشية، قاله أبو جعفر[١٤٣٧].

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يطرُد قومًا كانوا يدعون ربّهم بالغداة والعشي ، و الدعاء لله، يكون بذكره وتمجيده والثناء عليه قولا وكلامًا وقد يكون بالعمل له بالجوارح الأعمالَ التي كان عليهم فرضُها ، وغيرُها من النوافل التي ترضي عن العامل له عابدَه بما هو عامل له. وقد يجوز أن يكون القوم كانوا جامعين هذه المعاني كلها ، فوصفهم الله بذلك بأنهم يدعونه بالغداة والعشي ، لأن الله قد سمى :العبادة ، دعاء، فقال تعالى ذكره : {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [سورة غافر : ٦٠]. وقد يجوز أن يكون ذلك على خاصّ من الدعاء.

ولا قول أولى بذلك بالصحة ، من وصف القوم بما وصفهم الله به : من أنهم كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشي ، فيعمُّون بالصفة التي وصفهم بها ربهم ، ولا يخصُّون منها بشيء دون شيء.

فتأويل الكلام إذًا : يا محمد ، أنذر القرآن الذي أنزلته إليك ، الذين يعلمون أنهم إلى ربهم محشورون فهم من خوف ورودهم على الله الذي لا شفيع لهم من دونه ولا نصير ، في العمل له دائبون إذ أعرض عن إنذارك واستماع ما أنزل الله عليك المكذبون بالله واليوم الآخر من قومك ، استكبارًا على الله ولا تطردهم ولا تُقْصِهم ، فتكون ممن وضع الإقصاء في غير موضعه ، فأقصى وطرد من لم يكن له طرده وإقصاؤه ، وقرّب من لم يكن له تقديمه بقربه وإدناؤه ، فإن الذين نهيتُك عن طردهم هم الذين يدعون ربهم فيسألونه عفوه ومغفرته بصالح أعمالهم ، وأداء ما ألزمهم من فرائضه ، ونوافل تطوّعهم ، وذكرهم إياه بألسنتهم بالغداة والعشي"[١٤٣٨].

القرآن

{وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ (٥٣)} [الأنعام : ٥٣]

التفسير:

وكذلك ابتلى الله تعالى بعض عباده ببعض بتباين حظوظهم من الأرزاق والأخلاق، فجعل بعضهم غنيًّا وبعضهم فقيرًا، وبعضهم قويًّا وبعضهم ضعيفًا، فأحوج بعضهم إلى بعض اختبارًا منه لهم بذلك; ليقول الكافرون الأغنياء: أهؤلاء الضعفاء مَنَّ الله عليهم بالهداية إلى الإسلام مِن بيننا؟ أليس الله تعالى بأعلم بمن يشكرون نعمته، فيوفقهم إلى الهداية لدينه؟

(١٤٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٠):ص٣٨٢/١١.

(١٤٢٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧١):ص٣٨٢/١١.

(١٤٢٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٣):ص٣٨٢/١١-٣٨٣، و(١٣٢٨١):ص٣٨٤/١١.

(١٤٢٨) انظر: تفسير ابن كثير:٢٥٩/٣.

(١٤٢٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٨):ص٣٨٤/١١.

(١٤٣٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٩):ص٣٨٤/١١.

(١٤٣١) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٦٩):ص٣٨٢/١١.

(١٤٣٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٣):ص٣٨٢/١١-٣٨٣.

(١٤٣٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٨٤):ص٣٨٥/١١.

(١٤٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٦٧):ص٣٨١/١١.

(١٤٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٨٨):ص٣٨٦/١١.

(١٤٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٧٢):ص٣٨٢/١١.

(١٤٣٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٨٧):ص٣٨٦/١١.

(١٤٣٨) تفسير الطبري:٣٨٧/١١-٣٨٨.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ} [الأنعام : ٥٣]، أي:"وكذلك ابتلى الله تعالى بعض عباده ببعض بتباين حظوظهم من الأرزاق والأخلاق"[١٤٣٩].

قال قتادة:"يقول: ابتلينا بعضهم ببعض"[١٤٤٠].

القرآن

{وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٤)} [الأنعام : ٥٤]

التفسير:

وإذا جاءك -أيها النبي- الذين صَدَّقوا بآيات الله الشاهدة على صدقك من القرآن وغيره مستفتين عن التوبة من ذنوبهم السابقة، فأكرِمْهم بردِّ السلام عليهم، وبَشِّرهم برحمة الله الواسعة; فإنه جلَّ وعلا قد كتب على نفسه الرحمة بعباده تفضلا أنه من اقترف ذنبًا بجهالة منه لعاقبتها وإيجابها لسخط الله -فكل عاص لله مخطئًا أو متعمدًا فهو جاهل بهذا الاعتبار وإن كان عالمًا بالتحريم- ثم تاب من بعده وداوم على العمل الصالح، فإنه تعالى يغفر ذنبه، فهو غفور لعباده التائبين، رحيم بهم.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: عن ماهان؛ قال: "جاء قوم إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - قد أصابوا ذنوباً عظاماً، فما أخاله رد عليهم شيئاً، قال: فأنزل: {وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ}"[١٤٤١]. [ضعيف]

الثاني:أنها نزلت في القوم من المؤمنين الذين صوبوا رأي أبي طالب في طرد الضعفة، فأمر الله نبيه أن يسلم عليهم ويعلمهم أن الله يغفر لهم مع توبتهم من ذلك السوء وغيره. وهذا قول عكرمة[١٤٤٢].

قال عكرمة:"جاء عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، ومطعم بن عديّ ، والحارث بن نوفل ، وقرظة بن عبد عمرو بن نوفل ، في أشراف من بني عبد مناف من الكفار ، إلى أبي طالب فقالوا : يا أبا طالب ، لو أن ابن أخيك يطرد عنه موالينا وحلفاءَنا ، فإنما هم عبيدنا وعُسَفاؤنا ، كان أعظم في صدورنا ، وأطوع له عندنا ، وأدنى لاتّباعنا إياه ، وتصديقنا له! قال : فأتى أبو طالب النبي صلى الله عليه وسلم فحدثه بالذي كلموه به ، فقال عمر بن الخطاب : لو فعلتَ ذلك ، حتى تنظر ما الذي يريدون ، وإلام يصيرون من قولهم ؟ فأنزل الله تعالى ذكره هذه الآية : {وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه} إلى قوله :{أليس الله بأعلم بالشاكرين}، قال : وكانوا : بلال ، وعمارُ بن ياسر ، وسالم مولى أبي حذيفة ، وصبيح مولى أسيد ومن الحلفاء : ابنمسعود ، والمقداد بن عمرو ، ومسعود بن القاريّ ، وواقد بن عبد الله الحنظلي ، وعمرو بن عبد عمرو ذو الشمالين ، ومرثد بن أبي مرثد وأبو مرثد ، من غنيّ ، حليفُ حمزة بن عبد المطلب وأشباههم من الحلفاء.ونزلت في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء: {وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله

(١٤٣٩) التفسير الميسر:١٣٤.

(١٤٤٠) أخرجه الطبري(١٣٢٨٩):ص٣٨٨/١١.

(١٤٤١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٢٩١):ص٣٩٠/١١-٣٩١، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٠٠/ ٧٣٤٥)، ومسدد في "مسنده"؛ كما في "المطالب العالية" (٨/ ٥٦٧ رقم ٣٩٧٣ - المسندة)، و"إتحاف الخيرة المهرة" (٨/ ٧٢ رقم ٧٦٦١ - ط الرشد)، وسفيان الثوري في "تفسيره" (ص ١٠٧ رقم ٢٦٦) من طريق يحيى بن سعيد القطان وقبيصة وأبي نعيم ثلاثتهم عن الثوري عن مجمع التميمي قال: سمعت ماهان به.

قلنا: وهذا مرسل رجاله ثقات.

وأما البوصيري؛ فقال: "هذا إسناد ضعيف؛ لجهالة بعض رواته".

قلنا: وليس كما قال؛ فإن رجاله كلهم ثقات، وما فيه علة سوى الإرسال.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٢٧٦) وزاد نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

وذكره الواحدي في اسباب النزول:٢١٩، حكاه دون ذكر الإسناد.

(١٤٤٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٦٤):ص٣٧٩/١١-٣٨٠.

عليهم من بيننا} الآية. فلما نزلت ، أقبل عمر بن الخطاب فاعتذر من مَقالته ، فأنزل الله تعالى ذكره :{وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم} ، الآية"[١٤٤٣].[ضعيف]

الثالث: وحكي عن ابن عباس:"نزلت الآية في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي"[١٤٤٤].

وقال عطاء: "نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وبلال وسالم وأبي عبيدة ومصعب بن عمير وحمزة وجعفر وعثمان بن مظعون وعمار بن ياسر والأرقم بن أبي الأرقم وأبي سلمة بن عبد الأسد رضي، الله عنهم أجمعين"[١٤٤٥].

قال جمهور المفسرين: "الذين يراد بهم القوم الذين كان عرض طردهم فنهى الله عز وجل عن طردهم، وشفع ذلك بأن أمر بأن يسلم النبي صلى الله عليه وسلم عليهم ويؤنسهم"[١٤٤٦].

قوله تعالى:{وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} [الأنعام : ٥٤]، أي:"وإذا جاءك -أيها النبي- الذين صَدَّقوا بآيات الله الشاهدة على صدقك من القرآن وغيره مستفتين عن التوبة من ذنوبهم السابقة فأكرِمْهم بردِّ السلام عليهم"[١٤٤٧].

وفي قوله تعالى:{فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} [الأنعام : ٥٤]، وجهان:

أحدها: أنه تحية أمر الله تعالى رسوله أن يبدأ بها الذين يؤمنون بآياته إذا جاءوه إكراما خاصا بهم مخالفا للأصل العام - وهو كون القادم هو الذي يلقي السلام. وهو خاص بمن قال: إن الآية نزلت فيهم. هذا قول عكرمة[١٤٤٨].

الثاني: انه تحية منه تعالى أمر رسوله أن يبلغهم إياها عنه.وهذا قول الحسن[١٤٤٩].

و"«السلام»: من أسماء الله تعالى، يدل على تنزيهه عن كل ما لا يليق به من نقص، وعجز، وفناء، وغير ذلك من عيوب الخلق وضعفهم. واستعمل السلام في المتاركة وفي التحية معرفة ونكرة، يقال: سلام عليكم، والسلام عليكم، وهو بمعنى الدعاء بالسلامة من كل ما يسوء، ويفيد تأمين المسلم عليه من كل أذى يناله من المسلم،فهو آية المودة والصفاء، وثبت في التنزيل أن السلام تحية أهل الجنة يحييهم بها ربهم جل وعلا، وملائكته الكرام ويحيي بها بعضهم بعضا، وهو تحية الإسلام الذي هو دين السلم والمسالمة:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} [البقرة : ٢٠٨]"[١٤٥٠].

قوله تعالى:{أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ} [الأنعام : ٥٤]، أي:"أنه من اقترف ذنبًا بجهالة منه لعاقبتها وإيجابها لسخط الله[١٤٥١].

قال الضحاك:" ليس من جهالته أن لا يعلم حلالا ولا حراما، ولكن من جهالته حين دخل فيه"[١٤٥٢].

قال مجاهد:"من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع، عن معصيته"[١٤٥٣].

وعن مجاهد ايضا :"{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ}[١٤٥٤]، قال: الجهالة العمد"[١٤٥٥].وروي، عن عطاء، مثله[١٤٥٦].

(١٤٤٣)أخرجه سنيد في "تفسيره" –ومن طريقه الطبري في تفسيره(١٣٢٦٤):ص٣٧٩/١١-٣٨٠، ثنا حجاج بن محمد المصيصي عن ابن جريج عن عكرمة.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛فيه ثلاث علل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن جريج لم يسمع عن عكرمة.

الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" هذا؛ ضعيف؛ ضعفه أبوحاتم والنسائي وغيرهما.

(١٤٤٤) عزاه غليه القرطبي في تفسيره: ٤٣٥/٦.

(١٤٤٥) تفسير البغوي:١٤٨/٣.

(١٤٤٦) المحرر الوجيز:٢٩٦/٢.

(١٤٤٧) التفسير الميسر:١٣٤.

(١٤٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٢٦٤):ص٣٧٩/١١-٣٨٠.

(١٤٤٩) انظر: النكت والعيون:١١٩/٢.

(١٤٥٠) تفسير المنار:٣٧٤/٧.

(١٤٥١) التفسير الميسر:١٣٤.

(١٤٥٢) اخرجه ابن أبي حاتم(٧٣٤٧):ص١٣٠١/٤.

(١٤٥٣) اخرجه ابن أبي حاتم(٧٣٤٨):ص١٣٠١/٤.

(١٤٥٤)[النساء : ١٧].

(١٤٥٥) اخرجه ابن أبي حاتم(٧٣٤٩):ص١٣٠١/٤.

وعن جهير بن يزيد قال: "سألت الحسن، عن قوله: {السوء بجهالة}، قلت: ما هذه الجهالة؟ قال: هم قوم لم يعلموا ما لهم مما عليهم. قلت: أرأيت لو كانوا علموا؟ قال: فليخرجوا منها، فإنها جهالة"[١٤٥٧].

وروي عن عكرمة في قوله: "{السوء بجهالة}، قال: الدنيا كلها جهالة"[١٤٥٨].

وقال خالد بن دينار أبو خلدة: "كنا إذا دخلنا على أبي العالية قال : {وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة}"[١٤٥٩].

قوله تعالى:{فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام : ٥٤]، أي:"فإنه تعالى يغفر ذنبه، فهو غفور لعباده التائبين، رحيم بهم[١٤٦٠].

قال السعدي:"أي: صب عليهم من مغفرته ورحمته، بحسب ما قاموا به، مما أمرهم به"[١٤٦١].

قال سعيد بن جبير:"{غفور}، يعني: لما كان منه قبل التوبة"[١٤٦٢]، "{رحيم}: لمن تاب"[١٤٦٣].

عن قتادة :قوله: "{رحيم} قال: رحيم بعباده"[١٤٦٤].

القرآن

{وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (٥٥)} [الأنعام : ٥٥]

التفسير:

ومثل هذا البيان الذي بيَّنَّاه لك -أيها الرسول- نبيِّن الحجج الواضحة على كل حق ينكره أهل الباطل; ليتبين الحق، وليظهر طريق أهل الباطل المخالفين للرسل.

سبب النزول:

عن ابن عباس قال: "مر الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعنده خباب وبلال وصهيب فقالوا: أهؤلاء من الله عليهم من بيننا، أتأمرنا أن نكون تبعا لهؤلاء؟ اطردهم عنك فلعلنا نتبعك. فأنزل الله: {وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم} إلى قوله: {ولتستبين سبيل المجرمين}. الآيات:[٥٢- ٥٥]"[١٤٦٥].

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ} [الأنعام : ٥٥]، أي:" ومثل هذا البيان الذي بيَّنَّاه لك -أيها الرسول- نبيِّن الحجج الواضحة على كل حق ينكره أهل الباطل"[١٤٦٦].

عن قتادة:"{وكذلك نفصل الآيات}، نبين الآيات"[١٤٦٧].

القرآن

{قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧)} [الأنعام : ٥٧]

التفسير:

قل -أيها الرسول لهؤلاء المشركين-: إني على بصيرة واضحة من شريعة الله التي أوحاها إليَّ، وذلك بإفراده وحده بالعبادة، وقد كذَّبتم بهذا، وليس في قدرتي إنزال العذاب الذي تستعجلون به، وما الحكم في تأخر ذلك إلا إلى الله تعالى، يقصُّ الحقَّ، وهو خير مَن يفصل بين الحق والباطل بقضائه وحكمه.

(١٤٥٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٠١/٤. حكاه دون ذكر السند.

(١٤٥٧) اخرجه ابن أبي حاتم(٧٣٥٠):ص١٣٠١/٤.

(١٤٥٨) اخرجه ابن أبي حاتم(٧٣٥١):ص١٣٠١/٤.

(١٤٥٩) أخرجه الطبري(١٣٢٩٨):ص٢٩٤/١١.

(١٤٦٠) التفسير الميسر:١٣٤.

(١٤٦١) تفسير السعدي:٢٥٨.

(١٤٦٢) اخرجه ابن أبي حاتم(٧٣٥٣):ص١٣٠٢/٤.

(١٤٦٣) اخرجه ابن أبي حاتم(٧٣٥٤):ص١٣٠٢/٤.

(١٤٦٤) اخرجه ابن أبي حاتم(٧٣٥٥):ص١٣٠٢/٤.

(١٤٦٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٣٢٦):ص١٢٩٦/٤.

(١٤٦٦) التفسير الميسر:١٣٤.

(١٤٦٧) أخرجه الطبري(١٣٣٠٠):ص٣٩٦/١١.

قوله تعالى:{قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي} [الأنعام : ٥٧]، أي:"قل -أيها الرسول لهؤلاء المشركين-: إني على بصيرة واضحة من شريعة الله التي أوحاها إليَّ، وذلك بإفراده وحده بالعبادة"(١٤٦٨).

قال أبو عمران الجوني:"{على بينة من ربي}، على ثقة"(١٤٦٩).

قوله تعالى:{يَقُصُّ الْحَقَّ} [الأنعام : ٥٧]، أي:"يخبر الحق ويبينه البيان الشافي"(١٤٧٠).

قال مجاهد: "لو كانت يقص، لكانت يقضي بالحق، ولكنها يقص الحق"(١٤٧١).وروي، عن عطية مثله(١٤٧٢).

القرآن

{قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ (٥٨)} [الأنعام : ٥٨]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: لو أنني أملك إنزال العذاب الذي تستعجلونه لأنزلته بكم، وقضي الأمر بيني وبينكم، ولكن ذلك إلى الله تعالى، وهو أعلم بالظالمين الذين تجاوزوا حدَّهم فأشركوا معه غيره.

قوله تعالى:{لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ} [الأنعام : ٥٨]، أي:"لأنزلته بكم، وقضي الأمر بيني وبينكم"(١٤٧٣).

عن عكرمة، في قوله: {لقضي الأمر بيني وبينكم} قال: قامت الساعة"(١٤٧٤).

وعن ابن جريج قال ، بلغني في قوله : {لقضي الأمر}، قال : ذبح الموت"(١٤٧٥).

القرآن

{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ (٥٩)} [الأنعام : ٥٩]

التفسير:

وعند الله -جل وعلا- مفاتح الغيب أي: خزائن الغيب، لا يعلمها إلا هو، ومنها: علم الساعة، ونزول الغيث، وما في الأرحام، والكسب في المستقبل، ومكان موت الإنسان، ويعلم كل ما في البر والبحر، وما تسقط من ورقة من نبتة إلا يعلمها، فكل حبة في خفايا الأرض، وكل رطب ويابس، مثبت في كتاب واضح لا لَبْس فيه، وهو اللوح المحفوظ.

قوله تعالى:{وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ} [الأنعام : ٥٩]، أي:" عند الله خزائن الغيب وهي الأمور المغّيبة الخفيّة لا يعلمها ولا يحيط بها إلا هو"(١٤٧٦).

عن السدي قوله: "{وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو}، يقول: خزائن الغيب"(١٤٧٧).

قال الضحاك(١٤٧٨) ومقاتل(١٤٧٩): "{مفاتح الغيب}: خزائن الأرض، وعلم نزول العذاب".

قال عطاء: "ما غاب عنكم من الثواب والعقاب، وما يصير إليه أمري وأمركم"(١٤٨٠).

قوله تعالى:{وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الأنعام : ٥٩]، أي:" ويعلم كل ما في البر والبحر"(١٤٨١).

(١٤٦٨)التفسير الميسر:١٣٤.

(١٤٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٣٥٩):ص١٣٠٣/٤.

(١٤٧٠) صفوة التفاسير:٣٦٤/١.

(١٤٧١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٣٦١):ص١٣٠٣/٤.

(١٤٧٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٠٣/٤. حكاه دون ذكر السند.

(١٤٧٣) التفسير الميسر:١٣٤.

(١٤٧٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٣٦٤):ص١٣٠٣/٤.

(١٤٧٥) اخرجه الطبري(١٣٣٠٤):ص٤٠٠/١١.

(١٤٧٦) صفوة التفاسير:٣٦٦/١.

(١٤٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٣٦٨):ص١٣٠٤/٤.

(١٤٧٨) انظر: تفسير الثعلبي:١٥٤/٤، وتفسير البغوي:١٥٠/٣.

(١٤٧٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٥٦٤/١.

(١٤٨٠) انظر: تفسير الثعلبي:١٥٤/٤، وتفسير البغوي:١٥٠/٣.

(١٤٨١) التفسير الميسر:١٣٥.

قال مجاهد: "{البر} القفار، و{البحر} كل قرية فيها ماء« لا يحدث فيهما شيء إلا بعلم الله»"[١٤٨٢].

قوله تعالى:{وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ } [الأنعام : ٥٩]، أي:" فكل حبة في خفايا الأرض، وكل رطب ويابس، مثبت في كتاب واضح لا لَبْس فيه، وهو اللوح المحفوظ"[١٤٨٣].

قال الحسن: "يكتبه الله رطبا ويكتبه يابسا، لتعلم يا بن آدم إن عملك أولى بها من إصلاح تلك الجنة، وقال: «الرطب» لسان المؤمن رطب بذكر الله، و«اليابس» لسان الكافر لا يتحرك بذكر الله، وبما يرضي الله عز وجل"[١٤٨٤].

عن عبد الله بن الحارث قال: "ما في الأرض من شجرة ولا مغرز إبرة إلا عليها ملك موكل، يأتي الله ربنا بعلمها رطوبتها إذا رطبت، ويبسها إذا يبست"[١٤٨٥].

عن قتادة قوله: "{في كتاب مبين}، قال: كل ذلك في كتاب من عند الله مبين"[١٤٨٦].

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠)} [الأنعام : ٦٠]

التفسير:

وهو سبحانه الذي يقبض أرواحكم بالليل بما يشبه قبضها عند الموت، ويعلم ما اكتسبتم في النهار من الأعمال، ثم يعيد أرواحكم إلى أجسامكم باليقظة من النوم نهارًا بما يشبه الأحياء بعد الموت; لتُقضى آجالكم المحددة في الدنيا، ثم إلى الله تعالى معادكم بعد بعثكم من قبوركم أحياءً، ثم يخبركم بما كنتم تعملون في حياتكم الدنيا، ثم يجازيكم بذلك.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ} [الأنعام : ٦٠]، أي:" وهو سبحانه الذي يقبض أرواحكم بالليل بما يشبه قبضها عند الموت"[١٤٨٧].

عن السدي:" أما {يتوفاكم بالليل}، ففي النوم "[١٤٨٨].

قال مجاهد:" أمّا وفاته إياهم بالليل ، فمنامهم"[١٤٨٩].

قوله تعالى:{وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ} [الأنعام : ٦٠]، أي:" ويعلم ما اكتسبتم في النهار من الأعمال"[١٤٩٠].

قال السدي:" يعني : ما اكتسبتم من الإثم"[١٤٩١].

وقال قتادة:" ما عملتم بالنهار"[١٤٩٢]. وفي رواية اخرى عنه أيضا:" : ما عملتم من ذنب فهو يعلمه ، لا يخفى عليه شيء من ذلك"[١٤٩٣].

قال مجاهد:" يقول : ما اكتسبتم بالنهار"[١٤٩٤].

(١٤٨٢) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:١٥٤/٤، والواحدي في تفسير الوسيط:٢٨٠/٢. وما داخل القوسين«» زيادة في رواية الواحدي.

(١٤٨٣) التفسير الميسر:١٣٥.

(١٤٨٤) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:١٥٤/٤.

(١٤٨٥) تفسير ابن ابي حاتم(٧٣٧١):ص١٣٠٤/٤-١٣٠٥.

(١٤٨٦) تفسير ابن ابي حاتم(٧٣٧٣):ص١٣٠٥/٤.

(١٤٨٧) التفسير الميسر:١٣٥.

(١٤٨٨) أخرجه الطبري(١٣٣٠٩):ص٤٠٥/١١.

(١٤٨٩) أخرجه الطبري(١٣٣١٤):ص٤٠٦/١١.

(١٤٩٠) التفسير الميسر:١٣٥.

(١٤٩١) انظر: تفسير الطبري(١٣٣٠٩):ص٤٠٥/١١.

(١٤٩٢) أخرجه الطبري(١٣٣١١):ص٤٠٦/١١.

(١٤٩٣) أخرجه الطبري(١٣٣١٣):ص٤٠٦/١١.

(١٤٩٤) أخرجه الطبري(١٣٣١٤):ص٤٠٦/١١.

و«الاجتراح» عند العرب: هو عمل الرجل بيده أو رجله أو فمه ، وهي «الجوارح» عندهم ، جوارح البدن فيما ذكر عنهم. ثم يقال لكل مكتسب عملا :جارح، لاستعمال العرب ذلك في هذه «الجوارح»، ثم كثر ذلك في الكلام حتى قيل لكل مكتسب كسبًا ، بأيّ أعضاء جسمه اكتسب :«مجترح»[١٤٩٥].

قوله تعالى:{ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ} [الأنعام : ٦٠]، أي:" ثم يعيد أرواحكم إلى أجسامكم باليقظة من النوم نهارًا بما يشبه الأحياء بعد الموت"[١٤٩٦].

وفي قوله تعالى:{ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ} [الأنعام : ٦٠]، وجهان:

أحدهما: أي : في النهار. قاله مجاهد[١٤٩٧]، وقتادة[١٤٩٨]، والسُّدِّي[١٤٩٩].

والثاني: أي: في المنام. قاله عبدالله بن كثير[١٥٠٠].

والأول أظهر. وقد روى ابن مَرْدُوَيه بسنده عن الضحاك ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "مع كل إنسان ملك إذا نام أخذ نفسه ، ويُرَد إليه. فإن أذن الله في قبض روحه قبضه ، وإلا رد إليه"[١٥٠١]، فذلك قوله : { وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ }"[١٥٠٢].

قوله تعالى:{لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى} [الأنعام : ٦٠]، أي:" لتُقضى آجالكم المحددة في الدنيا"[١٥٠٣].

عن مجاهد : " {ليقضي أجل مسمى}، وهو الموت "[١٥٠٤].

قال السدي:" هو أجل الحياة إلى الموت"[١٥٠٥].

عن عبد الله بن كثير: {ليقضي أجل مسمى}، قال : مدّتهم"[١٥٠٦].

قوله تعالى:{ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ} [الأنعام : ٦٠]، أي:" ثم إلى الله تعالى معادكم بعد بعثكم من قبوركم أحياءً"[١٥٠٧].

عن الضحاك، قوله: "{إليه مرجعكم قال}: البر والفاجر"[١٥٠٨].

قال أبو العالية:" يعني قوله: {إليه مرجعكم}، قال: يرجعون إليه بعد الحياة"[١٥٠٩].

القرآن

{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ (٦١)} [الأنعام : ٦١]

التفسير:

والله تعالى هو القاهر فوق عباده، كل شيء خاضع لجلاله وعظمته، ويرسل على عباده ملائكة، يحفظون أعمالهم ويُحْصونها، حتى إذا نزل الموت بأحدهم قبض روحَه مَلَكُ الموت وأعوانه، وهم لا يضيعون ما أُمروا به.

قوله تعالى:{وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً} [الأنعام : ٦١]، أي:" ويرسل على عباده ملائكة، يحفظون أعمالهم ويُحْصونها"[١٥١٠].

(١٤٩٥) انظر: تفسير الطري:٤٠٥/١١.

(١٤٩٦) التفسير الميسر:١٣٥.

(١٤٩٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٣١٥):ص٤٠٧/١١.

(١٤٩٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٣١٦):ص٤٠٧/١١.

(١٤٩٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٣١٨):ص٤٠٨/١١.

(١٥٠٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٣١٩):ص٤٠٨/١١.

(١٥٠١) تفسير ابن كثير:٢٦٦/٣، ورواه أبو الشيخ كما في الدر المنثور (٢٨٠/٣) وفي إسناده انقطاع بين الضحاك وابن عباس.

(١٥٠٢) تفسير ابن كثير:٢٦٦/٣.

(١٥٠٣) التفسير الميسر:١٣٥.

(١٥٠٤) أخرجه الطبري(١٣٣٢٠):ص٤٠٨/١١.

(١٥٠٥) أخرجه الطبري(١٣٣٢١):ص٤٠٨/١١.

(١٥٠٦) أخرجه الطبري(١٣٣٢٢):ص٤٠٨/١١.

(١٥٠٧) التفسير الميسر:١٣٥.

(١٥٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٣٨١):ص١٣٠٦/٤.

(١٥٠٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٣٨٢):ص١٣٠٦/٤.

قال قتادة:" يقول : حفظة ، يا ابن آدم ، يحفظون عليك عملك ورزقك وأجلك"[١٥١١].
قال السدي:" هي المعقبات من الملائكة ، يحفظونه ويحفظون عمله"[١٥١٢].
قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا} [الأنعام : ٦١]، أي:" حتى إذا نزل الموت بأحدهم قبض روحَه مَلَكُ الموت وأعوانه "[١٥١٣].
قال قتادة:"يقول تعالى ذكره : إن ربكم يحفظكم برسل يعقّب بينها ، يرسلهم إليكم بحفظكم وبحفظ أعمالكم ، إلى أن يحضركم الموت ، وينزل بكم أمر الله ، فإذا جاء ذلك أحدكم ، توفاه أملاكنا الموكّلون بقبض الأرواح ، ورسلنا المرسلون به"[١٥١٤].
وقال قتادة أيضا:" إن ملك الموت له رسل، فيرسل ويرفع ذلك إليه ، وقال الكلبي: إن ملك الموت هو يلي ذلك، فيدفعه، إن كان مؤمنًا، إلى ملائكة الرحمة، وإن كان كافرًا إلى ملائكة العذاب"[١٥١٥].
عن الحسن بن عبيد الله في قوله:"{توفته رسلنا وهم لا يفرطون}، قال: سئل ابن عباس عنها فقال: إن لملك الموت أعوانًا من الملائكة"[١٥١٦].
عن إبراهيم:"{توفته رسلنا وهم لا يفرطون}، قال: الرسل توفَّى الأنفس، ويذهب بها ملك الموت"[١٥١٧].
وروي عن الثوري، عن منصور عن إبراهيم في قوله:"{توفته رسلنا}، قال: تتوفاه الرسل، ثم يقبض منهم ملك الموت الأنفس، قال الثوري: وأخبرني الحسن بن عبيد الله، عن إبراهيم قال: هم أعوان لملك الموت، قال الثوري: وأخبرني رجل، عن مجاهد قال: جعلت الأرض لملك الموت مثل الطست يتناول من حيث شاء، وجعلت له أعوان يتوفَّون الأنفس ثم يقبضها منهم"[١٥١٨].
وعن عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، قال: "سألت الربيع بن أنس عن ملك الموت، أهو وحده الذي يقبض الأرواح، قال: هو الذي يلي أمرَ الأرواح، وله أعوان على ذلك، ألا تسمع إلى قول الله تعالى ذكره: {حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ}؟ [سورة الأعراف: ٣٧] . وقال:{توفته رسلنا وهم لا يفرطون}، غير أن ملك الموت هو الذي يسير كل خطوة منه من المشرق إلى المغرب. قلت: أين تكون أرواح المؤمنين؟ قال: عند السدرة في الجنة"[١٥١٩].
عن مجاهد:" ما من أهل بيت شَعَرٍ ولا مَدَرٍ إلا وملك الموت يُطيف بهم كل يوم مرتين"[١٥٢٠].
قوله تعالى:{وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ} [الأنعام : ٦١]، أي:" وهم لا يضيعون ما أُمروا به"[١٥٢١].
قال قتادة:" يقول: لا يضيعون" [١٥٢٢]، وروي عن السدي مثل ذلك[١٥٢٣].

القرآن
{ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ (٦٢)} [الأنعام : ٦٢]
التفسير:
ثم أعيد هؤلاء المتوفون إلى الله تعالى مولاهم الحق. ألا له القضاء والفصل يوم القيامة بين عباده وهو أسرع الحاسبين.

(١٥١٠) التفسير الميسر:١٣٥.
(١٥١١) أخرجه الطبري(١٣٣٢٤):ص٤٠٩/١١، وابن ابي حاتم(٧٣٨٤):ص١٣٠٦/٤.
(١٥١٢) أخرجه الطبري(١٣٣٢٣):ص٤٠٩/١١.
(١٥١٣) التفسير الميسر:١٣٥.
(١٥١٤) أخرجه الطبري(١٣٣٢٤):ص٤٠٩/١١.
(١٥١٥) أخرجه الطبري(١٣٣٣٢):ص٤١١/١١.
(١٥١٦) أخرجه الطبري(١٣٣٢٦):ص٤١٠/١١.
(١٥١٧) أخرجه الطبري(١٣٣٢٨):ص٤١٠/١١.
(١٥١٨) أخرجه الطبري(١٣٣٣٥):ص٤١١/١١-٤١٢.
(١٥١٩) أخرجه الطبري(١٣٣٣٨):ص٤١٢/١١.
(١٥٢٠) أخرجه الطبري(١٣٣٣٩):ص٤١٢/١١.
(١٥٢١) التفسير الميسر:١٣٥.
(١٥٢٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٣٢٤):ص٤٠٩/١١.
(١٥٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٣٤١):ص٤١٣/١١.

عن أبي بكر بن عياش، قال: "دخلت على عاصم قبل أن يموت وهو يقرأ: {ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ}، وأما أعلمه يعقل"[١٥٢٤].

القرآن

{قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٣)} [الأنعام : ٦٣]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: من ينقذكم من مخاوف ظلمات البر والبحر؟ أليس هو الله تعالى الذي تدعونه في الشدائد متذللين جهرًا وسرًّا؟ تقولون: لئن أنجانا ربنا من هذه المخاوف لنكونن من الشاكرين بعبادته عز وجل وحده لا شريك له.

قوله تعالى:{قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الأنعام : ٦٣]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: من ينقذكم من مخاوف ظلمات البر والبحر؟"[١٥٢٥].

عن قتادة قوله : " {قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر }، يقول : من كرْب البر والبحر"[١٥٢٦].

القرآن

{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥)} [الأنعام : ٦٥]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: الله عز وجل هو القادر وحده على أن يرسل عليكم عذابًا مِن فوقكم كالرَّجْم أو الطوفان، وما أشبه ذلك، أو من تحت أرجلكم كالزلازل والخسف، أو يخلط أمركم عليكم فتكونوا فرقًا متناحرة يقتل بعضكم بعضًا. انظر -أيها الرسول- كيف نُنوِّع حججنا الواضحات لهؤلاء المشركين لعلهم يفهمون فيعتبروا؟

سبب النزول:

عن زيد بن أسلم؛ قال: "لما نزلت: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ}؛ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف"، فقالوا: ونحن يا رسول الله؟ نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: "نعم"، فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبداً؛ فأنزل الله -تعالى-: {انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ (٦٥) وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (٦٦) لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧)} "[١٥٢٧].

[ضعيف]

قوله تعالى:{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} [الأنعام : ٦٥]، أي:" قل -أيها الرسول-: الله عز وجل هو القادر وحده على أن يرسل عليكم عذابًا مِن فوقكم كالرَّجْم أو الطوفان، وما أشبه ذلك، أو من تحت أرجلكم كالزلازل والخسف"[١٥٢٨].

عن الحسن:" {.. مِنْ فَوْقِكُمْ}: من السماء"[١٥٢٩]. وروي عن السدي مثل ذلك[١٥٣٠].

عن أبي مالك: "{عذابا من فوقكم}، قال: الرجم"[١٥٣١].

عن أبي مالك: "{أو من تحت أرجلكم}، قال: الخسف"[١٥٣٢]. وروي عن مجاهد مثل ذلك[١٥٣٣].

(١٥٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٣٩٠):ص١٣٠٨/٤.

(١٥٢٥) التفسير الميسر:١٣٥.

(١٥٢٦) أخرجه الطبري(١٣٣٤٣):ص٤١٥/١١.

(١٥٢٧)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٣٧٨):ص٤٣٠/١١،وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣١٢ رقم ٧٤١٨) من طريق المؤمل بن إسماعيل البصري نا يعقوب بن إسماعيل عن زيد به.

قلنا: وهذا سند ضعيف ؛لإرساله، ومؤمل هذا؛صدوق سيئ الحفظ.

(١٥٢٨) التفسير الميسر:١٣٥.

(١٥٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٤٠٣):ص١٣١٠/٤.

(١٥٣٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٣١٠/٤.

(١٥٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٤٠٢):ص١٣١٠/٤.

(١٥٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٤٠٩):ص١٣١١/٤.

عن أبي سنان في قوله: "{قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم}، قال: أشرافكم وأمراؤكم"[١٥٣٤]. {أو من تحت أرجلكم}: عبيدكم وسفلتكم"[١٥٣٥].

وروي عن عمير بن هاني في قوله: {قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم}، قال: "أمراء السوء"[١٥٣٦].

عن الحسن: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ}، قال: هذه للمشركين"[١٥٣٧].

وعن مجاهد: {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ}: لأمة محمد صلى الله عليه وسلم، فعفا عنهم"[١٥٣٨].

وعن الحسن في قوله:" {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا}، قال: حبست عقوبتها حتى عمل ذنبها، فما عمل ذنبها أرسلت عقوبتها"[١٥٣٩].

قوله تعالى:{أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا} [الأنعام : ٦٥]، أي:" أو يخلط أمركم عليكم فتكونوا فرقًا متناحرة"[١٥٤٠].

وفي قوله تعالى:{أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا} [الأنعام : ٦٥]، وجوه من التأويل:

أحدها : أنها : الأهواء المفترقة ، قاله مجاهد"[١٥٤١].

وعن السدي : "{أو يلبسكم شيعًا}، قال : يفرق بينكم"[١٥٤٢].

الثاني : أنها الفتن والاختلاف ، قاله مجاهد[١٥٤٣].

الثالث: وقيل: يجعلكم فرقا يقاتل بعضكم بعضا، وذلك بتخليط أمرهم وافتراق أمرائهم على طلب الدنيا[١٥٤٤].

عن قتادة : " {قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا}، الآية. ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلى ذات يوم الصبح فأطالها ، فقال له بعض أهله : يا نبي الله ، لقد صلّيت صلاة ما كنت تصَليها ؟ قال : إنها صلاةُ رَغبة ورَهبة ، وإني سألت ربّي فيها ثلاثًا ، سألته أن لا يسلط على أمتي عدوًّا من غيرهم ، فيهلكهم ، فأعطانيها. وسألته أن لا يسلط على أمتي السنة ، فأعطانيها. وسألته أن لا يلبسهم شيعًا ولا يذيق بعضهم بأس بعض ، فمنعنيها. ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله"[١٥٤٥].

عن الزهري في قوله :{أو يلبسكم شيعًا }، قال : "راقب خباب بن الأرتّ ، وكان بدريًّا ، النبيَّ صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ، حتى إذا فرغ ، وكان في الصبح ، قال له : يا رسول الله ، لقد رأيتك تصلي صلاة ما رأيتك صليت مثلها ؟ قال : أجل ، إنها صلاة رَغَبٍ ورَهَبٍ ، سألت ربي ثلاث خصال ، فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدة : سألته أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم ، فأعطاني. وسألته أن لا يسلط علينا عدوًّا ، فأعطاني. وسألته أن لا يلبسنا شيعًا ، فمنعني"[١٥٤٦].

عن أبي العالية قال : "لما جاء جبريل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره بما يكون في أمته من الفرقة والاختلاف ، فشق ذلك عليه ، ثم دعا فقال : اللهم أظهر عليهم أفضلهم بقية"[١٥٤٧].

(١٥٣٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٣١١/٤.
(١٥٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٤٠١):ص١٣١٠/٤.
(١٥٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٤٠٨):ص١٣١١/٤.
(١٥٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٤٠١):ص١٣١٠/٤.
(١٥٣٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٤٠٥):ص١٣١٠/٤.
(١٥٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٤٠٦):ص١٣١٠/٤.
(١٥٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٣٩٩):ص١٣٠٩/٤.
(١٥٤٠) التفسير الميسر:١٣٥.
(١٥٤١) أخرجه الطبري(١٣٣٥١):ص٤١٩/١١.
(١٥٤٢) أخرجه الطبري(١٣٣٥٢):ص٤١٩/١١.
(١٥٤٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٣٦٢):ص٤٢٢/١١.
(١٥٤٤) انظر: تفسير القرطبي:٩/٧.
(١٥٤٥) أخرجه الطبري(١٣٣٦٤):ص٤٢٢/١١.
(١٥٤٦) أخرجه الطبري(١٣٣٧٠)،و(١٣٣٧٠):ص٤٢٥/١١-٤٢٦.
(١٥٤٧) أخرجه الطبري(١٣٣٧٦):٤٢٩/١١.

قوله تعالى:{وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} [الأنعام : ٦٥]، أي:" ويقتل بعضكم بعضًا"[١٥٤٨].

قال نوف:" هي والله للرجال بأيديها الحراب، يطعن بها حواصلهم"[١٥٤٩].

قوله تعالى:{انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ} [الأنعام : ٦٥]، أي:" انظر -أيها الرسول- كيف نُنوِّع حججنا الواضحات لهؤلاء المشركين، لعلهم يفهمون فيعتبروا "[١٥٥٠].

عن الحسن : "أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : سألت ربّي أربعًا ، فأعطيت ثلاثًا ومنعت واحداة : سألته أن لا يسلط على أمتي عدوًّا من غيرهم يستبيح بيضتهم ، ولا يسلط عليهم جوعًا ، ولا يجمعهم على ضلالة ، فأعطيتهن وسألته أن لا يلبسهم شيعًا ويذيق بعضهم بأس بعض ، فمنعتُ"[١٥٥١].

عن السدي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إني سألت ربي خصالا فأعطاني ثلاثًا ومنعني واحدة : سألته أن لا تكفر أمتي صفقة واحدة ، فأعطانيها. وسألته لا يُظهر عليهم عدوًّا من غيرهم ، فأعطانيها. وسألته أن لا يعذبهم بما عذب به الأمم من قبلهم ، فأعطانيها. وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم ، فمنعنيها"[١٥٥٢].

عن أبي بكر ، عن الحسن، قال : "لما نزلت هذه الآية ، قوله : {ويذيق بعضكم بأس بعض}، قال الحسن : ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو يُشهده عليهم : {انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون}، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ ، فسأل ربه أن لا يرسل عليهم عذابًا من فوقهم أو من تحت أرجلهم ، ولا يلبس أمته شيعًا ويذيق بعضهم بأس بعض كما أذاق بني إسرائيل ، فهبط إليه جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ، إنك سألت ربك أربعًا ، فأعطاك اثنتين ومنعك اثنتين : لن يأتيهم عذاب من فوقهم ، ولا من تحت أرجلهم يستأصلهم ، فإنهما عذابان لكل أمة اجتمعت على تكذيب نبيها وردِّ كتاب ربها ، ولكنهم يلبسهم شيعًا ويذيق بعضهم بأس بعض ، وهذان عذابان لأهل الإقرار بالكتاب والتصديق بالأنبياء ، ولكن يعذبون بذنوبهم ، وأوحي إليه : فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ، يقول : من أمتك { أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ } من العذاب وأنت حي { فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ } [سورة الزخرف : ٤١ ، ٤٢]. فقام نبي الله صلى الله عليه وسلم فراجع ربه ، فقال : أيّ مصيبة أشدّ من أن أرى أمتي يعذب بعضها بعضًا! وأوحي إليه : { الم أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ } ، [سورة العنكبوت : ١ ، ٣] ، فأعلمه أن أمته لم تخصّ دون الأمم بالفتن ، وأنها ستبلى كما ابتليت الأمم. ثم أنزل عليه : { قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ } [سورة المؤمنون : ٩٣ ، ٩٤] ، فتعوّذ نبي الله ، فأعاذه الله ، لم يرَ من أمته إلا الجماعة والألفة والطاعة. ثم أنزل عليه آية حذّر فيها أصحابه الفتنة ، فأخبره أنه إنما يُخَصّ بها ناسٌ منهم دون ناس ، فقال : { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } ، [سورة الأنفال : ٢٥] ، فخصّ بها أقوامًا من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بعده ، وعصم بها أقوامًا"[١٥٥٣].

واختلف أهل التأويل في نزول هذه الآية على قولين :

أحدهما : عني بها المسلمون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وفيهم نزلت، وهذا قول الحسن[١٥٥٤]، ومجاهد[١٥٥٥]، وقتادة[١٥٥٦]، وأبي العالية[١٥٥٧]، والسدي[١٥٥٨].

قال قتادة:" ذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صَلى ذات يوم الصبح فأطالها ، فقال له بعض أهله : يا نبي الله ، لقد صلّيت صلاة ما كنت تصَليها ؟ قال : إنها صلاةُ رَغبة ورَهبة ، وإني سألت ربّي فيها ثلاثًا ، سألته أن لا يسلط على أمتي عدوًّا من غيرهم ، فيهلكهم ، فأعطانيها. وسألته أن لا يسلط على أمتي

(١٥٤٨) التفسير الميسر:١٣٥.
(١٥٤٩) اخرجه ابن ابي حاتم(٧٤١٧):ص١٣١٢/٤.
(١٥٥٠) التفسير الميسر:١٣٥.
(١٥٥١) أخرجه الطبري(١٣٣٧٣):ص٤٢٧/١١-٤٢٨.
(١٥٥٢) أخرجه الطبري(١٣٣٧٤):ص٤٢٨/١١.
(١٥٥٣) أخرجه الطبري(١٣٣٧٥):ص٤٢٨/١١-٤٢٩.
(١٥٥٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٣٧٣):ص٤٢٧/١١-٤٢٨، و(١٣٣٧٥):ص٤٢٨/١١-٤٢٩.
(١٥٥٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٣٦٢):ص٤٢٢/١١.
(١٥٥٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٣٦٤):ص٤٢٢/١١.
(١٥٥٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٣٦١):ص٤٢١/١١، و(١٣٣٧٦):ص٤٢٩/١١.
(١٥٥٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٣٧٤):ص٤٢٨/١١.

السنة ، فأعطانيها، وسألته أن لا يلبسهم شيعًا ولا يذيق بعضهم بأس بعض ، فمنعنيها. ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله"[١٥٥٩].

القول الثاني : أنها نزلت في المشركين ، وهذا قول الحسن في رواية أخرى[١٥٦٠]، وبه قال بعض المتأخرين[١٥٦١].

عن حفص بن سليمان ، عن الحسن في قوله : {قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم }، قال : هذا للمشركين ، {أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض}، قال : هذا للمسلمين"[١٥٦٢].

قال الطبري:" والصواب من القول عندي أن يقال : إنّ الله تعالى ذكره توعَّد بهذه الآية أهلَ الشرك به من عبدة الأوثان ، وإياهم خاطبَ بها ، لأنها بين إخبار عنهم وخطاب لهم ، وذلك أنها تتلو قوله : {قل ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعًا وخُفْية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون}، ويتلوها قوله : {وكذب به قومك وهو الحق}. وغير جائز أن يكون المؤمنون كانوا به مكذبين ، فإذا كان غير جائز أن يكون ذلك كذلك ، وكانت هذه الآية بين هاتين الآيتين ، كان بيّنًا أن ذلك وعيدٌ لمن تقدّم وصف الله إياه بالشرك ، وتأخر الخبر عنه بالتكذيب لا لمن لم يجر له ذكر. غير أن ذلك وإن كان كذلك ، فإنه قد عم وعيدُه بذلك كلَّ من سلك سبيلهم من أهل الخلاف على الله وعلى رسوله ، والتكذيب بآيات الله من هذه وغيرها.

وأما الأخبار التي رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :«سألت ربي ثلاثًا ، فأعطاني اثنتين ، ومنعني واحدة»، فجائز أن هذه الآية نزلت في ذلك الوقت وعيدًا لمن ذكرتُ من المشركين ، ومن كان على منهاجهم من المخالفين ربهم ، فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يعيذ أمته مما ابتلى به الأمم الذين استوجبوا من الله تعالى ذكره بمعصيتهم إياه هذه العقوبات ، فأعاذهم بدعائه إياه ورغبته إياه ، من المعاصي التي يستحقون بها من هذه الخلال الأربع من العقوبات أغلظها ، ولم يُعذهم من ذلك ما يستحقون به اثنتين منها.

وأما الذين تأوّلوا أنه عني بجميع ما في هذه الآية هذه الأمة ، فإني أراهم تأوّلوا أن في هذه الأمة من سيأتي من معاصي الله وركوب ما يُسخط الله ، نحو الذي ركب مَن قبلهم من الأمم السالفة ، من خلافه والكفر به ، فيحلّ بهم مثل الذي حلّ بمن قبلهم من المثلات والنقمات ، وكذلك قال أبو العالية ومن قال بقوله : «جاء منهن اثنتان بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة. وبقيت اثنتان ، الخسف والمسخ »، وذلك أنه رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «سيكون في هذه الأمة خسف ومسخ وقذف»[١٥٦٣]، وأن قومًا من أمته سيبيتون على لهو ولعب ، ثم يصبحون قردة وخنازير[١٥٦٤]، وذلك إذا كان ، فلا شك أنه نظير الذي في الأمم الذين عتوا على ربهم في التكذيب وجحدوا آياته. وقد روي نحو الذي روي عن أبي العالية ، عن أبيّ: «قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابًا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعًا " ، قال : أربع خِلال ، وكلهن عذاب ، وكلهن واقعٌ قبل يوم القيامة ، فمضت اثنتان بعد وفاة النبيّ صلى

(١٥٥٩) أخرجه الطبري(١٣٣٦٤):ص٤٢٢/١١.
(١٥٦٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٣٧٩):ص٤٣٠/١١.
(١٥٦١) انظر: النكت والعيون:١٢٨/٢.
(١٥٦٢) أخرجه الطبري(١٣٣٧٩):ص٤٣٠/١١.
(١٥٦٣)هذا حديث عائشة ، رواه الترمذي في الفتن بإسناده ، ونصه : " عن عائشة قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يكون في آخر هذه الأمة خسفٌ ومَسْخٌ وقَذْفٌ. قالت : قلت : يا رسول الله ، أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم ، إذا ظهر الخَبَثُ " ، قال الترمذي : " هذا حديثٌ غريبٌ من حديث عائشة ، لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وعبد الله بن عمر ، تكلم فيه يحيى بن سعيد من قبل حفظه " يعني راوي الخبر : " عبد الله بن عمر ، عن عبيد الله ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة ".
(١٥٦٤)روى البخاري (الفتح ١٠ : ٤٧ - ٤٩) من حديث أبي مالك وأبي عامر الأشعري قال : " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليكونن من أمتي قومٌ يستحِلُّون الحِر (أي : الزنا) والحرير والخمر والمعازف ، وليزلنَّ أقوامٌ إلى جنب عَلَم ، تروح عليهم سارحةٌ لهم ، فيأتيهم رجلٌ لحاجته ، فيقولون : ارجع إلينا غدًا! فيبيِّتهم الله تعالى ويضع العَلَم ، ويمسخ آخرين قِردةً وخنازير إلى يوم القيامة " .

الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة ، ألبسوا شيعًا ، وأذيق بعضهم بأس بعض. وثنتان واقعتان لا محالة : الخسف والرجم»[١٥٦٥]."[١٥٦٦].

القرآن
{وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (٦٦)} [الأنعام : ٦٦]
التفسير:
وكذَّب بهذا القرآن الكفارُ مِن قومك أيها الرسول، وهو الكتاب الصادق في كل ما جاء به. قل لهم: لست عليكم بحفيظ ولا رقيب، وإنما أنا رسول الله أبلغكم ما أرسلت إليكم.
قوله تعالى:{وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ} [الأنعام : ٦٦]، أي:" وكذَّب بهذا القرآن الكفارُ مِن قومك أيها الرسول، وهو الكتاب الصادق في كل ما جاء به"[١٥٦٧].
قال السدي:" يقول : كذبت قريش بالقرآن ، وهو الحق"[١٥٦٨].
قوله تعالى:{قُلْ لَسْتُ عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ} [الأنعام : ٦٦]، أي:" . قل لهم: لست عليكم بحفيظ ولا رقيب، وإنما أنا رسول الله أبلغكم ما أرسلت إليكم"[١٥٦٩].
قال السدي:" وأما «الوكيل» ، فالحفيظ "[١٥٧٠].

القرآن
{لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٦٧)} [الأنعام : ٦٧]
التفسير:
لكل خبر قرار يستقر عنده، ونهاية ينتهي إليها، فيتبيَّن الحق من الباطل، وسوف تعلمون -أيها الكفار- عاقبة أمركم عند حلول عذاب الله بكم.
قوله تعالى:{لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ} [الأنعام : ٦٧]، أي:" لكل خبر قرار يستقر عنده، ونهاية ينتهي إليها، فيتبيَّن الحق من الباطل"[١٥٧١].
عن مجاهد:" { لكل نبأ مستقر}، لكل نبأ حقيقة ، إما في الدنيا وإما في الآخرة"[١٥٧٢].
قال السدي:" وأما {لكل نبأ مستقر}، فكان نبأ القرآن استقر يوم بدر بما كان يَعِدهم من العذاب"[١٥٧٣].
قوله تعالى:{وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ} [الأنعام : ٦٧]، أي:" وسوف تعلمون -أيها الكفار- عاقبة أمركم عند حلول عذاب الله بكم"[١٥٧٤].
عن جعفر بن حيان ، عن الحسن أنه قرأ : " {لكل نبأ مستقر}، قال : حبست عقوبتها ، حتى إذا عمل ذنبها أرسلت عقوبتها"[١٥٧٥].

القرآن
{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٦٨)} [الأنعام : ٦٨]
التفسير:

(١٥٦٥) أخرجه الطبري(١٣٣٨٠):ص٤٣٢/١١.
(١٥٦٦) تفسير الطبري:٤٣٠/١١-٤٣٢.
(١٥٦٧) التفسير الميسر:١٣٥.
(١٥٦٨) أخرجه الطبري(١٣٣٨١):ص٤٣٥/١١.
(١٥٦٩) التفسير الميسر:١٣٥.
(١٥٧٠) أخرجه الطبري(١٣٣٨١):ص٤٣٥/١١.
(١٥٧١) التفسير الميسر:١٣٥.
(١٥٧٢) أخرجه الطبري(١٣٣٨٢):ص٤٣٥/١١.
(١٥٧٣) أخرجه الطبري(١٣٣٨١):ص٤٣٥/١١.
(١٥٧٤) التفسير الميسر:١٣٥.
(١٥٧٥) اخرجه الطبري(١٣٣٨٥):ص٤٣٥/١١.

وإذا رأيت -أيها الرسول- المشركين الذين يتكلمون في آيات القرآن بالباطل والاستهزاء، فابتعد عنهم حتى يأخذوا في حديث آخر، وإن أنساك الشيطان هذا الأمر فلا تقعد بعد تذكرك مع القوم المعتدين، الذين تكلموا في آيات الله بالباطل.

سبب النزول:

عن ابن جريج عن مجاهد قوله:"{وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا}، قال : يستهزئون بها. قال : نُهي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقعد معهم إلا أن ينسى ، فإذا ذكر فليقم. فذلك قوله : {وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين }، قال ابن جريج : كان المشركون يجلسون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسمعوا منه ، فإذا سمعوا استهزءوا ، فنزلت : " وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم " ، الآية"[١٥٧٦].

قوله تعالى:{وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا} [الأنعام : ٦٨]، أي:" وإذا رأيت -أيها الرسول- المشركين الذين يتكلمون في آيات القرآن بالباطل والاستهزاء"[١٥٧٧].

قال ابو مالك:"يعني: المشركين"[١٥٧٨].

عن أبي مالك وسعيد بن جبير في قوله : "{وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا}، قال : الذين يكذبون بآياتنا"[١٥٧٩]. وروي عن مجاهد مثل ذلك[١٥٨٠].

قال أبو جعفر:" لا تجالسوا أهل الخصومات ، فإنهم الذين يخوضون في آيات الله"[١٥٨١].

قوله تعالى:{وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ} [الأنعام : ٦٨]، أي:" وإن أنساك الشيطان هذا الأمر"[١٥٨٢].

قال ابو مالك:" إن نسيت فذكرتَ فلا تجلس معهم "[١٥٨٣].

قال السدي:" يقول : نَهْيَنَا فتقعد معهم ، فإذا ذكرت فقم"[١٥٨٤].

قوله تعالى:{فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأنعام : ٦٨]، أي:" فلا تقعد بعد تذكرك مع القوم المعتدين، الذين تكلموا في آيات الله بالباطل"[١٥٨٥].

قال قتادة:" نهاه الله أن يجلس مع الذين يخوضون في آيات الله يكذبون بها ، فإن نسي فلا يقعد بعد الذكر مع القوم الظالمين"[١٥٨٦].

قال السدي:" كان المشركون إذا جالسوا المؤمنين وقعوا في النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن فسبوه واستهزءوا به ، فأمرهم الله أن لا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره"[١٥٨٧].

القرآن

{وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (٦٩)} [الأنعام : ٦٩]

التفسير:

وما على المؤمنين الذين يخافون الله تعالى، فيطيعون أوامره، ويجتنبون نواهيه من حساب الله للخائضين المستهزئين بآيات الله من شيء، ولكن عليهم أن يعظوهم ليمسكوا عن ذلك الكلام الباطل، لعلهم يتقون الله تعالى.

سبب النزول:

(١٥٧٦) أخرجه الطبري(١٣٣٩٣):ص٤٣٨/١١.
(١٥٧٧) التفسير الميسر:١٣٥.
(١٥٧٨) أخرجه الطبري(١٣٣٩٥):ص٤٣٨/١١.
(١٥٧٩) اخرجه الطبري(١٣٣٨٨):ص٤٣٧/١١.
(١٥٨٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٣٩٠):ص٤٣٧/١١.
(١٥٨١) اخرجه الطبري(١٣٣٩١):ص٤٣٧/١١.
(١٥٨٢) التفسير الميسر:١٣٥.
(١٥٨٣) أخرجه الطبري(١٣٣٩٥):ص٤٣٨/١١.
(١٥٨٤) اخرجه الطبري(١٣٣٨٩):ص٤٣٧/١١.
(١٥٨٥) التفسير الميسر:١٣٥.
(١٥٨٦) اخرجه الطبري(١٣٣٨٦):ص٤٣٦/١١-٤٣٧.
(١٥٨٧) اخرجه الطبري(١٣٣٨٩):ص٤٣٧/١١.

روى البغوي عن ابن عباس قال:" لما نزلت هذه الآية: { وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ}، قال المسلمون: كيف نقعد في المسجد الحرام ونطوف بالبيت وهم يخوضون أبدا؟ وفي رواية قال المسلمون: فإنا نخاف الإثم حين نتركهم ولا ننهاهم، فأنزل الله عز وجل: { وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ}.."[١٥٨٨].

قوله تعالى:{وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام : ٦٩]، أي:" وما على المؤمنين الذين يخافون الله تعالى، فيطيعون أوامره، ويجتنبون نواهيه من حساب الله للخائضين المستهزئين بآيات الله من شيء"[١٥٨٩].

قال مجاهد:" إن قعدوا ، ولكن لا تقعد"[١٥٩٠].

قال أبو مالك:" وما عليك أن يخوضوا في آيات الله إذا فعلت ذلك"[١٥٩١]. وروي عن سعيد بن جبير مثله[١٥٩٢].

عن السدي قوله: "{من حسابهم من شيء}، يقول: من حساب الكفار من شيء"[١٥٩٣].

قوله تعالى:{وَلَكِنْ ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأنعام : ٦٩]، أي:" ولكن عليهم أن يعظوهم ويذكّروهم ليمسكوا عن ذلك الكلام الباطل، لعلهم يتقون الله تعالى"[١٥٩٤].

عن أبي مالك:" {لعلهم يتقون}، قال: يتقون مساءتكم"[١٥٩٥].

عن سعيد بن جبير: "{لعلهم يتقون}، قال: لعلهم ينتهون"[١٥٩٦].

عن السدي قوله : " {وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء}، يقول : من حساب الكفار من شيء،{ولكن ذكرى}، يقول : إذا ذكرت فقم، {لعلهم يتقون} مساءتكم ، إذا رأوكم لا تجالسونهم استحيوا منكم ، فكفوا عنكم. ثم نسخها الله بعد ، فنهاهم أن يجلسوا معهم أبدًا ، قال : {وَقَدْ نزلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا}[١٥٩٧]، الآية"[١٥٩٨].

قال ابن جريج: "كان المشركون يجلسون إلى النبي صلى الله عليه وسلم يحبون أن يسمعوا منه ، فإذا سمعوا استهزءوا ، فنزلت : {وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره}، الآية ، قال : فجعل إذا استهزءوا قام ، فحذروا وقالوا لا تستهزءوا فيقوم! فذلك قوله : {لعلهم يتقون}، أن يخوضوا فيقوم ، ونزل : {وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء}، إن قعدوا معهم ، ولكن لا تقعدوا. ثم نسخ ذلك قوله بالمدينة : {وَقَدْ نزلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ} [سورة النساء : ١٤٠] ، فنسخ قوله : {وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء}، الآية"[١٥٩٩].

وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك في قوله: "{وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء} قالا: نسخها: {وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها} الآية"[١٦٠٠].

القرآن

(١٥٨٨) تفسير البغوي:١٥٥/٣.
(١٥٨٩) التفسير الميسر:١٣٦.
(١٥٩٠) أخرجه الطبري(١٣٣٩٨):٤٤٠/١١.
(١٥٩١) أخرجه الطبري(١٣٤٠٠):٤٤١/١١.
(١٥٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٤٣٩):ص١٣١٦/٤.
(١٥٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٤٤١):ص١٣١٦/٤.
(١٥٩٤) التفسير الميسر:١٣٦.
(١٥٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٤٤٣):ص١٣١٦/٤-١٣١٧.
(١٥٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٤٤٦):ص١٣١٧/٤.
(١٥٩٧)[النساء : ١٤٠].
(١٥٩٨) أخرجه الطبري(١٣٣٩٧):ص٤٤٠/١١.
(١٥٩٩) أخرجه الطبري(١٣٣٩٦):ص٤٤٠/١١.
(١٦٠٠) اخرجه ابن الجوزي في نواسخ القرآن:٤٢٥/٢، وأخرجه النحاس في ناسخه (١٣٧) بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما،وذكره مكي بن أبي طالب عنه بدون إسناد في الإيضاح (٢٤٣).

{وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ (٧٠)} [الأنعام : ٧٠]

التفسير:

واترك -أيها الرسول- هؤلاء المشركين الذين جعلوا دين الإسلام لعبًا ولهوًا; مستهزئين بآيات الله تعالى، وغرَّتهم الحياة الدنيا بزينتها، وذكِّر بالقرآن هؤلاء المشركين وغيرهم; كي لا ترتهن نفس بذنوبها وكفرها بربها، ليس لها غير الله ناصر ينصرها، فينقذها من عذاب، ولا شافع يشفع لها عنده، وإن تَفْتَدِ بأي فداء لا يُقْبَل منها. أولئك الذين ارتُهنوا بذنوبهم، لهم في النار شراب شديد الحرارة وعذاب موجع; بسبب كفرهم بالله تعالى ورسوله محمَّد صلى الله عليه وسلم وبدين الإسلام.

قوله تعالى:{وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا} [الأنعام : ٧٠]، أي:" واترك -أيها الرسول- هؤلاء المشركين الذين جعلوا دين الإسلام لعبًا ولهوًا; مستهزئين بآيات الله تعالى"(١٦٠١).

عن قتادة: {اتخذوا دينهم لعبا ولهوا} قال: أكلا وشربا"(١٦٠٢).

عن مجاهد قال:"كل لعب لهو"(١٦٠٣).

قوله تعالى:{وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} [الأنعام : ٧٠]، أي:" وخدعتهم هذه الحياة الفانية بزينتها"(١٦٠٤).

قال الربيع بن أنس: "غرهم ما كانوا يفترون"(١٦٠٥).

قوله تعالى:{وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ} [الأنعام : ٧٠]، أي :" وذكّر بالقرآن الناس مخالفة أن تُسْلم نفسٌ للهلاك وتُرهن بسوء عملها"(١٦٠٦).

وفي قوله :{أَن تُبْسَلَ} [الأنعام : ٧٠]، وجهان :

أحدهما : أن تسلم ، قاله الحسن(١٦٠٧)، وعكرمة(١٦٠٨)، ومجاهد(١٦٠٩)، والسدي(١٦١٠).

الثاني : أن تُحْبَس ، قاله قتادة (١٦١١).

وهذه العبارات متقاربة في المعنى ، وحاصلها الإسلام للهلكة ، والحبس عن الخير ، والارتهان عن درك المطلوب ، كما قال : { كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ * إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ } [المدثر : ٣٨ ، ٣٩]"(١٦١٢).

قوله تعالى:{وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا} [الأنعام : ٧٠]، أي:" وإن تَفْتَدِ بأي فداء لا يُقْبَل منها"(١٦١٣).

قال قتادة:" لو جاءت بملء الأرض ذهبًا لم يقبل منها"(١٦١٤).

قال السدي:" فما يعدلها لو جاءت بملء الأرض ذهبًا لتفتدي به ما قُبل منها"(١٦١٥).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا} [الأنعام : ٧٠]، أي:" أولئك الذين ارتُهنوا بذنوبهم"(١٦١٦).

عن السدي : " {أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا}، قال يقال : أسلموا"(١٦١٧).

(١٦٠١) التفسير الميسر:١٣٦.

(١٦٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٤٤٩):ص١٣١٨/٤.

(١٦٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٤٥٠):ص١٣١٨/٤.

(١٦٠٤) انظر: صفوة التفاسير:٣٦٩/١، والتفسير الميسر:١٣٦.

(١٦٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٤٥١):ص١٣١٨/٤.

(١٦٠٦) صفوة التفاسير:٣٦٩/١.

(١٦٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٠٦):ص٤٤٣/١١.

(١٦٠٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٠٥):ص٤٤٣/١١.

(١٦٠٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٠٨):ص٤٤٣/١١.

(١٦١٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣١٨/٤.حكاه دون ذكر السند.

(١٦١١) انظر: تفسير الطبري(١٣٤١١)، و(١٣٤١٢):٤٤٣/١١.

(١٦١٢) تفسير ابن كثير:٢٧٩/٣.

(١٦١٣) التفسير الميسر:١٣٦.

(١٦١٤) أخرجه الطبري(١٣٤١٦):ص٤٤٧/١١.

(١٦١٥) أخرجه الطبري(١٣٤١٧):ص٤٤٧/١١.

(١٦١٦) التفسير الميسر:١٣٦.

(١٦١٧) أخرجه الطبري(١٣٤١٩):ص٤٤٩/١١.

القرآن

{قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (٧١)} [الأنعام : ٧١]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أنعبد من دون الله تعالى أوثانًا لا تنفع ولا تضر؟ ونرجع إلى الكفر بعد هداية الله تعالى لنا إلى الإسلام، فنشبه -في رجوعنا إلى الكفر- مَن فسد عقله باستهواء الشياطين له، فَضَلَّ في الأرض، وله رفقة عقلاء مؤمنون يدعونه إلى الطريق الصحيح الذي هم عليه فيأبى. قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنَّ هدى الله الذي بعثني به هو الهدى الحق، وأُمِرنا جميعًا لنسلم لله تعالى رب العالمين بعبادته وحده لا شريك له، فهو رب كل شيء ومالكه.

في سبب نزول الآية وجهان:

احدهما: قال السدي:" قال المشركون للمؤمنين: اتبعوا سبيلنا، واتركوا دين محمد = صلى الله عليه وسلم. فقال الله تعالى ذكره: {قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا}"[١٦١٨].

والثاني: حكى أبو صالح عن ابن عباس : "أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وامرأته حين دعَوا ابنهما عبد الرحمن إلى الإسلام والهدى أن يأتيهما"[١٦١٩].

قال القرطبي:" وقال في رواية أبي صالح: نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، كان يدعو أباه إلى الكفر وأبواه يدعوانه إلى الإسلام والمسلمون، وهو معنى قوله: (له أصحاب يدعونه إلى الهدى) فيأبى. قال أبو عمر[١٦٢٠]: أمه أم رومان بنت الحارث بن غنم الكنانية، فهو شقيق عائشة. وشهد عبد الرحمن بن أبي بكر بدرا واحدا مع قومه وهو وكافر، ودعا إلى البراز فقام إليه أبوه ليبارزه فذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له:«متعني بنفسك»[١٦٢١]. ثم أسلم وحسن إسلامه، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم في هدنة الحديبية. هذا قول أهل السير. قالوا: كان اسمه عبد الكعبة فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه عبد الرحمن، وكان أسن ولد أبي بكر. قال: إنه لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم أربعة ولاء: أب وبنوه إلا أبا قحافة وابنه أبا بكر وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وابنه أبا عتيق محمد بن عبد الرحمن"[١٦٢٢].

قوله تعالى:{قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا} [الأنعام : ٧١]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أنعبد من دون الله تعالى أوثانًا لا تنفع ولا تضر؟"[١٦٢٣].

قال السدي:"هذه الآلهة"[١٦٢٤].

عن مجاهد في قوله:"{ما لا ينفعنا ولا يضرنا}، قال: الأوثان"[١٦٢٥].

قوله تعالى:{كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ} [الأنعام : ٧١]، أي:" أي فيكون مثلنا كمثل الذي اختطفته الشياطين وأضلته وسارت به في المفاوز والمهالك فألقته في هوّة سحيقة، فَضَلَّ في الأرض متحيراً لا يدري أين يذهب"[١٦٢٦].

قال قتادة:" أضلته في الأرض حيران"[١٦٢٧].

قال مجاهد:"رجل حيران يدعوه أصحابه إلى الطريق، فذلك مثل من يضلّ بعد إذ هدي"[١٦٢٨].

(١٦١٨) أخرجه الطبري(١٣٤٢٢):ص٤٥٢/١١.

(١٦١٩) انظر: النكت والعيون:١٣٢/٢.

(١٦٢٠) انظر: الاستيعاب"على هامش الإصابة":٢٩/٦-٣٤.

(١٦٢١) أخرجه الحاكك في المستدرك:٤٧٤/٣-٤٧٥، وعنه البيهقي في السنن:١٨٦/٨، من طريق الواقدي عن ابن أبي زناد، عن أبيه، وانظر: التلخيص الحبير:١٠١/٤.

(١٦٢٢) تفسير القرطبي:١٨/٧-١٩.

(١٦٢٣) التفسير الميسر:١٣٦.

(١٦٢٤) أخرجه الطبري(١٣٤٢٢):ص٤٥٢/١١.

(١٦٢٥) أخرجه الطبري(١٣٤٢٥):ص٤٥٣/١١.

(١٦٢٦) انظر: التفسير الميسر:١٣٦، وصفوة التفاسير:٣٦٩/١.

(١٦٢٧) أخرجه الطبري(١٣٤٢٤):ص٤٥٣/١١.

(١٦٢٨) أخرجه الطبري(١٣٤٢٦):ص٤٥٣/١١.

وعن مجاهد أيضا:" هذا مثل ضربه الله للكافر، يقول: الكافر حيران، يدعوه المسلم إلى الهدى فلا يجيب"[١٦٢٩].

قال السدي:" فيكون مثلنا كمثل الذي استهوته الشياطين في الأرض، يقول: مثلكم إن كفرتم بعد الإيمان، كمثل رجل كان مع قوم على الطريق، فضلّ الطريق، فحيرته الشياطين، واستهوته في الأرض"[١٦٣٠].

قوله تعالى:{لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا} [الأنعام : ٧١]، أي:" وله رفقة عقلاء مؤمنون يدعونه إلى الطريق الصحيح الذي هم عليه فيأبى ولا يستجيب لهم"[١٦٣١].

قال السدي:" وأصحابه على الطريق، فجعلوا يدعونه إليهم، يقولون: ائتنا، فإنا على الطريق، فأبى أن يأتيهم. فذلك مثل من يتبعكم بعد المعرفة بمحمد، ومحمد الذي يدعو إلى الطريق، والطريق هو الإسلام"[١٦٣٢].

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام : ٧١]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنَّ هدى الله الذي بعثني به هو الهدى الحق، وأُمِرنا جميعًا لنسلم لله تعالى رب العالمين بعبادته وحده لا شريك له فهو رب كل شيء ومالكه"[١٦٣٣].

عن قتادة قوله:{قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا}، حتى بلغ:{لنسلم لرب العالمين}، علمها الله محمدًا وأصحابه، يخاصمون بها أهلَ الضلالة"[١٦٣٤].

القرآن

{وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٧٢)} [الأنعام : ٧٢]

التفسير:

وكذلك أُمرنا بأن نقيم الصلاة كاملة، وأن نخشاه بفعل أوامره واجتناب نواهيه. وهو -جل وعلا- الذي إليه تُحْشَرُ جميع الخلائق يوم القيامة.

قوله تعالى:{وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [الأنعام : ٧٢]، أي:" وكذلك أُمرنا بأن نقيم الصلاة كاملة"[١٦٣٥].

قال الزهري: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"[١٦٣٦].

قال الحسن:"فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها وبالزكاة"[١٦٣٧]. وروي عن عطاء بن أبي رباح، وقتادة نحو ذلك[١٦٣٨].

قوله تعالى:{وَاتَّقُوهُ} [الأنعام : ٧٢]، أي:" وأن نخشاه بفعل أوامره واجتناب نواهيه"[١٦٣٩].

قال سعيد بن جبير:" يعني: المؤمنين، يحذرهم"[١٦٤٠].

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ (٧٣)} [الأنعام : ٧٣]

التفسير:

(١٦٢٩) أخرجه الطبري(١٣٤٢٧):ص٤٥٣/١١.

(١٦٣٠) أخرجه الطبري(١٣٤٢٢):ص٤٥٢/١١.

(١٦٣١) انظر: التفسير الميسر:١٣٦، وصفوة التفاسير:٣٦٩/١.

(١٦٣٢) أخرجه الطبري(١٣٤٢٢):ص٤٥٢/١١.

(١٦٣٣) التفسير الميسر:١٣٦.

(١٦٣٤) أخرجه الطبري(١٣٤٢٨):ص٤٥٣/١١.

(١٦٣٥) التفسير الميسر:١٣٦.

(١٦٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س١٠٠٤/٣.

(١٦٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢١):س١٠٠٤/٣.

(١٦٣٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):ص١٠٠٤/٣.

(١٦٣٩) التفسير الميسر:١٣٦.

(١٦٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٢١٤١):ص٤٠٦/٢.

والله سبحانه هو الذي خلق السموات والأرض بالحق، واذكر -أيها الرسول- يوم القيامة إذ يقول الله: «كن» ، فيكون عن أمره كلمح البصر أو هو أقرب، قوله هو الحق الكامل، وله الملك سبحانه وحده، يوم ينفخ المَلَك في «القرن» النفخة الثانية التي تكون بها عودة الأرواح إلى الأجسام. وهو سبحانه الذي يعلم ما غاب عن حواسكم -أيها الناس - وما تشاهدونه، وهو الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها، الخبير بأمور خلقه. والله تعالى هو الذي يختص بهذه الأمور وغيرها بدءًا ونهاية، نشأة ومصيرًا، وهو وحده الذي يجب على العباد الانقياد لشرعه، والتسليم لحكمه، والتطلع لرضوانه ومغفرته.

قوله تعالى:{وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} [الأنعام : ٧٣]، أي:" وله الملك سبحانه وحده، يوم ينفخ المَلَك في «القرن» النفخة الثانية التي تكون بها عودة الأرواح إلى الأجسام"(١٦٤١).

وفي «الصور» قولان(١٦٤٢):

أحدهما: أنه قرن ينفخ فيه نفختان : إحداهما لفناء من كان حيًّا على الأرض ، والثانية لنشر كل مَيْتٍ.

قال مجاهد: "الصور كهيئة البوق"(١٦٤٣).

الثاني: أن {الصور}، جمع:« صورة»، يقال: صورة وصور، بمنزلة سورة وسور، كسورة البناء والمراد نفخ الأرواح في صور الناس، قاله الحسن(١٦٤٤)، وقتادة(١٦٤٥).

والأجود أن يكون {الصور}: القرن، لأنه قال عز وجل: {ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض}، ثم قال: {ثم نفخ فيه أخرى}، ولو كان الصور، كان: ثم نفخ فيها، أو فيهن، وهذا يدل على أنه واحد، وظاهر القرآن يشهد أنه ينفخ في الصور مرتين"(١٦٤٦).

قوله تعالى:{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [الأنعام : ٧٣]، أي:" وهو سبحانه الذي يعلم ما غاب عن حواسكم -أيها الناس - وما تشاهدونه"(١٦٤٧).

قال الحسن: " الشهادة، ما قد رأيتم من خلقه، والغيب: ما غاب عنكم ما لم تروه"(١٦٤٨).

قوله تعالى:{وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ} [الأنعام : ٧٣]، أي:" وهو الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها، الخبير بأمور خلقه"(١٦٤٩).

عن أبي العالية: قوله:"{الحكيم}، قال: حكيم في أمره"(١٦٥٠).

عن محمد بن جعفر بن الزبير :قوله: {الحكيم}، قال: الحكيم في عذره ورحمته إلى عباده"(١٦٥١).

القرآن

{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٧٤)} [الأنعام : ٧٤]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- مُحاجَّة إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر، إذ قال له: أتجعل من الأصنام آلهة تعبدها من دون الله تعالى؟ إني أراك وقومك في ضلال بيِّن عن طريق الحق.

قوله تعالى:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ} [الأنعام : ٧٤]، أي:" واذكر -أيها الرسول- مُحاجَّة إبراهيم عليه السلام لأبيه آزر، إذ قال له"(١٦٥٢).

وفي قوله تعالى:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ} [الأنعام : ٧٤]،ثلاثة أقوال:

أحدها : أن آزر اسم أبيه ، قاله الحسن(١٦٥٣)، والسدي(١٦٥٤)، ومحمد بن إسحاق(١٦٥٥)، والضحاك(١٦٥٦).

(١٦٤١) التفسير الميسر:١٣٦.

(١٦٤٢) انظر: تفسير الطبري:١١/-٤٦٢ وما بعدها، وزاد المسير:٢/٤٤-٤٥.

(١٦٤٣) انظر: تفسير البغوي:٣/١٥٧، وزاد المسير:٢/٤٥.

(١٦٤٤) انظر: تفسير البغوي:٣/١٥٧.

(١٦٤٥) انظر: زاد المسير:٢/٤٥.

(١٦٤٦) زاد المسير:٢/٤٥.

(١٦٤٧) التفسير الميسر:١٣٦.

(١٦٤٨) .أخرجه ابن ابي حاتم(٧٤٨٦):ص٤/١٣٢٤

(١٦٤٩) التفسير الميسر:١٣٦.

(١٦٥٠) .أخرجه ابن ابي حاتم(٧٤٨٧):ص٤/١٣٢٤

(١٦٥١) .أخرجه ابن ابي حاتم(٧٤٨٨):ص٤/١٣٢٤

(١٦٥٢) التفسير الميسر:١٣٧.

قال محمد : " «آزر»، أبو إبراهيم. وكان ، فيما ذكر لنا والله أعلم ، رجلا من أهل كُوثَى ، من قرية بالسواد ، سواد الكوفة"[١٦٥٧].

روي عن سعيد بن عبد العزيز قال : هو«آزر»، وهو «تارح»، مثل: «إسرائيل» و«يعقوب»"[١٦٥٨].

الثاني : أن آزر اسم صنم ، وكان اسم أبيه تارح ، قال مجاهد[١٦٥٩]، وسعيد بن المسيب[١٦٦٠]، ويمان[١٦٦١].

كأنه قال: وإذ قال إبراهيم لأبيه أتتخذ آزر إلها؟ أتتخذ أصناما آلهة؟ فكأنه جعل أصناما بدلا من آزر، والاستفهام معناه الإنكار[١٦٦٢].

الثالث : أنه ليس باسم ، وإنما هو صفة سب بعيب ، وهذا قول سليمان التيمي[١٦٦٣].

عن معتمر بن سليمان قال: "سمعت أبي يقرأ: {وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر}، قال: بلغني أنها أعوج، وأنها أشد كلمة قالها إبراهيم صلى الله عليه وسلم"[١٦٦٤].

القرآن

{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ (٧٥)} [الأنعام : ٧٥]

التفسير:

وكما هدينا إبراهيم عليه السلام إلى الحق في أمر العبادة نُريه ما تحتوي عليه السموات والأرض من ملك عظيم، وقدرة باهرة، ليكون من الراسخين في الإيمان.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الأنعام : ٧٥]، أي:" وكما هدينا إبراهيم عليه السلام إلى الحق في أمر العبادة نُريه ما تحتوي عليه السموات والأرض من ملك عظيم، وقدرة باهرة"[١٦٦٥].

وفي المراد بقوله تعالى:{مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الأنعام : ٧٥]، وجوه من التأويل:

أحدها : أنه خلق السموات والأرض ، قاله ابن عباس[١٦٦٦]، وقتادة[١٦٦٧].

الثاني : مُلْك السموات والأرض. : أن الملكوت هو المُلْك بالنبطية ، قاله عكرمة[١٦٦٨].

الثالث : معناه: آيات السماوات والأرض. قاله مجاهد[١٦٦٩]، وسعيد بن جبير[١٦٧٠]، والسدي[١٦٧١]، وغيرهم.

ومن الأخبار التي وردت في هذا المعنى:

روي عن مجاهد، قال:" فرجت له السماوات فنظر إلى ما فيهنّ، حتى انتهى بصره إلى العرش، وفرجت له الأرضون السبع فنظر ما فيهن"[١٦٧٢].

(١٦٥٣) انظر: النكت والعيون:١٣٤/٢.
(١٦٥٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٤٩٠):ص١٣٢٤/٤.
(١٦٥٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٣٥):ص٤٦٦/١١.
(١٦٥٦) عزاه إليه الثعلبي في الكشف والبيان:١٦٠/٤.
(١٦٥٧) أخرجه الطبري(١٣٤٣٥):ص٤٦٦/١١.
(١٦٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٤٨٩):ص١٣٢٤/٤.
(١٦٥٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٣٧):ص٤٦٦/١١.
(١٦٦٠) عزاه إليه الثعلبي في الكشف والبيان:١٦٠/٤.
(١٦٦١) عزاه إليه الثعلبي في الكشف والبيان:١٦٠/٤.
(١٦٦٢) انظر : معاني القرءن للزجاج: ٢٦٥/٢، وزاد المسير:٤٦/٢.
(١٦٦٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٤٩٣):ص١٣٢٥/٤.
(١٦٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٤٩٣):ص١٣٢٥/٤.
(١٦٦٥) التفسير الميسر:١٣٧.
(١٦٦٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٤١):ص٤٧٠/١١.
(١٦٦٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٤٢):ص٤٧٠/١١-٤٧١.
(١٦٦٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٤٤):ص٤٧١/١١.
(١٦٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٤٦)-(١٣٤٤٨):ص٤٧١/١١-٤٧٢.
(١٦٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٥١):ص٤٧٢/١١.
(١٦٧١) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٤٩):ص٤٧٢/١١.
(١٦٧٢) أخرجه الطبري(١٣٤٥٠):ص٤٧٢/١١.

قال السدي:" أقيم على صخرة وفتحت له السماوات، فنظر إلى ملك الله فيها، حتى نظر إلى مكانه في الجنة. وفتحت له الأرضون حتى نظر إلى أسفل الأرض، فذلك قوله: {وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا} [سورة العنكبوت: ٢٧] ، يقول: آتيناه مكانه في الجنّة، ويقال:"أجره" الثناء الحسن"[١٦٧٣].

عن سلمان قال: "لما رأى إبراهيم ملكوت السماوات والأرض، رأى عبدًا على فاحشة، فدعا عليه، فهلك. ثم رأى آخر على فاحشة، فدعا عليه فهلك. ثم رأى آخر على فاحشة، فدعا عليه فهلك. فقال: أنزلوا عبدِي لا يُهْلِك عبادِي!"[١٦٧٤].

قال عطاء:" عطاء قال: "لما رفع الله إبراهيم في الملكوت في السماوات، أشرفَ فرأى عبدًا يزني، فدعا عليه، فهلك. ثم رُفع فأشرف، فرأى عبدًا يزني، فدعا عليه، فهلك. ثم رفع فأشرف، فرأى عبدًا يزني، فدعا عليه، فنودي: على رِسْلِك يا إبراهيم، فإنك عبد مستجابٌ لك، وإني من عبدي على ثلاث: إما أن يتوب إليّ فأتوب عليه، وإما أن أخرج منه ذرية طيبة، وإما أن يتمادى فيما هو فيه، فأنا من ورائه"[١٦٧٥].

وعن أسامة: "أن إبراهيم خليل الرّحمن حدَّث نفسه أنه أرحمُ الخلق، وأن الله رفعه حتى أشرفَ على أهل الأرض، فأبصر أعمالهم. فلما رآهم يعملون بالمعاصي قال: اللهم دمِّر عليهم! فقال له ربه: أنا أرحم بعبادي منك، اهبطْ، فلعلهم أن يتوبوا إليّ ويُراجِعوا"[١٦٧٦].

الرابع : هو الشمس والقمر والنجوم ، قاله الضحاك[١٦٧٧].

وقال مجاهد:" الشمس والقمر"[١٦٧٨].

الخامس : أن ملكوت السماوات : الشمس، والقمر، والنجوم ، وملكوت الأرض : الجبال ، والشجر ، والبحار ، قاله قتادة[١٦٧٩].

قال قتادة:" : ذكر لنا أن نبيّ الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم، قُرِّ به من جبَّار مُتْرَف، فجعل في سَرَبٍ، وجعل رزقه في أطرافه، فجعل لا يمصُّ إصبعًا من أصابعه إلا وجد فيها رزقًا. فلما خرج من ذلك السَّرَب، أراه الله ملكوت السماوات، فأراه شمسًا وقمرًا ونجومًا وسحابًا وخلقًا عظيمًا، وأراه ملكوت الأرض، فأراه جبالا وبحورًا وأنهارًا وشجرًا ومن كلّ الدواب وخلقًا عظيمًا"[١٦٨٠].

وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قولُ من قال: عنى الله تعالى ذكره بقوله:"وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض"، أنه أراه ملك السماوات والأرض، وذلك ما خلق فيهما من الشمس والقمر والنجوم والشجر والدواب وغير ذلك من عظيم سلطانه فيهما، وجلَّى له بواطنَ الأمور وظواهرَها، لما ذكرنا قبل من معنى"الملكوت"، في كلام العرب: الملك، إذ حكي عن العرب سماعًا:«له مَلَكوت اليمن والعراق»، بمعنى: له ملك ذلك"[١٦٨١].

القرآن

{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦)} [الأنعام : ٧٦]

التفسير:

فلما أظلم على إبراهيم عليه السلام الليل وغطَّاه ناظر قومه; ليثبت لهم أن دينهم باطل، وكانوا يعبدون النجوم. رأى إبراهيم عليه السلام كوكبًا، فقال -مستدرجا قومه لإلزامهم بالتوحيد-: هذا ربي، فلما غاب الكوكب، قال: لا أحب الآلهة التي تغيب.

(١٦٧٣) أخرجه الطبري(١٣٤٤٩):ص٤٧٢/١١.
(١٦٧٤) أخرجه الطبري(١٣٤٥٢):ص٤٧٢/١١-٤٧٣.
(١٦٧٥) أخرجه الطبري(١٣٤٥٣):ص٤٧٣/١١.
(١٦٧٦) أخرجه الطبري(١٣٤٥٤):ص٤٧٣/١١.
(١٦٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٥٥):ص٤٧٣/١١.
(١٦٧٨) .أخرجه الطبري(١٣٤٥٦):ص٤٧٤/١١
(١٦٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٥٨):ص٤٧٤/١١.
(١٦٨٠) أخرجه الطبري(١٣٤٥٩):ص٤٧٤/١١.
(١٦٨١) تفسير الطبري:٤٧٠/١١، ٤٧٥. [بتصرف بسيط].

قوله تعالى:{فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا} [الأنعام : ٧٦]، أي:" فلما أظلم على إبراهيم عليه السلام الليل وغطَّاه ناظر قومه; ليثبت لهم أن دينهم باطل، وكانوا يعبدون النجوم. رأى إبراهيم عليه السلام كوكبًا"[١٦٨٢].

عن زيد بن علي:"قوله: {فلما جن عليه الليل رأى كوكبا}، قال: الزهرة"[١٦٨٣].

وعن السدي:"{رأى كوكبا} قال: هو المشترى"[١٦٨٤].

قوله تعالى:{قَالَ هَذَا رَبِّي} [الأنعام : ٧٦]، أي:" فقال إبراهيم -مستدرجا قومه لإلزامهم بالتوحيد-: هذا ربي"[١٦٨٥].

قال قتادة:" ذكر لنا أن نبي الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم بعد ما أراه الله ملكوت السموات رأى كوكبا، {قال هذا ربي}"[١٦٨٦].

قوله تعالى:{فَلَمَّا أَفَلَ} [الأنعام : ٧٦]، أي:" فلما غاب الكوكب"[١٦٨٧].

قال سعيد بن جبير:"{ فلما أفل}: ذهب"[١٦٨٨].

قال ابن إسحاق:"ا«لأفول»، الذهاب، يقال منه:أفل النجم يأفُلُ ويأفِلُ أفولا وأفْلا، إذا غاب، ومنه قول ذي الرمة[١٦٨٩]:

مَصَابِيحُ لَيْسَتْ بِاللَّوَاتِي تَقُودُهَا ... نُجُومٌ، وَلا بِالآفِلاتِ الدَّوَالِكِ

ويقال:أين أفلت عنا، بمعنى: أين غبت عنا؟"[١٦٩٠].

قال السدي:" فلما رفع رأسه إلى السماء فإذا هو بالكوكب، وهو المشترى، ف{قال: هذا ربي}، فلم يلبث أن غاب"[١٦٩١].

قوله تعالى:{قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ} [الأنعام : ٧٦]، أي:" قال: لا أحب الآلهة التي تغيب"[١٦٩٢].

عن قتادة:" {لا أحب الآفلين}، قال: الزائلين"[١٦٩٣]، "علم أن ربّه دائم لا يزول"[١٦٩٤].

القرآن

{فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧)} [الأنعام : ٧٧]

التفسير:

فلما رأى إبراهيم القمر طالعًا قال لقومه -على سبيل استدراج الخصم-: هذا ربي، فلما غاب، قال -مفتقرا إلى هداية ربه-: لئن لم يوفقني ربي إلى الصواب في توحيده، لأكونن من القوم الضالين عن سواء السبيل بعبادة غير الله تعالى.

قوله تعالى:{فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ} [الأنعام : ٧٧]، أي:" فلما غاب القمر، قال -مفتقرا إلى هداية ربه-: لئن لم يوفقني ربي إلى الصواب في توحيده، لأكونن من القوم الضالين عن سواء السبيل بعبادة غير الله تعالى "[١٦٩٥].

(١٦٨٢) التفسير الميسر:١٣٧.

(١٦٨٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥٠٩):ص١٣٢٨/٤.

(١٦٨٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥١٠):ص١٣٢٨/٤.

(١٦٨٥) التفسير الميسر:١٣٧.

(١٦٨٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥١٥):ص١٣٢٩/٤.

(١٦٨٧) التفسير الميسر:١٣٧.

(١٦٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥١٣):ص١٣٢٨/٤.

(١٦٨٩)ديوانه: ٤٢٥، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ١٩٩، الأزمنة ٢: ٤٩، كتاب القرطين ١: ٢٦١، اللسان (دلك) ، من قصيدة طويلة، وصف بها الإبل، وهذا البيت من صفة الإبل."مصابيح" جمع"مصباح"، و"المصباح" التي تصبح في مبركها لا ترعى حتى يرتفع النهار، وهو مما يستحب من الإبل، وذلك لقوتها وسمنها. يقول: ليست بنجوم آفلات، ولكنها إبل.

(١٦٩٠) أخرجه الطبري(١٣٤٦٥):ص٤٨٥/١١، وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة:١٩٩/١

(١٦٩١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥١٢):ص١٣٢٨/٤.

(١٦٩٢) التفسير الميسر:١٣٧.

(١٦٩٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥١٦):ص١٣٢٩/٤.

(١٦٩٤) أخرجه الطبري(١٣٤٦٣):ص٤٨٠/١١.

عن السدي: "{فلما أفل}، يقول: غاب، {قَالَ لَئِنْ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ}"[١٦٩٦].

القرآن

{فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨)} [الأنعام : ٧٨]

التفسير:

فلما رأى الشمس طالعة قال لقومه: هذا ربي، هذا أكبر من الكوكب والقمر، فلما غابت، قال لقومه: إني بريء مما تشركون من عبادة الأوثان والنجوم والأصنام التي تعبدونها من دون الله تعالى.

قوله تعالى:{ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ} [الأنعام : ٧٨]، أي:" فلما رأى الشمس طالعة قال لقومه: هذا ربي، هذا أكبر من الكوكب والقمر"[١٦٩٧].

قال قتادة:" رأى خلقًا هو أكبرَ من الخلقين الأوّلين وأنور"[١٦٩٨].

قوله تعالى:{ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ} [الأنعام : ٧٨]، أي:" فلما غابت الشمس قال لقومه: إني بريء مما تشركون من عبادة الأوثان والنجوم والأصنام التي تعبدونها من دون الله تعالى"[١٦٩٩].

روي عن محمد بن إسحاق:"أن آزر كان رجلا من أهل كوثى، من قرية بالسوادِ، سواد الكوفة، وكان إذ ذاك ملك المشرق النمرود، فلما أراد الله أن يبعث إبراهيم عليه السلام، خليل الرحمن، حجة على قومه، ورسولا إلى عباده، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم نبيّ إلا هود وصالح، فلما تقارب زمان إبراهيم الذي أراد الله ما أراد، أتى أصحابُ النجوم نمرودَ فقالوا له: تَعَلَّمْ، أنّا نجد في عِلْمنا أن غلامًا يولد في قريتك هذه يقال له:إبراهيم، يفارق دينكم، ويكسر أوثانكم، في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا. فلما دخلت السنة التي وصف أصحابُ النجوم لنمرود، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده إلا ما كان من أمّ إبراهيم امرأة آزر، فإنه لم يعلم بحبَلها، وذلك أنها كانت امرأة حَدَثة، فيما يذكر، لم تعرف الحبَل في بطنها، ولِمَا أرادَ الله أن يبلغ بولدها، يريدُ أن يقتل كل غلام ولد في ذلك الشهر من تلك السنة، حذرًا على ملكه. فجعلَ لا تلد امرأة غلامًا في ذلك الشهر من تلك السنة، إلا أمر به فذبح. فلما وجدت أم إبراهيم الطَّلَقَ خرجت ليلا إلى مغارة كانت قريبًا منها، فولدت فيها إبراهيم، وأصلحت من شأنه ما يُصْنع بالمولود، ثم سَدّت عليه المغارة، ثم رجعت إلى بيتها، ثم كانت تطالعه في المغارة فتنظر ما فعل، فتجده حيًّا يمصّ إبهامه، يزعمون، والله أعلم، أن الله جعل رزق إبراهيم فيها وما يجيئه من مصّه. وكان آزر، فيما يزعمون، سأل أمّ إبراهيم عن حمْلها ما فعل، فقالت: ولدت غلامًا فمات! فصدّقها، فسكت عنها. وكان اليوم، فيما يذكرون، على إبراهيم في الشَّباب كالشهر، والشهر كالسنة. فلم يلبث إبراهيم في المغارة إلا خمسة عشر شهرًا حتى قال لأمه: أخرجيني أنظر! فأخرجته عِشاء فنظر، وتفكر في خلق السماوات والأرض، وقال:إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لربّي، ما لي إله غيره! ثم نظر في السماء فرأى كوكبًا، قال:{هذا ربي}، ثم اتّبعه ينظر إليه ببصره حتى غاب، فلما أفل قال:{لا أحب الآفلين}، ثم طلع القمر فرآه بازغًا، قال:{هذا ربي}، ثم اتّبعه ببصره حتى غاب، فلما أفل قال:"لئن لم يهدني ربّي لأكونن من القوم الضالين"! فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس، أعظمَ الشمسَ، ورأى شيئًا هو أعظم نورًا من كل شيء رآه قبل ذلك، فقال:"هذا ربي، هذا أكبر"! فلما أفلت قال:{يا قوم إني برئ مما تشركون إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين}. ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته، وعرف ربَّه، وبرئ من دين قومه، إلا أنه لم يبادئهم بذلك. وأخبر أنه ابنه، وأخبرته أم إبراهيم أنه ابنه، وأخبرته بما كانت صنعت من شأنه، فسرَّ بذلك آزر وفرح فرحًا شديدًا. وكان آزر يصنع أصنام قومِه التي يعبدونها، ثم يعطيها إبراهيم يبيعها، فيذهب بها إبراهيم، فيما يذكرون، فيقول:من يشتري ما يضرُّه ولا ينفعه، فلا يشتريها منه أحد. فإذا بارت عليه، ذهب بها إلى نهر

(١٦٩٥) التفسير الميسر:١٣٧.
(١٦٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٥١٩):ص١٣٢٩/٤.
(١٦٩٧) التفسير الميسر:١٣٧.
(١٦٩٨) أخرجه الطبري(١٣٤٦٣):ص٤٨٠/١١.
(١٦٩٩) التفسير الميسر:١٣٧.

فصوَّبَ فيه رؤوسها، وقال:اشربي، استهزاء بقومه وما هم عليه من الضلالة، حتى فشا عيبُه إياها واستهزاؤُه بها في قومه وأهل قريته، من غير أن يكون ذلك بلغ نمرودَ الملك"[١٧٠٠].

القرآن

{ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٧٩)} [الأنعام : ٧٩]

التفسير:

إني توجَّهت بوجهي في العبادة لله عز وجل وحده، فهو الذي خلق السموات والأرض، مائلا عن الشرك إلى التوحيد، وما أنا من المشركين مع الله غيره.

قوله تعالى:{إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ} [الأنعام : ٧٩]، أي:" إني توجَّهت بوجهي في العبادة لله عز وجل وحده، فهو الذي خلق السموات والأرض"[١٧٠١].

قوله تعالى:{حَنِيفًا} [الأنعام : ٧٩]، أي:" مائلا عن الشرك إلى التوحيد"[١٧٠٢].

واختلف أهل التفسير في معنى قوله تعالى:{حَنِيفًا}[الأنعام : ٧٩]، على أقوال:

أحدها: أن الحنيفية حج البيت، والحنيف هو الحاج. وهذا قول الحسن[١٧٠٣]، ومجاهد[١٧٠٤]، وعطية[١٧٠٥]، وكثير بن زياد[١٧٠٦]، وعبدالله بن قاسم[١٧٠٧]، والضحاك[١٧٠٨]، والسدي[١٧٠٩].

وقالوا: "إنما سمي دين إبراهيم الإسلام (الحنيفية)، لأنه أول إمام لزم العباد - الذين كانوا في عصره ، والذين جاءوا بعده إلى يوم القيامة - اتباعه في مناسك الحج ، والائتمام به فيه. قالوا : فكل من حج البيت فنسك مناسك إبراهيم على ملته ، فهو (حنيف)، مسلم على دين إبراهيم"[١٧١٠].

الثاني: أنها اتباع الحق، قاله مجاهد في إحدى الروايات[١٧١١]، والربيع بن أنس[١٧١٢].

الثالث: أنها: «الإخلاص»: وقوله {بل ملة إبراهيم حنيفا}، معناه: (بل ملة إبراهيم مخلصا)، فـ(الحنيف)" على قولهم : المخلص دينه لله وحده[١٧١٣]، قاله السدي[١٧١٤]، وخصيف[١٧١٥]، وعطاء[١٧١٦].

الرابع: أن الحنيف: المستقيم. قاله محمد بن كعب[١٧١٧]، وروي عن عيسى بن جارية[١٧١٨] مثله.

الخامس: أن الحنيف: الذي يؤمن بالرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم. قاله أبو قلابة[١٧١٩].

السادس: أن الحنيف: الذي يستقبل البيت بصلاته، ويرى أن حجه عليه إن استطاع إليه سبيلا. قاله أبو العالية[١٧٢٠].

(١٧٠٠) أخرجه الطبري(١٣٤٦٤):ص١١/٤٨٠-٤٨١.
(١٧٠١) التفسير الميسر:١٣٧.
(١٧٠٢) التفسير الميسر:١٣٧.
(١٧٠٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٦٥٠):ص٢/٦٧٣، وتفسير الطبري(٢٠٩١):ص٣/١٠٤.
(١٧٠٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٤):ص٣/١٠٦.
(١٧٠٥) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٢)، و(٢٠٩٣):ص٣/١٠٤-١٠٥.
(١٧٠٦) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٥):ص٣/١٠٦.
(١٧٠٧) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٨):ص٣/١٠٦.
(١٧٠٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩١):ص١/٢٤١، و(٣٦٥٠):ص٢/٦٧٣.
(١٧٠٩)انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩١):ص١/٢٤١، و(٣٦٥٠):ص٢/٦٧٣.
(١٧١٠) تفسير الطبري: ٣/١٠٤.
(١٧١١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٩):ص٣/١٠٦، وابن أبي حاتم(١٢٩٢):ص١/٢٤١، و، و(٧٥٢٦):ص٤/١٣٣٠
(١٧١٢)انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩٢):ص١/٢٤١.
(١٧١٣) انظر: تفسير الطبري: ٣/١٠٦.
(١٧١٤) انظر: تفسير الطبري(٢١٠٠):ص٣/١٠٧.
(١٧١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٥):ص١/٢٤٢.
(١٧١٦)، انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٥٢٨):ص٤/١٣٣٠.
(١٧١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٣):ص١/٢٤٢، و(٧٥٢٧):ص٤/١٣٣٠.
(١٧١٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١/٢٤٢.
(١٧١٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٤):ص١/٢٤٢، و(٧٥٣٠):ص٤/١٣٣١.
(١٧٢٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٦):ص١/٢٤٢.

السابع: أن الحنيفية: شهادة أن لا إله إلا الله. يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات، والعمات، وما حرم الله عز وجل، والختان. وكانت حنيفة في الشرك: كانوا أهل الشرك، وكانوا يحرمون في شركهم الأمهات والبنات والخالات والعمات، وكانوا يحجون البيت، وينسكون المناسك. قاله قتادة[١٧٢١].

والصواب: أن «الحنيفية»: هو الإستقامة على دين إبراهيم واتباعه على ملته، قال الإمام الطبري: " وذلك أن الحنيفية لو كانت حج البيت ، لوجب أن يكون الذين كانوا يحجونه في الجاهلية من أهل الشرك كانوا حنفاء. وقد نفى الله أن يكون ذلك تحنفا بقوله : {ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين} [سورة آل عمران : ٦٧]، فكذلك القول في الختان. لأن " الحنيفية " لو كانت هي الختان ، لوجب أن يكون اليهود حُنفاء. وقد أخرجهم الله من ذلك بقوله : {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا} [سورة آل عمران : ٦٧].

القرآن

{وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ (٨٠)} [الأنعام : ٨٠]

التفسير:

وجادله قومه في توحيد الله تعالى قال: أتجادلونني في توحيدي لله بالعبادة، وقد وفقني إلى معرفة وحدانيته، فإن كنتم تخوفونني بآلهتكم أن توقع بي ضررًا فإنني لا أرهبها فلن تضرني، إلا أن يشاء ربي شيئًا. وسع ربي كل شيء علمًا. أفلا تتذكرون فتعلموا أنه وحده المعبود المستحق للعبودية؟

قوله تعالى:{وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ} [الأنعام : ٨٠]، أي:" وجادله قومه في توحيد الله تعالى"[١٧٢٢].

قال الربيع:" يقول: خاصموه"[١٧٢٣].

قوله تعالى:{قَالَ أُتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ} [الأنعام : ٨٠]، أي:" قال: أتجادلونني في توحيدي لله بالعبادة وقد وفقني إلى معرفة وحدانيته"[١٧٢٤].

قال محمد بن إسحاق:" محمد بن إسحاق: وحاجه قومه عند ذلك في الله يستوصفونه إياه، ويخبرونه أن آلهتهم خير مما يعبد، فقال: {أتحاجوني في الله وقد هدان}"[١٧٢٥].

قوله تعالى:{وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ} [الأنعام : ٨٠]، أي:" فإن كنتم تخوفونني بآلهتكم أن توقع بي ضررًا فإنني لا أرهبها فلن تضرني"[١٧٢٦].

قال ابن جريج:" دعا قومُه مع الله آلهةً، وخوّفوه بآلهتهم أن يصيبَه منها خَبَل، فقال إبراهيم:{أتحاجوني في الله وقد هدان}، قال: قد عرفت ربّي، لا أخاف ما تشركون به"[١٧٢٧].

القرآن

{وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٨١)} [الأنعام : ٨١]

التفسير:

وكيف أخاف أوثانكم وأنتم لا تخافون ربي الذي خلقكم، وخلق أوثانكم التي أشركتموها معه في العبادة، من غير حجة لكم على ذلك؟ فأي الفريقين: فريق المشركين وفريق الموحدين أحق بالطمأنينة والسلامة والأمن من عذاب الله؟ إن كنتم تعلمون صدق ما أقول فأخبروني.

قوله تعالى:{وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ} [الأنعام : ٨١]، أي:" أي كيف أخاف أوثانكم التي أشركتموها مع الله في العبادة!"[١٧٢٨].

(١٧٢١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٧):ص٢٤٢/١، و(٧٥٢٩):ص١٣٣١/٤.

(١٧٢٢) التفسير الميسر:١٣٧.

(١٧٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥٣١):ص١٣٣١/٤.

(١٧٢٤) التفسير الميسر:١٣٧.

(١٧٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥٣٣):ص١٣٣١/٤.

(١٧٢٦) التفسير الميسر:١٣٧.

(١٧٢٧) أخرجه الطبري(١٣٤٦٦):ص٤٨٩/١١.

قال محمد بن إسحاق:" يقول:كيف أخاف وثنًا تعبدون من دون الله لا يضرُّ ولا ينفع"[١٧٢٩].

قوله تعالى:{وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا} [الأنعام : ٨١]، أي:" وأنتم لا تخافون ربي الذي خلقكم، وخلق أوثانكم التي أشركتموها معه في العبادة، من غير حجة لكم على ذلك؟"[١٧٣٠].

قال محمد بن إسحاق:" ولا تخافون أنتم الذي يضر وينفع، وقد جعلتم معه شركاء لا تضر ولا تنفع؟"[١٧٣١].

عن أبي مالك ومحمد بن كعب وعكرمة وسعيد بن جبير والضحاك والسدي ونضر بن عربي، قالوا:" كل سلطان في القرآن حجة"[١٧٣٢].

قوله تعالى:{فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ} [الأنعام : ٨١]، أي:" فأي الفريقين: فريق المشركين وفريق الموحدين أحق بالطمأنينة والسلامة والأمن من عذاب الله؟"[١٧٣٣].

قال محمد بن إسحاق:" أي: بالأمن من عذاب الله في الدنيا والآخرة، الذي يَعْبد الذي بيده الضرّ والنفع، أم الذي يعبد ما لا يضرّ ولا ينفع؟ يضرب لهم الأمثال، ويصرِّف لهم العبر، ليعلموا أنَّ الله هو أحق أن يخاف ويعبد مما يعبُدون من دونه"[١٧٣٤].

عن مجاهد:" قول إبراهيم حين سألهم:{أيُّ الفريقين أحق بالأمن}، هي حجة إبراهيم صلى الله عليه وسلم"[١٧٣٥].

عن ابن جريج قال:"{فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون}، أمَنْ يعبد ربًّا واحدًا، أم من يعبد أربابًا كثيرة؟ يقول قومه: الذين آمنوا برب واحد"[١٧٣٦].

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنعام : ٨١]، أي:" إن كنتم تعلمون صدق ما أقول فأخبروني"[١٧٣٧].

قال الربيع:" أفلج الله إبراهيم صلى الله عليه وسلم حين خاصمهم[١٧٣٨]، فقال:{وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانًا فأيّ الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون}؟ ثم قال:{وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه}"[١٧٣٩].

القرآن

{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ (٨٢)} [الأنعام : ٨٢]

التفسير:

الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه ولم يخلطوا إيمانهم بشرك، أولئك لهم الطمأنينة والسلامة، وهم الموفقون إلى طريق الحق.

في سبب نزول الآية قولان:

احدهما: قال علي-كرّم الله وجهه-: "نزلت هذه الآية في إبراهيم وأصحابه خاصة ليس في هذه الأمة"[١٧٤٠]. [ضعيف]

(١٧٢٨) انظر: صفوة التفاسير: ٣٧٣/١، والتفسير الميسر:١٣٧.

(١٧٢٩) أخرجه الطبري(١٣٤٦٧):ص٤٩٠/١١-٤٩١.

(١٧٣٠) التفسير الميسر:١٣٧.

(١٧٣١) أخرجه الطبري(١٣٤٦٧):ص٤٩٠/١١-٤٩١.

(١٧٣٢) تفسير ابن ابي حاتم:١٣٣٢/٤.

(١٧٣٣) التفسير الميسر:١٣٧.

(١٧٣٤) أخرجه الطبري(١٣٤٦٧):ص٤٩٠/١١-٤٩١.

(١٧٣٥) أخرجه الطبري(١٣٤٦٩):ص٤٩١/١١.

(١٧٣٦) أخرجه الطبري(١٣٤٧١):ص٤٩١/١١.

(١٧٣٧) التفسير الميسر:١٣٧.

(١٧٣٨)أفلجت فلانا على خصمه " ، إذا غلبته ، و " أفلجه الله عليه " ، آتاه الظفر والفوز والغلبة.[انظر: حاشية الطبري: ٤٩١/١١].

(١٧٣٩) أخرجه الطبري(١٣٤٦٨):ص٤٩١/١١.

(١٧٤٠)أخرجه الحاكم (٢/ ٣١٦) من طريق أبي حذيفة ثنا الثوري عن زياد بن علاقة عن زياد بن حرملة قال: سمعت علياً (وذكره).

والثاني: قال بكر بن سوادة: "حمل رجل من العدو على المسلمين فقتل رجلًا، ثم حمل فقتل آخر، ثم حمل فقتل آخر، ثم قال: أينفعني الإسلام بعد هذا؟ قالوا: ما ندري حتى نذكر ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فذكروا ذلك لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فقال: نعم، فضرب فرسه فدخل فيهم، ثم حمل على أصحابه فقتل رجلًا، ثم آخر، ثم آخر؛ ثم قُتِل، قال: فيرون أن هذه الآية نزلت فيه: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}"[١٧٤١]. [ضعيف]

قوله تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [الأنعام : ٨٢]، أي:" الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه ولم يخلطوا إيمانهم بشرك" [١٧٤٢].

وفي الظلم ها هنا قولان :

أحدهما : أنه الشرك ، قاله أبو ميسرة[١٧٤٣]، وإبراهيم[١٧٤٤]، ومجاهد[١٧٤٥]، وقتادة[١٧٤٦]، والسدي[١٧٤٧]، وأبو عبدالرحمن[١٧٤٨]، وابن إسحاق[١٧٤٩].

روى ابن مسعود قال :" لما نزلت هذه الآية:{الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم}، شقَّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أيُّنا لم يظلم نفسه؟ قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس كما تظنُّون، وإنما هو ما قال لقمان لابنه: {لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان : ١٣]"[١٧٥٠].

الثاني : أنه سائر أنواع الظلم، والمعنى: ولم يخلطوا إيمانهم بشيء من معاني الظلم، وأنها خاصة فيمن هاجر إلى المدينة ، قاله عكرمة[١٧٥١].

وأولى القولين بالصحة في ذلك، ما صح به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو الخبر الذي رواه ابن مسعود عنه أنه قال: الظلم الذي ذكره الله تعالى ذكره في هذا الموضع، هو الشرك"[١٧٥٢].

واختلفوا فيمن كانت هذه الآية جواباً منه على قولين :

أحدهما : أنه جواب من الله تعالى فصل به بين إبراهيم ومن حَاجّه من قومه ، قاله ابن إسحاق[١٧٥٣].

الثاني : أنه جواب قومه لما سألهم :{أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ}؟ فأجابوا بما فيه الحجة عليهم ، قاله ابن جريج[١٧٥٤].

القرآن

{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣)} [الأنعام : ٨٣]

وأخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٣٣ رقم ٧٥٤٤)، والطبري في "جامع البيان" (٧/ ١٧٠) من طريق قيس بن الربيع عن زياد بن علاقة به.

قلنا: وهو بمجموعهما حسن إلى زياد بن عِلاقة، لكن زياد بن حرمله لم نجد له ترجمة!.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٠٩) وزاد نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن مردويه.

أما الحاكم؛ فقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه! "، وسكت عنه الذهبي..

(١٧٤١)أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٣٣ رقم ٧٥٤٥) من طريق عبيد الله بن زحر عنه به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الإرسال.

الثانية: عبيد الله هذا ضعيف.

(١٧٤٢) التفسير الميسر:١٣٨.

(١٧٤٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٩٨):ص٥٠٠/١١.

(١٧٤٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٥٠٠):ص٥٠٠/١١-٥٠١..

(١٧٤٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٠٣):ص٥٠١/١١.

(١٧٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٠١):ص٥٠١/١١.

(١٧٤٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٠٥):ص٥٠١/١١.

(١٧٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٠٨):ص٥٠٢/١١.

(١٧٤٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٥١٠):ص٥٠٢/١١.

(١٧٥٠) أخرجه الطبري بطرق مختلفة، انظر: تفسيره(١٣٤٧٦)-(١٣٤٨٠):ص٤٩٤/١١-٤٩٦.

(١٧٥١) انظر: تفسير الطبري(١٣٥١٢):ص٥٠٣/١١.

(١٧٥٢) تفسير الطبري:٥٠٣/١١-٥٠٤.

(١٧٥٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٧٣):ص٤٩٣/١١.

(١٧٥٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٧٥):ص٤٩٣/١١.

التفسير:
وتلك الحجة التي حاجَّ بها إبراهيم عليه السلام قومه هي حجتنا التي وفقناه إليها حتى انقطعت حجتهم. نرفع مَن نشاء من عبادنا مراتب في الدنيا والآخرة. إن ربك حكيم في تدبير خلقه، عليم بهم.

قوله تعالى:{وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ} [الأنعام : ٨٣]، أي:" وتلك الحجة التي حاجَّ بها إبراهيم عليه السلام قومه هي حجتنا التي وفقناه إليها حتى انقطعت حجتهم"[١٧٥٥].

قوله تعالى:{نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ} [الأنعام : ٨٣]، أي:" نرفع مَن نشاء من عبادنا مراتب في الدنيا والآخرة"[١٧٥٦].

قال مالك: "سمعت زيد بن أسلم يقول في هذه الآية: {نرفع درجات من نشاء}: إنه العلم، يرفع الله به من يشاء في الدنيا"[١٧٥٧].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام : ٨٣]، أي:" إن ربك حكيم في تدبير خلقه، عليم بهم"[١٧٥٨].

عن أبي العالية: "{حكيم}، يقول: حكيم في أمره"[١٧٥٩].

قال محمد ابن إسحاق:"{حكيم} في عذره وحجته إلى عباده"[١٧٦٠]، "{عليم} بما يخفون"[١٧٦١].

القرآن

{وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤)} [الأنعام : ٨٤]

التفسير:
ومنَّا على إبراهيم عليه السلام بأن رزقناه إسحاق ابنًا ويعقوب حفيدًا، ووفَّقنا كلا منهما لسبيل الرشاد، وكذلك وفَّقنا للحق نوحًا -من قبل إبراهيم وإسحاق ويعقوب- وكذلك وفَّقنا للحق من ذرية نوح داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون عليهم السلام، وكما جزينا هؤلاء الأنبياء بإحسانهم نجزي كل محسن.

عن أبي حرب بن أبي الأسود، قال: "أرسل الحجاج إلى يحيى بن يعمر، فقال: بلغني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي -صلى الله عليه وسلم-، تجده في كتاب الله، وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده. قال: أليس تقرأ سورة الأنعام: {وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ}، حتى بلغ: {ويحيى وعيسى}؟ قال: بلى. قال: أليس من ذرية إبراهيم وليس له أب؟ قال: صدقت"[١٧٦٢].

القرآن

{وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥)} [الأنعام : ٨٥]

التفسير:
وكذلك هدينا زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، وكل هؤلاء الأنبياء عليهم السلام من الصالحين.

قوله تعالى:{وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ} [الأنعام : ٨٥]، أي:" وكذلك هدينا زكريا ويحيى وعيسى وإلياس"[١٧٦٣].

واختلفوا في «إِلْيَاسَ» على قولين:

أحدهما: أنه إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران، ابن أخي موسى نبيّ الله صلى الله عليه وسلم. قاله ابن إسحاق[١٧٦٤].

(١٧٥٥) التفسير الميسر:١٣٨.
(١٧٥٦) التفسير الميسر:١٣٨.
(١٧٥٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥٥٠):ص١٣٣٥/٤.
(١٧٥٨) التفسير الميسر:١٣٨.
(١٧٥٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥٥١):ص١٣٣٥/٤.
(١٧٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥٥٢):ص١٣٣٥/٤.
(١٧٦١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥٥٣):ص١٣٣٥/٤.
(١٧٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٥٥٤):ص١٣٣٥/٤.
(١٧٦٣) التفسير الميسر:١٣٨.

الثاني: أنه جدّ نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ، و«أخنوخ» هو«إدريس بن يرد بن مهلائيل». وهذا قول وهب بن منبه[١٧٦٥]، وبه قال أهل الأنساب[١٧٦٦].

والذي يقول أهل الأنساب أشبه بالصواب، وذلك أنّ الله تعالى ذكره نسب«إلياس» في هذه الآية إلى«نوح»، وجعله من ذريته، و«نوح» ابن إدريس عند أهل العلم، فمحال أن يكون جدّ أبيه منسوبًا إلى أنه من ذريته"[١٧٦٧].

قوله تعالى:{كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ} [الأنعام : ٨٥]، أي:" وكل هؤلاء الأنبياء عليهم السلام من الصالحين"[١٧٦٨].

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي حرب بن أبي الأسود قال : «أرسل الحجاج إلى يحيى بن يَعْمُر فقال : بَلَغَني أنك تزعم أن الحسن والحسين من ذرية النبي صلى الله عليه وسلم ، تجده في كتاب الله ، وقد قرأته من أوله إلى آخره فلم أجده ؟ قال : أليس تقرأ سورة الأنعام : { وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ } حتى بلغ { وَيَحْيَى وَعِيسَى } ؟ قال : بلى ، قال : أليس عيسى من ذرية إبراهيم ، وليس له أب ؟ قال : صدقت»[١٧٦٩].

القرآن

{وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧)} [الأنعام : ٨٧]

التفسير:

وكذلك وفَّقنا للحق من شئنا هدايته من آباء هؤلاء وذرياتهم وإخوانهم، واخترناهم لديننا وإبلاغ رسالتنا إلى مَن أرسلناهم إليهم، وأرشدناهم إلى طريق صحيح، لا عوج فيه، وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه عن الشرك.

قوله تعالى:{وَاجْتَبَيْنَاهُمْ} [الأنعام : ٨٧]، أي:" واخترناهم لديننا وإبلاغ رسالتنا إلى مَن أرسلناهم إليهم"[١٧٧٠].

قال مجاهد:" أخلصناهم"[١٧٧١].

القرآن

{أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ (٨٩)} [الأنعام : ٨٩]

التفسير:

أولئك الأنبياء الذين أنعمنا عليهم بالهداية والنبوة هم الذين آتيناهم الكتاب كصحف إبراهيم وتوراة موسى وزبور داود وإنجيل عيسى، وآتيناهم فَهْمَ هذه الكتب، واخترناهم لإبلاغ وحينا، فإن يجحد -أيها الرسول- بآيات هذا القرآن الكفارُ من قومك، فقد وكلنا بها قومًا آخرين -أي: المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة- ليسوا بها بكافرين، بل مؤمنون بها، عاملون بما تدل عليه.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ} [الأنعام : ٨٩]، أي:" أولئك الذين أنعمنا عليهم بإنزال الكتب السماوية والحكمة الربانية والنبوة والرسالة"[١٧٧٢].

قال مجاهد:" {الحكم}، هو اللبُّ"[١٧٧٣].

و«اللب»: "هوالعقل، فكأنه أراد: أن الله آتاهم العقل بالكتاب، وهو بمعنى ما قلنا أنه الفهم به"[١٧٧٤].

(١٧٦٤) انظر: تفسير الطبري:٥٠٩/١١. حكاه عنه دون ذكر السند.
(١٧٦٥) انظر: تفسير الطبري:٥٠٩/١١. حكاه دون ذكر السند.
(١٧٦٦) انظر: تفسير الطبري:٥٠٩/١١.
(١٧٦٧)تفسير الطبري:٥١٠/١١
(١٧٦٨) التفسير الميسر:١٣٨.
(١٧٦٩) تفسير ابن ابي حاتم(٧٥٥٤).:ص١٣٣٥/٤
(١٧٧٠) التفسير الميسر:١٣٨.
(١٧٧١) اخرجه الطبري(١٣٥١٦):ص٥١٣/١١.
(١٧٧٢) صفوة التفاسير:٣٧٤/١.
(١٧٧٣) أخرجه الطبري(١٣٥١٨):ص٥١٤/١١.
(١٧٧٤) تفسير الطبري:٥١٥/١١.

قوله تعالى:{ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ} [الأنعام : ٨٩]، أي:" فإن يجحد -أيها الرسول- بآيات هذا القرآن الكفارُ من قومك"[١٧٧٥].

قوله تعالى:{ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ} [الأنعام : ٨٩]، أي:" فإن يجحد -أيها الرسول- بآيات هذا القرآن الكفارُ من قومك، فقد وكلنا بها قومًا آخرين -أي: المهاجرين والأنصار وأتباعهم إلى يوم القيامة- ليسوا بها بكافرين، بل مؤمنون بها، عاملون بما تدل عليه"[١٧٧٦].

وفي المعنيين بقوله تعالى:{ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ} [الأنعام : ٨٩]، سبعة اقوال:

أحدها : فإن تكفر بها قريش فقد وكلنا بها الأنصار ، قاله الضحاك[١٧٧٧]، وسعيد بن المسيب[١٧٧٨]، والسدي[١٧٧٩].

الثاني : فإن يكفر بها أهل مكة فقد وكلنا بها أهل المدينة ، قاله الضحاك[١٧٨٠]، وابن جريج[١٧٨١]، وقتادة-في إحدى الروايات-[١٧٨٢].

الثالث : فإن تكفر بها قريش فقد وكلنا بها الملائكة ، قاله أبو رجاء[١٧٨٣].

الرابع : معناه: إن يكفر بها أمتك، فقد وكلنا بها النبيين والصالحين، وهذا قول الحسن[١٧٨٤]، وقتادة[١٧٨٥].

روي عن قتادة:"{فإن يكفر بها هؤلاء}، قال: يعني قوم محمد. ثم قال:{فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين}، يعني: النبيين الذين قص قبل هذه الآية قصصهم. ثم قال:{أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده}"[١٧٨٦].

وفي رواية أخرى عن قتادة ايضا:" عن قتادة قوله:"فإن يكفر بها هؤلاء"، يعني أهل مكة ، {فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين}، وهم الأنبياء الثمانية عشر الذين قال الله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ}"[١٧٨٧].

الخامس : يعني قوله: {فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين}: من هاجر من مكة إلى المدينة. قاله عكرمة"[١٧٨٨].

وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك بالصواب، قولُ من قال: عنى بقوله:{فإن يكفر بها هؤلاء}، كفار قريش {فقد وكلنا بها قومًا ليسوا بها بكافرين}، يعني به الأنبياء الثمانية عشر الذين سماهم الله تعالى ذكره في الآيات قبل هذه الآية. وذلك أن الخبر في الآيات قبلها عنهم مضى، وفي التي بعدها عنهم ذكر، فما بينها بأن يكون خبرًا عنهم، أولى وأحق من أن يكون خبرًا عن غيرهم"[١٧٨٩].

القرآن

{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ (٩٠)} [الأنعام : ٩٠]

التفسير:

(١٧٧٥) التفسير الميسر:١٣٨.

(١٧٧٦) التفسير الميسر:١٣٨.

(١٧٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٢١):ص٥١٦/١١.

(١٧٧٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٣٩/٤. حكاه دون ذكر السند.

(١٧٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٢٣):ص٥١٦/١١.

(١٧٨٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٢٢):ص٥١٦/١١.

(١٧٨١) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٢٤):ص٥١٦/١١.

(١٧٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٢٥)، (١٣٥٢٦):ص٥١٦/١١-٥١٧.

(١٧٨٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٢٦)، و(١٣٥٢٧):ص٥١٧/١١.

(١٧٨٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٥٧٥):ص١٣٣٩/٤.

(١٧٨٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٢٩)، (١٣٥٣٠):ص٥١٧/١١.

(١٧٨٦) أخرجه الطبري(١٣٥٣٠):ص٥١٧/١١.

(١٧٨٧) أخرجه الطبري(١٣٥٢٩):ص٥١٧/١١.

(١٧٨٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٥٧٨):ص١٣٣٩/٤.

(١٧٨٩) تفسير الطبري:٥١٨/١١.

أولئك الأنبياء المذكورون هم الذين وفقهم الله تعالى لدينه الحق، فاتبع هداهم -أيها الرسول- واسلك سبيلهم. قل للمشركين: لا أطلب منكم على تبليغ الإسلام عوضًا من الدنيا، إنْ أجري إلا على الله، وما الإسلام إلا دعوة جميع الناس إلى الطريق المستقيم وتذكير لكم ولكل مَن كان مثلكم، ممن هو مقيم على باطل، لعلكم تتذكرون به ما ينفعكم.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} [الأنعام : ٩٠]، أي:" أولئك الأنبياء المذكورون هم الذين وفقهم الله تعالى لدينه الحق، فاتبع هداهم -أيها الرسول- واسلك سبيلهم"(١٧٩٠).

عن ابن جريج قوله:"{ووهبنا له إسحاق ويعقوب}، إلى قوله:{أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده}، يا محمد"(١٧٩١).

قال السدي:" ثم رجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال:{أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده}"(١٧٩٢).

و«الاقتداء» في كلام العرب، بالرجل: اتباع أثره، والأخذ بهديه. يقال:فلان يقدو فلانًا، إذا نحا نحوه، واتبع أثره،قِدَة، وقُدوة وقِدوة وقِدْيَة(١٧٩٣).

قوله تعالى:{قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا} [الأنعام : ٩٠]، أي:" قل للمشركين: لا أطلب منكم على تبليغ الإسلام عوضًا من الدنيا" (١٧٩٤).

قال عطاء بن دينار:" يقول: لا أسألكم على ما جئتكم به أجرا"(١٧٩٥).

القرآن

{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)} [الأنعام : ٩١]

التفسير:

وما عَظَّم هؤلاء المشركون الله حق تعظيمه; إذ أنكروا أن يكون الله تعالى قد أنزل على أحد من البشر شيئًا من وحيه. قل لهم -أيها الرسول-: إذا كان الأمر كما تزعمون، فمن الذي أنزل الكتاب الذي جاء به موسى إلى قومه نورًا للناس وهداية لهم؟ ثم توجه الخطاب إلى اليهود زَجْرًا لهم بقوله: تجعلون هذا الكتاب في قراطيس متفرقة، تظهرون بعضها، وتكتمون كثيرًا منها، ومما كتموه الإخبار عن صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته، وعلَّمكم الله معشر العرب بالقرآن -الذي أنزله عليكم، فيه خبر مَن قبلكم ومَن بعدكم، وما يكون بعد موتكم- ما لم تعلموه أنتم ولا آباؤكم، قل: الله هو الذي أنزله، ثم دع هؤلاء في حديثهم الباطل يخوضون ويلعبون.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: قال عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "قوله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ}؛ يعني: من بني إسرائيل، قالت اليهود: يا محمد! أنزل الله عليك كتاباً؟ قال: "نعم"، قالوا: والله ما أنزل الله من السماء كتاباً؟ قال: فأنزل الله: قل يا محمد: {مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} , قال: "الله أنزله" (١٧٩٦). [حسن]

(١٧٩٠) التفسير الميسر:١٣٨.

(١٧٩١) أخرجه الطبري(١٣٥٣١):ص٥١٩/١١.

(١٧٩٢) أخرجه الطبري(١٣٥٣٣):ص٥١٩/١١.

(١٧٩٣) انظر: تفسير الطبري:٥٢٠/١١.

(١٧٩٤) التفسير الميسر:١٣٨.

(١٧٩٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٥٨٣):ص١٣٤٠/٤.

(١٧٩٦)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٥٤٠):ص٥٢٣/١١، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٤١ رقم ٧٥٩١) من طريق المثنى وأبي حاتم الرازي كلاهما عن عبد الله بن صالح كاتب الليث ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

قلنا: وهذا سند حسن -إن شاء الله-، وقد أعلّ بالانقطاع بين علي وابن عباس وبضعف عبد الله بن صالح، وليس هذا بشيء؛ كما تقدم بيانه في أكثر من حديث.

وزاد السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣١٣) نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

الثاني: قال سعيد بن جبير: "جاء رجل من اليهود يقال له: مالك بن الصيف يخاصم النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أنشدك بالذي أنزل التوراة على موسى: أما تجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين"، وكان حبراً سميناً؛ فغضب، وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه الذين معه: ويحك! ولا موسى؟! فقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء؛ فأنزل الله: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)}"[١٧٩٧]. [ضعيف]

وفي السياق نفسه قال عكرمة:" نزلت في مالك بن الصيف ، كان من قريظة ، من أحبار يهود :{قل} يا محمد {من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس}، الآية"[١٧٩٨].[ضعيف]

الثالث: وروي عن السدي : "{وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء}، قال : قال فنحاص اليهوديّ : ما أنزل الله على محمد من شيء!"[١٧٩٩].

الرابع: وقال محمد بن كعب القرظي:" جاء ناس من يهود إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو محتب، فقالوا: يا أبا القاسم! ألا تأتينا بكتاب من السماء؛ كما جاء به موسى ألواحاً يحملها من عند الله؟ فأنزل الله: {يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً} [النساء: ١٥٣]؛ فجئا رجل من يهود، فقال: ما أنزل الله عليك ولا على موسى ولا على عيسى ولا على أحد شيئاً؛ فأنزل الله -تعالى-: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١)}"[١٨٠٠]. [ضعيف]

الخامس: وعن محمد بن كعب القرظي -أيضا-؛ قال: "أمر الله محمداً أن يسأل أهل الكتاب عن أمره وكيف يجدونه في كتبهم، فحملهم حسدهم أن يكفروا بكتاب الله ورسله، فقالوا: {مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ}؛ فأنزل الله {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ. . .}، ثم قال: يا محمد! هلم لك إلى الخبير، ثم أنزل: {الرَّحْمَنُ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيرًا} [الفرقان: ٥٩] {وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} [فاطر: ١٤]"[١٨٠١]. [ضعيف]

قوله تعالى:{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام : ٩١]، أي:" وما عَظَّم هؤلاء المشركون الله حق تعظيمه"[١٨٠٢].

(١٧٩٧)أخرجه الطبري في "جامعالبيان" (١٣٥٣٥):ص٥٢١/١١-٥٢٢، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٤٢ رقم ٧٥٩٧) من طريق يعقوب القمي عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الإرسال.

الثانية: جعفر بن أبي المغيرة؛ ليس بالقوي في سعيد؛ كما قال ابن منده.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣١٤) وزاد نسبته لابن المنذر.

(١٧٩٨)أخرجه سنيد في "تفسيره" –ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٣٥٣٦):ص٥٢٢/١١ -: ثنا حجاج عن ابن جريج عن عكرمة.

قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ فيه ثلاث علل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: ابن جريج لم يسمع من عكرمة.

الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" ضعيف.

(١٧٩٩) أخرجه الطبري(١٣٥٣٧):ص٥٢٢/١١.

قلنا: وهذا -أيضاً- ضعيف؛فيه علتان:

الأولى: الإعضال.

الثانية: وضعف أسباط.

(١٨٠٠)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٥٣٨):ص٥٢٢/١١-٥٢٣من طريق أبي معشر المدني عن محمد به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الإرسال.

الثانية: أبو معشر؛ضعيف، وكان أسن واختلط.

(١٨٠١)ذكره السيوطي في "الدرالمنثور" (٣/ ٣١٥) ونسبه لأبي الشيخ.

(١٨٠٢) التفسير الميسر:١٣٩.

وفي قوله تعالى:{وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ} [الأنعام : ٩١]، وجهان:
أحدهما : وما عظموه حق عظمته، قاله الحسن[١٨٠٣]، والسدي[١٨٠٤]، وميكائيل[١٨٠٥].
الثاني. معناه: ما علموا كيف هو حيث كذبوا. قاله محمد بن كعب[١٨٠٦].
قوله تعالى:{إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام : ٩١]، أي:" إذ أنكروا أن يكون الله تعالى قد أنزل على أحد من البشر شيئًا من وحيه"[١٨٠٧].
وفي قائل ذلك قولان :
أحدهما : أنهم مشركي قريش . قاله مجاهد[١٨٠٨].
عن مجاهد:"{وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء}: قالها مشركو قريش. قال: وقوله: {قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرا}، قال: هم يهود، الذين يبدونها ويخفون كثيرا. قال: وقوله:{وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم}، قال: هذه للمسلمين"[١٨٠٩].
الثاني : اليهود. وهذا قول محمد بن كعب القرظي[١٨١٠].
وقال قتادة:" هم اليهود والنصارى ، قوم آتاهم الله علمًا فلم يقتدوا به، ولم يأخذوا به ، ولم يعملوا به ، فذمهم الله في عملهم ذلك. ذكر لنا أن أبا الدرداء كان يقول : إن من أكثر ما أنا مخاصَمٌ به غدًا أن يقال : يا أبا الدرداء ، قد علمت ، فماذا عملت فيما علمت؟"[١٨١١].
وأولى هذه الأقوال بالصواب في تأويل ذلك ، قول من قال : عني بقوله {وما قدروا الله حق قدره}، مشركو قريش. وذلك أن ذلك في سياق الخبر عنهم أولا فأن يكون ذلك أيضًا خبرًا عنهم ، أشبهُ من أن يكون خبرًا عن اليهود ولما يجر لهم ذكرٌ يكون هذا به متصلا مع ما في الخبر عمن أخبر الله عنه في هذه الآية ، من إنكاره أن يكون الله أنزل على بشر شيئًا من الكتب ، وليس ذلك مما تدين به اليهود ، بل المعروف من دين اليهود : الإقرار بصُحُف إبراهيم وموسى ، وزبور داود. وإذا لم يأت بما روي من الخبر ، بأن قائل ذلك كان رجلا من اليهود ، خبرٌ صحيح متصل السند ولا كان على أن ذلك كان كذلك من أهل التأويل إجماعٌ وكان الخبر من أوّل السورة ومبتدئها إلى هذا الموضع خبرًا عن المشركين من عبدة الأوثان وكان قوله : {وما قدروا الله حق قدره}، موصولا بذلك غير مفصول منه لم يجز لنا أن ندّعي أن ذلك مصروف عما هو به موصول ، إلا بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل، ولكني أظن أن الذين تأوّلوا ذلك خبرًا عن اليهود ، وجدوا قوله : " قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورًا وهدى للناس يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرًا وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم " ، فوجهوا تأويل ذلك إلى أنه لأهل التوراة ، فقرءوه على وجه الخطاب لهم : {تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ}، فجعلوا ابتداء الآية خبرًا عنهم ، إذ كانت خاتمتها خطابًا لهم عندهم. وغير ذلك من التأويل والقراءة أشبه بالتنزيل ، لما وصفت قبل من أن قوله : {وما قدروا الله حق قدره}، في سياق الخبر عن مشركي العرب وعبدة الأوثان وهو به متصل ، فالأولى أن يكون ذلك خبرًا عنهم، والأصوب من القراءة في قوله : (يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبْدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا) ، أن يكون بالياء لا بالتاء ، على معنى : أنّ اليهود يجعلونه قراطيس يبدونها ويخفون كثيرًا ، ويكون الخطاب بقوله : {قل من أنزل الكتاب}، لمشركي قريش. وهذا هو المعنى الذي قصده مجاهد إن شاء الله في تأويل ذلك ، وكذلك كان يقرأ"[١٨١٢].

(١٨٠٣) انظر: النكت والعيون:١٤١/٢.
(١٨٠٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٥٩٠):ص١٣٤١/٤.
(١٨٠٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٥٨٩):ص١٣٤١/٤.
(١٨٠٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٥٨٨):ص١٣٤١/٤.
(١٨٠٧) التفسير الميسر:١٣٩.
(١٨٠٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٤١)، و(١٣٥٤٣):ص٥٢٤/١١.
(١٨٠٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٤١)، و(١٣٥٤٣):ص٥٢٤/١١.
(١٨١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٣٨):ص٥٢٢/١١-٥٢٣.
(١٨١١) أخرجه الطبري(١٣٥٣٩):ص٥٢٣/١١.
(١٨١٢) تفسير الطبري:٥٢٤/١١-٥٢٥.

قوله تعالى:{وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ} [الأنعام : ٩١]، أي:" أي عُلِّمتم يا معشر اليهود من دين الله وهدايته في هذا القرآن ما لم تعلموا به من قبل لا أنتم ولا آباؤكم"[١٨١٣].

قال مجاهد:"{وعلمتم}، معشرَ العرب {ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم}"[١٨١٤].

وعن عبد الله بن كثير : "إنه سمع مجاهدًا يقول في قوله : {وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم}، قال : هذه للمسلمين"[١٨١٥].

قوله تعالى:{ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} [الأنعام : ٩١]، أي:" قل: الله هو الذي أنزله، ثم دع هؤلاء في حديثهم الباطل يخوضون ويلعبون"[١٨١٦].

قال قتادة:" فذمهم الله في عملهم ذلك"[١٨١٧].

القرآن

{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩٢)} [الأنعام : ٩٢]

التفسير:

وهذا القرآن كتاب أنزلناه إليك -أيها الرسول- عظيم النفع، يشهد على صدق ما تقدمه من الكتب المنزلة وأنها من عند الله، أنزلناه لنخوِّف به من عذاب الله وبأسه أهل «مكة» ومن حولها من أهل أقطار الأرض كلها. والذين يصدقون بالحياة الآخرة، يصدقون بأن القرآن كلام الله، ويحافظون على إقام الصلاة في أوقاتها.

قوله تعالى:{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ} [الأنعام : ٩٢]، أي:" وهذا القرآن الذي أُنزل على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبارك كثير النفع والفائدة"[١٨١٨].

قال قتادة:" هو القرآن الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم"[١٨١٩].

قوله تعالى:{مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ} [الأنعام : ٩٢]، أي:" يشهد على صدق ما تقدمه من الكتب المنزلة وأنها من عند الله"[١٨٢٠].

عن أبي العالية: {مصدق الذي بين يديه}، يعني: من التوراة والإنجيل"[١٨٢١].

قوله تعالى:{وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [الأنعام : ٩٢]، أي:" أنزلناه لنخوِّف به من عذاب الله وبأسه أهل «مكة» ومن حولها من أهل أقطار الأرض كلها"[١٨٢٢].

وفي سبب تسمية مكة بـ«أُمّ الْقُرَى» قولان:

أحدها : لأن أول بيت وضع بها ، فكأن القرى نشأت عنها ، قاله السدي[١٨٢٣].

الثاني: سميت أم القرى لأن الأرض دحيت من تحتها، فهي أصل الأرض كلها كالأم أصل النسل. وهذا معنى قول قتادة[١٨٢٤].

قال قتادة:" بلغني أن الأرض دُحِيَتْ من مكة"[١٨٢٥].

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ} [الأنعام : ٩٢]، أي:" والذين يصدقون بالحياة الآخرة، يصدقون بأن القرآن كلام الله"[١٨٢٦].

(١٨١٣)صفوة التفاسير:١/٣٧٥.
(١٨١٤) أخرجه الطبري(١٣٥٤٧):ص١١/٥٢٧.
(١٨١٥) أخرجه الطبري(١٣٥٤٨):ص١١/٥٢٨.
(١٨١٦) التفسير الميسر:١٣٩.
(١٨١٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦٠٩):ص٤/١٣٤٤.
(١٨١٨) صفوة التفاسير:١/٣٧٥.
(١٨١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦١٠):ص٤/١٣٤٤.
(١٨٢٠) التفسير الميسر:١٣٩.
(١٨٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦١٣):ص٤/١٣٤٥.
(١٨٢٢) التفسير الميسر:١٣٩.
(١٨٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٥٤):ص١١/٥٣١.
(١٨٢٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٥٢):ص١١/٥٣١.
(١٨٢٥) أخرجه الطبري(١٣٥٥٢):ص١١/٥٣١.
(١٨٢٦) التفسير الميسر:١٣٩.

القرآن

{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)} [الأنعام : ٩٣]

التفسير:

ومَن أشدُّ ظلمًا ممَّن اختلق على الله تعالى قولا كذبًا، فادعى أنه لم يبعث رسولا من البشر، أو ادعى كذبًا أن الله أوحى إليه ولم يُوحِ إليه شيئًا، أو ادَّعى أنه قادر على أن يُنْزِل مثل ما أنزل الله من القرآن؟ ولو أنك أبصرت -أيها الرسول- هؤلاء المتجاوزين الحدَّ وهم في أهوال الموت لرأيت أمرًا هائلا والملائكة الذين يقبضون أرواحهم باسطو أيديهم بالعذاب قائلين لهم: أخرجوا أنفسكم، اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله.

في سبب نزول الآية أقوال:

أحدها: أن أولها، إلى قوله: { وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ}، نزل في مسيلمة الكذاب. قاله عكرمة[١٨٢٧]، وابن جريج[١٨٢٨].

وقوله تعالى: {وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ}، نزل في عبد الله بن سعد بن أبي سرح[١٨٢٩]. وهذا قول ابن عباس في رواية أبي صالح[١٨٣٠]، وابن جريج[١٨٣١].

(١٨٢٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٥٥):ص٥٣٣/١١-٥٣٤.

(١٨٢٨) انظر: الدر المنثور:٣١٧/٣.

(١٨٢٩) قال أبو عمر: "عبد الله بْن السعدي...أسلم قبل الْفَتْح، وهاجر، وَكَانَ يكتب الوحي لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ارتد مشركا، وصار إلى قريش بمكة، فَقَالَ لهم: إِنِّي كنت أصرف محمدا حيث أريد، كَانَ يملي علي: «عَزِيزٌ حَكِيمٌ»[البقرة: ٢٠٩] فأقول: أو عليم حكيم؟ فيقول: نعم، كل صواب. فلما كَانَ يَوْم الْفَتْح أمر رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بقتله، وقتل عَبْد اللَّهِ بْن خطل، ومقيس بْن حبابة، ولو وجدوا تحت أستار الكعبة، ففر عَبْد اللَّهِ بْن سَعْد بْن أبي السرح إلى عُثْمَان، وَكَانَ أخاه من الرضاعة، أرضعت أمه عُثْمَان، فغيبه عُثْمَان حَتَّى أتى بِهِ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلم بعد ما اطمأن أهل مكة، فاستأمنه لَهُ، فصمت رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طويلا، ثُمَّ قَالَ:نعم. فلما انصرف عُثْمَان قَالَ رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمن حوله: مَا صمت إلا ليقوم إِلَيْهِ بعضكم فيضرب عنقه. وقال رجل من الأنصار: فهلا أومأت إلي يَا رَسُول اللَّهِ؟ فَقَالَ: إن النَّبيّ لا ينبغي أن يكون لَهُ خائنة الأعين.

وأسلم عَبْد اللَّهِ بْن سَعْد بْن أبي السرح أيام الْفَتْح، فحسن إسلامه، فلم يظهر منه شيء ينكر عَلَيْهِ بعد ذَلِكَ، وَهُوَ أحد النجباء العقلاء الكرماء من قريش، ثُمَّ ولاه عُثْمَان بعد ذَلِكَ مصر فِي سنة خمس وعشرين، وفتح على يديه إفريقية .سنة سبع وعشرين، وَكَانَ فارس بني عَامِر بْن لؤي المعدود فيهم، وَكَانَ صاحب ميمنة عَمْرو بْن الْعَاص فِي افتتاحه وفي حروبه هناك كلها. وولى حرب مصر لعثمان أيضا، فلما ولاه عمان، وعزل عنها عَمْرو بْن الْعَاص جعل عَمْرو بْن الْعَاص يطعن على عُثْمَان أيضا، ويؤلب عَلَيْهِ، ويسعى فِي إفساد أمره، فلما بلغه قتل عُثْمَان وَكَانَ معتزلا بفلسطين قَالَ: إِنِّي إذا نكأت قرحةً أدميتها، أو نحو هَذَا.

حدثنا خلف بن قاسم، حدثنا الحسن بن رشيق، حدثنا الدولابي، حدثنا أبو بكر الوجيهي ، عَنْ أبيهِ، عَنْ صَالِح بْن الْوَجِيهِ، قَالَ: فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ انْتُقِضَتِ الإِسْكَنْدَرِيَّةُ، فَافْتَتَحَهَا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَقَتَلَ الْمُقَاتِلَةَ، وَسَبَى الذُّرِّيَةَ، فَأَمَرَ عُثْمَانُ بِرَدِّ السَّبْيِ الَّذِينَ سُبُوا مِنَ الْقُرَى إِلَى مَوَاضِعِهِمْ لِلْعَهْدِ الَّذِي كَانَ لَهُمْ، وَلَمْ يَصِحَّ عِنْدَهُ نَقْضُهُمْ، وَعَزَلَ عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ، وَوَلَّى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، وَكَانَ ذَلِكَ بَدْءُ الشَّرِّ بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ.

وأما عَبْد اللَّهِ بْن سَعْد بْن أبي سرح فافتتح إفريقية من مصر سنة سبع وعشرين، وغزا منها الأساود من أرض النوبة سنة إحدى وثلاثين، وَهُوَ الَّذِي هادنهم الهدنة الباقية إلى اليوم، وغزا الصواري فِي البحر من أرض الروم سنة أربع وثلاثين، ثُمَّ قدم على عُثْمَان. واستخلف على مصر السائب بن هشام ابن عَمْرو العامري، فانتزى عَلَيْهِ مُحَمَّد بْن أبي حذيفة بْن عُتْبَة بْن رَبِيعَة، فخلع السائب، وتأمر على مصر، ورجع عَبْد اللَّهِ بْن سَعْد من وفادته، فمنعه ابْن أبي حذيفة من دخول الفسطاط فمضى إلى عسقلان، فأقام بها حتى قتلعُثْمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقيل: بل أقام بالرملة حَتَّى مات، فارا من الفتنة، ودعا ربه فَقَالَ: اللَّهمّ اجعل خاتمة عملي صلاة الصبح، فتوضأ ثُمَّ صَلَّى الصبح، فقرأ فِي الركعة الأولى بأم القرآن والعاديات، وفي الثانية بأم القرآن وسورة، ثُمَّ سلم عَنْ يمينه، وذهب يسلم عَنْ يساره، فقبض الله روحه، ذكر ذَلِكَ كله يَزِيد بْن أبي حَبِيب وغيره، ولم يبايع لعلي ولا لمعاوية، وكانت وفاته قبل اجتماع الناس على مُعَاوِيَة، وقيل: إنه توفي بإفريقية، والصحيح أَنَّهُ توفي بعسقلان سنة ست أو سبع وثلاثين".[الاستيعاب في معرفة الأصحاب:٩١٨/٣-٩٢٠].

(١٨٣٠) انظر: أسباب النزول" :٢٢٠.

(١٨٣١) انظر: الدر المنثور:٣١٧/٣.

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- :"قوله تعالى: {وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ}؛ نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان قد تكلم بالإسلام، فدعاه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم يكتب له شيئاً، فلما نزلت الآية التي في المؤمنين: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ} أملاها عليه، فلما انتهى إلى قوله: {ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ (٤٢)} [المؤمنون: ١٢ - ٤٢]؛ عجب عبد الله في تفصيل خلق الإنسان، فقال: تبارك الله أحسن الخالقين، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "هكذا أنزلت عليّ"، فشك عبد الله حينئذ، وقال: لئن كان محمد صادقاً لقد أوحي إليّ كما أوحي إليه، ولئن كان كاذباً لقد قلت كما قال، وذلك قوله: {سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ} وارتد عن الإسلام "[١٨٣٢].[موضوع]

عن عكرمة قوله: "{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ}؛ نزلت في مسيلمة أخي بني عدي بن حنيفة فيما كان يسجع ويتكهن، {وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ}؛ نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخي بني عامر بن لؤي كان يكتب للنبي - صلى الله عليه وسلم -، وكان فيما يملي: {عَزِيزٌ حَكِيمٌ} فيكتب: {غَفُورٌ رَحِيمٌ} فيغيره، ثم يقرأ عليه كذا وكذا لما حوّل، فيقول: نعم سواء، فرجع عن الإسلام ولحق بقريش، وقال لهم: لقد كان ينزل عليه {عَزِيزٌ حَكِيمٌ} فأحوّله، ثم أقول لما أكتب فيقول: نعم سواء، ثم رجع إلى الإسلام قبل فتح مكة إذ نزل النبي - صلى الله عليه وسلم – بمر"[١٨٣٣]. [ضعيف جداً]

وعن ابن جريج في قوله: "{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ}؛ قال: نزلت في مسيلمة الكذاب ونحوه ممن دعا إلى مثل ما دعا إليه، {وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ}؛ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح"[١٨٣٤]. [ضعيف]

والثاني: أن جميع الآية في عبد الله بن سعد. وهذا قول السدي[١٨٣٥]، وأبي خلف الأعمى[١٨٣٦]، وشرحبيل بن سعد[١٨٣٧].

عن السدي: "{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ}؛ قال: نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح أسلم وكان يكتب للنبي - صلى الله عليه وسلم -، فكان إذا أملى عليه: {سَمِيعًا عَلِيمًا} كتب هو: {عَلِيمًا حَكِيمًا} وإذا قال: {عَلِيمًا حَكِيمًا} كتب: {سَمِيعًا عَلِيمًا}؛ فشك وكفر، وقال: إن كان محمد يوحى إليه؛ فقد أوحي إليّ، وإن كان ينزله؛ فقد أنزلت مثل ما أنزل الله، قال محمد: {سَمِيعًا عَلِيمًا}؛ فقلت أنا: {عَلِيمًا حَكِيمًا}، فلحق بالمشركين، ووشي بعمار وجبير عند ابن الحضرمي -أو لبني عبد الدار-؛ فأخذوهم، فعُذّبوا؛ حتى كفروا، وجدع أذن عمار يومئذ، فانطلق عمار إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبره بما لقي والذي أعطاهم من الكفر، فأبى النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يتولاه؛ فأنزل الله في شأن ابن أبي سرح وعمار وأصحابه من كفر بالله من بعد إيمانه: {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا} فالذي أكره؛ عمار وأصحابه، والذي شرح بالكفر صدراً؛ ابن أبي سرح "[١٨٣٨]. [ضعيف]

(١٨٣٢)ذكره الواحدي في "أسباب النزول" :٢٢٠معلقاً وهومن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به.
قلنا: وهذاحديثموضوع.
(١٨٣٣)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان (١٣٥٥٥):ص١١/٥٣٣-٥٣٤ -: ثني حجاج عن ابن جريج عنه به.
قلنا: وهذا سند ضعيف جداً؛ فيه ثلاث علل:
الأولى: الإرسال.
الثانية: ابن جريج لم يسمع من عكرمة.
الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" ضعيف.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣١٧) وزاد نسبته لأبي الشيخ
(١٨٣٤)ذكره السيوطي في "الدرالمنثور" (٣/ ٣١٧) ونسبه لعبد بن حميد وابن المنذر.
(١٨٣٥) انظر: (١٣٥٥٦):ص١١/٥٣٤-٥٣٥.
(١٨٣٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (٧٦٢٤):ص٤/ ١٣٤٦..
(١٨٣٧) انظر: أسباب النزول للواحدي:٢٢٠-٢٢١.
(١٨٣٨)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٥٥٦):ص١١/٥٣٤-٥٣٥،وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٤٦ رقم ٧٦٢٦) من طريق أسباط بن نصر عن السدي به.

وعن أبي خلف الأعمى؛ قال: "كان ابن أبي سرح يكتب للنبي - صلى الله عليه وسلم - الوحي، فأتى أهل مكة فقالوا: يا ابن أبي سرح! كيف كتبت لابن أبي كبشة القرآن؟ قال: كنت أكتب كيف شئت؛ فأنزل الله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)}"[١٨٣٩]. [ضعيف جداً]

عن شرحبيل بن سعد؛ قال: "نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح، قال: سأنزل مثل ما أنزل الله، وارتد عن الإسلام، فلما دخل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكة؛ أتى به عثمان رسول الله فاستأمن له"[١٨٤٠]. [ضعيف]

والرابع: أنها نزلت في مسيلمة، والأسود العنسي، قاله قتادة[١٨٤١].

عن قتادة؛ قال: "ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في مسيلمة، ذكر لنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قال: رأيت فيما يرى النائم كأن في يدي سوارين من ذهب، فكبرا عليّ وأهماني، فأوحي إليّ أن أنفخهما؛ فنفختهما، فطارا، فأولتهما في منامي الكذابين اللذين أنا بينهما: كذاب اليمامة: مسيلمة، وكذاب صنعاء: العنسي، وكان يقال له: الأسود" [١٨٤٢]. [ضعيف]

الخامس: أن الآية جميعها نزلت في النضر -وهو من بني عبد الدار. قاله عكرمة[١٨٤٣].

عن عكرمة؛ قال: "لما نزلت: {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢)} [المرسلات: ١، ٢]؛ قال النضر -وهو من بني عبد الدار-: والطاحنات طحناً والعاجنات عجناً وقولاً كثيراً؛ فأنزل الله: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣)} "[١٨٤٤]. [ضعيف]

قوله تعالى:{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا} [الأنعام : ٩٣]، أي:" ومَن أشدُّ ظلمًا ممَّن اختلق على الله تعالى قولا كذبًا فجعل له شركاء وأنداداً"[١٨٤٥].

قوله تعالى:{ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ} [الأنعام : ٩٣]، أي:" ومَن أشدُّ ظلمًا ممَّن اختلق على الله تعالى قولا كذبًا فجعل له شركاء وأنداداً أو ادعى كذبًا أن الله أوحى إليه ولم يُوح إليه شيئًا"[١٨٤٦].

عن عكرمة قوله : " {ومن أظلم ممن افترى على الله كذبًا أو قال أوحي إليّ ولم يوح إليه شيء}، قال : نزلت في مسيلمة أخي بني عدي بن حنيفة ، فيما كان يسجع ويتكهن به"[١٨٤٧].

قلنا: وهذا سند ضعيف ؛فيه علتان:
الأولى: الإعضال.
الثانية: أسباط هذا؛صدوق كثير الخطأ يغرب.

(١٨٣٩)أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٤٦ رقم ٧٦٢٤) من طريق معان بن رفاعة عنه به.
قلنا: إسناده ضعيف جداً.

(١٨٤٠)أخرجه الواحدي في "أسباب النزول" :٢٢٠-٢٢١بسند حسن إلى ابن بكير عن ابن إسحاق ثني شرحبيل به.
قلنا: وهذا سند ضعيف ؛ فيه علتان:
الأولى: الإرسال.
الثانية: شرحبيل اختلط قبل موته.

(١٨٤١) انظر: تفسير (١٣٥٥٧):ص٥٣٥/١١.

(١٨٤٢)أخرجه الطبري (١٣٥٥٧):ص٥٣٥/١١: ثنا بشر بن معاذ العقدي ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد بن أبي عروبة ثنا قتادة به.
قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣١٧) وزاد نسبته لأبي الشيخ وعبد بن حميد

(١٨٤٣) انظر:الدرالمنثور:٣/ ٣١٨.

(١٨٤٤)ذكره السيوطي في "الدرالمنثور" (٣/ ٣١٨) ونسبه لعبد بن حميد.

(١٨٤٥) انظر: صفوة التفاسير:٣٧٥/١، والتفسير الميسر:١٣٩.

(١٨٤٦) التفسير الميسر:١٣٩.

(١٨٤٧) أخرجه الطبري(١٣٥٥٥):ص٥٣٣/١١.

قوله تعالى:{وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [الأنعام : ٩٣]، أي:" أو ادَّعى أنه قادر على أن يُنْزل مثل ما أنزل الله من القرآن؟"(١٨٤٨).

وفي قوله تعالى:{وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ} [الأنعام : ٩٣]، قولان:

أحدها : من تقدم ذكره من مدعي الوحي والنبوة. وهذا قول قتادة (١٨٤٩).

الثاني : أنه عبد الله بن سعد بن أبي سرح، كان كتب للنبي صلى الله عليه وسلم. قاله السدي(١٨٥٠)، وعكرمة(١٨٥١).

قوله تعالى:{وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ} [الأنعام : ٩٣]، أي:" ولو أنك أبصرت -أيها الرسول- هؤلاء المتجاوزين الحدَّ وهم في أهوال الموت لرأيت أمرًا هائلا"(١٨٥٢).

قوله تعالى:{وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ} [الأنعام : ٩٣]، أي:" والملائكة الذين يقبضون أرواحهم باسطو أيديهم بالعذاب"(١٨٥٣).

وفي قوله تعالى:{وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ} [الأنعام : ٩٣]، وجهان:

أحدهما : أن بسط الملائكة أيديها، مدّها، ومعناه: ان الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم والظالمون في غمرات الموت ، وملك الموت يتوفّاهم. وهذا قول السدي(١٨٥٤).

الثاني: باسطوا أيديهم بالعذاب ، قاله الحسن(١٨٥٥)، والضحاك(١٨٥٦)، وأبو صالح(١٨٥٧).

قوله تعالى:{الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ} [الأنعام : ٩٣]، أي:" اليوم تُجزون العذاب الذي يقع به الهوان الشديد مع الخزي الأكيد"(١٨٥٨).

عن السدي:" أما عذاب الهون: الذي يهينهم"(١٨٥٩).

القرآن

{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ (٩٤)} [الأنعام : ٩٤]

التفسير:

ولقد جئتمونا للحساب والجزاء فرادى كما أوجدناكم في الدنيا أول مرة حفاة عراة، وتركتم وراء ظهوركم ما مكنَّاكم فيه مما تتباهون به من أموال في الدنيا، وما نرى معكم في الآخرة أوثانكم التي كنتم تعتقدون أنها تشفع لكم، وتَدَّعون أنها شركاء مع الله في العبادة، لقد زال تَواصُلُكم الذي كان بينكم في الدنيا، وذهب عنكم ما كنتم تَدَّعون من أن آلهتكم شركاء لله في العبادة، وظهر أنكم الخاسرون لأنفسكم وأهليكم وأموالكم.

سبب النزول:

عن عكرمة؛ قال: "قال النضر بن الحارث: سوف تشفع لي اللات والعزى؛ فنزلت هذه الآية: هذه الآية :{ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ}، إلى قوله : { شُرَكَاءُ }"(١٨٦٠). [ضعيف]

(١٨٤٨) التفسير الميسر:١٣٩.

(١٨٤٩) أخرجه الطبري(١٣٥٥٧):٥٣٥/١١.

(١٨٥٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٥٦):ص٥٣٤/١١.

(١٨٥١) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٥٥):ص٥٣٣/١١.

(١٨٥٢) التفسير الميسر:١٣٩.

(١٨٥٣) التفسير الميسر:١٣٩.

(١٨٥٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٦٥):ص٥٣٩/١١.

(١٨٥٥) انظر: النكت والعيون:١٤٤/٢.

(١٨٥٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٦٦):ص٥٣٩/١١.

(١٨٥٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٦٧):ص٥٣٩/١١.

(١٨٥٨) صفوة التفاسير:٣٧٦/١.

(١٨٥٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦٣٧):ص١٣٤٨/٤.

(١٨٦٠)أخرجه سنيد في "تفسيره" –ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٣٥٧٣):ص٥٤٧/١١ -: ثني حجاج قال ، قال ابن جريج ، أخبرني الحكم بن أبان ، عن عكرمة.

قلنا: وهذا سند ضعيف، لأن سنيد هذا صاحب "التفسير" ضعيف؛ كما تقدم بيانه مراراً.

قوله تعالى:{وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ} [الأنعام : ٩٤]، أي:" وتركتم وراء ظهوركم ما مكنَّاكم فيه مما تتباهون به من أموال في الدنيا"(١٨٦١).

قال الحسن البصري : "يؤتى بابن آدم يوم القيامة كأنه بَذَج فيقول الله ، عَزَّ وجل له: أين ما جمعت ؟ فيقول يا رب ، جمعته وتركته أوفر ما كان ، فيقول : فأين ما قدمت لنفسك ؟ فلا يراه قدم شيئا ، وتلا هذه الآية : { وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ }"(١٨٦٢).

قوله تعالى:{وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ} [الأنعام : ٩٤]، أي:" وما نرى معكم في الآخرة أوثانكم التي كنتم تعتقدون أنها تشفع لكم، وتَدَّعون أنها شركاء مع الله في العبادة"(١٨٦٣).

قال السدي:" فإن المشركين كانوا يزعمون أنهم كانوا يعبدُون الآلهة ، لأنهم شفعاء يشفعون لهم عند الله ، وأنّ هذه الآلهة شركاءُ لله"(١٨٦٤).

قوله تعالى:{لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ} [الأنعام : ٩٤]، أي:" لقد زال تَواصُلُكم الذي كان بينكم في الدنيا"(١٨٦٥).

وفي قوله تعالى:{لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ} [الأنعام : ٩٤]، وجهان:

أحدهما : ذهب تواصلكم في الدنيا ، قاله مجاهد(١٨٦٦)، وقتادة(١٨٦٧)، وأبوبكر العياش(١٨٦٨).

الثاني: يعني: ما كان بينهم وبين آلهتهم. قاله الضحاك(١٨٦٩).

القرآن

{إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ (٩٥)} [الأنعام : ٩٥]

التفسير:

إن الله تعالى يشق الحب، فيخرج منه الزرع، ويشق النوى، فيخرج منه الشجر، يخرج الحي من الميت كالإنسان والحيوان مثلا من النطفة، ويخرج الميت من الحي كالنطفة من الإنسان والحيوان، ذلكم الله أي: فاعل هذا هو الله وحده لا شريك له المستحق للعبادة، فكيف تُصْرَفون عن الحق إلى الباطل فتعبدون معه غيره؟

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى} [الأنعام : ٩٥]، أي:" إن الله تعالى يشق الحب، فيخرج منه الزرع، ويشق النوى، فيخرج منه الشجر"(١٨٧٠).

وفي قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى} [الأنعام : ٩٥]، ثلاثة وجوه:

أحدها : يعني: فالق الحبة عن السنبلة والنواة عن النخلة ، قاله الحسن(١٨٧١)، وقتادة(١٨٧٢)، والسدي(١٨٧٣).

الثاني : أن الفلق الشق الذي فيهما ، قال مجاهد(١٨٧٤)، وأبو مالك(١٨٧٥).

الثالث : أنه يعني: خالق الحب والنوى ، قاله الضحاك(١٨٧٦).

والراجح أنه عنى بإخباره عن نفسه أنّه فالق الحب عن النبات ، والنوى عن الغُرُوس والأشجار ، كما هو مخرج الحي من الميت ، والميّت من الحي.

(١٨٦١) التفسير الميسر:١٣٩.
(١٨٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦٤١):ص١٣٤٩/٤.
(١٨٦٣) التفسير الميسر:١٣٩.
(١٨٦٤) أخرجه الطبري(١٣٥٧٢):ص٥٤٧/١١.
(١٨٦٥) التفسير الميسر:١٣٩.
(١٨٦٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٧٤)، (١٣٥٧٥):ص٥٤٨/١١.
(١٨٦٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٧٧):٥٤٨/١١.
(١٨٦٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٨٠):٥٤٩/١١.
(١٨٦٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٦٤٩):ص١٣٥٠/٤.
(١٨٧٠) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٨٧١) انظر: النكت والعيون:١٤٦/٢.
(١٨٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٨٢):ص٥٥١/١١.
(١٨٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٨١):ص٥٥١/١١.
(١٨٧٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٨٧)، (١٣٥٨٨):ص٥٥١/١١-٥٥٢.
(١٨٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٨٩):ص٥٥٢/١١.
(١٨٧٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٨٤):ص٥٥١/١١.

قوله تعالى:{يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ} [الأنعام : ٩٥]، أي:" يخرج الحي من الميت كالإنسان والحيوان مثلا من النطفة، ويخرج الميت من الحي كالنطفة من الإنسان والحيوان"[١٨٧٧].

وفي قوله تعالى:{يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ} [الأنعام : ٩٥]، اقوال:

أحدها : يخرج السنبلة الحية من الحبة الميتة ، والنخلة الحية من النواة الميتة ، ويعني بإخراج الميت من الحي أن يخرج الحبة الميتة من السنبلة الحية ، والنواة الميتة من النخلة الحية ، قاله وأبو مالك[١٨٧٨]، والسدي[١٨٧٩].

الثاني : يخرج من النطفة بشرا. قاله سعيد بن جبير[١٨٨٠]، ومجاهد[١٨٨١]، والنخعي[١٨٨٢]، وقتادة[١٨٨٣]، والضحاك[١٨٨٤].

الثالث : يخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، قاله الحسن[١٨٨٥].

وقد عبروا عن هذا وهذا بعبارات كلها متقاربة مؤدية للمعنى ، فمن قائل : يخرج الدجاجة من البيضة ، والبيضة من الدجاجة ، من قائل : يخرج الولد الصالح من الكافر ، والكافر من الصالح ، وغير ذلك من العبارات التي تنتظمها الآية وتشملها"[١٨٨٦].

قوله تعالى:{ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ} [الأنعام : ٩٥]، أي:" ذلكم الله الخالق المدبر فكيف تُصرفون عن الحق بعد هذا البيان"[١٨٨٧].

القرآن

{فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٩٦)} [الأنعام : ٩٦]

التفسير:

والله سبحانه وتعالى هو الذي شق ضياء الصباح من ظلام الليل، وجعل الليل مستقرًا، يسكن فيه من يتعب بالنهار فيأخذ نصيبه من الراحة، وجعل الشمس والقمر يجريان في فلكيهما بحساب متقن مقدَّر، لا يتغير ولا يضطرب، ذلك تقدير العزيز الذي عزَّ سلطانه، العليم بمصالح خلقه وتدبير شئونهم.

قوله تعالى:{فَالِقُ الْإِصْبَاحِ} [الأنعام : ٩٦]، أي:" والله سبحانه وتعالى هو الذي شق ضياء الصباح من ظلام الليل"[١٨٨٨].

وفي تفسير قوله تعالى:{فَالِقُ الْإِصْبَاحِ} [الأنعام : ٩٦]، وجوه:

أحدها : فالق الصبح ، قاله قتادة[١٨٨٩].

الثاني : أنه إضاءة الفجر ، قاله مجاهد[١٨٩٠].

الثالث : أن معناه خالق نور النهار ، وهذا قول الضحاك[١٨٩١].

وذكر عن الحسن البصري أنّه كان يقرأ : «فَالِقُ الأَصْبَاحِ»[١٨٩٢]، بفتح الألف ، "كأنه تأول ذلك بمعنى جمع «صبح» ، كأنه أراد صبح كل يوم ، فجعله «أصباحًا» "[١٨٩٣].

(١٨٧٧) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٨٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٩٣):ص٥٥٣/١١.
(١٨٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٩٢):ص٥٥٣/١١.
(١٨٨٠) تفسير ابن أبي حاتم:١٣٥٢/٤.
(١٨٨١) تفسير ابن أبي حاتم:١٣٥٢/٤.
(١٨٨٢) تفسير ابن أبي حاتم:١٣٥٢/٤.
(١٨٨٣) تفسير ابن أبي حاتم:١٣٥٢/٤.
(١٨٨٤) تفسير ابن أبي حاتم:١٣٥٢/٤.
(١٨٨٥) انظر: النكت والعيون:١٤٧/٢.
(١٨٨٦) تفسير ابن كثير:٣٠٤/٣.
(١٨٨٧) صفوة التفاسير:٣٧٨/١.
(١٨٨٨) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٨٨٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٩٨)ص:٥٥٥/١١.
(١٨٩٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٥٩٦)ص:٥٥٥/١١.
(١٨٩١) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٠٣)ص:٥٥٥/١١.
(١٨٩٢) انظر: تفسير الطبري:٥٥٦/١١.

وقرأ النخعي: «فلق الإصباح» [١٨٩٤].

قوله تعالى:{وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا} [الأنعام : ٩٦]، أي:" وجعل الليل مستقرًا، يسكن فيه من يتعب بالنهار فيأخذ نصيبه من الراحة"[١٨٩٥].

قال قتادة:" يسكن فيه كل طير ودابة"[١٨٩٦].

روي عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: "كان لصهيب امرأة فكان يطيل السهر، قال: فقالت له: يا صهيب، قد أفسدت علي نفسك! فقال صهيب: إن الله جعل الليل سكنا لصهيب، إن صهيبا إذا ذكر الجنة طال شوقه، وإذا ذكر النار طار نومه"[١٨٩٧].

وقرأ النخعي: « وجعل الليل» [١٨٩٨].

قوله تعالى:{وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا} [الأنعام : ٩٦]، أي:" وجعل الشمس والقمر يجريان في فلكيهما بحساب متقن مقدَّر، لا يتغير ولا يضطرب"[١٨٩٩].

وفي قوله تعالى:{وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا} [الأنعام : ٩٦]، وجهان:

أحدهما : وجعل الشمس والقمر يجريان في أفلاكهما بحساب. وهذا قول مجاهد[١٩٠٠]، والسدي[١٩٠١]، والربيع[١٩٠٢]، وقتادة -في احد قوليه-[١٩٠٣].

الثاني: معناه: وجعل الشمس والقمر ضياء، قاله قتادة[١٩٠٤].

والراجح أن المعنى : وجعل الشمس والقمرَ يجريان بحساب وعددٍ لبلوغ أمرهما ونهاية آجالهما ، ويدوران لمصالح الخلق التي جُعِلا لها، وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ، لأن الله تعالى ذكره ذكَر قبلَه أياديه عند خلقه ، وعظم سلطانه ، بفلقه الإصباح لهم ، وإخراج النبات والغِراس من الحب والنوى ، وعقّب ذلك بذكره خلق النجوم لهدايتهم في البر والبحر. فكان وصفه إجراءه الشمس والقمرَ لمنافعهم ، أشبه بهذا الموضع من ذكر إضاءتهما ، لأنه قد وصف ذلك قبلُ بقوله : {فالق الإصباح}، فلا معنى لتكريره مرة أخرى في آية واحدة لغير معنى[١٩٠٥].

قوله تعالى:{ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [الأنعام : ٩٦]، أي:" ذلك تقدير العزيز الذي عزَّ سلطانه، العليم بمصالح خلقه وتدبير شئونهم"[١٩٠٦].

قال سعيد بن جبير:" {العليم}، يعني" عالما بها"[١٩٠٧].

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٩٧)} [الأنعام : ٩٧]

التفسير:

والله سبحانه هو الذي جعل لكم أيها الناس النجوم علامات، تعرفون بها الطرق ليلا إذا ضللتم بسبب الظلمة الشديدة في البر والبحر، قد بيَّنَّا البراهين الواضحة; ليتدبرها منكم أولو العلم بالله وشرعه.

(١٨٩٣)تفسير الطبري:٥٥٦/١١.
(١٨٩٤) انظر: الكشاف:٤٩/٢.
(١٨٩٥) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٨٩٦) انظر تفسير ابن ابي حاتم(٧٦٧٥):ص١٣٥٤/٤.
(١٨٩٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦٧٦):ص١٣٥٤/٤.
(١٨٩٨) انظر: الكشاف:٤٩/٢.
(١٨٩٩) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٩٠٠) اظر: تفسير الطبري(١٣٦١٠):ص٥٥٨/١١-٥٥٩.
(١٩٠١) اظر: تفسير الطبري(١٣٦٠٧):ص٥٥٨/١١.
(١٩٠٢) اظر: تفسير الطبري(١٣٦٠٨):ص٥٥٨/١١.
(١٩٠٣) اظر: تفسير الطبري(١٣٦٠٩):ص٥٥٨/١١.
(١٩٠٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٦١١):ص٥٥٩/١١.
(١٩٠٥) تفسير الطبري:٥٥٩/١١.
(١٩٠٦) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٩٠٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٦٨٠):ص١٣٥٥/٤.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ} [الأنعام : ٩٧]، أي:" والله سبحانه هو الذي جعل لكم أيها الناس النجوم علامات، تعرفون بها الطرق ليلا إذا ضللتم بسبب الظلمة الشديدة في البر والبحر "[١٩٠٨].

قال قتادة: "خلق الله هذه النجوم لثلاث زينة للسماء، ورجوما للشياطين، وعلامات يهتدى بها، فمن تأول فيها غير ذلك فقد أخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به "[١٩٠٩] .

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨)} [الأنعام : ٩٨]

التفسير:

والله سبحانه هو الذي ابتدأ خلقكم أيها الناس من آدم عليه السلام; إذ خلقه من طين، ثم كنتم سلالة ونسلا منه، فجعل لكم مستقَرًا تستقرون فيه، وهو أرحام النساء، ومُستودعًا تُحفَظُون فيه، وهو أصلاب الرجال، قد بينا الحجج وميزنا الأدلة، وأحكمناها لقوم يفهمون مواقع الحجج ومواضع العبر.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ} [الأنعام : ٩٨]، أي:" والله سبحانه هو الذي ابتدأ خلقكم أيها الناس من آدم عليه السلام; إذ خلقه من طين، ثم كنتم سلالة ونسلا منه، فجعل لكم مستقَرًا تستقرون فيه، وهو أرحام النساء، ومُستودعًا تُحفَظُون فيه، وهو أصلاب الرجال "[١٩١٠].

واختلف في تفسير قوله تعالى:{فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ} [الأنعام : ٩٨]، على اقوال:

أحدها : والثالث : «فمستقر»في أرحام النساء و«مستودع» في أصلاب الرجال ، قاله مجاهد[١٩١١]، والضحاك[١٩١٢]، وعطاء[١٩١٣]، وقتادة[١٩١٤]، وعكرمة[١٩١٥]، وإبراهيم[١٩١٦]، والسدي[١٩١٧].

الثاني: فمستقر في الأرض، و«مستودع» في الأصلاب ، قاله سعيد بن جبير[١٩١٨].

الثالث : «فمستقر» في الرحم، «ومستودع» في القبر ، قاله إبراهيم[١٩١٩]، ومقسم[١٩٢٠].

الرابع : «فمستقر»في الدنيا «ومستودع» في الآخرة ، قاله مجاهد[١٩٢١].

الخامس : «فمستقر»في الأرض «ومستودع» في القبر ، قاله الحسن[١٩٢٢].

السادس: «فمستقر» في الأرض على ظهورها ، «ومستودع» عند الله. وهذا مروي عن مجاهد[١٩٢٣]، وسعيد بن جبير[١٩٢٤].

السابع: أن «المستقر»، ما فرغ من خلقه. وهذا مروي عن السدي ايضا[١٩٢٥].

الثامن: ان «المستقر»: الذي قد مات فاستقر به عمله. وهذا مروي عن الحسن ايضا[١٩٢٦].

(١٩٠٨) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٩٠٩)أورده الإمام السيوطي في كتابه: الدرالمنثور (٣ / ٤٣).
(١٩١٠) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٩١١) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٤١)-(١٣٦٤٥):ص٥٦٨/١١.
(١٩١٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٥٦):ص٥٧٠/١١.
(١٩١٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٣٩):ص٥٦٨/١١.
(١٩١٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٥٥):ص٥٧٠/١١.
(١٩١٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٢٨):ص٥٦٥/١١.
(١٩١٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٤٦)-(١٣٦٥٠):ص٥٦٩/١١.
(١٩١٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٥٣):ص٥٧٠/١١.
(١٩١٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٢٠)(١٣٦٢١):ص٥٦٣/١١.
(١٩١٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٦١٨):ص٥٦٣/١١.
(١٩٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٦١٩):ص٥٦٣/١١.
(١٩٢١) انظر: النكت والعيون:١٣٥٦/٤، ولم أقف عليه بهذا اللفظ.
(١٩٢٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٥٩):ص٥٧١/١١.
(١٩٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٢٤):ص٥٦٥/١١.
(١٩٢٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٢٦):ص٥٦٥/١١.
(١٩٢٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٦٨٧):ص١٣٥٦/٤.
(١٩٢٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٦٨٩):ص١٣٥٦/٤.

وأولى التأويلات في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله جل ثناؤه عمّ بقوله : {فمستقر ومستودع}، كلَّ خلقه الذي أنشأ من نفس واحدة ، مستقرًّا ومستودعًا ، ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى. ولا شك أنّ من بني آدم مستقرًّا في الرحم ، ومستودعًا في الصلب ، ومنهم من هو مستقر على ظهر الأرض أو بطنها ، ومستودع في أصلاب الرجال ، ومنهم مستقر في القبر ، مستودع على ظهر الأرض. فكلٌّ «مستقر» أو «مستودع» بمعنى من هذه المعاني ، فداخل في عموم قوله :{فمستقر ومستودع } ومراد به ، إلا أن يأتي خبرٌ يجب التسليم له بأنه معنيٌّ به معنى دون معنى ، وخاص دون عام"[١٩٢٧].

قوله تعالى:{قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ} [الأنعام : ٩٨]، أي:" قد بينا الحجج وميزنا الأدلة، وأحكمناها لقوم يفهمون مواقع الحجج ومواضع العبر"[١٩٢٨].

قال قتادة:" يقول : قد بينا الآيات لقوم يفقهون"[١٩٢٩].

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٩٩)} [الأنعام : ٩٩]

التفسير:

والله سبحانه هو الذي أنزل من السحاب مطرًا فأخرج به نبات كل شيء، فأخرج من النبات زرعًا وشجرًا أخضر، ثم أخرج من الزرع حَبًّا يركب بعضه بعضًا، كسنابل القمح والشعير والأرز، وأخرج من طلع النخل -وهو ما تنشأ فيه عذوق الرطب- عذوقًا قريبة التناول، وأخرج سبحانه بساتين من أعناب، وأخرج شجر الزيتون والرمان الذي يتشابه في ورقه ويختلف في ثمره شكلا وطعمًا وطبعًا. انظروا أيها الناس إلى ثمر هذا النبات إذا أثمر، وإلى نضجه وبلوغه حين يبلغ. إن في ذلكم - أيها الناس - لدلالات على كمال قدرة خالق هذه الأشياء وحكمته ورحمته لقوم يصدقون به تعالى ويعملون بشرعه.

قوله تعالى:{أَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا} [الأنعام : ٩٩]، أي:" فأخرجنا من النبات شيئاً غضّاً أخضر، ثم أخرج من الزرع حَبًّا يركب بعضه بعضًا، كسنابل القمح والشعير والأرز"[١٩٣٠].

عن السدي قوله : " {منه خضرًا نخرج منه حبًّا متراكبًا}، فهذا السنبل"[١٩٣١].

قوله تعالى:{وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ} [الأنعام : ٩٩]، أي:" وأخرج من طلع النخل -وهو ما تنشأ فيه عذوق الرطب- عذوقًا قريبة التناول"[١٩٣٢].

قال الضحاك:" يعني: النخل القصارَ الملتزقة بالأرض ، و «القنوان»: طلعه"[١٩٣٣].

وفي معنى:«القنوان» قولان:

أحدهما : أنه الطلع ، قاله الضحاك[١٩٣٤].

الثاني : هي الأعذاق. وهذا قول ابن عباس[١٩٣٥]، وقتادة[١٩٣٦].

عن قتادة قوله : " {من طلعها قنوان دانية}، قال : عذوق متهدلة"[١٩٣٧].

عن الحسن:" دانية بعضها من بعض لتقاربها"[١٩٣٨].

قوله تعالى:{وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ} [الأنعام : ٩٩]، أي:" وأخرج سبحانه بساتين من أعناب"[١٩٣٩].

(١٩٢٧) تفسير الطبري:٥٧١/١١.
(١٩٢٨) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٩٢٩) أخرجه الطبري(١٣٦٦٠):ص٥٧٢/١١.
(١٩٣٠) صفوة التفاسير:٣٧٩/١.
(١٩٣١) أخرجه الطبري(١٣٦٦١):ص٥٧٤/١١.
(١٩٣٢) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٩٣٣) أخرجه الطبري(١٣٦٦٨):ص٥٧٦/١١.
(١٩٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٦٨):ص٥٧٦/١١.
(١٩٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٦٢):ص٥٧٦/١١.
(١٩٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٦٣):ص٥٧٦/١١.
(١٩٣٧) أخرجه الطبري(١٣٦٦٣):ص٥٧٦/١١.
(١٩٣٨) النكت والعيون: ١٤٩/٢.

قوله تعالى:{وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} [الأنعام : ٩٩]، أي:" وأخرج شجر الزيتون والرمان الذي يتشابه في ورقه ويختلف في ثمره شكلا وطعمًا وطبعًا"[١٩٤٠].

قال قتادة:" مشتبها ورقه، مختلفا ثمره"[١٩٤١].

قوله تعالى:{انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ} [الأنعام : ٩٩]، أي:" انظروا أيها الناس إلى ثمر هذا النبات إذا أثمر، وإلى نضجه وبلوغه حين يبلغ"[١٩٤٢].

قال الضحاك[١٩٤٣]،وعطاء الخراساني[١٩٤٤]، وقتادة[١٩٤٥]، والسدي[١٩٤٦]، وعبدالله بن ابي إسحاق البصري[١٩٤٧]:"{ينعه}، نضجه".

عن مجاهد قال: «الثُّمُر»[١٩٤٨]، هو المال، و"الثمر"، ثمر النخل"[١٩٤٩].

القرآن

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ (١٠٠)} [الأنعام : ١٠٠]

التفسير:

وجعل هؤلاء المشركون الجن شركاء لله تعالى في العبادة; اعتقادًا منهم أنهم ينفعون أو يضرون، وقد خلقهم الله تعالى وما يعبدون من العدم، فهو المستقل بالخلق وحده، فيجب أن يستقل بالعبادة وحده لا شريك له. ولقد كذب هؤلاء المشركون على الله تعالى حين نسبوا إليه البنين والبنات; جهلا منهم بما يجب له من صفات الكمال، تنزَّه وعلا عما نسبه إليه المشركون من ذلك الكذب والافتراء.

قوله تعالى:{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ} [الأنعام : ١٠٠]، أي:" وجعل هؤلاء المشركون الجن شركاء لله تعالى في العبادة; اعتقادًا منهم أنهم ينفعون أو يضرون"[١٩٥٠].

روي عن ابن جريج:" قوله :{وجعلوا لله شركاء الجن}، قال : قول : الزنادقة"[١٩٥١].

عن الضحاك في قوله:{وجعلوا لله شركاء}: يقول: هل تشركون عبيدكم في الذي لكم فتكونوا فيه سواء؟ فكيف ترضون لي ما لا ترضون لأنفسكم؟"[١٩٥٢].

وفي قوله تعالى:{وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ} [الأنعام : ١٠٠]، ثلاثة أقوال:

أحدهما : أن مشركي العرب جعلوا الملائكة بنات الله وشركاء له ، قاله قتادة[١٩٥٣]، والسدي[١٩٥٤]. كقوله تعالى :{وَجَعَلُواْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَباً وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ}، فَسَمَّى الملائكة لاختفائهم عن العيون جنة .

الثاني : أنه أطاعوا الشيطان في عبادة الأوثان حتى جعلوها شركاء لله في العبادة ، قاله الحسن[١٩٥٥].

(١٩٣٩) التفسير الميسر:١٤٠.

(١٩٤٠) التفسير الميسر:١٤٠.

(١٩٤١) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٧٠):ص٥٧٨/١١.

(١٩٤٢) التفسير الميسر:١٤٠.

(١٩٤٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٧٨):ص٥٨٢/١١.

(١٩٤٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٣٦٠/٤، حكاه دون ذكر السند.

(١٩٤٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٧٦):ص٥٨٢/١١.

(١٩٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٧٧):ص٥٨٢/١١.

(١٩٤٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٣٦٠/٤، حكاه دون ذكر السند.

(١٩٤٨)بالضم.

(١٩٤٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٧٢):ص٥٧٩/١١.

(١٩٥٠) التفسير الميسر:١٤٠.

(١٩٥١) أخرجه الطبري(١٣٦٨٩):ص٩/١٢.

(١٩٥٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧١٧):ص١٣٦٠/٤.

(١٩٥٣) انظر: النكت والعيون: ١٥٠/٢.

(١٩٥٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٨٧):ص٩/١٢.

(١٩٥٥) انظر: النكت والعيون:١٥٠/٢.

قوله تعالى:{وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام : ١٠٠]، أي:" ولقد كذب هؤلاء المشركون على الله تعالى حين نسبوا إليه البنين والبنات; جهلا منهم بما يجب له من صفات الكمال"[١٩٥٦].

وفي قوله تعالى:{وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام : ١٠٠]، وجوه:

أحدها: أن معنى :{خرقوا}: كذبوا ، قاله مجاهد[١٩٥٧]، والحسن[١٩٥٨]، وقتادة[١٩٥٩]، وابن جريج[١٩٦٠].

الثاني: معانه: وصفوا له. قاله الضحاك[١٩٦١].

الثالث: يعني: قطعوا له. وهذا قول السدي[١٩٦٢].

الرابع: يعني :أنهم تخرَّصوا. وهذا مروي عن قتادة[١٩٦٣] ــأيضا-.

والظاهر أن معنى قوله تعالى:{ وَخَرَقُوا}، أي : واختلقوا وائتفكوا ، وتخرّصوا وكذبوا ، كما قاله علماء السلف"[١٩٦٤].

قوله تعالى:{سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ} [الأنعام : ١٠٠]، أي:" تنزَّه الله وتقدّس وعلا عما نسبه إليه المشركون من ذلك الكذب والافتراء"[١٩٦٥].

روي عن ميمون بن مهران: عن «سبحان الله»، فقال: "اسم يعظم الله به، ويحاشى به من السوء"[١٩٦٦].

عن الضحاك في قوله:"{سبحانه} يقول: عجب"[١٩٦٧].

عن قتادة:" {سبحانه وتعالى عما يصفون }، عما يكذبون"[١٩٦٨].

القرآن

{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (١٠١)} [الأنعام : ١٠١]

التفسير:

والله تعالى هو الذي أوجد السموات والأرض وما فيهن على غير مثال سابق. كيف يكون له ولد ولم تكن له صاحبة؟ تعالى الله عما يقول المشركون علوًّا كبيرًا، وهو الذي خلق كل شيء من العدم، ولا يخفى عليه شيء من أمور الخلق.

قوله تعالى:{بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الأنعام : ١٠١]، أي: والله تعالى هو الذي أوجد السموات والأرض وما فيهن على غير مثال سابق"[١٩٦٩].

قال السدي:" يقول: ابتدعهما فخلقهما، ولم يخلق قبلهما شيئا فيتمثل عليه"[١٩٧٠]. وروي عن مجاهد نحو ذلك[١٩٧١].

قال أبو العالية:"يعني قوله: {بديع السماوات والأرض}، ابتدع خلقها، ولم يشركه في خلقها أحد"[١٩٧٢]. وروي عن الربيع بن أنس نحو ذلك[١٩٧٣].

(١٩٥٦) التفسير الميسر:١٤٠.

(١٩٥٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٧٢١):ص١٣٦٠/٤.

(١٩٥٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٣٦٠/٤. حكاه دون السند.

(١٩٥٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٧٢٣):ص١٣٦١/٤.

(١٩٦٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٨٩):ص٩/١٢.

(١٩٦١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٧٢٢):ص١٣٦١/٤.

(١٩٦٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٧٢٠):ص١٣٦٠/٤.

(١٩٦٣) انظر:تفسير الطبري(١٣٦٨٦):ص٨/١٢، و تفسير ابن أبي حاتم:١٣٦٠/٤.حكاه دون ذكر السند.

(١٩٦٤) تفسير ابن كثير:٣٠٧/٣.

(١٩٦٥) انظر: التفسير الميسر:١٤٠، وصفوة التفاسير:٣٧٩/١.

(١٩٦٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٢٧):ص١٣٦١/٤.

(١٩٦٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٢٨):ص١٣٦١/٤.

(١٩٦٨) أخرجه الطبري(١٣٦٩٢):ص١٢/١٠-١١.

(١٩٦٩) التفسير الميسر:١٤٠.

(١٩٧٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٣١):ص١٣٦٢/٤.

(١٩٧١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٦٢/٤. حكاه دون ذكر السند.

قوله تعالى:{وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الأنعام : ١٠١]، أي: ولا يخفى عليه شيء من أمور الخلق"[١٩٧٤].
قال سعيد بن جبير:" يعني: من أعمالكم عليم"[١٩٧٥].

القرآن
{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ (١٠٢)} [الأنعام : ١٠٢]
التفسير:
ذلكم -أيها المشركون- هو ربكم جل وعلا لا معبود بحق سواه، خالق كل شيء فانقادوا واخضعوا له بالطاعة والعبادة. وهو سبحانه على كل شيء وكيل وحفيظ، يدبر أمور خلقه.[١٩٧٦].
قوله تعالى:{ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [الأنعام : ١٠٢]، أي:" ذلكم -أيها المشركون- هو ربكم جل وعلا"[١٩٧٧].
قوله تعالى:{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [الأنعام : ١٠٢]، أي:"لا معبود بحق سواه"[١٩٧٨].
قال محمد ابن إسحاق:" أي: ليس معه غيره شريك في أمره"[١٩٧٩].
قوله تعالى:{وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ} [الأنعام : ١٠٢]، أي:" وهو سبحانه على كل شيء وكيل وحفيظ، يدبر أمور خلقه"[١٩٨٠].
عن الحسن، {وكيلا}، :" أي: حفيظا لأعمالهم"[١٩٨١].
عن قتادة : " {وكفى بالله وكيلا}، قال : حفيظًا"[١٩٨٢].

القرآن
{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣)} [الأنعام : ١٠٣]
التفسير:
لا ترى اللهَ الأبصارُ في الدنيا، أما في الدار الآخرة فإن المؤمنين يرون ربهم بغير إحاطة، وهو سبحانه يدرك الأبصار ويحيط بها، ويعلمها على ما هي عليه، وهو اللطيف بأوليائه الذي يعلم دقائق الأشياء، الخبير الذي يعلم بواطنها.
قوله تعالى:{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} [الأنعام : ١٠٣]، أي:" أي لا تصل إليه الأبصار ولا تحيط به"[١٩٨٣].
اختلف في تفسير قوله تعالى:{لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ} [الأنعام : ١٠٣]، على قولين:
أحدهما : معناه: لا تحيط به الأبصار ، وهو يحيط بالأبصار. وهذا قول قتادة[١٩٨٤]، وعطية العوفي[١٩٨٥].
القول الثاني : معناه: لا تراه الأبصار وهو يرى الأبصار. وهذا قول السدي[١٩٨٦].
واعتل قائلو ذلك بأمرين[١٩٨٧]:

(١٩٧٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٣٠):ص١٣٦٢/٤.
(١٩٧٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٦٢/٤. حكاه دون ذكر السند.
(١٩٧٤) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٩٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٣٢):ص١٣٦٢/٤.
(١٩٧٦) التفسير الميسر:١٤١.
(١٩٧٧) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٩٧٨) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٩٧٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٣٣):ص١٣٦٢/٤.
(١٩٨٠) التفسير الميسر:١٤٠.
(١٩٨١) تفسير ابن أبي زمنين: ٤٠٥/١.
(١٩٨٢) اخرجه الطبري(١٠٦٧٥):ص٢٩٧/٩.
(١٩٨٣) انظر: التفسير الميسر:١٤٠، وصفوة التفاسير:٣٨٠/١.
(١٩٨٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٩٥):ص١٣/١٢.
(١٩٨٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٩٦):ص١٣/١٢-١٤.
(١٩٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٩٧):ص١٦/١٢.
(١٩٨٧) انظر: تفسير الطبري:١٧/١٢-١٨.

أحدهما : أن الأبصار ترى ما بينها ولا ترى ما لاصقها ، وما بين البصر فلا بد أن يكون بينهما فضاء ، فلو رأته الأبصار لكان محدوداً ولخلا منه مكان ، وهذه صفات الأجسام التي يجوز عليها الزيادة والنقصان .

والثاني : أن الأبصار تدرك الألوان كما أن السمع يدرك الأصوات ، فلما امتنع أن يكون ذا لون امتنع أن يكون مرئياً ، كما أن ما امتنع أن يكون ذا صوت امتنع أن يكون مسموعاً .

وقد روي عن مسروق، عن عائشة قالت: "من حدَّثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ربَّه فقد كذب! {لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار}، {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} ، [سورة الشورى: ٥١] ، ولكن قد رأى جبريل في صورته مرتين"[١٩٨٨].

قال ابن كثير:" ورواه غير واحد عن مسروق ، وثبت في الصحيح وغيره عن عائشة غير وجه[١٩٨٩]، وقد خالفها ابن عباس ، فعنه إطلاق الرؤية، وعنه أنه رآه بفؤاده مرتين"[١٩٩٠].

والمشهور[١٩٩١]عن ابن عباس أنه رآه بعينه، وحجته قوله تعالى:{مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى} [النجم : ١١] [١٩٩٢].

وروي ذلك عنه من طرق، وقال: "إن الله عز وجل اصطفى إبراهيم بالخلة، واصطفى موسى بالكلام، واصطفى محمدا بالرؤية"[١٩٩٣].

وذكر ابن إسحاق: "أن ابن عمر أرسل إلى ابن عباس يسأله: هل رأى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ربه؟ فقال: نعم"[١٩٩٤].

وحكى عبد الرزاق: أن الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه[١٩٩٥].

قال القرطبي:"وحكاه أبو عمر الطلمنكي[١٩٩٦] عن عكرمة، وحكاه بعض المتكلمين عن ابن مسعود، والأول عنه أشهر"[١٩٩٧]. يعني: رؤية جبريل-عليه السلام-

وحكى أبو عمر الطلمنكي عن عكرمة: أنه رأى ربه -يعني بقلبه[١٩٩٨]، وحكى بعض المتكلمين هذا المذهب عن ابن مسعود[١٩٩٩].

وحكى ابن إسحاق أن مروان سأل أبا هريرة: "هل رأى محمد ربه؟ فقال: نعم"[٢٠٠٠].

وحكى النقاش عن أحمد بن حنبل أنه قال: "أنا أقول بحديث ابن عباس: بعينه رآه رآه! حتى انقطع نفسه، يعني نفس أحمد"[٢٠٠١].

وحكى عبد الله بن أحمد، عن أبيه أنه قال: رآه"[٢٠٠٢].

(١٩٨٨) أخرجه الطبري(١٣٦٩٨):ص١٦/١٢.

(١٩٨٩)رواه البخاري في صحيحه برقم (٤٦١٢) ومسلم في صحيحيه برقم (١٧٧) والترمذي في السنن برقم (٣٠٦٨) من طريق الشعبي ، عن مسروق به.

(١٩٩٠) تفسير ابن كثير:٣٠٩/٣.

(١٩٩١)قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في "مجموع الفتاوى" ٦/ ٥٠٩ - ٥١٠: الذي ثبت عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين؛ وعائشة أنكرت الرؤية. فمن الناس من جمع بينهما؛ فقال: عائشة أنكرت رؤية العين وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد، والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد .. ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه. وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل كما في "صحيح مسلم" عن أبي ذر قال: سألت رسول الله هل رأيت ربك؟ فقال: "نور أنى أراه .. ". اهـ..[مجموع الفتاوى:٥٠٩/٦].

(١٩٩٢) انظر: تفسير القرطبي:٥٦/٧.

(١٩٩٣) المعجم الكبير للطبرني(١١٩١٤):ص٣٣٢/١١، والشريعة للآجري(٦٨٧):ص١١١٥/٣، ورؤية الله للدارقطني(٢٦٢):ص٣٤٥، وغيرها. صححه الألباني في ظلال الجنة: ٤٣٦.

(١٩٩٤)رواه عبد الله بن أحمد في "السنة" ١/ ١٧٥، ورواه ابن أبي شيبة في "العرش" ص٦٩ (٣٨).

(١٩٩٥)رواه عبد الرزاق في "تفسيره" ٢/ ٤٠٢ (٣٠٣٣).

(١٩٩٦)قال العلامة الشمني في "مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء" ١/ ١٩٧: الظاهر أنه الطلمنكي.

(١٩٩٧) انظر: تفسير القرطبي:٥٦/٧.

(١٩٩٨) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح:١٠٧/١٩.

(١٩٩٩) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح:١٠٧/١٩.

(٢٠٠٠) انظر: تفسير القرطبي:٥٦/٧.

(٢٠٠١) انظر: تفسير القرطبي:٥٦/٧، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح:١٠٧/١٩.

وإلى هذا ذهب الشيخ أبو الحسن الأشعري وجماعة من أصحابه أن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى الله ببصره وعيني رأسه"[٢٠٠٣].

وروى ابن مردويه في "تفسيره"، عن الضحاك وعكرمة في حديث طويل، وفيه: "فلما أكرمني ربي برؤيته بأن أثبت بصري في قلبي احتد بصري لرؤية نور العرش .. " الحديث، ورواه اللالكائي من حديث حماد بن سلمة، عن قتادة، عن عكرمة، عن ابن عباس مرفوعا: "رأيت ربي جل وعز" [٢٠٠٤]، ومن حديث أبي هريرة قال: "رأيت ربي جل وعز .. " الحديث[٢٠٠٥].

وقال جماعة منهم أبو العالية والقرظي والربيع بن أنس: "إنه إنما رأى ربه بقلبه وفؤاده"[٢٠٠٦]. وحكي عن ابن عباس أيضا وعكرمة[٢٠٠٧].

وروى عطاء، عن ابن عباس: رآه بقلبه[٢٠٠٨]، وكذا رواه عكرمة عند الترمذي محسنا[٢٠٠٩].

وفي "صحيح مسلم" عن أبي العالية عنه: "رآه بفؤاده مرتين"[٢٠١٠].

وقال أبو عمر: "قال أحمد بن حنبل رآه بقلبه، وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالأبصار"[٢٠١١].

وعن مالك بن أنس قال: "لم ير في الدنيا، لأنه باق ولا يرى الباقي بالفاني، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصارا باقية رأوا الباقي بالباقي"[٢٠١٢].

قال القاضي عياض: "وهذا كلام حسن مليح، وليس فيه دليل على الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة، فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية لم يمتنع في حقه"[٢٠١٣].

ومذهب أهل السنة: إثبات رؤية الله عز وجل عيانا جاء به القرآن والسنة، قال الله تعالى: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ(٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ } [القيامة : ٢٢ ، ٢٣]، وقال: { كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ } [المطففين : ١٥]، قال مالك رضي الله عنه:«لو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعير الله الكفار بالحجاب»[٢٠١٤].

وقرأ النبي صلى الله عليه وسلم: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس : ٢٦]»[٢٠١٥] ، وفسره بالنظر إلى وجه الله عز وجل"[٢٠١٦][٢٠١٧].

(٢٠٠٢) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح:١٠٧/١٩.

(٢٠٠٣) انظر: تفسير القرطبي:٥٦/٧.

(٢٠٠٤) شرح أصول الاعتقاد: ٣/ ٥٦٧ (٨٩٧).

(٢٠٠٥)السابق ٣/ ٥٧٥ (٩١٩)، ولفظه: رأيت ربي في منامي في أحسن صورة.

(٢٠٠٦) انظر: تفسير القرطبي:٥٦/٧.

(٢٠٠٧) انظر: الشفا:٣٧٨/١، وتفسير القرطبي:٥٦/٧.

(٢٠٠٨)"صحيح مسلم" (١٧٦) في الإيمان, باب معنى قول الله -عز وجل- {ولقد رآه نزلة أخرى}.

(٢٠٠٩)"سنن الترمذي" (٣٢٨١)، وانظر: "صحيح الترمذي" (٢٦١٥).

(٢٠١٠)"صحيح مسلم" (١٧٦/ ٢٨٥).

(٢٠١١) انظر: تفسير القرطبي:٥٦/٧، والتوضيح لشرح الجامع الصحيح:١٠٧/١٩.

(٢٠١٢) انظر: تفسير القرطبي:٥٦/٧.

(٢٠١٣) انظر: الشفا:٣٨٤/١، ونقله القرطبي في تفسيره:٥٦/٧.

(٢٠١٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(٨٠٨):ص٥١٨/٣، وتفسير البغوي:١٧٤/٣.

(٢٠١٥) الحديث: عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا: يا أهل الجنة، إن لكم موعدا عند الله موعدا (١) لم تروه، فقالوا: وما هو؟ ألم تبيض وجوهنا وتزحزحنا (٢) عن النار، وتدخلنا الجنة؟ " قال: " فيكشف (٣) الحجاب، فينظرون إليه، فوالله ما أعطاهم الله شيئا أحب إليهم منه " ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم: {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} (٤) [يونس: ٢٦].[إسناده صحيح]

اخرجه احمد(١٨٩٣٥):ص٢٦٥/٣١، مسلم (١٨١) (٢٩٨) ، وابن خزيمة في "التوحيد" ص١٨١، والشاشي (٩٨٨) و (٩٨٩) ، والآجري في "الشريعة" ص٢٦١، واللالكائي في "شرح أصول الاعتقاد" (٨٣٣) ، والبيهقي في "الاعتقاد" ص٧٩ من طريق يزيد ابن هارون.

وأخرجه الطيالسي (١٣١٥) ، وهناد في "الزهد" (١٧١) ، والدارمي في "الرد على الجهمية" ص ٤٦، وابن ماجه (١٨٧) ، وابن أبي عاصم في "السنة" (٤٧٢) ، والبزار في "مسنده" (٢٠٨٧) ، والطبري في "تفسيره" (١٧٦٢٦) ، وأبو عوانة ١٥٦/١، والشاشي (٩٩٠) ، والطبراني في "الكبير" (٧٣١٤) و (٧٣١٥) ، وفي "الأوسط" (٧٦٠) ، وابن عدي في "الكامل" ٦٧٦/٢، وابن منده في "السنة" (٧٨٤) و (٧٨٥) و (٧٨٦) ، واللالكائي (٨٧٨) ، وأبو نعيم في "الحلية" ١٥٥/١، والبيهقي في "البعث والنشور" (٤٩١) ، والبغوي في "شرح السنة" (٤٣٩٣) من طرق عن حماد بن سلمة.

وأخرج الآجري بسنده إلى عبد الله بن وهب قال: "قال مالك - رحمه الله تعالى - "الناس ينظرون إلى الله عز وجل يوم القيامة بأعينهم"[٢٠١٨].

وممن صرح بأن الله عز وجل يرى يوم القيامة بالأبصار وأنكر على من أنكر ذلك. إمام أهل السنة أحمد بن حنبل - رحمه الله -[٢٠١٩].

قوله تعالى:{وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الأنعام : ١٠٣]، أي:" وهو سبحانه يدرك الأبصار ويحيط بها، ويعلمها على ما هي عليه"[٢٠٢٠].

وعن أبي العالية:"{اللطيف} باستخراجها،{الخبير}، بمكانها"[٢٠٢١].

القرآن

{قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ (١٠٤)} [الأنعام : ١٠٤]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: قد جاءتكم براهين ظاهرة تبصرون بها الهدى من الضلال، مما اشتمل عليها القرآن، وجاء بها الرسول عليه الصلاة والسلام، فمَن تبيَّن هذه البراهين وآمن بمدلولها فنَفْعُ ذلك لنفسه،

وخالف حماد بن سلمة في رفعه حماد بن زيد فيما أخرجه الطبري في "تفسيره" (١٧٦١٩) و (١٧٦٢٢) ، والدارقطني في "الرؤية" (٢٠٨) و (٢٠٩) و (٢١٠) ، وسليمان بن المغيرة فيما أخرجه الطبري (١٧٦٢٠) و (١٧٦٢١) ، والدارقطني (٢١١) ، ومعمر فيما أخرجه الطبري (١٧٦٢٣) ، والدارقطني (٢١٢) و (٢١٣) ثلاثتهم عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قوله.

وقد أشار إلى إرساله الترمذي عقب الرواية رقم (٢٥٥٢) ، فقال: هذا حديث إنما أسنده حماد بن سلمة ورفعه، وروى سليمان بن المغيرة وحماد بن زيد هذا الحديث عن ثابت البناني، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قوله. يعني لم يذكر فيه: عن صهيب، عن النبي صلى الله عليه وسلم كما وضح ذلك عقب الرواية (٣١٠٥).

ولا يضر إرساله، لأن حماد بن سلمة أثبت الناس في ثابت البناني، والقول قوله فيما خولف فيه. فقد قال ابن معين: من خالف حماد بن سلمة في ثابت فالقول قول حماد، قيل: فسليمان بن المغيرة، عن ثابت؟ قال: سليمان ثبت وحماد أعلم الناس بثابت. وقد أخرجه مسلم مرفوعا كما رأيت.

وسيأتي بالأرقام (١٨٩٣٦) و (١٨٩٤١) و١٥/٦.

قال السندي: قوله: "لم تروه"، أي: ما رأيتموه إلى الآن.

"ألم تبيض"، بالخطاب مع الله تعالى.

"وتزحزحنا" بإعجام زاي وإهمال حاء مكررتين، أي: تبعدنا.

"ثم تلا": لبيان أن المراد بالزيادة النظر إلى وجهه الكريم جل وعلا.

(٢٠١٦) تفسير البغوي:٣/١٧٣-١٧٤.

(٢٠١٧) وروي عن عن عبد الرحمن بن سابط ، قال: "الزيادة: النظر إلى وجه ربهم عز وجل".

ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤ / ٣٥٩) وعزاه لابن جرير والدارقطني.

وقد أخرجه ابن أبي شيبة في "المصنف" (١٣ / ٤٢٩ / رقم ١٦٨١٥) .وسعيد بن منصور في سننه(١٠٥٩):ص٥/٣١١.

وابن جرير في "تفسيره" (١٥ / ٦٩ / رقم ١٧٦٣٢) .

وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤ / ل ١٢٤ / ب) .

والدارقطني في "الرؤية" (ص ٣٠٥ / رقم ٢٢١ و ٢٢٢) .

واللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (٣ / ٥١٢ / رقم ٧٩٥) .

جميعهم من طريق جرير بن عبد الحميد، به.

وروي عن عن حذيفة: " {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} [يونس: ٢٦] "، قال: «النظر إلى وجه الله». [مصنف ابن أبي شيبة(٣٤٨٠٦):ص٧/١٤٠].

وروي عن أبي بكر الصديق، في قوله: {للذين أحسنوا الحسنى وزيادة} [يونس: ٢٦] قال: " الزيادة: النظر إلى وجه الله عز وجل ". [مسند إسحاق بن راهويه(١٤٢٤):ص٣/٧٩٣]

(٢٠١٨)الشريعة : ٢٥٤.

(٢٠١٩)انظر: "الرد على الجهمية والزنادقة له ص ١٢٦ وما بعدها" وانظر: "الشريعة ص ٢٥٤ و٢٥٥" والإمام الشافعي - رحمه الله -. انظر: "شرح أصول اعتقاد أهل السنة ص ٢/ ٤٦٨/ ٨٠٩" وهو مروي عن عدد من الصحابة والتابعين وغيرهم من السلف الصالح. انظر: المصدر السابق ٢/ ٤٧٠ وما بعدها.

(٢٠٢٠) التفسير الميسر:١٤٠.

(٢٠٢١) أخرجه الطبري(١٣٧٠٢):ص١٢/٢٣.

ومَن لم يبصر الهدى بعد ظهور الحجة عليه فعلى نفسه جنى، وما أنا عليكم بحافظ أحصي أعمالكم، وإنما أنا مبلغ، والله يهدي مَن يشاء ويضل مَن يشاء وَفْق علمه وحكمته.

قوله تعالى:{قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ} [الأنعام : ١٠٤]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: قد جاءتكم براهين ظاهرة تبصرون بها الهدى من الضلال، مما اشتمل عليها القرآن، وجاء بها الرسول عليه الصلاة والسلام"[٢٠٢٢].

عن قتادة:"{قد جاءكم بصائر من ربكم}، أي: بينة"[٢٠٢٣].

القرآن

{وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١٠٥)} [الأنعام : ١٠٥]

التفسير:

وكما بيَّنَّا في هذا القرآن للمشركين البراهين الظاهرة في أمر التوحيد والنبوة والمعاد نبيِّن لهم البراهين في كل ما جهلوه فيقولون عند ذلك كذبًا: تعلمت من أهل الكتاب، ولنبين -بتصريفنا الآيات- الحقَّ لقوم يعلمونه، فيقبلونه ويتبعونه، وهم المؤمنون برسول الله محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ} [الأنعام : ١٠٥]، أي:" وكما بيَّنَّا في هذا القرآن للمشركين البراهين الظاهرة في أمر التوحيد والنبوة والمعاد نبيِّن لهم البراهين في كل ما جهلوه"[٢٠٢٤].

عن السدي:"{وكذلك نصرف الآيات}، لهؤلاء العادلين بربهم، كما صرفتها في هذه السورة، ولئلا يقولوا: {درسْتَ}"[٢٠٢٥].

قوله تعالى:{وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ} [الأنعام : ١٠٥]، أي:" أي وليقول المشركون درست يا محمد في الكتب وقرأت فيها وجئتَ بهذا القرآن"[٢٠٢٦].

قال السدي:" يعني: دراسة القرآن"[٢٠٢٧].

وفي قوله تعالى:{ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ} [الأنعام : ١٠٥]، خمس قراءات يختلف تأويلها بحسب اختلافها:

إحداهن : « دَرَسْتَ»، بمعنى: قرأت وتعلمت من أهل الكتاب، تقول ذلك قريش للنبي -صلى الله عليه وسلم- ، قاله الضحاك[٢٠٢٨]، وهي قراءة حمزة[٢٠٢٩]، والكسائي[٢٠٣٠]، وأبي بن كعب[٢٠٣١].

الثانية : «دَارَسْتَ»، بجزم السين ، ونصب التاء، بمعنى: ذاكرت وقارأت ، قاله مجاهد[٢٠٣٢]، وسعيد بن جبير[٢٠٣٣]، وهي قراءة ابن كثير[٢٠٣٤]، وأبي عمرو[٢٠٣٥].

الثالثة :«دَرَسَتْ»، بتسكين التاء، بمعنى: انمحت وتقادمت ، قاله الحسن[٢٠٣٦]، وهي قراءة ابن عامر[٢٠٣٧]، وابن مسعود[٢٠٣٨].

الرابعة : «دُرِسَتْ»، بضم الدال، لما لم يسم فاعله تليت وقرئت ، قاله قتادة[٢٠٣٩].

(٢٠٢٢) التفسير الميسر:١٤٠.

(٢٠٢٣) أخرجه الطبري(١٣٧٠٤):ص٢٤/١٢.

(٢٠٢٤) التفسير الميسر:١٤٠.

(٢٠٢٥) أخرجه الطبري(١٣٧٠٥):ص٢٥-٢٦.

(٢٠٢٦) صفوة التفاسير:٣٨٠/١.

(٢٠٢٧) أخرجه الطبري(٧٧٥٤):ص١٣٦٥/٤.

(٢٠٢٨) انظر:تفسير الطبري(١٣٧١٠):ص٢٧/١٢.

(٢٠٢٩) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٤، والنكت والعيون١٥٣/٢-١٥٤.

(٢٠٣٠) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٤، والنكت والعيون١٥٣/٢-١٥٤.

(٢٠٣١) رواه عنه ابن مردويه، كما في تفسير ابن كثير:٣١٣/٣-٣١٤، والحاكم في المستدرك (٢٣٨/٢)، وقال:" صحيح الإسناد ولم يخرجاه".

(٢٠٣٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٧٥٢):ص١٣٦٥/٤. بمعنى:" فاقهت وقرأت على يهود وقرءوا عليك".

(٢٠٣٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٧٥٠):ص١٣٦٥/٤.

(٢٠٣٤) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٤، والنكت والعيون١٥٣/٢-١٥٤.

(٢٠٣٥) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٤، والنكت والعيون١٥٣/٢-١٥٤.

(٢٠٣٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٧٥٣):ص١٣٦٥/٤، وتفسير الطبري(١٣٧٣١):ص٣٠/١٢.

(٢٠٣٧) انظر: السبعة في القراءات:٢٦٤، والنكت والعيون١٥٣/٢-١٥٤.

(٢٠٣٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٣٢):ص٣٠/١٢.

قوله تعالى:{وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأنعام : ١٠٥]، أي:" ولنبين -بتصريفنا الآيات- الحقَّ لقوم يعلمونه، فيقبلونه ويتبعونه"(٢٠٤٠).

القرآن

{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ (١٠٧)} [الأنعام : ١٠٧]

التفسير:

ولو شاء الله تعالى أن لا يشرك هؤلاء المشركون لما أشركوا، لكنه تعالى عليم بما سيكون من سوء اختيارهم واتباعهم أهواءهم المنحرفة. وما جعلناك -أيها الرسول- عليهم رقيبًا تحفظ عليهم أعمالهم، وما أنت بقَيِّمٍ عليهم تدبر مصالحهم.

قوله تعالى:{وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ} [الأنعام : ١٠٧]، أي:" وما أنت بقَيِّمٍ عليهم تدبر مصالحهم"(٢٠٤١).

قال قتادة:" أي: بحفيظ"(٢٠٤٢).

القرآن

{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨)} [الأنعام : ١٠٨]

التفسير:

ولا تسبوا -أيها المسلمون- الأوثان التي يعبدها المشركون -سدًّا للذريعة- حتى لا يتسبب ذلك في سبهم الله جهلا واعتداءً: بغير علم. وكما حسَّنَّا لهؤلاء عملهم السيئ عقوبة لهم على سوء اختيارهم، حسَّنَّا لكل أمة أعمالها، ثم إلى ربهم معادهم جميعًا فيخبرهم بأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا، ثم يجازيهم بها.

في سبب نزول الآية قولان:

أحدهما: قال قتادة:"كان المسلمون يسبون أصنام الكفار؛ فيسب الكفارُ الله عدواً بغير علم؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}"(٢٠٤٣). [ضعيف]

الثاني: قال السدي:" لما حضر أبا طالب الموت؛ قالت قريش: انطلقوا بنا فلندخل على هذا الرجل، فلنأمره أن ينهى عنا ابن أخيه؛ فإنا نستحي أن نقتله بعد موته، فتقول العرب: كان يمنعه، فلما مات قتلوه، فانطلق أبو سفيان وأبو جهل والنضر بن الحارث وأمية وأبيّ ابنا خلف وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص والأسود بن البختري، وبعثوا رجلًا منهم يقال له: المطلب، قالوا: استأذن على أبي طالب، فأتى أبا طالب، فقال: هؤلاء مشيخة قومك يريدون الدخول عليك، فأذن لهم فدخلوا عليه، فقالوا: يا أبا طالب! أنت كبيرنا وسيدنا، وإن محمداً قد آذانا وآذى آلهتنا؛ فنحب أن تدعوه فتنهاه عن ذكر آلهتنا، ولندعه وإلهه، فدعاه فجاء النبي - صلى الله عليه وسلم -، فقال له أبو طالب: هؤلاء قومك وبنو عمك، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ما تريدون"؟ قالوا: نريد أن تدعنا وآلهتنا وندعك وإلهك، قال له أبو طالب: قد أنصفك قومك فاقبل منهم، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أرأيتم إن أعطيتكم هذا هل أنتم معطيّ كلمة إن تكلمتم بها؛ ملكتم العرب، ودانت لكم بها المعجم بالخراج"؟ قال أبو جهل: نعم وأبيك لنعطينكها وعشر أمثالها، فما هي؟ قال: "قولوا: لا إله إلا الله"، فأبوا واشمأزوا، قال أبو طالب: يا ابن أخي! قل غيرها؛ فإن قومك قد فزعوا منها، قال: "يا عم! ما أنا بالذي أقول غيرها حتى يأتوا بالشمس فيضعوها يزيدي ولو أتوني بالشمس فوضعوها في يدي ما قلت

(٢٠٣٩) انظر: (١٣٧٢٩)، و(١٣٧٣٠):ص٣٠/١٢.

(٢٠٤٠) التفسير الميسر:١٤٠.

(٢٠٤١) التفسير الميسر:١٤٠.

(٢٠٤٢) اخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٥٩):ص١٣٦٦/٤.

(٢٠٤٣)أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (١/ ٢/ ٢١٥)، والطبري في "جامع البيان" (١٣٧٣٩):ص٣٤/١٢، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٦٦/ ٧٧٦١) عن معمر عن قتادة به.

قلنا: وهذا مرسل رجاله ثقات.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٣) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

غيرها؛ إرادة أن يؤيسهم"، فغضبوا وقالوا: لتكفن عن شتمك آلهتنا؛ أو لنشتمنك ولنشتمن من يأمرك؛ فذلك قوله: {فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}"[٢٠٤٤]. [ضعيف]

قوله تعالى:{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام : ١٠٨]، أي:" ولا تسبوا -أيها المسلمون- الأوثان التي يعبدها المشركون -سدًّا للذريعة- حتى لا يتسبب ذلك في سبهم الله جهلا واعتداءً: بغير علم "[٢٠٤٥].

قال قتادة:" كان المسلمون يسبون أوثان المشركين، فيردون ذلك عليهم، فنهاهم الله أن يستسبوا لربهم قوما جهلة لا علم لهم بربهم"[٢٠٤٦].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ} [الأنعام : ١٠٨]، أي:" وكما حسَّنَّا لهؤلاء عملهم السيئ عقوبة لهم على سوء اختيارهم، حسَّنَّا لكل أمة أعمالها"[٢٠٤٧].

عن الحسن:" كما زينا لكم فعل ما أمرناكم به من الطاعات كذلك زينا لمن تقدم من المؤمنين فعل ما أمرناهم به من الطاعات"[٢٠٤٨].

قوله تعالى:{ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ} [الأنعام : ١٠٨]، أي:" ثم إلى ربهم معادهم جميعًا

قال أبو العالية:" يرجعون إليه بعد الحياة"[٢٠٤٩].

القرآن

{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩)} [الأنعام : ١٠٩]

التفسير:

وأقسم هؤلاء المشركون بأيمان مؤكَّدة: لئن جاءنا محمد بعلامة خارقة لنصدقنَّ بما جاء به، قل -أيها الرسول- : إنما مجيء المعجزات الخارقة من عند الله تعالى، هو القادر على المجيء بها إذا شاء، وما يدريكم أيها المؤمنون: لعل هذه المعجزات إذا جاءت لا يصدِّق بها هؤلاء المشركون.

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: قال محمد بن كعب القرظي: "كلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قريش، فقالوا: يا محمد! تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة؛ فأتنا بشيء من الآيات حتى نصدقك، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "أيّ شيء تحبون أن آتيكم به"، قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً، فقال لهم: "فإن فعلت؛ تصدقوني؟ "، قالوا: نعم، والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يدعو، فجاءه جبريل - عليه السلام-، فقال له: "لك ما شئت: إن شئت أصبح ذهبًا، ولئن أرسل آية فلم يصدقوا عند ذلك؛ لنعذبنهم، وإن شئت فاتركهم حتى يتوب تائبهم"، فقال: "بل يتوب تائبهم"؛ فأنزل الله -تعالى-: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)} "[٢٠٥٠]. [ضعيف]

(٢٠٤٤)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٧٤٠):ص١٢/٣٤-٣٥، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٦٧ رقم ٧٧٦٢) كلاهما من طريق أسباط بن نصر ثنا السدي به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الإعضال.

الثانية: أسباط هذا؛ صدوق كثير الخطأ ويغرب.

(٢٠٤٥) التفسير الميسر:١٤٠.

(٢٠٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٧٦٣):ص١٣٦٧/٤.

(٢٠٤٧) التفسير الميسر:١٤٠.

(٢٠٤٨) انظر: النكت والعيون:١٥٥/٢.

(٢٠٤٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٦٤)ص١٣٦٨/٤.

(٢٠٥٠)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٧٤٦):ص١٢/٣٨-٣٩، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ٢٢٢-٢٢٣) من طريق أبي معشر المدني عنه.

الثاني: عن ابن جريج: "{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ} في المستهزئين، هم الذين سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الآية، فنزل فيهم: {وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ (١٠٩) وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠) وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)} "[٢٠٥١]. [ضعيف]

قوله تعالى:{وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ} [الأنعام : ١٠٩]، أي:" حلف كفار مكة بأغلظ الأيمان وأشدها"[٢٠٥٢].

عن مجاهد في قول الله:" {وأقسموا بالله جهد أيمانهم}، قال: هي يمين"[٢٠٥٣].

قوله تعالى:{لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا} [الأنعام : ١٠٩]، أي:" لئن جاءنا محمد بعلامة خارقة لنصدقنَّ بما جاء به"[٢٠٥٤].

قال الطبري:" يقول: قالوا: نقسم بالله لئن جاءتنا آية تصدِّق ما تقول، يا محمد، مثلُ الذي جاء مَنْ

قال مجاهد:" سألت قريش محمدًا أن يأتيهم بآية، واستحلفهم: ليؤمننّ بها"[٢٠٥٥].

عن محمد بن كعب القرظي:" قالوا: تجعل لنا الصفا ذهبا[٢٠٥٦].

قوله تعالى:{وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام : ١٠٩]، أي:" وما يدريكم أيها المؤمنون: لعل هذه المعجزات إذا جاءت لا يصدِّق بها هؤلاء المشركون"[٢٠٥٧].

وروي عن مجاهد قوله: "{إنما الآيات عند الله وما يشعركم} ، وما يدريكم أنكم تؤمنون إذا جاءت. ثم استقبل يخبر عنهم فقال: {إذا جاءت لا يؤمنون}"[٢٠٥٨]. وروي عن ابن زيد نحو هذا المعنى[٢٠٥٩].

القرآن

{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١١٠)} [الأنعام : ١١٠]

التفسير:

ونقلب أفئدتهم وأبصارهم، فنحول بينها وبين الانتفاع بآيات الله، فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بآيات القرآن عند نزولها أول مرة، ونتركهم في تمرُّدهم على الله متحيِّرين، لا يهتدون إلى الحق والصواب.

قوله تعالى:{وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الأنعام : ١١٠]، أي:" ونقلب أفئدتهم وأبصارهم، فنحول بينها وبين الانتفاع بآيات الله، فلا يؤمنون بها كما لم يؤمنوا بآيات القرآن عند نزولها أول مرة"[٢٠٦٠].

قال مجاهد:" نحول بينهم وبين الإيمان ولو جاءتهم كل آية فلا يؤمنون، كما حلنا بينهم وبين الإيمان أول مرة"[٢٠٦١].

قوله تعالى:{وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأنعام : ١١٠]، أي:" ونتركهم في تمرُّدهم على الله متحيِّرين، لا يهتدون إلى الحق والصواب"[٢٠٦٢].

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: الإرسال.

الثانية: أبو معشر المدني نجيح؛ ضعيف، أسن واختلط.

(٢٠٥١)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٠) ونسبه لأبي الشيخ.

(٢٠٥٢) صفوة التفاسير:٣٨١/١.

(٢٠٥٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٦٥):ص١٣٦٨/٤.

(٢٠٥٤) التفسير الميسر:١٤٠.

(٢٠٥٥) أخرجه الطبري(١٣٧٤٤):ص٣٨/١٢.

(٢٠٥٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٤٦):ص٣٨/١٢-٣٩.

(٢٠٥٧) التفسير الميسر:١٤٠.

(٢٠٥٨) أخرجه الطبري(١٣٧٥٠):ص٤٠/١٢.

(٢٠٥٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٤٩):ص٤٠/١٢.

(٢٠٦٠) التفسير الميسر:١٤٠.

(٢٠٦١) أخرجه الطبري(١٣٧٥٣):ص٤٤/١٢.

قال أبو مالك:" {ونذرهم}، يعني: نتخلى عنهم"[٢٠٦٣].
عن أبي العالية، في قوله:"{في طغيانهم}، يعني: في ضلالتهم"[٢٠٦٤]. وروي عن قتادة والربيع نحوه[٢٠٦٥].
وفي تفسير قوله تعالى:{ يَعْمَهُونَ} [الأنعام : ١١٠]، وجوه:
أحدها: يتمادون. وهذا قول السدي[٢٠٦٦].
والثاني: يترددون في كفرهم. وهذا قول أبي العالية[٢٠٦٧]، ومجاهد[٢٠٦٨]، وأبي مالك[٢٠٦٩]، والربيع بن أنس[٢٠٧٠].
الثالث: يلعبون. وهذا قول الأعمش[٢٠٧١].

القرآن
{وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ (١١١)} [الأنعام : ١١١]
التفسير:
ولو أننا أجبنا طلب هؤلاء، فنزَّلنا إليهم الملائكة من السماء، وأحيينا لهم الموتى، فكلموهم، وجمعنا لهم كل شيء طلبوه فعاينوه مواجهة، لم يصدِّقوا بما دعوتهم إليه -أيها الرسول- ولم يعملوا به، إلا من شاء الله له الهداية، ولكن أكثر هؤلاء الكفار يجهلون الحق الذي جئت به من عند الله تعالى.
سبب النزول:
قال ابن جريج:"نزلت في المستهزئين الذين سألوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم الآية، فقال:"قل"، يا محمد،"إنما الآيات عند الله وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون"، ونزل فيهم: { وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا}"[٢٠٧٢] .
قوله تعالى:{وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا} [الأنعام : ١١١]، أي:" وجمعنا لهم كل شيء طلبوه فعاينوه مواجهة"[٢٠٧٣].
وفي قوله تعالى:{ قُبُلًا} [الأنعام : ١١١]، قراءتان[٢٠٧٤]:
إحداهما :«قِبَلا»، بكسر القاف وفتح الباء ، قرأ بها نافع، وابن عامر[٢٠٧٥]، ومعنى ذلك: معاينة ومجاهرة ، قاله قتادة[٢٠٧٦].
والقراءة الثانية :«قُبُلًا»، بضم القاف والباء، وهي قراءة الباقين[٢٠٧٧]، وفي تأويلها قولان:
أحدهما : أن معنى ذلك: قبيلة قبيلة وصفاً صفاً ، قاله مجاهد[٢٠٧٨]، وعبدالله بن زيد[٢٠٧٩].
قال ابن كثير:" أي: تعرض عليهم كل أمة بعد أمة، فتخبرهم بصدق الرسل فيما جاؤوهم به"[٢٠٨٠].

(٢٠٦٢) التفسير الميسر:١٤٠.
(٢٠٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٧٧٦):ص١٣٦٩/٤.
(٢٠٦٤) تفسير ابن ابي حاتم(٧٧٧٨):ص١٣٧٠/٤.
(٢٠٦٥) تفسير ابن ابي حاتم:١٣٧٠/٤.
(٢٠٦٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٧٠/٤. حكاه دون ذكر السند.
(٢٠٦٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٧٠/٤. حكاه دون ذكر السند.
(٢٠٦٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٧٠/٤. حكاه دون ذكر السند.
(٢٠٦٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٧٠/٤. حكاه دون ذكر السند.
(٢٠٧٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٧٠/٤. حكاه دون ذكر السند.
(٢٠٧١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٧٨١):ص١٣٧٠/٤.
(٢٠٧٢) أخرجه الطبري(١٣٧٥٥):ص٤٧/١٢.
(٢٠٧٣) التفسير الميسر:١٤٢.
(٢٠٧٤) انظر: السبعة في القراءات:١٦٥-٢٦٦، وتفسير الطبري:٤٨/١٢-٤٩، والنكت والعيون:١٥٧/٢.
(٢٠٧٥) انظر: السبعة في القراءات:١٦٥-٢٦٦، وتفسير الطبري:٤٨/١٢-٤٩، والنكت والعيون:١٥٧/٢.
(٢٠٧٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٥٨):ص٤٩/١٢.
(٢٠٧٧) انظر: السبعة في القراءات:١٦٥-٢٦٦، وتفسير الطبري:٤٨/١٢، والنكت والعيون:١٥٧/٢.
(٢٠٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٦٠)، و(١٣٦١):ص٤٩/١٢.
(٢٠٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٥٩):ص٤٩/١٢.

الثاني : معناه مقابلة ، قاله ابن إسحاق[٢٠٨١].

القرآن

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢)} [الأنعام : ١١٢]

التفسير:

وكما ابتليناك -أيها الرسول- بأعدائك من المشركين ابتلينا جميع الأنبياء -عليهم السلام- بأعداء مِن مردة قومهم وأعداء من مردة الجن، يُلقي بعضهم إلى بعض القول الذي زيَّنوه بالباطل; ليغتر به سامعه، فيضل عن سبيل الله. ولو أراد ربك -جلَّ وعلا- لحال بينهم وبين تلك العداوة، ولكنه الابتلاء من الله، فدعهم وما يختلقون مِن كذب وزور.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ} [الأنعام : ١١٢]، أي:" وكما ابتليناك -أيها الرسول- بأعدائك من المشركين ابتلينا جميع الأنبياء -عليهم السلام- بأعداء مِن مردة قومهم وأعداء من مردة الجن"[٢٠٨٢].

عن أبي مالك: "قوله: {شياطين}، يعني: إبليس وذريته"[٢٠٨٣].

عن قتادة في قوله: "{شياطين الإنس والجن}، قال: من الإنس شياطين، ومن الجن شياطين، يوحي بعضهم إلى بعض"[٢٠٨٤].

عن أبي يزيد المدني عن عكرمة قال:" قدمت على المختار، فأكرمني وأنزلني عليه حتى كان يتعاهد مبيتي بالليل، قال فقال: لي: اخرج فحدث الناس. قال: فخرجت، فجاء رجل فقال ما تقول في الوحي؟ قلت: الوحي وحيان. قال الله عز وجل: {بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ}[٢٠٨٥]، وقال الله: {شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [٢٠٨٦]، قال: فهموا بي أن يأخذوني، فقلت: ما لكم ذاك، إني مفتيكم وضيفكم فتركوني"[٢٠٨٧].

وفي قوله تعالى:{ شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ} [الأنعام : ١١٢]، وجوه:

أحدها : معناه: شياطين الجن يوحون إلى شياطين الإنس، وشياطين الإنس يوحون إلى شياطين الجن. قاله عكرمة[٢٠٨٨].

الثاني: أن للإنسان شيطان ، وللجنّي شيطان. وهذا قول السدي[٢٠٨٩]، وعزاه البغوي إلى قتادة ومجاهد والحسن[٢٠٩٠].

وقال مالك بن دينار: «إن شياطين الإنس أشد علي من شياطين الجن، وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانا»"[٢٠٩١].

الثالث : شياطين الإنس كفارهم ، وشياطين الجن كفارهم ، قاله مجاهد[٢٠٩٢].

الرابع : أن شياطين الإنس والجن مردتهم ، قاله الحسن[٢٠٩٣].

(٢٠٨٠) تفسير ابن كثير:٣/٣١٨.

(٢٠٨١) انظر: النكت والعيون:٢/١٥٧.

(٢٠٨٢) التفسير الميسر:١٤٢.

(٢٠٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٧٨٧):ص١٣٧١/٤.

(٢٠٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٧٨٨):ص١٣٧١/٤.

(٢٠٨٥)[يوسف : ٣].

(٢٠٨٦)[الأنعام : ١١٢].

(٢٠٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٧٨٩):ص١٣٧١/٤.

(٢٠٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٦٦):ص٥٢/١٢.

(٢٠٨٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٦٥)، و(١٣٧٦٧):ص٥١/١٢-٥٢.

(٢٠٩٠) انظر: تفسير البغوي:١٧٩/٣، والصحيح ان قول مجاهد مستقل، وسوف يأتي بيانه في القول الثالث. والله أعلم.

(٢٠٩١) تفسير البغوي:١٧٩/٣-١٨٠.

(٢٠٩٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٧٣):ص٥٥/١٢.

(٢٠٩٣) انظر: النكت والعيون:٢/١٥٨.

عن قتادة قال: "بلغني أن أبا ذر قام يومًا يُصلّي، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: تعوَّذ يا أبا ذر، من شياطين الإنس والجن. فقال: يا رسول الله، أوَ إنّ من الإنس شياطين؟ قال: نعم! "[٢٠٩٤].

قوله تعالى:{يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الأنعام : ١١٢]، أي:" يوسوس بعضهم إلى بعض بالكلام المزيّن والأباطيل المموّهة ليغروا الناس ويخدعوهم"[٢٠٩٥].

عن عكرمة[٢٠٩٦] ومجاهد[٢٠٩٧] قوله:"{زخرف القول غرورًا}، قالا: تزيين الباطل بالألسنة".

عن السدي: "أما«الزخرف»، فزخرفوه، زيَّنوه"[٢٠٩٨]. "{غرروًا}، قال: يغرّون به الناسَ والجنّ"[٢٠٩٩].

القرآن

{وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ (١١٣)} [الأنعام : ١١٣]

التفسير:

ولِتميل إليه قلوب الكفار الذين لا يصدقون بالحياة الآخرة ولا يعملون لها، ولتحبَّه أنفسهم، وليكتسبوا من الأعمال السيئة ما هم مكتسبون.

قوله تعالى:{وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ} [الأنعام : ١١٣]، أي:" ولِتميل إليه قلوب الكفار الذين لا يصدقون بالحياة الآخرة ولا يعملون لها"[٢١٠٠].

قال السدي:" يقول: تميل إليه قلوبُ الكفار، ويحبونه، ويرضون به"[٢١٠١].

قوله تعالى:{وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ} [الأنعام : ١١٣]، أي:" ولتحبَّه أنفسهم، وليكتسبوا من الأعمال السيئة ما هم مكتسبون"[٢١٠٢].

عن السدي:" {ليرضوه}، قال: يحبونه ويرضونه"[٢١٠٣].

وفي قوله تعالى:{ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ} [الأنعام : ١١٣]، وجهان:

أحدها: معناه: ليعملوا من الذنوب ما هم عاملون. وهذا قول السدي[٢١٠٤].

الثاني: وليكتسبوا من الشرك والمعاصي ما هم مكتسبون ، قاله جويبر[٢١٠٥]. وهو قريب من المعنى الأول.

القرآن

{أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ (١١٤)} [الأنعام : ١١٤]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أغير الله إلهي وإلهكم أطلب حَكَمًا بيني وبينكم، وهو سبحانه الذي أنزل إليكم القرآن مبينًا فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمري وأمركم؟ وبنو إسرائيل الذين آتاهم الله التوراة والإنجيل يعلمون علمًا يقينًا أن هذا القرآن منزل عليك -أيها الرسول- من ربك بالحق، فلا تكونن من الشاكّين في شيء مما أوحينا إليك.

(٢٠٩٤) أخرجه الطبري(١٣٧٧٠):ص٥٤/١٢.
(٢٠٩٥) صفوة التفاسير:٣٨٣/١.
(٢٠٩٦) أخرجه الطبري(١٣٧٧٤):ص٥٥/١٢.
(٢٠٩٧) أخرجه الطبري(١٣٧٧٦):ص٥٦/١٢.
(٢٠٩٨) أخرجه الطبري(١٣٧٧٥):ص٥٦/١٢.
(٢٠٩٩) أخرجه الطبري(١٣٧٨٠):ص٥٦/١٢.
(٢١٠٠) التفسير الميسر:١٤٢.
(٢١٠١) أخرجه الطبري(١٣٧٨٣):ص٥٨/١٢-٥٩.
(٢١٠٢) التفسير الميسر:١٤٢.
(٢١٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٨٠٠):ص١٣٧٣/٤.
(٢١٠٤) أخرجه الطبري(١٣٧٨٦):ص٦٠/١٢.
(٢١٠٥) انظر: النكت والعيون:١٥٩/٢.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا} [الأنعام : ١١٤]، أي:" وهو سبحانه الذي أنزل إليكم القرآن مبينًا فيه الحكم فيما تختصمون فيه من أمري وأمركم؟"[٢١٠٦].

قال قتادة[٢١٠٧]، وابن كثير[٢١٠٨]:" { مُفَصَّلا }، أي : مبينا".

عن الحسن:" تفصيل الحق من الباطل ، والهدى من الضلال"[٢١٠٩].

قال ربيعة:" إن الله تبارك وتعالى أنزل الكتاب وترك فيه موضعا للسنة، وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك فيها موضعا للرأي"[٢١١٠].

قوله تعالى:{فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [الأنعام : ١١٤]، أي:" فلا تكونن من الشاكّين في شيء مما أوحينا إليك"[٢١١١].

قال الربيع:" يقول: لا تكونن في شك مما قصَصنا عليك"[٢١١٢].

قال الحسن: "يقول: يا محمد، لا تكن في شك"[٢١١٣].

القرآن

{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (١١٥)} [الأنعام : ١١٥]

التفسير:

وتمت كلمة ربك -وهي القرآن- صدقًا في الأخبار والأقوال، وعدلا في الأحكام، فلا يستطيع أحد أن يبدِّل كلماته الكاملة. والله تعالى هو السميع لما يقول عباده، الحليم بظواهر أمورهم وبواطنها.

قوله تعالى:{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا} [الأنعام : ١١٥]، أي:" وتمت كلمة ربك -وهي القرآن- صدقًا في الأخبار والأقوال، وعدلا في الأحكام"[٢١١٤].

قال قتادة:" يقول: صدقًا وعدلا فيما حكَم"[٢١١٥]. وفي رواية اخرى عنه:" يقول: فيما وعد"[٢١١٦].

وفي قوله تعالى:{ صِدْقًا وَعَدْلًا} [الأنعام : ١١٥]، وجهان:

أحدهما : صدقاً في وعده ووعهده ، وعدلاً في أمره ونهيه ، قال معناه قتادة[٢١١٧].

الثاني : صدقاً فيما حكاه ، عدلاً فيما قضاه ، وهو معنى قول قتادة -في إحدى الروايات-[٢١١٨].

قوله تعالى:{لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} [الأنعام : ١١٥]، أي:" فلا يستطيع أحد أن يبدِّل كلماته الكاملة"[٢١١٩].

قال محمد بن كعب القرظي:" لا تبديل لشيء قاله في الدنيا والآخرة"[٢١٢٠].

قوله تعالى:{وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنعام : ١١٥]، أي:" والله تعالى هو السميع لما يقول عباده، الحليم بظواهر أمورهم وبواطنها"[٢١٢١].

قال محمد بن إسحاق:" أي : سميع لما يقولون، عليم بما يخفون"[٢١٢٢].

(٢١٠٦) التفسير الميسر:١٤٢.

(٢١٠٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٠٤):ص١٣٧٤/٤.

(٢١٠٨) تفسير ابن كثير:٣٢٢/٣.

(٢١٠٩) انظر: النكت والعبون:١٥٩/٢.

(٢١١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٠٣):ص١٣٧٤/٤.

(٢١١١) التفسير الميسر:١٤٢.

(٢١١٢) أخرجه الطبري(١٣٧٨٨):ص٦١/١٢.

(٢١١٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٠٦):ص١٣٧٤/٤.

(٢١١٤) التفسير الميسر:١٤٢.

(٢١١٥) أخرجه الطبري(١٣٧٨٩):ص٦٣/١٢.

(٢١١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٠٧):ص١٣٧٤/٤.

(٢١١٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٨٠٧):ص١٣٧٤/٤.

(٢١١٨) انظر: الطبري(١٣٧٨٩):ص٦٣/١٢.

(٢١١٩) التفسير الميسر:١٤٢.

(٢١٢٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٠٩):ص١٣٧٤/٤-١٣٧٥.

(٢١٢١) التفسير الميسر:١٤٢.

(٢١٢٢) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص١٦٥/٧.

القرآن

{وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ (١١٦)} [الأنعام : ١١٦]

التفسير:

ولو فُرض -أيها الرسول- أنك أطعت أكثر أهل الأرض لأضلُّوك عن دين الله، ما يسيرون إلا على ما ظنوه حقًّا بتقليدهم أسلافهم، وما هم إلا يظنون ويكذبون.

قوله تعالى:{إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ} [الأنعام : ١١٦]، أي:" ما يتبعون في أمر الدين إلا الظنون والأوهام يقلّدون آباءهم ظناً منهم أنهم كانوا على الحق"[٢١٢٣].

قال مجاهد:" ما كان من ظن في القرآن فهو يقين"[٢١٢٤].

القرآن

{فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨)} [الأنعام : ١١٨]

التفسير:

فكلوا من الذبائح التي ذُكِرَ اسم الله عليها، إن كنتم ببراهين الله تعالى الواضحة مصدقين.

تعددت الروايات في سبب نزول الآيات[١١٨-١٢١]، على النحو الآتي:

- عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "جاءت اليهود إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: نأكل مما قتلنا، ولا نأكل مما قتل الله؛ فأنزل الله: {فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ (١١٨) وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}"[٢١٢٥]. [صحيح لغيره]

(٢١٢٣) صفوة التفاسير:١/٣٨٤.

(٢١٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨١١):ص٤/١٣٧٤-١٣٧٥.

(٢١٢٥)أخرجه أبو داود في "سننه" (٣/ ١٠١ رقم ٢٨١٩)، والترمذي في "سننه" (٥/ ٢٦٣ رقم ٣٠٦٩)، والبزار في "مسنده"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ١٧٧)، والطبري في "جامع البيان" (٨/ ١٥)، والطبراني في "المعجم الكبير" (١١/ ٣٦١، ٣٦٢ رقم ١٢٢٩٥) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٢٥٥، ٢٥٦ رقم ٢٦٩) -، والبيهقي (٩/ ٢٤٠)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٦) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ٢٥٦، ٢٥٧ رقم ٢٧٠، ٢٧١) من طريق عمران بن عيينة وزياد بن عبد الله البكائي كلاهما قال: ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ عطاء كان قد اختلط، ولم يذكروا عمران أو زياداً ممن روى عنه قبل الاختلاط.

قال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب، وقد روي هذا الحديث من غير هذا الوجه عن ابن عباس -أيضاً-، ورواه بعضهم عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرسلاً".

قلنا: أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٧٨ رقم ٧٨٣٢): ثنا أبو سعيد الأشج ثنا عمران بن عيينة عن عطاء عن سعيد بن جبير به مرسلاً.

قلنا: وهو مرسل حسن، والموصول أصح لكنه ضعيف.

لكن يشهد له في الجملة الطريق الآتية عن ابن عباس؛ فيرتقي الحديث بمجموعها إلى درجة الحسن لغيره، لكن ذكر اليهود فيه منكر، والصواب: المشركون.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٦) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ.

وأخرجه أبو داود في "سننه" (٣/ ١٠١ رقم ٢٨١٨)، وابن ماجه في "سننه" (٢/ ١٠٥٩ رقم ٣١٧٣)، والطبري في "جامع البيان" (١٣٨١٢):ص١٢/٧٩-٨٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٨٠ رقم ٧٨٤٥)، والحاكم (٤/ ١١٣، ٢٣١)، والبيهقي في "الكبرى" (٩/ ٢٤١) من طريق سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ: "يقولون: ما ذبح الله؛ فلا تأكلوه، وما ذبحتم أنتم؛ فكلوه؛ فأنزل الله: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}".

قلنا: سماك؛ صدوق، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وكان ربما يلقن، لكن يرتقي بسابقه لدرجة الصحيح لغيره -إن شاء الله- مع ما سيأتي.

قال الحاكم: "صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

قال الحافظ ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ١٧٧): "وهذا إسناد صحيح!!
ورواه ابن جرير من طرق متعددة عن ابن عباس وليس فيه ذكر اليهود؛ فهذا هو المحفوظ، لأن الآية مكية واليهود يحبون الميتة".
قلنا: وذكر اليهود إما من أوهام ابن السائب؛ فإنه اختلط، وإما من سماك؛ لأنه كان يلقن.
وأخرجه النسائي في "المجتبى" (٧/ ٢٣٧)، و"الكبرى" (٣/ ٧١ رقم ٤٥٢٦، ٦/ ٣٤٢ رقم ١١١٧١) -ومن طريقه النحاس في "ناسخه" (ص ١٣٩) -، والحاكم (٤/ ٢٣٣)، والطبري في "جامع البيان" (١٣٨١١):ص٧٩/١٢ من طريق الثوري عن هارون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس؛ قال: "جادل المشركون المسلمين، فقالوا: ما بال ما قتل الله لا تأكلونه، وما قتلتم أنتم أكلتموه وأنتم تتبعون أمر الله؟ فأنزل الله: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}".
وفي رواية: خاصمهم المشركون فقالوا: ما نذبح لا تأكلونه، وما ذبحتم أكلتموه (فذكره). . .
قلنا: وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات.
وقال النحاس عقبه: "فهذا من أصح ما مر وهو داخل في المسند".
قلنا: وهو كما قال، وهو يشهد لسابقه ويؤكد أن الصواب هو سؤال المشركين لا اليهود.
والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٨) وزاد نسبته للفريابي وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه، ولم ينسبه للنسائي؛ فليستدرك عليه.
وأخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (١١/ ١٩٢ رقم ١١٦١٤) من طريق زيد بن المبارك ثنا موسى عن عبد العزيز ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، قال: "لما نزلت هذه الآية في تحريم الميتة؛ قال: أوحت فارس إلى أوليائهم من قريش أن خاصموا محمداً، وكانت أولياءهم في الجاهلية، وقولوا له: إن ما ذبحت فهو حلال وما ذبح الله -قال ابن عباس-: بشمشير من ذهب؛ فهو حرام؛ فأنزل الله هذه الآية: {وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلى أَوْلِيَائِهِمْ} قال: الشياطين فارس، وأولياؤهم قريش".
قلنا: وسنده ضعيف؛ موسى هذا صدوق سيئ الحفظ.
وأخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٨٠٥):ص٧٧/١٢ من طريق موسى به.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٨) وزاد نسبته لأبي الشيخ.
وأخرج الطبري في "جامع البيان" (١٣٨١٥):ص٧٧/١٢، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٨٠ رقم ٧٨٤٨)، وابن المنذر وأبي الشيخ؛ كما في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٩) من طريق عبد الله بن صالح ثنا معاوية بن صالح ثنا علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: "قالوا: يا محمد أما ما قتلتم وذبحتم؛ فتأكلونه، وأما ما قتل ربكم؛ فتحرمونه؛ فأنزل الله: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)} وإن أطعتموهم في أكل ما نهيتكم عنه: إنكم إذاً لمشركون".
قلنا: وهذا إسناد حسن، وقد أُعِلّ بضعف عبد الله بن صالح؛ لكن الراوي عنه عند ابن أبي حاتم هو أبو حاتم الرازي، فهو من صحيح حديثه، ورواية علي عن ابن عباس محمولة على الاتصال كما تقدم في أكثر من موضع.
وقال ابن كثير: "وقوله تعالى: { لِيُجَادِلُوكُمْ } قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبو سعيد الأشج ، حدثنا عمران بن عيينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَيْر قال : خاصمت اليهود النبي صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : نأكل مما قتلنا ، ولا نأكل مما قتل الله ؟ فأنزل الله : { وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ }". هكذا رواه مرسلا ...وهذا فيه نظر من وجوه ثلاثة :
أحدها : أن اليهود لا يرون إباحة الميتة حتى يجادلوا.
الثاني : أن الآية من الأنعام ، وهي مكية.
الثالث : أن هذا الحديث رواه الترمذي ، عن محمد بن موسى الحَرَشِي ، عن زياد بن عبد الله البكائي ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس. ورواه الترمذي بلفظ : أتى
ناس النبي صلى الله عليه وسلم فذكره وقال : حسن غريب ، رُوي عن سعيد بن جبير مرسلا".[سنن الترمذي برقم (٣٠٦٩)].
وقال الطبراني : حدثنا علي بن المبارك ، حدثنا زيد بن المبارك ، حدثنا موسى بن عبد العزيز ، حدثنا الحكم بن أبان ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس قال : لما نزلت { وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ } أرسلت فارس إلى قريش : أن خاصموا محمدًا وقولوا له : كَمَا تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال ، وما ذبح الله ، عَزَّ وجل ، بشمشير من ذهب - يعني الميتة - فهو حرام. فنزلت هذه الآية : { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ } قال : الشياطين من فارس ، وأوليائهم من قريش".[(المعجم الكبير للطبراني (٢٤١/١١)].
وقال أبو داود : حدثنا محمد بن كثير ، أخبرنا إسرائيل ، حدثنا سِماك ، عن عِكْرِمة ، عن ابن عباس في قوله : { وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ } يقولون : ما ذبح الله فلا تأكلوه. وما ذبحتم أنتم فكلوه ، فأنزل الله : { وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ }.
ورواه ابن ماجه وابن أبي حاتم ، عن عمرو بن عبد الله ، عن وكيع ، عن إسرائيل ، به. [(سنن أبي داود برقم (٢٨١٨) وسنن ابن ماجة برقم (٣١٧٣)].
وهذا إسناد صحيح.
ورواه ابن جرير من طرق متعددة ، عن ابن عباس ، وليس فيه ذكر اليهود ، فهذا هو المحفوظ ، والله أعلم".[تفسير ابن كثير:٣٢٨/٣-٣٢٩].

- عن عكرمة؛ قال: "إن مشركي قريش كاتبوا فارس على الروم، وكاتبتهم فارس، وكتبت فارس إلى مشركي قريش: أن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله فما ذبح الله بسكين من ذهب؛ فلا يأكله محمد وأصحابه للميتة، وأما ما ذبحوا هم؛ يأكلون، وكتب بذلك المشركون إلى أصحاب محمد - عليه السلام-، فوقع في أنفس ناس من المسلمين من ذلك شيء؛ فنزلت: {وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}"[٢١٢٦]. [ضعيف]
- وروي عن عكرمة -أيضا-: "أن المشركين دخلوا على نبي الله - صلى الله عليه وسلم -، قالوا: أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ قال: الله قتلها، قالوا: فتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}"[٢١٢٧]. [ضعيف]
- وروي عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "لما حرم الله الميتة، أمر الشيطان أولياءه، فقال لهم: ما قتل الله لكم خير مما تذبحون أنتم بسكاكينكم؛ فقال الله: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}"[٢١٢٨]. [ضعيف]
- وروي عن الضحاك في قوله: "{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ}: هذا شأن الذبيحة، قال المشركون للمسلمين: تزعمون أن الله حرم عليكم الميتة، وأحل لكم ما تذبحون أنتم بأيديكم، وحرم عليكم ما ذبح هو لكم، وكيف هذا وأنتم تعبدونه؟ فأنزل الله هذه الآية: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} إلي قوله: {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}"[٢١٢٩]. [ضعيف]

(٢١٢٦)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٣٨٠٦):ص٧٨/١٢ -: ثنا حجاج عن ابن جريج قال: قال عمرو بن دينار عن عكرمة به.
قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه ثلاث علل:
الأولى: الإرسال.
الثانية: ابن جريج مدلس.
الثالثة: سنيد صاحب "التفسير" ضعيف.
(٢١٢٧)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٨) ونسبه لأبي داود في "ناسخه".
ثم رأينا الطبري أخرجه في "جامع البيان" (١٣٨٣٥):ص٨٧/١٢: ثنا ابن حميد ثنا يحيى بن واضح ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة به.
قلنا: وهذا مرسل ضعيف جداً؛ للكلام المعروف في ابن حميد؛ بل إن بعضهم اتهمه، فإن توبع عليه عند أبي داود في "ناسخه"؛ فيكون مرسلاً حسناً، والله أعلم.
(٢١٢٨)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٨١٠):ص٧٩/١٢ من طريق العوفي عن ابن عباس به.
قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ مسلسل بالعوفيين الضعفاء..
(٢١٢٩)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٨٢٤):ص٨٢/١٢: حدثت عن الحسين بن الفرج قال: سمعت أبا معاذ نا عبيد بن سليمان عن الضحاك.
قلنا: وسنده ضعيف جداً، واه بمرة؛ فيه علل:
الأولى: الإعضال.
الثانية: أبو معاذ سليمان بن أرقم؛ متروك.
الثالثة: الانقطاع بين الطبري والحسين بن الفرج.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٤٨) ونسبه لعبد بن حميد وأبي الشيخ، وفاته أنه عند الطبري؛ فليستدرك عليه.
وأخرجه الطبري -أيضاً- (١٣٨١٦):ص٨٠/١٢ من طريق جويبر عن الضحاك قال: قال المشركون: ما قتلتم فتأكلونه، وما قتل ربكم لا تأكلونه؟! فنزلت: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}.
قلنا: وسنده تالف، واه بمرة؛ جويبر؛ ضعيف جداً، وقد اتهمه بعضهم ثم هو معضل.

- وقال السدي:"إن المشركين قالوا للمسلمين: كيف تزعمون أنكم تتبعون مرضاة الله وما ذبح الله فلا تأكلونه وما ذبحتم أنتم أكلتموه؟! فقال الله: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ} فأكلتم الميتة {إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}"(٢١٣٠). [ضعيف جداً]
- وعن الشعبي :"أنه سئل عن قوله: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}؛ فقيل: تزعم الخوارج أنها في الأمراء؟ قال: كذبوا؛ إنما أنزلت هذه الآية في المشركين، كانوا يخاصمون أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقولون: أما ما قتل الله؛ فلا تأكلوا منه؛ يعني: الميتة، وأما ما قتلتم أنتم؛ فتأكلون منه؛ فأنزل الله: {وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} إلى قوله {وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩) وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠) وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)}، قال: لئن أكلتم الميتة وأطعتموهم إنكم لمشركون "(٢١٣١). [ضعيف]

قوله تعالى:{فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} [الأنعام : ١١٨]، أي:" فكلوا من الذبائح التي ذُكِرَ اسم الله عليها"(٢١٣٢).

عن ابن جريج قال:"قلت لعطاء قوله: {فكلوا مما ذكر اسم الله عليه}، قال: يأمر بذكر اسمه على الشراب والطعام والذبح. وكل شيء يدلّ على ذكره يأمر به"(٢١٣٣).

عن سعيد بن جبير، في قوله: "{فكلوا مما ذكر اسم الله عليه}، وكلوه فإنه حلال"(٢١٣٤).

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ} [الأنعام : ١١٨]، أي:" إن كنتم ببراهين الله تعالى الواضحة مصدقين"(٢١٣٥).

عن ابن جبير: قوله: "{إن كنتم بآياته}، يعني: القرآن"(٢١٣٦)، "{مؤمنين}، قال: مصدقين"(٢١٣٧).

القرآن

{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ (١١٩)} [الأنعام : ١١٩]

التفسير:

وأيُّ شيء يمنعكم أيها المسلمون من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه، وقد بيَّن الله سبحانه لكم جميع ما حرَّم عليكم؟ لكن ما دعت إليه الضرورة بسبب المجاعة، مما هو محرم عليكم كالميتة، فإنه مباح لكم. وإنَّ كثيرًا من الضالين ليضلون عن سبيل الله أشياعهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال بأهوائهم؛ جهلا منهم. إن ربك - أيها الرسول- هو أعلم بمن تجاوز حده في ذلك، وهو الذي يتولى حسابه وجزاءه.

قوله تعالى:{وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} [الأنعام : ١١٩]، أي:" وأيُّ شيء يمنعكم أيها المسلمون من أن تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه"(٢١٣٨).

(٢١٣٠)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٣٨٢١):ص٨١/١٢: ثنا محمد بن الحسن ثنا أحمد بن المفضل ثنا أسباط بن نصر عن السدي به، قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ فيه علل:
الأولى: الإعضال.
الثانية: أسباط؛ صدوق كثير الخطأ يغرب.
الثالثة: لم نجد ترجمة لمحمد هذا.

(٢١٣١)أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٤/ ١٣٨٠ رقم ٧٨٥٠): ثنا علي بن الحسين ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا مالك بن إسماعيل ثنا عيسى بن عبد الرحمن عنه به.
قلنا: وهذا مرسل حسن الإسناد.

(٢١٣٢) التفسير الميسر:١٤٢.
(٢١٣٣) أخرجه الطبري(١٣٧٩٠):ص٦٧/١٢.
(٢١٣٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨١٣):ص١٣٧٥/٤.
(٢١٣٥) التفسير الميسر:١٤٢.
(٢١٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨١٤):ص١٣٧٥/٤.
(٢١٣٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨١٥):ص١٣٧٥/٤.
(٢١٣٨) التفسير الميسر:١٤٣.

قال سعيد:" يعني: الذبائح"[٢١٣٩].

قوله تعالى:{وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ} [الأنعام : ١١٩]، أي:" وقد بيَّن الله سبحانه لكم جميع ما حرَّم عليكم؟ لكن ما دعت إليه الضرورة بسبب المجاعة، مما هو محرم عليكم كالميتة، فإنه مباح لكم"[٢١٤٠].

عن قتادة: "{وقد فصل لكم ما حرم عليكم}، يقول: قد بين لكم ما حرم عليكم"[٢١٤١]. وروي عن ابن زيد مثله[٢١٤٢].

وعن قتادة –أيضا-: "{إلا ما اضطررتم إليه}، من الميتة"[٢١٤٣].

وعن عن سعيد قوله: "{إلا ما اضطررتم إليه}، يعني: ما حرم عليكم من الميتة، فهو الاضطرار كله"[٢١٤٤].

وروي عن عطية العوفي أنه كان يقرأ ذلك:«وَقَدْ فَصَّلَ»، بتخفيف الصاد وفتح الفاء، بمعنى: وقد أتاكم حكم الله فيما حَرَّم عليكم[٢١٤٥].

قوله تعالى:{وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام : ١١٩]، أي:" وإنَّ كثيرًا من الضالين ليضلون عن سبيل الله أشياعهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال بأهوائهم؛ جهلا منهم"[٢١٤٦].

عن سعيد بن جبير: قوله: "{وإن كثيرا}، يعني: من مشركي العرب"[٢١٤٧]، " {ليضلون بأهوائهم بغير علم}، يعني: في أمر الذبائح وغيره"[٢١٤٨].

القرآن

{وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (١٢٠)} [الأنعام : ١٢٠]

التفسير:

واتركوا -أيها الناس- جميع المعاصي، ما كان منها علانية وما كان سرًّا. إن الذين يفعلون المعاصي سيعاقبهم ربهم; بسبب ما كانوا يعملونه من السيئات.

قوله تعالى:{وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ} [الأنعام : ١٢٠]، أي:" واتركوا -أيها الناس- جميع المعاصي، ما كان منها علانية وما كان سرًّا"[٢١٤٩].

قال الربيع:" نهى الله عن ظاهر الإثم وباطنه أن يعمل به"[٢١٥٠].

وفي قوله تعالى:{وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ} [الأنعام : ١٢٠]، وجوه من التأويل:

أحدها : سره وعلانيته ، قاله مجاهد[٢١٥١]، وقتادة[٢١٥٢]، والربيع بن انس[٢١٥٣].

الثاني : ظاهر الإثم : ما حرم من نكاح ذوات المحارم بقوله تعالى:{حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ . .}[النساء:٢٣] الآية، وباطنه: الزِّنى ، وهذا قول سعيد بن جبير[٢١٥٤].

(٢١٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨١٦):ص١٣٧٥/٤.

(٢١٤٠) التفسير الميسر:١٤٣.

(٢١٤١) أخرجه الطبري(١٣٧٩١):ص٦٩/١٢.

(٢١٤٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٩٢):ص٦٩/١٢.

(٢١٤٣) أخرجه الطبري(١٣٧٩٣):ص٧١/١٢.

(٢١٤٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨١٨):ص١٣٧٦/٤.

(٢١٤٥) انظر: تفسير الطبري:٧٠/١٢.

(٢١٤٦) التفسير الميسر:١٤٣.

(٢١٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨١٩):ص١٣٧٦/٤.

(٢١٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٢٠):ص١٣٧٦/٤.

(٢١٤٩) التفسير الميسر:١٤٣.

(٢١٥٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٢١):ص١٣٧٦/٤.

(٢١٥١) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٩٨):ص٧٣/١٢.

(٢١٥٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٩٤):ص٧٢/١٢.

(٢١٥٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٧٩٦):ص٧٢/١٢.

(٢١٥٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٠٠):ص٧٣/١٢.

وروي عن مجاهد، قال"{ما ظهر منها}، الجمع بين الأختين، وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده، {وما بطن}، الزنى" [٢١٥٥].

الثالث : أن ظاهر الإثم أُوْلاَت الرايات من الزواني ، والباطن ذوات الأخدان ، لأنهن كُنَّ يستحللنه سراً ، قاله السدي[٢١٥٦]، والضحاك[٢١٥٧].

والصحيح أن الآية عامة في ذلك كله ، وهي كقوله تعالى : { قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزلْ بِهِ سُلْطَانًا} الآية [الأعراف : ٣٣]"[٢١٥٨].

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ} [الأنعام : ١٢٠]، أي:" إن الذين يفعلون المعاصي سيعاقبهم ربهم; بسبب ما كانوا يعملونه من السيئات"[٢١٥٩].

قال السدي:" {الإثم}، المعصية"[٢١٦٠].

عن النواس بن سمعان قال: "سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإثم، فقال: الإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس"[٢١٦١].

القرآن

{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ (١٢١)} [الأنعام : ١٢١]

التفسير:

ولا تأكلوا -أيها المسلمون- من الذبائح التي لم يذكر اسم الله عليها عند الذبح، كالميتة وما ذبح للأوثان والجن، وغير ذلك، وإن الأكل من تلك الذبائح لخروج عن طاعة الله تعالى. وإن مردة الجن لَيُلْقون إلى أوليائهم من شياطين الإنس بالشبهات حول تحريم أكل الميتة، فيأمرونهم أن يقولوا للمسلمين في جدالهم معهم: إنكم بعدم أكلكم الميتة لا تأكلون ما قتله الله، بينما تأكلون مما تذبحونه، وإن أطعتموهم -أيها المسلمون في تحليل الميتة- فأنتم وهم في الشرك سواء.

قوله تعالى:{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} [الأنعام : ١٢١]، أي:" ولا تأكلوا -أيها المسلمون- من الذبائح التي لم يذكر اسم الله عليها عند الذبح، كالميتة وما ذبح للأوثان والجن، وغير ذلك"[٢١٦٢].

وفي قوله تعالى:{وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ} [الأنعام : ١٢١]، وجوه:

أحدها : المراد بها ذبائح كانت العرب تذبحها لأوثانها ، قاله عطاء[٢١٦٣].

الثاني : أنها الميتة ، قاله ابن عباس[٢١٦٤]، وسعيد بن جبير[٢١٦٥].

الثالث : عنى بذلك كلَّ ذبيحة لم يذكر اسمُ الله عليها.وهذا قول الحسن[٢١٦٦].

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله عنى بذلك ما ذُبح للأصنام والآلهة، وما مات أو ذبحه من لا تحلّ ذبيحته"[٢١٦٧].

وفي تحريم أكل الذبيحة التي لم يذكر اسمُ الله عليها، ثلاثة أقوال:

(٢١٥٥) أخرجه الطبري(١٣٨٠٣):ص٧٤/١٢.
(٢١٥٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٠١):ص٧٤/١٢.
(٢١٥٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٠٢):ص٧٤/١٢.
(٢١٥٨) تفسير ابن كثير:٣٢٤/٣
(٢١٥٩) التفسير الميسر:١٤٣.
(٢١٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٨٣٠):ص١٣٧٧/٤.
(٢١٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٨٣١):ص١٣٧٨/٤، ورواه مسلم في صحيحه برقم (٢٥٥٣) من طريق عبد الرحمن بن مهدي به.
(٢١٦٢) التفسير الميسر:١٤٣.
(٢١٦٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢٦):ص٨٣/١٢، وتفسير ابن أبي حاتم(٧٨٣٦):ص١٣٧٨/٤.
(٢١٦٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٨٣٣):ص١٣٧٨/٤.
(٢١٦٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٨٣٤):ص١٣٧٨/٤.
(٢١٦٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢٨):ص٨٤/١٢.
(٢١٦٧) تفسير الطبري:٨٥/١٢.

أحدها : لا يحرم سواء تركها عامداً أو ناسياً ، قاله الحسن[٢١٦٨].
الثاني : يحرم إن تركها عامداً ، ولا يحرم إن تركها ناسياً به يقول أبو حنيفة وأصحابه[٢١٦٩]. وهو محكي عن سعيد بن المُسَيَّب[٢١٧٠]، وعَطاء[٢١٧١]، وطاوس [٢١٧٢]، والحسن البصري [٢١٧٣]، وأبي مالك[٢١٧٤]، وعبد الرحمن بن أبي ليلى[٢١٧٥]، وجعفر بن محمد[٢١٧٦]، وربيعة بن أبي عبد الرحمن[٢١٧٧].
وقد نقل ابن جرير وغيره. عن الشعبي ، ومحمد بن سيرين ، أنهما كرها متروك التسمية نسيانا ، والسلف يطلقون الكراهية على التحريم كثيرا ، والله أعلم[٢١٧٨].
الثالث : يحرم سواء تركها عامداً أو ناسياً ، قاله نافع مولى ابن عمر[٢١٧٩]، وعامر الشعبي[٢١٨٠]، وابن سيرين[٢١٨١]، وعبد الله بن يزيد الخطمي[٢١٨٢]، وهو رواية عن الإمام مالك[٢١٨٣] ، ورواية عن أحمد بن حنبل[٢١٨٤]، نصرها طائفة من أصحابه المتقدمين والمتأخرين ، وهو اختيار أبي ثور[٢١٨٥]، وداود الظاهري[٢١٨٦]، واختار ذلك أبو الفتوح محمد بن محمد بن علي الطائي من متأخري الشافعية[٢١٨٧].
قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ} [الأنعام : ١٢١]، أي:" وإن الأكل من تلك الذبائح لخروج عن طاعة الله تعالى"[٢١٨٨].
قال سعيد بن جبير:"يعني: أكل الميتة لمعصيته"[٢١٨٩].
قوله تعالى:{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ} [الأنعام : ١٢١]، أي:" وإن الشياطين ليوسوسون إلى المشركين أوليائهم في الضلال لمجادلة المؤمنين بالباطل في قولهم: إنكم بعدم أكلكم الميتة لا تأكلون ما قتله الله، بينما تأكلون مما تذبحونه"[٢١٩٠].
وفي قوله تعالى:{وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ} [الأنعام : ١٢١]، وجهان:
أحدهما : أنه عنى بالشياطين قوماً من أهل فارس كتبوا إلى أوليائهم من قريش أن محمداً وأصحابه يزعمون أنهم يتبعون أمر الله ، ولا يأكلون ما ذبح الله يعني الميتة ، ويأكلون ما ذبحوه لأنفسهم ، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية ، قاله عكرمة[٢١٩١].
الثاني : أن الشياطين قالوا ذلك لأوليائهم من قريش ، قاله قتادة[٢١٩٢].

(٢١٦٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢٨):ص٨٤/١٢.
(٢١٦٩) عزاه إليهم ابن كثير في تفسيره:٣٢٦/٣، والماوردي في: النكت والعيون:١٦٢/٢.
(٢١٧٠) تفسير ابن كثير:٣٢٦/٣.
(٢١٧١) تفسير ابن كثير:٣٢٦/٣.
(٢١٧٢) تفسير ابن كثير:٣٢٦/٣.
(٢١٧٣) تفسير ابن كثير:٣٢٦/٣.
(٢١٧٤) تفسير ابن كثير:٣٢٦/٣.
(٢١٧٥) تفسير ابن كثير:٣٢٦/٣.
(٢١٧٦) تفسير ابن كثير:٣٢٦/٣.
(٢١٧٧) تفسير ابن كثير:٣٢٦/٣.
(٢١٧٨) تفسير ابن كثير:٣٢٦/٣.
(٢١٧٩) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٤/٣.
(٢١٨٠) عزاه إليه البغوي في تفسيره:١٨٣/٣، وابن كثير في تفسيره:٣٢٤/٣.
(٢١٨١) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢٨):ص٨٤/١٢، وتفسير البغوي:١٨٣/٣.
(٢١٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢٩)، (١٣٨٣٠):ص٨٤/١٢-٨٥.
(٢١٨٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٤/٣.
(٢١٨٤) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٤/٣.
(٢١٨٥) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٤/٣.
(٢١٨٦) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٤/٣.
(٢١٨٧) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره:٣٢٤/٣.
(٢١٨٨) التفسير الميسر:١٤٣.
(٢١٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٨٣٩):ص١٣٧٩/٤.
(٢١٩٠) التفسير الميسر:١٤٣، صفوة التفاسير:٣٨٥/١.
(٢١٩١) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٠٥):ص٧٧/١٢.
(٢١٩٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢٠):ص٨١/١٢.

قال مكحول :" أنزل الله تعالى في القرآن: {وَلا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ}، ثم نسخها الرب عز وجل ورحم المسلمين فقال: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُم}[٢١٩٣]، فنسخها بذلك وأحل طعام أهل الكتاب"[٢١٩٤]. وروي عن عكرمة[٢١٩٥]، والحسن[٢١٩٦]، نحوه.

قوله تعالى:{وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [الأنعام : ١٢١]، أي:" وإن أطعتموهم -أيها المسلمون في تحليل الميتة- فأنتم وهم في الشرك سواء"[٢١٩٧].

عن السدي: "{وإن أطعتموهم}، فأكلتم الميتة"[٢١٩٨].

القرآن

{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٢)} [الأنعام : ١٢٢]

التفسير:

أوَ من كان ميتًا في الضلالة هالكا حائرا، فأحيينا قلبه بالإيمان، وهديناه له، ووفقناه لاتباع رسله، فأصبح يعيش في أنوار الهداية، كمن مثله في الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، لا يهتدي إلى منفذ ولا مخلص له مما هو فيه؟ لا يستويان، وكما خذلتُ هذا الكافر الذي يجادلكم -أيها المؤمنون- فزيَّنْتُ له سوء عمله، فرآه حسنًا، زيَّنْتُ للجاحدين أعمالهم السيئة; ليستوجبوا بذلك العذاب.

قوله تعالى:{أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ} [الأنعام : ١٢٢]، أي:" أوَ من كان ميتًا في الضلالة هالكا حائرا"[٢١٩٩].

قال السدي:" يقول: من كان كافرًا فجعلناه مسلمًا"[٢٢٠٠].

قال قتادة:" هذا المؤمن معه من الله نور وبيِّنة يعمل بها ويأخذ، وإليها ينتهي، كتابَ الله"[٢٢٠١].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} [الأنعام : ١٢٢]، أي:" فأحيينا قلبه بالإيمان، وهديناه له، ووفقناه لاتباع رسله، فأصبح يعيش في أنوار الهداية"[٢٢٠٢].

عن أبي سنان الشيباني في قوله: "{وجعلنا له نورا يمشي به في الناس}، قال: يعمل به في الناس: قال: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه"[٢٢٠٣].

وفي قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ} [الأنعام : ١٢٢]، وجوه:

أحدها: انه القرآن. قاله الحسن[٢٢٠٤]، وقتادة[٢٢٠٥].

الثاني: أنه الإسلام. قاله السدي[٢٢٠٦]، وابن زيد[٢٢٠٧].

الثالث: انه الهدى يمشي به في الناس. وهذا قول مجاهد[٢٢٠٨].

والنور هو : القرآن ، كما رواه العَوْفي وابن أبي طلحة ، عن ابن عباس. وقال السُّدِّي : الإسلام. والكل صحيح"[٢٢٠٩].

(٢١٩٣)[المائدة : ٥].

(٢١٩٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٣٧):ص١٣٧٩/٤.

(٢١٩٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٣٥):ص٨٧/١٢.

(٢١٩٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٣٥):ص٨٧/١٢.

(٢١٩٧) التفسير الميسر:١٤٣.

(٢١٩٨) أخرجه الطبري(١٣٨٣٤):ص٨٧/١٢.

(٢١٩٩) التفسير الميسر:١٤٣.

(٢٢٠٠) أخرجه الطبري(١٣٨٤٥):ص٩١/١٢.

(٢٢٠١) أخرجه الطبري(١٣٨٤٤):ص٩١/١٢.

(٢٢٠٢) التفسير الميسر:١٤٣.

(٢٢٠٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٦٠):ص١٣٨٢/٤.

(٢٢٠٤) انظر: النكت والعيون:١٦٣/٢.

(٢٢٠٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٤٤):ص٩١/١٢، وتفسير ابن ابي حاتم(٧٨٥٩):ص١٣٨٢/٤.

(٢٢٠٦) أخرجه الطبري(١٣٨٤٥):ص٩١/١٢.

(٢٢٠٧) أخرجه الطبري(١٣٨٤٦):ص٩٢/١٢.

(٢٢٠٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٣٩)ص٩٠/١٢.

قوله تعالى:{كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا} [الأنعام : ١٢٢]، أي:" كمن مثله في الجهالات والأهواء والضلالات المتفرقة، لا يهتدي إلى منفذ ولا مخلص له مما هو فيه؟"[٢٢١٠].

قال مجاهد:"في الضلالة أبدًا"[٢٢١١].

عن قتادة:"{ كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها}، وهذا مثل الكافر في الضلالة، متحير فيها متسكع، لا يجد مخرجًا ولا منفذًا"[٢٢١٢].

قال السدي:" من كان كافرا فجعلناه مسلما، وجعلنا له نورا يمشي به في الناس، وهو الإسلام، يقول: هذا كمن هو في الظلمات، يعني: الشرك"[٢٢١٣].

واختلفوا في هذه الآية على قولين:

أحدهما : أنها على العموم في كل مؤمن وكافر ، قاله الحسن[٢٢١٤]، وغيره من أهل العلم[٢٢١٥].

الثاني : أنها على الخصوص في مُعَيَّن .

وفيمن تعين نزول ذلك فيه ثلاثة أقوال :

أحدها : أن المؤمن عمر بن الخطاب ، والكافر أبو جهل ، قاله الضحاك[٢٢١٦]، وزيد بن أسلم[٢٢١٧]، وأبو سنان الشيباني[٢٢١٨].

الثاني : أن المؤمن عمار بن ياسر ، والكافر أبو جهل ، قاله عكرمة[٢٢١٩].

القرآن

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (١٢٣)} [الأنعام : ١٢٣]

التفسير:

ومثل هذا الذي حصل مِن زعماء الكفار في «مكة» من الصدِّ عن دين الله تعالى، جعلنا في كل قرية مجرمين يتزعمهم أكابرهم; ليمكروا فيها بالصد عن دين الله، وما يكيدون إلا أنفسهم، وما يُحِسُّون بذلك.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا} [الأنعام : ١٢٣]، أي:" ومثل هذا الذي حصل مِن زعماء الكفار في «مكة» من الصدِّ عن دين الله تعالى، جعلنا في كل قرية مجرمين يتزعمهم أكابرهم; ليمكروا فيها بالصد عن دين الله"[٢٢٢٠] .

عن مجاهد: "{أكابر مجرميها}، قال: عظماءها"[٢٢٢١]. وروي عن قتادة[٢٢٢٢] مثله.

القرآن

{وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ (١٢٤)} [الأنعام : ١٢٤]

التفسير:

(٢٢٠٩) تفسير ابن كثير:٣/٣٣٠.

(٢٢١٠) التفسير الميسر:١٤٣.

(٢٢١١) أخرجه الطبري(١٣٨٣٩)ص١٢/٩٠.

(٢٢١٢) أخرجه الطبري(١٣٨٤٤):ص١٢/٩١.

(٢٢١٣) أخرجه الطبري(١٣٨٤٥):ص١٢/٩١.

(٢٢١٤) انظر: النكت والعيون:٢/١٦٣

(٢٢١٥) انظر: النكت والعيون:٢/١٦٣، وتفسير ابن كثير:٣/٣٣٠.

(٢٢١٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٣٦):ص١٢/٨٩.

(٢٢١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٨٥٣):ص٤/١٣٨١.

(٢٢١٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٨٦٠):ص٤/١٣٨٢.، و١٣٨٣/٤. حكاه دون ذكر السند.

(٢٢١٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٣٧):ص١٢/٩٠.

(٢٢٢٠) التفسير الميسر:١٤٣.

(٢٢٢١) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٤٧)، و(١٣٤٨):ص١٢/٩٤، وتفسير ابن ابي حاتم(٧٨٦٧):ص٤/١٣٨٣.

(٢٢٢٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٤٩):ص١٢/٩٤.

وإذا جاءت هؤلاء المشركين من أهل «مكة» حجة ظاهرة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، قال بعض كبرائهم: لن نصدِّق بنبوته حتى يعطينا الله من النبوة والمعجزات مثل ما أعطى رسله السابقين. فردَّ الله تعالى عليهم بقوله: الله أعلم حيث يجعل رسالته أي: بالذين هم أهل لحمل رسالته وتبليغها إلى الناس. سينال هؤلاء الطغاة الذل، ولهم عذاب موجع في نار جهنم; بسبب كيدهم للإسلام وأهله.

قوله تعالى:{اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام : ١٢٤]، أي:"الله أعلم بالذين هم أهل لحمل رسالته وتبليغها إلى الناس"[٢٢٢٣].

عن ابن أبي حسين قال : "أبصر رجل ابن عباس وهو يدخل من باب المسجد فلما نظر إليه راعه ، فقال : من هذا ؟ قالوا : ابن عباس ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : { اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ }"[٢٢٢٤].

قوله تعالى:{سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ} [الأنعام : ١٢٤]، أي:" سينال هؤلاء الطغاة الذل"[٢٢٢٥].

قال السدي:"«الصغار»: الذلة"[٢٢٢٦].

القرآن

{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (١٢٥)} [الأنعام : ١٢٥]

التفسير:

فمن يشأ الله أن يوفقه لقَبول الحق يشرح صدره للتوحيد والإيمان، ومن يشأ أن يضله يجعل صدره في حال شديدة من الانقباض عن قَبول الهدى، كحال مَن يصعد في طبقات الجو العليا، فيصاب بضيق شديد في التنفس. وكما يجعل الله صدور الكافرين شديدة الضيق والانقباض، كذلك يجعل العذاب على الذين لا يؤمنون به.

قوله تعالى:{فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ} [الأنعام : ١٢٥]، أي:" فمن يشأ الله أن يوفقه لقَبول الحق يشرح صدره للتوحيد والإيمان"[٢٢٢٧].

قال السدي:" أما{يشرح صدره للإسلام}، فيوسع صدره للإسلام"[٢٢٢٨].

عن ابن جريج قوله: "{فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام}، بـ«لا إله إلا الله»"[٢٢٢٩]. وفي رواية أخرى:" يجعل لها في صدره متَّسعًا"[٢٢٣٠].

عن عبد الله بن مرة، عن أبي جعفر[٢٢٣١] قال: "لما نزلت هذه الآية: {فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام}، قالوا: كيف يشرح الصدر؟ قال: إذا نزل النور في القلب انشرح له الصدر وانفسح. قالوا: فهل لذلك آية يعرف بها؟ قال: نعم، الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الفوت"[٢٢٣٢].

(٢٢٢٣) التفسير الميسر:١٤٣.
(٢٢٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير:٣/٣٣٣-٣٣٤.
(٢٢٢٥) التفسير الميسر:١٤٣.
(٢٢٢٦) أخرجه الطبري(١٣٨٥١):ص٩٦/١٢.
(٢٢٢٧) التفسير الميسر:١٤٤.
(٢٢٢٨) أخرجه الطبري(١٣٨٥٩):ص١٠٢/١٢.
(٢٢٢٩) أخرجه الطبري(١٣٨٦٠):ص١٠٢/١٢.
(٢٢٣٠) أخرجه الطبري(١٣٨٦١):ص١٠٢/١٢.
(٢٢٣١) هو :عبد الله بن المسور بن عون بن جعفر بن أبي طالب، "أبو جعفر الهاشمي المدائني". روى عنه عمرو بن مرة، وخالد بن أبي كريمة. مترجم في ابن أبي حاتم ٢ / ٢ / ١٦٩، وتاريخ بغداد ١٠: ١٧، وميزان الاعتدال للذهبي ٢: ٧٨، ولسان الميزان ٣: ٣٦٠. قال الخطيب. ((سكن المدائن، وحدث بها عن محمد بن الحنفية) ، وذكر في بعض ما ساقه من أسانيد أخباره: عن خالد بن أبي كريمة.
(٢٢٣٢) أخرجه الطبري(١٣٨٥٢):ص٩٨/١٢.

قوله تعالى:{وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا} [الأنعام : ١٢٥]، أي:" ومن يشأ أن يضله يجعل صدره في حال شديدة من الانقباض عن قَبول الهدى"[٢٢٣٣].

اختلف في تفسير قوله تعالى:{حَرَجًا} [الأنعام : ١٢٥]، على أقوال:

أحدها: معناه شاكًا. قاله مجاهد[٢٢٣٤]، والسدي[٢٢٣٥].

الثاني: معناه: ملتبسًا. قاله قتادة[٢٢٣٦].

الثالث: معناه: أنه من شدة الضيق لا يصل إليه الإيمان. وهذا معنى قول سعيد بن جبير[٢٢٣٧]، وعطاء الخراساني[٢٢٣٨]، وابن جريج[٢٢٣٩].

قوله تعالى:{كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ} [الأنعام : ١٢٥]، أي:" كحال مَن يصعد في طبقات الجو العليا، فيصاب بضيق شديد في التنفس"[٢٢٤٠].

قال عطاء:" يقول: مثله كمثل الذي لا يستطيع أن يصعد في السماء"[٢٢٤١].

عن السدي: "{كأنما يصعد في السماء}، من ضيق صدره"[٢٢٤٢].

قال ابن جريج:" "{كأنما يصعد في السماء}، من شدّة ذلك عليه"[٢٢٤٣].

عن الأوزاعي: "{ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعد في السماء}، كيف يستطيع من جعل الله صدره ضيقا أن يكون مسلما؟"[٢٢٤٤].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنعام : ١٢٥]، أي:" وكما يجعل الله صدور الكافرين شديدة الضيق والانقباض، كذلك يجعل العذاب على الذين لا يؤمنون به"[٢٢٤٥].

عن مجاهد قال: "{الرِّجْسَ}، ما لا خير فيه"[٢٢٤٦].

القرآن

{وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦)} [الأنعام : ١٢٦]

التفسير:

وهذا الذي بيَّنَّاه لك -أيها الرسول- هو الطريق الموصل إلى رضا ربك وجنته. قد بيَّنَّا البراهين لمن يتذكر من أهل العقول الراجحة.

قوله تعالى:{قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} [الأنعام : ١٢٦]، أي:" قد بيَّنَّا البراهين لمن يتذكر من أهل العقول الراجحة"[٢٢٤٧].

قال قتادة:" نبين الآيات[٢٢٤٨].

القرآن

{لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٧)} [الأنعام : ١٢٧]

(٢٢٣٣) التفسير الميسر:١٤٤.

(٢٢٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٦٤):ص١٠٥/١٢.

(٢٢٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٦٥):ص١٠٥/١٢.

(٢٢٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٦٦):ص١٠٥/١٢.

(٢٢٣٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٦٨):ص١٠٥/١٢.

(٢٢٣٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٦٩):ص١٠٥/١٢.

(٢٢٣٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٧١):ص١٠٦/١٢.

(٢٢٤٠) التفسير الميسر:١٤٤.

(٢٢٤١) أخرجه الطبري(١٣٨٧٣):ص١٠٩/١٢.

(٢٢٤٢) أخرجه الطبري(١٣٨٧٧):ص١٠٩/١٢.

(٢٢٤٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٧٥):ص١٠٩/١٢.

(٢٢٤٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٨٠):ص١٣٨٦/٤.

(٢٢٤٥) التفسير الميسر:١٤٤.

(٢٢٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٧٨):ص١١١/١٢.

(٢٢٤٧) التفسير الميسر:١٤٤.

(٢٢٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٨٨٦):ص١٣٨٦/٤.

التفسير:
للمتذكرين عند ربهم جل وعلا يوم القيامة دار السلامة والأمان من كل مكروه وهي الجنة، وهو سبحانه ناصرهم وحافظهم جزاءً لهم; بسبب أعمالهم الصالحة.

قوله تعالى:{لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [الأنعام : ١٢٧]، أي:" للمتذكرين عند ربهم جل وعلا يوم القيامة دار السلامة والأمان من كل مكروه وهي الجنة"(٢٢٤٩).

قال السدي:" الله هو السلام، والدار الجنة"(٢٢٥٠). وروي نحوه عن الحسن(٢٢٥١).

عن قتادة: "قوله: {لهم دار السلام عند ربهم}، قال: فداره الجنة"(٢٢٥٢).

القرآن

{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨)} [الأنعام : ١٢٨]

التفسير:
واذكر -أيها الرسول- يوم يحشر الله تعالى الكفار وأولياءهم من شياطين الجن فيقول: يا معشر الجن قد أضللتم كثيرًا من الإنس، وقال أولياؤهم من كفار الإنس: ربنا قد انتفع بعضنا من بعض، وبلغنا الأجل الذي أَجَّلْتَه لنا بانقضاء حياتنا الدنيا، قال الله تعالى لهم: النار مثواكم، أي: مكان إقامتكم خالدين فيها، إلا مَن شاء الله عدم خلوده فيها من عصاة الموحدين. إن ربك حكيم في تدبيره وصنعه، عليم بجميع أمور عباده.

قوله تعالى:{وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا} [الأنعام : ١٢٨]، أي:" واذكر -أيها الرسول- يوم يحشر الله تعالى الكفار وأولياءهم من شياطين الجن"(٢٢٥٣).

قوله تعالى:{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ} [الأنعام : ١٢٨]، أي:" فيقول الله تعالى: يا معشر الجن قد أضللتم كثيرًا من الإنس"(٢٢٥٤).

قال الحسن:" أضللتم كثيرا من الإنس"(٢٢٥٥).

قال قتادة:" قد أضللتم كثيرا من الإنس"(٢٢٥٦).

قال مجاهد:" كثر من أغويتم"(٢٢٥٧).

قوله تعالى:{وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ} [الأنعام : ١٢٨]، أي:" وقال أولياؤهم من كفار الإنس: ربنا قد انتفع بعضنا من بعض"(٢٢٥٨).

وفي قوله تعالى:{وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ} [الأنعام : ١٢٨]، ثلاثة تأويلات:

أحدها : معناه: الصحبة في الدنيا، استمتع بعضنا بصحبة بعض في التعاون والتعاضد. وهذا معنى قول محمد بن كعب(٢٢٥٩).

الثاني : استمتع بعضنا ببعض فيما زينوه من اتباع الأهواء وارتكاب المعاصي. وهذا معنى قول الحسن(٢٢٦٠).

قال الحسن: "وما كان استمتاع بعضهم ببعض إلا أن الجن أمرت وعملت الإنس"(٢٢٦١).

(٢٢٤٩) التفسير الميسر:١٤٤.
(٢٢٥٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٨٤):ص١١٤/١٢.
(٢٢٥١) انظر: انكلت والعيون:١٦٧/٢.
(٢٢٥٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٨٧):ص١٣٨٧/٤.
(٢٢٥٣) التفسير الميسر:١٤٤.
(٢٢٥٤) التفسير الميسر:١٤٤.
(٢٢٥٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٨٨):ص١١٦/١٢.
(٢٢٥٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٨٦):ص١١٥/١٢.
(٢٢٥٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٨٧):ص١١٥/١٢.
(٢٢٥٨) التفسير الميسر:١٤٤.
(٢٢٥٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٨٩٤):ص١٣٨٨/٤.
(٢٢٦٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٨٩٣):ص١٣٨٧/٤.
(٢٢٦١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٨٩٣):ص١٣٨٧/٤.

الثالث : أن الاستمتاع بهم ما كانوا عليه من التعوذ بهم كقوله تعالى:{وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ} [الجن : ٦]، قال الحسن[٢٢٦٢]، وابن جريج[٢٢٦٣].

قوله تعالى:{وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا} [الأنعام : ١٢٨]، أي:" وبلغنا الأجل الذي أجَّلْتَه لنا بانقضاء حياتنا الدنيا"[٢٢٦٤].

وفي قوله تعالى:{وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا} [الأنعام : ١٢٨]، قولان:

أحدهما : أنه الموت ، قاله الحسن[٢٢٦٥]، والسدي[٢٢٦٦]، ومحمد بن كعب[٢٢٦٧].

والثاني :معناه: أمرت الجن، وعملت الإنس. قاله الحسن[٢٢٦٨].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام : ١٢٨]، أي:" إن ربك حكيم في تدبيره وصنعه، عليم بجميع أمور عباده"[٢٢٦٩].

قال أبو العالية:" حكيم في أمره"[٢٢٧٠].

قال محمد بن إسحاق: "{والله عليم} أي: عليم بما يخفون"[٢٢٧١].

القرآن

{وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩)} [الأنعام : ١٢٩]

التفسير:

وكما سلَّطْنا شياطين الجن على كفار الإنس، فكانوا أولياء لهم، نسلِّط الظالمين من الإنس بعضهم على بعض في الدنيا; بسبب ما يعملونه من المعاصي.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا} [الأنعام : ١٢٩]، أي:" وكما سلَّطْنا شياطين الجن على كفار الإنس، فكانوا أولياء لهم، نسلِّط الظالمين من الإنس بعضهم على بعض في الدنيا"[٢٢٧٢].

وفي قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا} [الأنعام : ١٢٩]، وجوه:

أحدها : وكذلك نجعل بعضهم لبعض ولياً على الكفر. وهذا معنى قول قتادة، قال:"وإنما يولي الله بين الناس بأعمالهم، فالمؤمن وليُّ المؤمن أين كان وحيث كان، والكافر وليُّ الكافر أينما كان وحيثما كان. ليس الإيمان بالتَمنِّي ولا بالتحلِّي"[٢٢٧٣].

الثاني : معناه: أن بعضهم يتبع بعضاً في النار من الموالاة وهي المتابعة ، قاله قتادة -أيضا-[٢٢٧٤].

الثالث : تسليط بعضهم على بعض بالظلم والتعدي.

قال مالك بن دينار : "قرأت في الزبور : إني أنتقم من المنافقين بالمنافقين ، ثم أنتقم من المنافقين جميعا ، وذلك في كتاب الله قوله تعالى : { وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا }"[٢٢٧٥].

القرآن

{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (١٣٠)} [الأنعام : ١٣٠]

(٢٢٦٢) انظر: النكت والعيون: ١٦٨/٢.

(٢٢٦٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٩٠):ص١١٦/١٢.

(٢٢٦٤) التفسير الميسر:١٤٤.

(٢٢٦٥) انظر: النكت والعيون:١٦٨/٢.

(٢٢٦٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٩١):ص١١٧/١٢.

(٢٢٦٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٨٩٦):ص١٣٨٨/٤.

(٢٢٦٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٨٩٥):ص١٣٨٨/٤.

(٢٢٦٩) التفسير الميسر:١٤٤.

(٢٢٧٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٩١٥).:ص٨٨٤/٣

(٢٢٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٤٧):ص٨٩٠/٣.

(٢٢٧٢) التفسير الميسر:١٤٤.

(٢٢٧٣) أخرجه الطبري(١٣٨٩٣):ص١١٩/١٢.

(٢٢٧٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٩٤):ص١١٩/١٢.

(٢٢٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٠١):ص١٣٨٩/٤، وانظر:تفسير ابن كثير:٣٣٩/٣.

التفسير:
أيها المشركون من الجن والإنس، ألم يأتكم رسل من جملتكم -وظاهر النصوص يدلُّ على أنَّ الرسل من الإنس فقط-، يخبرونكم بآياتي الواضحة المشتملة على الأمر والنهي وبيان الخير والشر، ويحذرونكم لقاء عذابي في يوم القيامة؟ قال هؤلاء المشركون من الإنس والجن: شَهِدْنا على أنفسنا بأن رسلك قد بلغونا آياتك، وأنذرونا لقاء يومنا هذا، فكذبناهم، وخدعت هؤلاء المشركين زينةُ الحياة الدنيا، وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا جاحدين وحدانية الله تعالى ومكذبين لرسله عليهم السلام.

قوله تعالى:{يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي} [الأنعام : ١٣٠]، أي:" أيها المشركون من الجن والإنس، ألم يأتكم رسل من جملتكم، يخبرونكم بآياتي الواضحة المشتملة على الأمر والنهي وبيان الخير والشر"[٢٢٧٦].

واختلفوا في الرسالة إلى الجن على ثلاثة أقوال:

أحدها : ان الله بعث إلى الجن رسلاً منهم ، كما بعث إلى الإنس رسلاً منهم ، قاله الضحاك[٢٢٧٧]، وهو ظاهر الكلام .

الثاني : أن الله لم يبعث إليهم رسلاً منهم ، وإنما جاءتهم رسل الإنس، وهذا قول ابن جريج[٢٢٧٨]، ولا يكون الجمع في قوله:{أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنْكُمْ} مانعاً من أن يكون الرسل من أحد الفريقين ، كقوله تعالى :{يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ} [الرحمن : ٢٢]، وإنما هو خارج من أحدهما.

الثالث : أن رسل الجن هم الذين لمَّا سمعوا القرآن:{وَلَّوا إِلَى قَومِهِم مُّنذِرِينَ} [الأحقاف : ٢٩] ، به قال مجاهد[٢٢٧٩].

قال مجاهد:" ليس في الجن رسل، إنما الرسل في الإنس، والنذارة في الجن، وقرأ:{فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ}[٢٢٨٠]"[٢٢٨١].

والرسل من الإنس فقط ، وليس من الجن رسل ، كما قد نص على ذلك مجاهد ، وابن جُرَيْج ، وغير واحد من الأئمة ، من السلف والخلف.. والدليل على أن الرسل إنما هم من الإنس قوله تعالى : { إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا } إلى أن قال : { رُسُلا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } [النساء : ١٦٣ - ١٦٥] ، وقال تعالى عن إبراهيم : { وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ } [العنكبوت : ٢٧] ، فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته ، ولم يقل أحد من الناس : إن النبوة كانت في الجن قبل إبراهيم الخليل-عليه السلام- ثم انقطعت عنهم ببعثته. وقال تعالى : { وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إلا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأسْوَاقِ } [الفرقان : ٢٠] ، وقال تعالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى } [يوسف : ١٠٩] ، ومعلوم أن الجن تبع للإنس في هذا الباب ؛ ولهذا قال تعالى إخبارًا عنهم : { وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَنْ لا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ } [الأحقاف : ٢٩ - ٣٢]، وقد جاء في الحديث - الذي رواه الترمذي وغيره - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا عليهم سورة «الرحمن»[٢٢٨٢] وفيها قوله تعالى:{ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلانِ * فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ } [الآيتان : ٣١ ، ٣٢].

(٢٢٧٦) التفسير الميسر:١٤٤.
(٢٢٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٩٦):ص١٢١/١٢.
(٢٢٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٩٧):ص١٢١/١٢.
(٢٢٧٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٩٠٣):ص١٣٨٩/٤.
(٢٢٨٠)[الأحقاف : ٢٩].
(٢٢٨١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٧٩٠٣):ص١٣٨٩/٤.
(٢٢٨٢)) سنن الترمذي برقم (٣٢٩١).

وقال تعالى في هذه الآية الكريمة : { يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا } أي : أقررنا أن الرسل قد بلغونا رسالاتك ، وأنذرونا لقاءك ، وأن هذا اليوم كائن لا محالة"[٢٢٨٣]

وقد اختلف العلماء في ثواب مؤمني«الجن»، على ثلاثة أقوال:

القول الأول: أنه لا ثواب لهم إلا النجاة من النار ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم. وهو قول أبي حنيفة[٢٢٨٤]، وأبي الزناد[٢٢٨٥]، وحكاه سفيان الثوري عن الليث بن أبي سليم[٢٢٨٦]، وهو رواية عن مجاهد[٢٢٨٧]، وبه قال الحسن البصري[٢٢٨٨].

واستدل هذا الفريق بقوله تعالى إخباراً عن النفر من الجن الذين استمعوا القرآن: {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأحقاف: ٣١].

ووجه استدلالهم بها: أن المغفرة للذنوب لا تستلزم الإثابة لأنه ستر، والإثابة بالوعد فضل[٢٢٨٩].

واحتج هؤلاء بهذه الآية فجعل غاية ثوابهم إجارتهم من العذاب الأليم[٢٢٩٠]. والآية قد دلت على إجارتهم من النار ولم تذكر دخولهم الجنة، أو الثواب على أعمالهم.

القول الثاني: أنهم يثابون على الطاعة بدخول الجنة، على خلاف في حالهم فيها، وهذا قول الحسن[٢٢٩١]، والضحاك[٢٢٩٢]، وضمرة بن الحبيب[٢٢٩٣]، ووهب بن منبه[٢٢٩٤]، وإليه ذهب الأئمة: مالك[٢٢٩٥]، والشافعي[٢٢٩٦]، وأحمد[٢٢٩٧]، وأصحابهم [٢٢٩٨]، وابن أبي ليلى[٢٢٩٩]، ورجحه القرطبي[٢٣٠٠]، وهو قول أكثر المفسرين[٢٣٠١].

القول الثالث: التوقف في المسألة.

والصحيح أن هذا - أي دخولهم الجنة - مما لم يقطع فيه بشيء. والعلم عند الله[٢٣٠٢].

وقد اختلف الجمهور من المسلمين القائلين بثواب المؤمنين من الجن في الآخرة في كيفية الثواب، على أقوال:

أحدها: أنهم في الجنة ويصيبون من نعيمها. وهذا قول الأكثرين [٢٣٠٣].

(٢٢٨٣) تفسير ابن كثير:٣/٣٤٠-٣٤١.

(٢٢٨٤) انظر: الكشف والبيان:٩/٢٣، وطريق الهجرتين وباب السعادتين:٤١٨، و تفسير القرطبي:١٦/٢١٧، و الأشباه والنظائر:٣٣٠.

(٢٢٨٥) انظر: تفسير البغوي:٧/٢٧٠.

(٢٢٨٦) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٩/٢٣، وانظر: تفسير البغوي:٧/٢٧٠، وانظر: الدر المنثور:٣/٣٦٠.

(٢٢٨٧) انظر: تفسير القرطبي:١٩/٥.

(٢٢٨٨) انظر: تفسير القرطبي:١٦/٢١٧.

(٢٢٨٩) الأشباه والنظائر:٣٢٦.

(٢٢٩٠)طريق الهجرتين وباب السعادتين:٤٢٧.

(٢٢٩١) أخرجه ابن أبي حاتم وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور:٣/٣٦١.

(٢٢٩٢) أخرجه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:٩/٢٣، وخرجه السيوطي في الدر المنثور:٣/٣٦٠، وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٢٢٩٣) انظر: تفسير الطبري:٢٣/٦٥.

(٢٢٩٤)أخرجه السيوطي في الدر المنثور:٣/٣٦٠، عن أبي الشيخ في العظمة عن وهب بن منبه.

(٢٢٩٥) انظر: الكشف والبيان:٩/٢٣، ومجموع الفتاوى:٤/ ٢٣٣.

(٢٢٩٦) انظر: مجموع الفتاوى:٤/ ٢٣٣.

(٢٢٩٧) انظر: مجموع الفتاوى:٤/ ٢٣٣.

(٢٢٩٨) انظر: مجموع الفتاوى:٤/ ٢٣٣.

(٢٢٩٩) أخرجه الثعلبي في الكشف والبيان:٩/٢٣، والسيوطي في الدر المنثور:٣/٣٦٠، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٢٣٠٠) انظر: تفسير الطبري:١٦/٢١٨، و١٧/١٦٧.

(٢٣٠١) انظر: تفسير البغوي:٧/٢٧٠، ومفاتيح الغيب:٢٨/٢٩، وتفسير القرطبي:١٦/٢١٨، وتفسير الخازن:٤/١٣٧، وتفسير النيسابوري:٦/١٢٥، وتفسير الثعالبي:٥/٢٢٥، وغيرها.

(٢٣٠٢)تفسير القرطبي:١٦/ ٢١٨.

(٢٣٠٣) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين:ص: ٤١٨.

الثاني: أنهم يكونون في ربض الجنة، حكي ذلك عن الخليفة عمر بن عبد العزيز[٢٣٠٤]. وذكره الألوسي عن الإمام مالك وطائفة من العلماء[٢٣٠٥].

وقال ابن تيمية: "وروي في حديث رواه الطبراني: أنهم يكونون في ربض الجنة، يراهم الإنس من حيث لا يرونهم"[٢٣٠٦].

الثالث: أنهم يلهمون التسبيح والذكر، فيصيبون من لذته ما يصيبه بنو آدم من نعيم الجنة. رواه ابن نجيم عن الضحاك[٢٣٠٧].

ولكن المشهور عن الضحاك :"أن الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون"[٢٣٠٨].

وهو ما نقله الفخر الرازي عنه إذ يقول: "قال الضحاك: يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون، والدليل على صحة هذا القول: أن كل دليل دل على أن البشر يستحقون الثواب على الطاعة فهو بعينه قائم في حق الجن"[٢٣٠٩].

وعقب الفخر الرازي على ذلك بقوله: "والفرق بين البابين بعيد"[٢٣١٠]. يقصد: ثواب الإنس وثواب الجن.

والراجح - والله أعلم - أن الجن يثابون على أعمالهم, ويدخلون الجنة, ويصيبون من نعيمها، وذلك لأن ظواهر الآيات الواردة في جزاء الجن في الآخرة تقتضي ذلك. لأنها جاءت عامة في استحقاق المحسنين لجزاء أعمالهم، ولم يرد دليل يخصصها، فتبقى على عمومها، وهو مذهب أكثر الفقهاء.

القرآن

{ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١)} [الأنعام : ١٣١]

التفسير:

إنما أعذرنا إلى الثقلين بإرسال الرسل وإنزال الكتب، لئلا يؤاخَذ أحد بظلمه، وهو لم تبلغه دعوة، ولكن أعذرنا إلى الأمم، وما عذَّبنا أحدًا إلا بعد إرسال الرسل إليهم.

وفي تفسير قوله تعالى: {ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ} [الأنعام : ١٣١]، قولان:

أحدهما : وما كان ربك مهلك القرى بظلم منه ولكن بحق استوجبوا به الهلكة ، به قال الزجاج[٢٣١١]، والطبري[٢٣١٢]، وابن كثير[٢٣١٣].

الثاني : وما كان ربك مهلك القرى بظلم أهلها حتى يقدم إنذارهم ويرفع أعذارهم ويخرجوا من حكم الغافلين فيما ينزل بهم ، وهو معنى قول مجاهد[٢٣١٤]، وبه قال الفراء[٢٣١٥].

وأولى القولين بالصواب عندي، القولُ الأول: أن يكون معناه: أن لم يكن ليهلكهم بشركهم، دون إرسال الرسل إليهم، والإعذار بينه وبينهم. وذلك أن قوله: {ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم} ، عقيب قوله:ألم يأتكم رسل منكم يقصُّون عليكم آياتي) ، فكان في ذلك الدليل الواضحُ على أن نصَّ قوله: {ذلك أن لم يكن ربك مهلك القرى بظلم} ، إنما هو: إنما فعلنا ذلك من أجل أنَّا لا نهلك القرى بغير تذكيرٍ وتنبيه"[٢٣١٦].

(٢٣٠٤) انظر: تفسير البغوي:٧/٢٧٠.

(٢٣٠٥) انظر: تفسير روح المعاني:٢٧/ ١٢٠، والأشباه والنظائر:٢/ ٣٣٠.

(٢٣٠٦)مجموع فتاوى ابن تيمية:٤/ ٢٣٣. ولم نقف على حديث الطبراني هذا.

(٢٣٠٧)انظر: الأشباه والنظائر:٢/ ٣٣٠.

(٢٣٠٨)أخرجه عنه الثعلبي في الكشف والبيان:٢٣/٩، والسيوطي في الدر المنثور:٣٦٠/٣، وزاد نسبته إلى ابن المنذر،وذكره عنه النووي في صحيح مسلم بشرح النووي:٤/ ١٦٩.

(٢٣٠٩) مفاتيح الغيب:٣٣/٢٨.

(٢٣١٠) مفاتيح الغيب:٣٣/٢٨.

(٢٣١١) انظر: معاني القرآن:٢٩٣/٢.

(٢٣١٢) انظر: تفسير الطبري:١٢٤/١٢-١٢٥.

(٢٣١٣) انظر: تفسير ابن كثير:٣٤٢/٣.

(٢٣١٤) انظر: النكت والعيون:١٧٢/٢.

(٢٣١٥) انظر: معاني القرآن:٣٥٥/١.

(٢٣١٦) تفسير الطبري:١٢٤/١٢-١٢٥.

القرآن

{وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢)} [الأنعام : ١٣٢]

التفسير:

ولكل عامل في طاعة الله تعالى أو معصيته مراتب من عمله، يبلّغه الله إياها، ويجازيه عليها. وما ربك -أيها الرسول- بغافل عما يعمل عباده.

قوله تعالى:{وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا} [الأنعام : ١٣٢]، أي:" ولكل عامل في طاعة الله تعالى أو معصيته مراتب من عمله، يبلّغه الله إياها، ويجازيه عليها" (٢٣١٧).

قال سعيد بن جبير:" {درجات}، يعني: فضائل ورحمة"(٢٣١٨).

قال ابن أبي ليلى: "لهم ثواب، يعني: للجن، فوجدنا تصديق قوله في كتاب الله: {ولكل درجات مما عملوا}"(٢٣١٩).

القرآن

{وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ (١٣٣)} [الأنعام : ١٣٣]

التفسير:

وربك -أيها الرسول- الذي أمر الناس بعبادته، هو الغني وحده، وكل خلقه محتاجون إليه، وهو سبحانه ذو الرحمة الواسعة، لو أراد لأهلككم، وأوجد قومًا غيركم يخلفونكم من بعد فنائكم، ويعملون بطاعته تعالى، كما أوجدكم من نسل قوم آخرين كانوا قبلكم.

قوله تعالى:{كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ} [الأنعام : ١٣٣]، أي:" كما خلقكم وابتدأكم من بعد آخرين كانوا قبلكم"(٢٣٢٠).

قال أبان بن عثمان: "{كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين}، قال: الذرية الأصل، والذرية النسل"(٢٣٢١).

القرآن

{إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ (١٣٤)} [الأنعام : ١٣٤]

التفسير:

إن الذي يوعدكم به ربكم - أيها المشركون - من العقاب على كفركم واقع بكم، ولن تُعجزوا ربكم هربًا، فهو قادر على إعادتكم، وإن صرتم ترابًا وعظامًا.

قوله تعالى:{إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ} [الأنعام : ١٣٤]، أي:" إن الذي يوعدكم به ربكم - أيها المشركون - من العقاب على كفركم واقع بكم، ولن تُعجزوا ربكم هربًا"(٢٣٢٢).

قال الحسن:" أي: من مجيء الساعة؛ لأنهم كانوا يكذبون بالنشأة الثانية"(٢٣٢٣).

القرآن

{قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (١٣٥)} [الأنعام : ١٣٥]

التفسير:

(٢٣١٧) التفسير الميسر:١٤٥.

(٢٣١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٠٤):ص١٣٨٩/٤.

(٢٣١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٠٥):ص١٣٨٩/٤.

(٢٣٢٠) صفوة التفاسير:٣٨٩/١.

(٢٣٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٠٦):ص١٣٩٠/٤.

(٢٣٢٢) التفسير الميسر:١٤٥.

(٢٣٢٣)ذكره الواحدي في "البسيط": ٤٤٩/٨، والرازي في "تفسيره" ١٣/ ١٦٦، والقرطبي ٧/ ٨٨، وأبو حيان في "البحر" ٤/ ٢٢٥.

قل -أيها الرسول-: يا قوم اعملوا على طريقتكم فإني عامل على طريقتي التي شرعها لي ربي جل وعلا فسوف تعلمون -عند حلول النقمة بكم- مَن الذي تكون له العاقبة الحسنة؟ إنه لا يفوز برضوان الله تعالى والجنة مَن تجاوز حده وظلم، فأشرك مع الله غيره.

قوله تعالى:{قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ} [الأنعام : ١٣٥]، أي:" أي قل لهم يا محمد يا قوم اثبتوا على كفركم ومعاداتكم لي واعملوا ما أنتم عاملون"[٢٣٢٤].

عن الحسن[٢٣٢٥]، ومجاهد[٢٣٢٦]، والضحاك[٢٣٢٧]، قوله:"{ عَلَى مَكَانَتِكُمْ}، قالوا:" على ناحيتكم".

وعن قتادة:" {اعملوا على مكانتكم}، أي: منازلكم"[٢٣٢٨].

القرآن

{وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (١٣٦)} [الأنعام : ١٣٦]

التفسير:

وجعل المشركون لله -جلَّ وعلا- جزءًا مما خلق من الزروع والثمار والأنعام يقدمونه للضيوف والمساكين، وجعلوا قسمًا آخر من هذه الأشياء لشركائهم من الأوثان والأنصاب، فما كان مخصصًا لشركائهم فإنه يصل إليها وحدها، ولا يصل إلى الله، وما كان مخصصا لله تعالى فإنه يصل إلى شركائهم. بئس حكم القوم وقسمتهم.

قوله تعالى:{وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا} [الأنعام : ١٣٦]، أي:" وجعل المشركون لله -جلَّ وعلا- جزءًا مما خلق من الزروع والثمار والأنعام يقدمونه للضيوف والمساكين"[٢٣٢٩].

وهذا النصيب لآلهتنا وأصنامنا"[٢٣٣٠].

قوله تعالى:{فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ} [الأنعام : ١٣٦]، أي:" فما كان مخصصًا لشركائهم فإنه يصل إليها وحدها، ولا يصل إلى الله، وما كان مخصصا لله تعالى فإنه يصل إلى شركائهم"[٢٣٣١].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِم فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ} [الأنعام : ١٣٦]، على قولين:

أحدهما : أنه كان إذا اختلط بأموالهم شيء مما جعلوه لأوثانهم ، ردوه ، وإذا اختلط بها ما جعلوه لله لم يردوه ، قاله مجاهد[٢٣٣٢]، وقتادة[٢٣٣٣]، والكلبي[٢٣٣٤].

الثاني : أنه كان إذا هلك ما لأوثانهم غرموه ، وإذا هلك ما لله لم يغرموه ، قاله الحسن[٢٣٣٥]، والسدي[٢٣٣٦].

والراجح-والله أعلم- هو القول الاول، "لأن الله جل ثناؤه أخبر أنهم جعلوا لله من حرثهم وأنعامهم قسمًا مقدرًا، فقالوا:"هذا لله" وجعلوا مثله لشركائهم، وهم أوثانهم، بإجماع من أهل التأويل عليه، فقالوا:{هذا لشركائنا} وإن نصيب شركائهم لا يصل منه إلى الله، بمعنى: لا يصل إلى نصيب الله، وما كان لله وصَل إلى نصيب شركائهم. فلو كان وصول ذلك بالتسمية وترك التسمية، كان أعيان ما أخبر الله عنه أنه لم يصل، جائزًا أن تكون قد وصلت، وما أخبر عنه أنه قد وصل، لم يصل. وذلك خلاف ما دلّ عليه ظاهر الكلام، لأن

(٢٣٢٤) صفوة التفاسير:١/٣٩٠.
(٢٣٢٥) انظر: النكت والعيون: ٢/١٧٣.
(٢٣٢٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:٤/١٣٩٠، حكاه دون ذكر السند.
(٢٣٢٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٠٧)ص:٦/٢٠٩٧.
(٢٣٢٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١١٣٠٨)ص:٦/٢٠٩٧.
(٢٣٢٩) التفسير الميسر:١٤٥.
(٢٣٣٠) صفوة التفاسير:١/٣٩٠.
(٢٣٣١) التفسير الميسر:١٤٥.
(٢٣٣٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٠٢):ص١٢/١٣١-١٣٢.
(٢٣٣٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٠٤):ص١٢/١٣٢.
(٢٣٣٤) انظر: كتاب الاصنام:٤٣.
(٢٣٣٥) انظر: النكت والعيون:٢/١٧٤.
(٢٣٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٠٦):ص١٢/١٣٢-١٣٣.

الذبيحتين تُذبح إحداهما لله، والأخرى للآلهة، جائز أن تكون لحومهما قد اختلطت، وخلطوها إذ كان المكروه عندهم تسمية الله على ما كان مذبوحًا للآلهة، دون اختلاط الأعيان واتصال بعضها ببعض"[٢٣٣٧].

القرآن

{وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١٣٧)} [الأنعام : ١٣٧]

التفسير:

وكما زيَّن الشيطان للمشركين أن يجعلوا لله تعالى من الحرث والأنعام نصيبًا، ولشركائهم نصيبًا، زيَّنت الشياطين لكثير من المشركين قَتْلَ أولادهم خشية الفقر; ليوقعوا هؤلاء الآباء في الهلاك بقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وليخلطوا عليهم دينهم فيلتبس، فيضلوا ويهلكوا، ولو شاء الله ألا يفعلوا ذلك ما فعلوه، ولكنه قدَّر ذلك لعلمه بسوء حالهم ومآلهم، فاتركهم -أيها الرسول- وشأنهم فيما يفترون من كذب، فسيحكم الله بينك وبينهم.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ} [الأنعام : ١٣٧]، أي:" مثل ذلك التزيين في قسمة القربان بين الله وبين آلهتهم زيَّن شياطينُهم لهم قتل أولادهم بالوأد أو بنحرهم لآلهتهم"[٢٣٣٨].

قال قتادة:" شركاؤهم زينوا لهم ذلك"[٢٣٣٩].

عن مجاهد :"{قتل أولادهم شركاؤهم}، شياطينهم، يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العيلة"[٢٣٤٠].

قال السدي:" أمرتهم الشياطين أن يقتلوا البنات. وأما {ليردوهم}، فيهلكوهم. وأما {ليلبسوا عليهم دينهم}، فيخلطوا عليهم دينهم"[٢٣٤١].

قوله تعالى:{لِيُرْدُوهُمْ} [الأنعام : ١٣٧]، أي:" ليهلكوهم بالإغواء"[٢٣٤٢].

قال السدي: "فيهلكوهم"[٢٣٤٣].

قوله تعالى:{وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ} [الأنعام : ١٣٧]، أي:" وليخلطوا عليهم دينهم فيلتبس، فيضلوا ويهلكوا"[٢٣٤٤].

قال السدي: " {وليلبسوا عليهم دينهم}، فيخلطوا عليهم دينهم"[٢٣٤٥].

قوله تعالى:{فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام : ١٣٧]، أي:" فدعْهم وما يختلقونه من الإفك على الله"[٢٣٤٦].

قال السدي: "يعني: خل عنهم"[٢٣٤٧].

القرآن

{وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (١٣٨)} [الأنعام : ١٣٨]

التفسير:

وقال المشركون: هذه إبل وزرع حرام، لا يأكلها إلا مَن يأذنون له -حسب ادعائهم- مِن سدنة الأوثان وغيرهم.

وهذه إبل حُرِّمت ظهورها، فلا يحل ركوبها والحملُ عليها بحال من الأحوال.

(٢٣٣٧) تفسير الطبري:١٢/١٣٤-١٣٥.

(٢٣٣٨) صفوة التفاسير:١/٣٩٠.

(٢٣٣٩) أخرجه الطبري(١٣٩١١):ص١٢/١٣٧.

(٢٣٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٠٩):ص١٢/١٣٦.

(٢٣٤١) انظر: تفسير الطبري(١٣٩١٣):ص١٢/١٣٧.

(٢٣٤٢) صفوة التفاسير:١/٣٩٠.

(٢٣٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٢٠)ص٤/١٣٩٣.

(٢٣٤٤) التفسير الميسر:١٤٥.

(٢٣٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٢١)ص٤/١٣٩٣.

(٢٣٤٦) صفوة التفاسير:١/٣٩٠.

(٢٣٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٢٢)ص٤/١٣٩٣.

وهذه إبل لا يَذكرون اسم الله تعالى عليها في أي شأن من شئونها. فعلوا ذلك كذبًا منهم على الله، سيجزيهم الله بسبب ما كانوا يفترون من كذبٍ عليه سبحانه.

قوله تعالى:{وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ} [الأنعام : ١٣٨]، أي:" قال المشركون هذه أنعام وزروع أفردناها لآلهتنا حرام ممنوعة على غيرهم"[٢٣٤٨].

عن مجاهد: قوله: "{وقالوا هذه أنعام وحرث حجر}، مما جعلوا لله وشركائهم"[٢٣٤٩].

قال الضحاك:" أما{حجر}، يقول: محرَّم. وذلك أنهم كانوا يصنعون في الجاهلية أشياء لم يأمر الله بها، كانوا يحرّمون من أنعامهم أشياء لا يأكلونها، ويعزلون من حرثهم شيئًا معلومًا لآلهتهم، ويقولون: لا يحل لنا ما سمّينا لآلهتنا"[٢٣٥٠].

وقرأ الحسن وقتادة: «وَحَرْثٌ حُجْرٌ»، بضم «الحاء»[٢٣٥١].

قوله تعالى:{لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ} [الأنعام : ١٣٨]، أي:" لا يأكلها إلا مَن يأذنون له من خدمة الأوثان وغيرهم بزعمهم الباطل من غير حجة ولا برهان"[٢٣٥٢].

قال السدي:"فيقولون: حرام أن يطعم إلا من شئنا"[٢٣٥٣].

عن الحسن[٢٣٥٤]، ومجاهد[٢٣٥٥]: "أن الأنعام التي يحكمون فيها بهذا الحكم عندهم هي البَحِيْرَة والحام خاصة ، والحرث ما جعلوه لأوثانهم ".

قوله تعالى:{وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا} [الأنعام : ١٣٨]، أي:" وهذه إبل حُرِّمت ظهورها، فلا يحل ركوبها والحملُ عليها بحال من الأحوال"[٢٣٥٦].

قال السدي:" البحيرة والسائبة والحام"[٢٣٥٧].

قال قتادة:" كانت تحرم عليهم في أموالهم من الشيطان، وتغليظ وتشديد، وكان ذلك من الشيطان ولم يكن ذلك من الله عز وجل"[٢٣٥٨].

قوله تعالى:{وَأَنْعَامٌ لَا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا} [الأنعام : ١٣٨]، أي:" وهذه إبل لا يَذكرون اسم الله تعالى عليها في أي شأن من شئونها"[٢٣٥٩].

قال السدي:" فكانوا لا يذكرون اسم الله عليها إذا ولدوها، ولا إن نحروها"[٢٣٦٠].

قال مجاهد:" كان من إبلهم طائفة لا يذكرون اسم الله عليها ولا في شيء من شأنها، لا إن ركبوها، ولا إن حلبوا، ولا إن حملوا، ولا إن منحوا، ولا إن عملوا شيئًا"[٢٣٦١].

القرآن

{وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٣٩)} [الأنعام : ١٣٩]

التفسير:

(٢٣٤٨) صفوة التفاسير:١/٣٩٠.
(٢٣٤٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٢٤):ص١٣٩٣/٤.
(٢٣٥٠) أخرجه الطبري(١٣٩٢٣):ص١٤٣/١٢.
(٢٣٥١) أخرجه الطبري(١٣٩١٥):ص١٤١/١٢.
(٢٣٥٢) صفوة التفاسير:١/٣٩٠، والتفسير الميسر:١٤٦.
(٢٣٥٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٢٦):ص١٣٩٤/٤.
(٢٣٥٤)انظر: النكت والعيون:٢/١٧٥.
(٢٣٥٥) انظر: النكت والعيون: ٢/١٧٥.
(٢٣٥٦) التفسير الميسر:١٤٦.
(٢٣٥٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٧٩٢٨):١٣٩٤/٤.
(٢٣٥٨) أخرجه الطبري(٧٩٢٩):ص١٣٩٤/٤.
(٢٣٥٩) التفسير الميسر:١٤٦.
(٢٣٦٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٣١):ص١٣٩٤/٤.
(٢٣٦١) أخرجه الطبري(١٣٩٣٠):ص١٤٥/١٢.

وقال المشركون: ما في بطون الأنعام من أجنَّة مباح لرجالنا، ومحرم على نسائنا، إذا ولد حيًّا، ويشركون فيه إذا ولد ميتًا. سيعاقبهم الله إذ شرَّعوا لأنفسهم من التحليل والتحريم ما لم يأذن به الله. إنه تعالى حكيم في تدبير أمور خلقه، عليم بهم.

قوله تعالى:{وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا} [الأنعام : ١٣٩]، أي:" وقال المشركون: ما في بطون الأنعام من أجنَّة مباح لرجالنا خاصة"[٢٣٦٢].

عن السدي: قوله: "{خالصة لذكورنا}، فهي خالصة للرجال دون النساء"[٢٣٦٣].

عن مجاهد: {هذه الأنعام خالصة لذكورن}،ا قال: السائبة والبحيرة"[٢٣٦٤].

وفي قوله تعالى:{مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ} [الأنعام : ١٣٩] ثلاثة أقوال:

أحدها : أن ما في بطونها الأجنة، قاله : مجاهد[٢٣٦٥]، والسدي[٢٣٦٦].

والثاني : الألبان ، قاله قتادة[٢٣٦٧].

قوله تعالى:{وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا} [الأنعام : ١٣٩]، أي:" ومحرم على نسائنا"[٢٣٦٨].

عن مجاهد: قوله: "{ومحرم على أزواجنا}، قال: النساء"[٢٣٦٩]. وروي عن السدي وقتادة نحو ذلك[٢٣٧٠].

قوله تعالى:{وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ} [الأنعام : ١٣٩]، أي:" وإن كان هذا المولود منها ميتةً اشترك فيه الذكور والإناث"[٢٣٧١].

قال السدي:" ما ولدت من ميت فيأكله الرجال والنساء"[٢٣٧٢]. وروي عن عكرمة وقتادة نحو ذلك[٢٣٧٣].

قوله تعالى:{سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ} [الأنعام : ١٣٩]، أي:" سيجزيهم جزاء وصفهم الكذب على الله في التحليل والتحريم"[٢٣٧٤].

عن مجاهد: قوله: "{سيجزيهم وصفهم}، قال: قولهم الكذب في ذلك"[٢٣٧٥]. وروي عن أبي العالية[٢٣٧٦]، وقتادة[٢٣٧٧] نحو ذلك.

قوله تعالى:{إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام : ١٣٩]، أي:" إنه تعالى حكيم في تدبير أمور خلقه، عليم بهم[٢٣٧٨].

قال أبو العالية:، قال: حكيم في أمره"[٢٣٧٩].

قال محمد بن إسحاق: "{والله عليم} أي: عليم بما يخفون"[٢٣٨٠].

القرآن

(٢٣٦٢) التفسير الميسر:١٤٦، وصفوة التفاسير:٣٩١/١.

(٢٣٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٣٧):ص١٣٩٥/٥.

(٢٣٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٣٦):ص١٣٩٥/٥.

(٢٣٦٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٤٠):ص١٤٨/١٢.

(٢٣٦٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٣٩):ص١٤٧/١٢-١٤٨، وتفسير ابن ابي حاتم(٧٩٣٣):ص١٣٩٥/٥.

(٢٣٦٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٣٤):ص١٤٧/١٢.

(٢٣٦٨) التفسير الميسر:١٤٦.

(٢٣٦٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٣٨):ص١٣٩٥/٥.

(٢٣٧٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٣٩٥/٥. حكاه عنهم دون ذكر السند.

(٢٣٧١) صفوة التفاسير:٣٩١/١.

(٢٣٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٤٠):ص١٣٩٦/٥.

(٢٣٧٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٣٩٦/٥. حكاه عنهم دون ذكر السند.

(٢٣٧٤) صفوة التفاسير:٣٩١/١.

(٢٣٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٤١):ص١٣٩٦/٥.

(٢٣٧٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٤٨):ص١٥٢/١٢، وتفسير ابن أبي حاتم: ١٣٩/٥، حكاه عنهم دون ذكر السند.

(٢٣٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٤٩):ص١٥٢/١٢، وتفسير ابن أبي حاتم: ١٣٩/٥، حكاه عنهم دون ذكر السند.

(٢٣٧٨) التفسير الميسر:١٤٦.

(٢٣٧٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٩١٥).:ص٨٨٤/٣

(٢٣٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٤٧):ص٨٩٠/٣.

{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٤٠)} [الأنعام : ١٤٠]

التفسير:

قد خسر وهلك الذين قتلوا أولادهم لضعف عقولهم وجهلهم، وحرموا ما رزقهم الله كذبًا على الله. قد بَعُدوا عن الحق، وما كانوا من أهل الهدى والرشاد. فالتحليل والتحريم من خصائص الألوهية في التشريع، والحلال ما أحله الله، والحرام ما حرَّمه الله، وليس لأحد من خَلْقه فردًا كان أو جماعة أن يشرع لعباده ما لم يأذن به الله.

سبب النزول:

عن عكرمة، قوله: "{ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْسَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} ، قال: نزلت فيمن يئد البنات من ربيعة ومُضَر، كان الرجل يشترط على امرأته أن تستحيي جارية وتئد أخرى. فإذا كانت الجارية التي تَئِد، غدا الرجل أو راح من عند امرأته، وقال لها:أنت علي كظهر أمِّي إن رجعت إليك ولم تئديها، فتخُدُّ لها في الأرض خدًّا، وترسل إلى نسائها فيجتمعن عندها، ثم يتداولنها، حتى إذا أبصرته راجعًا دستها في حفرتها، ثم سوّت عليها التراب"[٢٣٨١].

قوله تعالى:{قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ} [الأنعام : ١٤٠]، أي:"والله لقد خسر هؤلاء السفهاء الذين قتلوا أولادهم"[٢٣٨٢].

قال أبو رزين:" قد ضلوا قبل ذلك"[٢٣٨٣].

قوله تعالى:{سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام : ١٤٠]، أي:" جهالة وسفاهة لخفة عقلهم وجهلهم بأن الله هو الرازق لهم ولأولادهم"[٢٣٨٤].

قال قتادة:" وهذا صنع أهل الجاهلية، كان أحدهم يقتل ابنته مخافة السباء والفاقة، ويغذو كلبه"[٢٣٨٥].

عن الحارث قال:" حدثنا عبد العزيز قال: إذا سرَّك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما بعد المائة من سورة الأنعام قوله: {قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهًا بغير علم}، الآية"[٢٣٨٦].

قوله تعالى:{وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ} [الأنعام : ١٤٠]، أي:" وحرموا على أنفسهم ما رزقهم الله"[٢٣٨٧].

قال السدي:"ذكر ما صنعوا في أموالهم وأولادهم، فقال: {وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله}"[٢٣٨٨].

عن قتادة: قوله: "{وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله}، قال: هم أهل الجاهلية، جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا، تحكما من الشيطان في أموالهم"[٢٣٨٩].

وفي رواية أخرى عن قتادة أيضا:" هم أهل الجاهلية، جعلوا بحيرة وسائبة ووصيلة وحاميا تحريما من الشيطان، وحرموا من مواشيهم وحرثهم، فكان ذلك من الشيطان {افتراء على الله}"[٢٣٩٠].

قوله تعالى:{قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} [الأنعام : ١٤٠]، أي:" قد بَعُدوا عن الحق، وما كانوا من أهل الهدى والرشاد"[٢٣٩١].

قال أبو رزين:"ضلوا بقتل أولادهم"[٢٣٩٢]، "لم يكونوا مهتدين بقتل أولادهم"[٢٣٩٣].

(٢٣٨١) أخرجه الطبري(١٣٩٥٠):ص١٥٤/١٢. وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٦٦) ونسبه لابن المنذر وأبي الشيخ.

(٢٣٨٢)صفوة التفاسير:٣٩١/١.

(٢٣٨٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٤٢):ص١٣٩٦/٥.

(٢٣٨٤) صفوة التفاسير:٣٩١/١.

(٢٣٨٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٤٣):ص١٣٩٦/٥.

(٢٣٨٦) أخرجه الطبري(١٣٩٥٣):ص١٥٥/١٢.

(٢٣٨٧) التفسير الميسر:١٤٦.[بتصرف بسيط].

(٢٣٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٤٤):ص١٣٩٦/٥.

(٢٣٨٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٤٥):ص١٣٩٧/٥.

(٢٣٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٤٦):ص١٣٩٧/٥.

(٢٣٩١) التفسير الميسر:١٤٦.

(٢٣٩٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٤٧):ص١٣٩٧/٥.

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (١٤١)} [الأنعام : ١٤١]

التفسير:

والله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد لكم بساتين: منها ما هو مرفوع عن الأرض كالأعناب، ومنها ما هو غير مرفوع، ولكنه قائم على سوقه كالنخل والزرع، متنوعًا طعمه، والزيتون والرمان متشابهًا منظره، ومختلفًا ثمره وطعمه. كلوا -أيها الناس- مِن ثمره إذا أثمر، وأعطوا زكاته المفروضة عليكم يوم حصاده وقطافه، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في إخراج المال وأكل الطعام وغير ذلك. إنه تعالى لا يحب المتجاوزين حدوده بإنفاق المال في غير وجهه.

في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال:

أحدها: عن أبي العالية؛ قال: "كانوا يعطون شيئاً سوى الزكاة، ثم إنهم تباذروا وأسرفوا؛ فأنزل الله: {وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}"[٢٣٩٤]. [ضعيف]

الثاني: عن ابن جريج؛ قال: "نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وجد نخلاً، فقال: لا يأتيني اليوم أحد إلا أطعمته فأطعم حتى أمسى وليست له ثمرة؛ فأنزل الله: {وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} "[٢٣٩٥]. [ضعيف جداً]

الثالث: قال ابن جريج: "وقال آخرون جذ معاذ بن جبل نخله فلم يزل يتصدق من ثمره حتى لم يبق منه شيء فنزلت: {وَلَا تُسْرِفُوا}" [٢٣٩٦].

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ} [الأنعام : ١٤١]، أي:" والله سبحانه وتعالى هو الذي أوجد لكم بساتين: منها منها مرفوعات على عيدان، ومنها متروكات على وجه الأرض لم تعرش"[٢٣٩٧].

عن السدي: أما: {جنات}، فالبساتين، وأما {المعروشات}، فما عرش كهيئة الكرم"[٢٣٩٨].

قوله تعالى:{وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ} [الأنعام : ١٤١]، أي:" والزيتون والرمان متشابهًا منظره، ومختلفًا ثمره وطعمه"[٢٣٩٩].

قال ابن جريج:" {متشابهًا}، في المنظر،{وغير متشابه}، في الطعم"[٢٤٠٠].

قوله تعالى:{كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ} [الأنعام : ١٤١]، أي:" كلوا -أيها الناس- مِن ثمره إذا أثمر"[٢٤٠١].

(٢٣٩٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٤٨):ص١٣٩٧/٥.

(٢٣٩٤)أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٣/ ١٨٥)، والطبري في "جامع البيان" (١٤٠٣٨):ص١٧٤/١٢،[وفيه:" تبارَوْا فيه".وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٣٩٩ رقم ٧٩٦١) من طريق المعتمر بن سليمان ثنا عاصم الأحول عن أبي العالية.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٦٩) وزاد نسبته لأبي الشيخ.

(٢٣٩٥)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٤٠٤٠):ص١٧٤/١٢ -: ثنا حجاج عنه به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف سنيد صاحب "التفسير".

وأخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٣٩٩ رقم ٧٩٦٦) من طريق عبد الرزاق عن ابن جريج: جدّ معاذ بن جبل -رضي الله عنه- نخلة، فلم يزل يتصدق من ثمره حتى لم يبق منه شيء؛ فنزلت: {وَلَا تُسْرِفُوا}.

قلنا: وهذا معضل.

(٢٣٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٨٤):ص١٤٦٥/٥.

(٢٣٩٧) صفوة التفاسير:٣٩٣/١، والتفسير الميسر:١٤٦.

(٢٣٩٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٥٧):ص١٥٦/١٢.

(٢٣٩٩) التفسير الميسر:١٤٦.

(٢٤٠٠) أخرجه الطبري(١٣٩٥٩):ص١٥٧/١٢.

(٢٤٠١) التفسير الميسر:١٤٦.

عن محمد بن كعب:{كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ}، قال:" من رطبه وعنبه"[٢٤٠٢]. وروي عن موسى بن عبيدة مثل ذلك[٢٤٠٣].

قوله تعالى:{وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ} [الأنعام : ١٤١]، أي:" وأعطوا زكاته المفروضة عليكم يوم حصاده وقطاف"[٢٤٠٤].

عن الضحاك في قوله :"{وآتوا حقه يوم حصاده}، قال : يوم كيله"[٢٤٠٥].

محمد بن الحنفية، قوله :"{وآتوا حقه يوم حصاده} ، قال : يوم كيله ، يعطي العشر ونصف العشر"[٢٤٠٦].

وفي قوله تعالى:{وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ} [الأنعام : ١٤١]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنها الصدقة المفروضة فيه : العُشْر فيما سقي بغير آلة ، ونصف العشر فيما سقي بآلة، قاله الحسن[٢٤٠٧]، وسعيد بن المسيب[٢٤٠٨] وقتادة[٢٤٠٩]، وطاووس[٢٤١٠]، ومحمد بن حنيفة[٢٤١١]، والضحاك[٢٤١٢]، وهو قول الجمهور[٢٤١٣].

الثاني : أنها صدقة غير الزكاة ، مفروضة يوم الحصاد والصرام وهي إطعام من حضر وترك ما تساقط من الزرع والثمر ، قاله عطاء[٢٤١٤]، ومجاهد[٢٤١٥]، وسعيد بن جبير[٢٤١٦]، ومحمد بن كعب[٢٤١٧]، والربيع بن أنس[٢٤١٨]، وابن سيرين[٢٤١٩]، وإبراهيم[٢٤٢٠]، وحماد[٢٤٢١]، وابن أبي نجيح[٢٤٢٢].

قال يزيد بن الأصم:" كان النخل إذا صُرِم يجيء الرجل بالعِذْق من نخله ، فيعلّقه في جانب المسجد ، فيجيء المسكين فيضربُه بعصاه ، فإذا تناثر أكلَ منه . فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه حَسن أو حسين ، فتناول تمرةً ، فانتزعها من فيه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يأكل الصَّدقة ، ولا أهلُ بيته . فذلك قوله : {وآتوا حقَّه يوم حصاده}"[٢٤٢٣].

وعن ميمون بن مهران ، ويزيد بن الأصم قالا :"كان أهل المدينة إذا صرموا يجيئون بالعِذْق فيضعونه في المسجد ، ثم يجيء السائل فيضربه بعصاه ، فيسقط منه ، وهو قوله : {وآتوا حقَّه يوم حصاده}"[٢٤٢٤].

الثالث : أن هذا كان مفروضاً قبل الزكاة ثم نسخ بها ، روي ذلك عن الحسن[٢٤٢٥]، وسعيد بن جبير[٢٤٢٦]، وإبراهيم[٢٤٢٧]، والسدي[٢٤٢٨]، وعطية[٢٤٢٩]، وابن حنيفة[٢٤٣٠].

(٢٤٠٢) أخرجه الطبري(١٣٩٦٠):ص١٥٧/١٢.
(٢٤٠٣) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٦١):ص١٥٧/١٢.
(٢٤٠٤) التفسير الميسر:١٤٦.
(٢٤٠٥) أخرجه الطبري(١٤٠٣٥):ص١٧٢/١٢.
(٢٤٠٦) أخرجه الطبري(١٤٠٣٦):ص١٧٢/١٢.
(٢٤٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٦٢):ص١٥٨/١٢.
(٢٤٠٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٦٩):ص١٥٩/١٢.
(٢٤٠٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٧٣):ص١٦٠/١٢.
(٢٤١٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٧٤):ص١٦٠/١٢.
(٢٤١١) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٧٥):ص١٦٠/١٢.
(٢٤١٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٨٠):ص١٦١/١٢.
(٢٤١٣) انظر: النكت والعيون:١٧٨/٢.
(٢٤١٤) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٨٦)-(١٣٩٩٠):ص١٦٢/١٢-١٦٣.
(٢٤١٥) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٩٢)(١٣٩٩٨):ص١٦٣/١٢-١٦٤.
(٢٤١٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٠١٥):ص١٦٧/١٢.
(٢٤١٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٠١٨):ص١٦٧/١٢-١٦٨.
(٢٤١٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٠١٢):ص١٦٧/١٢.
(٢٤١٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٠٣):ص١٦٥/١٢.
(٢٤٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٠٥)-(١٤٠٠٨):ص١٦٥/١٢-١٦٦.
(٢٤٢١) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٩١):ص١٦٣/١٢.
(٢٤٢٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٩٩٩):ص١٦٤/١٢.
(٢٤٢٣) أخرجه الطبري(١٤٠٠٩):ص١٦٦/١٢.
(٢٤٢٤) أخرجه الطبري(١٤٠١٠):ص١٦٦/١٢.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب ، قولُ من قال : كان ذلك فرضًا فرضه الله على المؤمنين في طعامِهم وثمارهم التي تُخْرجها زروعهم وغرُوسهم ، ثم نسخه الله بالصدقة المفروضة ، والوظيفة المعلومةِ من العشر ونصف العشر. وذلك أن الجميع مجمعون لا خلاف بينهم : أنّ صدقة الحرث لا تؤخذ إلا بعد الدِّياس والتنقية والتذرية ، وأن صدقة التمر لا تؤخذ إلا بعد الإجزاز.

فإذا كان ذلك كذلك ، وكان قوله جل ثناؤه : {وآتوا حقه يوم حصاده}، ينبئ عن أنه أمرٌ من الله جل ثناؤه بإيتاء حقه يوم حصاده ، وكان يوم حصاده هو يوم جَذِّه وقطعه ، والحبُّ لا شك أنه في ذلك اليوم في سنبله ، والتَّمر وإن كان ثمر نخل أو كَرْم غيرُ مستحكم جُفوفه ويبسه ، وكانت الصدقة من الحبِّ إنما تؤخذ بعد دِياسه وتذريته وتنقيته كيلا والتمر إنما تؤخذ صدقته بعد استحكام يبسه وجفوفه كَيْلا علم أن ما يؤخذ صدقة بعد حين حَصْده ، غير الذي يجب إيتاؤه المساكين يوم حَصاده"[٢٤٣١].

قوله تعالى:{وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام : ١٤١]، أي:" ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في إخراج المال وأكل الطعام وغير ذلك. إنه تعالى لا يحب المتجاوزين حدوده بإنفاق المال في غير وجهه"[٢٤٣٢].

وفي قوله تعالى:{وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} [الأنعام : ١٤١]، قولان:

أحدهما : أن هذا الإسراف المنهي عنه هو أن يتجاوز رب المال إخراج القدر المفروض عليه إلى زيادة تجحف به ، قاله أبو العالية[٢٤٣٣]، وعطاء[٢٤٣٤]، وابن جريج[٢٤٣٥]، وإياس بن معاوية[٢٤٣٦]، والسدي[٢٤٣٧].

وقد روى سعد بن سنان عن أنس، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : "المُعْتَدِي فِي الصَّدَقَةِ كَمَانِعِهَا"[٢٤٣٨].

وقيل : إنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس وقد تصدق بجميع ثمرته حتى لم يبق فيها ما يأكله[٢٤٣٩].

الثاني: هو أن يمنع رب المال من دفع القدر الواجب عليه ، قاله سعيد بن والمسيب[٢٤٤٠]، ومحمد بن كعب[٢٤٤١].

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله تعالى ذكره نهى بقوله : {ولا تسرفوا}، عن جميع معاني«الإسراف»، ولم يخصص منها معنًى دون معنى . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان «الإسراف» في كلام العرب : الإخطاء بإصابة الحق في العطية ، إما بتجاوز حدّه في الزيادة ، وإما بتقصير عن حدّه الواجب كان

(٢٤٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٨):ص١٦٩/١٢.
(٢٤٢٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٣):ص١٦٨/١٢.
(٢٤٢٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٤)(١٤٠٢٧):ص١٥٨/١٢-١٦٩.
(٢٤٢٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٩):ص١٦٩/١٢.
(٢٤٢٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٣٤):ص١٧٠/١٢.
(٢٤٣٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٢):ص١٥٨/١٢.
(٢٤٣١) تفسير الطبري:١٧٠/١٢-١٧١.
(٢٤٣٢) التفسير الميسر:١٤٦.
(٢٤٣٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٣٧)-(١٤٠٣٩):ص١٧٣/١٢-١٧٤.
(٢٤٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤١):ص١٧٤/١٢.
(٢٤٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤٠):ص١٧٤/١٢.
(٢٤٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤٢):ص١٧٥/١٢.
(٢٤٣٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤٣):ص١٧٥/١٢.
(٢٤٣٨)أخرجه أبو داود من رواية أنس بن مالك رضي اللّه عنه، في السنن ٢/ ٢٤٣ - ٢٤٤، كتاب الزكاة (٣)، باب في زكاة السائمة (٤)، الحديث (١٥٨٥)، وأخرجه الترمذي في السنن ٣/ ٣٨، كتاب الزكاة (٥)، باب ما جاء في المعتدي في الصدقة (١٩)، الحديث (٦٤٦) وقال: (حديث أنس حديث غريب من هذا الوجه وقد تكلم أحمد بن حنبل في "سعد بن سنان")، وأخرجه ابن ماجه في السنن ١/ ٥٧٨، كتاب الزكاة (٨)، باب ما جاء في عمال الصدقة (١٤)، الحديث (١٨٠٨). قوله: (المُتَعَدِّي في الصدقة) أي الساعي بالتجاوز عن قدر الواجب.
(٢٤٣٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤٠):ص١٧٤/١٢.
(٢٤٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤٤):ص١٧٥/١٢.
(٢٤٤١) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤٥):ص١٧٥/١٢.

معلومًا أن المفرِّق ماله مباراةً ، والباذلهُ للناس حتى أجحفت به عطيته ، مسرفٌ بتجاوزه حدَّ الله إلى ما ليس له.

وكذلك المقصِّر في بذله فيما ألزمه الله بذله فيه ، وذلك كمنعه ما ألزمه إيتاءه منه أهلَ سُهْمَان الصدقة إذا وجبت فيه ، أو منعه من ألزمه الله نفقته من أهله وعياله ما ألزمه منها. وكذلك السلطان في أخذه من رعيته ما لم يأذن الله بأخذه . كل هؤلاء فيما فعلوا من ذلك مسرفون ، داخلون في معنى مَنْ أتى ما نهى الله عنه من الإسراف بقوله : {ولا تسرفوا}، في عطيتكم من أموالكم ما يجحف بكم إذ كان ما قبله من الكلام أمرًا من الله بإيتاء الواجب فيه أهله يوم حصاده. فإنّ الآية قد كانت تنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبب خاصّ من الأمور ، والحكم بها على العامّ ، بل عامّة آي القرآن كذلك. فكذلك قوله : {ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين}.

ومن الدليل على صحة ما قلنا من معنى«الإسراف» أنه على ما قلنا ، قول الشاعر[٢٤٤٢]:

أعْطَوا هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا ثَمَانِيَةٌ ... مَا فِي عَطَائِهِمُ مَنٌّ وَلا سَرَفُ

يعني بـ«السرف»: الخطأ في العطيّة"[٢٤٤٣].

قال النضر بن شميل: "الإسراف التبذير والإفراط، والسرف: الغفلة والجهل"[٢٤٤٤].

عن مجاهد قال: " لو أنفقت مثل أبي قبيس ذهبا في طاعة الله لم يكن إسرافا، ولو أنفقت صاعا في معصية الله كان إسرافا "[٢٤٤٥].

عن إبراهيم بن نشيط، قال: "سألت عمرة مولى ابن عمر عن «الإسراف»، ما هو. فقال: ليس شيء أنفقته في طاعة الله إسرافا"[٢٤٤٦].

واختلف المفسرون في نسخ قوله تعالى:{وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ}[الأنعام : ١٤١]، على قولين:

أحدهما: أن هذا كان شيئا واجبًا ، ثم نسخه الله بالعشر ونصف العشر. وهذا قول الحسن[٢٤٤٧]، وسعيد بن جبير[٢٤٤٨]، وإبراهيم[٢٤٤٩]، والسدي[٢٤٥٠]، وعطية[٢٤٥١]، وابن حنيفة[٢٤٥٢]. وهو اختيار الطبري[٢٤٥٣]، والنحاس[٢٤٥٤].

الثاني: أنها محكمة. وهذا اختيار مكي بن ابي طالب[٢٤٥٥]، وابن كثير[٢٤٥٦].

قال ابن كثير:" وفي تسمية هذا نسخًا نظر ؛ لأنه قد كان شيئًا واجبًا في الأصل ، ثم إنه فصل بيانه وبَيَّن مقدار المخرج وكميته. قالوا : وكان هذا في السنة الثانية من الهجرة ، فالله أعلم، وقد ذم الله سبحانه

(٢٤٤٢) البيت لجرير في ديوانه: ٣٨٩، وطبقات فحول الشعراء: ٣٥٩، والاشتقاق: ٢٤١، واللسان (هند) (سرف) ، وغيرها. من قصيدته التي مدح بها يزيد بن عبد الملك، وهجا آل المهلب، يقول ليزيد، قبله:

أرْجُو الفَوَاضِلَ إنَّ الله فَضَّلَكُمْ ... يَا قَبْلَ نَفْسِكَ لاقَى نَفْسِيَ التَّلَفُ

مَا مَنْ جَفَانَا إذا حَاجَاتُنَا نَزَلَتْ ... كَمنْ لَنَا عِنْدَه التكْرِيمُ واللُّطفُ

كَمْ قَد نَزَلْتُ بِكُمْ ضَيْفًا، فَتُلْحِفُنِي ... فَضْلَ اللِّحَافِ، وَنِعْمَ الفَضْلُ يُلْتَحَفُ

وقوله: "هنيدة" اسم لكل مئة من الإبل، لا تصرف، ولا تدخلها الألف واللام، ولا تجمع، ولا واحد لها من جنسها. و"هند" مثلها في المعنى، وبه سميت المرأة فيما أرجح، تساق في مهرها مئة من الإبل، من كرامتها وعزها ورغبة الأزواج فيها لشرفها. وقوله: "ثمانية" أي ثمانية من العبيد يقومون بأمرها.

(٢٤٤٣) تفسير الطبري:١٢/١٧٦-١٧٧.

(٢٤٤٤) الكشف والبيان:٤/١٩٩.

(٢٤٤٥) تفسير ابن أبي حاتم(٨٣٨١):٥/١٤٦٥.

(٢٤٤٦) تفسير ابن أبي حاتم(٨٣٨٨):٥/١٤٦٦.

(٢٤٤٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٨):ص١٢/١٦٩.

(٢٤٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٣):ص١٢/١٦٨.

(٢٤٤٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٤)(١٤٠٢٧):ص١٢/١٥٨-١٦٩.

(٢٤٥٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٩):ص١٢/١٦٩.

(٢٤٥١) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٣٤):ص١٢/١٧٠.

(٢٤٥٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٢٢):ص١٢/١٥٨.

(٢٤٥٣) انظر: تفسير الطبري:١٢/١٧٠-١٧١.

(٢٤٥٤) انظر: الناسخ والمنسوخ:١٣٨.

(٢٤٥٥)انظر: لإيضاح : ٢٤٥ - ٢٤٧.

(٢٤٥٦) تفسير ابن كثير:٣/٣٤٩.

الذين يصومون ولا يتصدقون ، كما ذكر عن أصحاب الجنة في سورة «ن» : { إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ * وَلَا يَسْتَثْنُونَ * فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ * فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ } أي : كالليل المدلهم سوداء محترقة { فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ * أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَارِمِينَ * فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ * أَنْ لا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مِسْكِينٌ * وَغَدَوْا عَلَى حَرْدٍ } أي : قوة وجلد وهمة { قَادِرِينَ * فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ * قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ * فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ * عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ * كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ } [القلم : ١٧ - ٣٣]"[٢٤٥٧].

القرآن

{وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (١٤٢)}
[الأنعام : ١٤٢]

التفسير:

وأوجد من الأنعام ما هو مهيَّأ للحمل عليه لكبره وارتفاعه كالإبل، ومنها ما هو مهيَّأ لغير الحمل لصغره وقربه من الأرض كالبقر والغنم، كلوا مما أباحه الله لكم وأعطاكموه من هذه الأنعام، ولا تحرموا ما أحلَّ الله منها اتباعًا لطرق الشيطان، كما فعل المشركون. إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة.

قوله تعالى:{وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا} [الأنعام : ١٤٢]، أي:" وأوجد من الأنعام ما هو مهيَّأ للحمل عليه لكبره وارتفاعه كالإبل، ومنها ما هو مهيَّأ لغير الحمل لصغره وقربه من الأرض كالبقر والغنم"[٢٤٥٨].

قال الطبري:يقول:" وأنشأ من الأنعام حمولة وفرشًا ، مع ما أنشأ من الجنات المعروشات وغير المعروشات، و «الحمولة»، ما حمل عليه من الإبل وغيرها، و«الفرش» ، صغار الإبل التي لم تدرك أن يُحْمَل عليها "[٢٤٥٩].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا} [الأنعام : ١٤٢]، أقوال:

أحدها : أن «الحَمُولة» كبار الإبل التي يُحْمَلُ عليها ، و«الفرش» صغارها التي لا يحمل عليها ، مأخوذ من افتراش الأرض بها على الاستواء كالفرش. قاله الحسن [٢٤٦٠]، ومجاهد[٢٤٦١].

الثاني : أن «الحَمُولة» ما حُمِلَ عليه من الإبل والبقر ، و«الفرش»: الغنم، قاله قتادة[٢٤٦٢].

وروي عن الحسن في قوله الآخر:" «الحمولة»، الإبل والبقر"[٢٤٦٣]، «الفرش»، الغنم"[٢٤٦٤].

ومنه قول الشاعر[٢٤٦٥]:

وحوينا الفرش من أنعامكم ... والحمولات وربّات الحَجَلْ

الثالث: أن «الحَمُولة»: الإبل، و«الفرش»: الفُصْلان والعَجَاجيل[٢٤٦٦] والغنم. قاله السدي[٢٤٦٧].

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن«الحمولة»، هي ما حمل من الأنعام، لأن ذلك من صفتها إذا حملت، لا أنه اسم لها، كالإبل والخيل والبغال، فإذا كانت إنما سميت«حمولة»، لأنها تحمل، فالواجب أن يكون كل ما حَمَل على ظهره من الأنعام فحمولة. وهي جمع لا واحد لها من لفظها، كالرَّكوبة، و«الجزورة». وكذلك«الفرش»، إنما هو صفة لما لطف فقرب من الأرض جسمه، ويقال له:«الفرش».

(٢٤٥٧) تفسير ابن كثير:٣٤٩/٣.
(٢٤٥٨) التفسير الميسر:١٤٦.
(٢٤٥٩) تفسير الطبري:١٧٨/١٢.
(٢٤٦٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٥٥):ص١٧٩/١٢.
(٢٤٦١) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٤٩):ص١٧٨/١٢.
(٢٤٦٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٦٠):ص١٨٠/١٢.
(٢٤٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٧٣):ص١٤٠٠/٥.
(٢٤٦٤) أخرجه الطبري(١٤٠٦٤):ص١٨١/١٢.
(٢٤٦٥)لم نقف عليه، والبيت منسوب لابن مسلمة في النكت والعيون:١٧٩/٢.
(٢٤٦٦)العجاجيل: جمع "عجول" - بكسر العين، وتشديد الجيم وفتحها، وسكون الواو- وهو "العجل": ولد البقر.
(٢٤٦٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٦٢):ص١٨١/١٢.

وأحسبها سميت بذلك تمثيلا لها في استواء أسنانها ولطفها بالفَرْش من الأرض، وهي الأرض المستوية التي يتوطَّؤُها الناس"[٢٤٦٨].

قوله تعالى:{كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} [الأنعام : ١٤٢]، أي:" كلوا مما أباحه الله لكم وأعطاكموه من هذه الأنعام"[٢٤٦٩].

قال الحسن:"يعني قول الله: مما رزقكم- أما إنه لم يذكر أصفركم وأحمركم، ولكنه أسفركم قال: تنتهون إلى حلاله"[٢٤٧٠].

قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ} [الأنعام : ١٤٢]، أي:" ولا تحرموا ما أحلَّ الله منها اتباعًا لطرق الشيطان، كما فعل المشركون"[٢٤٧١].

قال عكرمة :"إنما سمي الشيطان، لأنه تشيطن"[٢٤٧٢].

عن عكرمة: خطوات الشيطان قال: نزغات الشيطان"[٢٤٧٣].

عن مجاهد: قوله: "{ولا تتبعوا خطوات الشيطان}، خطاه، أو قال: خطاياه"[٢٤٧٤].

عن القاسم بن الوليد الهمداني قال: سألت قتادة، قلت: أرأيت قوله: {لا تتبعوا خطوات الشيطان}؟ قال: كل معصية لله فهو من خطوات الشيطان"[٢٤٧٥]. وروي عن السدي نحو قول قتادة[٢٤٧٦].

عن أبي مجلز، في قوله: "{ولا تتبعوا خطوات الشيطان}، قال: المنذور المعاصي"[٢٤٧٧].

قال مسروق:"أتي عبد الله بن مسعود بضرع وملح فجعل يأكل، فاعتزل رجل من القوم، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: ناولوا صاحبكم. فقال: لا أريده، قال: أصائم أنت؟ قال: لا، قال: فما شأنك؟ قال: حرمت أن آكل ضرعا أبدا. فقال ابن مسعود: هذا من خطوات الشيطان، فاطعم وكفر عن يمينك"[٢٤٧٨].

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} [الأنعام : ١٤٢]، أي:" إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة"[٢٤٧٩].

عن الحسن:" ما بان لكم من عداوته لأوليائه من الشياطين"[٢٤٨٠].

القرآن

{ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٤٣)} [الأنعام : ١٤٣]

التفسير:

هذه الأنعام التي رزقها الله عباده من الإبل والبقر والغنم ثمانية أصناف: أربعة منها من الغنم، وهي الضأن ذكورًا وإناثًا، والمعز ذكورًا وإناثًا. قل -أيها الرسول- لأولئك المشركين: هل حَرَّم الله الذكرين من الغنم؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا في ذلك; لأنهم لا يحرمون كل ذكر من الضأن والمعز، وقل لهم: هل حَرَّم الله الأنثيين من الغنم؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا أيضًا; لأنهم لا يحرمون كل أنثى من ولد الضأن والمعز، وقل لهم: هل حَرَّم الله ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من الضأن والمعز من الحمل؟ فإن قالوا: نعم، فقد كذبوا أيضًا; لأنهم لا يحرمون كل حَمْل مِن ذلك، خبِّروني بعلم يدل على صحة ما ذهبتم إليه، إن كنتم صادقين فيما تنسبونه إلى ربكم.

(٢٤٦٨) تفسير الطبري:١٨١/١٢.

(٢٤٦٩) التفسير الميسر:١٤٦.

(٢٤٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٧٧):ص١٤٠١/٥.

(٢٤٧١) التفسير الميسر:١٤٦.

(٢٤٧٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٨٥):ص١٤٠٢/٥.

(٢٤٧٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٨١):ص١٤٠١/٥.

(٢٤٧٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٨٠):ص١٤٠١/٥.

(٢٤٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٨٣):ص١٤٠٢/٥.

(٢٤٧٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤٠٢/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٤٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٨٢):ص١٤٠٢/٥.

(٢٤٧٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٧٩٧٨):ص١٤٠١/٥.

(٢٤٧٩) التفسير الميسر:١٤٦.

(٢٤٨٠) انظر: النكت والعيون:١٨٠/٢.

قوله تعالى:{ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ} [الأنعام : ١٤٣]، أي:" هذه الأنعام التي رزقها الله عباده من الإبل والبقر والغنم ثمانية أصناف: أربعة منها من الغنم، وهي الضأن ذكورًا وإناثًا، والمعز ذكورًا وإناثًا"[٢٤٨١].

عن قتادة قوله : "{ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين} الآية ، إن كل هذا لم أحرم منه قليلا ولا كثيرًا ، ذكرًا ولا أنثى"[٢٤٨٢].

عن السدي : "{ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين}، ومن البقر اثنين ومن الإبل اثنين ، يقول : أنزلت لكم ثمانية أزواج من هذا الذي عددت، ذكر وأنثى"[٢٤٨٣].

عن مجاهد قوله : "{ثمانية أزواج}، قال : هذا في شأن ما نهى الله عنه من البحائر والسُّيَّب"[٢٤٨٤].

قوله تعالى:{قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أمِ الْأُنْثَيَيْنِ} [الأنعام : ١٤٣]، أي:" قل لهم يا محمد على وجه التوبيخ والزجر: الذكرين من الضأن والمعز حرّم الله عليكم أيها المشركون أم الانثيين منهما؟"[٢٤٨٥].

قال السدي : " فالذكرين حرمت عليكم أم الأنثيين؟"[٢٤٨٦].

قال قتادة:" قال : سلهم : {آلذكرين حرم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين}، أي : لم أحرم من هذا شيئًا"[٢٤٨٧].

قال ابن جريج:" يقول : من أين حرمت هذا ؟ من قبل الذكرين أم من قبل الأنثيين"[٢٤٨٨].

قوله تعالى:{أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ} [الأنعام : ١٤٣]، أي:" وقل لهم: هل حَرَّم الله ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من الضأن والمعز من الحمل؟"[٢٤٨٩].

قال السدي:" يقول : أي : ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ، ما تشتمل إلا على ذكر أو أنثى، فما حرمت عليكم ذكرًا ولا أنثى من الثمانية. إنما ذكر هذا من أجل ما حرَّموا من الأنعام"[٢٤٩٠].

عن الحسن : "{أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين}، قال : ما حملت الرَّحم"[٢٤٩١].

قال ابن جريج :يقول :" أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين؟ وإنها لا تشتمل إلا على ذكر أو أنثى ، فمن أين جاء التحريم ؟ فأجابوا هم : وجدنا آباءنا كذلك يفعلون"[٢٤٩٢].

القرآن

{وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّاكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٤٤)} [الأنعام : ١٤٤]

التفسير:

والأصناف الأربعة الأخرى: هي اثنان من الإبل ذكورًا وإناثًا، واثنان من البقر ذكورًا وإناثًا. قل -أيها الرسول- لأولئك المشركين: أحَرَّم الله الذكرين أم الأنثيين؟ أم حرَّم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين ذكورًا وإناثًا؟ أم كنتم أيها المشركون حاضرين، إذ وصاكم الله بهذا التحريم للأنعام، فلا أحد أشد ظلمًا ممن اختلق على الله الكذب; ليصرف الناس بجهله عن طريق الهدى. إن الله تعالى لا يوفق للرشد مَن تجاوز حدَّه، فكذب على ربه، وأضلَّ الناس.

(٢٤٨١) التفسير الميسر:١٤٧.
(٢٤٨٢) أخرجه الطبري(١٤٠٦٨):ص١٨٥/١٢.
(٢٤٨٣) أخرجه الطبري(١٤٠٧٢):ص١٨٦/١٢.
(٢٤٨٤) أخرجه الطبري(١٤٠٧١):ص١٨٦/١٢.
(٢٤٨٥) صفوة التفاسير:٣٩٤/١.
(٢٤٨٦) أخرجه الطبري(١٤٠٧٢):ص١٨٦/١٢.
(٢٤٨٧) أخرجه الطبري(١٤٠٦٩):ص١٨٥/١٢.
(٢٤٨٨) أخرجه الطبري(١٤٠٧١):ص١٨٦/١٢.
(٢٤٨٩) التفسير الميسر:١٤٧.
(٢٤٩٠) أخرجه الطبري(١٤٠٧٢):ص١٨٦/١٢.
(٢٤٩١) أخرجه الطبري(١٤٠٧٣):ص١٨٦/١٢.
(٢٤٩٢) أخرجه الطبري(١٤٠٧١):ص١٨٦/١٢.

قوله تعالى:{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام : ١٤٤]، أي:" فلا أحد أشد ظلمًا ممن اختلق على الله الكذب; ليصرف الناس بجهله عن طريق الهدى"(٢٤٩٣).

قال السدي:" : كانوا يقولون يعني الذين كانوا يتّخذون البحائر والسوائب : إن الله أمر بهذا . فقال الله : {فمن أظلم ممن افترى على الله كذبًا ليضل الناس بغير علم}"(٢٤٩٤).

القرآن

{قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤٥)} [الأنعام : ١٤٥]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: إني لا أجد فيما أوحى الله إليَّ شيئًا محرمًا على من يأكله مما تذكرون أنه حُرِّم من الأنعام، إلا أن يكون قد مات بغير تذكية، أو يكون دمًا مراقًا، أو يكون لحم خنزير فإنه نجس، أو الذي كانت ذكاته خروجًا عن طاعة الله تعالى; كما إذا كان المذبوح قد ذكر عليه اسم غير الله عند الذبح. فمن اضطر إلى الأكل من هذه المحرمات بسبب الجوع الشديد غير طالب بأكله منها تلذذًا، ولا متجاوز حد الضرورة، فإن الله تعالى غفور له، رحيم به.

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: عن طاووس؛ قال: "إن أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء ويستحلون أشياء؛ فنزلت: {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٤٥)}"(٢٤٩٥).

والثاني: قال البغوي:" ثم بين أن التحريم والتحليل يكون بالوحي والتنزيل، فقال: {قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما}، وروي أنهم قالوا: فما المحرم إذا فنزل: {قل} يا محمد {لا أجد في ما أوحي إلي محرما} أي: شيئا محرما"(٢٤٩٦).

قوله تعالى:{قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ} [الأنعام : ١٤٥]، أي:" قل -أيها الرسول-: إني لا أجد فيما أوحى الله إليَّ شيئًا محرمًا على من يأكله مما تذكرون أنه حُرِّم من الأنعام"(٢٤٩٧).

عن مجاهد: "{قل لا أجد فيما أوحي إلي محرمًا}، قال: مما كان في الجاهلية يأكلون، لا أجد محرمًا من ذلك على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دمًا مسفوحًا"(٢٤٩٨).

عن الحسن قال: "لولا حديث الزهري ما لبسنا فراكم ولا خفافكم حتى نعلم أذكية هي أم غير ذكية؟ قال أبو بكر: فحديث به الزهري فقال: حدثني عبيد الله بن عبد الله بن عتيبة عن ابن عباس، في قوله: {قل لا أجد في ما أوحي إلي محرما على طاعم يطعمه} الآية، قال: طاعم الطعام، وأما القد والشعر والسن والظفر، من الميتة، فإنه لا يؤكل"(٢٤٩٩).

قوله تعالى:{أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا} [الأنعام : ١٤٥]، أي:" أو يكون دمًا مراقًا"(٢٥٠٠).

قال قتادة:" حرم الدم ما كان مسفوحا، فأما لحم يخالطه الدم فلا بأس به"(٢٥٠١).

عن عكرمة قال: "جاء رجل إلى ابن عباس فقال: آكل الطحال؟ قال: نعم. قال: إن عامتها دم؟ قال: إنما حرم الله الدم المسفوح"(٢٥٠٢).

(٢٤٩٣) التفسير الميسر:١٤٨.

(٢٤٩٤) أخرجه الطبري(١٤٠٧٨):ص١٨٩/١٢.

(٢٤٩٥)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٣٧٢) ونسبه لعبد بن حميد. وأخرجه الطبري(١٤٠٧٩):ص١٩١/١٢. بلفظ:"فقال" بدلا من:"فنزلت".

(٢٤٩٦) تفسير البغوي:١٩٨/٣.

(٢٤٩٧) التفسير الميسر:١٤٨.

(٢٤٩٨) أخرجه الطبري(١٤٠٨١):ص١٩١/١٢-١٩٢.

(٢٤٩٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٠٤):ص١٤٠٥/٥.

(٢٥٠٠) التفسير الميسر:١٤٨.

(٢٥٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٠١٣):ص١٤٠٧/٥.

(٢٥٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٠٠٩):ص١٤٠٦/٥.

فأما الدم غير مسفوح فإن كان ذا عروق يجمد عليها كالكبد والطحال فهو حلال، لقوله -صلى الله عليه وسلم- : «أُحِلَّتْ لَنَا مِيْتَتَانِ وَدَمَانِ ، فَالمِيْتَتَانِ : الحُوتُ وَالجَرَادُ ، وَالدَّمَانِ : الكَبِدُ وَالطُّحَالُ»"[٢٥٠٣]"[٢٥٠٤].

وإن كان غير ذي عروق يجمد عليها وإنما هو مع اللحم وفيه ، ففي تحريمه قولان :

أحدهما : لا يحرم لتخصيص التحريم بالمسفوح ، وهو قول عكرمة[٢٥٠٥]، وقتادة[٢٥٠٦].

قال عكرمة : "لولا هذه الآية، لتتبع المسلمون عروق اللحم كما تتبعها اليهود"[٢٥٠٧].

الثاني : أنه حرام لأنه من جملة المسفوح وبعضه ، وإنما ذكر المسفوح لاستثناء الكبد والطحال منه[٢٥٠٨].

قوله تعالى:{ أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ} [الأنعام : ١٤٥]، أي:" أو يكون لحم خنزير فإنه نجس"[٢٥٠٩].

قال الحسن:" حرم الله الميتة والدم ولحم الخنزير"[٢٥١٠].

قوله تعالى:{أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} [الأنعام : ١٤٥]، أي:" أو الذي كانت ذكاته خروجًا عن طاعة الله تعالى; كما إذا كان المذبوح قد ذكر عليه اسم غير الله عند الذبح"[٢٥١١].

وفي قوله تعالى:{ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} [الأنعام : ١٤٥]، قولان:

أحدهما: المراد: ما ذكر عليه غير اسم الله. قاله أبو العالية[٢٥١٢]، والربيع بن أنس[٢٥١٣]، وعقبة بن مسلم التُّجيبي[٢٥١٤]، وقيس بن رافع الأشجعي[٢٥١٥].

الثاني: المراد: ما ذبح لغير الله. وهذا قول الحسن[٢٥١٦]،وقتادة[٢٥١٧]، ومجاهد[٢٥١٨]، والضحاك[٢٥١٩]، وعطاء[٢٥٢٠]، والزهري[٢٥٢١].

قوله تعالى:{فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ} [الأنعام : ١٤٥]، أي:" ألجأته الضرورة للأكل من هذه المحرمات بسبب الجوع الشديد غير طالب بأكله منها تلذذًا، ولا متجاوز حد الضرورة "[٢٥٢٢].

وفي قوله تعالى:{غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ} [الأنعام : ١٤٥]، أربعة وجوه:

أحدها : غير باغ على الإمام ولا عاد على الأمة بإفساد شملهم ، فيدخل الباغي على الإمام وأمته والعادي : قاطع الطريق ، وهو معنى قول مجاهد[٢٥٢٣]، وسعيد بن جبير[٢٥٢٤].

الثاني : غير باغ في أكله فوق حاجته ولا عاد يعني متعدياً بأكلها وهو يجد غيرها ، وهو قول قتادة[٢٥٢٥]، والحسن[٢٥٢٦]، وعكرمة[٢٥٢٧]، والربيع[٢٥٢٨].

(٢٥٠٣)أخرجه ابن ماجه: كتاب الأطعمة، باب: الكبد والطحال (٣٣١٤)، والبيهقي (١٨٧٧٦)، وغيرهما.

(٢٥٠٤) النكت والعيون:١٨١/٢-١٨٢.

(٢٥٠٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٨٢)-(١٤٠٨٤):ص١٩٣/١٢.

(٢٥٠٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٠٨٧):ص١٩٣/١٢.

(٢٥٠٧) أخرجه الطبري(١٤٠٨٢):ص١٩٣/١٢.

(٢٥٠٨) انظر: النكت والعيون:١٨٢/٢.

(٢٥٠٩) التفسير الميسر:١٤٨.

(٢٥١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠١٥):ص١٤٠٧/٥.

(٢٥١١) التفسير الميسر:١٤٨.

(٢٥١٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠١٦):ص١٤٠٧/٥.

(٢٥١٣) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٥):ص٣٢١/٣.

(٢٥١٤) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٧):ص٣٢١/٣.

(٢٥١٥) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٧):ص٣٢١/٣.

(٢٥١٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤٠٧/٥. حكاه دون ذكرا لإسناد.

(٢٥١٧) انظر: تفسير الطبري(٢٤٦٨):ص٣٢٠/٣.

(٢٥١٨) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٠):ص٣٢٠/٣، و تفسير ابن ابي حاتم(٨٠١٧):ص١٤٠٧/٥.

(٢٥١٩) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٢):ص٣٢٠/٣.

(٢٥٢٠) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٤):ص٣٢٠/٣.

(٢٥٢١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤٠٧/٥. حكاه دون ذكرا لإسناد.

(٢٥٢٢) التفسير الميسر:١٤٨.

(٢٥٢٣) انظر: تفسير الطبري(٢٤٧٩)، و(٢٤٨٠)، و(٢٤٨٤) و(٢٤٨٥)، و(٢٤٨٦):ص٣٢٢/٣-٣٢٣.

(٢٥٢٤) انظر: تفسير الطبري(٢٤٨١)، و(٢٤٨٢)، و(٢٤٨٣):ص٣٢٢/٣-٣٢٣.

الثالث : غير باغٍ في أكلها شهوة وتلذذاً ولا عاد باستيفاء الأكل إلى حد الشبع ، وهو قول السدي[٢٥٢٩]، وعطاء[٢٥٣٠].

قال عطاء:" لا يشوي من الميتة ليشتهيه ولا يأكل إلا المعلقة، ويحمل معه ما يبلغه الحلال، فإذا بلغه ألقاه[٢٥٣١].

الرابع: غير باغ، يعني: غير مستحله. و«العادي»: المخيف للسبيل، وهذا قول سعيد بن جبير[٢٥٣٢].

والراجح أن {الباغي}، هو الطالب لأكل الميتة من غير ضرورة؛ و «العادي» هو المتجاوز لقدر الضرورة؛ يؤيده قوله تعالى: {فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة : ٣]. والله أعلم.

قوله تعالى:{فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام : ١٤٥]، أي:" فإن الله تعالى غفور له، رحيم به"[٢٥٣٣].

قال سعيد بن جبير: " {غفور}، يعني :لما أكل من الحرام {رحيم}، يعني: رحيما به إذ أحل له الحرام في الاضطرار"[٢٥٣٤].

القرآن

{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ (١٤٦)} [الأنعام : ١٤٦]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين ما حرمَّنا على اليهود من البهائم والطير: وهو كل ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنَّعام، وشحوم البقر والغنم، إلا ما عَلِق من الشحم بظهورها أو أمعائها، أو اختلط بعظم الأليَة والجنب ونحو ذلك. ذلك التحرم المذكور على اليهود عقوبة مِنَّا لهم بسبب أعمالهم السيئة، وإنَّا لصادقون فيما أخبرنا به عنهم.

قوله تعالى:{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ} [الأنعام : ١٤٦]، أي:" واذكر -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين ما حرمَّنا على اليهود من البهائم والطير: وهو كل ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنَّعام"[٢٥٣٥].

قال سعيد بن جبير:" كل شيء متفرق الأصابع، ومنه الديك"[٢٥٣٦].

قال سعيد بن جبير:" هو الذي ليس بمنفرج الأصابع"[٢٥٣٧]. وروي عن عكرمة[٢٥٣٨]، والضحاك[٢٥٣٩]، وعطاء الخراساني[٢٥٤٠] نحو ذلك.

عن مجاهد:" {كل ذي ظفر}، النعامة والبعير"[٢٥٤١].

قال السدي:" فالإبل والنعام"[٢٥٤٢].

(٢٥٢٥) انظر: تفسير الطبري(٢٤٨٧):ص٤٢٤/٣.
(٢٥٢٦) انظر: تفسير الطبري(٢٤٨٨)، و(٢٤٨٩):ص٤٢٤/٣.
(٢٥٢٧) انظر: تفسير الطبري(٢٤٩٠):ص٤٢٤/٣.
(٢٥٢٨) انظر: تفسير الطبري(٢٤٩١):ص٤٢٤/٣.
(٢٥٢٩) انظر: تفسير الطبري(٢٤٩٣):ص٤٢٤/٣-٤٢٥، وتفسير ابن أبي حاتم(٨٠٢٤):ص١٤٠٨/٥.
(٢٥٣٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٢٤):ص١٤٠٨/٥.
(٢٥٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٢٤):ص١٤٠٨/٥.
(٢٥٣٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٢٣):ص١٤٠٨/٥.
(٢٥٣٣) التفسير الميسر:١٤٨.
(٢٥٣٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٣١):ص١٤٠٩/٥، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤٨٢/١.
(٢٥٣٥) التفسير الميسر:١٤٨.
(٢٥٣٦) انظر: تفسير الطبري(٤٠٩٥):ص١٩٨/١٢.
(٢٥٣٧) انظر: تفسير الطبري(٤٠٩٤):ص١٩٨/١٢.
(٢٥٣٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٠/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢٥٣٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٠/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢٥٤٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٠/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢٥٤١) أخرجه الطبري(١٤٠٩٦):ص١٩٩/١٢.
(٢٥٤٢) انظر: تفسير الطبري(٤٠٩٩):ص١٩٩/١٢.

قال قتادة:" الإبل والنعام، ظفر يد البعير ورجله، والنعام أيضا كذلك، وحرم عليهم أيضا من الطير البط وشبهه، وكل شيء ليس بمشقوق الأصابع"[٢٥٤٣].

عن ابن جريج، عن مجاهد: "{كل ذي ظفر}، قال: النعامة والبعير، شقا شقا. قلت للقاسم بن أبي بزة وحدثنيه: ما"شقا شقا"؟ قال: كل شيء لم يفرج من قوائم البهائم. قال: وما انفرج أكلته اليهود. قال: انفرجت قوائم الدجاج والعصافير، فيهود تأكلها. قال: ولم تنفرج قائمة البعير، خفه، ولا خف النعامة، ولا قائمة الوزينة، فلا تأكل اليهود الإبل ولا النعام ولا الوزين، ولا كل شيء لم تنفرج قائمته، وكذلك لا تأكل حمار وحش"[٢٥٤٤].

وقرأ الحسن :«كل ذي ظفر» مكسورة الظاء مسكنة الفاء. وقرأ أبو سماك:«ظفر» بكسر الظاء والفاء، وهي لغة[٢٥٤٥].

قوله تعالى:{وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا} [الأنعام : ١٤٦]، أي:" وحرّمنا عليهم أكل شحوم البقر وشحوم الغنم"[٢٥٤٦].

عن السدي: قوله: "{ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما}، قال: حرمنا عليهم من الشحوم الثرب وشحم الكليتين، وكان اليهود يقولون: إنما حرمه إسرائيل، فنحن نحرمه"[٢٥٤٧].

واختلف في قوله تعالى:{وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا} [الأنعام : ١٤٦]، على ثلاثة أقوال:

أحدها : أنها شحوم الثّرْب خاصة ، قاله قتادة[٢٥٤٨].

والثاني : أنه كل شحم لم يكن مختلطاً بعظم ولا على عظم ، قاله ابن جريج[٢٥٤٩].

والثالث : أنه شحم الثرب والكلى ، قاله السدي[٢٥٥٠].

والصواب في ذلك من القول أن يقال : إن الله أخبر أنه كان حرم على اليهود من البقر والغنم شحومهما ، إلا ما استثناه منها مما حملت ظهورهما أو الحَوَايا أو ما اختلط بعظم. فكل شحم سوى ما استثناه الله في كتابه من البقر والغنم ، فإنه كان محرمًا عليهم . وبنحو ذلك من القول تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك قوله : «قاتل الله اليهود ، حرمت عليهم الشحوم فجملوها ثم باعوها وأكلوا أثمانها»[٢٥٥١] "[٢٥٥٢].

قوله تعالى:{إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا} [الأنعام : ١٤٦]، أي:" إلا الشحم الذي علق بالظهر منهما"[٢٥٥٣].

وفي قوله تعالى:{إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا} [الأنعام : ١٤٦]، وجهان:

أحدهما: أنه ما علق بالظهر من الشحم. قاله الضحاك[٢٥٥٤].

والثاني: أنه شحم الإلية. وهذا قول أبي صالح[٢٥٥٥]، وهو مروي عن السدي أيضا[٢٥٥٦].

(٢٥٤٣) أخرجه الطبري(١٤٠٩٨):ص١٩٩/١٢.

(٢٥٤٤) أخرجه الطبري(١٤١٠١):ص١٩٩/١٢-٢٠٠.

(٢٥٤٥) انظر: الكشف والبيان:٢٠١/٤.

(٢٥٤٦) صفوة التفاسير:٣٩٤/١.

(٢٥٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٣٤):ص١٤١٠/٥.

(٢٥٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٤١٠٣):ص٢٠١/١٢.

(٢٥٤٩) انظر: تفسير الطبري(١٤١٠٤):ص٢٠١/١٢.

(٢٥٥٠) انظر: تفسير الطبري(١٤١٠٥):ص٢٠١/١٢-٢٠٢.

(٢٥٥١)أخرجه أبو داود في البيوع (٣٤٨٨)، وأحمد (١/ ٢٤٢، ٢٩٣، ٣٢٢)، والبخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١٤٧)، والطبراني في الكبير (١٢٨٨٧)، وابن حبان (١١/ ٣١٣)، والبيهقي (٦/ ١٣).
كلهم من طريق خالد الحذاء، عن بركة أبي الوليد، عن ابن عباس رضي الله عنهما.
وهذا إسناد صحيح.

(٢٥٥٢) تفسير الطبري:٢٠٢/١٢.

(٢٥٥٣) صفوة التفاسير:٣٩٤/١.

(٢٥٥٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤١٠/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٥٥٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٣٦):ص١٤١٠/٥.

(٢٥٥٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤١٠/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.

قوله تعالى:{أَوِ الْحَوَايَا} [الأنعام : ١٤٦]، أي:"أو الأمعاء والمصارين"[٢٥٥٧].

وفي معنى:قوله تعالى:{أَوِ الْحَوَايَا} [الأنعام : ١٤٦]، وجوه:

أحدها: أنها المباعر. قاله سعيد بن جبير[٢٥٥٨]، وأبو صالح[٢٥٥٩]، ومجاهد[٢٥٦٠]، والسدي[٢٥٦١]، وقتادة[٢٥٦٢]، والضحاك[٢٥٦٣]، وعطاء الخراساني[٢٥٦٤].

والثاني: أن «الحوايا»: المباعر والمرابض. وهذا قول الضحاك[٢٥٦٥]، وهو مروي عن مجاهد أيضا[٢٥٦٦].

الثالث: أنهاالبطون غير الثروب. وهذا مروي عن الضحاك[٢٥٦٧].

قوله تعالى:{أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ} [الأنعام : ١٤٦]، أي:" أو اختلط بعظم الألية والجنب ونحو ذلك"[٢٥٦٨].

قال السدي:" مما كان من شحم على عظم"[٢٥٦٩].

قال ابن جريج:" شحم الألية بالعصعص، فهو حلال. وكل شيء في القوائم والجنب والرأس والعين قد اختلط بعظم، فهو حلال"[٢٥٧٠].

قوله تعالى:{ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ} [الأنعام : ١٤٦]، أي:" ذلك التحرم المذكور على اليهود عقوبة مِنَّا لهم بسبب أعمالهم السيئة"[٢٥٧١].

قال قتادة :"إنما حرم ذلك عليهم عقوبة ببغيهم"[٢٥٧٢].

القرآن

{فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١٤٧)} [الأنعام : ١٤٧]

التفسير:

فإن كذبك -أيها الرسول- مخالفوك من المشركين واليهود، وغيرهم، فقل لهم: ربكم جل وعلا ذو رحمة واسعة، ولا يُدْفع عقابه عن القوم الذين أجرموا، فاكتسبوا الذنوب، واجترحوا السيئات. وفي هذا تهديد لهم لمخالفتهم الرسول صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:{فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ} [الأنعام : ١٤٧]، أي:" فإن كذبك -أيها الرسول- مخالفوك من المشركين واليهود، وغيرهم فقل لهم: ربكم جل وعلا ذو رحمة واسعة"[٢٥٧٣].

عن مجاهد: قوله: "{فإن كذبوك}، قال: اليهود"[٢٥٧٤].

قوله تعالى:{وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ} [الأنعام : ١٤٧]، أي:" ولا يُدْفع عقابه عن القوم الذين أجرموا، فاكتسبوا الذنوب، واجترحوا السيئات"[٢٥٧٥].

(٢٥٥٧) صفوة التفاسير:٣٩٤/١.

(٢٥٥٨) انظر: تفسير الطبري(١٤١١٤):ص٢٠٤/١٢.

(٢٥٥٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤١١/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٥٦٠) انظر: تفسير الطبري(١٤١١٠):ص٢٠٣/١٢.

(٢٥٦١) انظر: تفسير الطبري(١٤١٢٠):ص٢٠٤/١٢.

(٢٥٦٢) انظر: تفسير الطبري(١٤١١٦):ص٢٠٤/١٢.

(٢٥٦٣) انظر: تفسير الطبري(١٤١١٧):ص٢٠٤/١٢.

(٢٥٦٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤١١/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٥٦٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٣٨):ص١٤١١/٥.

(٢٥٦٦) انظر: تفسير الطبري(١٤١١١):ص٢٠٤/١٢.

(٢٥٦٧) انظر:تفسير الطبري(١٤١١٨):ص٢٠٤/١٢، و تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٤٠):ص١٤١١/٥.

(٢٥٦٨) التفسير الميسر:١٤٨.

(٢٥٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٤١٢٣):ص٢٠٥/١٢.

(٢٥٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٤١٢٢):ص٢٠٥/١٢.

(٢٥٧١) التفسير الميسر:١٤٨.

(٢٥٧٢) أخرجه الطبري(١٤١٢٤):ص٢٠٦/١٢.

(٢٥٧٣) التفسير الميسر:١٤٨.

(٢٥٧٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٤٥):ص١٤١٢/٥.

(٢٥٧٥) التفسير الميسر:١٤٨.

قال السدي:" كانت اليهود تقول: إنما حرمه إسرائيل- يعني : النَّرْب وشحم الكليتين[٢٥٧٦]-، فنحن نحرمه. فذلك قوله: {فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين}"[٢٥٧٧].

القرآن

{سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ (١٤٨)} [الأنعام : ١٤٨]

التفسير:

سيقول الذين أشركوا: لو أراد الله أن لا نشرك -نحن وآباؤنا- وأن لا نحرم شيئًا مِن دونه ما فعلنا ذلك، وردَّ الله عليهم ببيان أن هذه الشبهة قد أثارها الكفار مِن قبلهم، وكذَّبوا بها دعوة رسلهم، واستمَرُّوا على ذلك، حتى نزل بهم عذاب الله. قل لهم -أيها الرسول-: هل عندكم -فيما حرَّمتم من الأنعام والحرث، وفيما زعمتم من أن الله قد شاء لكم الكفر، ورضيه منكم وأحبه لكم- من علم صحيح فتظهروه لنا؟ إن تتبعون في أمور هذا الدين إلا مجرد الظن، وإن أنتم إلا تكذبون.

قوله تعالى:{سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام : ١٤٨]، أي:" سيقول الذين أشركوا: لو أراد الله أن لا نشرك -نحن وآباؤنا- وأن لا نحرم شيئًا مِن دونه ما فعلنا ذلك"[٢٥٧٨].

عن مجاهد : "{ولا حرمنا من شيء}، قال : قول قريش[٢٥٧٩]، يعني : إن الله حرم هذه البحيرة والسائبة"[٢٥٨٠].

القرآن

{قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (١٤٩)} [الأنعام : ١٤٩]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهم: فلله جل وعلا الحجة القاطعة التي يقطع بها ظنونكم، فلو شاء لوفَّقكم جميعًا إلى طريق الاستقامة.

قال عن الربيع بن أنس :" لا حجة لأحد عصَى الله ، ولكن لله الحجة البالغة على عباده . وقال : {فلو شاء لهداكم أجمعين} ، قال : {لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [سورة الأنبياء : ٢٣]"[٢٥٨١].

القرآن

{قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ (١٥٠)} [الأنعام : ١٥٠]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: هاتوا شهداءكم الذين يشهدون أن الله تعالى هو الذي حرَّم ما حرَّمتم من الحرث والأنعام، فإن شهدوا -كذبًا وزورًا- فلا تصدقهم، ولا توافق الذين حكَّموا أهواءهم، فكذبوا بآيات الله فيما ذهبوا إليه من تحريم ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله، ولا تتبع الذين لا يصدقون بالحياة الآخرة ولا يعملون لها، والذين هم بربهم يشركون فيعبدون معه غيره.

قوله تعالى:{قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا} [الأنعام : ١٥٠]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: هاتوا شهداءكم الذين يشهدون أن الله تعالى هو الذي حرَّم ما حرَّمتم من الحرث والأنعام"[٢٥٨٢].

(٢٥٧٦) رواية الطبري(١٤١٢٨):ص٢٠٧/١٢.
(٢٥٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٤٦):ص١٤١٢/٥.
(٢٥٧٨) التفسير الميسر:١٤٨.
(٢٥٧٩) وفي رواية أخرى(١٤١٣١):ص٢٠٩/١٢.:" قولُ قريش بغير يقين"..
(٢٥٨٠) أخرجه الطبري(١٤١٣٠):ص٢٠٩/١٢.
(٢٥٨١) أخرجه الطبري(١٤١٣٢):ص٢١٢/١٢.

قال السدي:" يقول : قل أروني الذين يشهدون أن الله حرم هذا مما حرمت العرب ، وقالوا : أمرنا الله به"[٢٥٨٣].

عن مجاهد قوله : {هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا} ، قال : البحائر والسُّيَّب"[٢٥٨٤].

قوله تعالى:{فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ} [الأنعام : ١٥٠]، أي:" فإن حضروا وكذبوا في شهادتهم وزوَّروا فلا تشهد بمثل شهادتهم ولا تصدّقهم فإنه كذبٌ بحتٌ"[٢٥٨٥].

قال السدي:" قال الله لرسوله : {فإن شهدوا فلا تشهد معهم} "[٢٥٨٦].

القرآن

{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١)} [الأنعام : ١٥١]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهم: تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم: أن لا تشركوا معه شيئًا من مخلوقاته في عبادته، بل اصرفوا جميع أنواع العبادة له وحده، كالخوف والرجاء والدعاء، وغير ذلك، وأن تحسنوا إلى الوالدين بالبر والدعاء ونحو ذلك من الإحسان، ولا تقتلوا أولادكم مِن أجل فقر نزل بكم; فإن الله يرزقكم وإياهم، ولا تقربوا ما كان ظاهرًا من كبير الآثام، وما كان خفيًّا، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، وذلك في حال القصاص من القاتل أو الزنى بعد الإحصان أو الردة عن الإسلام، ذلكم المذكور مما نهاكم الله عنه، وعهد إليكم باجتنابه، ومما أمركم به، وصَّاكم به ربكم; لعلكم تعقلون أوامره ونواهيه.

قوله تعالى:{قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ} [الأنعام : ١٥١]، أي:" قل -أيها الرسول- لهم: تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم"[٢٥٨٧].

قوله تعالى:{وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} [الأنعام : ١٥١]، أي:" وأن تحسنوا إلى الوالدين بالبر والدعاء ونحو ذلك من الإحسان"[٢٥٨٨].

قوله تعالى:{وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ} [الأنعام : ١٥١]، أي:" ولا تقتلوا أولادكم خشية الفقر"[٢٥٨٩].

قال قتادة:" أي: خشية الفاقة"[٢٥٩٠].

قال الضحاك:" يعني: من خشية فقر"[٢٥٩١].

قال السدي:" الإملاق"، الفقر"[٢٥٩٢].

قال ابن جريج : "{من إملاق} ، قال: شياطينهم، يأمرونهم أن يئدوا أولادهم خيفة العيلة"[٢٥٩٣].

قوله تعالى:{وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الأنعام : ١٥١]، أي:" ولا تقربوا ما كان ظاهرًا من كبير الآثام، وما كان خفيًّا"[٢٥٩٤].

وفي قوله تعالى:{وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الأنعام : ١٥١]، ثمانية تأويلات:

أحدها : أن ذلك عام في جميع الفواحش سرها وعلانيتها ، قاله قتادة[٢٥٩٥].

(٢٥٨٢) التفسير الميسر:١٤٨.

(٢٥٨٣) أخرجه الطبري(١٤١٣٣):ص٢١٤/١٢.

(٢٥٨٤) أخرجه الطبري(١٤١٣٤):ص٢١٤/١٢.

(٢٥٨٥) صفوة التفاسير:٣٩٥/١.

(٢٥٨٦) أخرجه الطبري(١٤١٣٣):ص٢١٤/١٢.

(٢٥٨٧) التفسير الميسر:١٤٨.

(٢٥٨٨) التفسير الميسر:١٤٨.

(٢٥٨٩) صفوة التفاسير:٣٩٧/١.

(٢٥٩٠) تفسير الطبري(١٤١٣٦):ص٢١٧/١٢.

(٢٥٩١) تفسير الطبري(١٤١٣٩):ص٢١٨/١٢.

(٢٥٩٢) تفسير الطبري(١٤١٣٧):ص٢١٧/١٢.

(٢٥٩٣) تفسير الطبري(١٤١٣٨):ص٢١٧/١٢-٢١٨.

(٢٥٩٤) التفسير الميسر:١٤٨.

الثاني : أنه خاص في الزنى ، {ما ظهر منها} : ذوات الحوانيت ، {وما بطن}: ذوات الاستسرار ، قاله الحسن[٢٥٩٦]، والضحاك[٢٥٩٧]، والسدي[٢٥٩٨].
الثالث: {ما ظهر}، جمعٌ بين الأختين ، وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده، {وما بطن}، الزنى. قاله مجاهد[٢٥٩٩].
وروي عن علي بن حسين:، قال:"{ما بطن}: نكاح امرأة الأب"[٢٦٠٠].
الرابع: {ما ظهر منها}،: نكاح الأمهات والبنات. روي نحوه عن سعيد بن جبير [٢٦٠١].
الخامس : أن {ما ظهر منها} :الخمر ، {وما بطن}: الزنى ، وهو مروي الضحاك-أيضا[٢٦٠٢].
السادس: ما ظهر منها:الظلم، يعني: ظلم الناس. : {وما بطن} من الفواحش: الزنا والسرقة. وهذا قول عكرمة[٢٦٠٣].
السابع: {ما ظهر منها}: العري، وكانوا يطوفون بالبيت عراة، {وما بطن}، الزنى . وهذا قول الزهري[٢٦٠٤].
قوله تعالى:{وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ} [الأنعام : ١٥١]، أي:" لا تقتلوا النفس البريئة التي حرّم الله قتلها إلا بموجب"[٢٦٠٥].
قال سعيد بن جبير:" يعني: نفس المؤمن"[٢٦٠٦] "التي حرم قتلها إلا بالحق"[٢٦٠٧].

القرآن
{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢)} [الأنعام : ١٥٢]
التفسير:
ولا تقربوا أيها الأوصياء مال من مات أبوه وهو صغير إلا بالحال التي تصلح بها أمواله ويَنْتَفِع بها، حتى يصل إلى سن البلوغ ويكون راشدًا، فإذا بلغ ذلك فسلموا إليه ماله، وأوفوا الكيل والوزن بالعدل الذي يكون به تمام الوفاء. وإذا بذلتم جهدكم فلا حرج عليكم فيما قد يكون من نقص، لا نكلف نفسًا إلا وسعها. وإذا قلتم فتحرَّوا في قولكم العدل دون ميل عن الحق في خبر أو شهادة أو حكم أو شفاعة، ولو كان الذي تعلق به القول ذا قرابة منكم، فلا تميلوا معه بغير حق، وأوفوا بما عهد الله به إليكم من الالتزام بشريعته. ذلكم المتلوُّ عليكم من الأحكام، وصَّاكم به ربكم; رجاء أن تتذكروا عاقبة أمركم.
قوله تعالى:{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} [الأنعام : ١٥٢]، أي:" لا تقربوا مال اليتيم بوجه من الوجوه إلا بالخصلة التي هي أنفع له حتى يصير بالغاً رشيداً"[٢٦٠٨].
وفي قوله تعالى:{ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} [الأنعام : ١٥٢]، وجهان:
أحدهما : أن ذلك هو التجارة به، قاله مجاهد[٢٦٠٩]. وروي عن السدي:"فليثمر ماله"[٢٦١٠].

(٢٥٩٥) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٣):ص٢١٩/١٢.
(٢٥٩٦) انظر: النكت والعيون:١٨٦/٢.
(٢٥٩٧) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤١):ص٢١٩/١٢.
(٢٥٩٨) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٠):ص٢١٨/١٢-٢١٩.
(٢٥٩٩) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٥):ص٢٢٠/١٢.
(٢٦٠٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٧٣):ص١٤١٧/٥.
(٢٦٠١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤١٦/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢٦٠٢) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٦):ص٢٢٠/١٢.
(٢٦٠٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٦٩):ص١٤١٦/٥، و(٨٠٧٤):ص١٤١٧/٥.
(٢٦٠٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٧٠):ص١٤١٦/٥، و(٨٠٧٢):ص١٤١٧/٥.
(٢٦٠٥) صفوة التفاسير:٣٩٧/١.
(٢٦٠٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٧٥):ص١٤١٧/٥.
(٢٦٠٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٧٦):ص١٤١٧/٥.
(٢٦٠٨) صفوة التفاسير:٣٩٧/١.
(٢٦٠٩) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٧):ص٢٢١/١٢.
(٢٦١٠) أخرجه الطبري(١٤١٤٨):ص٢٢١/١٢.

الثاني : هو ألا يأخذ من الربح إذا اتجر له بالمال شيئاً ، قاله الضحاك[٢٦١١].

وفي قوله تعالى:{حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ} [الأنعام : ١٥٢]، أقوال:

أحدها : أنه الحلم حين تكتب له الحسنات وعليه السيئات ، قاله ربيعة[٢٦١٢]، وزيد بن أسلم[٢٦١٣]، ومالك[٢٦١٤]، وعامر[٢٦١٥].

الثاني :أنه خمس عشرة سنة. وهذا قول محمد بن قيس[٢٦١٦].

الثالث:أنه ثماني عشرة سنة ، وهذا قول سعيد بن جبير[٢٦١٧]، وحكاه الماوردي عن علي بن عيسى[٢٦١٨].

الرابع: أنه خمس وعشرون سنة. قاله عكرمة[٢٦١٩]، وهو اختيار أبي حنيفة[٢٦٢٠].

الخامس: أن الأشُد: ثلاثون سنة ، قاله السدي[٢٦٢١].

السادس:أن الأشد: ثلاث وثلاثون سنة. وهذا مروي عن مجاهد[٢٦٢٢]، وقتادة[٢٦٢٣].

السابع: أنه أربعون سنة. وهذا قول الحسن[٢٦٢٤].

وإذا كان استناد الإمام الحسن-رحمه الله- على قوله تعالى:{ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} [الأحقاف : ١٥]، فإن " أشد اليتيم غير أشد الرجل في قول الله عز وجل: {حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة}، وإن كان اللفظان واحدا؛ لأن أشد الرجل: الاكتهال والحنكة وأن يشتد رأيه وعقله. وذلك ثلاثون سنة، ويقال: ثمان وثلاثون سنة. وأشد الغلام: أن يشتد خلقه، ويتناهى ثباته"[٢٦٢٥].

الثامن: أنه حتى يعقل وتجتمع قوته. قاله أبو العالية[٢٦٢٦].

و«الأشُدّ»: جمع «شَدٍّ»: أي: القوة ، وهو استحكام قوة شبابه وسنه ، كما :شَدُّ النهار، ارتفاعه وامتداده. يقال : أتيته شدَّ النهار ومدَّ النهار، وذلك حين امتداده وارتفاعه; وكان المفضل ينشد بيت عنترة[٢٦٢٧] :

عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَأَنَّمَا ... خُضِبَ اللَّبَانُ وَرَأْسُهُ بِالْعِظْلِمِ

ومنه قول الآخر [٢٦٢٨]:

تُطِيفُ بِهِ شَدَّ النَّهَارِ ظَعِينَةٌ ... طَوِيلَةُ أَنْقَاءِ الْيَدَيْنِ سَحُوقُ [٢٦٢٩]

(٢٦١١) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٩):ص٢٢١/١٢.
(٢٦١٢) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥١):ص٢٢٣/١٢.
(٢٦١٣) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٢):ص٢٢٣/١٢.
(٢٦١٤) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٢):ص٢٢٣/١٢.
(٢٦١٥) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٣):ص٢٢٣/١٢.
(٢٦١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٩٢):ص١٤٢٠/٥.
(٢٦١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٨٩):ص١٤١٩/٥-١٤٢٠.
(٢٦١٨) انظر: النكت والعيون:١٨٨/٢.
(٢٦١٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٩١):ص١٤٢٠/٥.
(٢٦٢٠) انظر: تفسير القرطبي:١٣٥/٧.
(٢٦٢١) انظر: تفسير الطبري(١٤١٥٤):ص٢٢٣/١٢-٢٢٣.
(٢٦٢٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٩/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢٦٢٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤١٩/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢٦٢٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٨٧):ص١٤١٩/٥.
(٢٦٢٥) غريب القرآن لابن قتيبة:٢٥٤.
(٢٦٢٦) تفسير البغوي:٢٠٤/٣.
(٢٦٢٧)من معلقته المشهورة ، وهذا البيت من أبيات وصف فيها بطلا مثله ، يقول قبله :
لَمَّا رَآنِي قَدْ قَصَدْتُ أُرِيدُهُ ... أَبْدَى نَوَاجِذَهُ لِغَيْرِ تَبَسُّمِ
فَطَعَنْتُهُ بِالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ ... بِمُهَنَّدٍ صَافِي الحَدِيدَةِ مِخْذَمِ
و"اللبان" الصدر . و"العظلم" ، صبغ أحمر . يصفه قتيلا سال دمه ، فخصب رأسه وأطرافه ، لا حراك به ..
(٢٦٢٨) لم أتعرف على قائله، والبيت بلا نسبة في تفسير الطبري:٢٢٢/١٢.
-الظعينة-، يعني زوجته . "الأنقاء" جمع "نقو" -بكسر فسكون-، وهو كل عظم فيه مخ ، كعظام اليدين والساقين ، وامرأة "سحوق": طويلة كأنها نخلة مستوية قد انجرد عنها كربها .
(٢٦٢٩) انظر: تفسير الطبري:٢٢٢/١٢-٢٢٣.

قوله تعالى:{وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ} [الأنعام : ١٥٢]، أي:" وأوفوا الكيل والوزن بالعدل الذي يكون به تمام الوفاء"(٢٦٣٠).

عن مجاهد :"{بالقسط}، بالعدل"(٢٦٣١).

قوله تعالى:{لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [الأنعام : ١٥٢]، أي:" لا نكلف أحداً إلا بمقدار طاقته بما لا يعجز عنه"(٢٦٣٢).

وقوله تعالى:{ إِلَّا وُسْعَهَا} [الأنعام : ١٥٢]، يحتمل وجهان من التفسير:

أحدهما: إلا طاقتها. قاله سعيد بن جبير(٢٦٣٣).

الثاني: إلا ما عملت لها. قاله عامر الشعبي(٢٦٣٤).

قوله تعالى:{وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} [الأنعام : ١٥٢]، أي:" وإذا قلتم فتحرَّوا في قولكم العدل دون ميل عن الحق في خبر أو شهادة أو حكم أو شفاعة، ولو كان الذي تعلق به القول ذا قرابة منكم، فلا تميلوا معه بغير حق"(٢٦٣٥).

قال سعيد بن جبير:" يعني: ولو كان قرابتك فقل فيه الحق"(٢٦٣٦).

قوله تعالى:{ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأنعام : ١٥٢]، أي:" ذلكم المتلوُّ عليكم من الأحكام، وصَّاكم به ربكم رجاء أن تتذكروا عاقبة أمركم "(٢٦٣٧).

عن السدي قال : "هؤلاء الآيات التي أوصى بها من محكم القرآن"(٢٦٣٨).

عن عبيد الله بن عديّ بن الخيار قال ، سمع كعب الأحبار رجلا يقرأ : {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم}، فقال : والذي نفس كعب بيده ، إنّ هذا لأوَّل شيء في التوراة : «بسم الله الرحمن الرحيم»، «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم»"(٢٦٣٩).

عن علقمة قال : "جاء إليه نفر، فقالوا : قد جالست أصحابَ محمد ، فحدثنا عن الوَحي. فقرأ عليهم هذه الآيات من «الأنعام»: {قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئًا} ، قالوا : ليس عن هذا نسألك ! قال : فما عندنا وحيٌ غيره"(٢٦٤٠).

القرآن

{وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٥٣)} [الأنعام : ١٥٣]

التفسير:

ومما وصاكم الله به أن هذا الإسلام هو طريق الله تعالى المستقيم فاسلكوه، ولا تسلكوا سبل الضلال، فتفرقكم، وتبعدكم عن سبيل الله المستقيم. ذلكم التوجه نحو الطريق المستقيم هو الذي وصَّاكم الله به; لتتقوا عذابه بفعل أوامره، واجتناب نواهيه.

قوله تعالى:{وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ} [الأنعام : ١٥٣]، أي:" ولا تسلكوا سبل الضلال، فتفرقكم، وتبعدكم عن سبيل الله المستقيم"(٢٦٤١).

قال مجاهد:" البدع والشبهات"(٢٦٤٢).

(٢٦٣٠) التفسير الميسر:١٤٩.

(٢٦٣١) أخرجه الطبري(١٤١٥٥):ص٢٢٤/١٢.

(٢٦٣٢) صفوة التفاسير:٣٩٧/١.

(٢٦٣٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٩٥):ص١٤٢٠/٥.

(٢٦٣٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٩٦):ص١٤٢٠/٥.

(٢٦٣٥) التفسير الميسر:١٤٩.

(٢٦٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٩٩):ص١٤٢١/٥.

(٢٦٣٧) التفسير الميسر:١٤٩.

(٢٦٣٨) أخرجه الطبري(١٤١٦١):ص٢٢٨/١٢.

(٢٦٣٩) أخرجه الطبري(١٤١٥٧):ص٢٢٧/١٢.

(٢٦٤٠) أخرجه الطبري(١٤١٦٠):ص٢٢٨/١٢.

(٢٦٤١) التفسير الميسر:١٤٩.

(٢٦٤٢) انظر: تفسير الطبري(١٤١٦٣):ص٢٢٩/١٢.

عن أبان : أن رجلا قال لابن مسعود : "ما الصراط المستقيم ؟ قال : تركنا محمد صلى الله عليه وسلم في أدناه ، وطرفُه في الجنة ، وعن يمينه جوادُّ ، وعن يساره جَوَادُّ ، وثَمَّ رجال يدعون من مرّ بهم. فمن أخذ في تلك الجوادِّ انتهت به إلى النار ، ومن أخذ على الصراط انتهى به إلى الجنة . ثم قرأ ابن مسعود : {وأن هذا صراطي مستقيمًا}، الآية "[٢٦٤٣].

القرآن

{ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ (١٥٤)} [الأنعام : ١٥٤]

التفسير:

ثم قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إن الله تعالى هو الذي أتى موسى التوراة تمامًا لنعمته على المحسنين من أهل ملته، وتفصيلا لكل شيء من أمور دينهم، وهدى ودلالة على الطريق المستقيم ورحمة لهم; رجاء أن يصدِّقوا بالبعث بعد الموت والحساب والجزاء، ويعملوا لذلك.

قوله تعالى:{ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ} [الأنعام : ١٥٤]، أي:" ثم قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إن الله تعالى هو الذي أتى موسى التوراة تمامًا لنعمته على المحسنين من أهل ملته"[٢٦٤٤].

وفي قوله تعالى:{ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ} [الأنعام : ١٥٤]، ستة أقوال:

أحدها : تماماً على إحسان موسى بطاعته، يعني: فيما امتحنه الله به في الدنيا من أمره ونهيه . قاله الربيع[٢٦٤٥]، وقتادة[٢٦٤٦].

والثاني : تماماً لكرامته في الجنة على إحسانه في الدنيا، قاله الحسن[٢٦٤٧]، وهو مروي عن قتادة –أيضا- [٢٦٤٨].

والقولان السابقان قريبان من المعنى، إذان المعنى: "ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا على ما أحسن موسى، أي : آتيناه الكتاب لأتمم له كرامتي في الآخرة ، تمامًا على إحسانه في الدنيا في عبادة الله والقيام بما كلفه به من طاعته"[٢٦٤٩].

الثالث: تماماً على المحسنين، و معناه تماما للكرامة والنعمة على الذي أحسن، أي: على كل من كان محسنا صالحا. قاله مجاهد[٢٦٥٠]، ويدل عليه قراءة عبدالله بن مسعود:{تَمَاماً عَلَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا}[٢٦٥١].

الرابع : تماماً على إحسان الله إلى أنبيائه ، وهو معنى قراءة يحيى بن يعمر، إذ كان يقرأ :«تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنُ»، رفعًا[٢٦٥٢].

وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قول من قال : معناه : ثم آتينا موسى الكتاب تمامًا لنعمنا عنده ، على الذي أحسن موسى في قيامه بأمرنا ونهينا لأن ذلك أظهرُ معانيه في الكلام ، وأن إيتاء موسى كتابه نعمةٌ من الله عليه ومنة عظيمة. فأخبر جل ثناؤه أنه أنعم بذلك عليه لما سلف له من صالح عمل وحُسن طاعة"[٢٦٥٣].

قوله تعالى:{وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام : ١٥٤]، أي:" وتفصيلا لكل شيء من أمور دينهم"[٢٦٥٤].

عن قتادة: "{وتفصيلا لكل شيء}، فيه حلاله وحرامه"[٢٦٥٥].

(٢٦٤٣) أخرجه الطبري(١٤١٧٠):ص٢٣٠/١٢-٢٣١.
(٢٦٤٤) التفسير الميسر:١٤٩.
(٢٦٤٥) انظر: تفسير الطبري(١٤١٧٣):ص٢٣٥/١٢.
(٢٦٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٤١٧٤):ص٢٣٥/١٢.
(٢٦٤٧) انظر: النكت والعيون:١٨٩/٢.
(٢٦٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٤١٧٥):ص٢٣٥/١٢.
(٢٦٤٩) تفسير الطبري:٢٣٥/١٢.
(٢٦٥٠) انظر: تفسير الطبري(١٤١٧١):ص٢٣٣/١٢.
(٢٦٥١) انظر: معاني القرآن للفراء:٣٦٥/١، وتفسير الطبري:٢٣٤/١٢، والنكت والعيون:١٨٩/٢.
(٢٦٥٢) انظر: تفسير الطبري(١٤١٧٧)ص:٢٣٦/١٢.
(٢٦٥٣) تفسير الطبري:٢٣٦/١٢.
(٢٦٥٤) التفسير الميسر:١٤٩.
(٢٦٥٥) أخرجه الطبري(١٤١٧٨):ص٢٣٧/١٢.

القرآن

{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٥٥)} [الأنعام : ١٥٥]

التفسير:

وهذا القرآن كتاب أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، خيره كثير فاتبعوه فيما يأمر به وينهى عنه، واتقوا الله أن تخالفوا له أمرًا; رجاء أن ترحموا فتنجوا من عذابه، وتظفروا بثوابه.

قوله تعالى:{وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ} [الأنعام : ١٥٥]، أي:" وهذا القرآن كتاب أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، خيره كثير"(٢٦٥٦).

قال قتادة:" وهو القرآن الذي أنزله الله على محمد عليه الصلاة والسلام (فاتبعوه) ، يقول : فاتبعوا حلاله ، وحرّموا حرامه"(٢٦٥٧).

القرآن

{أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ (١٥٦)} [الأنعام : ١٥٦]

التفسير:

وأنزلنا هذا القرآن; لئلا تقولوا -يا كفار العرب-: إنما أُنزل الكتاب من السماء على اليهود والنصارى، وقد كنا عن قراءة كتبهم في شغل، ونحن ليس لنا بها علم ولا معرفة.

قوله تعالى:{أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أُنْزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا} [الأنعام : ١٥٦]، أي:" وأنزلنا هذا القرآن; لئلا تقولوا -يا كفار العرب-: إنما أُنزل الكتاب من السماء على اليهود والنصارى"(٢٦٥٨).

قال قتادة:" هم اليهود والنصارى"(٢٦٥٩).

قال السدي:" أما الطائفتان: فاليهود والنصارى"(٢٦٦٠).

وعن مجاهد:"{أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا}، اليهود والنصارى يُخاف أن تقوله قريش"(٢٦٦١).

قوله تعالى:{وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ} [الأنعام : ١٥٦]، أي:" وقد كنا عن قراءة كتبهم في شغل، ونحن ليس لنا بها علم ولا معرفة"(٢٦٦٢).

قال السدي:"يقول : وإن كنا عن قراءتهم لغافلين ، لا نعلم ما هي"(٢٦٦٣).

عن قتادة : "{وإن كنا عن دراستهم لغافلين}، أي : عن قراءتهم"(٢٦٦٤).

القرآن

{أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ (١٥٧)} [الأنعام : ١٥٧]

التفسير:

ولئلا تقولوا -أيها المشركون-: لو أنَّا أُنزل علينا كتاب من السماء، كما أُنزل على اليهود والنصارى، لكنَّا أشدَّ استقامة على طريق الحق منهم، فقد جاءكم كتاب بلسانكم عربي مبين، وذلك حجة واضحة مِن ربكم وإرشاد

(٢٦٥٦) التفسير الميسر:١٤٩.

(٢٦٥٧) أخرجه الطبري(١٤١٧٩):ص٢٣٩/١٢.

(٢٦٥٨) التفسير الميسر:١٤٩.

(٢٦٥٩) انظر: تفسير الطبري(١٤١٨٣):ص٢٤١/١٢.

(٢٦٦٠) انظر: تفسير الطبري(١٤١٨٤):ص٢٤١/١٢.

(٢٦٦١) أخرجه الطبري(١٤١٨١):ص٢٤١/١٢.

(٢٦٦٢) التفسير الميسر:١٤٩.

(٢٦٦٣) أخرجه الطبري(١٤١٨٨):ص٢٤٢/١٢.

(٢٦٦٤) أخرجه الطبري(١٤١٨٦):ص٢٤٢/١٢.

إلى طريق الحق، ورحمةٌ لهذه الأمة. فلا أحد أشد ظلمًا وعدوانًا ممن كذَّب بحجج الله تعالى وأعرض عنها!! فهؤلاء المعرضون سنعاقبهم عقابًا شديدًا في نار جهنم; بسبب إعراضهم عن آياتنا، وصدِّهم عن سبيلنا.

قوله تعالى:{أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ} [الأنعام : ١٥٧]، أي:" ولئلا تقولوا - أيها المشركون-: لو أنَّا أُنزل علينا كتاب من السماء، كما أُنزل على اليهود والنصارى، لكنَّا أشدَّ استقامة على طريق الحق منهم"(٢٦٦٥).

عن قتادة : "{أو تقولوا لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم}، فهذا قول كفار العرب"(٢٦٦٦).

قوله تعالى:{فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ} [الأنعام : ١٥٧]، أي:" فقد جاءكم كتاب بلسانكم عربي مبين، وذلك حجة واضحة مِن ربكم"(٢٦٦٧).

قال السدي:" يقول:قد جاءكم بينة ، لسانٌ عربي مبين ، حين لم تعرفوا دراسة الطائفتين ، وحين قلتم : لو جاءنا كتاب لكنا أهدى منهم"(٢٦٦٨).

قوله تعالى:{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا } [الأنعام : ١٥٧]، أي:" فلا أحد أشد ظلمًا وعدوانًا ممن كذَّب بحجج الله تعالى وأعرض عنها"(٢٦٦٩).

عن قتادة:" {وَصَدَفَ عَنْهَا}، يقول : أعرض عنها"(٢٦٧٠).

عن السدي : "{وَصَدَفَ عَنْهَا}، فصدَّ عنها"(٢٦٧١).

عن مجاهد:"{يصدفون عن آياتنا}، يعرضون عنها، و«الصدف»، الإعراض"(٢٦٧٢).

القرآن

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ (١٥٨)} [الأنعام : ١٥٨]

التفسير:

هل ينتظر الذين أعرضوا وصدوا عن سبيل الله إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم، أو يأتي ربك -أيها الرسول- للفصل بين عباده يوم القيامة، أو يأتي بعض أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على مجيئها، وهي طلوع الشمس من مغربها؟ فحين يكون ذلك لا ينفع نفسا إيمانها، إن لم تكن آمنت من قبل، ولا يُقبل منها إن كانت مؤمنة كسب عمل صالح إن لم تكن عاملة به قبل ذلك. قل لهم -أيها الرسول-: انتظروا مجيء ذلك; لتعلموا المحق من المبطل، والمسيء من المحسن، إنا منتظرون ذلك.

قوله تعالى:{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ} [الأنعام : ١٥٨]، أي:" هل ينتظر الذين أعرضوا وصدوا عن سبيل الله إلا أن يأتيهم ملك الموت وأعوانه لقبض أرواحهم"(٢٦٧٣).

قال مجاهد:"يقول : عند الموت حين توفَّاهم"(٢٦٧٤). وروي عن ابن جريج نحو ذلك(٢٦٧٥).

عن قتادة : "{إلا أن تأتيهم الملائكة}، بالموت"(٢٦٧٦). وروي عن السدي مثل ذلك(٢٦٧٧).

وعن جوبير:" هل ينظرون، يعني في حُجَج الله ودلائله إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم"(٢٦٧٨).

(٢٦٦٥) التفسير الميسر:١٤٩.
(٢٦٦٦) أخرجه الطبري(١٤١٩٠):٢٤٣/١٢.
(٢٦٦٧) التفسير الميسر:١٤٩.
(٢٦٦٨) أخرجه الطبري(١٤١٨٩):٢٤٣/١٢.
(٢٦٦٩) التفسير الميسر:١٤٩.
(٢٦٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٤١٩٣):ص٣٤٤/١٢.
(٢٦٧١) أخرجه الطبري(١٤١٩٤):٢٤٤/١٢.
(٢٦٧٢) أخرجه الطبري(١٤١٩٢):٢٤٤/١٢.
(٢٦٧٣) التفسير الميسر:١٥٠.
(٢٦٧٤) أخرجه الطبري(١٤١٩٥):ص٢٤٥/١٢.
(٢٦٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٠٠):ص٢٤٦/١٢.
(٢٦٧٦) أخرجه الطبري(١٤١٩٦):ص٢٤٦/١٢.
(٢٦٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٤١٩٨):ص٢٤٦/١٢.
(٢٦٧٨) انظر: النكت والعيون:١٩٠/٢.

قوله تعالى:{أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ} [الأنعام : ١٥٨]، أي:" أو يأتي ربك -أيها الرسول- للفصل بين عباده يوم القيامة"[٢٦٧٩].

قال مجاهد:"ذلك يوم القيامة"[٢٦٨٠]. وروي عن عن قتادة[٢٦٨١]، و ابن جريج[٢٦٨٢]نحو ذلك.

وفي قوله تعالى:{أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ} [الأنعام : ١٥٨]، وجهان:

أحدهما : أمر ربك بالعذاب ، قاله الحسن[٢٦٨٣].

الثاني : قضاء ربك في القيامة ، وهذا معنى قول مجاهد [٢٦٨٤]. وقتادة[٢٦٨٥]، وابن جريج[٢٦٨٦].

قوله تعالى:{أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} [الأنعام : ١٥٨]، أي:" أو يأتي بعض أشراط الساعة وعلاماتها الدالة على مجيئها، وهي طلوع الشمس من مغربها؟"[٢٦٨٧].

قال قتادة : " آية موجبة ، طلوع الشمس من مغربها ، أو ما شاء الله "[٢٦٨٨].

وفي قوله تعالى:{أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} [الأنعام : ١٥٨]، أقوال :

أحدها : أنه طلوع الشمس من مغربها، رواه أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم[٢٦٨٩]، وبه قال مجاهد[٢٦٩٠]، وقتادة[٢٦٩١]، والسدي[٢٦٩٢].

وقد روى البخاري، ومسلم في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فاذا طلعت ورآها الناس، آمن من عليها، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا»[٢٦٩٣].

الثاني: أنه طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض، رواه أبو هريرة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-[٢٦٩٤].

الثالث: أنه طلوعَ الشمس من مغربها ، والدجال ، والدخَان ، ودابة الأرض. رواه الحسن مرفوعا إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-[٢٦٩٥].

والأول أصح[٢٦٩٦]، يعني: طلوع الشمس من مغربها، عليه أكثر المفسرين ورواه أبو سعيد الخدري مرفوعا[٢٦٩٧] "[٢٦٩٨].

(٢٦٧٩) التفسير الميسر:١٥٠.

(٢٦٨٠) أخرجه الطبري(١٤١٩٥):ص٢٤٥/١٢.

(٢٦٨١) انظر: تفسير الطبري(١٤١٩٦):ص٢٤٦/١٢.

(٢٦٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٠٠):ص٢٤٦/١٢.

(٢٦٨٣) انظر: النكت والعيون:١٩٠/٢، وزاد المسير:٩٥/٢.

(٢٦٨٤) أخرجه الطبري(١٤١٩٥):ص٢٤٥/١٢.

(٢٦٨٥) انظر: تفسير الطبري(١٤١٩٦):ص٢٤٦/١٢.

(٢٦٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٠٠):ص٢٤٦/١٢.

(٢٦٨٧) التفسير الميسر:١٥٠.

(٢٦٨٨) أخرجه الطبري(١٤١٩٦):ص٢٤٦/١٢.

(٢٦٨٩)أخرجه الترمذي ٣٠٧١ وأحمد ٣/ ٣١ وأبو يعلى ١٣٥٣ وإسناده ضعيف فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى وهو سيء الحفظ وعطية العوفي ضعيف وحسنه الترمذي، وذكر أن بعضهم رواه موقوفا ا. هـ. من حديث أبي سعيد الخدري ومع ذلك فمثله لا يقال بالرأي.

(٢٦٩٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٤٠):ص٢٦٣/١٢.

(٢٦٩١) انظر: تفسير الطبري(١٤١٩٦):ص:٢٤٦/١٢.

(٢٦٩٢) انظر: تفسير الطبري(١٤١٩٨):ص:٢٤٦/١٢.

(٢٦٩٣)حديث صحيح أخرجه البخاري ٤٦٣٥ و ٤٦٣٦ و ٦٥٠٦ و ٧١٢١، ومسلم ١٥٧ وأبو داود ٤٣١٢ والنسائي في «الكبرى» ١١١٧٧ وابن ماجة ٤٠٦٨ وأحمد ٢/ ٢٣١ و ٣١٣ و ٣٥٠ و ٣٩٨ و ٥٣٠ وأبو يعلى ٦٠٨٥ وابن حبان ٦٨٣٨ والطبري ١٤٢٠٨ و ١٤٢١٤ و ١٤٢١٥ من حديث أبي هريرة.

(٢٦٩٤) أخرجه الطبري(١٤٢٤٧):ص٢٦٥/١٢، وانظر: المسند (٤٤٥/٢) وصحيح مسلم برقم (١٥٨)، وسنن الترمذي برقم (٣٠٧٢).

(٢٦٩٥) أخرجه الطبري(١٤٢٤٨):ص٢٦٥/١٢. ولفظه:" عن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "بادروا بالأعمال ستًّا : طلوعَ الشمس من مغربها ، والدجال ، والدخَان ، ودابة الأرض ، وخُوَيِّصة أحدكم ، وأمرَ العامة".

(٢٦٩٦) زاد المسير:٩٦/٢.

(٢٦٩٧)أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله تعالى: "أو يأتي بعض آيات ربك" قال: "طلوع الشمس من مغربها". قال الترمذي: "هذا حديث غريب، ورواه بعضهم ولم يرفعه"، انظر:

قوله تعالى:{يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ} [الأنعام : ١٥٨]، أي:" فحين يكون ذلك لا ينفع نفسا إيمانها، إن لم تكن آمنت من قبل"(٢٦٩٩).

قال محمد بن كعب:" يقول : إذا جاءت الآيات لم ينفع نفسًا إيمانها. يقول : طلوع الشمس من مغربها"(٢٧٠٠). وروي عن والضحاك(٢٧٠١) ، وصفوان بن عسال(٢٧٠٢)، وعبد الله بن عمرو(٢٧٠٣)، نحو ذلك.

قوله تعالى:{أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا} [الأنعام : ١٥٨]، أي:" ولا يُقبل منها إن كانت مؤمنة كسب عمل صالح إن لم تكن عاملة به قبل ذلك"(٢٧٠٤).

قال السدي:" يقول: كسبت في تصديقها خيرا، عملا صالحا. هؤلاء أهل القبلة، وإن كانت مصدقة لم تعمل قبل ذلك خيرا فعملت بعد أن رأت الآية، لم يقبل منها. وإن عملت قبل الآية خيرا، ثم عملت بعد الآية خيرا قبل منها"(٢٧٠٥).

وقال الضحاك: "من أدركه بعض الآيات وهو على عمل صالح مع إيمانه، قبل منه، كما يقبل منه قبل الآية"(٢٧٠٦).

قوله تعالى:{قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ} [الأنعام : ١٥٨]، أي:" قل لهم -أيها الرسول-: انتظروا مجيء ذلك; لتعلموا المحق من المبطل، والمسيء من المحسن، إنا منتظرون ذلك"(٢٧٠٧).

قال الربيع:" خوّفهم عذابه وعقوبته ونقمته"(٢٧٠٨).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩)} [الأنعام : ١٥٩]

التفسير:

إن الذين فرقوا دينهم بعد ما كانوا مجتمعين على توحيد الله والعمل بشرعه، فأصبحوا فرقا وأحزابا، إنك -أيها الرسول- بريء منهم، إنما حكمهم إلى الله تعالى، ثم يخبرهم بأعمالهم، فيجازي من تاب منهم وأحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته.

سبب النزول:

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "وذلك أن اليهود والنصارى اختلفوا قبل أن يبعث محمد - صلى الله عليه وسلم - فتفرقوا، فلما بعث محمد أنزل الله: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (١٥٩)} "(٢٧٠٩). [ضعيف جداً]

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا} [الأنعام : ١٥٩]، أي:" إن الذين فرقوا دينهم بعد ما كانوا مجتمعين على توحيد الله والعمل بشرعه، فأصبحوا فرقا وأحزابا"(٢٧١٠).

عن السدي:"{ فَرَّقُوا دِينَهُمْ}، قال: تركوا دينهم "(٢٧١١)، {وَكَانُوا شِيَعًا}، قال: فرقاء"(٢٧١٢).

السنن، تفسير سورة الأنعام: ٨ / ٤٤٨-٤٤٩..

(٢٦٩٨) تفسير البغوي:٣/٢٠٧.

(٢٦٩٩) التفسير الميسر:١٥٠.

(٢٧٠٠) أخرجه الطبري(١٤٢٤١):ص٢٦٣/١٢.

(٢٧٠١) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٣٨):ص٢٦٣/١٢.

(٢٧٠٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٤٢):ص٢٦٣/١٢.

(٢٧٠٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٤٣):ص٢٦٤/١٢.

(٢٧٠٤) التفسير الميسر:١٥٠.

(٢٧٠٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٤٧):ص١٤٢٩/٥.

(٢٧٠٦) انظر: زاد المسير:٢/٩٦.

(٢٧٠٧) التفسير الميسر:١٥٠.

(٢٧٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٤٩):ص١٤٢٩/٥.

(٢٧٠٩)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٤٢٦١):ص٢٦٩/١٢-٢٧٠، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٤٣٠ رقم ٨١٥٣) بالسند المسلسل بالعوفيين عن عطية العوفي عن ابن عباس به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً، وقصر السيوطي وعزاه لابن أبي حاتم، وفاته أنه عند الطبري؛ فليستدرك عليه.

(٢٧١٠) التفسير الميسر:١٥٠.

وفي قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا} [الأنعام : ١٥٩]، أربعة تأويلات:
أحدها : أنهم اليهود خاصة ، قاله مجاهد[٢٧١٣]، والضحاك[٢٧١٤].
والثاني : أنهم اليهود والنصارى ، قاله قتادة[٢٧١٥]، والسدي[٢٧١٦].
قال السدي: معناه:" تركوا دينهم وكانوا شيعًا"[٢٧١٧].
عن السدي: قوله: "{وكانوا شيعا}، قال: فرقاء"[٢٧١٨].
الثالث : أنهم جميع المشركين ، قاله الحسن[٢٧١٩].
والظاهر أن الآية عامة في كل من فارق دين الله وكان مخالفًا له ، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق ، فمن اختلف فيه { وَكَانُوا شِيَعًا } أي : فرقًا كأهل الملل والنحل - وهي الأهواء والضلالات - فالله قد بَرَّأ رسوله مما هم فيه. وهذه الآية كقوله تعالى : { شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ } الآية[الشورى : ١٣] ، وفي الحديث : «نحن معاشر الأنبياء أولاد عَلات[٢٧٢٠] ، ديننا واحد»[٢٧٢١].
فهذا هو الصراط المستقيم ، وهو ما جاءت به الرسل ، من عبادة الله وحده لا شريك له ، والتمسك بشريعة الرسول المتأخر ، وما خالف ذلك فضلالات وجهالات وآراء وأهواء ، الرسل بُرآء منها"[٢٧٢٢].
قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال : إن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أنه بريء ممن فارق دينه الحق وفرقه ، وكانوا فرقًا فيه وأحزابًا شيعًا ، وأنه ليس منهم. ولا هم منه ، لأن دينه الذي بعثه الله به هو الإسلام ، دين إبراهيم الحنيفية ، كما قال له ربه وأمره أن يقول : {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [سورة الأنعام : ١٦١].
فكان من فارق دينه الذي بعث به صلى الله عليه وسلم من مشرك ووثنيّ يهودي ونصرانيّ ومتحنِّف ، مبتدع قد ابتدع في الدين ما ضلّ به عن الصراط المستقيم والدين القيم ملة إبراهيم المسلم ، فهو بريء من محمد صلى الله عليه وسلم ، ومحمد منه بريء ، وهو داخل في عموم قوله : {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء}"[٢٧٢٣].
ومعنى «الشيع»: الفرق التي كل فرقة منهم يتبع بعضهم بعضا وليس كلهم متفقين[٢٧٢٤].
قوله تعالى:{لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} [الأنعام : ١٥٩]، أي:" إنك -أيها الرسول- بريء منهم"[٢٧٢٥].
وفي قوله تعالى:{لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} [الأنعام : ١٥٩]، وجوه:
أحدها : لست من قتالهم في شيء ، ثم نسخها بسورة التوبة فأمر بقتالهم، قاله السدي[٢٧٢٦].

(٢٧١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٥٦):ص١٤٣٠/٥.
(٢٧١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٥٩):ص١٤٣٠/٥.
(٢٧١٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٥٦):ص٢٦٩/١٢.
(٢٧١٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٦٢):ص٢٧٠/١٢.
(٢٧١٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٥٨):ص٢٦٩/١٢.
(٢٧١٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٦٠):ص٢٦٩/١٢.
(٢٧١٧) أخرجه الطبري(١٤٢٦٠):ص٢٦٩/١٢.
(٢٧١٨) االنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨١٥٩):ص١٤٣٠/٥.
(٢٧١٩) انظر: النكت والعيون:١٩٢/٢.
(٢٧٢٠)أولاد علات) قال العلماء أولاد العلات هم الإخوة لأب من أمهات شتى وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم أولاد الأعيان قال جمهور العلماء معنى الحديث أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة فإنهم متفقون في أصول التوحيد وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف.
(٢٧٢١) الحديث:« أنا أولى بعيسى ابن مريم فى الدنيا والآخرة ليس بينى وبينه نبى والأنبياء أولاد علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد ».
أخرجه أحمد (٤٦٣/٢، رقم ٩٩٧٥) ، والبخارى برقم (١٦٧/٤، رقم ٣٤٤٢ ، ٣٤٤٣) ، ومسلم (١٨٣٧/٤، رقم ٢٣٦٥) ، وأبو داود (٢١٨/٤، رقم ٤٦٧٥)..
(٢٧٢٢) تفسير ابن كثير:٣٧٧/٣.
(٢٧٢٣) تفسير الطبري:٢٧١/١٢.
(٢٧٢٤) انظر: معاني القرآن للزجاج:٢٠٨/٢-٢٠٩.
(٢٧٢٥) التفسير الميسر:١٥٠.

الثاني : لست من مخالطتهم في شيء ، نَهْيٌ لنبيه -صلى الله عليه وسلم- عن مقاربتهم ، وأمر له بمباعدتهم ، قاله قتادة ، كما قال النابغة[٢٧٢٧]:

إذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُورًا ... فإنِّي لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي

الثالث: معناه: بريء منهم نبيهم صلى الله عليه وسلم. قاله أبو الأحوص[٢٧٢٨].

وفي هذا المعنى روي مرة الطيب، قال: "ليتق امرؤ ألا يكون من رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء. ثم قرأ هذه الآية: {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء}"[٢٧٢٩].

وقوله:{ لست منهم في شيء}، إعلام من الله نبيَّه محمدًا صلى الله عليه وسلم أنه من مبتدعة أمته الملحدة في دينه بريء ، ومن الأحزاب من مشركي قومه ، ومن اليهود والنصارى[٢٧٣٠].

قوله تعالى:{إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [الأنعام : ١٥٩]، أي:" إنما حكمهم إلى الله تعالى، ثم يخبرهم بأعمالهم، فيجازي من تاب منهم وأحسن بإحسانه، ويعاقب المسيء بإساءته"[٢٧٣١].

عن السدي: قوله: "{إنما أمرهم إلى الله}، هؤلاء اليهود والنصارى"[٢٧٣٢].

وفي حكم قوله تعالى:{لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} [الأنعام : ١٥٩]، قولان:

أحدها: معناه: لست من قتالهم في شيء، ثم نسخ بآية السيف:{ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ}[التوبة : ٥]. قاله السدي[٢٧٣٣].

والثاني: أنها نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم إعلامًا من الله له أنَّ من أمته من يُحْدث بعده في دينه. وليست بمنسوخة ، لأنها خبرٌ لا أمر ، والنسخ إنما يكون في الأمر والنهي . وهذا قول أبي الأحوص[٢٧٣٤]، ومالك بن مغول[٢٧٣٥].

روي عن أبي الأحوص :" أنه تلا هذه الآية : {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا لست منهم في شيء}، ثم يقول : بريء نبيكم صلى الله عليه وسلم منهم"[٢٧٣٦].

القرآن

{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)} [الأنعام : ١٦٠]

التفسير:

من لقي ربه يوم القيامة بحسنة من الأعمال الصالحة فله عشر حسنات أمثالها، ومن لقي ربه بسيئة فلا يعاقب إلا بمثلها، وهم لا يظلمون مثقال ذرة.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: عن أبي ذر الغفاري -رضي الله عنه-؛ قال:" قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من صام ثلاثة أيام من كل شهر فذلك صيام الدهر؛ فأنزل الله تصديق ذلك في كتابه: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} فاليوم بعشرة أيام "[٢٧٣٧]. [صحيح]

(٢٧٢٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨١٦٢):ص١٤٣١/٥.

(٢٧٢٧)ديوان النابغة الذبياني ص ١٢٧، و"الكتاب" ٤/ ١٨٦، و"تفسير الماوردي" ٢/ ١٩٣، والقرطبي ٧/ ١٥٠، و"البحر المحيط" ٤/ ٢٦٠، و"الدر المصون" ٥/ ٢٣٦ - ٢٣٧، والفجور بالضم: الريبة والكذب، والشاعر يريد نقض الحلف، انظر: "اللسان" ٧/ ٣٣٥٢ (فجر).

(٢٧٢٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨١٦١):ص١٤٣١/٥.

(٢٧٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٦٠):ص١٤٣١/٥.

(٢٧٣٠) تفسير الطبري:٢٧٣/١٢.

(٢٧٣١) التفسير الميسر:١٥٠.

(٢٧٣٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٦٣):ص١٤٣١/٥.

(٢٧٣٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٦٧):ص٢٧٢/١٢.

(٢٧٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٦٨):ص٢٧٢/١٢.

(٢٧٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٦٩):ص٢٧٢/١٢.

(٢٧٣٦) أخرجه الطبري(١٤٢٦٨):ص٢٧٢/١٢.

(٢٧٣٧)أخرجه أحمد في "مسنده" (٥/ ١٤٥، ١٤٦)، والترمذي في "سننه" (٣/ ١٣٥ رقم ٧٦٢)، والنسائي في "المجتبى" (٤/ ٢١٩)، و"الكبرى" (٢/ ١٣٤ رقم ٢٧١٦)، وابن ماجه في "سننه" (١/ ٥٤٥ رقم ١٧٠٨)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/

والثاني: عن الربيع بن أنس؛ قال: "نزلت هذه الآية: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦٠)} وهم يصومون ثلاثة أيام من الشهر ويؤدون عشر أموالهم، ثم نزلت الفرائض بعد ذلك صوم رمضان والزكاة"[٢٧٣٨]. [ضعيف جداً]

والثالث: عن عبد الله بن عمر؛ قال: "نزلت هذه الآية في الأعراب: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا}؛ قال رجل: فما للمهاجرين؟ قال: ما هو أعظم من ذلك: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا (٤٠)} [النساء: ٤٠] وإذا قال الله لشيء: عظيم؛ فهو عظيم "[٢٧٣٩]. [ضعيف]

قوله تعالى:{مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا} [الأنعام : ١٦٠]، أي:" من لقي ربه يوم القيامة بحسنة من الأعمال الصالحة فله عشر حسنات أمثالها"[٢٧٤٠].

في تفسير «الحسنة والسيئة»، هنا قولان :

أحدهما:أن الحسنة: «لا إله إلا الله»، والسيئة:«الشرك». قاله أبو صالح[٢٧٤١]، وشقيق[٢٧٤٢]، ومجاهد[٢٧٤٣]، والقاسم بن أبي بزة[٢٧٤٤]، وعطاء[٢٧٤٥]، وإبراهيم[٢٧٤٦].

الثاني: أنه على العموم في الحسنات والسيئات أن جعل جزاء الحسنة عشر أمثالها تفضلاً ، وجعل جزاء السيئة مثلها عدلاً.

عن أبي ذرّ قال : "قلت : يا رسول الله ، علمني عملا يقرِّبني إلى الجنة ويباعدني من النار . قال : إذا عملت سيئة فاعمل حسنة ، فإنها عشر أمثالها . قال : قلت : يا رسول الله ، " لا إله إلا الله " من الحسنات ؟ قال : هي أحسن الحسنات"[٢٧٤٧].

عن قتادة قوله : "{من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها وهم لا يظلمون} ، ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : الأعمال ستة : مُوجِبة ومُوجِبة ، ومُضْعِفة

١٤٣١ رقم ٨١٦٦)، وابن عدي في "الكامل" (٦/ ٢٤٣١)، والبزار في "البحر الزخار" (٩/ ٣٤٥ رقم ٣٩٠٤) من طريق عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي عن أبي ذر به.

قلنا: وهذا سند صحيح؛ رجاله ثقات رجال الشيخين.

قال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح".

وصححه على شرط الشيخين شيخنا الألباني -رحمه الله- في "الإرواء" (٤/ ١٠٢).

قال الدارقطني في "العلل" (٦/ ٢٨٤، ٢٨٥ رقم ١١٤١): "يرويه عاصم بن سليمان الأحول عن أبي عثمان عن أبي ذر، يرويه أصحاب عاصم عنه كذلك. وخالفهم شيبان؛ فرواه عن عاصم وأدخل بين أبي عثمان وبين أبي ذر رجلاً لم يسمه، ورواه حماد بن سلمة عن ثابت عن أبي عثمان عن أبي هريرة، وحديث أبي ذر أشبه بالصواب".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٤٠٤) وزاد نسبته لابن مردويه.

ونقل الحافظ ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٢٠٥)، والسيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٤٠٤) عنه؛ أنه قال: "هذا حديث حسن".

(٢٧٣٨)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٤٢٩٥):ص٢٨٠/١٢ من طريق أبي جعفر الرازي عن الربيع به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ فيه علتان:

الأولى: الإعضال.

الثانية: أبو جعفر الرازي؛ صدوق سيئ الحفظ.

(٢٧٣٩)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٤٢٩٤):ص٢٨٠/١٢، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٤٣٢ رقم ٨١٦٨) من طريق فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي عن ابن عمر. ولفظه:" نزلت هذه الآية من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها في الأعراب، والأضاعف للمهاجرين".

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه عطية العوفي؛ صدوق يخطئ كثيراً كان شيعياً مدلساً.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٤٠٥) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه.

.

(٢٧٤٠) التفسير الميسر:١٥٠.

(٢٧٤١) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٨٤):ص٢٧٨/١٢.

(٢٧٤٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٧٥):ص٢٧٧/١٢.

(٢٧٤٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٧٦):ص٢٧٧/١٢.

(٢٧٤٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٧٦):ص٢٧٧/١٢.

(٢٧٤٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٧٧):ص٢٧٧/١٢.

(٢٧٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٧٩):ص٢٧٧/١٢.

(٢٧٤٧) أخرجه الطبري(١٤٢٩٢):ص٢٧٩/١٢.

ومُضْعِفة ، ومِثْل ومِثْل . فأما الموجبتان : فمن لقي الله لا يشرك به شيئًا دخل الجنة ، ومن لقي الله مشركًا به دخل النار. وأما المضعف والمضعف : فنفقة المؤمن في سبيل الله سبعمئة ضعف ، ونفقته على أهل بيته عشر أمثالها . وأما مثل ومثل : فإذا همّ العبد بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ، وإذا هم بسيئة ثم عملها كتبت عليه سيئة"[٢٧٤٨].

وكان الحسن البصري يقرأ :«فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالُهَا» بالتنوين[٢٧٤٩].

القرآن

{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٦١)} [الأنعام : ١٦١]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنني أرشدني ربي إلى الطريق القويم الموصل إلى جنته، وهو دين الإسلام القائم بأمر الدنيا والآخرة، وهو دين التوحيد دين إبراهيم عليه السلام، وما كان إبراهيم عليه السلام من المشركين مع الله غيره.

واختلف أهل التفسير في معنى قوله تعالى:{حَنِيفًا}[الأنعام : ١٦١]، على أقوال:

أحدها: أن الحنيفية حج البيت، والحنيف هو الحاج. وهذا قول الحسن[٢٧٥٠]، ومجاهد[٢٧٥١]، وعطية[٢٧٥٢]، وكثير بن زياد[٢٧٥٣]، وعبدالله بن قاسم[٢٧٥٤]، والضحاك[٢٧٥٥]، والسدي[٢٧٥٦].

وقالوا: "إنما سمي دين إبراهيم الإسلام (الحنيفية)، لأنه أول إمام لزم العباد - الذين كانوا في عصره ، والذين جاءوا بعده إلى يوم القيامة - اتباعه في مناسك الحج ، والائتمام به فيه. قالوا : فكل من حج البيت فنسك مناسك إبراهيم على ملته ، فهو (حنيف)، مسلم على دين إبراهيم"[٢٧٥٧].

الثاني: أنها اتباع الحق، قاله مجاهد[٢٧٥٨]، والربيع بن أنس[٢٧٥٩].

الثالث: أنها: الإخلاص. قاله السدي[٢٧٦٠]، وخصيف[٢٧٦١].

الرابع: أن الحنيف: المستقيم. قاله محمد بن كعب[٢٧٦٢]، وروي عن عيسى بن جارية[٢٧٦٣] مثله.

الخامس: أن الحنيف: الذي يؤمن بالرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم. قاله أبو قلابة[٢٧٦٤].

السادس: أن الحنيف: الذي يستقبل البيت بصلاته، ويرى أن حجه عليه إن استطاع إليه سبيلا. قاله أبو العالية[٢٧٦٥].

السابع: أن الحنيفية: شهادة أن لا إله إلا الله. يدخل فيها تحريم الأمهات والبنات والخالات، والعمات، وما حرم الله عز وجل، والختان. وكانت حنيفة في الشرك: كانوا أهل الشرك، وكانوا يحرمون في شركهم الأمهات والبنات والخالات والعمات، وكانوا يحجون البيت، وينسكون المناسك. قاله قتادة[٢٧٦٦].

(٢٧٤٨) أخرجه الطبري(١٤٢٩١):ص٢٧٩/١٢.

(٢٧٤٩) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٢، والنكت والعيون:١٩٤/٢.

(٢٧٥٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٣٦٥٠):ص٦٧٣/٢، وتفسير الطبري(٢٠٩١):ص١٠٤/٣.

(٢٧٥١) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٤):ص١٠٦/٣.

(٢٧٥٢) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٢)، و(٢٠٩٣):ص١٠٤/٣-١٠٥.

(٢٧٥٣) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٥):ص١٠٦/٣.

(٢٧٥٤) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٨):ص١٠٦/٣.

(٢٧٥٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩١):ص٢٤١/١، و(٣٦٥٠):ص٦٧٣/٢.

(٢٧٥٦)انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩١):ص٢٤١/١، و(٣٦٥٠):ص٦٧٣/٢.

(٢٧٥٧) تفسير الطبري: ١٠٤/٣.

(٢٧٥٨) انظر: تفسير الطبري(٢٠٩٩):ص١٠٦/٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٢):ص٢٤١/١، و(٨١٧٦):ص١٤٣٣/٥.

(٢٧٥٩)انظر: تفسير ابن أبي حاتم: (١٢٩٢):ص٢٤١/١.

(٢٧٦٠) انظر: تفسير الطبري(٢١٠٠):ص١٠٧/٣.

(٢٧٦١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٥):ص٢٤٢/١، و(٨١٧٩) :ص١٤٣٤/٥.

(٢٧٦٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٣):ص٢٤٢/١، و(٨١٧٧) :ص١٤٣٣/٥.

(٢٧٦٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٤٢/١.

(٢٧٦٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٤):ص٢٤٢/١، و(٨١٧٨) :ص١٤٣٤/٥.

(٢٧٦٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٦):ص٢٤٢/١.

والصواب: أن (الحنيفية) هو الإستقامة على دين إبراهيم واتباعه على ملته، وهذا اختيار الإمام الطبري[٢٧٦٧]. والله أعلم.

القرآن

{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢)} [الأنعام : ١٦٢]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إن صلاتي، ونسكي، أي: ذبحي لله وحده، لا للأصنام، ولا للأموات، ولا للجن، ولا لغير ذلك مما تذبحونه لغير الله، وعلى غير اسمه كما تفعلون، وحياتي وموتي لله تعالى رب العالمين.

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي} [الأنعام : ١٦٢]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إن صلاتي التي أعبد بها ربي و ذبحي"[٢٧٦٨].

وفي قوله تعالى:{وَنُسُكِي} [الأنعام : ١٦٢]، قولان:

أحدهما : أنه الذبيحة في الحج والعمرة ، قاله سعيد بن جبير[٢٧٦٩]، ومجاهد[٢٧٧٠]، وقتادة[٢٧٧١]، والسدي[٢٧٧٢]، والضحاك[٢٧٧٣].

الثاني : معناه: ديني ، قاله الحسن[٢٧٧٤].

والنُسُك في الأصل غايةُ العبادة وشاعَ في الحج لما فيه من الكُلفة والبعد عن العادة[٢٧٧٥].

القرآن

{لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (١٦٣)} [الأنعام : ١٦٣]

التفسير:

لا شريك له في ألوهيته ولا في ربوبيته ولا في صفاته وأسمائه، وبذلك التوحيد الخالص أمرني ربي جل وعلا وأنا أول من أقر وانقاد لله من هذه الأمة.

قوله تعالى:{وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ} [الأنعام : ١٦٣]، أي:" وأنا أول من أقر وانقاد لله من هذه الأمة"[٢٧٧٦].

قال قتادة:" أول المسلمين من هذه الأمة"[٢٧٧٧].

القرآن

{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (١٦٤)} [الأنعام : ١٦٤]

التفسير:

قل -أيها الرسول-: أغير الله أطلب إلها، وهو خالق كل شيء ومالكه ومدبره؟ ولا يعمل أي إنسان عملا سيئا إلا كان إثمه عليه، ولا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى، ثم إلى ربكم معادكم يوم القيامة، فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه من أمر الدين.

(٢٧٦٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٢٩٧):ص٢٤٢/١.

(٢٧٦٧) انظر: تفسير الطبري: ١٠٧/٣-١٠٨.

(٢٧٦٨) التفسير الميسر:١٥٠، وصفوة التفاسير:٤٠٠/١.

(٢٧٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٩٩)-(١٤٣٠٢):ص٢٨٤/١٢-٢٨٥.

(٢٧٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٢٩٦):ص٢٨٤/١٢.

(٢٧٧١) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٠٣):ص٢٨٥/١٢.

(٢٧٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٠٤):ص٢٨٥/١٢.

(٢٧٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٠٥):ص٢٨٥/١٢.

(٢٧٧٤) انظر: النكت والعيون:١٩٥/٢.

(٢٧٧٥)تفسير أبي السعود: ١/ ١٦١.

(٢٧٧٦) التفسير الميسر:١٥٠.

(٢٧٧٧) أخرجه الطبري(١٤٣٠٦):ص٢٨٥/١٢.

في سبب نزول الآية ثلاثة أقوال:
أحدها: نقل ابن عطية عن النقاش :" روي أن الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: ارجع يا محمد إلى ديننا واعبد آلهتنا واترك ما أنت عليه ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها في دنياك وآخرتك، فنزلت هذه الآية"[٢٧٧٨].
الثاني: نقل البغوي عن ابن عباس: "كان الوليد بن المغيرة يقول: اتبعوا سبيلي أحمل عنكم أوزاركم، فقال الله تعالى: { وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا..}"[٢٧٧٩].
والثالث: أنها نزلت ردا على العرب في الجاهلية من مؤاخذة الرجل بأبيه وبابنه وبجريرة حليفه. ذكره القرطبي[٢٧٨٠].
قوله تعالى:{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ} [الأنعام : ١٦٤]، أي:" قل -أيها الرسول-: أغير الله أطلب إلها وهو خالق كل شيء ومالكه ومدبره؟"[٢٧٨١].
قال الربيع:" كان في ذلك الزمان ، لا مخرج للعلماء العابدين إلا إحدى خَلَّتين : إحداهما أفضل من صاحبتها. إمَّا أمرٌ ودعاء إلى الحق ، أو الاعتزال فلا تشارك أهل الباطل في عملهم ، وتؤدي الفرائض فيما بينك وبين ربك ، وتحبّ لله وتبغض لله ، ولا تشارك أحدًا في إثم . قال : وقد أنزل في ذلك آية محكمة : {قل أغير الله أبغي ربًا وهو رب كل شيء} ، إلى قوله : {فيه تختلفون}، وفي ذلك قال : {وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ } [سورة البينة : ٤]"[٢٧٨٢].
قوله تعالى:{وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا} [الأنعام : ١٦٤]، أي:" ولا يعمل أي إنسان عملا سيئا إلا كان إثمه عليه"[٢٧٨٣].
قال محمد بن كعب القرظي: "عليها ما اكتسبت من الشر"[٢٧٨٤].
قوله تعالى:{ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [الأنعام : ١٦٤]، أي:" ثم إلى ربكم معادكم يوم القيامة فيخبركم بما كنتم تختلفون فيه من أمر الدين"[٢٧٨٥].
قال الربيع بن أنس:" يبعثهم من بعد الموت، فيبعث أولياءه وأعداءه فينبئهم بأعمالهم"[٢٧٨٦].

القرآن
{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٥)} [الأنعام : ١٦٥]
التفسير:
والله سبحانه هو الذي جعلكم تخلفون من سبقكم في الأرض بعد أن أهلكهم الله، واستخلفكم فيها; لتعمروها بعدهم بطاعة ربكم، ورفع بعضكم في الرزق والقوة فوق بعض درجات، ليبلوكم فيما أعطاكم من نعمه، فيظهر للناس الشاكر من غيره. إن ربك سريع العقاب لمن كفر به وعصاه، وإنه لغفور لمن آمن به وعمل صالحا وتاب من الموبقات، رحيم به.
قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ} [الأنعام : ١٦٥]، أي:" والله سبحانه هو الذي جعلكم تخلفون من سبقكم في الأرض بعد أن أهلكهم الله، واستخلفكم فيها; لتعمروها بعدهم بطاعة ربكم"[٢٧٨٧].
قال السدي:" أما {خلائف الأرض}، فأهلك القرون واستخلفنا فيها من بعدهم"[٢٧٨٨].

(٢٧٧٨) المحرر الوجيز:٣٧٠/٢.
(٢٧٧٩) تفسير البغوي:٢١٢/٣، وتفسير القرطبي:١٥٧/٧.
(٢٧٨٠) تفسير القرطبي:١٥٧/٧.
(٢٧٨١) التفسير الميسر:١٥٠.
(٢٧٨٢) أخرجه الطبري(١٤٣٠٧):ص٢٨٦/١٢.
(٢٧٨٣) التفسير الميسر:١٥٠.
(٢٧٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٨٦):ص١٤٣٥/٥.
(٢٧٨٥) التفسير الميسر:١٥٠.
(٢٧٨٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٨٨):ص١٤٣٥/٥.
(٢٧٨٧) التفسير الميسر:١٥٠.
(٢٧٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨١٨٩):ص١٤٣٥/٥.

قوله تعالى:{وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ} [الأنعام : ١٦٥]، أي:" ورفع بعضكم في الرزق والقوة فوق بعض درجات"[٢٧٨٩].

عن السدي : "{ورفع بعضكم فوق بعض درجات}، يقول : في الرزق "[٢٧٩٠].

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ} [الأنعام : ١٦٥]، أي:" إن ربك سريع العقاب لمن كفر به وعصاه"[٢٧٩١].

قال عطاء:" {سريع العقاب} لأعدائه"[٢٧٩٢].

قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنعام : ١٦٥]، أي:" وإنه لغفور لمن آمن به وعمل صالحا وتاب من الموبقات، رحيم به"[٢٧٩٣].

قال عطاء:" غفور لأوليائه رحيم بهم"[٢٧٩٤].

عن سعيد بن جبير: قوله: "{لغفور}، يعني: غفورا للذنوب"[٢٧٩٥]، "{رحيم}، يعني: رحيما بالمؤمنين"[٢٧٩٦].

قال محمد بن إسحاق: "{لغفور}، أي: يغفر الذنب"[٢٧٩٧]، "{رحيم}، يرحم العباد على ما فيهم"[٢٧٩٨].

«آخر تفسير سورة الانعام، والحمد لله وحده»

(٢٧٨٩) التفسير الميسر:١٥٠.
(٢٧٩٠) أخرجه الطبري(١٤٣٠٩):ص٢٨٩/١٢.
(٢٧٩١) التفسير الميسر:١٥٠.
(٢٧٩٢) تفسير البغوي:٢١٢/٣.
(٢٧٩٣) التفسير الميسر:١٥٠.
(٢٧٩٤) تفسير البغوي:٢١٢/٣.
(٢٧٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٩٥):ص١٤٣٦/٥.
(٢٧٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٩٧):ص١٤٣٦/٥.
(٢٧٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٩٦):ص١٤٣٦/٥.
(٢٧٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨١٩٨):ص١٤٣٦/٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الأعراف»

سورة «الأعراف»: هي السورة السابعة في ترتيب المصحف، وسادسة السبع الطول، والثالثة من حيث الطول بعد سورتي البقرة والنساء، نزلت بعد سورة «ص»، وعدد آياتها: (٢٠٦) مائتان وستُّ آيات فى عدّ قرّاءِ كوفة والحجاز، و(٢٠٥) مائتان خمس فى عدّ الشَّام والبصرة، وعدد كلماتها (٣٣٢٥) ثلاثة آلاف وثلاثمائة وخمس وعشرون كلمة، وحروفها(١٤٣١٠) أربعة عشر ألفا وثلاثمائة وعشرة أحرف، والآيات المختَلف فيها خمس: المص {بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} {مُخْلِصِينَ لَهُ الدين} {ضِعْفاً مِّنَ النار} على بنى إسرائِيل. ومجموع فواصل آياتها (م ن د ل)[٢٧٩٩].

مكان نزول السورة:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على أربعة أقوال:

أحدها: أنها مكية، وهذا قول ابن عباس[٢٨٠٠]، وعن عبد الله بن الزبير[٢٨٠١].

والثاني: أنها مكية إلا آية واحدة، وهي:{وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} [الأعراف : ١٦٣]، إلى آخر الآية وسائرها مكية. وهذا قول قتادة[٢٨٠٢].

والثالث: أنها مكية إلا ثمان آيات، وهي: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ} [الأعراف : ١٦٣]، إلى قوله: {وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ} [الأعراف : ١٧١]. وهذا قول الإمام الشوكاني[٢٨٠٣].

والرابع: أنها مكية إلا إحدى عشر آية، وهي: {وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} [الأعراف : ١٦٣]، إلى قوله: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الأعراف : ١٧٢]، فهذه الآيات مدنيات. وهذا قول مقاتل[٢٨٠٤].

قال الفيروزآبادي:" هذه السّورة نزلت بمكة إجماعاً"[٢٨٠٥]. وحكي الإجماع أيضا البغوي وابن الجوزي[٢٨٠٦].

(٢٧٩٩)انظر :بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٠٣.

(٢٨٠٠) انظر: الدر المنثور:٤١٢/٣، أخرجه عنه ابن الضريس والنحاس في ناسخه وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

(٢٨٠١)أخرجه ابن مردويه، كما في الدر المنثور:٤١٢/٣.

(٢٨٠٢)أخرجه عنه ابن المنذر وأبو الشيخ، كما في الدر المنثور:٤١٢/٣.

(٢٨٠٣) انظر: فتح القدير:٢١٣/٢.

(٢٨٠٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٢٧/٢-٢٨.

(٢٨٠٥)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:٢٠٣/١.

(٢٨٠٦) انظر: تفسير البغوي:٥/٥٥٥- وزاد المسير:٣ / ٧.

القرآن
{المص (١)} [الأعراف : ١]
التفسير:
هذه الحروف وغيرها من الحروف المقطَّعة في أوائل السور فيها إشارة إلى إعجاز القرآن; فقد وقع به تحدي المشركين، فعجزوا عن معارضته، وهو مركَّب من هذه الحروف التي تتكون منها لغة العرب. فدَلَّ عجز العرب عن الإتيان بمثله -مع أنهم أفصح الناس- على أن القرآن وحي من الله.
اختلف أهل التفسير في قوله تعالى: {المص} [الأعراف : ١]، على أقوال:
أحدها : معناه : أنا الله أُفَضِّل ، قاله سعيد بن جبير(٢٨٠٧).
الثاني : أنه حرف هجاء من اسم الله تبارك وتعالى الذي هو«المصوّر»، قاله السدي(٢٨٠٨).
الثالث : أنه اسم من أسماء القرآن ، قاله قتادة(٢٨٠٩).
الرابع: أنه اسم السورة مفتاح لها ، قاله الحسن(٢٨١٠).
الخامس: أنه من أسماء الله تعالى. وهذا قول الشعبي (٢٨١١).
السادس: أنها أقسام أقسم الله بها لإظهار شرفها وفضلها، وهذا قول عكرمة(٢٨١٢).
وخلاصة القول أن عدم ورود النقل بأن لها معاني لا يدل على انتفاء ثبوت المعاني لها في نفس الأمر. فإن عدم الدليل في أذهاننا لا يلزم منه عدم المدلول في نفس الأمر، وهذا غاية في الوضوح؛ وأقرب دليل يذكر هو ما دل على أن كل ما في القرآن له معاني بالقطع واليقين، والحروف المقطعة من القرآن، فلها معاني قطعا ويقينا، والنقل يفتقر إليه في توضيح الغامضات، أما توضيح الجليات فلا يشترط في ذلك نقل، ومن الجليات أن جميع ما في القرآن له معاني في نفس الأمر.
ثم القول بأن للحروف المقطعة حكمة وسر، وبعد ذلك ننفي المعاني عنها كليا، ففيه من التناقض ما لا يخفى، إذ الحكمة والسر لا يكونان إلا في ضمن المعاني، فإثبات الحكمة والسر للحروف المقطعة هو عين إثبات المعاني لها، وجهلنا بالحكمة والسر هو جهل بالمعاني، والعكس صحيح.
فيمكن القول بأن الحروف المقطعة لها معاني خاصة، سميت أسرارا وحكما أو غير ذلك، ومن رحمة الله تعالى بنا أنه لم يكلفنا بإدراكها، بل نؤمن بتنزيلها وكونها كلام الله تعالى، ونفوض له سبحانه العلم بحقيقة ما أراد من معانيها، دون أن نزيغ بها إلى معاني باطلة كما وقع لبعض الإشراقيين والفلاسفة الإسلاميين، ودون أن نسلبها معانيها في نفس الأمر بحيث يلزم من ذلك ثبوت كلام لله تعالى لا مدلول له في نفس الأمر، تعالى كلام ربنا عن ذلك.
وهذا مرجع كلام الصحب الكرام رضوان الله تعالى عليهم(٢٨١٣).
ولاشك بأن هذه الحروف للإعجاز، وإننا عندما نقول بذلك لا يعني أننا نقتصر على هذا القول، فقد يكون لنزولها حكم أخرى -كما أشرت اليه سابقا -وقد ذكر الذين ردوا هذا القول كالشيخ محمد شلتوت أن العرب قد عرفوا عجزهم عن الإتيان بمثله وسجله القرآن عليهم فليسوا بحاجة إلى مثل هذه الحروف .نقول: حقاً انهم قد عرفوا عجزهم عن ذلك ولكن ما المانع من تكرار تسجيل ذلك عليهم مرة تلو المرة حتى يستدعي ذلك انتباههم، وحتى يذكرهم بعجزهم وضعفهم، ثم إنك تجد من مدلولات هذا التكرار استمرارية التحدي، ألم تر أن الله تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن، وتحداهم أن يأتوا بعشر سور، وتحداهم أن يأتوا بسورة من مثله، وكل ذلك لإظهار عجزهم مع انهم يعلمون من أنفسهم ذلك العجز .وهنا ضربٌ آخر لتبكيتهم وإظهار عجزهم، وهو أن يذكر هذه الحروف احتجاجاً عليهم، فإن فيها تنبيه على أن القرآن ليس إلا من هذه

(٢٨٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٣١١):ص٢٩١/١٢.
(٢٨٠٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٣١٢):ص٢٩١/١٢.
(٢٨٠٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٣١٤)، و(١٤٣١٥):ص٢٩٢/١٢.
(٢٨١٠) انظر: النكت والعيون:١٩٨/٢.
(٢٨١١) انظر: تفسير الطبري(٢٣٥):٢٠٦/١.
(٢٨١٢) انظر: عزاه إليه السيوطي في الدر المنثور :١ /٥٤.
(٢٨١٣) يقول الطبري: "هي حروف يشتمل كل حرف منها على معاني شتى مختلفة"(انظر: تفسيره: ٢٠٩/١).

الحروف، فهم قادرون عليها، فكان واجب عليهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فعجزهم دال على أنه من عند الله. والله أعلم، وله الحمد في الأولى والآخرة.

جدول توزيع الحروف المقطعة في أوائل سور القرآن الكريم:

١	حروف ذات الحرف الواحد والتي لم تتكرر	(ن)، (ق)، (ص).
٢	حروف ذات الحرفين والتي لم تتكرر	(طس)، (يس)، (طه).
٣	حروف ذات الحرفين والتي تكررت ٧ مرات	(حم).
٤	حروف ذات الثلاثة أحرف والتي تكررت مرتان فقط	(طسم)
٥	حروف ذات الثلاثة أحرف والتي تكررت ٦ مرات	(الم).
٦	حروف ذات الثلاثة أحرف والتي تكررت ٥ مرات	(الر).
٧	حروف ذات أربعة أحرف ولم تتكرر	(المر)، (المص).
٨	حروف ذات الخمسة أحرف ولم تتكرر	(كهيعص)، (حمعسق)
	الحروف بعد حذف المكرر منها (أربعة عشر حرفًا فقط)، وهي نصف عدد الحروف الأبجدية، وهي:	(ا ل م ص ر ك هـ ي ع ط س ح ق ن)

القرآن

{كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٢)} [الأعراف : ٢]

التفسير:

هذا القرآن كتاب عظيم أنزله الله عليك -أيها الرسول- فلا يكن في صدرك شك منه في أنه أنزل من عند الله، ولا تتحرج في إبلاغه والإنذار به، أنزلناه إليك; لتخوف به الكافرين وتذكر المؤمنين.

قوله تعالى:{كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ} [الأعراف : ٢]، أي:" هذا القرآن كتاب عظيم أنزله الله عليك -أيها الرسول-"[٢٨١٤].

قال قتادة:" وهو القرآن الذين أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم"[٢٨١٥].

قوله تعالى:{فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ} [الأعراف : ٢]، أي:" فلا يضقْ صدرك من تبليغه خوفاً من تكذيب قومك"[٢٨١٦].

وفي تفسير «الحرج» -ها هنا- قولان:

أحدهما : أنه الضيق ، قاله الحسن[٢٨١٧]، والزجاج[٢٨١٨].

وأصل الحرج: الضيق[٢٨١٩]، قال الشماخ بن ضرار[٢٨٢٠]:

ولو ردت المعروف عندي رددتها ... لحاجة لا العالي ولا المتحرج

قال الماوردي:" معناه : فلا يضيق صدرك خوفاً ألا تقوم بحقه"[٢٨٢١].

قال الزجاج:" أي: فلا - يضيقن صدرك من تأدية ما أرسلت به"[٢٨٢٢].

الثاني : أن «الحرج» هنا: الشك ، قاله ابن عباس[٢٨٢٣]، وسعيد بن جبير[٢٨٢٤]، ومجاهد[٢٨٢٥]، وقتادة[٢٨٢٦]، والسدي[٢٨٢٧] وعكرمة[٢٨٢٨]. قال الراجز[٢٨٢٩]:

(٢٨١٤) التفسير الميسر:١٥١.

(٢٨١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٢٠٦):ص١٤٣٨/٥.

(٢٨١٦) صفوة التفاسير:٤٠٥/١.

(٢٨١٧) انظر: النكت والعيون:١٩٩/٢.

(٢٨١٨) انظر: معاني القرآن:٣١٥/٢.

(٢٨١٩) انظر: تفسير الطبري:٢٩٥/١٢.

(٢٨٢٠) انظر: النكت والعيون:١٩٩/٢.

(٢٨٢١) النكت والعيون:١٩٩/٢.

(٢٨٢٢) معاني القرآن:٣١٥/٢.

(٢٨٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٣١٦):ص٢٩٥/١٢.

آليت لولا حرج يعروني ... ما جئت أغزوك ولا تغزوني
ومعناه : فلا تشك فيما يلزمك فيه فإنما أنزل إليك لتنذر به[٢٨٣٠].

القرآن
{اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ (٣)} [الأعراف : ٣]
التفسير:
اتبعوا -أيها الناس- ما أُنزل إليكم من ربكم من الكتاب والسنة بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، ولا تتبعوا من دون الله أولياء كالشياطين والأحبار والرهبان. إنكم قليلا ما تتعظون، وتعتبرون، فترجعون إلى الحق.
قوله تعالى:{اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ} [الأعراف : ٣]، أي:" اتبعوا -أيها الناس- ما أُنزل إليكم من ربكم من الكتاب والسنة بامتثال الأوامر واجتناب النواهي"[٢٨٣١].
قال قتادة:" ثم قال للمؤمنين: اتبعوا ما أنزل الله إليكم من ربكم من القرآن"[٢٨٣٢].

القرآن
{وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ (٤)} [الأعراف : ٤]
التفسير:
وكثير من القرى أهلكنا أهلها بسبب مخالفة رسلنا وتكذيبهم، فأعقبهم ذلك خزي الدنيا موصولا بذلٍّ الآخرة، فجاءهم عذابنا مرة وهم نائمون ليلا ومرة وهم نائمون نهارًا.
قوله تعالى:{وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا} [الأعراف : ٤]، أي:" وكثير من القرى أهلكنا أهلها بسبب مخالفة رسلنا وتكذيبهم، فأعقبهم ذلك خزي الدنيا موصولا بذلٍّ الآخرة"[٢٨٣٣].
قوله تعالى:{فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا} [الأعراف : ٤]، أي:" فجاءها عذابنا وهم نائمون ليلا"[٢٨٣٤].
عن مالك بن دينار، قال:" قالت ابنة الربيع لأبيها: يا أبتاه، مالي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام؟ قال: إني أخاف البيات"[٢٨٣٥].
قوله تعالى:{أَوْ هُمْ قَائِلُونَ} [الأعراف : ٤]، أي:" أو جاءهم العذاب في وقت القيلولة وهي النوم في وسط النهار"[٢٨٣٦].

القرآن
{فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ (٦)} [الأعراف : ٦]
التفسير:
فلنسألن الأمم الذين أرسل إليهم المرسلون: ماذا أجبتم رسلنا إليكم؟ ولنسْألَنَّ المرسلين عن تبليغهم لرسالات ربهم، وعمَّا أجابتهم به أممهم.
قوله تعالى:{فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ} [الأعراف : ٦]، أي:" فلنسألن الأمم الذين أرسل إليهم المرسلون: ماذا أجبتم رسلنا إليكم؟"[٢٨٣٧].

(٢٨٢٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤٣٨/٥، حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢٨٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٣١٧):ص٢٩٦/١٢.
(٢٨٢٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٣١٩):ص٢٩٦/١٢.
(٢٨٢٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٢١):ص٢٩٦/١٢.
(٢٨٢٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤٣٨/٥، حكاه دون ذكر الإسناد.
(٢٨٢٩) البيت من شواهد الماوردي في النكت والعيون:١٩٩/٢، ولم اتعرف على قائله..
(٢٨٣٠) انظر: النكت والعيون:١٩٩/٢.
(٢٨٣١) التفسير الميسر:١٥١.
(٢٨٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٢١٠):ص١٤٣٨/٥.
(٢٨٣٣) التفسير الميسر:١٥١.
(٢٨٣٤) التفسير الميسر:١٥١.
(٢٨٣٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢١١):ص١٤٣٨/٥.
(٢٨٣٦) صفوة التفاسير:٤٠٥/١.

قال السدي:" يقول فلنسألن الأمم: ما عملوا فيما جاءت به الرسل؟"[٢٨٣٨].

وروي عن القاسم أبي عبد الرحمن:" أنه تلا هذه الآية: {فلنسئلن الذين أرسل إليهم ولنسئلن المرسلين}، قال: يسأل العبد يوم القيامة عن أربع خصال، يقول ربك: ألم أجعل لك جسدا، ففيم أبليته؟ ألم أجعل لك علما ففيم عملت؟ ألم أجعل لك مالا، ففيم أنفقته في طاعتي أم في معصيتي؟، ألم أجعل لك عمرا، ففيم أفنيته"[٢٨٣٩].

وقال مجاهد:" يقول: الناس يسألهم عن لا إله إلا الله"[٢٨٤٠].

قوله تعالى:{وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ} [الأعراف : ٦]، أي:" ولنسْألَنَّ المرسلين عن تبليغهم لرسالات ربهم، وعمَّا أجابتهم به أممهم"[٢٨٤١].

قال السدي:" ولنسألن الرسل: هل بلغوا ما أرسلوا به؟"[٢٨٤٢].

القرآن

{فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ (٧)} [الأعراف : ٧]

التفسير:

فلنقُصَّنَّ على الخلق كلهم ما عملوا بعلم منا لأعمالهم في الدنيا فيما أمرناهم به، وما نهيناهم عنه، وما كنا غائبين عنهم في حال من الأحوال.

قوله تعالى:{فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ} [الأعراف : ٧]، أي:" فلنقُصَّنَّ على الخلق كلهم ما عملوا بعلم منا لأعمالهم في الدنيا فيما أمرناهم به، وما نهيناهم عنه"[٢٨٤٣].

قال الضحاك:" لنخبرنهم بما عملوا بعلم منا"[٢٨٤٤].

قوله تعالى:{وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ} [الأعراف : ٧]، أي:" وما كنا غائبين عنهم في حال من الأحوال"[٢٨٤٥].

قال الضحاك:" عن الرسل والأمم ما بلغت وما رد عليهم قومهم"[٢٨٤٦].

القرآن

{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٨)} [الأعراف : ٨]

التفسير:

ووزن أعمال الناس يوم القيامة يكون بميزان حقيقي بالعدل والقسط الذي لا ظلم فيه، فمن ثقلت موازين أعماله -لكثرة حسناته- فأولئك هم الفائزون.

قوله تعالى:{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ} [الأعراف : ٨]، أي:" ووزن أعمال الناس يوم القيامة يكون بميزان حقيقي بالعدل والقسط الذي لا ظلم فيه"[٢٨٤٧].

قال حذيفة:" صاحب الموازين يوم القيامة جبريل عليه السلام، قال: يا جبريل، زِن بينهم! فردَّ من بعضٍ على بعض. قال: وليس ثم ذهبٌ ولا فضة. قال: فإن كان للظالم حسنات، أخذ من حسناته فترد على المظلوم، وإن لم يكن له حسنات حُمِل عليه من سيئات صاحبه، فيرجع الرجل عليه مثل الجبال، فذلك قوله: {والوزن يومئذ الحق}"[٢٨٤٨].

وفي قوله تعالى:{وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ} [الأعراف : ٨]، قولان:

(٢٨٣٧) التفسير الميسر:١٥١.

(٢٨٣٨) أخرجه الطبري(١٤٣٢٦):ص٣٠٦/١٢.

(٢٨٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢١٤):ص١٤٣٩/٥.

(٢٨٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢١٥):ص١٤٣٩/٥.

(٢٨٤١) التفسير الميسر:١٥١.

(٢٨٤٢) أخرجه الطبري(١٤٣٢٦):ص٣٠٦/١٢.

(٢٨٤٣) التفسير الميسر:١٥١.

(٢٨٤٤)ذكره بدون نسبة الواحدي في "الوسيط" ١/ ١٥٨، و"البسيط": ٢٢/٩، والبغوي ٣/ ٢١٤، وابن الجوزي ٣/ ١٦٩.

(٢٨٤٥) التفسير الميسر:١٥١.

(٢٨٤٦)ذكره بدون نسبة الواحدي في "الوسيط" ١/ ١٥٨، و"البسيط": ٢٢/٩، والبغوي ٣/ ٢١٤، وابن الجوزي ٣/ ١٦٩.

(٢٨٤٧) التفسير الميسر:١٥١.

(٢٨٤٨) أخرجه الطبري(١٤٣٣٣):ص٣١٠/١٢-٣١١.

أحدهما : أن الوزن ها هنا هو «القضاء» بالحق ، أي: بالعدل ، قاله مجاهد[٢٨٤٩].
الثاني : أنه موازنة الحسنات والسيئات بميزان له كفتان ، قاله الحسن[٢٨٥٠].

واختلف في كيفية الوزن على ثلاثة أقوال:

أحدها : أن الذي يوزن هوالحسنات والسيئات بوضع إحداهما في كفة والأخرى في كفة ، قاله الحسن[٢٨٥١]، والسدي[٢٨٥٢].

كما جاء في الصحيح من أن "البقرة" و "آل عمران" يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان - أو : غيَايَتان - أو فِرْقَان من طير صَوَافّ[٢٨٥٣].

ومن ذلك في الصحيح قصة القرآن وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللَّون ، فيقول : من أنت ؟ فيقول : أنا القرآن الذي أسهرت ليلك وأظمأت نهارك [٢٨٥٤].

وقال -صلى الله عليه وسلم-:" يجيء القرآن يوم القيامة فيقول يا رب حله فيلبس تاج الكرامة ثم يقول يا رب زده فيلبس حلة الكرامة ثم يقول يا رب ارض عنه فيرضى عنه فيقال: اقرأ وارق، ويزاد بكل آية حسنة"[٢٨٥٥].

الثاني : أن الذي يوزن صحائف الأعمال ، فأما الحسنات والسيئات فهي أعمال ، والوزن إنما يمكن في الأجسام ، وهذا مروي عن عبد الله بن عمر، إذ قال:" عبد الله بن عمرو، قال: يُؤْتى بالرجل يوم القيامة إلى الميزان، فيوضع في الكِفّة، فيخرج له تسعة وتسعون سِجِلا فيها خطاياه وذنوبه. قال: ثم يخرج له كتاب مثل الأنْمُلة، فيها شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم. قال: فتوضع في الكِفّة، فترجح بخطاياه وذنوبه"[٢٨٥٦].

عن أبي هريرة، قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-:" إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة"[٢٨٥٧].

الثالث : أن الذي يوزن هو الإنسان ، وهذا قول عبيد بن عمير، إذ قال " يؤتى بالرجل العظيم الطويل الأكول الشَّروب، فلا يزن جناح بَعُوضة"[٢٨٥٨].

ويقوي هذا القول ما روي في مناقب عبد الله بن مسعود-رضي الله عنه- عن معاوية بن قرة، عن أبيه. قال: "كان ابن مسعود على شجرة يجتني لهم منها، فهبت الريح فكشفت عن ساقيه، فضحكوا من دقة ساقيه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان يوم القيامة من أحدٍ»"[٢٨٥٩].

وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحا ، فتارة توزن الأعمال ، وتارة توزن محالها ، وتارة يوزن فاعلها"[٢٨٦٠].

(٢٨٤٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٢٨)، و(١٤٣٢٩):ص٣٠٩/١٢-٣١٠.
(٢٨٥٠) انظر: النكت والعيون:٢٠١/٢.
(٢٨٥١) انظر: النكت والعيون:٢٠١/٢.
(٢٨٥٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٣٠):ص٣١٠/١٢.
(٢٨٥٣)أورده أبو عبيد فى غريب الحديث (٩٣/١) ، وأخرجه أحمد (٢٤٩/٥، رقم ٢٢٢٠٠) ، وابن الضريس فى فضائل القرآن (ص ٥٩، رقم ٩٨) ، وابن حبان (٣٢٢/١، رقم ١١٦) ، والطبرانى (١١٨/٨، رقم ٧٥٤٢) ، والحاكم (٧٥٢/١، رقم ٢٠٧١) ، والبيهقى (٣٩٥/٢، رقم ٣٨٦٢) . وأخرجه أيضا: مسلم (٥٥٣/١، رقم ٨٠٤) ، والطبرانى فى الأوسط (١٥٠/١، رقم ٤٦٨) ، والرويانى (٣٠٥/٢، رقم ١٢٥٤) وأورده الغمارى فى المداوى (١٢٩/٢) وعزاه لحميد بن زنجويه.
(٢٨٥٤)أخرجه ابن ماجه (١٢٤٢/٢، رقم ٣٧٨١) قال البوصيرى (١٢٦/٤) : هذا إسناد رجاله ثقات. والحاكم (٧٤٢/١، رقم ٢٠٤٣) وقال: صحيح الإسناد.
(٢٨٥٥)أخرجه الترمذى (١٧٨/٥، رقم ٢٩١٥) وقال: حسن صحيح. والحاكم (٧٣٨/١، رقم ٢٠٢٩) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٤٧/٢، رقم ١٩٩٧).
(٢٨٥٦) أخرجه الطبري(١٤٣٣٦):ص٣١٣/١٢.
(٢٨٥٧)أخرجه البخارى (١٧٥٩/٤، رقم ٤٤٥٢) ، ومسلم (٢١٤٧/٤، رقم ٢٧٨٥) .
(٢٨٥٨) أخرجه الطبري(١٤٣٣١):ص٣١٠/١٢.
(٢٨٥٩)المعجم الكبير(٥٩)ص: ٢٨/١٩، قال الهيثمي في المجمع، ٢٨٩/٩: رواه الطبراني والبزار ورجالهما رجال الصحيح. وأخرجه أبو نعيم فى الحلية (١٢٧/١).
(٢٨٦٠) تفسير ابن كثير:٣٩٠/٣.

وعند التأمل نجد أن أكثر النصوص تدل على أن الذي يوزن هو العمل، ويخص بعض الناس، فتوزن صحائف أعماله، أو يوزن هو نفسه، وأما ما ورد في حديث ابن مسعود وحديث صاحب البطاقة؛ فقد يكون هذا أمرا يخص الله به من يشاء من عباده[٢٨٦١].

قوله تعالى:{فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} [الأعراف : ٨]، أي:" فمن ثقلت موازين أعماله -لكثرة حسناته-"[٢٨٦٢].

واختلف في قوله تعالى:{فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ} [الأعراف : ٨]، على قولين:

أحدهما: معناه: فمن كثرت حسناته. قاله مجاهد[٢٨٦٣].

الثاني: معناه: فمن ثقلت موازينه التي توزن بها حسناته وسيئاته. وهذا قول عمرو بن دينار[٢٨٦٤].

والصواب هو القول الثاني: من أن ذلك هو«الميزان» المعروف الذي يوزن به، وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات، كما قال جل ثناؤه: {فمن ثقلت موازينه}، موازين عمله الصالح {فأولئك هم المفلحون}، يقول: فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح، وأدركوا الفوز بالطلبات، والخلود والبقاء في الجنات، لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله:«ما وُضِع في الميزان شيء أثقل من حسن الخُلق»[٢٨٦٥]، ونحو ذلك من الأخبار التي تحقق أن ذلك ميزانٌ يوزن به الأعمال، على ما وصفت.

فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم عنه، وجْهَته، وقال: أوَ بالله حاجة إلى وزن الأشياء، وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه إياه وبعده، وفي كل حال؟ أو قال: وكيف توزن الأعمال، والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة، وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها، وكثرتها من قلتها، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل والخفة، والكثرة والقلة؟

قيل له في قوله:وما وجه وزن الله الأعمالَ، وهو العالم بمقاديرها قبل كونها: وزن ذلك، نظيرُ إثباته إياه في أمّ الكتاب واستنساخه ذلك في الكتب، من غير حاجة به إليه، ومن غير خوف من نسيانه، وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده، بل ليكون ذلك حجة على خلقه، كما قال جل ثناؤه في تنزيله: {كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ. هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ} [سورة الجاثية: ٢٨-٢٩] الآية. فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان، حجة عليهم ولهم، إما بالتقصير في طاعته والتضييع، وإما بالتكميل والتتميم"[٢٨٦٦].

قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف : ٨]، أي:" فأولئك هم الناجون غداً من العذاب، الفائزون بجزيل الثواب"[٢٨٦٧].

القرآن

{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ (٩)} [الأعراف : ٩]

التفسير:

ومن خَفَّتْ موازين أعماله -لكثرة سيئاته- فأولئك هم الذين أضاعوا حظَّهم من رضوان الله تعالى، بسبب تجاوزهم الحد بجحد آيات الله تعالى وعدم الانقياد لها.

قوله تعالى:{وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ} [الأعراف : ٩]، أي:" ومن خَفَّتْ موازين أعماله -لكثرة سيئاته-"[٢٨٦٨].

(٢٨٦١) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين:١٤٣/٢.

(٢٨٦٢) التفسير الميسر:١٥١.

(٢٨٦٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٣٤):ص٣١١/١٢.

(٢٨٦٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٣٥):ص٣١١/١٢.

(٢٨٦٥) رواه الترمذي رقم (٢٠٠٣) و (٢٠٠٤) في البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق، وأبو داود رقم (٤٧٩٩) في الأدب، باب حسن الخلق، وإسناده حسن، وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة وأنس وأسامة بن شريك، وقد ذكر الرواية الثانية المنذري في " الترغيب والترهيب " ٣ / ٢٥٦ من رواية البزار باسناد جيد.

(٢٨٦٦) تفسير الطبري:٣١٢/١٢-٣١٣.

(٢٨٦٧) صفوة التفاسير:٤٠٥/١-٤٠٦.

(٢٨٦٨) التفسير الميسر:١٥١.

قال مجاهد:"من خفت حسناته"[٢٨٦٩].

قوله تعالى:{فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ} [الأعراف : ٩]، أي:" فأولئك هم الذين أضاعوا حظَّهم من رضوان الله تعالى"[٢٨٧٠].

قال عبيد الله بن الغيزار: "إن الأقدام يوم القيامة لمثل النبل في القرن، والسعيد من وجد لقدميه موضعا، وعند الميزان ملك ينادي: ألا أن فلان بن فلان ثقلت موازينه، سعد سعادة لن يشقى بعدها أبدا، ألا أن فلان بن فلان خفت موازينه، شقي لن يسعد بعدها أبدا"[٢٨٧١].

القرآن

{وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ (١٠)} [الأعراف : ١٠]

التفسير:

ولقد مكَّنَّا لكم -أيها الناس- في الأرض، وجعلناها قرارًا لكم، وجعلنا لكم فيها ما تعيشون به من مطاعم ومشارب، ومع ذلك فشكركم لنعم الله قليل.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ} [الأعراف : ١٠]، أي:" ولقد مكَّنَّا لكم -أيها الناس- في الأرض، وجعلناها قرارًا لكم"[٢٨٧٢].

عن قتادة: قوله: "{ولقد مكناكم في الأرض}، يقول: أعطيناهم"[٢٨٧٣].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ} [الأعراف : ١٠]، أي:" وجعلنا لكم فيها ما تعيشون به من مطاعم ومشارب"[٢٨٧٤].

قال الضحاك:" يعني الأنعام سخرها لكم"[٢٨٧٥].

القرآن

{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (١١)} [الأعراف : ١١]

التفسير:

ولقد أنعمنا عليكم بخلق أصلكم -وهو أبوكم آدم من العدم- ثم صوَّرناه على هيئته المفضلة على كثير من الخلق، ثم أمرنا ملائكتنا عليهم السلام بالسجود له -إكرامًا واحترامًا وإظهارًا لفضل آدم- فسجدوا جميعًا، لكنَّ إبليس الذي كان معهم لم يكن من الساجدين لآدم; حسدًا له على هذا التكريم العظيم.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ} [الأعراف : ١١]، أي:" ولقد أنعمنا عليكم بخلق أصلكم -وهو أبوكم آدم من العدم- ثم صوَّرناه على هيئته المفضلة على كثير من الخلق"[٢٨٧٦].

وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ} [الأعراف : ١١]، وجوه من التفسير:

أحدها : ولقد خلقناكم في ظهر آدم، أيها الناس ، ثم صورناكم في أرحام النساء. خلقًا مخلوقًا ومثالا ممثلا في صورة آدم. وهذا قول الربيع بن أنس[٢٨٧٧]، وقتادة[٢٨٧٨]، والضحاك[٢٨٧٩]، والسدي[٢٨٨٠].

الثاني: ولقد خلقناكم في أصلاب الرجال ثم صورناكم في أرحام النساء ، قاله عكرمة[٢٨٨١]، والأعمش[٢٨٨٢].

الثالث : ولقد خلقناكم، يعني: آدم، ثم صورناكم في ظهره ، قاله مجاهد[٢٨٨٣].

(٢٨٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٢٢٨):ص١٤٤١/٥، والطبري(١٤٣٣٧):ص٣١٥/١٢.

(٢٨٧٠) التفسير الميسر:١٥١.

(٢٨٧١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢٢٩):ص١٤٤١/٥.

(٢٨٧٢) التفسير الميسر:١٥١.

(٢٨٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٢٣٠):ص١٤٤١/٥.

(٢٨٧٤) التفسير الميسر:١٥١.

(٢٨٧٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٢٣١):ص١٤٤١/٥.

(٢٨٧٦) التفسير الميسر:١٥١.

(٢٨٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٤٠)، و(١٤٣٤١):ص٣١٨/١٢.

(٢٨٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٤٣):ص٣١٨/١٢.

(٢٨٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٤٥)، و(١٤٣٤٦):ص٣١٨/١٢-٣١٩.

(٢٨٨٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٤٢):ص٣١٨/١٢.

الخامس : خلقناكم في بطون أمهاتكم ، ثم صورناكم فيها بعد الخلق بشق السمع والبصر ، قاله معمر[٢٨٨٤].

وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: تأويله: {ولقد خلقناكم}، ولقد خلقنا آدم {ثم صورناكم} ، بتصويرنا آدم، كما قد بينا فيما مضى من خطاب العرب الرجلَ بالأفعال تضيفها إليه، والمعنيُّ في ذلك سلفه، وكما قال جل ثناؤه لمن بين أظهر المؤمنين من اليهود على عهد رسول الله: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ}، [سورة البقرة: ٦٣] . وما أشبه ذلك من الخطاب الموجَّه إلى الحيّ الموجود، والمراد به السلف المعدوم، فكذلك ذلك في قوله: {ولقد خلقناكم ثم صورناكم}، معناه: ولقد خلقنا أباكم آدم ثم صوَّرناه.

وإنما قلنا هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن الذي يتلو ذلك قوله: {ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم}، ومعلوم أن الله تبارك وتعالى قد أمر الملائكة بالسجود لآدم، قبل أن يصوِّر ذريته في بطون أمهاتهم، بل قبل أن يخلُق أمهاتهم.

و«ثم» في كلام العرب لا تأتي إلا بإيذان انقطاع ما بعدها عما قبلها، وذلك كقول القائل:"قمت ثم قعدت"، لا يكون"القعود" إذ عطف به بـ«ثم» على قوله:«قمت» إلا بعد القيام، وكذلك ذلك في جميع الكلام. ولو كان العطف في ذلك بالواو، جاز أن يكون الذي بعدها قد كان قبل الذي قبلها، وذلك كقول القائل:«قمت وقعدت»، فجائز أن يكون«القعود» في هذا الكلام قد كان قبل«القيام»، لأن الواو تدخل في الكلام إذا كانت عطفًا، لتوجب للذي بعدها من المعنى ما وجب للذي قبلها، من غير دلالة منها بنفسها على أن ذلك كان في وقت واحد أو وقتين مختلفين، أو إن كانا في وقتين، أيهما المتقدم وأيهما المتأخر. فلما وصفنا قلنا إنّ قوله: {ولقد خلقناكم ثم صورناكم}، لا يصح تأويله إلا على ما ذكرنا.

فإن ظن ظانّ أن العربَ، إذ كانت ربما نطقت بـ«ثم» في موضع«الواو» في ضرورة شعره، كما قال بعضهم[٢٨٨٥]:

سَأَلْتُ رَبِيعَةَ: مَنْ خَيْرُهَا ... أَبًا ثُمَّ أُمًّا؟ فَقَالَتْ: لِمَهْ؟

بمعنى: أبًا وأمًّا، فإن ذلك جائز أن يكون نظيره فإن ذلك بخلاف ما ظن. وذلك أن كتاب الله جل ثناؤه نزل بأفصح لغات العرب، وغير جائز توجيه شيء منه إلى الشاذّ من لغاتها، وله في الأفصح الأشهر معنى مفهومٌ ووجه معروف"[٢٨٨٦].

قوله تعالى:{ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ} [الأعراف : ١١]، أي:" ثم أمرنا ملائكتنا عليهم السلام بالسجود له -إكرامًا واحترامًا وإظهارًا لفضل آدم-"[٢٨٨٧].

عن قتادة ، قوله : {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ}، فكانت الطاعة لله ، والسجدة لآدم ، أكرم الله آدم أن أسْجَد له ملائكته"[٢٨٨٨].

قوله تعالى:{فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ} [الأعراف : ١١]، أي:" فسجدوا جميعًا، لكنَّ إبليس الذي كان معهم لم يكن من الساجدين لآدم; حسدًا له على هذا التكريم العظيم"[٢٨٨٩].

عن السُّدّيّ ، قال : كان اسم إبليس (الحارث)، وإنما سمي إبليس حين أبلس متحيِّرًا"[٢٨٩٠].

وقد اختلف العلماء هل إبليس من الجن أم من الملائكة، على قولين:

القول الأول: أنه كان من الملائكة:

ذهب بعض أهل العلم إلى أن إبليس كان من الملائكة فلما عصى الله تعالى أخرجه من صف الملائكة، وقال به من العلماء: قتادة[٢٨٩١]، ومحمد بن إسحاق[٢٨٩٢]، وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب[٢٨٩٣]، ورجحه

(٢٨٨١) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٤٧)، و(١٤٣٤٨):ص٣١٩/١٢.
(٢٨٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٤٩):ص٣١٩/١٢.
(٢٨٨٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٥٠)-(١٤٣٥٣):ص٣٢٠/١٢.
(٢٨٨٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٥٤):ص٣٢٠/١٢.
(٢٨٨٥) البيت من شواهد الطبري في تفسيره:٣٢٢/١٢، ولم أتعرف على قائله.
(٢٨٨٦) تفسير الطبري:٣٢١/١٢-٣٢٢.
(٢٨٨٧) التفسير الميسر:١٥١.
(٢٨٨٨) تفسير الطبري(٧٠٧):ص٥١٢/١.
(٢٨٨٩) التفسير الميسر:١٥١.
(٢٨٩٠)تفسير الطبري(٧٠٤):ص٩٩/١
(٢٨٩١) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٣):ص٥٠٤/١.

ابن جرير الطبري بل وانتصر له، ورجحه البغوي، ونسبه ابن عطية والقرطبي والشوكاني إلى أنه قول الجمهور[٢٨٩٤].

واستدلوا أولئك بقول الله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة : ٣٤]، فلو لم يكن إبليس من الملائكة لم يؤمر بالسجود ولم يؤاخذ بالعصيان.

وهذا الاستدلال ضعيف جداً، فتنوعت إجابات العلماء عن هذا الدليل:

- قال ابن تيمية عن إبليس : " كان منهم (أي من الملائكة) باعتبار صورته وليس منهم باعتبار أصله "[٢٨٩٥].

- وقال ابن كثير: "وذلك أنه (أي إبليس) كان قد توسّم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهذا دخل في خطابهم، وعصى بالمخالفة"[٢٨٩٦].

- وقال ابن عثيمين : "وإنما استثناه الله من الملائكة لأنه كان معهم وليس منهم يبين ذلك آية الكهف {وكان من الجن} .. ثم قال : وهذا الاستثناء يسمى استثناء منقطعا،كما تقول : (جاء القوم إلا حمارا) وهو كلام عربي فصيح فاستثنى الحمار من القوم وإن لم يكن منهم"[٢٨٩٧].

القول الثاني: أنه من الجن: وقال به من العلماء : الحسن البصري"[٢٨٩٨]- صححه عنه ابن كثير- ، وشَهر بن حَوْشب[٢٨٩٩]، ورجحه ابن تيمية والسيوطي والزمخشري وابن كثير والشنقيطي - صاحب الأضواء - وابن عثيمين والشيخ أبو بكر الجزائري[٢٩٠٠].

ولهذا ذهب عامة أهل العلم إلى أن إبليس وذريته لم يكونوا قط من الملائكة، ويدل على ذلك عدة أدلة:

أحدها: قول الله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف : ٥٠]، فبين الله أن سبب فسقه كونه من الجن،أي أنه من عنصر أو من جنس آخر غير الملائكة، أما الاستثناء في قوله تعلى:(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ)، فإنه استثناء منقطع أي أن (إلا) هنا بمعنى (لكن)، وهو كقوله تعالى: {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥)} [النبأ : ٢٤ - ٢٥]، هذا الاستثناء منقطع لأن الحميم والغساق ليس من البرد والشراب والمعنى: لكن يطعمون الحميم والغساق.

الثاني: وقوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف : ٥٠].

وهنا نص الله أن له ذرية يعني (نسل) وهم الجن، والملائكة لانسل لهم .فلو كان ملكا لم يكن له نسل .

الثالث: أن إبليس مخلوق من نار كما قال تعالى حاكيا عن إبليس: {قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف : ١٢]، والملائكة مخلوقة من نور لما في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" خلقت الملائكة من نور وخلق الجن من نار وخلق آدم مما وُصف لكم"[٢٩٠١]. ففرق الرسول صلى الله عليه وسلم بين خلق الملائكة وخلق الجن.

الرابع: قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم : ٦]. فلو كان إبليس ملكا ماعصى الله.

(٢٨٩٢) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٥):ص٥٠٥/١.

(٢٨٩٣) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٢):ص٥٠٤/١.

(٢٨٩٤)راجع في ذلك تفاسيرهم عند آية البقرة والكهف .مع كتاب الدر المنثور للسيوطي : ٩/ ٥٦٥.

(٢٨٩٥) مجموع الفتاوى: ٣٤٦/٤.

(٢٨٩٦) تفسير ابن كثير: ١٦٧/٥.

(٢٨٩٧) الفتاوى لابن عثيمين: رقم الفتوى: (١٠٨).

(٢٨٩٨) مجموع الفتاوى: ٣٤٦/٤.

(٢٨٩٩) أنظر: تفسير الطبري(٦٩٨):ص٥٠٦/١-٥٠٧.

(٢٩٠٠)راجع في ذلك تفاسيرهم عند آية البقرة والكهف كما سبق ويضاف إلى هذه المصادر كتاب السيوطي الدر المنثور وتفسير ابن جرير ، أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد ذكر رأيه في مجموع الفتاوى ٤/ ٣٤٦ وابن عثيمين في كتابه الذي أفرده لسورة الكهف عند آيتها التي تحدثت عن قصة آدم وإبليس وكذا في فتاويه ورقم الفتوى ١٠٨،أما السيوطي فذكر رأيه في (تفسير الجلالين).

(٢٩٠١)مسلم (٢٩٩٦)، وأحمد (٦/ ١٥٣)، وابن حبان (٦١٥٥).

والخامس: أن الجن الذين هم ذرية إبليس، لهم شهوة للطعام والشراب وغيره، وليس للملائكة شهوة دل على ذلك عدة نصوص منها:

ـ أن الجن سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم لما اجتمعو به عن طعامهم فقال: "كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر مايكون لحما، وكل بعرة علف لدوابكم..فلاتستنجو بهما فإنهما طعام إخوانكم الجن "[٢٩٠٢].

ـ قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا} [الكهف : ٥٠]، والذرية لابد لها من شهوة.

ـ قوله تعالى: {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ} [الرحمن : ٥٦]

ـ حديث: "فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله"[٢٩٠٣].

فالملائكة من صفتهم أنهم لا يعصون الله ما أمرهم ويسبحون الليل ولا يفترون، وما فعله إبليس يعد معصية ولا يتناسب مع صفات الملائكة.

والراجح : أن إبليس لم يكن من الملائكة، وهو الصحيح، لقوة أدلته. وهو الذي عليه المحققون من أهل العلم-والله تعالى أعلم-.

القرآن

{قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ (١٢)} [الأعراف : ١٢]

التفسير:

قال تعالى منكرًا على إبليس تَرْكَ السجود: ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك؟ فقال إبليس: أنا أفضل منه خلقًا; لأني مخلوق من نار، وهو مخلوق من طين. فرأى أن النار أشرف من الطين.

قوله تعالى:{ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ} [الأعراف : ١٢]، أي:" فقال إبليس: أنا أفضل منه خلقًا لأني مخلوق من نار، وهو مخلوق من طين"[٢٩٠٤].

قال ابن سيرين:" أوّل من قاس إبليس، وما عُبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس"[٢٩٠٥]. وروي عن الحسن نحو ذلك"[٢٩٠٦].

وروي عن مجاهد قوله: "{خلقتني من نار}، قال: ثم جعل ذريته من ماء"[٢٩٠٧].

القرآن

{قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ (١٣)} [الأعراف : ١٣]

التفسير:

قال الله لإبليس: فاهبط من الجنة، فما يصح لك أن تتكبر فيها، فاخرج من الجنة، إنك من الذليلين الحقيرين.

قوله تعالى:{قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا} [الأعراف : ١٣]، أي:" قال الله لإبليس: فاهبط من الجنة"[٢٩٠٨].

(٢٩٠٢)أخرجه مسلم (٢/٣٦) وابن خزيمة في " صحيحه " (رقم ٨٢) والبيهقي (١٠٨/١ - ١٠٩) من طريق عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن داود عن عامر قال: سألت علقمة : هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال فقال علقمة : أنا سألت ابن مسعود فقلت : هل شهد أحد منكم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ؟ قال : لا، ولكنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ففقدناه، فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا : استطير أواغتيل، قال : فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل (حراء)، قال : فقلنا : يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فقال : أتاني داعي الجن فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن، قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم. وسألوه الزاد، فقال : فذكره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم من الجن ".(وضعفه الألباني: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة " (٣ / ١٣٣).

(٢٩٠٣)رواه مسلم برقم ٢٠٢٠.

(٢٩٠٤) التفسير الميسر:١٥٢.

(٢٩٠٥) أخرجه الطبري(١٤٣٥٥):ص٣٢٧/١٢.

(٢٩٠٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٥٦):ص٣٢٧/١٢.

(٢٩٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٥٨):ص٣٢٧/١٢.

(٢٩٠٨) التفسير الميسر:١٥٢.

عن الحسن:"أنه أُهْبِط من السماء"[٢٩٠٩].

قوله تعالى:{فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ} [الأعراف : ١٣]، أي:" فاخرج من الجنة، إنك من الذليلين الحقيرين"[٢٩١٠].

قال السدي:" «الصغار»، هو الذل"[٢٩١١].

القرآن

{قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦)} [الأعراف : ١٦]

التفسير:

قال إبليس -لعنه الله-: فبسبب ما أضللتني لأجتهدنَّ في إغواء بني آدم عن طريقك القويم، ولأصدَّنَّهم عن الإسلام الذي فطرتهم عليه.

قوله تعالى:{قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي} [الأعراف : ١٦]، أي:" قال إبليس لعنه الله: فبسبب غوائك وإضلالك لي"[٢٩١٢].

عن الحسن:{ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي}،" معناه: عذبتني"[٢٩١٣].

وأصل «الإغواء» في كلام العرب: تزيين الرجل للرجل الشيء حتى يحسّنه عنده، غارًّا له، وقد حكي عن بعض قبائل طيئ، أنها تقول:"أصبح فلان غاويًا"، أي: أصبح مريضًا[٢٩١٤].

قوله تعالى:{لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} [الأعراف : ١٦]، أي:" لأجتهدنَّ في إغواء بني آدم عن طريقك القويم، ولأصدَّنَّهم عن الإسلام الذي فطرتهم عليه"[٢٩١٥].

وفي قوله تعالى:{لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ} [الأعراف : ١٦]، تأويلان:

أحدهما : طريق مكة ليصد عن قصدها في الحج والعمرة ، قاله عون بن عبدالله[٢٩١٦].

الثاني : طريق الحق ليصد عنها بالإغواء ، قاله مجاهد[٢٩١٧].

قال مجاهد:" يعني: الإسلام: الدين الحق"[٢٩١٨].

القرآن

{ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ (١٧)} [الأعراف : ١٧]

التفسير:

ثم لآتينَّهم من جميع الجهات والجوانب، فأصدهم عن الحق، وأُحسِّن لهم الباطل، وأرغبهم في الدنيا، وأشككهم في الآخرة، ولا تجد أكثر بني آدم شاكرين لك نعمتك.

قوله تعالى:{ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ} [الأعراف : ١٧]، أي:"ثم آتي عبادك من كل جهة من الجهات الأربع لأصدّهم عن دينك"[٢٩١٩].

وفي تفسير قوله تعالى:{ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ} [الأعراف : ١٧]، أقوال:

أحدها : {مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ}، أي: أشككهم في آخرتهم ،{ وَمِنْ خَلْفِهِمْ }، أرغبهم في دنياهم، {وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ}: أي من قبل حسناتهم، {وَعَن شَمَآئِلِهِم }، من قبل سيئاتهم ، وروي نحوه عن قتادة[٢٩٢٠].

(٢٩٠٩) انظر: النكت والعيون:٢٠٤/٢.

(٢٩١٠) التفسير الميسر:١٥٢.

(٢٩١١) أخرجه الطبري(١٤٣٥٩):ص٣٣٠/١٢.

(٢٩١٢) انظر: صفوة التفاسير:٤٠٧/١، والتفسير الميسر:١٥٢.

(٢٩١٣) انظر: النكت والعيون:٢٠٦/٢.

(٢٩١٤) انظر: تفسير الطبري:٣٣٣/١٢.

(٢٩١٥) التفسير الميسر:١٥٢.

(٢٩١٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٦٥):ص٣٣٥/١٢.

(٢٩١٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٦٦)-(١٤٣٦٨):ص٣٣٦/١٢.

(٢٩١٨) تفسير مجاهد: ٣٣٣.

(٢٩١٩) صفوة التفاسير:٤٠٧/١.

قال قتادة:" أتاهم من بين أيديهم فأخبرهم أنه لا بعث ولا جنة ولا نار{ومن خلفهم}، من أمر الدنيا، فزينها لهم ودعاهم إليها {وعن أيمانهم}، من قبل حسناتهم بطأهم عنها {وعن شمائلهم}، زين لهم السيئات والمعاصي، ودعاهم إليها، وأمرهم بها. أتاك يابن آدم من كل وجه، غير أنه لم يأتك من فوقك، لم يستطع أن يحول بينك وبين رحمة الله!" (٢٩٢١).

الثاني : {مِنّ بَيْنِ أيْدِيهِمْ}: يعني من الدنيا،{وَمِنْ خَلْفِهِمْ}: من الآخرة ،{وَعَنْ أيْمَانِهِمْ}: من قبل حسناتهم،{وَعَن شَمَآئِلِهم}: من قبل سيئاتهم، وهذا مروي عن إبراهيم(٢٩٢٢)، والحكم(٢٩٢٣)، وابن جريج(٢٩٢٤).

الثالث : {مِنّ بَيْنِ أيْدِيهِمْ}: من قبل ، دنياهم ،{وَمِنْ خَلْفِهِمْ}: من قبل آخرتهم ،{وَعَنْ أيْمَانِهِمْ}: الحق أشككهم فيه فأصدهم عنه،{وَعَن شَمَآئِلِهم}: الباطل أرغبهم فيه وأزينه لهم، قاله السدي(٢٩٢٥)، وإبراهيم(٢٩٢٦).

الرابع :{مِنّ بَيْنِ أيْدِيهِم }{ وَعَنْ أيْمَانِهِمْ} من حيث ينظرون ، {وَمِنْ خَلْفِهِم }{وَعَنْ شَمَائِلِهِم}: من حيث لا يبصرون ، قاله مجاهد(٢٩٢٧).

ومن أحسن ما قيل في تأويل: {ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم}، أي: لأصدنهم عن الحق، وأرغبنهم في الدنيا، وأشككهم في الآخرة. وهذا غاية في الضلالة. كما قال: {وَلَأُضِلَّنَّهُمْ } [النساء : ١١٩] حسب ما تقدم(٢٩٢٨).

القرآن

{قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ (١٨)} [الأعراف : ١٨]

التفسير:

قال الله تعالى لإبليس: اخرج من الجنة ممقوتًا مطرودًا، لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك من بني آدم أجمعين.

قوله تعالى:{قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَدْحُورًا} [الأعراف : ١٨]، أي:" قال الله تعالى لإبليس: اخرج من الجنة ممقوتًا مطرودًا"(٢٩٢٩).

قال قتادة:" يقول: اخرج منها لعينًا منفيًّا"(٢٩٣٠).

قال السدي:" أما{مذؤوما}، فمنفيا، وأما{مدحورا}، فمطرودا"(٢٩٣١).

قال مجاهد:" {مذؤوما}: منفيا، {مدحورا}: مطرودا"(٢٩٣٢).

وفي قوله تعالى:{مَدْحُورًا} [الأعراف : ١٨]، وجهان:

أحدهما : المطرود ، قاله مجاهد(٢٩٣٣)، والسدي(٢٩٣٤).

الثاني: المصغر. قاله الربيع(٢٩٣٥).

و«المدحور»: فهو المُقْصَى، يقال:دحره يدحَرُه دَحْرًا ودُحُورًا، إذا أقصاه وأخرجه، ومنه قولهم:ادحَرْ عنكَ الشيطان"(٢٩٣٦).

(٢٩٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٧٢):ص٣٣٩/١٢.
(٢٩٢١) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٧٢):ص٣٣٩/١٢.
(٢٩٢٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٧٣):ص٣٣٩/١٢.
(٢٩٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٧٤):ص٣٤٠/١٢
(٢٩٢٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٧٧):ص٣٤٠/١٢.
(٢٩٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٧٦):ص٣٤٠/١٢
(٢٩٢٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٧٥):ص٣٤٠/١٢
(٢٩٢٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٧٨)-(١٤٣٨١):ص٣٤٠/١٢-٣٤١.
(٢٩٢٨) تفسير القرطبي:١٧٦/٧.
(٢٩٢٩) التفسير الميسر:١٥٢.
(٢٩٣٠) اخرجه الطبري(١٤٣٨٤):ص٣٤٣/١٢.
(٢٩٣١) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٨٧):٣٤٣/١٢.
(٢٩٣٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٨٨):٣٤٣/١٢.
(٢٩٣٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٨٨):٣٤٣/١٢.
(٢٩٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٨٧):٣٤٣/١٢.
(٢٩٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٣٨٩):٣٤٣/١٢-٣٤٤.
(٢٩٣٦) تفسير الطبري:٣٤٣/١٢.

القرآن

{وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (١٩)} [الأعراف : ١٩]

التفسير:

ويا آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، فكُلا من ثمارها حيث شئتما، ولا تأكلا من ثمرة شجرة (عَيَّنها لهما) ، فإن فعلتما ذلك كنتما من الظالمين المتجاوزين حدود الله.

قوله تعالى:{وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأعراف : ١٩]، أي:" ولا تأكلا من ثمرة هذه الشجرة -عَيَّنها لهما"[٢٩٣٧].

اختلف أهل التفسير في الشجرة التي نُهيا عنها ، على أقوال:

أحدها: أنها الكَرْمُ ، وهذا قول السُّدِّيِّ [٢٩٣٨]، وجعدة بن هبيرة[٢٩٣٩] .

الثاني: أنها التِّين ، وهذا قول ابن جريج [٢٩٤٠]، ويحكيه عن بعض الصحابة .

الثالث: أنها شجرة الخلد التي تأكل منها الملائكة . قاله يعقوب بن عتبة[٢٩٤١].

والصواب: أن هذه الشجرة غير معلومة النوع، وأنه لا علم عندنا أي شجرة كانت على التعيين، لأن الله لم يَضَع لعباده دليلا على ذلك في القرآن، ولا في السنة الصحيحة[٢٩٤٢]، فتبقى على إبهامها. والله أعلم.

عن يزيد بن عبد الله بن قسيط، عن سعيد بن المسيب، قال: سمعته يحلف بالله ما يستثني - ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل، ولكن حواء سقته الخمر، حتى إذا سكر قادته إليها فأكل"[٢٩٤٣].

القرآن

{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠)} [الأعراف : ٢٠]

التفسير:

فألقى الشيطان لآدم وحواء وسوسة لإيقاعهما في معصية الله تعالى بالأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها; لتكون عاقبتهما انكشاف ما سُتر من عوراتهما، وقال لهما في محاولة المكر بهما: إنما نهاكما ربكما عن الأكل مِن ثمر هذه الشجرة مِن أجل أن لا تكونا ملكين، ومِن أجل أن لا تكونا من الخالدين في الحياة.

قوله تعالى:{فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ} [الأعراف : ٢٠]، أي:" فألقى الشيطان لآدم وحواء وسوسة لإيقاعهما في معصية الله تعالى بالأكل من تلك الشجرة التي نهاهما الله عنها"[٢٩٤٤].

عن الحسن:" أنه وسوس إليها وهما في الجنة في السماء ، وهو في الأرض ، فوصلت وسوسته بالقوة التي خلقها الله له إلى السماء ثم الجنة"[٢٩٤٥].

قال عكرمة:" إنما سمي الشيطان لأنه تشيطن"[٢٩٤٦].

و«الوسوسة»: الوسوسة: "حديث يلقيه الشيطان في قلب الإنسان "[٢٩٤٧]، وهي إخفاء الصوت بالدعاء ، يقال: وسوس له إذا أوهمه النصيحة ، ووسوس إليه إذا ألقى إليه المعنى ، وفي ذلك قول رؤبة بن العجاج[٢٩٤٨] :

(٢٩٣٧) التفسير الميسر:١٥٢.[بتصرف]

(٢٩٣٨) انظر: تفسير الطبري(٧٣١):ص ٥١٩/١.

(٢٩٣٩) انظر: تفسير الطبري(٧٣٣):ص ٥١٩/١.

(٢٩٤٠) انظر: تفسير الطبري(٧٤٠):ص ٥٢٠/١.

(٢٩٤١) انظر: تفسير الطبري(٧٢٧):ص ٥١٨/١.

(٢٩٤٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٢٠/١-٥٢١.

(٢٩٤٣)انظر:تفسير الطبري(٧٤٩):٥٣٠/١.

(٢٩٤٤) التفسير الميسر:١٥٢.

(٢٩٤٥) انظر: النكت والعيون:٢١٠/٢.

(٢٩٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٢٨٧):ص١٤٥٠/٥.

(٢٩٤٧) تفسير السمعاني:١٧٠/٢.

(٢٩٤٨)ديوانه: ١٠٨، اللسان (وسس) ، وهذا بيت من أرجوزته التي مضت منها أبيات كثيرة. وهذا البيت من أبيات في صفة

وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصًا رَبَّ الفَلَقْ ... سراً وقد أوّن تأوين العقق[٢٩٤٩]

قوله تعالى:{لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا} [الأعراف : ٢٠]، أي:" لتكون عاقبتهما انكشاف ما سُتر من عوراتهما"[٢٩٥٠].

قال السدي:" وكان قد علم أن لهما سوأة لما كان يقرأ من كتب الملائكة ولم يكن آدم يعلم ذلك، وكان لباسهما الظفر"[٢٩٥١].

قوله تعالى:{وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ} [الأعراف : ٢٠]، أي:" وقال في وسوسته لهما في محاولة المكر بهما: ما نهاكما ربكما عن الأكل من الشجرة إلا كراهية أن تكونا مَلَكَين أو تصبحا من المخلّدين في الجنة"[٢٩٥٢].

قال الحسن:" ذكر تفضيل الملائكة، فضلوا بالصور وفضلوا بالأجنحة، وفضلوا بالكرامة"[٢٩٥٣].

عن حميد قال: كان مجاهد يقرأ: {إلا أن تكونا ملكين} بنصب اللام، من الملائكة"[٢٩٥٤]. وروي عن قتادة والأعمش وطلحة بن مصرف والأعرج نحو ذلك[٢٩٥٥].

عن السدي: "{أو تكونا من الخالدين}، يقول: لا تموتون أبدا"[٢٩٥٦]. وروي عن محمد بن كعب القرظي نحوه[٢٩٥٧].

القرآن

{وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١)} [الأعراف : ٢١]

التفسير:

وأقسم الشيطان لآدم وحواء بالله إنه ممن ينصح لهما في مشورته عليهما بالأكل من الشجرة، وهو كاذب في ذلك.

قوله تعالى:{وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ} [الأعراف : ٢١]، أي:" وأقسم الشيطان لآدم وحواء بالله إنه ممن ينصح لهما في مشورته عليهما بالأكل من الشجرة، وهو كاذب في ذلك "[٢٩٥٨].

قال السدي:" وحلف لهما بالله إني لكما لمن الناصحين"[٢٩٥٩]. وروي عن محمد بن كعب نحو ذلك[٢٩٦٠].

عن قتادة عن مطرف،:"يعني قوله: {وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين}- قال لهما: إني خلقت قبلكما وأنا أعلم منكما فاتبعاني أرشدكما. وإنما يخدع المؤمن- بالله.

قال قتادة: وكان بعض أهل العلم يقول: من خادعنا بالله- خدعنا"[٢٩٦١].

القرآن

{فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢)} [الأعراف : ٢٢]

الصائد المختفي، يترقب حمر الوحش، ليصيب منها. يقول لما أحس بالصيد وأراد رميه، وسوس نفسه بالدعاء حذر بالدعاء حذر الخيبة ورجاء الإصابة.

(٢٩٤٩) انظر: النكت والعيون:٢٠٩/٢.

(٢٩٥٠) التفسير الميسر:١٥٢.

(٢٩٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٢٨٨):ص١٤٥٠/٥.

(٢٩٥٢) انظر: صفوة التفاسير:٤٠٧/١، والتفسير الميسر:١٥٢.

(٢٩٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٢٩١):ص١٤٥٠/٥.

(٢٩٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٢٩٢):ص١٤٥٠/٥.

(٢٩٥٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٤٥٠/٥.

(٢٩٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٢٩٤):ص١٤٥١/٥.

(٢٩٥٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٤٥١/٥.

(٢٩٥٨) التفسير الميسر:١٥٢.

(٢٩٥٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢٩٥):ص١٤٥١/٥.

(٢٩٦٠) انظر: تفسير ابن ابي حاتم: ١٤٥١/٥، حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٩٦١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢٩٦):ص١٤٥١/٥.

التفسير:
فجرَّأهما وغرَّهما، فأكلا من الشجرة التي نهاهما الله عن الاقتراب منها، فلما أكلا منها انكشفت لهما عوراتهما، وزال ما سترهما الله به قبل المخالفة، فأخذا يلزقان بعض ورق الجنة على عوراتهما، وناداهما ربهما جل وعلا ألم أنهكما عن الأكل من تلك الشجرة، وأقل لكما: إن الشيطان لكما عدو ظاهر العداوة؟

قوله تعالى:{فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ} [الأعراف : ٢٢]، أي:" أي خدعهما بما غرهما به من القسم بالله"(٢٩٦٢).

عن ابن إسحاق قال: "حدثت: أن أول ما ابتدأهما به من كيده إياهما، أنه ناح عليهما نياحة أحزنتهما حين سمعاها، فقالا ما يبكيك؟ قال: أبكي عليكما، تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة. فوقع ذلك في أنفسهما. ثم أتاهما فوسوس إليهما، فقال: يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟ وقال:{ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين، وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين}. أي: تكونا ملكين، أو تخلدا، إن لم تكونا ملكين- في نعمة الجنة فلا تموتان. يقول الله جل ثناؤه: {فدلاهما بغرور}"(٢٩٦٣).

قوله تعالى:{فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا} [الأعراف : ٢٢]، أي:" فلما أكلا منها انكشفت لهما عوراتهما، وزال ما سترهما الله به قبل المخالفة"(٢٩٦٤).

قال السدي:" فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حواء فأكلت ثم قالت: يا آدم، كل فإني قد أكلت فلم تنظرني. فلما أكل آدم بدت لهما سوآتهما"(٢٩٦٥).

قوله تعالى:{وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ} [الأعراف : ٢٢]، أي:" فأخذا يلزقان بعض ورق الجنة على عوراتهما"(٢٩٦٦).

قال السدي:" أقبلا يغطيان عليهما من ورق الجنة، التين"(٢٩٦٧).

قال قتادة:" يوصلان عليهما من ورق الجنة"(٢٩٦٨).

قال محمد بن كعب:" يأخذان ما يواريان به عورتهما"(٢٩٦٩).

قال مجاهد:" يرقعان، كهيئة الثوب"(٢٩٧٠).

قوله تعالى:{وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ} [الأعراف : ٢٢]، أي:" وناداهما ربهما جل وعلا ألم أنهكما عن الأكل من تلك الشجرة وأقل لكما: إن الشيطان لكما عدو ظاهر العداوة؟"(٢٩٧١).

عن السدي:" قال آدم: رب إنه حلف لي بك، ولم أكن أظنك أن أحدا من خلقك يحلف بك إلا صادقا"(٢٩٧٢).

عن محمد بن قيس قوله: "{وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين} ، لم أكلتها وقد نهيتك عنها؟ قال: يا رب، أطعمتني حواء! قال لحواء: لم أطعمته؟ قالت: أمرتني الحية! قال للحية: لم أمرتها؟ قالت: أمرني إبليس! قال: ملعون مدحور! أما أنت يا حواء فكما دمَّيت الشجرة تَدْمَيْن كل شهر. وأما أنت يا حية، فأقطع قوائمك فتمشين على وجهك، وسيشدخُ رأسك من لقيك، اهبطوا بعضكم لبعض عدو"(٢٩٧٣).

القرآن

(٢٩٦٢) صفوة التفاسير:٤٠٧/١.
(٢٩٦٣) أخرجه الطبري(٧٤٧):ص٥٢٩/١.
(٢٩٦٤) التفسير الميسر:١٥٢.
(٢٩٦٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٢٩٨):ص١٤٥١/٥.
(٢٩٦٦) التفسير الميسر:١٥٢.
(٢٩٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٠١):ص١٤٥٢/٥.
(٢٩٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٠٥):ص١٤٥٣/٥.
(٢٩٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٠٦):ص١٤٥٣/٥.
(٢٩٧٠) أخرجه الطبري(١٤٤٠٠):ص٣٥٣/١٢.
(٢٩٧١) التفسير الميسر:١٥٢.
(٢٩٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣١٠):ص١٤٥٣/٥.
(٢٩٧٣) أخرجه الطبري(١٤٤٠٩):ص٣٥٥/١٢-٣٥٦.

{قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣)} [الأعراف : ٢٣]

التفسير:

قال آدم وحواء: ربنا ظلمنا أنفسنا بالأكل من الشجرة، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن ممن أضاعوا حظَّهم في دنياهم وأخراهم.

قوله تعالى:{وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف : ٢٣]، أي:" وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن ممن أضاعوا حظَّهم في دنياهم وأخراهم"(٢٩٧٤).

قال قتادة:" قال آدم عليه السلام: يا رب، أرأيتَ إن تبتُ واستغفرتك؟ قال: إذًا أدخلك الجنة. وأما إبليس فلم يسأله التوبة، وسأل النَّظِرة، فأعطى كلَّ واحد منهما ما سأل"(٢٩٧٥).

عن الضحاك في قوله: "{ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا}، الآية، قال: هي الكلمات التي تلقَّاها آدم من ربه"(٢٩٧٦).

القرآن

{قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ (٢٤)} [الأعراف : ٢٤]

التفسير:

قال تعالى مخاطبًا آدم وحواء لإبليس: اهبطوا من السماء إلى الأرض، وسيكون بعضكم لبعض عدوًا، ولكم في الأرض مكان تستقرون فيه، وتتمتعون إلى انقضاء آجالكم.

قوله تعالى:{قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ} [الأعراف : ٢٤]، أي:" قال تعالى مخاطبًا آدم وحواء لإبليس: اهبطوا من السماء إلى الأرض، وسيكون بعضكم لبعض عدوًا"(٢٩٧٧).

فإن قيل : فالمأمور بالهبوط آدم وحواء لأن إبليس قد كان أهبط من قبل حين امتنع عن السجود لآدم ، فكيف عبر عنهما بلفظ الجمع ؟ فعن ذلك ثلاثة أجوبة :

أحدها : أنهم آدم، وحواء، وإبليس، والحية. قاله السدي(٢٩٧٨).

قال السدي:" فلعنَ الحية، وقطع قوائمها، وتركها تمشي على بطنها، وجعل رزقها من التراب، وأهبطوا إلى الأرض: آدم، وحواء، وإبليس، والحية"(٢٩٧٩).

الثاني : أنهم آدم وحواء والحية. قاله أبو صالح مولى أم هانئ(٢٩٨٠).

الثالث : أنهم آدم وحواء والوسوسة ، قاله الحسن(٢٩٨١).

والصحيح هو أن آدم وزوجته ممن عُني به في قوله:{اهبطوا}، وهو قول الجمهور(٢٩٨٢). والله أعلم.

قال الحسن:" هبط آدم بالهند، وحواء بجدة، وإبليس بدست ميسان- من البصرة على أميال، وهبطت الحية بأصبهان"(٢٩٨٣).

قال السدي:" قال الله: {اهبطوا منها جميعا}، فهبطوا: فنزل آدم بالهند وأنزل معه بقبضة من ورق الجنة فبثه بالهند فنبتت شجرة الطيب فإنما أصل ما يجاء به من الهند من الطيب من قبضة الورق التي هبط بها آدم، وإنما قبضها آدم حين أخرج من الجنة أسفا على الجنة حين أخرج منها"(٢٩٨٤).

قال رجاء بن أبي سلمة: "أهبط آدم يديه على ركبتيه مطأطئا رأسه، وأهبط إبليس مشبكا بين أصابعه رافعا رأسه إلى السماء"(٢٩٨٥).

(٢٩٧٤) التفسير الميسر:١٥٣.
(٢٩٧٥) أخرجه الطبري(١٤٤١١):ص٣٥٧/١٢.
(٢٩٧٦) أخرجه الطبري(١٤٤١٢):ص٣٥٧/١٢.
(٢٩٧٧) التفسير الميسر:١٥٣.
(٢٩٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٤١٣):ص٣٥٨/١٢.
(٢٩٧٩) أخرجه الطبري(١٤٤١٣):ص٣٥٨/١٢.
(٢٩٨٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٤١٤):ص٣٥٨/١٢.
(٢٩٨١) انظر: النكت والعيون:٢١٢/٢.
(٢٩٨٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٣٥/١.
(٢٩٨٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٣١٧):ص١٤٥٤/٥-١٤٥٥.
(٢٩٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣١٨):ص١٤٥٥/٥.
(٢٩٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣١٣):ص١٤٥٤/٥.

قال النسري بن يحيى: "أهبط آدم من الجنة ومعه البذور، فوضع إبليس عليها يده، فما أصاب يده ذهب منفعته"(٢٩٨٦).

وقد ذكر المفسرون الأماكن التي هبط فيها كل منهم ، ويرجع حاصل تلك الأخبار إلى الإسرائيليات ، والله أعلم بصحتها. ولو كان في تعيين تلك البقاع فائدة تعود على المكلفين في أمر دينهم ، أو دنياهم ، لذكرها الله تعالى في كتابه أو رسوله -صلى الله عليه وسلم-(٢٩٨٧).

قوله تعالى:{وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ} [الأعراف : ٢٤]، أي:" ولكم في الأرض مكان تستقرون فيه"(٢٩٨٨).

قال ابن كثير:" أي : قرار"(٢٩٨٩).

وفي معنى« المستقر» وجهان:

أحدهما : أنه موضع الاستقرار ، قاله أبو صالح(٢٩٩٠).

قال أبو العالية:" هو قوله: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا}[البقرة:٢٢]"(٢٩٩١).

الثاني: أنه القبور. قاله السدي(٢٩٩٢).

قوله تعالى:{وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ} [الأعراف : ٢٤]، أي:" وتتمتعون إلى انقضاء آجالكم"(٢٩٩٣).

واختلف في قوله تعالى: {إِلَى حِينٍ} [الأعراف : ٢٤]، على وجوه:

أحدها: إلى الموت. قاله السدي(٢٩٩٤).

الثاني: معناه: إلى قيام الساعة. قاله ابن عباس(٢٩٩٥)، ومجاهد(٢٩٩٦).

قال ابن عباس:" حتى يصير إلى الجنة أو إلى النار"(٢٩٩٧).

الثالث: إلى أجل. قاله الربيع(٢٩٩٨).

الرابع: أن «الحين»الذي لا يدرك. قاله عكرمة(٢٩٩٩).

القرآن

{يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٢٦)} [الأعراف : ٢٦]

التفسير:

يا بني آدم قد جعلنا لكم لباسًا يستر عوراتكم، وهو لباس الضرورة، ولباسًا للزينة والتجمل، وهو من الكمال والتنعم. ولباسُ تقوى الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي هو خير لباس للمؤمن. ذلك الذي مَنَّ الله به عليكم من الدلائل على ربوبية الله تعالى ووحدانيته وفضله ورحمته بعباده; لكي تتذكروا هذه النعم، فتشكروا لله عليها.

سبب النزول:

قال الماوردي:" نزلت هذه الآية في قوم من العرب كانوا يطوفون بالبيت عراة ويرون أن ذلك أبلغ في الطاعة وأعظم في القربة"(٣٠٠٠).

(٢٩٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣١٩):ص١٤٥٥/٥.

(٢٩٨٧) تفسير ابن كثير: ٣٩٩/٣.

(٢٩٨٨) التفسير الميسر:١٥٣.

(٢٩٨٩) تفسير ابن كثير: ٣٩٩/٣.

(٢٩٩٠) انظر: النكت والعيون:٢١٢/٢.

(٢٩٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٢٣):ص١٤٥٥/٥.

(٢٩٩٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٤٥٥/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٢٩٩٣) التفسير الميسر:١٥٣.

(٢٩٩٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٠٢):ص٩٠/١، و(٨٣٢٤):ص١٤٥٦/٥.

(٢٩٩٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٤٠٤):ص٩٠/١.

(٢٩٩٦) انظر: تفسير الطبري(٧٧٢):ص٥٤٠/١.

(٢٩٩٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٣٢٦):ص١٤٥٦/٥.

(٢٩٩٨) انظر: تفسير الطبري(٧٧٣):ص٥٤٠/١.

(٢٩٩٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٣٢٧):ص١٤٥٦/٥.

قال أبو سعد المدني :"سمعت مجاهدا يقول في قوله: {يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا}، قال: أربع آيات نزلت في قريش. كانوا في الجاهلية لا يطوفون بالبيت إلا عراة"[٣٠٠١].

قوله تعالى:{يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا} [الأعراف : ٢٦]، أي:" يا بني آدم قد جعلنا لكم لباسًا يستر عوراتكم، وهو لباس الضرورة، ولباسًا للزينة والتجمل، وهو من الكمال والتنعم"[٣٠٠٢].

عن مجاهد، في قول الله: "{لباسا يواري سوءاتكم}، قال: كان ناس من العرب يطوفون بالبيت عراة، ولا يلبس أحدهم ثوبا طاف فيه"[٣٠٠٣].

و«السوءات»: واحدتها:«سوءة»، من «السوء»، وسميت العورة: «سوءة»، لأنه يسوء صاحبها انكشافها من جسده، كما قال الشاعر[٣٠٠٤]:

خرقوا جيب فتاتهم ... لم يبالوا سوءة الرجله[٣٠٠٥]

عن معبد الجهني: "{يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم} ، قال: اللباس الذي يواري سوءاتكم: وهو لبوسكم هذه"[٣٠٠٦].

عن الضحاك قوله: "{قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم}، قال: يعني ثياب الرجل التي يلبسها"[٣٠٠٧].

عن السدي: "{لباسا يواري سوءاتكم}، قال: هي الثياب"[٣٠٠٨].

عن الحسن: "أنه لما كان ينبت من المطر الذي نزل من السماء صار كالمنزل من السماء"[٣٠٠٩].

والثاني : أن هذا من بركات الله ، والبركة تنسب إلى أنها تنزل من السماء ، كما قال تعالى:{وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ} [الحديد : ٢٥] .

وفي قوله تعالى:{ وَرِيشًا} [الأعراف : ٢٦]، وجهان من التفسير:

أحدهما : أنه المعاش ، قاله معبد الجهني[٣٠١٠].

الثاني: أنه المال : قاله مجاهد[٣٠١١]، والضحاك[٣٠١٢]، والسدي[٣٠١٣]، قال الشاعر[٣٠١٤]:

فَرِيشي مِنْكُمُ وَهَوايَ مَعْكُمْ ... وإِنْ كَانَتْ زِيَارَتُكُمْ لِمَامَا

والصحيح أن الريش هو الأثاث والمتاع[٣٠١٥].

وقرأ زر بن حبيش والحسن البصري:«ورياشا»[٣٠١٦].

(٣٠٠٠) النكت والعيون:٢١٣/٢.

(٣٠٠١) أخرجه الطبري(١٤٤٢٠):ص٣٦٢/١٢.

(٣٠٠٢) التفسير الميسر:١٥٣.

(٣٠٠٣) أخرجه الطبري(١٤٤١٨):ص٣٦١/١٢.

(٣٠٠٤) لم أعرف قائله، والبيت من شزواهد الطبري في تفسيره:٣٦١/١٢، وانظر: البيت في الكامل ١/ ١٦٥، وشرح الحماسة ١/ ١١٧، واللسان "رجل" ، وغيرها، وقبل البيت: كل جار ظل مغتبطا ... غير جيراني بني جبله.

وروايتهم: "لم يبالوا حرمة الرجله" . وكنى بقوله: "جيب فتاتهم"، عن عورتها وفرجها. وانث "الرجل"، فجعل المرأة: "رجلة".

(٣٠٠٥) انظر: تفسير الطبري:٣٦١/١٢.

(٣٠٠٦) أخرجه الطبري(١٤٤٢٣):ص٣٦٢/١٢.

(٣٠٠٧) أخرجه الطبري(١٤٤٢٦):ص٣٦٢/١٢-٣٦٣.

(٣٠٠٨) أخرجه الطبري(١٤٤٢٤):ص٣٦٢/١٢.

(٣٠٠٩) انظر: النكت والعيون:٢١٣/٢.

(٣٠١٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٣٥):ص٣٦٥/١٢.

(٣٠١١) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٢٩):ص٣٦٥/١٢.

(٣٠١٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٣٣):ص٣٦٥/١٢.

(٣٠١٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٣١):ص٣٦٥/١٢.

(٣٠١٤)الشاهد لجرير في "ديوانه" ص ٤١٠، وللراعي النميري، أيضًا في "ديوانه" ص ٢٤٣، و"الكتاب" ٣/ ١٨٧، وبلا نسبة في: "الزاهر" ١/ ٢٥٠، و"معاني النحاس" ٣/ ٢٣، و"الماوردي" ٢/ ٢١٤، و"أمالي ابن الشجري" ١/ ٣٧٥، و"ابن الجوزي" ٣/ ١٨٢، و"القرطبي" ٧/ ١٨٤، و"رصف المباني" ص ٣٩٤، و"اللسان" ٧/ ٤٢٣٤ (معع)، و"الدر المصون" ٥/ ٢٨٧، واللمَّام: الشيء اليسير، انظر: "لسان العرب" ٧/ ٤٠٧٩ (لمم).

(٣٠١٥)الفتاوى: ١٢/ ٢٥٥.

(٣٠١٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٢٧):ص٣٦٣/١٢.

قال الطبري:" وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر في إسناده نظر: أنه قرأه:«ورياشا»"[٣٠١٧].

قوله تعالى:{وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} [الأعراف : ٢٦]، أي:" ولباسُ تقوى الله تعالى بفعل الأوامر واجتناب النواهي هو خير لباس للمؤمن"[٣٠١٨].

وفي«لباس التقوى»، وجهان :

أحدهما : أنه الإيمان ، قاله قتادة[٣٠١٩]، والسدي[٣٠٢٠]، وابن جريج[٣٠٢١].

قال قتادة:" لباس التقوى خير، وهو الإيمان"[٣٠٢٢].

عن السدي: "{ولباس التقوى}: الإيمان، {ذلك خير}، يقول: ذلك خير من الرياش واللباس يواري سوءاتكم"[٣٠٢٣].

الثاني : الحياة ، قاله معبد الجهني[٣٠٢٤].

وكل هذه متقاربة ، ويؤيد ذلك الحديث الذي رواه ابن جرير..« عن الحسن قال : رأيت عثمان بن عفان ، رضي الله عنه ، على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه قميص قُوهي محلول الزرّ ، وسمعته يأمر بقتل الكلاب ، وينهى عن اللعب بالحمام. ثم قال : يا أيها الناس ، اتقوا الله في هذه السرائر ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "والذي نفس محمد بيده ، ما عمل أحد قط سرا إلا ألبسه الله رداء علانية ، إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر". ثم تلا هذه الآية : {ورياشًا} ولم يقرأ : وريشًا - { وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ } قال : "السمت الحسن"»[٣٠٢٥]" هكذا رواه ابن جرير من رواية سليمان بن أرقم وفيه ضعف[٣٠٢٦].

القرآن

{يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧)} [الأعراف : ٢٧]

التفسير:

يا بني آدم لا يخدعنَّكم الشيطان، فيزين لكم المعصية، كما زيَّنها لأبويكم آدم وحواء، فأخرجهما بسببها من الجنة، ينزع عنهما لباسهما الذي سترهما الله به; لتنكشف لهما عوراتهما. إن الشيطان يراكم هو وذريته وجنسه وأنتم لا ترونهم فاحذروهم. إنَّا جعلنا الشياطين أولياء للكفار الذين لا يوحدون الله، ولا يصدقون رسله، ولا يعملون بهديه.

قوله تعالى:{يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا} [الأعراف : ٢٧]، أي:" ينزع عنهما لباسهما الذي سترهما الله به; لتنكشف لهما عوراتهما"[٣٠٢٧].

وفي قوله تعالى:{يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا} [الأعراف : ٢٧]، ثلاثة أقاويل :

أحدها : أن لباسهما كان أظفاراً تستر البدن فنزعت عنهما وتركت زينة وتبصرة ، قاله عكرمة[٣٠٢٨].

قال عكرمة:" لباس كل دابة منها، ولباس الإنسان الظفر، فأدركت آدم التوبة عند ظفره - أو قال: أظفاره-"[٣٠٢٩].

(٣٠١٧) تفسير الطبري:٣٦٣/١٢، وانظر: الخبر في تفسيره(١٤٤٤٦):ص٣٦٧٦/١٢-٣٦٧.
(٣٠١٨) التفسير الميسر:١٥٣.
(٣٠١٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٣٨):ص٣٦٦/١٢.
(٣٠٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٣٩):ص٣٦٦/١٢.
(٣٠٢١) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٤٠):ص٣٦٦/١٢.
(٣٠٢٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٥٠):ص٣٧٢/١٢.
(٣٠٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٤٩):ص٣٧٢/١٢.
(٣٠٢٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٤١):ص٣٦٦/١٢.
(٣٠٢٥) أخرجه الطبري(١٤٤٤٦):ص٣٦٧/١٢-٣٦٨.
(٣٠٢٦) تفسير ابن كثير:٤٠١/٣.
(٣٠٢٧) التفسير الميسر:١٥٣.
(٣٠٢٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٥٤):ص٣٧٤/١٢.
(٣٠٢٩) أخرجه الطبري(١٤٤٥١):ص٣٧٣/١٢.

قال عكرمة:" كان لباسه الظفر، فانتهت توبته إلى أظفاره"[٣٠٣٠].
الثاني : أن لباسهما كان نوراً ، قاله وهب بن منبه[٣٠٣١].
ثال وهب:" كان لباس آدم وحواء نورا على فروجهما، لا يرى هذا عورة هذه، ولا هذه عورة هذا"[٣٠٣٢].
الثالث : أن نزع عنهما لباسهما من تقوى الله وطاعته ، قاله مجاهد[٣٠٣٣].
والصواب أن يقال: إن الله تعالى حذر عباده أن يفتنهم الشيطان كما فتن أبويهم آدم وحواء، وأن يجردهم من لباس الله الذي أنزله إليهم، كما نزع عن أبويهم لباسهما."اللباس" المطلق من الكلام بغير إضافة إلى شيء في متعارف الناس، وهو ما اجتاب فيه اللابس من أنواع الكسي، أو غطى بدنه أو بعضه.
وإذ كان ذلك كذلك، فالحق أن يقال: إن الذي أخبر الله عن آدم وحواء من لباسهما الذي نزعه عنهما الشيطان، هو بعض ما كانا يواريان به أبدانهما وعورتهما.
وقد يجوز أن يكون ذلك كان ظفرا، ويجوز أن يكون كان ذلك نورا ، ويجوز أن يكون غير ذلك، ولا خبر عندنا بأي ذلك تثبت به الحجة، فلا قول في ذلك أصوب من أن يقال كما قال جل ثناؤه: {ينزع عنهما لباسهما}"[٣٠٣٤].
قوله تعالى:{إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ} [الأعراف : ٢٧]، أي:" إن الشيطان يراكم هو وذريته وجنسه وأنتم لا ترونهم فاحذروهم"[٣٠٣٥].
وفي قوله تعالى:{وَقَبِيلُهُ} [الأعراف : ٢٧]، وجهان:
أحدهما : جيلُهُ ، قاله السدي [٣٠٣٦].
الثاني: الجن والشياطين. قاله مجاهد[٣٠٣٧].
و{قبيله}، يعني: وصنفه وجنسه الذي هو منه واحد جمع جيلا، وهم الجن[٣٠٣٨].
عن قتادة: قوله: "{إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم}، قال: والله إن عدو الله يراك من حيث لا تراه لشديد المؤنة إلا من عصم الله"[٣٠٣٩].

القرآن
{وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٢٨)} [الأعراف : ٢٨]
التفسير:
وإذا أتى الكفار قبيحًا من الفعل اعتذروا عن فعله بأنه مما ورثوه عن آبائهم، وأنه مما أمر الله به. قل لهم -أيها الرسول-: إن الله تعالى لا يأمر عباده بقبائح الأفعال ومساوئها، أتقولون على الله -أيها المشركون- ما لا تعلمون كذبًا وافتراءً؟
قوله تعالى:{وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا} [الأعراف : ٢٨]، أي:" وإذا أتى الكفار قبيحًا من الفعل اعتذروا عن فعله بأنه مما ورثوه عن آبائهم"[٣٠٤٠].
وفي قوله تعالى:{وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا} [الأعراف : ٢٨]، قولان:
أحدهما : أنها وردت في العرب الذين كانوا يطوفون عراة ، والفاحشة التي فعلوها: كشف العورة. قاله مجاهد[٣٠٤١]، وسعيد بن جبير[٣٠٤٢]، والشعبي[٣٠٤٣]، والسدي[٣٠٤٤]، وهو قول أكثر المفسرين[٣٠٤٥].

(٣٠٣٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٥٤):ص٣٧٤/١٢.
(٣٠٣١) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٥٥):ص٣٧٤/١٢.
(٣٠٣٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٥٦):ص٣٧٤/١٢.
(٣٠٣٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٥٧)-(١٤٤٥٩):ص٣٧٥/١٢.
(٣٠٣٤) تفسير الطبري:٣٧٥/١٢-٣٧٦.
(٣٠٣٥) التفسير الميسر:١٥٣.
(٣٠٣٦) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٢١٥/٢.
(٣٠٣٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٦٠):ص٣٧٦/١٢.
(٣٠٣٨) تفسير الطبري:٣٧٦/١٢.
(٣٠٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٣٥٣):ص١٤٦٠/٥.
(٣٠٤٠) التفسير الميسر:١٥٣.

قال مجاهد:" كانوا يطوفون بالبيت عراة، يقولون: نطوف كما ولدتنا أمهاتنا، فتضع المرأة على قبلها النسعة أو الشيء، فتقول[٣٠٤٦]:

اليوم يبدو بعضه أو كله ... فما بدا منه فلا أحله"[٣٠٤٧]

قال مجاهد:" كان نساؤهم يطفن بالبيت عراة، فتلك الفاحشة التي وجدوا عليها آباءهم: {قل إن الله لا يأمر بالفحشاء} ، الآية"[٣٠٤٨].

قال السدي:" كان قبيلة من العرب من أهل اليمن يطوفون بالبيت عراة، فإذا قيل: لم تفعلون ذلك؟ قالوا: وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بها"[٣٠٤٩].

الثاني: أنها في عبدة الأوثان ، والفاحشة التي فعلوها: الشرك ، قاله الحسن[٣٠٥٠].

والفاحشة أريد بها: كشف السوءات، فيستدل به على أن في الأفعال السيئة من الصفات ما يمنع أمر الشرع بها، فإنه أخبر عن نفسه في سياق الإنكار عليهم أنه لا يأمر بالفحشاء، فدل ذلك على أنه منزه عنه، فلو كان جائزاً عليه لم يتنزه عنه.

فعلم أنه لا يجوز عليه الأمر بالفحشاء؛ وذلك لا يكون إلا إذا كان ال الفعل في نفسه سيئاً، فعلم أن كلما كان في نفسه فاحشة فإن الله لا يجور عليه الأمر به، وهذا قول من يثبت للأفعال في نفسها صفات الحسن والسوء، كما يقوله أكثر العلماء كالتميميين وأبي الخطاب؛ خلاف قول من يقول: إن ذلك لا يثبت قط إلا بخطاب.

وكذلك قوله {وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً}[الإسراء:٣٢] علل النهي عنه بما اشتمل عليه أنه فاحشة، وأنه ساء سبيلاً، فلو كان إنما صار فاحشة وساء سبيلا بالنهي لما صح ذلك، لأن العلة تسبق المعلول لا تتبعه. ومثل ذلك كثير في القرآن[٣٠٥١].

القرآن

{قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ (٢٩)} [الأعراف : ٢٩]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أمر ربي بالعدل، وأمركم بأن تخلصوا له العبادة في كل موضع من مواضعها، وبخاصة في المساجد، وأن تدعوه مخلصين له الطاعة والعبادة، وأن تؤمنوا بالبعث بعد الموت. وكما أن الله أوجدكم من العدم فإنه قادر على إعادة الحياة إليكم مرة أخرى.

قوله تعالى:{قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ} [الأعراف : ٢٩]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: أمر ربي بالعدل"[٣٠٥٢].

قال مجاهد[٣٠٥٣]، والسدي[٣٠٥٤]:" والقسط: العدل"

قوله تعالى:{وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف : ٢٩]، أي:" وأمركم بأن تخلصوا له العبادة في كل موضع من مواضعها، وبخاصة في المساجد"[٣٠٥٥].

(٣٠٤١) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٦٢)-(١٤٤٦٣):ص٣٧٧/١٢-٣٧٨.
(٣٠٤٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٦٤):ص٣٧٨/١٢. [تكرر في التفسير:الرقم(١٤٤٦٤) مرتين].
(٣٠٤٣)انظر: تفسير الطبري(١٤٤٦٤):ص٣٧٨/١٢.
(٣٠٤٤)انظر: تفسير الطبري(١٤٤٦٥):ص٣٧٨/١٢.
(٣٠٤٥) انظر: النكت والعيون:٢١٦/٢.
(٣٠٤٦) سبق تخريجه.
(٣٠٤٧) أخرجه الطبري(١٤٤٦٢):ص٣٧٧/١٢.
(٣٠٤٨) أخرجه الطبري(١٤٤٦٨):ص٣٧٨/١٢-٣٧٩.
(٣٠٤٩)انظر: تفسير الطبري(١٤٤٦٥):ص٣٧٨/١٢.
(٣٠٥٠) انظر: النكت والعيون:٢١٦/٢.
(٣٠٥١)مجموع الفتاوى :١٥/ ٨-٩.
(٣٠٥٢) التفسير الميسر:١٥٣.
(٣٠٥٣) أخرجه الطبري(١٤٤٦٩):ص٣٧٩/١٢-٣٨٠.
(٣٠٥٤) أخرجه الطبري(١٤٤٧٠):ص٣٨٠/١٢.

وفي قوله تعالى:{وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف : ٢٩]، وجهان:
أحدهما : معناه: توجهوا حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة ، قاله مجاهد[٣٠٥٦]، والسدي[٣٠٥٧].
الثاني : معناه: اجعلوا سجودكم خالصاً لله تعالى دون ما سواه من الأوثان والأصنام ، قاله الربيع بن أنس[٣٠٥٨].

والراجح، "ما قاله الربيع: وهو أن القوم أمروا أن يتوجهوا بصلاتهم إلى ربهم، لا إلى ما سواه من الأوثان والأصنام، وأن يجعلوا دعاءهم لله خالصا، لا مكاء ولا تصدية، لأن الله إنما خاطب بهذه الآية قوما من مشركي العرب، لم يكونوا أهل كنائس وبيع، وإنما كانت الكنائس والبيع لأهل الكتابين. فغير معقول أن يقال لمن لا يصلي في كنيسة ولا بيعة:وجه وجهك إلى الكعبة في كنيسة أو بيعة"[٣٠٥٩].

قوله تعالى:{وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [الأعراف : ٢٩]، أي:" واعبدوه مخلصين له العبادة والطاعة"[٣٠٦٠].

قال الربيع:" أن تخلصوا له الدين والدعوة والعمل، ثم توجهون إلى البيت الحرام"[٣٠٦١].

قوله تعالى:{كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} [الأعراف : ٢٩]، أي:" وكما أن الله أوجدكم من العدم فإنه قادر على إعادة الحياة إليكم مرة أخرى"[٣٠٦٢].

وفي قوله تعالى:{كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ} [الأعراف : ٢٩]، وجهان:
أحدهما : كما بدأكم شقياً وسعيداً ، كذلك تبعثون يوم القيامة ، وهو معنى قول مجاهد[٣٠٦٣]، وسعيد بن جبير[٣٠٦٤]، وأبي العالية[٣٠٦٥]، والسدي[٣٠٦٦]، ومحمد بن كعب[٣٠٦٧].

قال مجاهد:" يبعث المسلم مسلما، والكافر كافرا"[٣٠٦٨].

قال سعيد بن جبير:" كما كتب عليكم تكونون"[٣٠٦٩].

قال أبو العالية:" ردوا إلى علمه فيهم"[٣٠٧٠].

قال أبو العالية:" عادوا إلى علمه فيهم، ألم تسمع إلى قول الله فيهم: {كما بدأكم تعودون}؟ ألم تسمع قوله: {فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة}؟"[٣٠٧١].

قال محمد بن كعب:" من ابتدأ الله خلقه على الشقوة صار إلى ما ابتدأ الله خلقه عليه، وإن عمل بأعمال أهل السعادة، كما أن إبليس عمل بأعمال أهل السعادة، ثم صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه. ومن ابتدئ خلقه على السعادة، صار إلى ما ابتدئ عليه خلقه، وإن عمل بأعمال أهل الشقاء، كما أن السحرة عملت بأعمال أهل الشقاء، ثم صاروا إلى ما ابتدئ عليه خلقهم"[٣٠٧٢].

ويتأيد هذا القول بحديث ابن مسعود في صحيح البخاري: «فوالذي لا إله غيره ، إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع - أو : ذراع - فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار

(٣٠٥٥) التفسير الميسر:١٥٣.
(٣٠٥٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٧١):٣٨٠/١٢.
(٣٠٥٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٧٣):٣٨٠/١٢.
(٣٠٥٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٧٦):٣٨١/١٢.
(٣٠٥٩) تفسير الطبري:٣٨١/١٢.
(٣٠٦٠) صفوة التفاسير:٤٠٩/١.
(٣٠٦١) أخرجه الطبري(١٤٤٧٧):ص٣٨١/١٢.
(٣٠٦٢) التفسير الميسر:١٥٣.
(٣٠٦٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٨٤)، و(١٤٤٨٥):ص٣٨٣/١٢.
(٣٠٦٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٨٦):ص٣٨٣/١٢.
(٣٠٦٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٨١)، و(١٤٤٨٢):ص٣٨٢/١٢-٣٨٣.
(٣٠٦٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٨٨):ص٣٨٤/١٢.
(٣٠٦٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٨٣):ص٣٨٣/١٢.
(٣٠٦٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٨٤)، و(١٤٤٨٥):ص٣٨٣/١٢.
(٣٠٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٨٦):ص٣٨٣/١٢.
(٣٠٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٨٢):ص٣٨٣/١٢.
(٣٠٧١) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٨١):ص٣٨٢/١٢.
(٣٠٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٨٣):ص٣٨٣/١٢.

، فيدخلها ، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع - أو : ذراع - فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة ، فيدخل الجنة»[٣٠٧٣][٣٠٧٤].

وفي الصحيحين : "فأما من كان منكم من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل أهل الشقاوة»[٣٠٧٥]"[٣٠٧٦].

الثاني: كما خلقكم ولم تكونوا شيئاً ، كذلك تعودون بعد الفناء أحياء ، قاله الحسن[٣٠٧٧]، وهو مروي عن ومجاهد[٣٠٧٨]، وقتادة[٣٠٧٩] ايضا.

قال الحسن:" كما بدأكم ولم تكونوا شيئا فأحياكم، كذلك يميتكم، ثم يحييكم يوم القيامة"[٣٠٨٠].

قال قتادة:" بدأ خلقهم ولم يكونوا شيئا، ثم ذهبوا، ثم يعيدهم"[٣٠٨١].

قال مجاهد:" يحييكم بعد موتكم"[٣٠٨٢].

والصواب أن المعنى: كما بدأكم الله خلقا بعد أن لم تكونوا شيئا، تعودون بعد فنائكم خلقا مثله، يحشركم إلى يوم القيامة، لأن الله تعالى ذكره: أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلم بما في هذه الآية قوما مشركين أهل جاهلية، لا يؤمنون بالمعاد، ولا يصدقون بالقيامة. فأمره أن يدعوهم إلى الإقرار بأن الله باعثهم يوم القيامة، ومثيب من أطاعه، ومعاقب من عصاه. فقال له: قل لهم: أمر ربي بالقسط، وأن أقيموا وجوهكم عند كل مسجد، وأن ادعوه مخلصين له الدين، وأن أقروا بأن كما بدأكم تعودون فترك ذكر"وأن أقروا بأن". كما ترك ذكر«أن» مع«أقيموا»، إذ كان فيما ذكر دلالة على ما حذف منه.

وإذ كان ذلك كذلك، فلا وجه لأن يؤمر بدعاء من كان جاحدا النشور بعد الممات، إلى الإقرار بالصفة التي عليها ينشر من نشر، وإنما يؤمر بالدعاء إلى ذلك من كان بالبعث مصدقا، فأما من كان له جاحدا، فإنما يدعى إلى الإقرار به، ثم يعرف كيف شرائط البعث، على أن في الخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس عراة غرلا وأول من يكسى إبراهيم صلى الله عليه وسلم. ثم قرأ: {كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين} ، [سورة الأنبياء: ١٠٤]»[٣٠٨٣]... ما يبين صحة القول الذي قلنا في ذلك، من أن معناه: أن الخلق يعودون إلى الله يوم القيامة خلقا أحياء، كما بدأهم في الدنيا خلقا أحياء"[٣٠٨٤].

وفي رواية أخرى عن النبي-صلى الله عليه وسلم-:" ..ويجاء بكم عراة حفاة غرلا فيكون أول من يكسى إبراهيم يقول الله اكسوا خليلى فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة فيلبسهما ثم يقعد مستقبل العرش ثم أكسى على أثره فأقوم عن يمين الله مقاما لا يقومه غيرى يغبطنى فيه الأولون والآخرون ويشق لى نهر من الكوثر إلى حوضى يجرى فى حال من المسك ورضراض نباته قضبان الذهب ثمارها اللؤلؤ والجوهر شرابه أشد بياضا من اللبان وأحلى من العسل من سقاه الله منه شربة لم يظمأ بعدها ومن حرمه لم يرو بعدها"[٣٠٨٥].

(٣٠٧٣)صحيح البخاري برقم (٣٢٠٨).

(٣٠٧٤)تفسير ابن كثير:٤٠٤/٣.

(٣٠٧٥)متفق عليه، أخرجه: البخاري في الصحيح ٣/ ٢٢٥، كتاب الجنائز (٢٣)، باب موعظة المحدِّث عند القبر، وقعود أصحابه حوله (٨٢)، الحديث (١٣٦٢)، وفي ٨/ ٧٠٨ - ٧٠٩، كتاب التفسير (٦٥)، تفسير سورة {وَاللَّيْل إذَا يَغْشَى}، الأحاديث (٤٩٤٥ - ٤٩٤٩). ومسلم في الصحيح ٤/ ٢٠٣٩، كتاب القدر (٤٦)، باب كيفية الخلق الآدمي. . . (١)، الحديث (٦/ ٢٦٤٧)..

(٣٠٧٦) تفسير ابن كثير:٤/٣-٤-٤٠٥.

(٣٠٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٩٤):ص٣٨٥/١٢.

(٣٠٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٩٨):ص٣٨٥/١٢.

(٣٠٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٩٦):ص٣٨٥/١٢.

(٣٠٨٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٩٤):ص٣٨٥/١٢.

(٣٠٨١) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٩٦):ص٣٨٥/١٢.

(٣٠٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٤٩٨):ص٣٨٥/١٢.

(٣٠٨٣) أخرجه الطبري(١٤٥٠٠):ص٣٨٦/١٢.

(٣٠٨٤) تفسير الطبري:٣٨٦/١٢-٣٨٧.

(٣٠٨٥)أخرجه أحمد (٣٩٨/١، رقم ٣٧٨٧) ، وابن جرير فى التفسير (١٤٦/١٥) ، والحاكم (٣٩٦/٢، رقم ٣٣٨٥) وقال: صحيح الإسناد. وأخرجه أيضا: البزار (٣٣٩/٤، رقم ١٥٣٤) ، والطبرانى (٨٠/١٠، رقم ١٠٠١٧) قال الهيثمى (٣٦٢/١٠) : فى أسانيدهم كلهم عثمان بن عمير، وهو ضعيف.

ومن غريب الحديث: "غرلا": جمع أغر وهو البذى لم يحقق. "بريطتين": الريطة هى الملاءة إذا كانت من قطعة واحدة ولم

القرآن

{يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ (٣١)} [الأعراف : ٣١]

التفسير:

يا بني آدم كونوا عند أداء كل صلاة على حالة من الزينة المشروعة من ثياب ساترة لعوراتكم ونظافة وطهارة ونحو ذلك، وكلوا واشربوا من طيبات ما رزقكم الله، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في ذلك. إن الله لا يحب المتجاوزين المسرفين في الطعام والشراب وغير ذلك.

في سبب نزول هذه الآية والتي بعدها، وجوه:

أحدها: قال ابن عباس:" كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة، فتقول: «من يعيرُني تِطْوافًا؟»، تجعله على فرجها، وتقول:

الْيَوْمَ يَبْدُو بَعْضُهُ أَوْ كُلُّهُ ... فَمَا بَدَا مِنْهُ فَلا أُحِلُّهُ

فنزلت هذه الآية: {خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}"[٣٠٨٦].[صحيح]

وفي السياق نفسه أخرج ابن أبي حاتم بسنده عن ابن عباس: قوله: "{ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}الآية، قال: كان رجال يطوفون بالبيت عراة، فأمرهم الله بالزينة والزينة اللباس وهو ما يواري السوأة، وما سوى ذلك من جيد البز والمتاع، فأمروا أن يأخذوا زينتهم عند كل مسجد"[٣٠٨٧].

وفي رواية أخرى عن ابن عباس أيضا:" كانوا يطوفون بالبيت الحرام عراة بالليل، فأمرهم الله أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعروا"[٣٠٨٨].

وفي السياق نفسه قال قتادة:" كان حي من أهل اليمن ، كان أحدهم إذا قدم حاجًّا أو معتمرًا يقول : لا ينبغي أن أطوف في ثوب قد دَنِسْتُ فيه، فيقول : من يعيرني مئزرًا ؟ فإن قدر على ذلك ، وإلا طاف عريانًا ، فأنزل الله فيه ما تسمعون : (خذوا زينتكم عند كل مسجد}"[٣٠٨٩].

وروي عن الزهري : "أن العرب كانت تطوف بالبيت عراة ، إلا الحُمْس ، قريش وأحلافهم. فمن جاء من غيرهم وضع ثيابه وطاف في ثياب أحمس ، فإنه لا يحل له أن يلبس ثيابه. فإن لم يجد من يعيره من الحمس ، فإنه يلقي ثيابه ويطوف عريانًا. وإن طاف في ثياب نفسه ، ألقاها إذا قضى طوافه ، يحرِّمها ، فيجعلها حرامًا عليه. فلذلك قال الله : {خذوا زينتكم عند كل مسجد}"[٣٠٩٠].

وعن ابن زيد في قوله : "{ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ}[٣٠٩١]، قال كانوا إذا جاءوا البيت فطافوا به ، حرمت عليهم ثيابهم التي طافوا فيها. فإن وجدوا مَنْ يُعيرهم ثيابًا ، وإلا طافوا بالبيت عراة. فقال : {من حرم زينة الله} ، قال : ثياب الله التي أخرج لعباده ، الآية"[٣٠٩٢].

والثاني: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: "كانوا إذا حجوا فأفاضوا من منى لا يصلح لأحد منهم في دينهم الذي اشترعوا أن يطوف في ثوبيه، فأيهم طاف ألقاهما حتى يقضي طوافه وكان أتقى، فأنزل الله تعالى فيهم: {يَا

تكن لفقين. "حال": الحال الطين الأسود. "رضراض": هو الحصى الصغار.

(٣٠٨٦)أخرجه مسلم في "صحيحه" (٤/ ٢٣٢٠ رقم ٣٠٢٨)، واستدركه الحاكم (٢/ ٣١٩، ٣٢٠) على الشيخين ووافقه الذهبي، وقد وهما في ذلك؛ فهو في مسلم كما ترى.

وأخرجه الطبري(١٤٥٠٣):ص٣٨٩/١٢، و(١٤٥٠٦):ص٣٩١/١٢، وابن ابي حاتم(٨٣٧٥):ص١٤٦٤/٥، والواحدي في اسباب النزول:٣٢٥، وفي آخرها:" فأمروا بلبس الثياب"، كما أخرج الواحدي في رواية أخرى عن ابن عباس أيضا:" كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية وهي عريانة وعلى فرجها خرقة، وهي تقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله..... وما بدا منه فلا أحله

فنزلت: {خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} وَنَزَلَتْ: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ} الْآيَتَانِ". [أسباب النزول:٢٢٥-٢٢٦].

(٣٠٨٧) تفسير ابن ابي حاتم(٨٣٧٧):ص١٤٦٤/٥، وانظر: الدر المنثور: ٣/ ٤٣٩.

(٣٠٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٣٧٦):ص١٤٦٤/٥. وقال:" وروي عن عطاء بن أبي رباح نحو ذلك".

(٣٠٨٩) أخرجه الطبري(١٤٥٢٢):ص٣٩٣/١٢.

(٣٠٩٠) أخرجه الطبري(١٤٥٢٤):ص٣٩٤/١٢.

(٣٠٩١) [الأعراف:٣٢].

(٣٠٩٢) أخرجه الطبري(١٤٥٢٨):ص٣٩٤/١٢.

بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} إلى قَوْلِهِ تَعَالى: {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ}[٣٠٩٣]، أنزلت في شأن الذين يطوفون بالبيت عراة"[٣٠٩٤].[مرسل]

والثالث: قال الكلبي:"كان أهل الجاهلية لا يأكلون من الطعام إلا قوتا، ولا يأكلون دسما في أيام حجهم، يعظمون بذلك حجهم، فقال المسلمون: يا رسول الله نحن أحق بذلك، فأنزل الله تعالى: {وَكُلُوا}، أي: اللحم والدسم، {وَاشْرَبُوا}"[٣٠٩٥].

قال ابن قتيبة:" كان أهل الجاهلية يطوفون بالبيت عراة بالنهار والنساء منهم بالليل إلا الحمس-وهم قريش ومن دان بدينهم- ولا يأكلون من الطعام إلا اليسير إعظاما لحجهم. فأنزل الله هذه الآية"[٣٠٩٦].

قوله تعالى:{يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف : ٣١]، أي:" يا بني آدم كونوا عند أداء كل صلاة على حالة من الزينة المشروعة من ثياب ساترة لعوراتكم ونظافة وطهارة ونحو ذلك"[٣٠٩٧].

وفي قوله تعالى:{يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} [الأعراف : ٣١]، وجهان:

أحدهما : أن ذلك وارد في ستر العورة في الطواف على ما تقدم ذكره ، قاله الحسن[٣٠٩٨]، ومجاهد[٣٠٩٩]، والضحاك[٣١٠٠]، وعطاء[٣١٠١]، وقتادة[٣١٠٢]، وسعيد بن جبير[٣١٠٣]، وإبراهيم[٣١٠٤]، والزهري[٣١٠٥]، وطاووس[٣١٠٦].

الثاني : أنه وارد في ستر العورة في الصلاة ، قاله مجاهد أيضا[٣١٠٧].

وقال السدي:" ما يواري العورة عند كل مسجد"[٣١٠٨].

قوله تعالى:{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا} [الأعراف : ٣١]، أي:" وكلوا واشربوا من طيبات ما رزقكم الله، ولا تتجاوزوا حدود الاعتدال في ذلك"[٣١٠٩].

قال مجاهد:" أمرهم أن يأكلوا ويشربوا مما رزقهم الله[٣١١٠].

قال السدي:" كان الذين يطوفون بالبيت عراة يحرمون عليهم الودك ما أقاموا بالموسم، فقال الله لهم: {كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين}، يقول: لا تسرفوا في التحريم"[٣١١١].

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: «كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا، في غير إسراف ولا مخيلة»[٣١١٢].

و«الإسراف»: أن يأكل ما لا يحل أكله مما حرم الله تعالى أن يؤكل شيء منه، أو تأكل مما أحل لك فوق القصد ومقدار الحاجة، فأعلم الله عز وجل أنه لا يحب من أسرف، ومن لم يحببه الله عز وجل فهو في النار"[٣١١٣].

(٣٠٩٣) [الأعراف:٣٢].

(٣٠٩٤) أخرجه الواحدي في اسباب النزول:٢٢٦، و إسناده لا بأس به، وهو مرسل.

(٣٠٩٥) أسباب النزول:٢٢٦.

(٣٠٩٦) غريب القرآن:١٦٧.

(٣٠٩٧) التفسير الميسر:١٥٤.

(٣٠٩٨) انظر: النكت والعيون:٢١٧/٢.

(٣٠٩٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٥١٦):ص٣٩٢/١٢.

(٣١٠٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٢٦):ص٣٩٣/١٢-٢٩٤.

(٣١٠١) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٠٩)-(١٤٥١١):ص٣٩١/١٢.

(٣١٠٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٢٢):ص٣٩٣/١٢.

(٣١٠٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٥١٨)، و(١٤٥٢١):ص٣٩٢/١٢، ٣٩٣.

(٣١٠٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٥١٢)، و(١٤٥١٣):ص٣٩١/١٢.

(٣١٠٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٢٤):ص٣٩٣/١٢.

(٣١٠٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٥١٩)، و(١٤٥٢٠):ص٣٩٢/١٢.

(٣١٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٥١٤)، و(١٤٥١٥):ص٣٩٢/١٢.

(٣١٠٨) أخرجه الطبري(١٤٥٢٣):ص٣٩٣/١٢.

(٣١٠٩) التفسير الميسر:١٥٤.

(٣١١٠) أخرجه الطبري(١٤٥٣٣):ص٣٩٥/١٢.

(٣١١١) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٣١):ص٣٩٤/١٢-٣٩٥.

(٣١١٢) صحيح البخاري:١٤٠/٧. "مخيلة": من الخيلاء وهو التكبر. "إسراف": هو تجاوز الحد في كل فعل أو قول واستعماله في الإنفاق أشهر من غيره وهو فيه الإنفاق زائدا عما ينبغي ويليق.

القرآن

{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (٣٢)} [الأعراف : ٣٢]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء الجهلة من المشركين: مَن الذي حرم عليكم اللباس الحسن الذي جعله الله تعالى زينة لكم؟ ومَن الذي حرَّم عليكم التمتع بالحلال الطيب من رزق الله تعالى؟ قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنَّ ما أحله الله من الملابس والطيبات من المطاعم والمشارب حق للذين آمنوا في الحياة الدنيا يشاركهم فيها غيرهم، خالصة لهم يوم القيامة. مثل ذلك التفصيل يفصِّل الله الآيات لقوم يعلمون ما يبيِّن لهم، ويفقهون ما يميز لهم.

قوله تعالى:{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف : ٣٢]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء الجهلة من المشركين: مَن الذي حرم عليكم اللباس الحسن الذي جعله الله تعالى زينة لكم؟ ومَن الذي حرَّم عليكم التمتع بالحلال الطيب من رزق الله تعالى؟"[٣١١٤].

وفي قوله تعالى: {وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ} [الأعراف : ٣٢]، قولان:

أحدهما : أنها البحَيْرَةُ والسائبة التي حرموها على أنفسهم ، قاله الحسن[٣١١٥]، وقتادة[٣١١٦].

قال قتادة:" هو ما حرم أهل الجاهلية عليهم من أموالهم: البحيرة، والسائبة، والوصيلة، والحام"[٣١١٧].

الثاني :أنهم كانوا يحرمون في الإحرام أكل اللحم والسمن واللبن ، قاله السدي[٣١١٨].

قال السدي:" هو الودك"[٣١١٩].

وقال الحسن:" لما بعث محمدا فقال: هذا نبيي، هذا خياري، استنوا به"، خذوا في سننه وسبيله، لم تغلق دونه الأبواب، ولم تقم دونه الحجبة، ولم يغد عليه بالجفان، ولم يرجع عليه بها، وكان يجلس بالأرض، ويأكل طعامه بالأرض، ويلعق يده، ويلبس الغليظ، ويركب الحمار، ويردف بعده، وكان يقول:"من رغب عن سنتي فليس مني". قال الحسن: فما أكثر الراغبين عن سنته، التاركين لها! ثم إن علوجا فساقا، أكلة الربا والغلول، قد سفههم ربي ومقتهم، زعموا أن لا بأس عليهم فيما أكلوا وشربوا، وزخرفوا هذه البيوت، يتأولون هذه الآية: {قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق} ، وإنما جعل ذلك لأولياء الشيطان، قد جعلها ملاعب لبطنه وفرجه"[٣١٢٠].

قوله تعالى:{قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ} [الأعراف : ٣٢]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنَّ ما أحله الله من الملابس والطيبات من المطاعم والمشارب حق للذين آمنوا في الحياة الدنيا يشاركهم فيها غيرهم، خالصة لهم يوم القيامة"[٣١٢١].

قال الحسن:" هي للمؤمنين خالصة في الآخرة لا يشاركهم فيها الكفار، فأما في الدنيا فقد شاركوهم"[٣١٢٢].

قال عكرمة:" الزينة تخلص يوم القيامة لمن آمن اليوم في الدنيا"[٣١٢٣].

عن الضحاك، في قوله:"{قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة}، قال: اليهود والنصارى يشاركونهم في هذه الدنيا، وهي للذين آمنوا خالصة يوم القيامة"[٣١٢٤].

(٣١١٣) معاني القرآن:٣٣٣/٢.
(٣١١٤) التفسير الميسر:١٥٤.
(٣١١٥) انظر: النكت والعيون:٢١٩/٢.
(٣١١٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٣٨):ص٣٩٨/١٢.
(٣١١٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٣٨):ص٣٩٨/١٢.
(٣١١٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٣٤):ص٣٩٦/١٢.
(٣١١٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٣٤):ص٣٩٦/١٢.
(٣١٢٠) أخرجه الطبري(١٤٥٣٧):ص٣٩٦/١٢-٣٩٧.
(٣١٢١) التفسير الميسر:١٥٤.
(٣١٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠٣):ص١٤٦٨/٥.
(٣١٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠٥):ص١٤٦٩/٥.
(٣١٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠١):ص١٤٦٨/٥.

قال قتادة:" من عجل الإيمان في الدنيا خلصت له كرامة الله يوم القيامة، ومن ترك الإيمان في الدنيا نزع الله منه كرامة الآخرة ثم لقي الله لا عذر له"[٣١٢٥].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [الأعراف : ٣٢]، أي:" مثل ذلك التفصيل يفصِّل الله الآيات لقوم يعلمون ما يبيِّن لهم، ويفقهون ما يميز لهم"[٣١٢٦].

عن قتادة: "قوله:{كذلك نفصل الآيات}، نبين الآيات"[٣١٢٧].

قال سعيد بن جبير:" كذلك يعني: هكذا"[٣١٢٨].

القرآن

{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٣٣)} [الأعراف : ٣٣]

التفسير:

قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنما حَرَّم الله القبائح من الأعمال، ما كان منها ظاهرًا، وما كان خفيًّا، وحَرَّم المعاصي كلها، ومِن أعظمها الاعتداء على الناس، فإن ذلك مجانب للحق، وحرَّم أن تعبدوا مع الله تعالى غيره مما لم يُنَزِّل به دليلا وبرهانًا، فإنه لا حجة لفاعل ذلك، وحرَّم أن تنسبوا إلى الله تعالى ما لم يشرعه افتراءً وكذبًا، كدعوى أن لله ولدًا، وتحريم بعض الحلال من الملابس والمآكل.

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الأعراف : ٣٣]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين: إنما حَرَّم الله القبائح من الأعمال، ما كان منها ظاهرًا، وما كان خفيًّا"[٣١٢٩].

وفي قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} [الأعراف : ٣٣]، وجوه[٣١٣٠]:

أحدها : أن ذلك عام في جميع الفواحش سرها وعلانيتها ، قاله قتادة[٣١٣١].

الثاني : أن الفواحش : الزنى خاصة، {ما ظهر منها} : ذوات الحوانيت ، {وما بطن}: ذوات الاستسرار ، قاله الحسن[٣١٣٢]، والضحاك[٣١٣٣]، والسدي[٣١٣٤].

الثالث: أن الفواحش : الزنى خاصة، {ما ظهر}، جمعٌ بين الأختين ، وتزويج الرجل امرأة أبيه من بعده، {وما بطن}، الزنى. قاله مجاهد[٣١٣٥].

وروي عن علي بن حسين: قال:"{ما بطن}: نكاح امرأة الأب"[٣١٣٦].

الرابع: {ما ظهر منها}،: نكاح الأمهات والبنات. قاله سعيد بن جبير [٣١٣٧].

الخامس : أن {ما ظهر منها} :الخمر ، {وما بطن}: الزنى ، وهو مروي الضحاك-أيضا[٣١٣٨].

السادس: {ما ظهر منها}: الظلم، يعني: ظلم الناس، {وما بطن} من الفواحش: الزنا والسرقة. وهذا قول عكرمة[٣١٣٩].

السابع: {ما ظهر منها}: العري، وكانوا يطوفون بالبيت عراة، {وما بطن}، الزنى . وهذا قول مجاهد[٣١٤٠]، والزهري[٣١٤١].

(٣١٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠٢):ص١٤٦٨/٥.
(٣١٢٦) التفسير الميسر:١٥٤.
(٣١٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠٧):ص١٤٦٩/٥.
(٣١٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠٦):ص١٤٦٩/٥.
(٣١٢٩) التفسير الميسر:١٥٤.
(٣١٣٠) انظر: النكت والعيون:٢٢٠/٢.
(٣١٣١) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٣):ص٢١٩/١٢.
(٣١٣٢) انظر: النكت والعيون:١٨٦/٢.
(٣١٣٣) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤١):ص٢١٩/١٢.
(٣١٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٠):ص٢١٨/١٢-٢١٩.
(٣١٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٥):ص٢٢٠/١٢.
(٣١٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٧٣):ص١٤١٧/٥.
(٣١٣٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤١٦/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٣١٣٨) انظر: تفسير الطبري(١٤١٤٦):ص٢٢٠/١٢.
(٣١٣٩) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٦٩):ص١٤١٦/٥، و(٨٠٧٤):ص١٤١٧/٥.

قوله تعالى:{ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف : ٣٣]، أي:" وحَرَّم المعاصي كلها، والاعتداء على الناس"[٣١٤٢].

قال السدي:" أما {الإثم}: فالمعصية ، و{البغي}: أن يبغي على الناس بغير الحق"[٣١٤٣].

قال مجاهد:" نهى عن{الإثم}، وهي المعاصي كلها، وأخبر أن الباغي بغيه كائن على نفسه"[٣١٤٤].

القرآن

{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٣٤)} [الأعراف : ٣٤]

التفسير:

ولكل جماعة اجتمعت على الكفر بالله تعالى وتكذيب رسله -عليهم الصلاة والسلام- وقت لحلول العقوبة بهم، فإذا جاء الوقت الذي وقَّته الله لإهلاكهم لا يتأخرون عنه لحظة، ولا يتقدمون عليه.

قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف : ٣٤]، أي:" فإذا جاء الوقت الذي وقَّته الله لإهلاكهم لا يتأخرون عنه لحظة، ولا يتقدمون عليه"[٣١٤٥].

عن سعيد بن أبي عروبة قال: "كان الحسن يقول: ما أحمق هؤلاء القوم! يقولون: اللهم أطل عمره، والله يقول: {فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون}"[٣١٤٦].

وقرئ: «فإذا جاء آجالهم»[٣١٤٧].

القرآن

{يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٣٥)} [الأعراف : ٣٥]

التفسير:

يا بني آدم إذا جاءكم رسلي من أقوامكم، يتلون عليكم آيات كتابي، ويبينون لكم البراهين على صدق ما جاؤوكم به فأطيعوهم، فإنه من اتقى سخطي وأصلح عمله فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله تعالى، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا.

قوله تعالى:{فَمَنِ اتَّقَى وَأَصْلَحَ} [الأعراف : ٣٥]، أي:" فمن اتقى منكم ربه بفعل الطاعات وترك المحرمات وأصلح عمله"[٣١٤٨].

عن سعيد بن جبير، في قول الله: "{وأصلح}، يعني: العمل"[٣١٤٩].

قوله تعالى:{فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [الأعراف : ٣٥]، أي:" فلا خوف عليهم يوم القيامة من عقاب الله تعالى، ولا هم يحزنون على ما فاتهم من حظوظ الدنيا"[٣١٥٠].

عن سعيد بن جبير:"{فلا خوف عليهم}، يعني: في الآخرة"[٣١٥١]، "{ولا هم يحزنون}، يعني: لا يحزنون للموت"[٣١٥٢].

(٣١٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٥١):ص٤٠٢/١٢-٤٠٣.

(٣١٤١) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٠٧٠):ص١٤١٦/٥، و(٨٠٧٢):ص١٤١٧/٥.

(٣١٤٢) التفسير الميسر:١٥٤.[بتصر بسيط]

(٣١٤٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٥٢):ص٤٠٣/١٢.

(٣١٤٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٥٣):ص٤٠٣/١٢.

(٣١٤٥) التفسير الميسر:١٥٤.

(٣١٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٢٥):ص١٤٧١/٥.

(٣١٤٧) انظر: الكشاف:١٠١/٢.

(٣١٤٨) انظر: التفسير الميسر:١٥٤، وصفوة التفاسير:٤١٢/١.

(٣١٤٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٢٩):ص١٤٧٢/٥.

(٣١٥٠) التفسير الميسر:١٥٤.

(٣١٥١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٣٠):ص١٤٧٢/٥. قال ابن ابي حاتم:" وروي عن مقاتل بن حيان نحو ذلك". انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٤٧٢/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٣١٥٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٣١):ص١٤٧٢/٥.

القرآن

{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٣٦)} [الأعراف : ٣٦]

التفسير:

والكفار الذين كذَّبوا بالدلائل على توحيد الله، واستعلَوا عن اتباعها، أولئك أصحاب النار ماكثين فيها، لا يخرجون منها أبدًا.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الأعراف : ٣٦]، أي:" أولئك أصحاب النار ماكثين فيها"(٣١٥٣).

قال أبو مالك:" فهم أصحاب النار يعذبون فيها"(٣١٥٤).

قوله تعالى:{هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الأعراف : ٣٦]، أي:" لا يخرجون منها أبدًا"(٣١٥٥).

قال سعيد بن جبير:" يعني: لا يموتون"(٣١٥٦).

وروي عن أنس مرفوعا، أنه قال: "المخلدون في النار في توابيت من حديد مطبقة"(٣١٥٧).

القرآن

{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (٣٧)} [الأعراف : ٣٧]

التفسير:

لا أحد أشد ظلمًا ممن اختلق على الله تعالى الكذب، أو كذَّب بآياته المنزلة، أولئك يصل إليهم حظُّهم من العذاب مما كتب لهم في اللوح المحفوظ، حتى إذا جاءهم ملك الموت وأعوانه يقبضون أرواحهم قالوا لهم: أين الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من الشركاء والأولياء والأوثان ليخلِّصوكم مما أنتم فيه؟ قالوا: ذهبوا عنا، واعترفوا على أنفسهم حينئذ أنهم كانوا في الدنيا جاحدين مكذبين وحدانية الله تعالى.

سبب النزول:

عن عكرمة قال: "قال النضر وهو من بني عبد الدار: إذا كان يوم القيامة شفعت لي اللات، فأنزل الله تعالى: {فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ}"(٣١٥٨).

قوله تعالى:{فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ} [الأعراف : ٣٧]، أي:" لا أحد أشد ظلمًا ممن اختلق على الله تعالى الكذب، أو كذَّب بآياته المنزلة، أولئك يصل إليهم حظُّهم من العذاب مما كتب لهم في اللوح المحفوظ "(٣١٥٩).

واختلف في قوله تعالى:{أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ} [الأعراف : ٣٧]، على وجوه:

أحدها : هو عذاب الله الذي أعده لمن أشرك ، قاله الحسن(٣١٦٠)، والسدي(٣١٦١)، وأبو صالح(٣١٦٢).

الثاني : ما سبق لهم من الشقاء والسعادة ، قاله مجاهد(٣١٦٣)، وسعيد(٣١٦٤)، وعطية(٣١٦٥).

الثالث : نصيب من كتابهم الذي كتبنا لهم أو عليهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا من خير أو شر ، قاله الضحاك(٣١٦٦)، وقتادة(٣١٦٧)، وهو مروي عن مجاهد(٣١٦٨) أيضا.

(٣١٥٣) التفسير الميسر:١٥٤.

(٣١٥٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٣٣):ص١٤٧٣/٥.

(٣١٥٥) التفسير الميسر:١٥٤.

(٣١٥٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٣٥):ص١٤٧٣/٥.

(٣١٥٧)أخرجه ابن أبي حاتم (٤٣٢): ص ١/ ٩٤.

(٣١٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٣٦):ص١٤٧٣/٥.

(٣١٥٩) التفسير الميسر:١٥٤.

(٣١٦٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٥٨):ص٤٠٩/١٢.

(٣١٦١) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٥٧):ص٤٠٩/١٢.

(٣١٦٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٥٥):ص٤٠٨/١٢.

(٣١٦٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٦٣)-(١٤٥٦٧):ص٤٠٩/١٢-٤١٠.

(٣١٦٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٦١):ص٤٠٩/١٢.

(٣١٦٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٦٨):ص٤١٠/١٢.

الرابع : نصيبهم مما كتب لهم من العمر والرزق والعمل ، قاله الربيع بن أنس[٣١٦٩]، والقرظي[٣١٧٠].
الخامس : نصيبهم مما وعدوا في الكتاب من خير أو شر ، وهو مروي عن مجاهد[٣١٧١]، والضحاك[٣١٧٢] أيضا.

وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب، مما كتب لهم من خير وشر في الدنيا، ورزق وعمل وأجل. وذلك أن الله جل ثناؤه أتبع ذلك قوله: {حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله}، فأبان بإتباعه ذلك قوله: {أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب}، أن الذي ينالهم من ذلك إنما هو ما كان مقضيا عليهم في الدنيا أن ينالهم، لأنه قد أخبر أن ذلك ينالهم إلى وقت مجيئهم رسله لتقبض أرواحهم. ولو كان ذلك نصيبهم من الكتاب، أو مما قد أعد لهم في الآخرة، لم يكن محدودا بأنه ينالهم إلى مجيء رسل الله لوفاتهم، لأن رسل الله لا تجيئهم للوفاة في الآخرة، وأن عذابهم في الآخرة لا آخر له ولا انقضاء، فإن الله قد قضى عليهم بالخلود فيه. فبين بذلك أن معناه ما اخترنا من القول فيه"[٣١٧٣].

القرآن

{قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (٣٨)} [الأعراف : ٣٨]

التفسير:

قال الله تعالى -لهؤلاء المشركين المفترين-: ادخلوا النار في جملة جماعات من أمثالكم في الكفر، قد سلفت من قبلكم من الجن والإنس، كلما دخلت النارَ جماعةٌ من أهل ملة لعنت نظيرتها التي ضلَّتْ بالاقتداء بها، حتى إذا تلاحق في النار الأولون من أهل الملل الكافرة والآخرون منهم جميعًا، قال الآخرون المتبعون في الدنيا لقادتهم: ربنا هؤلاء هم الذين أضلونا عن الحق، فآتهم عذابًا مضاعفا من النار، قال الله تعالى: لكل ضعف، أي: لكل منكم ومنهم عذاب مضاعف من النار، ولكن لا تدركون أيها الأتباع ما لكل فريق منكم من العذاب والآلام.

قوله تعالى:{كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا} [الأعراف : ٣٨]، أي:" كلما دخلت النارَ جماعةٌ من أهل ملة لعنت نظيرتها التي ضلَّتْ بالاقتداء بها"[٣١٧٤].

قال السدي:" يقول: كلما دخل أهل ملة لعنوا أصحابهم على ذلك الدين، يلعن المشركون المشركين، واليهود اليهود، والنصارى النصارى، والصابئون الصابئين، والمجوس المجوس، تلعن الآخرة الأولى"[٣١٧٥].

قوله تعالى:{قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا} [الأعراف : ٣٨]، أي:" قال الآخرون المتبعون في الدنيا لقادتهم: ربنا هؤلاء هم الذين أضلونا عن الحق"[٣١٧٦].

عن السدي:{قالت أخراهم}، الذين كانوا في آخر الزمان ، {لأولاهم}، الذين شرعوا لهم ذلك الدين {ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار}"[٣١٧٧].

قوله تعالى:{قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ} [الأعراف : ٣٨]، أي:" قال الله تعالى: لكل ضعف، أي: لكل منكم ومنهم عذاب مضاعف من النار"[٣١٧٨].

(٣١٦٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٧٨):ص٤١٠/١٢-٤١١.
(٣١٦٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٧٥)-(١٤٥٧٧):ص٤١١/١٢.
(٣١٦٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٧٤):ص٤١١/١٢.
(٣١٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٨٩):ص٤١٣/١٢.
(٣١٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٩٠):ص٤١٣/١٢.
(٣١٧١) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٨٠)-(١٤٥٨٢):ص٤١٢/١٢.
(٣١٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٥٨٤):ص٤١٢/١٢.
(٣١٧٣) تفسير الطبري:٤١٤/١٢.
(٣١٧٤) التفسير الميسر:١٥٥.
(٣١٧٥) أخرجه الطبري(١٤٥٩٢):ص٤١٦/١٢.
(٣١٧٦) التفسير الميسر:١٥٥.
(٣١٧٧) أخرجه الطبري(١٤٥٩٣):ص٤١٧/١٢.

عن السدي: قال الله: "{لكل ضعف}، للأولى، وللآخرة ضعف"[٣١٧٩].
عن مجاهد: "{عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف}، مضعف"[٣١٨٠].

القرآن
{وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ (٣٩)} [الأعراف : ٣٩]
التفسير:
وقال المتبوعون من الرؤساء وغيرهم لأتباعهم: نحن وأنتم متساوون في الغيِّ والضلال، وفي فِعْل أسباب العذاب فلا فَضْلَ لكم علينا، قال الله تعالى لهم جميعًا: فذوقوا العذاب أي عذاب جهنم; بسبب ما كسبتم من المعاصي.
قوله تعالى:{وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ} [الأعراف : ٣٩]، أي:" وقال المتبوعون من الرؤساء وغيرهم لأتباعهم: نحن وأنتم متساوون في الغيِّ والضلال، وفي فِعْل أسباب العذاب فلا فَضْلَ لكم علينا"[٣١٨١].
قال ابن مجلز:" يقول: فما فضلكم علينا وقد تبين لكم ما صنع بنا وحذرتم"[٣١٨٢].
عن مجاهد قوله: "{فما كان لكم علينا من فضل}، تخفيف العذاب"[٣١٨٣].
عن السدي: قوله: "{وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل}، وقد ضللتم كما ضللنا"[٣١٨٤].

القرآن
{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠)} [الأعراف : ٤٠]
التفسير:
إن الكفار الذين لم يصدِّقوا بحججنا وآياتنا الدالة على وحدانيتنا، ولم يعملوا بشرعنا تكبرًا واستعلاءً، لا تُفتَّح لأعمالهم في الحياة ولا لأرواحهم عند الممات أبواب السماء، ولا يمكن أن يدخل هؤلاء الكفار الجنة إلا إذا دخل الجمل في ثقب الإبرة، وهذا مستحيل. ومثل ذلك الجزاء نجزي الذين كثر إجرامهم، واشتدَّ طغيانهم.
قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ} [الأعراف : ٤٠]، أي:" إن الكفار الذين لم يصدِّقوا بحججنا وآياتنا الدالة على وحدانيتنا، ولم يعملوا بشرعنا تكبرًا واستعلاءً لا تُفتَّح لأعمالهم في الحياة ولا لأرواحهم عند الممات أبواب السماء"[٣١٨٥].
وفي قوله تعالى:{لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ} [الأعراف : ٤٠]، وجوه:
أحدها : أي لا تفتح لأرواحهم، لأنها تفتح لروح الكافر وتفتح لروح المؤمن ، قاله السدي[٣١٨٦].
قال السدي:" إن الكافر إذا أخذ روحه، ضربته ملائكة الأرض حتى يرتفع إلى السماء، فإذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء فهبط، فضربته ملائكة الأرض فارتفع، فإذا بلغ السماء الدنيا ضربته ملائكة السماء الدنيا فهبط إلى أسفل الأرضين. وإذا كان مؤمنا نفخ روحه، وفتحت له أبواب السماء، فلا يمر

(٣١٧٨) التفسير الميسر:١٥٥.
(٣١٧٩) أخرجه الطبري(١٤٥٩٦):ص٤١٨/١٢.
(٣١٨٠) أخرجه الطبري(١٤٥٩٤):ص٤١٨/١٢.
(٣١٨١) التفسير الميسر:١٥٥.
(٣١٨٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٥٨):ص١٤٧٦/٥.
(٣١٨٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٥٦):ص١٤٧٦/٥.
(٣١٨٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٥٧):ص١٤٧٦/٥.
(٣١٨٥) التفسير الميسر:١٥٥.
(٣١٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٠٥):ص٤٢٢/١٢.

بملك إلا حياه وسلم عليه، حتى ينتهي إلى الله، فيعطيه حاجته، ثم يقول الله: ردوا روح عبدي فيه إلى الأرض، فإني قضيت من التراب خلقه، وإلى التراب يعود، ومنه يخرج"[٣١٨٧].

الثاني : لا تفتح لأعمالهم ولا لدعائهم، قاله مجاهد[٣١٨٨]، وسعيد بن جبير[٣١٨٩]، وإبراهيم[٣١٩٠].

وقال الحسن:" لا تفتح لدعائهم" [٣١٩١].

الثالث: لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم ولا لأعمالهم. قاله ابن جريج[٣١٩٢].

والصواب -والله أعلم- أن المعنى: لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا خرجت من أجسادهم، ولا يصعد لهم في حياتهم إلى الله قول ولا عمل، وذلك لعموم خبر الله جل ثناؤه أن أبواب السماء لا تفتح لهم. ولم يخصص الخبر بأنه يفتح لهم في شيء، فذلك على ما عمه خبر الله تعالى بأنها لا تفتح لهم في شيء، مع تأييد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قلنا في ذلك، إذ روي عن البراء: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح الفاجر، وأنه يصعد بها إلى السماء، قال: فيصعدون بها، فلا يمرون على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا:"ما هذا الروح الخبيث"؟ فيقولون:"فلان"، بأقبح أسمائه التي كان يدعى بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيستفتحون له فلا يفتح له. ثم قرأ رسول الله: {لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط}»[٣١٩٣].

وعن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا:"اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان"، قال: فيقولون ذلك حتى يعرج بها إلى السماء، فيستفتح لها، فيقال:"من هذا"؟ فيقولون:"فلان". فيقال: مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، ادخلي حميدة، وأبشري بروح وريحان، ورب غير غضبان"، فيقال لها حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الله. وإذا كان الرجل السوء قال:"اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق، وآخر من شكله أزواج"، فيقولون ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها، فيقال:"من هذا"؟ فيقولون:"فلان". فيقولون:"لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة، فإنه لم تفتح لك أبواب السماء"، فترسل بين السماء والأرض، فتصير إلى القبر»[٣١٩٤].

قوله تعالى:{وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ} [الأعراف : ٤٠]، أي:" ، ولا يمكن أن يدخل هؤلاء الكفار الجنة إلا إذا دخل الجمل في ثقب الإبرة" [٣١٩٥].

عن مجاهد: "{في سم الخياط}، قال: في ثقبه"[٣١٩٦].

قال السدي:" جحر الإبرة"[٣١٩٧].

قل عكرمة والحسن:" ثقب الإبرة"[٣١٩٨].

وفي {الْجَمَل}[الأعراف : ٤٠]، قراءتان[٣١٩٩]:

إحداهما : وعليها الجمهور ، «الجَمَل» -بفتح الجيم وتخفيف الميم- وهو ذو القوائم الأربع.

عن أبي العالية: "{حتى يلج الجمل}، قال: الجمل الذي له أربع قوائم"[٣٢٠٠]. وروي عن الضحاك مثله[٣٢٠١].

(٣١٨٧) أخرجه الطبري(١٣٦٠٥):ص٤٢٢/١٢.

(٣١٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٣٦٠٩)، و(١٤٦٠٨):ص٤٢٣/١٢.

(٣١٨٩) انظر: تفسير الطبري(١٣٦١٢):ص٤٢٣/١٢.

(٣١٩٠) انظر: تفسير الطبري(١٣٦١٠):ص٤٢٢/١٢.

(٣١٩١) انظر: النكت والعيون:٢٢٢/٢.

(٣١٩٢) انظر: تفسير الطبري(١٣٦١٣):ص٤٢٣/١٢.

(٣١٩٣) أخرجه الطبري(١٤٦١٤):ص٤٢٤/١٢.

(٣١٩٤) أخرجه الطبري(١٤٦١٥):ص٤٢٤/١٢-٤٢٥.

(٣١٩٥) التفسير الميسر:١٥٥.

(٣١٩٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٥٤):ص٤٣٥/١٢.

(٣١٩٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٥٢):ص٤٣٥/١٢.

(٣١٩٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٥٠)، (١٤٦٥١):ص٤٣٤/١٢-٤٣٥.

(٣١٩٩) انظر: النكت والعيون:٢٢٣/٢.

(٣٢٠٠) أخرجه الطبري(١٤٦٢٧):ص٤٢٩/١٢.

عن الحسن: "{حتى يلج الجمل في سم الخياط}، قال: حتى يدخل البعير في خرت الإبرة"[٣٢٠٢].
ووفي رواية أخرى عن الحسن قال: "هو الجمل! فلما أكثروا عليه قال: هو الأشتر"[٣٢٠٣].
و«الأشتر»: هو الجمل، بالفارسية والكردية.
والثانية: «الجُمَّل» -بضم الجيم وتشديد الميم- وهو: القلس الغليظ[٣٢٠٤]، وهذه قراءة سعيد بن جبير[٣٢٠٥]، وعكرمة[٣٢٠٦]، وإحدى قراءتي ابن عباس[٣٢٠٧]، وكان مجتهد يتأول أنه «حبل السفينة»[٣٢٠٨].
عن مجاهد في قوله:"{حتى يلج الجمل في سم الخياط}، قال: حبل السفينة في سم الخياط"[٣٢٠٩].
وروي أن عكرمة كان يقرأ: "«الجمل» مثقلة، ويقول: هو الحبل الذي يصعد به إلى النخل"[٣٢١٠].

القرآن

{لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ (٤١)} [الأعراف : ٤١]

التفسير:

هؤلاء الكفار مخلدون في النار، لهم مِن جهنم فراش مِن تحتهم، ومن فوقهم أغطية تغشاهم. وبمثل هذا العقاب الشديد يعاقب الله تعالى الظالمين الذين تجاوزوا حدوده فكفروا به وعصَوْه.

قوله تعالى:{لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ} [الأعراف : ٤١]، أي:" هؤلاء الكفار مخلدون في النار، لهم مِن جهنم فراش مِن تحتهم"[٣٢١١].
عن محمد بن كعب: "{لهم من جهنم مهاد}، قال: الفراش"[٣٢١٢].
قال الضحاك:"«المهاد»، الفرش"[٣٢١٣].
قال السدي:" «المهاد»: كهيئة الفراش"[٣٢١٤].
قوله تعالى:{وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} [الأعراف : ٤١]، أي:" ومن فوقهم أغطية تغشاهم"[٣٢١٥].
عن محمد بن كعب: " {ومن فوقهم غواش}، قال: اللحف"[٣٢١٦].
قال الضحاك:"«الغواشي»، اللحف"[٣٢١٧].
قال السدي:" «الغواشي»، تتغشاهم من فوقهم"[٣٢١٨].
وفي قوله تعالى:{وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ} [الأعراف : ٤١]، قولان:
أحدها : أنها اللحف. قاله الضحاك[٣٢١٩]، ومحمد بن كعب[٣٢٢٠].
الثاني : الظلل ، قاله الحسن [٣٢٢١].

(٣٢٠١) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٢٩):ص٤٣٠/١٢.
(٣٢٠٢) أخرجه الطبري(١٤٦٢٣):ص٤٢٩/١٢.
(٣٢٠٣) أخرجه الطبري(١٤٦٢٤):ص٤٢٩/١٢.
(٣٢٠٤)القلس: -بفتح فسكون- : هو حبل ضخم غليظ من ليف أو خوص، وهو من حبال السفن.
(٣٢٠٥) انظر: تفسير الطبري:٤٢٨/١٢، والكشاف:١٠٣/٢..
(٣٢٠٦) انظر: تفسير الطبري:٤٢٨/١٢، والكشاف:١٠٣/٢..
(٣٢٠٧) انظر:تفسير الطبري(١٤٦٣٧):ص٤٣١/١٢، و الكشاف:١٠٣/٢..
(٣٢٠٨) أخرجه الطبري(١٤٦٤٦):ص٤٣٣/١٢.
(٣٢٠٩) أخرجه الطبري(١٤٦٤٦):ص٤٣٣/١٢.
(٣٢١٠) أخرجه الطبري(١٤٦٤٤):ص٤٣٢/١٢.
(٣٢١١) التفسير الميسر:١٥٥.
(٣٢١٢) أخرجه الطبري(١٤٦٥٥):ص٤٣٦/١٢.
(٣٢١٣) أخرجه الطبري(١٤٦٥٦):ص٤٣٦/١٢.
(٣٢١٤) أخرجه الطبري(١٤٦٥٧):ص٤٣٦/١٢.
(٣٢١٥) التفسير الميسر:١٥٥.
(٣٢١٦) أخرجه الطبري(١٤٦٥٥):ص٤٣٦/١٢.
(٣٢١٧) أخرجه الطبري(١٤٦٥٦):ص٤٣٦/١٢.
(٣٢١٨) أخرجه الطبري(١٤٦٥٧):ص٤٣٦/١٢.
(٣٢١٩) أخرجه الطبري(١٤٦٥٦):ص٤٣٦/١٢.
(٣٢٢٠) أخرجه الطبري(١٤٦٥٥):ص٤٣٦/١٢.
(٣٢٢١) انظر: النكت والعيون:٢٢٣/٢.

القرآن

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢)}
[الأعراف : ٤٢]

التفسير:

والذين آمنوا بالله وعملوا الأعمال الصالحة في حدود طاقاتهم -لا يكلف الله نفسًا من الأعمال إلا ما تطيق- أولئك أهل الجنة، هم فيها ماكثون أبدًا لا يخرجون منها.

قوله تعالى:{لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا} [الأعراف : ٤٢]، أي:" لا يكلف الله نفسًا من الأعمال إلا ما تطيق" (٣٢٢٢).

عن سعيد بن جبير، في قول الله: "{إلا وسعها}، يعني: إلا طاقتها"(٣٢٢٣).

عن عامر الشعبي: "{لا نكلف نفسا إلا وسعها}، إلا ما عملت لها"(٣٢٢٤).

القرآن

{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣)}
[الأعراف : ٤٣]

التفسير:

وأذهب الله تعالى ما في صدور أهل الجنة من حقد وضغائن، ومن كمال نعيمهم أن الأنهار تجري في الجنة من تحت غرفهم ومنازلهم. وقال أهل الجنة حينما دخلوها: الحمد لله الذي وفَّقنا للعمل الصالح الذي أكسبنا ما نحن فيه من النعيم، وما كنا لنوفَّق إلى سلوك الطريق المستقيم لولا أنْ هدانا الله سبحانه لسلوك هذا الطريق، ووفَّقنا للثبات عليه، لقد جاءت رسل ربنا بالحق من الإخبار بوعد أهل طاعته ووعيد أهل معصيته، ونُودوا تهنئة لهم وإكرامًا: أن تلكم الجنة أورثكم الله إياها برحمته، وبما قدَّمتموه من الإيمان والعمل الصالح.

قوله تعالى:{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} [الأعراف : ٤٣]، أي:" وأذهب الله تعالى ما في صدور أهل الجنة من حقد وضغائن"(٣٢٢٥).

قال الضحاك:" العداوة"(٣٢٢٦).

عن الحسن:" أنه غل الجاهلية"(٣٢٢٧).

وقد روي عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أنه قال : "إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله فيهم :{ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ}"(٣٢٢٨).

وعن علي أيضا، قال: "فينا والله أهل بدر نزلت: {ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين} [سورة الحجر: ٤٧]"(٣٢٢٩).

قال السدي:" إن أهل الجنة إذا سيقوا إلى الجنة فبلغوا، وجدوا عند بابها شجرة في أصل ساقها عينان، فشربوا من إحداهما، فينزع ما في صدورهم من غل، فهو «الشراب الطهور»، واغتسلوا من الأخرى، فجرت عليهم"نضرة النعيم"، فلم يشعثوا ولم يتسخوابعدها أبدا"(٣٢٣٠).

(٣٢٢٢) التفسير الميسر:١٥٥.
(٣٢٢٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٩٥):ص١٤٢٠/٥.
(٣٢٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٠٩٦):ص١٤٢٠/٥.
(٣٢٢٥) التفسير الميسر:١٥٥.
(٣٢٢٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٥٨):ص٤٣٨/٢.
(٣٢٢٧) انظر: النكت والعيون:٢٢٤/٢.
(٣٢٢٨) أخرجه الطبري(١٤٦٦٢):ص٤٣٨/١٢.
(٣٢٢٩) أخرجه الطبري(١٤٦٦٠):ص٤٣٨/١٢.
(٣٢٣٠) أخرجه الطبري(١٤٦٦٣):ص٤٣٨/١٢-٤٣٩.

عن أبي نضرة قال:" يحبس أهل الجنة دون الجنة حتى يقضى لبعضهم من بعض، حتى يدخلوا الجنة حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها إياه. ويحبس أهل النار دون النار حتى يقضى لبعضهم من بعض، فيدخلون النار حين يدخلونها ولا يطلب أحد منهم أحدا بقلامة ظفر ظلمها إياه"[٣٢٣١].

قوله تعالى:{تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ} [الأعراف : ٤٣]، أي:" ومن كمال نعيمهم أن الأنهار تجري في الجنة من تحت غرفهم ومنازلهم"[٣٢٣٢].

قال أبو مالك:" يعني: المساكن تجري أسفلها أنهارها"[٣٢٣٣].

قوله تعالى:{وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا} [الأعراف : ٤٣]، أي:" وقال أهل الجنة حينما دخلوها: الحمد لله الذي وفَّقنا للعمل الصالح الذي أكسبنا ما نحن فيه من النعيم"[٣٢٣٤].

قال كعب:" «الحمد لله»: ثناء على الله"[٣٢٣٥].

قال الضحاك:" «الحمد لله»: رداء الرحمن"[٣٢٣٦].

قوله تعالى:{وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف : ٤٣]، أي:"ونُودوا تهنئة لهم وإكرامًا: أن تلكم الجنة أورثكم الله إياها برحمته، وبما قدَّمتموه من الإيمان والعمل الصالح"[٣٢٣٧].

قال السدي:" ليس من كافر ولا مؤمن إلا وله في الجنة والنار منزل، فإذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ودخلوا منازلهم، رفعت الجنة لأهل النار فنظروا إلى منازلهم فيها، فقيل لهم:«هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله»، ثم يقال:«يا أهل الجنة، رثوهم بما كنتم تعملون»، فتقسم بين أهل الجنة منازلهم"[٣٢٣٨].

وقال الأغر:" نودوا أن صحوا فلا تسقموا، واخلدوا فلا تموتوا، وانعموا فلا تبأسوا"[٣٢٣٩].

عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: "{ونودوا أن تلكم الجنة}، قال: نودوا أن صحوا فلا تسقموا، وانعموا فلا تبأسوا، وشبوا فلا تهرموا، واخلدوا فلا تموتوا"[٣٢٤٠].

القرآن

{وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (٤٤)} [الأعراف : ٤٤]

التفسير:

ونادى أصحاب الجنة -بعد دخولهم فيها- أهلَ النار قائلين لهم: إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا على ألسنة رسله حقًا من إثابة أهل طاعته، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم على ألسنة رسله حقًا من عقاب أهل معصيته؟ فأجابهم أهل النار قائلين: نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا. فأذَّن مؤذن بين أهل الجنة وأهل النار: أنْ لعنة الله على الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله، وكفروا بالله ورسله.

قوله تعالى:{وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ} [الأعراف : ٤٤]، أي:" ونادى أصحاب الجنة -بعد دخولهم فيها- أهلَ النار قائلين لهم: إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا على ألسنة رسله حقًا من إثابة أهل طاعته، فهل وجدتم ما وعدكم ربكم على ألسنة رسله حقًا من عقاب أهل معصيته؟ فأجابهم أهل النار قائلين: نعم قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًا"[٣٢٤١].

قال السدي:" وجد أهل الجنة ما وعدوا من الثواب، وأهل النار ما وعدوا من عذاب"[٣٢٤٢].

(٣٢٣١) أخرجه الطبري(١٤٦٦٤):ص٤٣٩/١٢.
(٣٢٣٢) التفسير الميسر:١٥٥.
(٣٢٣٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٢٥٣):ص٦٦/١.
(٣٢٣٤) التفسير الميسر:١٥٥.
(٣٢٣٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٧٤):ص١٤٧٩/٥.
(٣٢٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٧٥):ص١٤٧٩/٥.
(٣٢٣٧) التفسير الميسر:١٥٥.
(٣٢٣٨) أخرجه الطبري(١٤٦٦٧):ص٤٤٣/١٢.
(٣٢٣٩) أخرجه الطبري(١٤٦٦٨):ص٤٤٣/١٢.
(٣٢٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٧٧):ص١٤٨٠/٥.
(٣٢٤١) التفسير الميسر:١٥٦.
(٣٢٤٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٤٨١):ص١٤٨٢/٥.

قوله تعالى:{فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [الأعراف : ٤٤]، أي:" فأذَّن مؤذن بين أهل الجنة وأهل النار: أنْ لعنة الله على الظالمين الذين تجاوزوا حدود الله، وكفروا بالله ورسله"[٣٢٤٣].

عن ميمون بن مهران قال: "إن الرجل ليصلي ويلعن نفسه في قراءته فيقول: {أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ} [هود : ١٨]، وإنه لظالم"[٣٢٤٤].

القرآن

{الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ (٤٥)} [الأعراف : ٤٥]

التفسير:

هؤلاء الكافرون هم الذين كانوا يُعْرِضون عن طريق الله المستقيم، ويمنعون الناس من سلوكه، ويطلبون أن تكون السبيل معوجة حتى لا يتبينها أحد، وهم بالآخرة -وما فيها- جاحدون.

قوله تعالى:{الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا} [الأعراف : ٤٥]، أي:" هؤلاء الكافرون هم الذين كانوا يُعْرِضون عن طريق الله المستقيم، ويمنعون الناس من سلوكه، ويطلبون أن تكون السبيل معوجة حتى لا يتبينها أحد"[٣٢٤٥].

عن أبي مالك قوله: "{ويبغونها عوجا}، قال: يرجون بمكة غير الإسلام دينا"[٣٢٤٦].

قال السدي:" بغوا محمدا صلى الله عليه وسلم عوجا"[٣٢٤٧].

عن السدي: "{عوجا}، قال: هلاكا"[٣٢٤٨].

القرآن

{وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦)} [الأعراف : ٤٦]

التفسير:

وبين أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز عظيم يقال له الأعراف، وعلى هذا الحاجز رجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم، كبياض وجوه أهل الجنة، وسواد وجوه أهل النار، وهؤلاء الرجال قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم يرجون رحمة الله تعالى. ونادى رجال الأعراف أهل الجنة بالتحية قائلين لهم: سلام عليكم، وأهل الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد، وهم يرجون دخولها.

قوله تعالى:{وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ} [الأعراف : ٤٦]، أي:" وبين أصحاب الجنة وأصحاب النار حاجز عظيم يقال له الأعراف"[٣٢٤٩].

قال مجاهد:" {لأعراف}، حجاب بين الجنة والنار"[٣٢٥٠].

عن السدي: "{وبينهما حجاب}، وهو «السور»، وهو«الأعراف»"[٣٢٥١].

قوله تعالى:{وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ} [الأعراف : ٤٦]، أي:" وعلى الأعراف رجال يعرفون أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم"[٣٢٥٢].

و«الأعراف»:" جمع، واحدها «عرف»، وكل مرتفع من الأرض عند العرب فهو«عرف»، وإنما قيل لعرف الديك «عرف»، لارتفاعه على ما سواه من جسده، ومنه قول الشماخ بن ضرار[٣٢٥٣]:

(٣٢٤٣) التفسير الميسر:١٥٦.

(٣٢٤٤) أخرجه ابن أبي يحاتم(٨٤٨٤):ص١٤٨٢/٥.

(٣٢٤٥) التفسير الميسر:١٥٦.

(٣٢٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٨٦):ص١٤٨٢/٥-١٤٨٣

(٣٢٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٨٧):ص١٤٨٣/٥.

(٣٢٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٨٨):ص١٤٨٣/٥.

(٣٢٤٩) التفسير الميسر:١٥٦.

(٣٢٥٠) أخرجه الطبري(١٤٦٧١):ص٤٤٩/١٢.

(٣٢٥١) أخرجه الطبري(١٤٦٧٢):ص٤٤٩/١٢.

(٣٢٥٢) التفسير الميسر:١٥٦.

وظلت بأعراف تغالى، كأنها ... رماح نحاها وجهة الريح راكز
يعني بقوله:"بأعراف"، بنشوز من الأرض، ومنه قول الآخر[٣٢٥٤]:
كل كناز لحمه نياف ... كالعلم الموفي على الأعراف"[٣٢٥٥]

قال مجاهد:"{الأعراف}، حجاب بين الجنة والنار، سور له باب"[٣٢٥٦].

وفي الذين على «الأعراف»، أقوال:

أحدها : أنهم فضلاء المؤمنين وعلماؤهم ، قاله الحسن[٣٢٥٧]، ومجاهد[٣٢٥٨]، قال أمية بن أبي الصلت[٣٢٥٩]:

وَآخَرُونَ عَلَى الأعْرَافِ قَدْ طَمِعُوا ... فِي جَنَّةٍ حَفَّهَا الرُّمَّانُ والخَضِرُ

وهذا وإن كان شعراً جاهلياً وحال «الأعراف» منقول عن خبر يروى فيحتمل أمرين[٣٢٦٠]:

- الأول: أن يكون أمية قد وصل إلى علمه من الصحف الشرعية .
- والثاني : أن يكون الله قد انطق به أمية إلهاماً لتصديق ما جاء به القرآن .

الثاني : أنهم ملائكة يُرَون في صور الرجال ، قاله أبو مجلز[٣٢٦١].

الثالث : أنه قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فجعلوا هنالك حتى يقضي الله من أمرهم ما يشاء ثم يدخلهم الجنة ، وهذا قول سعيد بن جبير[٣٢٦٢]، والضحاك[٣٢٦٣]، والشعبي[٣٢٦٤]، وأبي علقمة[٣٢٦٥]، وهو قول أكثر المفسرين[٣٢٦٦].

الرابع : أنهم قوم قتلوا في سبيل الله وكانوا عصاة لآبائهم ، قيل إنهم غزوا بغير إذنهم. وهذا قول شرحبيل بن سعد[٣٢٦٧].

وروي عن محمد بن عبد الرحمن، عن أبيه قال: "سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف، فقال: قوم قتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم قتلهم في سبيل الله عن النار، ومنعتهم معصية آبائهم أن يدخلوا الجنة"[٣٢٦٨].

(٣٢٥٣)ديوانه: ٥٣، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١: ٢١٥، ورواية ديوانه وغيره ((وظلت تغالي باليفاع كأنها)) . وهذا البيت من آخر القصيدة في صفة حمر الوحش، بعد أن عادت من رحلتها الطويلة العجيبة في طلب الماء، يقودها العير، فوصفه ووصفهن، فقال: محام على عوراتها لا يروعها ... خيال، ولا رامي الوحوش المناهز
وأصبح فوق النشز، نشز حمامة، ... له مركض في مستوى الأرض بارز
وظلت تغالي باليفاع..... ... .
و ((تغالي الحمر)) احتكاك بعضها ببعض.يصف ضمور حمر.

(٣٢٥٤) لم أتعرف على قائله، وانظر: البيت في مجاز القرآن أبي عبيدة ١/ ٢١٥، وتفسير الطبري:٤٥٠/١٢، واللسان مادة "نوف".

(٣٢٥٥)تفسير الطبري:٤٥٠/١٢.

(٣٢٥٦) أخرجه الطبري(١٤٦٧٧):ص٤٥١/١٢.

(٣٢٥٧) انظر: النكت والعيون: ٢٢٥/٢.

(٣٢٥٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٦):ص٤٥٨/١٢.

(٣٢٥٩) انظر: النكت والعيون:٢٢٥/٢، والبحر المحيط: ٥٧/٥، واللباب:٣٢٨/٥.

(٣٢٦٠) انظر: النكت والعيون:٢٢٥/٢.

(٣٢٦١) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٧)-(١٤٧١٤):ص٤٥٩/١٢-٤٦٠.

(٣٢٦٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٠):ص٤٥٦/١٢-٤٥٧.

(٣٢٦٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٦٩٩):ص٤٥٦/١٢.

(٣٢٦٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٤٩٩):ص١٤٨٤/٥-١٤٨٥.

(٣٢٦٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٢):ص٤٥٧/١٢.

(٣٢٦٦) انظر: النكت والعيون:٢٢٥/٢، وزاد المسير:٢٠٤/٣، وتفسير القرطبي:٢١٢/٧، وتفسير ابن كثير:٣٤٦/٢.

(٣٢٦٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٠٣):ص٤٥٧/١٢.

(٣٢٦٨)حديث عبد الرحمن المزنى: أخرجه سعيد بن منصور (١٤٣/٥، رقم ٩٥٤) ، وابن منيع، والحارث كما فى المطالب العالية (٦٦٤/١٤، رقم ٣٦٠٨، ٣٦٠٩) ، والطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٢٤/٧) قال الهيثمى: فيه أبو معشر نجيح، وهو ضعيف. والبيهقى فى البعث والنشور (ص ١٠٦، رقم ١٠٤) . وأخرجه أيضا: الطبري في جامع البيان ١٤٧٠٥):ص٤٥٨/١٢-واللفظ له- ، والخرائطى فى مساوئ الأخلاق (ص ١٠٤، رقم ٢٥١) ، وأبو نعيم فى المعرفة من طريق الطبرانى (١٨٦٠/٤، رقم ٤٦٨٤) . وعزاه ابن كثير فى التفسير (٢١٧/٢) لسعيد بن منصور، وابن مردويه، وابن جرير، وابن أبى حاتم.

والصواب من القول في أصحاب الأعراف أن يقال كما قال الله جل ثناؤه فيهم: هم رجال يعرفون كُلا من أهل الجنة وأهل النار بسيماهم، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصح سنده،ولا أنه متفق على تأويلها، ولا إجماع من الأمة على أنهم ملائكة.

فإذ كان ذلك كذلك، وكان ذلك لا يدرك قياسًا، وكان المتعارف بين أهل لسان العرب أن«الرجال» اسم يجمع ذكور بني آدم دون إناثهم ودون سائر الخلق غيرهم، كان بيِّنًا أن ما قاله أبو مجلز من أنهم ملائكة، قولٌ لا معنى له، وأن الصحيح من القول في ذلك ما قاله سائر أهل التأويل غيره. هذا مع مَنْ قال بخلافه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك من الأخبار، وإن كان في أسانيدها ما فيها"[٣٢٦٩].

عن أبي زرعة عمرو بن جرير، قال: "سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال: هم آخر من يقضي لهم من العباد، فإذا فرغ رب العالمين من القضاء بين العباد قال لهم: أنتم قوم أخرجتكم أعمالكم من النار وعجزت أن تدخلكم الجنة، فاذهبوا فأنتم عتقاي، فارعوا من الجنة حيث شئتم"[٣٢٧٠].

قال الماوردي:" ومعنى قوله :{يَعْرِفُونَ كُلاً بِسِيمَاهُمْ}، يعني: يعرفون أهل النار وأهل الجنة بعلامتهم التي يتميزون بها ، وعلامتهم في وجوههم وأعينهم"[٣٢٧١].

قال الحسن البصري : "علامة أهل النار سواد الوجوه وزرقة العيون ، وعلامة أهل الجنة بياض الوجوه وحسن العيون"[٣٢٧٢].

قوله تعالى:{وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ} [الأعراف : ٤٦]، أي:" ونادى رجال الأعراف أهل الجنة بالتحية قائلين لهم: سلام عليكم، وأهل الأعراف لم يدخلوا الجنة بعد، وهم يرجون دخولها"[٣٢٧٣].

عن أبي العالية في قوله: {لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ}، قال: "ما جعل الله ذلك الطمع فيهم إلا كرامة يريد بهم"[٣٢٧٤].

قال الحسن: "الذي جعل الطمع في قلوبهم يوصلهم إلى ما يطمعون"[٣٢٧٥].

القرآن

{وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٤٧)} [الأعراف : ٤٧]

التفسير:

وإذا حُوِّلتْ أبصار رجال الأعراف جهة أهل النار قالوا: ربنا لا تُصيِّرنا مع القوم الظالمين بشركهم وكفرهم.

قال السدي:" وإذا مروا بهم - يعني بأصحاب الأعراف- بزمرة يذهب بها إلى النار، قالوا: {ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين}"[٣٢٧٦].

قال عكرمة:" تحرد وجوههم للنار، فإذا رأوا أهل الجنة ذهب ذلك عنهم"[٣٢٧٧].

القرآن

{وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨)} [الأعراف : ٤٨]

التفسير:

(٣٢٦٩) تفسير الطبري:١٢/٤٦٠-٤٦١.

(٣٢٧٠) أخرجه الطبري(١٤٧١٥):ص١٢/٤٦١، وابن ابي حاتم(٨٥٠٠):ص٥/١٤٨٥.

(٣٢٧١) النكت والعيون:٢/٢٢٦.

(٣٢٧٢) النكت والعيون:٢/٢٢٦.

(٣٢٧٣) التفسير الميسر:١٥٦.

(٣٢٧٤) تفسير البغوي: ٣/٢٣٣.

(٣٢٧٥) تفسير البغوي: ٣/٢٣٣.

(٣٢٧٦) أخرجه الطبري(١٤٧٣٤):ص١٢/٤٦٦.

(٣٢٧٧) أخرجه الطبري(١٤٧٣٦):ص١٢/٤٦٦.

ونادى أهل الأعراف رجالا من قادة الكفار الذين في النار، يعرفونهم بعلامات خاصة تميزهم، قالوا لهم: ما نفعكم ما كنتم تجمعون من الأموال والرجال في الدنيا، وما نفعكم استعلاؤكم عن الإيمان بالله وقَبول الحق.

قوله تعالى:{وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ} [الأعراف : ٤٨]، أي:" وما نفعكم استعلاؤكم عن الإيمان بالله وقَبول الحق"(٣٢٧٨).

قال قتادة:" نزع الله جمعهم وصار كبرهم في النار"(٣٢٧٩).

قال السدي:" فمر بهم - يعني بأصحاب الأعراف-ناس من الجبارين عرفوهم بسيماهم. قال: يقول: قال أصحاب الأعراف: {ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون}"(٣٢٨٠).

وقال ابن مجلز:" نادت الملائكة رجالا في النار يعرفونهم بسيماهم {ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون. أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة} ، قال: هذا حين دخل أهل الجنة الجنة {ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون}"(٣٢٨١).

القرآن

{أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩)} [الأعراف : ٤٩]

التفسير:

أهؤلاء الضعفاء والفقراء من أهل الجنة الذين أقسمتم في الدنيا أن الله لا يشملهم يوم القيامة برحمة، ولن يدخلهم الجنة؟ ادخلوا الجنة يا أصحاب الأعراف فقد غُفِرَ لكم، لا خوف عليكم من عذاب الله، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم من حظوظ الدنيا.

قوله تعالى:{أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ} [الأعراف : ٤٩]، أي:" أهؤلاء الضعفاء والفقراء من أهل الجنة الذين أقسمتم في الدنيا أن الله لا يشملهم يوم القيامة برحمة"(٣٢٨٢).

قال السدي:" هؤلاء الضعفاء الذين أقسمتم"(٣٢٨٣).

قوله تعالى:{ادْخُلُوا الْجَنَّةَ} [الأعراف : ٤٩]، أي:" ادخلوا الجنة يا أصحاب الأعراف فقد غُفِرَ لكم"(٣٢٨٤).

عن ابن أبي خالد قال: "سألت عكرمة عن قوله: {أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة}، قال عكرمة: دخلوا الجنة"(٣٢٨٥).

قال الربيع:" فكانوا آخر أهل الجنة دخولا فيما سمعنا عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم"(٣٢٨٦).

القرآن

{وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ (٥٠)} [الأعراف : ٥٠]

التفسير:

واستغاث أهل النار بأهل الجنة طالبين منهم أن يُفيضوا عليهم من الماء، أو مما رزقهم الله من الطعام، فأجابوهم بأن الله تعالى قد حَرَّم الشراب والطعام على الذين جحدوا توحيده، وكذَّبوا رسله.

(٣٢٧٨) التفسير الميسر:١٥٦.
(٣٢٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٢٦):ص١٤٨٩/٥.
(٣٢٨٠) أخرجه الطبري(١٤٧٣٨):ص٤٦٧/١٢.
(٣٢٨١) أخرجه الطبري(١٤٧٤١):ص٤٦٨/١٢.
(٣٢٨٢) التفسير الميسر:١٥٦.
(٣٢٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٢٩):ص١٤٨٩/٥.
(٣٢٨٤) التفسير الميسر:١٥٦.
(٣٢٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٣٠):ص١٤٩٠/٥.
(٣٢٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٣١):ص١٤٩٠/٥.

قوله تعالى:{وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ} [الأعراف : ٥٠]، أي:" واستغاث أهل النار بأهل الجنة طالبين منهم أن يُفيضوا عليهم من الماء، أو مما رزقهم الله من الطعام"(٣٢٨٧).

عن السدي:"{ أو مما رزقكم الله}، قال: من الطعام"(٣٢٨٨).

قوله تعالى:{قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ} [الأعراف : ٥٠]، أي:" فأجابوهم بأن الله تعالى قد حَرَّم الشراب والطعام على الذين جحدوا توحيده، وكذَّبوا رسله"(٣٢٨٩).

قال سعيد بن جبير:" ينادي الرجل أخاه: يا أخي، قد احترقت فأغثني! فيقول:{إن الله حرمهما على الكافرين}"(٣٢٩٠).

القرآن

{الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ (٥١)} [الأعراف : ٥١]

التفسير:

الذين حَرَمهم الله تعالى من نعيم الآخرة هم الذين جعلوا الدين الذي أمرهم الله باتباعه باطلا ولهوًا، وخدعتهم الحياة الدنيا وشغلوا بزخارفها عن العمل للآخرة، فيوم القيامة ينساهم الله تعالى ويتركهم في العذاب الموجع، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا، ولكونهم بأدلة الله وبراهينه ينكرون مع علمهم بأنها حق.

قوله تعالى:{فَالْيَوْمَ نَنْسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا} [الأعراف : ٥١]، أي:" فيوم القيامة ينساهم الله تعالى ويتركهم في العذاب الموجع، كما تركوا العمل للقاء يومهم هذا"(٣٢٩١).

عن مجاهد: "{فاليوم ننساهم}، قال: نسوا في العذاب"(٣٢٩٢).

قوله تعالى:{وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ} [الأعراف : ٥١]، أي:" ولكونهم بأدلة الله وبراهينه ينكرون مع علمهم بأنها حق"(٣٢٩٣).

قال الحسن:" يعني بقوله: {يجحدون}، قال: جحدوا بعد المعرفة"(٣٢٩٤).

القرآن

{وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٥٢)} [الأعراف : ٥٢]

التفسير:

ولقد جئنا الكفار بقرآن أنزلناه عليك -أيها الرسول- بيَّنَّاه مشتملا على علم عظيم، هاديًا من الضلالة إلى الرشد ورحمة لقوم يؤمنون بالله ويعملون بشرعه. وخصَّهم دون غيرهم; لأنهم هم المنتفعون به.

وفي قوله تعالى:{فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ} [الأعراف : ٥٢]، وجهان(٣٢٩٥):

أحدهما : بيَّنَّا ما فيه من الحلال والحرام على علم بالمصلحة .

والثاني : ميزنا به الهدى من الضلالة على علم بالثواب والعقاب .

قوله تعالى:{هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف : ٥٢]، أي:" هداية من الضلالة إلى الرشد ورحمة لقوم يؤمنون بالله ويعملون بشرعه" (٣٢٩٦).

قال الشعبي:" هدى من الضلالة"(٣٢٩٧).

(٣٢٨٧) التفسير الميسر:١٥٦.

(٣٢٨٨) أخرجه الطبري(١٤٧٤٩):ص٤٧٣/١٢.

(٣٢٨٩) التفسير الميسر:١٥٦.

(٣٢٩٠) أخرجه الطبري(١٤٧٥٢):ص٤٧٤/١٢.

(٣٢٩١) التفسير الميسر:١٥٦.

(٣٢٩٢) أخرجه الطبري(١٤٧٥٥):ص٤٧٥/١٢.

(٣٢٩٣) التفسير الميسر:١٥٦.

(٣٢٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٤٩):ً١٤٩٣/٥.

(٣٢٩٥) انظر: النكت والعيون:٢٢٨/٢.

(٣٢٩٦) التفسير الميسر:١٥٧.

(٣٢٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٥١):ص١٤٩٣/٥.

قال السدي:" أما هدى فنور"[٣٢٩٨].
عن سعيد بن جبير: قوله: "{هدى}، قال: تبيان"[٣٢٩٩].
عن قتادة قوله: "{ورحمة} قال: القرآن"[٣٣٠٠]. وروي عن أبي العالية مثل ذلك[٣٣٠١].
عن ابن إسحاق:"{هدى ورحمة لقوم يؤمنون}، أي: مغفرة لما ركبوا"[٣٣٠٢].

القرآن
{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٥٣)} [الأعراف : ٥٣]
التفسير:
هل ينتظر الكفار إلا ما وُعِدوا به في القرآن من العقاب الذي يؤول إليه أمرهم؟ يوم يأتي ما يؤول إليه الأمر من الحساب والثواب والعقاب يوم القيامة يقول الكفار الذين تركوا القرآن، وكفروا به في الحياة الدنيا: قد تبيَّن لنا الآن أنَّ رسل ربنا قد جاؤوا بالحق، ونصحوا لنا، فهل لنا من أصدقاء وشفعاء، فيشفعوا لنا عند ربنا، أو نعاد إلى الدنيا مرة أخرى فنعمل فيها بما يرضي الله عنا؟ قد خسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيها، وذهب عنهم ما كانوا يعبدونه من دون الله، ويفترونه في الدنيا مما يَعِدُهم به الشيطان.
قوله تعالى:{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ} [الأعراف : ٥٣]، أي:" هل ينتظر الكفار إلا ما وُعِدوا به في القرآن من العقاب الذي يؤول إليه أمرهم؟"[٣٣٠٣].
عن قتادة قوله:"{هل ينظرون إلا تأويله}، أي: ثوابه"[٣٣٠٤].
قال السدي:" أما {تأويله}، فعواقبه، مثل وقعة بدر، والقيامة، وما وعد فيها من موعد"[٣٣٠٥].
قوله تعالى:{يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ} [الأعراف : ٥٣]، أي:" يوم يأتي ما يؤول إليه الأمر من الحساب والثواب والعقاب يوم القيامة"[٣٣٠٦].
قال قتادة : "أي: ثوابه"[٣٣٠٧]. وفي رواية أخرى:" عاقبته"[٣٣٠٨]، وفي رواية ثالثة:" جزاؤه"[٣٣٠٩].
قوله تعالى:{يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ} [الأعراف : ٥٣]، أي:" يقول الكفار الذين تركوا القرآن، وكفروا به في الحياة الدنيا"[٣٣١٠].
قال السدي:" أما {الذين نسوه}، فتركوه"[٣٣١١].
وعن مجاهد:"{يقول الذين نسوه}، قال: أعرضوا عنه"[٣٣١٢].
وفي قوله تعالى:{يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ} [الأعراف : ٥٣]، وجهان:
أحدهما : معنى نسوه أعرضوا عنه فصار كالمنسي ، قاله أبو مجلز[٣٣١٣]، وهو معنى قول مجاهد[٣٣١٤].

(٣٢٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٥٢):ص١٤٩٣/٥.
(٣٢٩٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٥٣):ص١٤٩٣/٥.
(٣٣٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٥٤):ص١٤٩٣/٥.
(٣٣٠١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٤٠٩٣/٥.
(٣٣٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٥٥):ص١٤٩٣/٥.
(٣٣٠٣) التفسير الميسر:١٥٧.
(٣٣٠٤) أخرجه الطبري(١٤٧٦١):ص٤٧٨/١٢.
(٣٣٠٥) أخرجه الطبري(١٤٧٦٥):ص٤٧٩/١٢.
(٣٣٠٦) التفسير الميسر:١٥٧.
(٣٣٠٧) أخرجه الطبري(١٤٧٦١):ص٤٧٨/١٢.
(٣٣٠٨) أخرجه الطبري(١٤٧٦٢):ص٤٧٨/١٢.
(٣٣٠٩) أخرجه الطبري(١٤٧٦٣):ص٤٧٨/١٢-٤٧٩.
(٣٣١٠) التفسير الميسر:١٥٧.
(٣٣١١) أخرجه الطبري(١٤٧٦٩):ص٤٨٠/١٢.
(٣٣١٢) أخرجه الطبري(١٤٧٧٠):ص٤٨٠/١٢.
(٣٣١٣) انظر: النكت والعيون:٢٢٨/٢.
(٣٣١٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٧٠):ص٤٨٠/١٢.

الثاني : تركوا العمل به، قاله الزجاج[٣٣١٥]، وهو معنى قول السدي[٣٣١٦].

قوله تعالى:{قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} [الأعراف : ٥٣]، أي:" قد تبيَّن لنا الآن أنَّ رسل ربنا قد جاؤوا بالحق" [٣٣١٧].

قال السدي:" فلما رأوا ما وعدهم أنبياؤهم، استيقنوا فقالوا: {قد جاءت رسل ربنا بالحق}"[٣٣١٨].

قوله تعالى:{قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ} [الأعراف : ٥٣]، أي:" قد خسروا أنفسهم بدخولهم النار وخلودهم فيها" [٣٣١٩].

قال السدي:" يقول: شروها بخسران"[٣٣٢٠].

القرآن

{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٥٤)} [الأعراف : ٥٤]

التفسير:

إن ربكم -أيها الناس- هو الله الذي أوجد السموات والأرض من العدم في ستة أيام، ثم استوى -سبحانه- على العرش استواءً يليق بجلاله وعظمته، يُدخل سبحانه الليل على النهار، فيلبسه إياه حتى يذهب نوره، ويُدخل النهار على الليل فيذهب ظلامه، وكل واحد منهما يطلب الآخر سريعًا دائمًا، وهو -سبحانه- الذي خلق الشمس والقمر والنجوم مذللات له يسخرهن -سبحانه- كما يشاء، وهنَّ من آيات الله العظيمة. ألا له سبحانه وتعالى الخلق كله وله الأمر كله، تعالى الله وتعاظم وتنزَّه عن كل نقص، رب الخلق أجمعين.

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ} [الأعراف : ٥٤]، أي:" إن ربكم -أيها الناس- هو الله الذي أوجد السموات والأرض من العدم في ستة أيام"[٣٣٢١].

قال مجاهد:" بدءُ الخلق العرشُ والماء والهواء، وخلقت الأرض من الماء، وكان بدء الخلق يوم الأحد، والاثنين، والثلاثاء، والأربعاء، والخميس، وجُمع الخلق في يوم الجمعة، وتهوَّدت اليهودُ يوم السبت. ويوم من الستة الأيام كألف سنة مما تعدّون"[٣٣٢٢].

قوله تعالى:{ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ} [الأعراف : ٥٤]، أي:" ثم استوى -سبحانه- على العرش استواءً يليق بجلاله وعظمته من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيلٍ ولا تحريف"[٣٣٢٣].

عن الحسن:" استوى أمره على العرش"[٣٣٢٤].

قال سعد الطائي: "العرش ياقوتة حمراء"[٣٣٢٥].

قال وهب بن منبه :"إن الله خلق العرش من نوره"[٣٣٢٦].

وأما قوله تعالى : {ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ}، فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا ، ليس هذا موضع بسطها ، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح : مالك ، والأوزاعي ، والثوري ، والليث بن سعد ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن راهويه وغيرهم ، من أئمة المسلمين قديما وحديثا ، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل. والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله ، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه ، و { لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ } [الشورى : ١١] بل

(٣٣١٥) انظر: معاني القرآن:٣٧٨/١، و٣٤١/٢.
(٣٣١٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٦٩):ص٤٨٠/١٢.
(٣٣١٧) التفسير الميسر:١٥٧.
(٣٣١٨) أخرجه الطبري(١٤٧٦٩):ص٤٨٠/١٢.
(٣٣١٩) التفسير الميسر:١٥٧.
(٣٣٢٠) أخرجه الطبري(١٤٧٧٢):ص٤/١٢.
(٣٣٢١) التفسير الميسر:١٥٧.
(٣٣٢٢) أخرجه الطبري(١٤٧٧٣):ص٤٨٢/١٢.
(٣٣٢٣) انظر: صفوة التفاسير:٤١٨/١.
(٣٣٢٤) انظر: النكت والعيون:٢٢٩/٢.
(٣٣٢٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٧٩):ص١٤٩٧/٥.
(٣٣٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٨٠):ص١٤٩٧/٥.

الأمر كما قال الأئمة - منهم نُعَيْم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري - : "من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر". وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيه ، فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة ، على الوجه الذي يليق بجلال الله تعالى ، ونفى عن الله تعالى النقائص ، فقد سلك سبيل الهدى[٣٣٢٧].

قوله تعالى:{يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا} [الأعراف : ٥٤]، أي:" ويُدخل النهار على الليل فيذهب ظلامه، وكل واحد منهما يطلب الآخر سريعًا دائمًا"[٣٣٢٨].

قال السدي:" يغشي الليل النهارَ بضوئه، ويطلبه سريعًا حتى يدركه"[٣٣٢٩].

قوله تعالى:{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} [الأعراف : ٥٤]، أي:" ألا له سبحانه وتعالى الخلق كله وله الأمر كله"[٣٣٣٠].

عن بشار بن موسى، قال: "كنا عند سفيان بن عيينة، فقال سفيان: {ألا له الخلق والأمر}، فالخلق هو الخلق والأمر هو الكلام"[٣٣٣١].

قال سفيان بن عيينة:" الخلق ما دون العرش، والأمر ما فوق ذلك"[٣٣٣٢].

قوله تعالى:{تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف : ٥٤]، أي:" تعالى الله وتعاظم وتنزَّه عن كل نقص، رب الخلق أجمعين"[٣٣٣٣].

عن قتادة في قول الله: "{رب العالمين}، قال: ما وصف من خلقه"[٣٣٣٤].

القرآن

{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥)} [الأعراف : ٥٥]

التفسير:

ادعوا -أيها المؤمنون- ربكم متذللين له خفية وسرًّا، وليكن الدعاء بخشوع وبُعْدٍ عن الرياء. إن الله تعالى لا يحب المتجاوزين حدود شرعه.

قوله تعالى:{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً} [الأعراف : ٥٥]، أي:" ادعوا -أيها المؤمنون- ربكم متذللين له خفية وسرًّا بخشوع وخضوع"[٣٣٣٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ادعوا، أيها الناس، ربَّكم وحده، فأخلصوا له الدعاء، دون ما تدعون من دونه من الآلهة والأصنام {تضرعًا}، يقول: تذلُّلا واستكانة لطاعته {وخفية}، يقول بخشوع قلوبكم، وصحة اليقين منكم بوحدانيته فيما بينكم وبينه، لا جهارًا ومراءاةً، وقلوبكم غير موقنة بوحدانيته وربوبيته، فعلَ أهل النفاق والخداع لله ولرسوله"[٣٣٣٦].

وفي قوله تعالى:{ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً} [الأعراف : ٥٥]، قولان:

أحدهما: التضرع : يعني: مستكينين، { وَخُفْيَةً}: في خفض وسكون، وذلك كقوله: {وَلَا تُخَافِتْ بِهَا} [الإسراء : ١١٠]، يعني: تسر بها. وهذا قول سعيد بن جبير[٣٣٣٧].

الثاني: انه عني بذلك القراءة. وهذا قول زيد بن اسلم[٣٣٣٨].

قال الحسن:" إنْ كانَ الرجل لقد جمع القرآن، وما يشعرُ جارُه. وإن كان الرجل لقد فَقُه الفقهَ الكثير، وما يشعرُ به الناس. وإن كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة في بيته وعنده الزَّوْر، وما يشعرون به. ولقد

(٣٣٢٧) تفسير ابن كثير:٣/٤٢٦-٤٢٧.
(٣٣٢٨) التفسير الميسر:١٥٧.
(٣٣٢٩) أخرجه الطبري(١٤٧٧٥):ص٤٨٣/١٢.
(٣٣٣٠) التفسير الميسر:١٥٧.
(٣٣٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٨٦):ص١٤٩٨/٥.
(٣٣٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٨٧):ص١٤٩٨/٥.
(٣٣٣٣) التفسير الميسر:١٥٧.
(٣٣٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٨٩):ص١٤٩٩/٥.
(٣٣٣٥) انظر: التفسير الميسر:١٥٧، وصفوة التفاسير:١/٤١٨.
(٣٣٣٦) تفسير الطبري:١٢/٤٨٥.
(٣٣٣٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٥٩٢)، و(٨٥٩٣):ص١٤٩٩/٥.
(٣٣٣٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٥٩٤):ص١٤٩٩/١٢.

أدركنا أقوامًا ما كان على الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في السرّ فيكون علانية أبدًا! ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعاء، وما يُسمع لهم صوت، إن كان إلا همسًا بينهم وبين ربهم، وذلك أن الله يقول:"ادعوا ربكم تضرعًا وخفية"، وذلك أن الله ذكر عبدًا صالحًا فرضِي فعله فقال: {إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا} [سورة مريم: ٣]"[٣٣٣٩].

قوله تعالى:{إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ} [الأعراف : ٥٥]، أي:" إن الله تعالى لا يحب المتجاوزين حدود شرعه"[٣٣٤٠].

وفي الاعتداء في الدعاء ثلاثة أقوال :

أحدها : أن يسأل ما لا يستحقه من منازل الأنبياء ، قاله أبو مجلز[٣٣٤١].

الثاني : أنه يدعو باللعنة والهلاك على من لا يستحق ، سعيد بن جبير[٣٣٤٢].

قال سعيد بن جبير:" لا تدعوا على المؤمن والمؤمنة بالشر اللهم اخزه والعنه ونحو ذلك. فإن ذلك عدوان"[٣٣٤٣].

الثالث : أن يرفع صوته بالدعاء. وهذا قول زيد بن أسلم[٣٣٤٤]، وابن جريج[٣٣٤٥].

قال ابن جريج: "إن من الدعاء اعتداءً، يُكره رفعُ الصوتِ والنداءُ والصياحُ بالدعاء، ويُؤمر بالتضرُّع والاستكانة"[٣٣٤٦].

وروي أن ابنا لسعد بن مالك دعا فذكر الجنة فقال: ا"للهم إني أسألك نعيمها وأزواجها وثمارها ونحوها وذكر النار قال: اللهم إني أعوذ بك من سلاسلها وأغلالها وسعيرها ونحو هذا. فقال له سعد بن مالك: لقد سألت نعيما طويلا، وتعوذت من شر عظيم، وإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: سيكون بعدي قوم يعتدون في الدعاء وتلا هذه الآية: {ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين}، ثم قال: بحسبك أن تقول: اللهم إن أسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل، وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول وعمل"[٣٣٤٧].

القرآن

{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦)} [الأعراف : ٥٦]

التفسير:

ولا تُفْسدوا في الأرض بأيِّ نوع من أنواع الفساد، بعد إصلاح الله إياها ببعثة الرسل -عليهم السلام- وعُمْرانها بطاعة الله، وادعوه -سبحانه- مخلصين له الدعاء; خوفًا من عقابه ورجاء لثوابه. إن رحمة الله قريب من المحسنين.

قوله تعالى:{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} [الأعراف : ٥٦]، أي:" ولا تُفْسدوا في الأرض بأيِّ نوع من أنواع الفساد، بعد إصلاح الله إياها ببعثة الرسل -عليهم السلام- وعُمْرانها بطاعة الله"[٣٣٤٨].

عن أبي صالح:" {بعد إصلاحها}، قال: بعد ما أصلحتها الأنبياء وأصحابهم"[٣٣٤٩].

عن الحسن:" لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه"[٣٣٥٠].

(٣٣٣٩) أخرجه الطبري(١٤٧٧٧):ص٤٨٥/١٢.

(٣٣٤٠) التفسير الميسر:١٥٧.

(٣٣٤١) انظر:تفسير الطبري(١٤٧٨٠):ص٤٨٦/١٢.

(٣٣٤٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٥٠٦):ص١٥٠٠/٥.

(٣٣٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٠٦):ص١٥٠٠/٥.

(٣٣٤٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٥٠٨):ص١٥٠٠/٥.

(٣٣٤٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٨١):ص٤٨٦/١٢-٤٨٧.

(٣٣٤٦) أخرجه الطبري(١٤٧٨١):ص٤٨٦/١٢-٤٨٧.

(٣٣٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٩٥):ص١٥٠٠/٥.

(٣٣٤٨) التفسير الميسر:١٥٧.

(٣٣٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٠٠):ص١٥٠١/٥.

(٣٣٥٠) انظر: النكت والعيون:٢٣١/٢.

قال سنيد:" قيل لأبي بكر بن عياش: ما قوله في كتابه؟ {ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها}، فقال أبو بكر: إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى أهل الأرض وهم في فساد فأصلحهم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد فهو من المفسدين في الأرض"[٣٣٥١].

قوله تعالى:{وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا} [الأعراف : ٥٦]، أي:" وادعوه -سبحانه- مخلصين له الدعاء; خوفًا من عقابه ورجاء لثوابه"[٣٣٥٢].

عن الضحاك:" {خوفا وطمعا}، قال: الخوف الصواعق"[٣٣٥٣]، "الطمع الغيث"[٣٣٥٤].

قوله تعالى:{إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف : ٥٦]، أي:" إن رحمة الله قريب من المطيعين الذين يمتثلون أوامره ويتركون زواجره"[٣٣٥٥].

قال جعفر: "سمعت مطر الوراق، يقول: تنجزوا موعود الله بطاعة الله فإنه قضى أن رحمته قريب من المحسنين"[٣٣٥٦].

القرآن

{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٥٧)} [الأعراف : ٥٧]

التفسير:

والله تعالى هو الذي يرسل الرياح الطيبة اللينة مبشرات بالغيث الذي تثيره بإذن الله، فيستبشر الخلق برحمة الله، حتى إذا حملت الريح السحاب المحمل بالمطر ساقه الله بها لإحياء بلد، قد أجدبت أرضه، ويَبست أشجاره وزرعه، فأنزل الله به المطر، فأخرج به الكلأ والأشجار والزروع، فعادت أشجاره محملة بأنواع الثمرات. كما نحيي هذا البلد الميت بالمطر نخرج الموتى من قبورهم أحياءً بعد فنائهم; لتتعظوا، فتستدلوا على توحيد الله وقدرته على البعث.

قوله تعالى:{وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ} [الأعراف : ٥٧]، أي:" والله تعالى هو الذي يرسل الرياح الطيبة اللينة مبشرات بالغيث الذي تثيره بإذن الله، فيستبشر الخلق برحمة الله"[٣٣٥٧].

قال السدي:" إن الله يرسل الرياح فتأتي بالسحاب من بين الخافقين طرف السماء والأرض من حيث يلتقيان، فيخرجه من ثم، ثم ينشره فيبسطه في السماء كيف يشاء، ثم يفتح أبواب السماء ليسيل الماء على السحاب، ثم يمطر السحاب بعد ذلك"[٣٣٥٨].

عن السدي قوله:"{بين يدي رحمته}، وأما {رحمته}، فهو المطر"[٣٣٥٩].

قوله تعالى:{حَتَّى إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ} [الأعراف : ٥٧]، أي:" حتى إذا حملت الرياح سحاباً مثقلاً بالماء، ساقه الله بها لإحياء بلد، قد أجدبت أرضه، ويَبست أشجاره وزرعه "[٣٣٦٠].

قال عكرمة:" ينزل الله الماء من السماء السابعة فتقع القطرة منه على السحابة مثل البعير"[٣٣٦١].

قوله تعالى:{فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ} [الأعراف : ٥٧]، أي:" فأنزل الله به المطر، فأخرج به الكلأ والأشجار والزروع، فعادت أشجاره محملة بأنواع الثمرات"[٣٣٦٢].

(٣٣٥١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٠١):ص١٥٠١/٥.
(٣٣٥٢) التفسير الميسر:١٥٧.
(٣٣٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٠٢):ص١٥٠١/٥.
(٣٣٥٤)أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٠٣):ص١٥٠١/٥.
(٣٣٥٥) انظر: التفسير الميسر:١٥٧، وصفوة التفاسير:٤١٨/١.
(٣٣٥٦)أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٠٤):ص١٥٠١/٥.
(٣٣٥٧) التفسير الميسر:١٥٧.
(٣٣٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٠٥):ص١٥٠١/٥.
(٣٣٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٠٩):ص١٥٠١/٥.
(٣٣٦٠) صفوة التفاسير:٤١٨/١.
(٣٣٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦١١):ص١٥٠٢/٥.
(٣٣٦٢) التفسير الميسر:١٥٧.

عن خالد بن يزيد قال: "كنا عند عبد الملك بن مروان فذكروا الماء، فقال خالد بن يزيد: منه من السماء، ومنه مما يسقيه الغيم من البحر فيعذبه الرعد والبرق، وأما ما كان من البحر فلا يكون له نبات، وأما النبات فمما كان من السماء"[٣٣٦٣].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} [الأعراف : ٥٧]، أي:" كما نحيي هذا البلد الميت بالمطر نخرج الموتى من قبورهم أحياءً بعد فنائهم; لتتعظوا، فتستدلوا على توحيد الله وقدرته على البعث"[٣٣٦٤].

عن مجاهد، قوله: "{كذلك نخرج الموتى}، نمطر السماء حتى تشقق عنهم الأرض"[٣٣٦٥].

عن السدي قوله: "{كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون}، وكذلك تخرجون، وكذلك النشور كما يخرج الزرع بالماء"[٣٣٦٦].

القرآن

{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ (٥٨)} [الأعراف : ٥٨]

التفسير:

والأرض النقية إذا نزل عليها المطر تُخْرِج نباتًا -بإذن الله ومشيئته- طيبًا ميسرًا، وكذلك المؤمن إذا نزلت عليه آيات الله انتفع بها، وأثمرت فيه حياة صالحة، أما الأرض السَّبِخة الرديئة فإنها لا تُخرج النبات إلا عسرًا رديئا لا نفع فيه، ولا تُخرج نباتًا طيبًا، وكذلك الكافر لا ينتفع بآيات الله. مثل ذلك التنويع البديع في البيان نُنوِّع الحجج والبراهين لإثبات الحق لأناس يشكرون نعم الله، ويطيعونه.

قوله تعالى:{وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ} [الأعراف : ٥٨]، أي:" والأرض النقية إذا نزل عليها المطر تُخْرِج نباتًا -بإذن الله ومشيئته- طيبًا ميسرًا، وهذا مثل للمؤمن يسمع الموعظة فينتفع بها"[٣٣٦٧].

قال مجاهد:" الطيب ينفعه المطر فينبت"[٣٣٦٨].

قوله تعالى:{وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا} [الأعراف : ٥٨]، أي:" والأرض إذا كانت خبيثة التربة لا تُخرج النبات إلا عسرًا رديئا لا نفع فيه، وهذا مثلٌ للكافر الذي لا ينتفع بالموعظة"[٣٣٦٩].

قال السدي:" هي السبخة لا يخرج نباتها إلا نكدا، و"النكد"، الشيء القليل الذي لا ينفع"[٣٣٧٠].

قال مجاهد:" السباخُ، لا ينفعه المطر، لا يخرج نباته إلا نكدًا"[٣٣٧١].

قال مجاهد:" هذا مثل ضربه الله لآدم وذريته كلهم، إنما خلقوا من نفس واحدة، فمنهم من آمن بالله وكتابه، فطابَ. ومنهم من كفر بالله وكتابه، فخَبُث"[٣٣٧٢].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ} [الأعراف : ٥٨]، أي:" مثل ذلك التنويع البديع في البيان نُنوِّع الحجج والبراهين لإثبات الحق لأناس يشكرون نعم الله، ويطيعونه"[٣٣٧٣].

عن زهرة بن معبد القرشي، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي، يقول: "الصلاة شكر والصيام شكر، وكل خير تفعله لله شكر، وأفضل الشكر الحمد"[٣٣٧٤].

القرآن

(٣٣٦٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦١٢):ص١٥٠٢/٥.
(٣٣٦٤) التفسير الميسر:١٥٧.
(٣٣٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦١٣):ص١٥٠٣/٥.
(٣٣٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦١٤):ص١٥٠٣/٥.
(٣٣٦٧) انظر: التفسير الميسر:١٥٨، وصفوة التفاسير:٤١٩/١.
(٣٣٦٨) أخرجه الطبري(١٤٧٩١):ص٤٩٨/١٢.
(٣٣٦٩) انظر: التفسير الميسر:١٥٨، وصفوة التفاسير:٤١٩/١.
(٣٣٧٠) أخرجه الطبري(١٤٧٩٠):ص٤٩٧/١٢.
(٣٣٧١) أخرجه الطبري(١٤٧٩١):ص٤٩٨/١٢.
(٣٣٧٢) أخرجه الطبري(١٤٧٩١):ص٤٩٨/١٢.
(٣٣٧٣)التفسير الميسر:١٥٨.
(٣٣٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢١):ص١٥٠٤/٥.

{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٥٩)} [الأعراف : ٥٩]

التفسير:

لقد بعثنا نوحًا إلى قومه; ليدعوهم إلى توحيد الله سبحانه وإخلاص العبادة له، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده، واخضعوا له بالطاعة، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا فأخلصوا له العبادة، فإن لم تفعلوا وبقيتم على عبادة أوثانكم، فإنني أخاف أن يحلَّ عليكم عذاب يوم يعظم فيه بلاؤكم، وهو يوم القيامة.

قوله تعالى:{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ} [الأعراف : ٥٩]، أي:" ولقد بعثنا نوحًا إلى قومه"[٣٣٧٥].

قال ابن عطية:" وهذه نذارة من نوح لقومه دعاهم إلى عبادة الله وحده ورفض آلهتهم المسماة ودا وسواعا ويغوث ويعوق وغيرها مما لم يشتهر... قالت فرقة من المفسرين: سمي نوحا لأنه كان ينوح على نفسه. وهذا ضعيف، قال سيبويه: نوح ولوط وهود أسماء أعجمية إلا أنها حقيقة فلذلك صرفت"[٣٣٧٦].

عن أبي صالح قال:" أرسل: بعث"[٣٣٧٧].

عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أول نبي أرسل نوح صلى الله عليه وسلم"[٣٣٧٨].

عن قتادة: "أن نوحا بعث من الجزيرة"[٣٣٧٩].

عن يزيد الرقاشي قال: "إنما سمي نوح، لطول ما ناح على نفسه"[٣٣٨٠].

قال محمد بن إسحاق: "كان من حديث نوح وحديث قومه فيما قص الله على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، وما يذكر أهل الكتاب من أهل التوراة، وما حفظ من الأحاديث عن عبد الله بن عباس، وعن عبيد بن عمير أن الله بعث نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى الله، وقد فشت في الأرض المعاصي، وكثرت فيها الجبابرة، وعتوا على الله عتوا كبيرا، وكان نوح فيما يذكر أهل العلم حليما صبورا لم يلق نبي من قومه من البلايا أكثر مما لقي إلا نبي قتل"[٣٣٨١].

القرآن

{قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٦٠)} [الأعراف : ٦٠]

التفسير:

قال له سادتهم وكبراؤهم: إنا لنعتقد -يا نوح- أنك في ضلال بيِّن عن طريق الصواب.

قوله تعالى:{قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ} [الأعراف : ٦٠]، أي:" قال الأشراف والسادة من قومه"[٣٣٨٢].

قال أبو مالك:" {الملأ}، يعني: الأشراف من قومه"[٣٣٨٣].

القرآن

{قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦١)} [الأعراف : ٦١]

التفسير:

قال نوح: يا قوم لست ضالا في مسألة من المسائل بوجه من الوجوه، ولكني رسول من رب العالمين ربي وربكم ورب جميع الخلق.

أخرج ابن ابي حاتم عن عبيد بن عمير الليثي:" أنه كان يحدث أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به يعني نوحا فيخنقونه حتى يغشى عليه، فإذا أفاق قال: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون حتى إذا تمادوا في المعصية، وعظمت فيهم في الأرض الخطيئة، وتطاول عليه وعليهم الشأن، واشتد عليه منهم البلاء، وانتظر

(٣٣٧٥)التفسير الميسر:١٥٨.

(٣٣٧٦) المحرر الوجيز:٢/٤١٤-٤١٥.

(٣٣٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٥):ص١٥٠٥/٥.

(٣٣٧٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٢):ص١٥٠٤/٥.

(٣٣٧٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٢٣):ص١٥٠٤/٥.

(٣٣٨٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٢٦):ص١٥٠٥/٥.

(٣٣٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٤):ص١٥٠٤/٥-١٥٠٥.

(٣٣٨٢) صفوة التفاسير:١/٤١٩.

(٣٣٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٩):ص١٥٠٥/٥.

الجيل بعد الجيل فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي كان قبله حتى كان الآخر منهم ليقول: قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا، هكذا مجنونا لا يقبلون منه شيئا حتى شكا ذلك من أمرهم نوح عليه الصلاة والسلام إلى الله عز وجل وقال: كما قص الله علينا في كتابه"[٣٣٨٤].

القرآن

{أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٦٢)} [الأعراف : ٦٢]

التفسير:

أُبلِّغكم ما أُرسلت به من ربي، وأنصح لكم محذرًا لكم من عذاب الله ومبشرًا بثوابه، وأعلم من شريعته ما لا تعلمون.

قوله تعالى:{أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ} [الأعراف : ٦٢]، أي:" أُبلِّغكم ما أُرسلت به من ربي وأنصح لكم محذرًا لكم من عذاب الله ومبشرًا بثوابه"[٣٣٨٥].

قال محمد بن إسحاق:" كان من حديث نوح وحديث قومه مما يذكر أهل العلم أنه كان حليما صبورا لم يلق نبي من قومه من البلايا أكثر مما لقي إلا نبي قتل وكان يدعوهم كما قال الله: ليلا ونهارا، سرا وجهارا بالنصيحة لهم، فلم يزدهم ذلك منه إلا فرارا، حتى إنه ليكلم الرجل منهم فيلف رأسه بثوبه، ويجعل أصابعه في أذنيه لئلا يسمع شيئا من قوله"[٣٣٨٦].

القرآن

{أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٦٣)} [الأعراف : ٦٣]

التفسير:

وهل أثار عجبكم أن أنزل الله تعالى إليكم ما يذكركم بما فيه الخير لكم، على لسان رجل منكم، تعرفون نسبه وصدقه; ليخوِّفكم بأس الله تعالى وعقابه، ولتتقوا سخطه بالإيمان به، ورجاء أن تظفروا برحمته وجزيل ثوابه؟

قوله تعالى:{وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف : ٦٣]، أي:" ورجاء أن تظفروا برحمته وجزيل ثوابه؟"[٣٣٨٧].

قال عطاء بن دينار:" لكي ترحمون فلا تعذبون"[٣٣٨٨].

القرآن

{فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ (٦٤)} [الأعراف : ٦٤]

التفسير:

فكذبوا نوحًا فأنجيناه ومَن آمن معه في السفينة، وأغرقنا الكفار الذين كذبوا بحججنا الواضحة. إنهم كانوا عُمْيَ القلوب عن رؤية الحق.

قوله تعالى:{وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} [الأعراف : ٦٤]، أي:" وأغرقنا الكفار الذين كذبوا بحججنا

أخرج ابن أبي حاتم عن أبي زهير، قال:" بلغني أن قوم نوح عاشوا في ذلك الغرق أربعين يوما"[٣٣٨٩].

قال محمد بن إسحاق:" فلقد غرقت الأرض وما فيها وانتهى الماء إلى ما انتهى إليه، وما جاوز الماء ركبته، ودأب الماء حين أرسله خمسين ومائة كما يزعم أهل التوراة فكان بين أن أرسل الله الطوفان، وبين أن

(٣٣٨٤) تفسير ابن ابي حاتم(٨٦٣٠):ص١٥٠٦/٥.
(٣٣٨٥) التفسير الميسر:١٥٨.
(٣٣٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٣٣):ص١٥٠٦/٥.
(٣٣٨٧) التفسير الميسر:١٥٨.
(٣٣٨٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٣٤):ص١٥٠٦/٥.
(٣٣٨٩) تفسير ابن أبي حاتم(٨٦٣٨):ص١٥٠٧/٥.

غاض الماء ستة أشهر وعشر ليال، ولما أراد الله أن يكف ذلك أرسل الله ريحا على وجه الماء فسكن الماء، واشتدت ينابيع الأرض الغمر الأكبر وأبواب السماء، فجعل الماء ينقص ويغيض ويدبر فكان استواء الفلك على الجودي فيما يزعم أهل التوراة في الشهر السابع لسبع عشرة ليلة مضت منه، وفي أول يوم من الشهر العاشر رأى رؤوس الجبال، فلما مضى بعد ذلك أربعون يوما فتح نوح عليه الصلاة والسلام كوة الفلك التي صنع فيها، ثم أرسل الغراب لينظر له ما فعل الماء فلم يرجع إليه، فأرسل الحمامة فرجعت إليه، فلم يجد لرجلها موضعا فبسط يده للحمامة فأخذها فأدخلها، فمكث سبعة أيام ثم أرسلها لتنظر له فرجعت إليه حين أمست وفي فمها ورقة زيتونة، فعلم نوح أن الماء قد قل، عن وجه الأرض، ثم مكث سبعة أيام ثم أرسلها فلم ترجع إليه فعلم نوح أن الأرض قد برزت"[٣٣٩٠].

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ} [الأعراف : ٦٤]، أي:" إنهم كانوا عُمْيَ القلوب عن رؤية الحق"[٣٣٩١].

عن مجاهد في قول الله:"{عمين}، قال: عن الحق"[٣٣٩٢].

قال عطاء:" فعماة، عن الخير"[٣٣٩٣].

القرآن

{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥)} [الأعراف : ٦٥]

التفسير:

ولقد أرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم هودا حين عبدوا الأوثان من دون الله، فقال لهم: اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا فأخلصوا له العبادة أفلا تتقون عذاب الله وسخطه عليكم؟

قوله تعالى:{وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا} [الأعراف : ٦٥]، أي:" ولقد أرسلنا إلى قبيلة عاد أخاهم هودا حين عبدوا الأوثان من دون الله"[٣٣٩٤].

عن ابن إسحاق: "ولد عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح"[٣٣٩٥].

وعن ابن إسحاق أيضا:" وكان من حديث عاد فيما بلغني والله أعلم: أنهم كانوا قوما عربا، فبعث الله إليهم هودا وهو من أوسطهم نسبا، وأفضلهم موضعا، فأمرهم أن يوحدوا الله عز وجل"[٣٣٩٦].

قال السدي:" إن عادا كانوا باليمن بالأحقاف والأحقاف هي الرمال، فأتاهم فوعظهم، وذكرهم بما قص الله في القرآن، فكذبوه وكفروا، وسألوه أن يأتيهم بالعذاب"[٣٣٩٧].

عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، قال: "سمعت علي بن أبي طالب عليه السلام يقول لرجل من حضرموت: هل رأيت كثيبًا أحمر تخالطه مَدَرَةٌ حمراء، ذا أرَاك وسِدْر كثير بناحية كذا وكذا من أرض حضرموت، هل رأيته؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! والله إنك لتنعته نعتَ رجل قد رآه! قال: لا ولكني قد حُدِّثت عنه. فقال الحضرمي: وما شأنه يا أمير المؤمنين؟ قال: فيه قبرُ هود صلوات الله عليه"[٣٣٩٨].

قوله تعالى:{قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف : ٦٥]، أي:" فقال لهم: اعبدوا الله وحده، ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا فأخلصوا له العبادة"[٣٣٩٩].

قال محمد بن إسحاق: "وكان من حديث عاد فيما بلغني -والله أعلم- أنهم كانوا قوما عربا، وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله صنم يقال له صداء وآخر يقال له صمود، وصنم يقال له الهباء «٢» ،

(٣٣٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٠):ص١٥٠٧/٥-١٥٠٨.

(٣٣٩١) التفسير الميسر:١٥٨.

(٣٣٩٢) أخرجه الطبري(١٤٧٩٣):ص٥٠٢/١٢.

(٣٣٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٢):ص١٥٠٨/٥.

(٣٣٩٤) التفسير الميسر:١٥٨.

(٣٣٩٥) أخرجه الطبري(١٤٨٠١):ص٥٠٦/١٢.

(٣٣٩٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٤٥):ص١٥٠٨/٥.

(٣٣٩٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٤٤):ص١٥٠٨/٥، والطبري (١٤٨٠٢):ص٥٠٧/١٢. مختصرا.

(٣٣٩٨) أخرجه الطبري(١٤٨٠٣):ص٥٠٧/١٢.

(٣٣٩٩) التفسير الميسر:١٥٨.

فبعث الله عز وجل لهم هودا فأمرهم أن يوحدوا الله، ولا يجعلوا معه إلها غيره، وأن يكفوا، عن ظلم الناس، ولم يأمرهم فيما يذكرون والله أعلم بغير ذلك"[٣٤٠٠].

قوله تعالى:{أَفَلَا تَتَّقُونَ} [الأعراف : ٦٥]، أي:" أفلا تتقون عذاب الله وسخطه عليكم؟"[٣٤٠١].

عن ابن إسحاق، قال:" كانت منازل عاد وجماعتهم، حين بعث الله فيهم هودًا، الأحقاف. قال: و"الأحقاف"، الرملُ، فيما بين عُمان إلى حضرموت، فاليمن كله. وكانوا مع ذلك قد فشوا في الأرض كلِّها، وقهروا أهلها بفضل قوّتهم التي آتاهم الله. وكانوا أصحاب أوثانٍ يعبدونها من دون الله: صنم يقال له"صُداء"، وصنم يقال له"صَمُود"، وصنم يقال له"الهباء". فبعث الله إليهم هودًا، وهو من أوْسطهم نسبًا، وأفضلهم موضعًا، فأمرهم أن يوحِّدوا الله ولا يجعلوا معه إلهًا غيره، وأن يكفُّوا عن ظلم الناس. ولم يأمرهم فيما يذكر، والله أعلم، بغير ذلك. فأبوا عليه وكذبوه. وقالوا:"من أشدّ منا قوة! ". واتبعه منهم ناسٌ، وهم يسيرٌ مكتتمون بإيمانهم. وكان ممن آمن به وصدّقه رجلٌ من عاد يقال له:"مرثد بن سعد بن عفير"، وكان يكتم إيمانه. فلما عتوا على الله تبارك وتعالى وكذبوا نبيَّهم، وأكثروا في الأرض الفساد، وتجبَّروا وبنوا بكل ريع آية عبَثًا بغير نفع، كلمهم هود فقال: {أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ} [سورة الشعراء: ١٢٨-١٣١] ، {قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} ، أي: ما هذا الذي جئتنا به إلا جنون أصابك به بعض آلهتنا هذه التي تعيب {قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لا تُنْظِرُونِ} ، إلى قوله: {صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} [سورة هود: ٥٣-٥٦] . فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر من السَّماء ثلاث سنين، فيما يزعمون، حتى جهدهم ذلك. وكان الناس في ذلك الزمان إذا نزل بهم بلاء أو جَهْد، فطلبوا إلى الله الفرج منه، كانت طِلبتهم إلى الله عند بيته الحرام بمكة، مسلمهم ومشركهم، فيجتمع بمكة ناس كثيرٌ شتى مختلفةٌ أديانُهم، وكلهم معظّم لمكة، يعرف حُرْمتها ومكانَها من الله.

قال ابن إسحاق: وكان البيت في ذلك الزمان معروفًا مكانه، والحرم قائم فيما يذكرون، وأهل مكة يومئذ العماليق وإنما سموا"العماليق"، لأن أباهم:"عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح" وكان سيد العماليق إذ ذاك بمكة، فيما يزعمون رجلا يقال له معاوية بن بكر، وكان أبوه حيًّا في ذلك الزمان، ولكنه كان قد كبر، وكان ابنه يرأس قومه. وكان السؤدد والشرف من العماليق، فيما يزعمون، في أهل ذلك البيت. وكانت أم معاوية بن بكر، كلهدة ابنة الخيبري، رجلٍ من عادٍ، فلما قَحَطَ المطر عن عاد وجُهدوا، قالوا: جهزوا منكم وفدًا إلى مكة فليستسقوا لكم، فإنكم قد هلكتم! فبعثوا قيل بن عنز ولقيم بن هزّال بن هزيل، وعتيل بن صُدّ بن عاد الأكبر. ومرثد بن سعد بن عفير، وكان مسلمًا يكتم إسلامه، وجُلْهُمَة بن الخيبري، خال معاوية بن بكر أخو أمه. ثم بعثوا لقمان بن عاد بن فلان بن فلان بن صُدّ بن عاد الأكبر. فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم معه رهط من قومه، حتى بلغ عدّة وفدهم سبعين رجلا. فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر، وهو بظاهر مكة خارجًا من الحرم، فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وصِهْرَه.

فلما نزل وفد عاد على معاوية بن بكر، أقاموا عنده شهرًا يشربون الخمر، وتغنِّيهم الجرادَتان قينتان لمعاوية بن بكر. وكان مسيرهم شهرًا، ومقامهم شهرًا. فلما رأى معاوية بن بكر طُول مقامهم، وقد بعثهم قومُهم يتعوَّذون بهم من البلاء الذي أصابهم، شقَّ ذلك عليه، فقال: هلك أخوالي وأصهاري! وهؤلاء مقيمون عندي، وهم ضيفي نازلون عليّ! والله ما أدري كيف أصنع بهم؟ أستحي أن آمرهم بالخروج إلى ما بعثوا له، فيظنوا أنه ضيق مني بمقامهم عندي، وقد هلك مَنْ وراءهم من قومهم جَهْدًا وعَطَشا!! أو كما قال. فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين، فقالتا: قل شعرًا نُغنِّيهم به، لا يدرون مَنْ قاله، لعل ذلك أن يحرِّكهم! فقال معاوية بن بكر، حين أشارتا عليه بذلك:

ألا يَا قَيْلَ، ويْحَكَ! قُمْ فَهَيْنِمْ ... لَعَلَّ اللهَ يُصْبِحُنَا غَمَامَا
فَيَسْقِي أرْضَ عَادٍ، إنَّ عَادًا ... قَدَ امْسَوا لا يُبِينُونَ الكَلامَا
مِنَ العَطَشِ الشَّدِيدِ، فَلَيْسَ نَرْجُو... بِهِ الشَّيْخَ الكَبِيرَ وَلا الغُلامَا
وَقَدْ كَانَتْ نِسَاؤُهُمُ بِخَيْرٍ ... فَقَدْ أمْسَتْ نِسَاؤُهُمُ عَيَامَى
وَإنَّ الْوَحْشَ تَأتِيهِمْ جِهَارًا ... وَلا تَخْشَى لِعَادِيٍّ سِهَامَا

(٣٤٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٦):ص١٥٠٨/٥.
(٣٤٠١) التفسير الميسر:١٥٨.

وَأَنْتُمْ هَا هُنَا فِيمَا اشْتَهَيْتُمْ ... نَهَارَكُمُ وَلَيْلُكُمُ التَّمَامَا
فَقُبِّحَ وَفْدُكُمْ مِنْ وَفْدِ قَوْمٍ ... وَلا لُقُّوا التَّحِيَّةَ وَالسَّلامَا

فلما قال معاوية ذلك الشعر، غنتهم به الجرادتان. فلما سمع القوم ما غنَّتا به، قال بعضهم لبعض: يا قوم، إنما بعثكم قومُكم يتعوَّذون بكم من هذا البلاء الذي نزل بهم، وقد أبطأتم عليهم! فادخلوا هذا الحرمَ واستسقوا لقومكم! فقال لهم مرثد بن سعد بن عفير: إنكم والله لا تُسْقَون بدعائكم، ولكن إن أطعتم نبيَّكم، وأنبتم إليه، سُقِيتم! فأظهر إسلامه عند ذلك، فقال لهم جُلْهُمة بن الخيبريّ، خال معاوية بن بكر، حين سمع قوله، وعرف أنه قد اتبع دين هودٍ وآمن به:

أَبَا سَعْدٍ فَإِنَّكَ مِنْ قَبِيلٍ ... ذَوِي كَرَمٍ وَأُمُّكَ مِنْ ثَمُودِ
فَإِنَّا لَنْ نُطِيعَكَ مَا بَقِينَا ... وَلَسْنَا فَاعِلِينَ لِمَا تُرِيدُ
أَتَأْمُرُنَا لِنَتْرُكَ دِينَ رِفْدٍ ... وَرَمْلَ وَآلَ صُدَّ والعُبُودِ
وَنَتْرُكَ دِينَ آباءٍ كِرَامٍ ... ذَوِي رَأْيٍ وَنَتْبَعَ دِينَ هُودِ

ثم قالوا لمعاوية بن أبي بكر وأبيه بكرٍ: احبسَا عَنَّا مرثد بن سعد، فلا يقدمنَّ معنا مكة، فإنه قد اتبع دين هود، وترك دينَنَا! ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد. فلما ولَّوا إلى مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية بن بكر حتى أدركهم بها، قبل أن يدعوا الله بشيء مما خرجوا له. فلما انتهى إليهم، قام يدعو الله بمكة، وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعُون، يقول:"اللهم أعطني سؤلي وحدي ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفدُ عاد"! وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد. وقال وفد عاد:"اللهمّ أعطِ قَيْلا ما سألك، واجعل سؤلَنا مع سُؤله"! وكان قد تخلّف عن وفد عاد حين دعا، لقمانُ بن عاد، وكان سيِّد عادٍ. حتى إذا فرغوا من دعوتهم قام فقال:"اللهم إني جئتك وحدي في حاجتي، فأعطني سؤلي"! وقال قيل بن عنز حين دعا:"يا إلهنا، إن كان هود صادقًا فاسقِنا، فإنّا قد هلكنا"! فأنشأ الله لهم سحائب ثلاثًا: بيضاء، وَحمراء، وسوداء. ثم ناداه منادٍ من السحاب:"يا قيل، اختر لنفسك ولقومك من هذه السحائب". فقال:"اخترت السحابة السوداء، فإنها أكثر السحاب ماءً"! فناداه منادٍ:"اخترت رَمَادًا، رِمْدِدًا، لا تُبقي مِن آل عاد أحدًا، لا والدًا تترك ولا ولدًا، إلا جعلته هَمِدًا، إلا بني اللُّوذِيّة المُهَدَّى" و"بنو اللوذية"، بنو لقيم بن هزّال بن هزيلة بن بكر، وكانوا سكانًا بمكة مع أخوالهم، ولم يكونوا مع عاد بأرضهم، فهم عادٌ الآخِرة، ومن كان من نسلهم الذين بقُوا من عاد.

وساق الله السحابة السوداء، فيما يذكرون، التي اختارها قَيْل بن عنز بما فيها من النقمة إلى عاد، حتى خرجت عليهم من وادٍ يقال له:"المغيث". فلما رأوها استبشروا بها، وقالوا: {هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا} ، يقول الله: {بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا} [سورة الأحقاف: ٢٤-٢٥] ، أي: كلّ شيء أُمِرَتْ به. وكان أوّل من أبصر ما فيها وعرف أنها ريح، فيما يذكرون، امرأة من عاد يقال لها"مَهْدَد"، فلما تيقنت ما فيها صاحت، ثم صَعِقت. فلما أن أفاقت قالوا: ماذا رأيت يا مهدد؟ قالت: رأيتُ ريحًا فيها كشُهُب النار، أمامها رجالٌ يقودُونها! فسخَّرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسومًا، كما قال الله و"الحسوم"، الدائمة فلم تدع من عاد أحدًا إلا هلك. فاعتزل هُود، فيما ذكر لي، ومن معه من المؤمنين في حظيرة، ما يصيبه ومن معه من الريح إلا ما تلين عليهِ الجلود، وتَلتذُّ الأنفس، وإنها لتمرُّ على عاد بالظَّعن بين السماء والأرض، وتدمغهم بالحجارة. وخرج وفد عاد من مكّة حتى مرُّوا بمعاوية بن بكر وأبيه، فنزلوا عليه. فبينما هم عنده، إذ أقبل رجل على ناقة له في ليلة مقمِرة مُسْيَ ثالثةٍ من مُصاب عادٍ، فأخبرهم الخبر، فقالوا له: أين فارقت هودًا وأصحابه؟ قال: فارقتهم بساحل البحر. فكأنهم شكُّوا فيما حدّثهم به، فقالت هزيلة بنت بكر: صدَق وربِّ الكعبة!"[٣٤٠٢].

القرآن

{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٦٦)} [الأعراف : ٦٦]

التفسير:

قال الكبراء الذين كفروا من قوم هود: إنا لنعلم أنك بدعوتك إيانا إلى ترك عبادة آلهتنا وعبادة الله وحده ناقص العقل، وإنا لنعتقد أنك من الكاذبين على الله فيما تقول.

(٣٤٠٢) تفسير الطبري(١٤٨٠٥):ص٥٠٧/١٢-٥١٣.

قوله تعالى:{وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [الأعراف : ٦٦]، أي:" وإنا لنعتقد أنك من الكاذبين على الله فيما تقول"[٣٤٠٣].

قال الحسن:" كان تكذيبهم إياه على الظن لا على اليقين"[٣٤٠٤].

القرآن

{قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧)} [الأعراف : ٦٧]

التفسير:

قال هود: يا قوم ليس بي نقص في عقلي، ولكني رسول إليكم من رب الخلق أجمعين.

قوله تعالى:{وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف : ٦٧]، أي:" ولكني رسول إليكم من رب الخلق أجمعين"[٣٤٠٥].

عن أبي العالية في قوله:"{رب العالمين}، قال: الجن عالم، والإنس عالم وسوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم من الملائكة، وعلى الأرض في كل زاوية منها أربعة آلاف وخمسمائة عالم خلقهم لعبادته تبارك وتعالى"[٣٤٠٦].

القرآن

{أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨)} [الأعراف : ٦٨]

التفسير:

أبلِّغكم ما أرسلني به ربي إليكم، وأنا لكم - فيما دعوتكم إليه من توحيد الله والعمل بشريعته - ناصح، أمين على وحي الله تعالى.

قوله تعالى:{أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي} [الأعراف : ٦٨]، أي:" أبلِّغكم ما أرسلني به ربي إليكم"[٣٤٠٧].

قال محمد بن إسحاق:" كان من حديث نوح وحديث قومه مما يذكر أهل العلم أنه كان حليما صبورا لم يلق نبي من قومه من البلايا أكثر مما لقي إلا نبي قتل وكان يدعوهم كما قال الله: ليلا ونهارا، سرا وجهارا بالنصيحة لهم، فلم يزدهم ذلك منه إلا فرارا، حتى إنه ليكلم الرجل منهم فيلف رأسه بثوبه، ويجعل أصابعه في أذنيه لئلا يسمع شيئا من قوله"[٣٤٠٨].

قال السدي:" فأتاهم- يعني: هودا- فوعظهم وذكرهم بما قص الله في كتابه فكذبوه وكفروا، وسألوه أن يأتيهم بالعذاب فقال لهم: إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به"[٣٤٠٩].

القرآن

{أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٦٩)} [الأعراف : ٦٩]

التفسير:

وهل أثار عجبكم أن أنزل الله تعالى إليكم ما يذكركم بما فيه الخير لكم، على لسان رجل منكم، تعرفون نسبه وصدقه; ليخوِّفكم بأس الله وعقابه؟ واذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم تخلفون في الأرض مَن قبلكم من بعد ما أهلك قوم نوح، وزاد في أجسامكم قوة وضخامة، فاذكروا نِعَمَ الله الكثيرة عليكم; رجاء أن تفوزوا الفوز العظيم في الدنيا والآخرة.

(٣٤٠٣) التفسير الميسر:١٥٨.

(٣٤٠٤)ذكره الواحدي في "البسيط": ٢٠٤/٩، والرازي في "تفسيره" ١٤/ ١٥٦، وأبو حيان في "البحر" ٤/ ٣٢٤، وقال ابن عطية ٥/ ٥٤٩: "هو ظن على بابه لأنهم لم يكن عندهم إلا ظنون وتخرص".

(٣٤٠٥) التفسير الميسر:١٥٨.

(٣٤٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٨):ص١٥٠٩/٥.

(٣٤٠٧)التفسير الميسر:١٥٩.

(٣٤٠٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٣٣):ص١٥٠٦/٥.

(٣٤٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٩):ص١٥٠٩/٥.

قوله تعالى:{وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ} [الأعراف : ٦٩]، أي:" واذكروا نعمة الله عليكم إذ جعلكم تخلفون في الأرض مَن قبلكم من بعد ما أهلك قوم نوح"[٣٤١٠].

قال السدي:" يقول: ذهب بقوم نوح، واستخلفكم من بعدهم"[٣٤١١].

قال محمد بن إسحاق:" أي: ساكني الأرض بعد قوم نوح"[٣٤١٢].

قوله تعالى:{وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً} [الأعراف : ٦٩]، أي:" وزاد في أجسامكم قوة وضخامة"[٣٤١٣].

وفي قوله تعالى:{وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً} [الأعراف : ٦٩]، وجهان:

أحدهما : في القوة، قاله السدي[٣٤١٤].

الثاني : بسط البدن وطول الجسد، وهذا مروي عن السدي أيضا[٣٤١٥].

قوله تعالى:{فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ} [الأعراف : ٦٩]، أي:" فاذكروا نِعَمَ الله الكثيرة عليكم;"[٣٤١٦].

قال قتادة:" أي: نعم الله"[٣٤١٧]. وروي عن السدي[٣٤١٨]، مثله.

قوله تعالى:{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأعراف : ٦٩]، أي:"رجاء أن تفوزوا الفوز العظيم في الدنيا والآخرة"[٣٤١٩].

قال الطبري:" يقول: كي تفلحوا فتدركوا الخلود والبقاء في النعم في الآخرة، وتنجحوا في طلباتكم عنده"[٣٤٢٠].

قال سعيد بن جبير:"يعني: لكي تفلحون"[٣٤٢١].

القرآن

{قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧٠)} [الأعراف : ٧٠]

التفسير:

قالت عاد لهود عليه السلام: أدعوتنا لعبادة الله وحده وهَجْر عبادة الأصنام التي ورثنا عبادتها عن آبائنا؟ فأتنا بالعذاب الذي تخوفنا به إن كنت من أهل الصدق فيما تقول.

قوله تعالى:{فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [الأعراف : ٧٠]، أي:" فأتنا بالعذاب الذي تخوفنا به إن كنت من أهل الصدق فيما تقول"[٣٤٢٢].

قال قتادة:" الصدق في النية والصدق في العمل، والصدق في الليل والنهار، والصدق في السر والعلانية"[٣٤٢٣].

القرآن

(٣٤١٠)التفسير الميسر:١٥٩.

(٣٤١١) أخرجه الطبري(١٤٧٩٥):ص٥٠٥/١٢.

(٣٤١٢) أخرجه الطبري(١٤٧٩٦):ص٥٠٥/١٢.

(٣٤١٣)التفسير الميسر:١٥٩.

(٣٤١٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٩٧):ص٥٠٦/١٢.

(٣٤١٥) أخرجه ابن أبي حاتم:١٥١٠/٥.

(٣٤١٦)التفسير الميسر:١٥٩.

(٣٤١٧) أخرجه الطبري(١٤٧٩٨):ص٥٠٦/١٢.

(٣٤١٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٧٩٩):ص٥٠٦/١٢.

(٣٤١٩)التفسير الميسر:١٥٩.

(٣٤٢٠) تفسير الطبري:٥٠٥/١٢.

(٣٤٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(٦٧٦٤):ص١٢٠٠/٤.

(٣٤٢٢)التفسير الميسر:١٥٩.

(٣٤٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٥٨):ص١٥١٠/٥-١١٥١١.

{قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ (٧١)} [الأعراف : ٧١]

التفسير:

قال هود لقومه: قد حلَّ بكم عذاب وغضب من ربكم جل وعلا أتجادلونني في هذه الأصنام التي سميتموها آلهة أنتم وآباؤكم؟ ما نزَّل الله بها من حجة ولا برهان; لأنها مخلوقة لا تضر ولا تنفع، وإنما المعبود وحده هو الخالق سبحانه، فانتظروا نزول العذاب عليكم فإني منتظر معكم نزوله.

قوله تعالى:{مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ} [الأعراف : ٧١]، أي:" ما نزَّل الله بها من حجة ولا برهان"[٣٤٢٤].

عن أبي مالك، ومحمد بن كعب، وعكرمة، وسعيد بن جبير، والضحاك، والنضر بن عربي:" كل سلطان في القرآن حجة"[٣٤٢٥].

القرآن

{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣)} [الأعراف : ٧٣]

التفسير:

ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحًا لمَّا عبدوا الأوثان من دون الله تعالى. فقال صالح لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده; ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة، قد جئتكم بالبرهان على صدق ما أدعوكم إليه، إذ دعوتُ الله أمامكم، فأخرج لكم من الصخرة ناقة عظيمة كما سألتم، فاتركوها تأكل في أرض الله من المراعي، ولا تتعرضوا لها بأي أذى، فيصيبكم بسبب ذلك عذاب موجع.

قوله تعالى:{وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا} [الأعراف : ٧٣]، أي:" ولقد أرسلنا إلى قبيلة ثمود أخاهم صالحًا لمَّا عبدوا الأوثان من دون الله تعالى"[٣٤٢٦].

قال السدي:" إن الله بعث صالحا إلى ثمود فدعاهم فكذبوا، فقال لهم ما ذكر الله في القرآن"[٣٤٢٧].

قوله تعالى:{قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف : ٧٣]، أي:" فقال صالح لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده; ليس لكم من إله يستحق العبادة غيره جل وعلا، فأخلصوا له العبادة"[٣٤٢٨].

قال محمد بن إسحاق:" فلما أهلك الله عادا، وانقضى أمرها عمرت ثمود بعدها فاستخلفوا في الأرض فربلوا فيها وانتشروا، ثم عتوا على الله، فلما ظهر فسادهم، وعبدوا غير الله، بعث الله إليهم صالحا، وكانوا قوما عربا، وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم موضعا رسولا. وكانت منازلهم الحجر إلى قزح وهو وادي القرى وبين ذلك ثمانية عشر ميلا فيما بين الحجاز والشام، فبعث الله إليهم غلاما شابا فدعاهم إلى الله حتى شمط وكبر لا يتبعه منهم أحد إلا قليل مستضعفون"[٣٤٢٩].

قوله تعالى:{قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً} [الأعراف : ٧٣]، أي:" جئتكم بالبرهان على صدق ما أدعوكم إليه هذه الناقة معجزتي إليكم"[٣٤٣٠].

عن يعقوب بن عتبة بن المغيرة أنه حدث:" أنهم نظروا إلى الهضبة حين دعا الله صالح بما دعا به تمخض بالناقة تمخض النتوج بولدها فتحركت الهضبة، ثم انتفضت فانصدغت، عن ناقة كما وصفوا جوفاء وبراء، نتوجا ما بين جنبيها لا يعلمه إلا الله عظما"[٣٤٣١].

(٣٤٢٤) التفسير الميسر:١٥٩.
(٣٤٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٧٨):ص١٠٣٠/٣.
(٣٤٢٦) التفسير الميسر:١٥٩.
(٣٤٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٦٤):ص١٥١٢/٥.
(٣٤٢٨) التفسير الميسر:١٥٩.
(٣٤٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٦٥):ص١٥١٢/٥.
(٣٤٣٠) التفسير الميسر:١٥٩.
(٣٤٣١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٦٧):ص١٥١٢/٥.

قوله تعالى:{فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ} [الأعراف : ٧٣]، أي:" فاتركوها تأكل في أرض الله من المراعي"[٣٤٣٢].

قال السدي:" فسألوا يعني صالحا أن يأتيهم بآية فجاءهم بالناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم وقال: فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فأقروا بها جميعا فذلك قوله: فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فكانوا قد أقروا به على وجه النفاق"[٣٤٣٣].

قال محمد بن إسحاق:" فمكثت الناقة التي أخرج الله لهم معها سقبها في أرض ثمود ترعى الشجر، وتشرب الماء، فقال لهم صالح: هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم"[٣٤٣٤].

قوله تعالى:{وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [الأعراف : ٧٣]، أي:" ولا تتعرضوا لها بأي أذى، فيصيبكم بسبب ذلك عذاب موجع"[٣٤٣٥].

عن أبي العالية، قال:"«الأليم»: الموجع في القرآن كله"[٣٤٣٦]. وكذلك فسره سعيد بن جبير، والضحاك ابن مزاحم، وقتادة، وأبي مالك وأبي عمران الجوني[٣٤٣٧].

القرآن

{وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آَلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (٧٤)} [الأعراف : ٧٤]

التفسير:

واذكروا نعمة الله عليكم، إذ جعلكم تَخْلُفون في الأرض مَن قبلكم، من بعد قبيلة عاد، ومكَّن لكم في الأرض الطيبة تنزلونها، فتبنون في سهولها البيوت العظيمة، وتنحتون من جبالها بيوتًا أخرى، فاذكروا نِعَمَ الله عليكم، ولا تَسْعَوا في الأرض بالإفساد.

قوله تعالى:{وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا} [الأعراف : ٧٤]، أي:" تنحتون الجبال لسكناكم"[٣٤٣٨].

قال السدي:" كانوا ينقبون في الجبال البيوتَ"[٣٤٣٩].

عن أبي صالح:"{وتنحتون الجبال بيوتا}، قال: حاذقين بنحتها"[٣٤٤٠].

قوله تعالى:{وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ} [الأعراف : ٧٤]، أي:" ولا تَسْعَوا في الأرض بالإفساد"[٣٤٤١].

قال قتادة:" يقول: لا تسيروا في الأرض مفسدين"[٣٤٤٢].

قال أبو مالك:" يعني لا تمشوا بالمعاصي"[٣٤٤٣].

القرآن

{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آَمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ (٧٥)} [الأعراف : ٧٥]

التفسير:

(٣٤٣٢) التفسير الميسر:١٥٩.
(٣٤٣٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٦٨):ص١٥١٢/٥-١٥١٣.
(٣٤٣٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٦٩):ص١٥١٣/٥.
(٣٤٣٥) التفسير الميسر:١٥٩.
(٣٤٣٦) تفسير ابن ابي حاتم(٨٦٧٠):ص١٥١٣/٥.
(٣٤٣٧) تفسير ابن ابي حاتم:١٥١٣/٥.
(٣٤٣٨) صفوة التفاسير:٤٢٣/١.
(٣٤٣٩) أخرجه الطبري(١٤٨٢٣):ص٥٤١/١٢.
(٣٤٤٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٧١):ص١٥١٣/٥.
(٣٤٤١) التفسير الميسر:١٦٠.
(٣٤٤٢) أخرجه الطبري(١٤٨٢٤):ص٥٤١/١٢-٥٤٢.
(٣٤٤٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٧٥):ص١٥١٤/٥.

قال السادة والكبراء من الذين استعلوا -من قوم صالح- للمؤمنين الذين استضعفوهم، واستهانوا بهم: أتعلمون حقيقة أن صالحًا قد أرسله الله إلينا؟ قال الذين آمنوا: إنا مصدقون بما أرسله الله به، متَّبعون لشرعه.

قوله تعالى:{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ} [الأعراف : ٧٥]، أي:" قال السادة والكبراء من الذين استعلوا -من قوم صالح- للمؤمنين الذين استضعفوهم، واستهانوا بهم أتعلمون حقيقة أن صالحًا قد أرسله الله إلينا؟"(٣٤٤٤).

قال أبو مالك:" {الملأ}، يعني: الأشراف من قومه"(٣٤٤٥).

قال محمد بن إسحاق:" فآمن به مخدع بن عمرو ومن كان معه على أزد من رهطه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا ويصدقوا فنهاهم دؤاب بن عمرو بن لبيد، والحباب صاحب أوثانهم، ورباب بن ظمعن بن جلهس، وكان كاهنهم، وكانوا من أشراف ثمود، فردوا ثمود وأشرافها، عن الإسلام والدخول فيما دعاهم إليه صالح من الرحمة والنجاة، وكان لجندع ابن عم له يقال له شهاب بن خليفة بن مخلاة بن الوليد بن جواس، فأراد أن يسلم فنهاه أولئك الرهط، عن ذلك فأطاعهم، وكان من أشراف ثمود وأفاضلها"(٣٤٤٦).

القرآن

{فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧)} [الأعراف : ٧٧]

التفسير:

فنحروا الناقة استخفافا منهم بوعيد صالح، واستكبروا عن امتثال أمر ربهم، وقالوا على سبيل الاستهزاء واستبعاد العذاب: يا صالح ائتنا بما تتوعَّدنا به من العذاب، إن كنت مِن رسل الله.

الفوائد:

قوله تعالى:{فَعَقَرُوا النَّاقَةَ} [الأعراف : ٧٧]، أي:" فنحروا الناقة استخفافا منهم بوعيد صالح"(٣٤٤٧).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فعقرت ثمودُ الناقة التي جعلها الله لهم آية.. وهو من قولهم:"جبّار عاتٍ"، إذا كان عاليًا في تجبُّره"(٣٤٤٨).

عن قتادة:" أن ثمودا لما عقروا الناقة تغامزوا وقالوا عليكم الفصيل، فصعد الفصيل القارة جبلا حتى إذا كان يوما استقبل القبلة وقال: يا رب أمي، يا رب أمي يا رب أمي، فأرسلت عليهم الصيحة عند ذلك"(٣٤٤٩).

قوله تعالى:{وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ} [الأعراف : ٧٧]، أي:" واستكبروا عن امتثال أمر ربهم"(٣٤٥٠).

عن مجاهد: "{وعتوا}، علوا عن الحق، لا يبصرون"(٣٤٥١). وفي رواية أخرى:" عتوا في الباطل وتركوا الحق"(٣٤٥٢). وفي لفظ:" غلوا في الباطل"(٣٤٥٣).

عن ابن إسحاق :"{وعتوا عن أمر ربهم}، وأجمعوا في عقر الناقة رأيهم"(٣٤٥٤).

قوله تعالى:{وَقَالُوا يَاصَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ} [الأعراف : ٧٧]، أي:" وقالوا على سبيل الاستهزاء واستبعاد العذاب: يا صالح ائتنا بما تتوعَّدنا به من العذاب، إن كنت مِن رسل الله"(٣٤٥٥).

(٣٤٤٤) التفسير الميسر:١٦٠.
(٣٤٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٩):ص١٥٠٥/٥.
(٣٤٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٧٦):ص١٥١٤/٥.
(٣٤٤٧) التفسير الميسر:١٦٠.
(٣٤٤٨) تفسير الطبري:٥٤٣/١٢.
(٣٤٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٧٨):ص١٥١٤/٥.
(٣٤٥٠) التفسير الميسر:١٦٠.
(٣٤٥١) أخرجه الطبري(١٤٨٢٥):ص٥٤٣/١٢.
(٣٤٥٢) أخرجه الطبري(١٤٨٢٦):ص٥٤٣/١٢.
(٣٤٥٣) تفسير مجاهد: ٣٣٩.
(٣٤٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٨٢):ص١٥١٥/٥.
(٣٤٥٥) التفسير الميسر:١٦٠.

عن قتادة :"أن صالحا قال لهم حين عقروا الناقة: تمتعوا في داركم ثلاثة أيام قال لهم: إن آية هلاككم أن تصبح وجوهكم غدا مصفرة. ثم تصبح اليوم الثاني محمرة ثم تصبح اليوم الثالث مسودة. فأصبحت كذلك، فلما كان اليوم الثالث أيقنوا فتكفنوا وتحنطوا، ثم أخذتهم الصيحة فأهمدتهم"[٣٤٥٦].

قال قتادة : «بلغني أن الذي قتل الناقة طاف عليهم كلهم ، أنهم راضون بقتلها حتى على النساء في خدورهن ، وعلى الصبيان أيضا»[٣٤٥٧].

عن عبد الله بن أبي الهذيل، قال: "لما عقرت الناقة صعد بكرها فوق الجبل فرغا فما سمعه شيء إلا همد"[٣٤٥٨].

القرآن

{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٧٨)} [الأعراف : ٧٨]

التفسير:

فأخذت الذين كفروا الزلزلةُ الشديدة التي خلعت قلوبهم، فأصبحوا في بلدهم هالكين، لاصقين بالأرض على رُكَبهم ووجوههم، لم يُفْلِت منهم أحد.

قوله تعالى:{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} [الأعراف : ٧٨]، أي:" فأخذت الذين كفروا الزلزلةُ الشديدة التي خلعت قلوبهم"[٣٤٥٩].

قال مجاهد: "{الرجفة}، الصيحة"[٣٤٦٠].

قوله تعالى:{فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [الأعراف : ٧٨]، أي:" ، فأصبحوا في بلدهم هالكين، لاصقين بالأرض على رُكَبهم ووجوههم، لم يُفْلِت منهم أحد "[٣٤٦١].

عن أبي مالك قوله: "{في دارهم}، يعني: المعسكر كله"[٣٤٦٢].

القرآن

{فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ (٧٩)} [الأعراف : ٧٩]

التفسير:

فأعرض صالح عليه السلام عن قومه -حين عقروا الناقة وحل بهم الهلاك- وقال لهم: يا قوم لقد أبلغتكم ما أمرني ربي بإبلاغه من أمره ونهيه، وبَذَلْت لكم وسعي في الترغيب والترهيب والنصح، ولكنكم لا تحبون الناصحين، فرددتم قولهم، وأطعتم كل شيطان رجيم.

قوله تعالى:{وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ} [الأعراف : ٧٩]، أي:" وقال لهم: يا قوم لقد أبلغتكم ما أمرني ربي بإبلاغه من أمره ونهيه، وبَذَلْت لكم وسعي في الترغيب والترهيب والنصح"[٣٤٦٣].

قال قتادة:" إن نبي الله صالحا أسمع قومه كما والله أسمع محمدا صلى الله عليه وسلم قومه"[٣٤٦٤].

القرآن

{وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠)} [الأعراف : ٨٠]

التفسير:

(٣٤٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٨٤):ص١٥١٥/٥.
(٣٤٥٧) تفسير ابن كثير:٤٤١/٣.
(٣٤٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٨٠):ص١٥١٥/٥.
(٣٤٥٩)التفسير الميسر:١٦٠.
(٣٤٦٠) أخرجه الطبري(١٤٨٢٨):ص٥٤٥/١٢.
(٣٤٦١) التفسير الميسر:١٦٠.
(٣٤٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٨٨):ص١٥١٦/٥.
(٣٤٦٣) التفسير الميسر:١٦٠.
(٣٤٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٩٠):ص١٥١٧/٥.

واذكر -أيها الرسول- لوطًا عليه السلام حين قال لقومه: أتفعلون الفعلة المنكرة التي بلغت نهاية القبح؟ ما فعلها مِن أحد قبلكم من المخلوقين.

قوله تعالى:{مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ} [الأعراف : ٨٠]، أي:" ما فعلها مِن أحد قبلكم من المخلوقين"[٣٤٦٥].

قال عمرو بن دينار:" ما رُئي ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط"[٣٤٦٦].

قال الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي ، باني جامع دمشق : "لولا أن الله ، عز وجل ، قص علينا خبر لوط ، ما ظننت أن ذكرًا يعلو ذكرًا"[٣٤٦٧].

القرآن

{إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ (٨١)} [الأعراف : ٨١]

التفسير:

إنكم لتأتون الذكور في أدبارهم، شهوة منكم لذلك، غير مبالين بقبحها، تاركين الذي أحلَّه الله لكم من نسائكم، بل أنتم قوم متجاوزون لحدود الله في الإسراف.

قوله تعالى:{إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ} [الأعراف : ٨١]، أي:" إنكم لتأتون الذكور في أدبارهم، شهوة منكم لذلك، غير مبالين بقبحها، تاركين الذي أحلَّه الله لكم من نسائكم"[٣٤٦٨].

قال وهب بن منبه: "كان سدوم الذين فيهم لوط قوم سوء قد استغنوا، عن النساء بالرجال"[٣٤٦٩].

عن جامع بن شداد أبي صخرة، قال: "كانت اللوطية في قوم لوط في النساء قبل أن تكون في الرجال بأربعين سنة"[٣٤٧٠].

قال محمد بن إسحاق: "كانت لهم ثمار وقرى لم يكن في الأرض مثلها فقصدهم الناس فآذوهم، فعرض لهم إبليس في صورة شيخ، فقال: إن فعلتم بهم كذا نجوتم، فأبوا فلما ألح عليهم الناس قصدوهم فأصابوهم غلمانا صباحا، فأخذوهم وقهروهم على أنفسهم فأخبثوا واستحكم ذلك فيهم"[٣٤٧١].

قال الحسن: "كانوا لا ينكحون إلا الغرباء"[٣٤٧٢].

القرآن

{وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢)} [الأعراف : ٨٢]

التفسير:

وما كان جواب قوم لوط حين أنكر عليهم فعلهم الشنيع إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطًا وأهله من بلادكم، إنه ومن تبعه أناس يتنزهون عن إتيان أدبار الرجال والنساء.

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} [الأعراف : ٨٢]، أي:" وما كان جواب قوم لوط حين أنكر عليهم فعلهم الشنيع إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطًا وأهله من بلادكم، إنه ومن تبعه أناس يتنزهون عن إتيان أدبار الرجال والنساء "[٣٤٧٣].

قال قتادة:" عابوهم بغير عَيْب، وذمُّوهم بغير ذَمّ"[٣٤٧٤].

عن مجاهد: "{إنهم أناس يتطهرون}، قال: من أدبار الرجال وأدبار النساء"[٣٤٧٥].

قال السدي:" يتحرَّجون"[٣٤٧٦].

(٣٤٦٥) التفسير الميسر:١٦٠.

(٣٤٦٦) أخرجه الطبري(١٤٨٣٣):ص٥٤٨/١٢.

(٣٤٦٧) تفسير ابن كثير:٤٤٥/٣.

(٣٤٦٨) التفسير الميسر:١٦٠.

(٣٤٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٩٨):ص١٥١٨/٥.

(٣٤٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٩٧):ص١٥١٨/٥.

(٣٤٧١) تفسير البغوي:٢٥٥/٣.

(٣٤٧٢) تفسير البغوي:٢٥٥/٣.

(٣٤٧٣) التفسير الميسر:١٦١.

(٣٤٧٤) أخرجه الطبري(١٤٨٣٨):ص٥٥٠/١٢.

(٣٤٧٥) أخرجه الطبري(١٤٨٣٤):ص٥٥٠/١٢.

القرآن

{فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣)} [الأعراف : ٨٣]

التفسير:

فأنجى الله لوطًا وأهله من العذاب حيث أمره بمغادرة ذلك البلد، إلا امرأته، فإنها كانت من الهالكين الباقين في عذاب الله.

قوله تعالى:{كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ} [الأعراف : ٨٣]، أي:" فإنها كانت من الهالكين الباقين في عذاب الله"[٣٤٧٧].

عن قتادة: "{إلا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ} [الشعراء: ١٧١، الصافات: ١٣٥] ، في عذاب الله"[٣٤٧٨].

عن قتادة:"{في الغابرين}، قال: في الباقين في عذاب الله"[٣٤٧٩].

القرآن

{وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤)} [الأعراف : ٨٤]

التفسير:

وعذَّب الله الكفار من قوم لوط بأن أنزل عليهم مطرًا من الحجارة، وقلب بلادهم، فجعل عاليها سافلها، فانظر -أيها الرسول- كيف صارت عاقبة الذين اجترؤوا على معاصي الله وكذبوا رسله.

قوله تعالى:{فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ} [الأعراف : ٨٤]، أي:" فانظر -أيها الرسول- كيف صارت عاقبة الذين اجترؤوا على معاصي الله وكذبوا رسله"[٣٤٨٠].

قال وهب بن منبه:" فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحه حتى بلغ أسفل الأرض، ثم حمل قراهم فقلبها عليهم، ونزلت حجارة من السماء فتبعث من لم يكن منهم في القرية حيث كانوا، فأهلكهم الله عز وجل ونجا لوط وأهله إلا امرأته"[٣٤٨١].

القرآن

{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٨٥)} [الأعراف : ٨٥]

التفسير:

ولقد أرسلنا إلى قبيلة «مدين» أخاهم شعيبًا عليه السلام، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له; ليس لكم مِن إله يستحق العبادة غيره جل وعلا فأخلصوا له العبادة، قد جاءكم برهان من ربكم على صِدْق ما أدعوكم إليه، فأدوا للناس حقوقهم بإيفاء الكيل، الميزان، ولا تنقصوهم حقوقهم فتظلموهم، ولا تفسدوا في الأرض -بالكفر والظلم- بعد إصلاحها بشرائع الأنبياء السابقين عليهم السلام. ذلك الذي دعوتكم إليه خير لكم في دنياكم وأخراكم، إن كنتم مصدقيَّ فيما دعوتكم إليه، عاملين بشرع الله.

قوله تعالى:{وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا} [الأعراف : ٨٥]، أي:" ولقد أرسلنا إلى قبيلة «مدين» أخاهم شعيبًا عليه السلام"[٣٤٨٢].

قال السدي:" إن الله تبارك وتعالى بعث شعيبا إلى مدين، وإلى أصحاب الأيكة، والأيكة هي الغيضة من الشجر"[٣٤٨٣].

(٣٤٧٦) أخرجه الطبري(١٤٨٣٧):ص٥٥٠/١٢.

(٣٤٧٧) التفسير الميسر:١٦١.

(٣٤٧٨) تفسير الطبري(١٤٨٣٩):ص٥٥٣/١٢.

(٣٤٧٩) تفسير ابن ابي حاتم(٨٧٠٣):ص١٥١٩/٥.

(٣٤٨٠) التفسير الميسر:١٦١.

(٣٤٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٠٤):ص١٥١٩/٥.

(٣٤٨٢) التفسير الميسر:١٦١.

(٣٤٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٠٥):ص١٥١٩/٥.

قوله تعالى:{فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ} [الأعراف : ٨٥]، أي:" فأدوا للناس حقوقهم بإيفاء الكيل، الميزان"[٣٤٨٤].

قال السدي:" إن الله بعث شعيبا إلى مدين فكانوا مع كفرهم يبخسون الكيل والوزن، فدعاهم فكذبوه، فقال لهم ما ذكر الله في القرآن، وما ردوا عليه فلما عتوا وكذبوا سألوه العذاب"[٣٤٨٥].

قال خلف بن حوشب: "هلك قوم شعيب من شعيرة إلى شعيرة، كانوا يأخذون بالرزينة، ويعطون بالخفيفة"[٣٤٨٦].

قوله تعالى:{وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ} [الأعراف : ٨٥]، أي:" ولا تنقصوهم حقوقهم فتظلموهم"[٣٤٨٧].

قال قتادة[٣٤٨٨] والسدي[٣٤٨٩]:" لا تظلموا الناس أشياءهم"[٣٤٩٠].

قوله تعالى:{وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا} [الأعراف : ٨٥]، أي:" ولا تفسدوا في الأرض - بالكفر والظلم- بعد إصلاحها بشرائع الأنبياء السابقين عليهم السلام"[٣٤٩١].

عن أبي سنان:{ ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها}" قد أحللت حلالي وحرمت حرامي وحددت حدودي فلا تغيروها"[٣٤٩٢].

عن سنيد بن داود، قال: "قيل لأبي بكر ابن عياش ما قوله في كتابه: {ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها}، فقال أبو بكر: إن الله عز وجل بعث محمدا صلى الله عليه وسلم إلى أهل الأرض وهم في فساد فأصلحهم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم فمن دعي إلى خلاف ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو من المفسدين في الأرض"[٣٤٩٣].

القرآن

{وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (٨٦)} [الأعراف : ٨٦]

التفسير:

ولا تقعدوا بكل طريق تتوعدون الناس بالقتل، إن لم يعطوكم أموالهم، وتصدُّون عن سبيل الله القويم من صدَّق به عز وجل، وعمل صالحًا، وتبغون سبيل الله أن تكون معوجة، وتميلونها اتباعًا لأهوائكم، وتنفِّرون الناس عن اتباعها. واذكروا نعمة الله تعالى عليكم إذ كان عددكم قليلا فكثَّركم، فأصبحتم أقوياء عزيزين، وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين في الأرض، وما حلَّ بهم من الهلاك والدمار؟

قوله تعالى:{وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ} [الأعراف : ٨٦]، أي:" ولا تقعدوا بكل طريق تتوعدون الناس بالقتل، إن لم يعطوكم أموالهم"[٣٤٩٤].

قال قتادة:" كانوا يوعدون مَنْ أتى شعيبًا وغشِيَه فأراد الإسلام"[٣٤٩٥].

قال السدي:" كانوا يقعدون على كل طريق يوعدون المؤمنين"[٣٤٩٦].

وعن السدي: "{ولا تقعدوا بكل صراط توعدون} ، قال: العشَّارُون"[٣٤٩٧]. قال ابن كثير:وهذا" أظهر"[٣٤٩٨].

(٣٤٨٤) التفسير الميسر:١٦١.
(٣٤٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٠٦):ص١٥١٩/٥.
(٣٤٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٠٧):ص١٥١٩/٥.
(٣٤٨٧) التفسير الميسر:١٦١.
(٣٤٨٨) أخرجه الطبري(١٤٨٤٢):ص٥٥٥/١٢.
(٣٤٨٩) أخرجه الطبري(١٤٨٤١):ص٥٥٥/١٢.
(٣٤٩٠) .
(٣٤٩١) التفسير الميسر:١٦١.
(٣٤٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧١٠):ص١٥٢٠/٥.
(٣٤٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧١١):ص١٥٢٠/٥.
(٣٤٩٤) التفسير الميسر:١٦١.
(٣٤٩٥) أخرجه الطبري(١٤٨٤٣):ص٥٥٦/١٢-٥٥٧.
(٣٤٩٦) أخرجه الطبري(١٤٨٤٧):ص٥٥٧/١٢.

قوله تعالى:{وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ} [الأعراف : ٨٦]، أي:" وتصدُّون عن سبيل الله القويم من صدَّق به عز وجل، وعمل صالحًا"(٣٤٩٩).

قال السدي:" يصدون من آمن، عن سبيل الله"(٣٥٠٠).

قوله تعالى:{وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا} [الأعراف : ٨٦]، أي:" وتبغون سبيل الله أن تكون معوجة"(٣٥٠١).

قال مجاهد:" يلتمسون لها الزيغ"(٣٥٠٢).

عن قتادة :"{عوجا}، قال: عوجا عن الحق"(٣٥٠٣).

عن السدي قوله: {عوجا}، قال: هلاكا"(٣٥٠٤).

القرآن

{وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ (٨٧)} [الأعراف : ٨٧]

التفسير:

وإن كان جماعة منكم صدَّقوا بالذي أرسلني الله به، وجماعة لم يصدِّقوا بذلك، فانتظروا أيها المكذبون قضاء الله الفاصل بيننا وبينكم حين يحلُّ عليكم عذابه الذي أنذرتكم به. والله -جلَّ وعلا- هو خير الحاكمين بين عباده.

قوله تعالى:{وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَمْ يُؤْمِنُوا} [الأعراف : ٨٧]، أي:" وإن كان جماعة منكم صدَّقوا بالذي أرسلني الله به، وجماعة لم يصدِّقوا بذلك"(٣٥٠٥).

قال مجاهد:" الطائفة: رجل إلى ألف رجل"(٣٥٠٦).

القرآن

{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ (٨٨)} [الأعراف : ٨٨]

التفسير:

قال السادة والكبراء من قوم شعيب الذين تكبروا عن الإيمان بالله واتباع رسوله شعيب عليه السلام: لنخرجنك يا شعيب ومَن معك من المؤمنين من ديارنا، إلا إذا صرتم إلى ديننا، قال شُعيب منكرًا ومتعجبًا من قولهم: أنتابعكم على دينكم وملَّتكم الباطلة، ولو كنا كارهين لها لعِلْمِنا ببطلانها؟

قوله تعالى:{قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ} [الأعراف : ٨٨]، أي:" قال السادة والكبراء من قوم شعيب الذين تكبروا عن الإيمان بالله واتباع رسوله شعيب عليه السلام"(٣٥٠٧).

قال أبو مالك:" {الملأ}، يعني: الأشراف من قومه"(٣٥٠٨).

القرآن

(٣٤٩٧) أخرجه الطبري(١٤٨٤٨):ص٥٥٧/١٢.

(٣٤٩٨) تفسير ابن كثير:٤٤٧/٣.

(٣٤٩٩) التفسير الميسر:١٦١.

(٣٥٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧١٨):ص١٥٢١/٥.

(٣٥٠١) التفسير الميسر:١٦١.

(٣٥٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٠):ص١٥٢١/٥.

(٣٥٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٣):ص١٥٢٢/٥.

(٣٥٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٤):ص١٥٢٢/٥.

(٣٥٠٥) التفسير الميسر:١٦١.

(٣٥٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٧):ص١٥٢٢/١٢.

(٣٥٠٧) التفسير الميسر:١٦٢.

(٣٥٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٨):ص١٥٢٢/١٢.

{قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ (٨٩)} [الأعراف : ٨٩]

التفسير:

وقال شعيب لقومه مستدركًا: قد اختلقنا على الله الكذب إن عُدْنا إلى دينكم بعد أن أنقذنا الله منه، وليس لنا أن نتحول إلى غير دين ربنا إلا أن يشاء الله ربنا، وقد وسع ربنا كل شيء علمًا، فيعلم ما يصلح للعباد، على الله وحده اعتمادنا هداية ونصرة، ربنا احكم بيننا وبين قومنا بالحق، وأنت خير الحاكمين.

قوله تعالى:{وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا} [الأعراف : ٨٩]، أي:" وليس لنا أن نتحول إلى غير دين ربنا"[٣٥٠٩].

قال السدي:" ما ينبغي لنا أن نعود في شرككم بعد إذ نجانا الله منها"[٣٥١٠].

قوله تعالى:{إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا} [الأعراف : ٨٩]، أي:" إلا أن يشاء الله ربنا"[٣٥١١].

قال السدي:" فالله لا يشاء الشرك، ولكن نقول: إلا أن يكون الله قد علم شيئا فإنه قد وسع كل شيء علما"[٣٥١٢].

قوله تعالى:{وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الأعراف : ٨٩]، أي:" وقد وسع ربنا كل شيء علمًا، فيعلم ما يصلح للعباد"[٣٥١٣].

قال السدي:" يقول: إلا أن يكون قد علم شيئا فإنه قد وسع كل شيء علما"[٣٥١٤].

قوله تعالى:{عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا} [الأعراف : ٨٩]، أي:"على الله وحده اعتمادنا هداية ونصرة"[٣٥١٥].

قال محمد بن إسحاق: وعلى الله لا على الناس فليتوكل المؤمنون"[٣٥١٦].

القرآن

{وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ (٩٠)} [الأعراف : ٩٠]

التفسير:

وقال السادة والكبراء المكذبون الرافضون لدعوة التوحيد إمعانًا في العتوِّ والتمرد، محذرين من اتباع شعيب: لئن اتبعتم شعيبًا إنكم إذًا لهالكون.

قوله تعالى:{وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ} [الأعراف : ٩٠]، أي:" قال الأشراف من قومه الفجرة الكفرة"[٣٥١٧].

قال أبو مالك:" {الملأ}، يعني: الأشراف من قومه"[٣٥١٨].

القرآن

{فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ (٩١)} [الأعراف : ٩١]

التفسير:

فأخذَتْ قومَ شعيب الزلزلةُ الشديدة، فأصبحوا في دارهم صرعى ميتين.

قال السدي:" إن الله بعث شعيبًا إلى مدين، وإلى أصحاب الأيكة، و«الأيكة»، هي الغيضة من الشجر، وكانوا مع كفرهم يبخَسون الكيل والميزان، فدعاهم فكذبوه، فقال لهم ما ذكر الله في القرآن، وما ردُّوا

(٣٥٠٩) التفسير الميسر:١٦٢.
(٣٥١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٩):ص١٥٢٣/٥.
(٣٥١١) التفسير الميسر:١٦٢.
(٣٥١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٠):ص١٥٢٣/٥.
(٣٥١٣) التفسير الميسر:١٦٢.
(٣٥١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣١):ص١٥٢٣/٥.
(٣٥١٥) التفسير الميسر:١٦٢.
(٣٥١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٢):ص١٥٢٣/٥.
(٣٥١٧) صفوة التفاسير:٤٢٥/١.
(٣٥١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٨):ص١٥٢٢/١٢.

عليه. فلما عتوا وكذبوه، سألوه العذابَ، ففتح الله عليهم بابًا من أبواب جهنم، فأهلكهم الحرّ منه، فلم ينفعهم ظلٌ ولا ماء. ثم إنه بعثَ سحابةً فيها ريحٌ طيبة، فوجدوا بَرْدَ الرّيح وطيبها، فتنادوا: الظُّلّة، عليكم بها! فلما اجتمعوا تحت السحابة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم، انطبقت عليهم فأهلكتهم، فهو قوله: {فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ} [سورة الشعراء: ١٨٩]"[٣٥١٩].

عن محمد بن إسحاق:" كان من خبر قصة شعيب وخبر قومه ما ذكر الله في القرآن. كانوا أهلَ بخسٍ للناس في مكاييلهم وموازينهم، مع كفرهم بالله، وتكذيبهم نبيَّهم. وكان يدعوهم إلى الله وعبادته، وترك ظلم الناس وبخسهم في مكاييلهم وموازينهم، فقال نُصْحًا لهم، وكان صادقا: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلا الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨] . قال ابن إسحاق: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم= فيما ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة إذا ذكر شعيبًا قال:"ذاك خطيب الأنبياء"! لحسن مراجعته قومه فيما يرادُ بهم. فلما كذَّبوه وتوعَّدوه بالرَّجْم والنفي من بلادهم، وعتوا على الله، أخذهُم عذاب يوم الظُّلة، إنه كان عذاب يوم عظيم. فبلغني أن رجلا من أهل مدين يقال له:" عمرو بن جلهاء، لما رآها قال:

يَا قَوْم إنَّ شُعَيْبًا مُرْسَلٌ فَذَرُوا ... عنكم سُمَيْرًا وَعِمْرَانَ بْنَ شَدَّادِ
إنِّي أَرَى غَبْيَةً يَا قَوْم قَدْ طَلَعَتْ ... تَدْعُو بِصَوْتٍ عَلَى صَمَّانَةِ الْوَادِي
وَإِنَّكُمْ لَنْ تَرَوْا فِيهَا ضَحَاءَ غَدٍ ... إلا الرَّقِيمَ يُمَشِّي بَيْنَ أَنْجَادِ

و"سمير" و"عمران"، كاهناهم و"الرقيم"، كلبهم.

قال ابن إسحاق : فبلغني، والله أعلم، أنَّ الله سلط عليهم الحرّ حتى أنضجهم، ثم أنشأ لهم الظُّلة كالسحابة السوداء، فلما رأوها ابتدرُوها يستغيثون ببَرْدها مما هم فيه من الحر، حتى إذا دَخلوا تحتها، أطبقت عليهم، فهلكوا جميعًا، ونجى الله شعيبًا والذين آمنوا معه برحمته"[٣٥٢٠].

قال أبو عبد الله البجلي:«"أبو جاد" و"هوّز" و"حُطّي" و"كلمون" و"سعفص" و"قرشت"، أسماء ملوك مدين، وكان ملكهم يوم الظلة في زمان شعيب"كلمون"، فقالت أخت كلمون تبكيه:

كَلْمُونٌ هَدَّ رُكْنِي ... هُلْكُهُ وَسْطَ المَحَلَّهْ
سَيِّدُ الْقَوْمِ أَتَاهُ الـ ... ـحَتْفُ نَارًا وَسْطَ ظُلَّهْ
جُعِلَتْ نَارًا عَلَيْهِمْ ... دَارُهُمْ كَالْمُضْمَحِلَّهْ»[٣٥٢١].

القرآن

{الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ (٩٢)} [الأعراف : ٩٢]

التفسير:

الذين كذَّبوا شعيبًا كأنهم لم يقيموا في ديارهم، ولم يتمتعوا فيها، حيث استؤصلوا، فلم يبق لهم أثر، وأصابهم الخسران والهلاك في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا} [الأعراف : ٩٢]، أي:" الذين كذَّبوا شعيبًا كأنهم لم يقيموا في ديارهم، ولم يتمتعوا فيها، حيث استؤصلوا فلم يبق لهم أثر"[٣٥٢٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فأهلك الذين كذبوا شعيبًا فلم يؤمنوا به، فأبادَهم، فصارت قريتهم منهم خاوية خلاءً كأن لم ينزلوا قطّ ولم يعيشوا بها حين هلكوا"[٣٥٢٣].

عن قتادة:"{كأن لم يغنوا فيها}، كأن لم يعيشوا، كأن لم ينعموا"[٣٥٢٤].

قال أبو مالك:" كأن لم يكونوا فيها"[٣٥٢٥].

(٣٥١٩) أخرجه الطبري(١٤٨٦٣):ص٥٦٦/١٢.

(٣٥٢٠) تفسير الطبري(١٤٨٦٤):ص٥٦٦/١٢-٥٦٨، وانظر: الدر المنثور ٣: ١٠٣، وقصص الأنبياء للثعلبي: ١٤٤.

(٣٥٢١) أخرجه الطبري(١٤٨٦٥):ص٥٦٨/١٢.

(٣٥٢٢) التفسير الميسر:١٦٢.

(٣٥٢٣) تفسير الطبري:٥٦٩/١٢.

(٣٥٢٤) أخرجه الطبري(١٤٨٦٦):ص٥٧٠/١٢.

(٣٥٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٧):ص١٥٢٤/٥.

القرآن

{فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ (٩٣)} [الأعراف : ٩٣]

التفسير:

فأعرض شعيب عنهم حينما أيقن بحلول العذاب بهم، وقال: يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي، ونصحت لكم بالدخول في دين الله والإقلاع عما أنتم عليه، فلم تسمعوا ولم تطيعوا، فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسله؟

قوله تعالى:{فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ} [الأعراف : ٩٣]، أي:" فكيف أحزن على قوم جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسله؟"(٣٥٢٦).

قال محمد بم إسحاق:" بلغني والله أعلم أن الله سلط عليهم الحر حتى إذا أنضجهم أنشأ لهم الظلة كالسحابة السوداء، فلما رأوها ابتدروها يستغيثون ببردها مما هم فيه، حتى إذا دخلوا تحتها أطبقت فهلكوا جميعا، ونجا الله عز وجل شعيبا والذين آمنوا معه فأصابه على قومه حزن لما نزل بهم من نقمة الله، ثم قال: يعزي نفسه فيما ذكر الله عنه: {يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين}"(٣٥٢٧).

القرآن

{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ (٩٤)} [الأعراف : ٩٤]

التفسير:

وما أرسلنا في قرية من نبي يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عمَّا هم فيه من الشرك، فكذَّبه قومه، إلا ابتليناهم بالبأساء والضراء، فأصبناهم في أبدانهم بالأمراض والأسقام، وفي أموالهم بالفقر والحاجة; رجاء أن يستكينوا، وينيبوا إلى الله، ويرجعوا إلى الحق.

قوله تعالى:{وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ} [الأعراف : ٩٤]، أي:" وما أرسلنا في قرية من نبي يدعوهم إلى عبادة الله، وينهاهم عمَّا هم فيه من الشرك، فكذَّبه قومه، إلا ابتليناهم بالبأساء والضراء، فأصبناهم في أبدانهم بالأمراض والأسقام، وفي أموالهم بالفقر والحاجة"(٣٥٢٨).

عن السدي: {أخذنا أهلها بالبأساء والضراء}، يقول: بالفقر والجوع"(٣٥٢٩).

عن الحسن: "{البأساء}، قال: البلاء"(٣٥٣٠)، "{والضراء}، قال: هذه الأمراض والجوع ونحو ذلك"(٣٥٣١).

عن سعيد بن جبير:"{فأخذناهم بالبأساء}، قال: خوفا من السلطان"(٣٥٣٢)، {والضراء}، يعني: حين البلاء والشدة"(٣٥٣٣).

قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ} [الأعراف : ٩٤]، أي:" رجاء أن يستكينوا، وينيبوا إلى الله، ويرجعوا إلى الحق"(٣٥٣٤).

قال أبو مالك:" {لعلهم}، يعني: كي"(٣٥٣٥).

القرآن

(٣٥٢٦) التفسير الميسر:١٦٢.

(٣٥٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٩):ص١٥٢٤/٥، والطبري(١٤٨٧١):ص٥٧١/١٢-٥٧٢، مختصرا.

(٣٥٢٨) التفسير الميسر:١٦٢.

(٣٥٢٩) أخرجه الطبري(١٤٨٧٢):ص٥٧٢/١٢.

(٣٥٣٠) تفسير ابن ابي حاتم(٨٧٤٢):ص١٥٢٥/١٢.

(٣٥٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٤٦):ص١٥٢٥/٥.

(٣٥٣٢) تفسير ابن ابي حاتم(٨٧٤٣):ص١٥٢٥/١٢.

(٣٥٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٤٥):ص١٥٢٥/٥.

(٣٥٣٤) التفسير الميسر:١٦٢.

(٣٥٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٤٧):ص١٥٢٦/٥.

{ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٩٥)} [الأعراف : ٩٥]

التفسير:

ثم بدَّلنا الحالة الطيبة الأولى مكان الحالة السيئة، فأصبحوا في عافية في أبدانهم، وسَعَة ورخاء في أموالهم; إمهالا لهم، ولعلهم يشكرون، فلم يُفِد معهم كل ذلك، ولم يعتبروا ولم ينتهوا عمَّا هم فيه، وقالوا: هذه عادة الدهر في أهله، يوم خير ويوم شر، وهو ما جرى لآبائنا من قبل، فأخذناهم بالعذاب فجأة وهم آمنون، لا يخطر لهم الهلاك على بال.

قوله تعالى:{ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ} [الأعراف : ٩٥]، أي:" ثم بدَّلنا الحالة الطيبة الأولى مكان الحالة السيئة، فأصبحوا في عافية في أبدانهم، وسَعَة ورخاء في أموالهم"[٣٥٣٦].

عن قتادة: "{مكان السيئة الحسنة}، قال: مكان الشدة رخاء"[٣٥٣٧].

قال مجاهد:" {السيئة}، الشر، و{الحسنة}، الرخاء والمالُ والولد"[٣٥٣٨]. وفي رواية:" و{الحسنة}، الخير"[٣٥٣٩].

قوله تعالى:{حَتَّى عَفَوْا} [الأعراف : ٩٥]، أي:" حتى كثروا ونموا"[٣٥٤٠].

واختلفوا في قوله تعالى:{حَتَّى عَفَوْا} [الأعراف : ٩٥]، على أقوال:

أحدها : حتى كثروا ، قاله مجاهد[٣٥٤١]، والسدي[٣٥٤٢]، والضحاك[٣٥٤٣]، ومنه قول لبيد[٣٥٤٤]:

وَأَنَاسٌ بَعْدَ قَتْلٍ قَدْ عَفَوا ... وَكَثِيرٌ زَالَ عَنْهُمْ فَانْتَقَلْ

الثاني : حتى سُرّوا ، قاله قتادة[٣٥٤٥].

الثالث : حتى سمنوا ، قاله الحسن[٣٥٤٦]، ومنه قول بشر بن أبي حازم[٣٥٤٧]:

فَلَمَّا أنْ عَفَا وَأَصَابَ مَالاً ... تَسَمَّنَ مَعْرِضاً فِيهِ ازْوِرَارُ

قوله تعالى:{فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [الأعراف : ٩٥]، أي:" فأخذناهم بالعذاب فجأة وهم آمنون، لا يخطر لهم الهلاك على بال"[٣٥٤٨].

قال السدي:" أخذهم العذاب بغتة"[٣٥٤٩].

عن محمد بن النضر الحارثي، في قوله: "{فأخذناهم بغتة}، قال: أمهلوا عشرين سنة"[٣٥٥٠].

قال قتادة:" بغت القوم أمر الله وما أخذ الله قوما قط إلا عند سلوتهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون"[٣٥٥١].

القرآن

{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٩٦)} [الأعراف : ٩٦]

(٣٥٣٦) التفسير الميسر:١٦٢.
(٣٥٣٧) أخرجه الطبري(١٤٨٧٣):ص٥٧٤/١٢.
(٣٥٣٨) أخرجه الطبري(١٤٨٧٤):ص٥٧٤/١٢.
(٣٥٣٩) أخرجه الطبري(١٤٨٧٥):ص٥٧٤/١٢.
(٣٥٤٠) صفوة التفاسير:٤٢٧/١.
(٣٥٤١) انظر: تفسير الطبري(١٤٨٧٩):ص٥٧٥/١٢.
(٣٥٤٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٨٨٠):ص٥٧٥/١٢.
(٣٥٤٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٨٨٤):ص٥٧٥/١٢.
(٣٥٤٤) انظر: النكت والعيون:٢٤٢/٢.
(٣٥٤٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٨٨٦):ص٥٧٦/١٢.
(٣٥٤٦) انظر: النكت والعيون:٢٤٢/٢.
(٣٥٤٧) انظر: النكت والعيون:٢٤٢/٢.
(٣٥٤٨) التفسير الميسر:١٦٢.
(٣٥٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٦٠):ص١٥٢٧/٥.
(٣٥٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٦٣):ص١٥٢٨/٥.
(٣٥٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٦١):ص١٥٢٧/٥-١٥٢٨.

التفسير:
ولو أنَّ أهل القرى صدَّقوا رسلهم واتبعوهم واجتنبوا ما نهاهم الله عنه، لفتح الله لهم أبواب الخير من كلِّ وجه، ولكنهم كذَّبوا، فعاقبهم الله بالعذاب المهلك بسبب كفرهم ومعاصيهم.

قوله تعالى:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا} [الأعراف : ٩٦]، أي:" ولو أنَّ أهل القرى صدَّقوا رسلهم واتبعوهم واجتنبوا ما نهاهم الله عنه"(٣٥٥٢).

قال قتادة:" آمنوا بما أنزل، اتقوا ما حرم الله"(٣٥٥٣).

قوله تعالى:{لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف : ٩٦]، أي:" لفتح الله لهم أبواب الخير من كلِّ وجه"(٣٥٥٤).

عن موسى الطائفي قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرموا الخبز فإن الله أنزله من بركات السماء، وأخرجه من بركات الأرض"(٣٥٥٥).

القرآن

{أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ (٩٧)} [الأعراف : ٩٧]

التفسير:
أيظن أهل القرى أنهم في منجاة ومأمن من عذاب الله، أن يأتيهم ليلا وهم نائمون؟

قوله تعالى:{أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ} [الأعراف : ٩٧]، أي:" أي هل أمن هؤلاء المكذبون أن يأتيهم عذابنا ليلاً وهم نائمون غافلون عنه؟"(٣٥٥٦).

عن المعلى بن زياد القردوسي قال: "كان هرم بن حيان يخرج في وسط الليل ثم يقرأ: {أفأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتا وهم نائمون}"(٣٥٥٧).

عن مالك بن دينار: "قالت ابنة الربيع لأبيها: يا أبتاه ما لي أرى الناس ينامون ولا أراك تنام قال: يا ابنتاه إني أخاف البيات"(٣٥٥٨).

قال مالك بن دينار:" لو استطعت أن لا أنام لم أنم مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم، ولو وجدت أعوانا لفرقتهم في منازل الأرض كلها ينادون أيها الناس: النار النار"(٣٥٥٩).

القرآن

{أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ (٩٩)} [الأعراف : ٩٩]

التفسير:
أفأمن أهل القرى المكذبة مَكْرَ الله وإمهاله لهم; استدراجًا لهم بما أنعم عليهم في دنياهم عقوبة لمكرهم؟ فلا يأمن مكر الله إلا القوم الهالكون.

قوله تعالى:{فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ} [الأعراف : ٩٩]، أي:" فلا يأمن مكر الله إلا القوم الهالكون"(٣٥٦٠).

عن هشام بن عروة، قال: " كتب رجل إلى صاحب له: وإذا رضيت من الله شيئا يسرك فلا تأمن أن يكون فيه من الله مكر {فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون} [الأعراف: ٩٩]"(٣٥٦١).

(٣٥٥٢) التفسير الميسر:١٦٣.
(٣٥٥٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٦٤)، و(٨٧٦٥):ص١٥٢٨/٥.
(٣٥٥٤) التفسير الميسر:١٦٣.
(٣٥٥٥) أخرجه الطبري(٨٧٦٦):ص١٥٢٨/٥.
(٣٥٥٦) صفوة التفاسير:٤٢٨/١.
(٣٥٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٦٧):ص١٥٢٨/٥.
(٣٥٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٦٨):ص١٥٢٨/٥.
(٣٥٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٦٩):ص١٥٢٨/٥.
(٣٥٦٠) التفسير الميسر:١٦٣.
(٣٥٦١) أخرجه ابن ابي حاتم:١٥٢٩/٥.

عن ابن زيد، عن أبيه:" أن الله، تبارك وتعالى قال للملائكة: ما هذا الخوف الذي قد بلغكم وقد أنزلتكم المنزلة التي لم أنزلها غيركم؟ فقالوا: «ربنا لا نأمن مكرك، لا يأمن مكرك إلا القوم الخاسرون»"[٣٥٦٢].

عن إسماعيل بن رافع، قال: "من الأمن لمكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة"[٣٥٦٣].

القرآن

{أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (١٠٠)} [الأعراف : ١٠٠]

التفسير:

أوَ لم يتبين للذين سكنوا الأرض من بعد إهلاك أهلها السابقين بسبب معاصيهم، فساروا سيرتهم، أن لو نشاء أصبناهم بسبب ذنوبهم كما فعلنا بأسلافهم، ونختم على قلوبهم، فلا يدخلها الحق، ولا يسمعون موعظة ولا تذكيرًا؟

قوله تعالى:{أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا} [الأعراف : ١٠٠]، أي:" أوَ لم يتبين للذين سكنوا الأرض من بعد إهلاك أهلها السابقين بسبب معاصيهم، فساروا سيرتهم"[٣٥٦٤].

عن مجاهد، قوله:"{أولم يهد}، يبين"[٣٥٦٥]. وروي عن عطاء الخراساني مثل ذلك[٣٥٦٦].

القرآن

{تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ (١٠١)} [الأعراف : ١٠١]

التفسير:

تلك القرى التي تَقَدَّم ذِكْرُها، وهي قرى قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، نقصُّ عليك -أيها الرسول- من أخبارها، وما كان من أمْر رسل الله التي أرسلت إليهم، ما يحصل به عبرة للمعتبرين وازدجار للظالمين. ولقد جاءت أهلَ القرى رسلنا بالحجج البينات على صدقهم، فما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل; بسبب طغيانهم وتكذيبهم بالحق، ومثل خَتْمِ الله على قلوب هؤلاء الكافرين المذكورين يختم الله على قلوب الكافرين بمحمد صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:{تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا} [الأعراف : ١٠١]، أي:" تلك القرى التي تَقَدَّم ذِكْرُها، وهي قرى قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب نقصُّ عليك -أيها الرسول- من أخبارها، وما كان من أمْر رسل الله التي أرسلت إليهم، ما يحصل به عبرة للمعتبرين وازدجار للظالمين"[٣٥٦٧].

قال أبو العالية:" {أنباء}، يعني: أحاديث"[٣٥٦٨].

قوله تعالى:{وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ} [الأعراف : ١٠١]، أي:" ولقد جاءت أهلَ القرى رسلنا بالحجج البينات على صدقهم، ما كانوا ليؤمنوا بما جاءتهم به الرسل لتكذيبهم إياهم قبل مجيئهم بالمعجزات وبعد مجيئهم بها فحالهم واحد في العتو والضلال"[٣٥٦٩].

وفي قوله تعالى: قوله تعالى:{فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ} [الأعراف : ١٠١]، وجوه:

أحدها: معنى ذلك: فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل، بما سبق في علم الله أنهم يكذبون به يوم أخرجهم من صُلب آدم عليه السلام. وهذا قول الربيع[٣٥٧٠].

(٣٥٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم:١٥٢٩/٥.
(٣٥٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم:١٥٢٩/٥.
(٣٥٦٤) التفسير الميسر:١٦٣.
(٣٥٦٥) أخرجه الطبري(١٤٨٨٧):ص٥٨٠/١٢، و ابن ابي حاتم:١٥٢٩/٥.
(٣٥٦٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٥٢٩/٥.
(٣٥٦٧) التفسير الميسر:١٦٣.
(٣٥٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٧٧):ص١٥٣٠/٥.
(٣٥٦٩) صفوة التفاسير:٤٢٨/١.
(٣٥٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٠٣):ص٨/١٣-٩.

قال الربيع بن أنس:" يحق على العباد أن يأخذوا من العلم ما أبدى لهم ربهم والأنبياء، ويدعوا علمَ ما أخفى الله عليهم، فإن علمه نافذٌ فيما كان وفيما يكون، وفي ذلك قال: "ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين"، قال: نفذ علمه فيهم، أيُّهم المطيع من العاصي حيث خلقهم في زمان آدم. وتصديق ذلك حيث قال لنوح: {اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ}[هود: ٤٨] ، وقال في ذلك: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ}[الأنعام: ٢٨] ، وفي ذلك قال: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا} [الإسراء: ١٥] ، وفي ذلك قال: {لِئَلا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: ١٦٥] ، ولا حجة لأحد على الله"[٣٥٧١].

الثاني: معنى ذلك: {فما كانوا} لو أحييناهم بعد هلاكهم ومعاينتهم ما عاينوا من عذاب الله، {ليؤمنوا بما كذبوا من قبل} هلاكهم، كما قال جل ثناؤه: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ}. وهذا قول مجاهد[٣٥٧٢].

عن مجاهد: في قول الله: {بما كذبوا من قبل}، قال: كقوله: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ}"[٣٥٧٣].

الثالث: معناه: فما كان هؤلاء المشركون الذين أهلكناهم من أهل القرى ليؤمنوا عند إرسالنا إليهم بما كذبوا من قبل ذلك، وذلك يوم أخذِ ميثاقهم حين أخرجهم من ظهر آدم عليه السلام. وهذا قول السدي [٣٥٧٤].

قال السدي:" ذلك يوم أخذ منهم الميثاق فآمنوا كرها"[٣٥٧٥].

والصواب هو قول الربيع، وذلك أن من سبق في علم الله تبارك وتعالى أنه لا يؤمن به، فلن يؤمن أبدًا، وقد كان سبق في علم الله تبارك وتعالى لمن هلك من الأمم التي قص نبأهم في هذه السورة، أنه لا يؤمن أبدًا، فأخبر جل ثناؤه عنهم، أنهم لم يكونوا ليؤمنوا بما هم به مكذبون في سابق علمه، قبل مجيء الرسل وعند مجيئهم إليهم. ولو قيل: تأويله: فما كان هؤلاء الذين وَرِثوا الأرض، يا محمد، من مشركي قومك من بعد أهلها، الذين كانوا بها من عاد وثمود، ليؤمنوا بما كذب به الذين ورثوها عنهم من توحيد الله ووعده ووعيده كان وجهًا ومذهبًا، غير أني لا أعلم قائلا قاله ممن يعتمد على علمه بتأويل القرآن[٣٥٧٦].

القرآن

{وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ (١٠٢)} [الأعراف : ١٠٢]

التفسير:

وما وَجَدْنا لأكثر الأمم الماضية من أمانة ولا وفاء بالعهد، وما وجدنا أكثرهم إلا فسقة عن طاعة الله وامتثال أمره.

قوله تعالى:{وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ} [الأعراف : ١٠٢]، أي:" وما وَجَدْنا لأكثر الأمم الماضية من أمانة ولا وفاء بالعهد"[٣٥٧٧].

وفي المراد بـ«العهد» هنا، قولان:

أحدها : الميثاق الذي أخذه الله عليهم في ظهر آدم. وهذا قول أبي العالية[٣٥٧٨].

الثاني : أنه ما عهد إليهم مع الأنبياء أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن العهد الوفاء. قاله الحسن[٣٥٧٩].

قوله تعالى:{وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ} [الأعراف : ١٠٢]، أي:" ، وما وجدنا أكثرهم إلا فسقة عن طاعة الله وامتثال أمره"[٣٥٨٠].

عن مجاهد: "{وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين}، قال: القرون الماضية"[٣٥٨١].

(٣٥٧١) أخرجه الطبري(١٤٩٠٣):ص٨/١٣-٩.
(٣٥٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٠٤):ص٩/١٣.
(٣٥٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٠٤):ص٩/١٣.
(٣٥٧٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٠١):ص٨/١٣.
(٣٥٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٠١):ص٨/١٣.
(٣٥٧٦) تفسير الطبري:١٠/١٣.
(٣٥٧٧) التفسير الميسر:١٦٣.
(٣٥٧٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٧٨١):ص١٥٣٠/٥.
(٣٥٧٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٧٨٣):ص١٥٣١/٥، والنكت والعيون:٢٤٤/٢.
(٣٥٨٠) التفسير الميسر:١٦٣.
(٣٥٨١) أخرجه الطبري(١٤٩٠٥):ص١١/١٣.

القرآن

{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ (١٠٣)} [الأعراف : ١٠٣]

التفسير:

ثم بعثنا من بعد الرسل المتقدم ذِكْرهم موسى بن عمران بمعجزاتنا البينة إلى فرعون وقومه، فجحدوا وكفروا بها ظلمًا منهم وعنادًا، فانظر -أيها الرسول- متبصرًا كيف فعلنا بهم وأغرقناهم عن آخرهم بمرأى من موسى وقومه؟ وتلك نهاية المفسدين.

قوله تعالى:{ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ} [الأعراف : ١٠٣]، أي:" ثم بعثنا من بعد الرسل المتقدم ذِكْرهم موسى بن عمران بمعجزاتنا البينة إلى فرعون وقومه"(٣٥٨٢).

قال مجاهد:" كان فرعون فارسيا من أهل اصطخر"(٣٥٨٣).

قال محمد بن المنكدر: "عاش فرعون ثلاثمائة سنة منها مائتان وعشرون سنة لم ير فيها ما يقذي عينه ودعاه موسى ثمانين سنة"(٣٥٨٤).

قوله تعالى:{فَظَلَمُوا بِهَا} [الأعراف : ١٠٣]، أي:" فجحدوا وكفروا بها ظلمًا منهم وعنادًا"(٣٥٨٥).

القرآن

{وَقَالَ مُوسَى يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٠٤)} [الأعراف : ١٠٤]

التفسير:

وقال موسى لفرعون محاورًا مبلِّغًا: إني رسولٌ من الله خالق الخلق أجمعين، ومدبِّر أحوالهم ومآلهم.

عن أبي العالية في قوله:"{رب العالمين}، قال: الجن عالم، والإنس عالم وسوى ذلك ثمانية عشر ألف عالم من الملائكة، وعلى الأرض في كل زاوية منها أربعة آلاف وخمسمائة عالم خلقهم لعبادته تبارك وتعالى"(٣٥٨٦).

القرآن

{قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (١٠٦)} [الأعراف : ١٠٦]

التفسير:

قال فرعون لموسى: إن كنتَ جئتَ بآية حسب زعمك فأتني بها، وأحضرها عندي; لتصحَّ دعواك ويثبت صدقك، إن كنت صادقًا فيما ادَّعيت أنك رسول رب العالمين.

عن السدي، قال: "ثم قال له فرعون: {إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين}، وذلك بعد ما قال الله من الكلام ما ذكر الله، قال له موسى {أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ} [الشعراء : ٣٠]"(٣٥٨٧).

القرآن

{فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (١٠٧)} [الأعراف : ١٠٧]

التفسير:

فألقى موسى عصاه، فتحولت حيَّة عظيمة ظاهرة للعيان.

قوله تعالى:"{فَأَلْقَى عَصَاهُ} [الأعراف : ١٠٧]، أي:" فألقى موسى عصاه"(٣٥٨٨).

قال الحكم: "كانت عصى موسى -عليه الصلاة والسلام- من عوسج ولم يسخر العوسج لأحد بعده"(٣٥٨٩).

(٣٥٨٢) التفسير الميسر:١٦٣.

(٣٥٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٨٧):ص١٥٣١/٥.

(٣٥٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٨٦):ص١٥٣١/٥.

(٣٥٨٥) التفسير الميسر:١٦٣.

(٣٥٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٨):ص١٥٠٩/٥.

(٣٥٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٥٨٢):ص٢٧٥٧/٨.

(٣٥٨٨) التفسير الميسر:١٦٤.

قال وهب بن منبه: "لما دخل موسى على فرعون، قال له فرعون: أعرفك؟ قال: نعم! قال: أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا؟ [سورة الشعراء: ١٨] . قال: فرد إليه موسى الذي ردَّ، فقال فرعون: خذوه! فبادره موسى فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين، فحملت على الناس فانهزموا، فمات منهم خمسة وعشرون ألفًا، قتل بعضُهم بعضًا، وقام فرعون منهزمًا حتى دخل البيتَ"(٣٥٩٠)(٣٥٩١).

قوله تعالى:"{فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ} [الأعراف : ١٠٧]، أي:" فتحولت حيَّة عظيمة ظاهرة للعيان"(٣٥٩٢).

قال قتادة:" تحولت حية عظيمة"(٣٥٩٣).

قال السدي:" والثعبان: الذكر من الحيات، فاتحةً فاها، واضعة لحيها الأسفل في الأرض، والأعلى على سور القصر، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه، فلما رأها دُعِر منها، ووثب فأحدث، ولم يكن يُحْدِث قبل ذلك، وصاح: يا موسى، خذها وأنا مؤمن بك، وأرسل معك بنى إسرائيل! فأخذها موسى فعادت عصًا"(٣٥٩٤).

وعن مجاهد في قوله: "{فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى} [سورة طه: ٢٠] ، قال: ما بين لَحْيَيها أربعون ذراعًا"(٣٥٩٥).

القرآن

{وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (١٠٨)} [الأعراف : ١٠٨]

التفسير:

وجذب يده من جيبه أو من جناحه فإذا هي بيضاء كاللبن من غير برص آية لفرعون، فإذا ردَّها عادت إلى لونها الأول، كسائر بدنه.

قوله تعالى:{فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ} [الأعراف : ١٠٨]، أي:" فإذا هي بيضاء كاللبن من غير برص"(٣٥٩٦).

قال مجاهد:" بيضاء من غير برص"(٣٥٩٧).

قال السدي:" وكان موسى رجلا آدم، فأخرج يده، فإذا هي بيضاء، أشد بياضا اللبن {من غير سوء}، قال: من غير برص، آيةً لفرعون"(٣٥٩٨).

القرآن

{قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩)} [الأعراف : ١٠٩]

التفسير:

قال الأشراف من قوم فرعون: إن موسى لساحر يأخذ بأعين الناس بخداعه إياهم، حتى يخيل إليهم أن العصا حية، والشيء بخلاف ما هو عليه، وهو واسع العلم بالسحر ماهر به.

قوله تعالى:{قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ} [الأعراف : ١٠٩]، أي:" قال الأشراف من قوم فرعون"(٣٥٩٩).

قال أبو مالك:" {الملأ}، يعني: الأشراف من قومه"(٣٦٠٠).

(٣٥٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩١):ص١٥٣٢/٥.

(٣٥٩٠) أخرجه الطبري(١٤٩١٥):ص١٦/١٣-١٧، وابن أبي حاتم(٨٧٩٢):ص١٥٣٢/٥.

(٣٥٩١)قال ابن كثير-بعد أن ذكر الخبر السابق عن وهب بن منبه-:" وفيه غرابة في سياقه والله أعلم". [تفسير ابن كثير:٤٥٥/٣].

(٣٥٩٢) التفسير الميسر:١٦٤.

(٣٥٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٥):ص١٥٣٢/٥.

(٣٥٩٤) أخرجه الطبري(١٤٩١١):ص١٥/١٣-١٦.

(٣٥٩٥) أخرجه الطبري(١٤٩١٦):ص١٧/١٣.

(٣٥٩٦) التفسير الميسر:١٦٤.

(٣٥٩٧) أخرجه الطبري(١٤٩٢٠):ص١٨/١٣.

(٣٥٩٨) أخرجه الطبري(١٤٩٢٣):ص١٨/١٣.

(٣٥٩٩) التفسير الميسر:١٦٤.

(٣٦٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٩):ص١٥٠٥/٥.

القرآن

{يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠)} [الأعراف : ١١٠]

التفسير:

يريد أن يخرجكم جميعًا من أرضكم، قال فرعون: فبماذا تشيرون عليَّ أيها الملأ في أمر موسى؟

قوله تعالى:{يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ} [الأعراف : ١١٠]، أي:" يريد أن يخرجكم جميعًا من أرضكم بسحره"(٣٦٠١).

قال السدي:" يستخرجكم من أرضكم"(٣٦٠٢).

قوله تعالى:{فَمَاذَا تَأْمُرُونَ} [الأعراف : ١١٠]، أي:" فبماذا تشيرون عليَّ أيها الملأ في أمر موسى؟"(٣٦٠٣).

عن محمد بن إسحاق:" {فماذا تأمرون}: أأقتله؟"(٣٦٠٤).

القرآن

{قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١)} [الأعراف : ١١١]

التفسير:

قال مَن حضر مناظرة موسى مِن سادة قوم فرعون وكبرائهم: أخِّر موسى وأخاه هارون، وابعث في مدائن «مصر» وأقاليمها الشُّرَط.

قوله تعالى:{قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ} [الأعراف : ١١١]، أي:" قال مَن حضر مناظرة موسى مِن سادة قوم فرعون وكبرائهم: أخِّر موسى وأخاه هارون"(٣٦٠٥).

قال قتادة:" احبسه وأخاه"(٣٦٠٦).

قوله تعالى:{وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} [الأعراف : ١١١]، أي:" وابعث في مدائن «مصر» وأقاليمها الشُّرَط"(٣٦٠٧).

عن مجاهد : "{في المدائن حاشرين}، قال: الشُّرَط "(٣٦٠٨)، وروي عن السدي(٣٦٠٩) مثل ذلك.

القرآن

{يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢)} [الأعراف : ١١٢]

التفسير:

ليجمعوا لك كل ساحر واسع العلم بالسحر.

قال ابن إسحاق والسدي:" قال فرعون لما رأى من سلطان الله في العصا ما رأى: إنا لا نغالب إلا بمن هو +أعلم منه، فاتخذ غلمانا من بني إسرائيل فبعث بهم إلى قرية يقال لها الفرحاء يعلمونهم السحر، فعلموهم سحرا كثيرا، وواعد فرعون موسى موعدا فبعث إلى السحرة فجاءوا ومعلمهم معهم، فقال له: ماذا صنعت؟ قال: قد علمتهم سحرا لا يطيقه سحرة أهل الأرض إلا أن يكون أمرا من السماء، فإنه لا طاقة لهم به، ثم بعث فرعون في مملكته فلم يترك في سلطانه ساحرا إلا أتى به"(٣٦١٠).

(٣٦٠١) التفسير الميسر:١٦٤.[بتصرف بسيط]

(٣٦٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٨):ص١٥٣٣/٥.

(٣٦٠٣) التفسير الميسر:١٦٤.

(٣٦٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٠٤):ص٢٧٦١/٨.

(٣٦٠٥) التفسير الميسر:١٦٤.

(٣٦٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩١):ص١٥٣٣/٥.

(٣٦٠٧) التفسير الميسر:١٦٤.

(٣٦٠٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٢٧):ص٢٣/١٣.

(٣٦٠٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٢٨):ص٢٣/١٣.

(٣٦١٠) تفسير البغوي: ٢٦٤/٣.

القرآن

{وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣)} [الأعراف : ١١٣]

التفسير:

وجاء السحرة فرعون قالوا: أئنَّ لنا لجائزة ومالا إن غَلَبْنا موسى؟

قوله تعالى:{وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ} [الأعراف : ١١٣]، أي:" فلما جاء السحرة فرعون"(٣٦١١).

عن عكرمة قال: "السحرة كانوا سبعين، قال أبو جعفر: أحسبه أنه قال: ألفًا"(٣٦١٢).

قال محمد بن كعب:" السحرة الذين توفاهم الله مسلمين ثمانين ألفا"(٣٦١٣).

عن كعب قال: "كانت سحرة فرعون اثنى عشر ألفا"(٣٦١٤).

وفي رواية أخرى عن كعب، قال: "كانت سحرة فرعون تسعة عشر ألفا"(٣٦١٥).

وعن أبي ثمامة، قال: "سحرة فرعون سبعة عشر ألفا"(٣٦١٦).

قال السدي:" كان يعين السحرة بضعة وثلاثين ألفا ليس منهم رجل إلا ومعه حبل أو عصا"(٣٦١٧).

قوله تعالى:{قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ} [الأعراف : ١١٣]، أي:" قالوا: أئنَّ لنا لجائزة ومالا إن غَلَبْنا موسى؟"(٣٦١٨).

قال السدي:" يقول: عطية تعطينا{إن كنا نحن الغالبين}"(٣٦١٩).

قال ابن إسحاق:" وبعث فرعون في مملكته، فلم يترك في سلطانه ساحرًا إلا أتي به. فذكر لي، والله أعلم، أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر، فلما اجتمعوا إليه، أمرهم أمره، وقال لهم: قد جاءنا ساحرٌ ما رأينا مثله قط، وإنكم إن غلبتموه أكرمتكم وفضلتكم، وقرَّبتكم على أهل مملكتي! قالوا: وإن لنا ذلك إن غلبناه؟ قال: نعم!"(٣٦٢٠).

القرآن

{قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥)} [الأعراف : ١١٥]

التفسير:

قال سحرة فرعون لموسى على سبيل التكبر وعدم المبالاة: يا موسى اختر أن تُلقي عصاك أولا أو نُلقي نحن أولا.

قال ابن إسحاق:" صف خمسة عشر ألف ساحر، مع كل ساحر حباله وعصيه. وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه حتى أتى الجمع، وفرعون في مجلسه مع أشراف مملكته، ثم قالت السحرة: {يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى..}"(٣٦٢١).

القرآن

{قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦)} [الأعراف : ١١٦]

التفسير:

قال موسى للسحرة: ألقوا أنتم، فلما ألقَوا الحبال والعصيَّ سحروا أعين الناس، فخُيِّل إلى الأبصار أن ما فعلوه حقيقة، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال، وأرهبوا الناس إرهابًا شديدًا، وجاؤوا بسحر قوي كثير.

قوله تعالى:{قَالَ أَلْقُوا} [الأعراف : ١١٦]، أي:" قال موسى للسحرة: ألقوا أنتم"(٣٦٢٢).

(٣٦١١) التفسير الميسر:١٦٤.[بتصرف بسيط]

(٣٦١٢) أخرجه الطبري(١٤٩٣٥):ص٢٦/١٣.

(٣٦١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٦):ص١٥٣٤/٥.

(٣٦١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٧):ص١٥٣٤/٥.

(٣٦١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٨):ص١٥٣٤/٥.

(٣٦١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٩):ص١٥٣٥/٥.

(٣٦١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠٠):ص١٥٣٥/٥.

(٣٦١٨) التفسير الميسر:١٦٤.

(٣٦١٩) أخرجه الطبري(١٤٩٣٣):ص٢٥/١٣.

(٣٦٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٣٤):ص٢٥/١٣-٢٦.

(٣٦٢١) أخرجه الطبري(١٤٩٤٠):ص٢٨/١٣.

قال السدي:" قال لهم موسى: ألقوا ما أنتم ملقون!"[٣٦٢٣].

قوله تعالى:{فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ} [الأعراف : ١١٦]، أي:" فلما ألقَوا الحبال والعصيَّ سحروا أعين الناس، فخُيِّل إلى الأبصار أن ما فعلوه حقيقة، ولم يكن إلا مجرد صنعة وخيال"[٣٦٢٤].

قال السدي:" فألقوا حبالهم وعصيهم! وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ليس منهم رجل إلا معه حبل وعصا"[٣٦٢٥].

قوله تعالى:{وَاسْتَرْهَبُوهُمْ} [الأعراف : ١١٦]، أي:" وأرهبوا الناس إرهابًا شديدًا يث خيلوها حياتٍ تسعى"[٣٦٢٦].

قال السدي:" يقول: فرَّقوهم[٣٦٢٧]، فأوجس في نفسه خيفة موسى"[٣٦٢٨].

قوله تعالى:{وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ} [الأعراف : ١١٦]، أي:" وجاؤوا بسحر قوي كثير"[٣٦٢٩].

قال ابن إسحاق:"..فكان أوّل ما اختطفوا بسحرهم بصرَ موسى وبصرَ فرعون، ثم أبصارَ الناس بعدُ. ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصيّ والحبال، فإذا هي حيات كأمثال الجبال، قد ملأت الوادي يركبُ بعضها بعضًا {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى}، [طه: ٦٧] ، وقال: والله إن كانت لعصيًّا في أيديهم، ولقد عادت حيات! وما تعدو عصايَ هذه! أو كما حدّث نفسه"[٣٦٣٠].

قال القاسم بن أبي بزة: "جمع فرعون سبعين ألف ساحر، وألقوا سبعينَ ألف حبل، وسبعين ألف عصًا، حتى جعل يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى"[٣٦٣١].

القرآن

{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧)} [الأعراف : ١١٧]

التفسير:

وأوحى الله إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم الذي فرَّق الله فيه بين الحق والباطل، يأمره بأن يُلقي ما في يمينه وهي عصاه، فألقاها فإذا هي تبلع ما يلقونه، ويوهمون الناس أنه حق وهو باطل.

قوله تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ} [الأعراف : ١١٧]، أي:" وأوحى الله إلى عبده ورسوله موسى عليه السلام في ذلك الموقف العظيم الذي فرَّق الله فيه بين الحق والباطل: بأن ألق عصاك"[٣٦٣٢].

قال قتادة:" فألقى عصاه، فتحولت حية"[٣٦٣٣].

قوله تعالى:{فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ} [الأعراف : ١١٧]، أي:" فألقاها فإذا هي تبلع ما يلقونه، ويوهمون الناس أنه حق وهو باطل"[٣٦٣٤].

عن مجاهد: "{يأفكون}، قال: يكذبون"[٣٦٣٥].

عن الحسن: "{تلفق ما يأفكون}، قال: حيالهم وعصيهم، تسترطها استراطا"[٣٦٣٦].

(٣٦٢٢) التفسير الميسر:١٦٤.

(٣٦٢٣) أخرجه الطبري(١٤٩٣٨):ص٢٧/١٢.

(٣٦٢٤) التفسير الميسر:١٦٤.

(٣٦٢٥) أخرجه الطبري(١٤٩٣٨):ص٢٧/١٢-٢٨.

(٣٦٢٦) التفسير الميسر:١٦٤.

(٣٦٢٧)فرقوهم: بتشديد الراء، أدخلوا عليهم الفرق -بفتح الفاء والراء-، وهو الفزع..

(٣٦٢٨) أخرجه الطبري(١٤٩٣٨):ص٢٧/١٢-٢٨.

(٣٦٢٩) التفسير الميسر:١٦٤.

(٣٦٣٠) أخرجه الطبري(١٤٩٤٠):ص٢٨/١٣.

(٣٦٣١) أخرجه الطبري(١٤٩٤١):ص٢٨/١٣.

(٣٦٣٢) التفسير الميسر:١٦٤.

(٣٦٣٣) تفسير عبدالرزاق(٩٢٥):ص٨٦/٢.

(٣٦٣٤) التفسير الميسر:١٦٤.

(٣٦٣٥) أخرجه الطبري(١٤٩٤٧):ص٣٠/١٣.

قال قتادة:" فألقى موسى عصاه، فتحولت حية، فأكلت سحرهم كله"[٣٦٣٧]

قال السدي:" أوحى الله إلى موسى: لا تخف، وألق ما في يمينك تلقف ما يأفكون. فألقى عصاه، فأكلت كل حية لهم. فلما رأوا ذلك سجدوا، وقالوا: آمنا برب العالمين، رب موسى وهارون"[٣٦٣٨].

قال ابن إسحاق:" أوحى الله إليه: أن ألق ما في يمينك! فألقى عصاه من يده، فاستعرضَت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم، وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعى، فجعلت تلقفها، تبتلعها، حية حية، حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوه. ثم أخذها موسى، فإذا هى عصاه في يده كما كانت، ووقع السحرة سجدًا قالوا: "آمنا برب العالمين رب موسى وهارون. لو كان هذا سحرا ما غلبنا"!"[٣٦٣٩].

عن القاسم بن أبي بزة قال: "أوحى الله إليه: أن ألق عصاك! فألقى عصاه، فاذا هي ثعبان فاغرٌ فاه، فابتلع حبالهم وعصيهم. فألقي السحرة عند ذلك سجّدًا، فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنارَ وثوابَ هلهما"[٣٦٤٠].

القرآن

{فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨)} [الأعراف : ١١٨]

التفسير:

فظهر الحق واستبان لمن شهده وحضره في أمر موسى عليه السلام، وأنه رسول الله يدعو إلى الحق، وبطل الكذب الذي كانوا يعملونه.

قوله تعالى:{فَوَقَعَ الْحَقُّ} [الأعراف : ١١٨]، أي:" فظهر الحق واستبان لمن شهده وحضره في أمر موسى عليه السلام، وأنه رسول الله يدعو إلى الحق"[٣٦٤١].

قال مجاهد: "ظهر الحق"[٣٦٤٢].

قال السدي:" ظهر موسى"[٣٦٤٣].

قوله تعالى:{وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف : ١١٨]، أي:" وبطل الكذب الذي كانوا يعملونه"[٣٦٤٤].

قال مجاهد" وذهب الإفك الذي كانوا يعملون"[٣٦٤٥].

القرآن

{وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠)} [الأعراف : ١٢٠]

التفسير:

وخَرَّ السحرة سُجَّدًا على وجوههم لله رب العالمين لِمَا عاينوا من عظيم قدرة الله.

قوله تعالى:{وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ} [الأعراف : ١٢٠]، أي:" وخَرَّ السحرة سُجَّدًا على وجوههم لله رب العالمين لِمَا عاينوا من عظيم قدرة الله"[٣٦٤٦].

قال سعيد بن جبير:" رأوا منازلهم تبنى لهم وهم في سجودهم"[٣٦٤٧].

(٣٦٣٦) أخرجه الطبري(١٤٩٤٩):ص٣٠/١٣. سرط الطعام)) ، و ((استرطه)) ، إذا ازدرده، وابتلعه ابتلاعاً سهلا سريعا لا غصة فيه.

(٣٦٣٧) أخرجه الطبري(١٤٩٤٢):ص٢٩/١٣.

(٣٦٣٨) أخرجه الطبري(١٤٩٤٤):ص٣٠/١٣.

(٣٦٣٩) أخرجه الطبري(١٤٩٤٥):ص٣٠/١٣.

(٣٦٤٠) أخرجه الطبري(١٤٩٤٦):ص٣٠/١٣.

(٣٦٤١) التفسير الميسر:١٦٤.

(٣٦٤٢) أخرجه الطبري(١٤٩٥٠):ص٣١/١٣.

(٣٦٤٣) أخرجه الطبري(١٤٩٥٣):ص٣١/١٣.

(٣٦٤٤) التفسير الميسر:١٦٤.

(٣٦٤٥) أخرجه الطبري(١٤٩٥١):ص٣١/١٣.

(٣٦٤٦) التفسير الميسر:١٦٤.

(٣٦٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨١٠):ص١٥٣٦/٥.

وعن الحسن. "تراه ولد في الإسلام ونشأ بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا، وهؤلاء كفار نشأوا في الكفر، بذلوا أنفسهم لله"[٣٦٤٨].

القرآن

{قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١)} [الأعراف : ١٢١]

التفسير:

قالوا: آمنا برب العالمين.

قوله تعالى: {قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف : ١٢١]، أي:" قال السحرة: صدقنا واعترفنا برب العالمين"[٣٦٤٩].

قال ابن إسحاق:" ووقع السحرة سجدا قالوا: "{آمنا برب العالمين رب موسى وهارون}. لو كان هذا سحرا ما غلبنا"!"[٣٦٥٠].

القرآن

{رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (١٢٢)} [الأعراف : ١٢٢]

التفسير:

وهو رب موسى وهارون، وهو الذي يجب أن تصرف له العبادة وحده دون مَن سواه.

قوله تعالى: {رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ} [الأعراف : ١٢٢]، أي:" وهو رب موسى وهارون"[٣٦٥١].

قال قتادة:" ذكر لنا أن السحرة قالوا حين اجتمعوا إن يكن ما جاء به موسى سحرا فلن نغلب وإن يكن من الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه تلقفت ما أفكوا من سحرهم وجاءوا به من حبالهم وعصيهم علموا أنه من الله فألقى السحرة عند ذلك اجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون"[٣٦٥٢].

قال محمد بن إسحاق:" وكان من رؤوس السحرة الذي جمع فرعون لموسى فيما بلغني سابور، وعاذور، وحصحط، ومصفى أربعة هم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله فآمنت معهم السحرة جميعا"[٣٦٥٣].

القرآن

{قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣)} [الأعراف : ١٢٣]

التفسير:

قال فرعون للسحرة: آمنتم بالله قبل أن آذن لكم بالإيمان به؟ إن إيمانكم بالله وتصديقكم لموسى وإقراركم بنبوته لحيلة احتلتموها أنتم وموسى; لتخرجوا أهل مدينتكم منها، وتكونوا المستأثرين بخيراتها، فسوف تعلمون -أيها السحرة- ما يحلُّ بكم من العذاب والنكال.

قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا} [الأعراف : ١٢٣]، أي:" إن إيمانكم بالله وتصديقكم لموسى وإقراركم بنبوته لحيلة احتلتموها أنتم وموسى; لتخرجوا أهل مدينتكم منها، وتكونوا المستأثرين بخيراتها"[٣٦٥٤].

عن السدي:" قال فرعون: ... {إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة} إذ التقيتما لتتظاهرا فتخرجا منها أهلها"[٣٦٥٥].

(٣٦٤٨) حكاه عنه الزمخشري، انظر: الكشاف:١٤١/٢، وابو حيان في البحر:١٣٩/٥.

(٣٦٤٩) التفسير المنير للزحيلي:١٥١/١٩.

(٣٦٥٠) أخرجه الطبري(١٤٩٤٥):ص٣٠/١٣.

(٣٦٥١) التفسير الميسر:١٦٥.

(٣٦٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٤١):ص٢٧٦٦.

(٣٦٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٥٦٤٢):ص٢٧٦٦.

(٣٦٥٤) التفسير الميسر:١٦٥.

(٣٦٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨١٤):ص١٥٣٧/٥.

القرآن

{لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤)} [الأعراف : ١٢٤]

التفسير:

لأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم -أيها السحرة- من خلاف: بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، أو اليد اليسرى والرجل اليمنى، ثم لأعلقنَّكم جميعًا على جذوع النخل; تنكيلا بكم وإرهابًا للناس.

قوله تعالى:{لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ} [الأعراف : ١٢٤]، أي:" لأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم - أيها السحرة- من خلاف: بقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى، أو اليد اليسرى والرجل اليمنى"(٣٦٥٦).

قال السدي:" فقتلهم وقطعهم كما قال"(٣٦٥٧).

قوله تعالى:{ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأعراف : ١٢٤]، أي:" ثم لأعلقنَّكم جميعًا على جذوع النخل; تنكيلا بكم وإرهابًا للناس"(٣٦٥٨).

قال سعيد بن جبير:" وكان أول من قطع الأيدي والأرجل وصلب فرعون"(٣٦٥٩).

القرآن

{قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (١٢٥)} [الأعراف : ١٢٥]

التفسير:

قال السحرة لفرعون: قد تحققنا أنَّا إلى الله راجعون، وأن عذابه أشد من عذابك، فلنصبرنَّ اليوم على عذابك; لِننجو من عذاب الله يوم القيامة.

قال سعيد بن جبير:" يعني: إنا إلى ربنا راجعون"(٣٦٦٠).

القرآن

{وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦)} [الأعراف : ١٢٦]

التفسير:

ولستَ تعيب منا وتنكر -يا فرعون- إلا إيماننا وتصديقنا بحجج ربنا وأدلته التي جاء بها موسى ولا تقدر على مثلها أنت ولا أحد آخر سوى الله الذي له ملك السموات والأرض، ربنا أفِضْ علينا صبرًا عظيمًا وثباتا عليه، وتوفَّنا منقادين لأمرك متبعين رسولك.

قوله تعالى:{رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ} [الأعراف : ١٢٦]، أي:" ربنا أفِضْ علينا صبرًا عظيمًا وثباتا عليه وتوفَّنا منقادين لأمرك متبعين رسولك"(٣٦٦١).

قال السدي:" فقتلهم وصلبهم، كما قال عبد الله بن عباس، حين قالوا: {ربنا أفرغ علينا صبرًا وتوفّنا مسلمين}. قال: كانوا في أول النهار سحرة، وفى آخر النهار شهداء"(٣٦٦٢).

قال قتادة:" ذكر لنا أنهم كانوا في أوّل النهار سحرة، وآخره شهداء"(٣٦٦٣). وروي عن مجاهد(٣٦٦٤)، وعبيد بن عمير(٣٦٦٥) مثل ذلك.

(٣٦٥٦) التفسير الميسر:١٦٥.
(٣٦٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨١٦):ص١٥٣٧/٥.
(٣٦٥٨) التفسير الميسر:١٦٥.
(٣٦٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨١٥):ص١٥٣٧/٥.
(٣٦٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨١٧):ص١٥٣٧/٥.
(٣٦٦١) التفسير الميسر:١٦٥.
(٣٦٦٢) أخرجه الطبري(١٤٩٥٧):ص٣٦/١٣.
(٣٦٦٣) أخرجه الطبري(١٤٩٥٩):ص٣٦/١٣.
(٣٦٦٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٦٠):ص٣٦/١٣.
(٣٦٦٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٥٨):ص٣٦/١٣.

القرآن

{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ (١٢٧)} [الأعراف : ١٢٧]

التفسير:

وقال السادة والكبراء من قوم فرعون لفرعون: أتَدَعُ موسى وقومه من بني إسرائيل ليفسدوا الناس في أرض «مصر» بتغيير دينهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادتك وعبادة آلهتك؟ قال فرعون: سنُقَتِّل أبناء بني إسرائيل ونستبقي نساءهم أحياء للخدمة، وإنَّا عالون عليهم بقهر المُلْكِ والسلطان.

قوله تعالى:{وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ} [الأعراف : ١٢٧]، أي:" وقال السادة والكبراء من قوم فرعون لفرعون"[٣٦٦٦].

قال أبو مالك:" {الملأ}، يعني: الأشراف من قومه"[٣٦٦٧].

قوله تعالى:{أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ} [الأعراف : ١٢٧]، أي:" أتَدَعُ موسى وقومه من بني إسرائيل ليفسدوا الناس في أرض «مصر» بتغيير دينهم بعبادة الله وحده لا شريك له، وترك عبادتك وعبادة آلهتك؟"[٣٦٦٨].

قال السدي: "وآلهته فيما زعم ابن عباس، كانت البقر، كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها، فلذلك أخرج لهم عِجْلا وبقرة"[٣٦٦٩].

قال الحسن:" كان لفرعون جمانة معلقة في نحره، يعبدها ويسجد لها"[٣٦٧٠].

وعن الحسن أيضا:" بلغني أن فرعون كان يعبدُ إلهًا في السر، وقرأ: {ويذرك والهتك}"[٣٦٧١].

روي عن الحسن البصري أنه كان يقرأ ذلك: «وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ»، عطفًا بقوله: {ويذرك} على قوله: {أتذر موسى}[٣٦٧٢].

روي عن مجاهد[٣٦٧٣]أنه كان يقرأ: «وَيَذَرَكَ وَإِلاهَتَكَ» بكسر الألف بمعنى: ويذرك وعبودتك[٣٦٧٤].

القرآن

{قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (١٢٨)} [الأعراف : ١٢٨]

التفسير:

قال موسى لقومه -من بني إسرائيل-: استعينوا بالله على فرعون وقومه، واصبروا على ما نالكم من فرعون من المكاره في أنفسكم وأبنائكم. إن الأرض كلها لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله ففعل أوامره واجتنب نواهيه.

قوله تعالى:{وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ} [الأعراف : ١٢٨]، أي:" والعاقبة المحمودة لمن اتقى الله ففعل أوامره واجتنب نواهيه"[٣٦٧٥].

قال قتادة:" أي: الجنة للمتقين"[٣٦٧٦].

القرآن

(٣٦٦٦) التفسير الميسر:١٦٥.

(٣٦٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٩):ص١٥٠٥/٥.

(٣٦٦٨) التفسير الميسر:١٦٥.

(٣٦٦٩) أخرجه الطبري(١٤٩٦٢):ص٣٨/١٣-٣٩.

(٣٦٧٠) أخرجه الطبري(١٤٩٦٣):ص٣٩/١٣.

(٣٦٧١) أخرجه الطبري(١٤٩٦٤):ص٣٩/١٣.

(٣٦٧٢) انظر: تفسير الطبري:٣٧/١٣.

(٣٦٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٧٠):ص٤٠/١٣.

(٣٦٧٤) انظر: تفسير الطبري:٣٨/١٣.

(٣٦٧٥) التفسير الميسر:١٦٥.

(٣٦٧٦) أخرجه الطبري: ٦٣٨/١٩.

{قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ (١٢٩)} [الأعراف : ١٢٩]

التفسير:

قال قوم موسى -من بني إسرائيل- لنبيهم موسى: ابتُلينا وأُوذينا بذبح أبنائنا واستحياء نسائنا على يد فرعون وقومه، من قبل أن تأتينا، ومن بعد ما جئتنا، قال موسى لهم: لعل ربكم أن يهلك عدوكم فرعون وقومه، ويستخلفكم في أرضهم بعد هلاكهم، فينظر كيف تعملون، هل تشكرون أو تكفرون؟

قوله تعالى:{قَالُوا أُوذِينَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا} [الأعراف : ١٢٩]، أي:" قال قوم موسى -من بني إسرائيل- لنبيهم موسى: ابتُلينا وأُوذينا بذبح أبنائنا واستحياء نسائنا على يد فرعون وقومه، من قبل أن تأتينا برسالة الله إلينا"[٣٦٧٧].

عن مجاهد :"{من قبل أن تأتينا}، من قبل إرسال الله إياك"[٣٦٧٨].

وعن وهب بن منبه في قوله: "{أوذينا من قبل أن تأتينا}، قال: قالت بنوا إسرائيل لموسى: كان فرعون يكلفنا اللبن من قبل أن تأتينا"[٣٦٧٩].

قوله تعالى:{وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا} [الأعراف : ١٢٩]، أي:" وأُوذينا من بعد ما جئتنا برسالة الله"[٣٦٨٠].

قال مجاهد:" من بعد إرسال الله إياك"[٣٦٨١].

قال السدي:"فلما تراءى الجمعان فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد رَدِفهم، قالوا: {إنا لمدركون}، وقالوا: {أوذينا من قبل أن تأتينا}، كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا، {ومن بعد ما جئتنا}، اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا، إنا لمدركون"[٣٦٨٢].

وعن وهب بن منبه في هذه الآية:"{ومن بعد ما جئتنا}، قالت: بنوا إسرائيل لموسى كان فرعون يكلفنا اللبن قبل أن تأتينا، فلما جئت كلفنا اللبن مع التبن أيضا فقال موسى: أي رب أهلك فرعون، حتى متى تبقيه فأوحى الله عز وجل إليه إنهم لم يعملوا الذنب الذي أهلكهم به"[٣٦٨٣].

القرآن

{وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (١٣٠)} [الأعراف : ١٣٠]

التفسير:

ولقد ابتلينا فرعون وقومه بالقحط والجدب، ونَقْص ثمارهم وغَلاتهم; ليتذكروا، وينزجروا عن ضلالاتهم، ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ} [الأعراف : ١٣٠]، أي:" ولقد ابتلينا فرعون وقومه بالقحط والجدب"[٣٦٨٤].

قال قتادة:" فأما «السنين»، فكان ذلك في باديتهم وأهل مواشيهم"[٣٦٨٥].

وفي قوله تعالى:{وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ} [الأعراف : ١٣٠]، قولان:

أحدهما : يعني: بالجوع ، قاله مجاهد[٣٦٨٦]، وقتادة[٣٦٨٧].

الثاني : أن معنى السنين الجدوب ، قاله الحسن[٣٦٨٨].

قوله تعالى:{وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ} [الأعراف : ١٣٠]، أي:" ونَقْص ثمارهم وغَلاتهم"[٣٦٨٩].

(٣٦٧٧) انظر: تفسير الطبري:٤٣/١٣، والتفسير الميسر:١٦٥.
(٣٦٧٨) أخرجه الطبري(١٤٩٧٣):ص٤٤/١٣، وابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٥٤١/٥.
(٣٦٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٥):ص١٥٤١/٥.
(٣٦٨٠) انظر: تفسير الطبري:٤٣/١٣، والتفسير الميسر:١٦٥.
(٣٦٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٥٤١/٥.
(٣٦٨٢) أخرجه الطبري(١٤٩٧٤):ص٤٤/١٣.
(٣٦٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٧):ص١٥٤١/٥.
(٣٦٨٤) التفسير الميسر:١٦٥.
(٣٦٨٥) أخرجه الطبري(١٤٩٨٢):ص٤٦/١٣.
(٣٦٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٧٧):ص٤٦/١٣.
(٣٦٨٧) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٨٢):ص٤٦/١٣.
(٣٦٨٨) انظر: النكت والعيون:٢٥٠/٢.

قال رجاء بن حيوة:" حيث لا تحمل النخلة إلا تمرة واحدة"[٣٦٩٠].
وقال كعب:" يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة إلا ثمرة"[٣٦٩١].
قال قتادة:" وأما «بنقص من الثمرات»، فكان ذلك في أمصارهم وقراهم"[٣٦٩٢].

القرآن
{فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٣١)} [الأعراف : ١٣١]
التفسير:
فإذا جاء فرعونَ وقومَه الخِصْبُ والرزقُ قالوا: هذا لنا بما نستحقه، وإن يُصِبْهم جدب وقحط يتشاءموا، ويقولوا: هذا بسبب موسى ومَن معه. ألا إنَّ ما يصيبهم من الجدب والقحط إنما هو بقضاء الله وقدره، وبسبب ذنوبهم وكفرهم، ولكن أكثر قوم فرعون لا يعلمون ذلك; لانغمارهم في الجهل والضلال.
قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ} [الأعراف : ١٣١]، أي:" فإذا جاء فرعونَ وقومَه الخِصْبُ والرزقُ قالوا: هذا لنا بما نستحقه"[٣٦٩٣].
عن مجاهد في قوله:" {فإذا جاءتهم الحسنة}، العافية والرخاء، {قالوا لنا هذه}، نحن أحق بها"[٣٦٩٤].
قال ابن زيد:"الحسنة: ما يحبُّون"[٣٦٩٥].
قوله تعالى:{وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ} [الأعراف : ١٣١]، أي:" وإن يُصِبْهم جدب وقحط يتشاءموا، ويقولوا: هذا بسبب موسى ومَن معه"[٣٦٩٦].
عن مجاهد :"{وإن تصبهم سيئة}، بلاء وعقوبة، {يطيروا}، يتشاءموا بموسى"[٣٦٩٧].
قوله تعالى:{أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ} [الأعراف : ١٣١]، أي:" ألا إنَّ ما يصيبهم من الجدب والقحط إنما هو بقضاء الله وقدره، وبسبب ذنوبهم وكفرهم"[٣٦٩٨].
قال الضحاك:" الأمر من قبل الله ما أصابكم من أمر الله فمن الله فبما كسبت أيديكم"[٣٦٩٩].

القرآن
{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ (١٣٣)} [الأعراف : ١٣٣]
التفسير:
فأرسلنا عليهم سيلا جارفًا أغرق الزروع والثمار، وأرسلنا الجراد، فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم، وأرسلنا القُمَّل الذي يفسد الثمار ويقضي على الحيوان والنبات، وأرسلنا الضفادع فملأت آنيتهم وأطعمتهم ومضاجعهم، وأرسلنا أيضًا الدم فصارت أنهارهم وآبارهم دمًا، ولم يجدوا ماء صالحًا للشرب، هذه آيات من آيات الله لا يقدر عليها غيره، مفرقات بعضها عن بعض، ومع كل هذا ترفَّع قوم فرعون، فاستكبروا عن الإيمان بالله، وكانوا قومًا يعملون بما ينهى الله عنه من المعاصي والفسق عتوًّا وتمردًا.
قوله تعالى:{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ} [الأعراف : ١٣٣]، أي:" فأرسلنا عليهم سيلا جارفًا أغرق الزروع والثمار"[٣٧٠٠].

(٣٦٨٩) التفسير الميسر:١٦٥.
(٣٦٩٠) أخرجه الطبري(١٤٩٧٩):ص٤٦/١٣.
(٣٦٩١) أخرجه الطبري(١٤٩٨٠):ص٤٦/١٣.
(٣٦٩٢) أخرجه الطبري(١٤٩٨٢):ص٤٦/١٣.
(٣٦٩٣)التفسير الميسر:١٦٦.
(٣٦٩٤) أخرجه الطبري(١٤٩٨٣):ص٤٧/١٣.
(٣٦٩٥) أخرجه الطبري(١٤٩٨٥):ص٤٧/١٣.
(٣٦٩٦)التفسير الميسر:١٦٦.
(٣٦٩٧) أخرجه الطبري(١٤٩٨٣):ص٤٧/١٣.
(٣٦٩٨)التفسير الميسر:١٦٦.
(٣٦٩٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٥١):ص١٥٤٣/٥.
(٣٧٠٠)التفسير الميسر:١٦٦.

قال الضحاك:" أمطر الله عليهم السماء حتى امتنع عنهم كل شيء"[٣٧٠١].
قال ابن عباس:" مطروا بالليل والنهار ثمانية أيام"[٣٧٠٢].
قال إسماعيل بن عبيد الله: "كان الطوفان الذي أصاب الناس في نيسان"[٣٧٠٣].
وفي « الطُّوفَانَ»، أقوال :
أحدها : أنه الغرق بالماء الزائد ، قاله أبو مالك[٣٧٠٤]، ومجاهد[٣٧٠٥]، والضحاك[٣٧٠٦].
الثاني : أنه الماء والطاعون ، قاله مجاهد[٣٧٠٧].
الثالث : أنه الموت ، قاله عطاء[٣٧٠٨]، وعبدالله بن كثير[٣٧٠٩].
ورويت عن عائشة قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-" الطُّوفَانُ الْمَوتُ"[٣٧١٠].
قوله تعالى:{وَالْجَرَادَ} [الأعراف : ١٣٣]، أي:" وأرسلنا الجراد، فأكل زروعهم وثمارهم وأبوابهم وسقوفهم وثيابهم"[٣٧١١].
قال مجاهد:" الجراد يأكل زروعهم ونباتهم"[٣٧١٢]. وفي رواية أخرى:" والجراد تأكل مسامير زنجهم يعني أبوابهم وثيابهم"[٣٧١٣].
قال الضحاك:"فأرسل الله عليهم الجراد الذي لا أجنحة له فتتبع ما بقي من حروفهم وشجرهم، وسائر نباتهم"[٣٧١٤].
عن عامر قال :"سئل شُرَيْح القاضي عن الجراد ، فقال : قبح الله الجرادة. فيها خلقة سبعة جبابرة : رأسها رأس فرس ، وعنقها عنق ثور ، وصدرها صدر أسد ، وجناحها جناح نسر ، ورجلاها رجلا جمل. وذنبها ذنب حية ، وبطنها بطن عقرب"[٣٧١٥].
قوله تعالى:{وَالْقُمَّلَ} [الأعراف : ١٣٣]، أي:" وأرسلنا القُمَّل الذي يفسد الثمار ويقضي على الحيوان والنبات"[٣٧١٦].
وفي «الْقُمَّلَ»، أقوال:
أحدها : أنه الدَبَى وهو صغار الجراد لا أجنحة له. وهذا قول مجاهد[٣٧١٧]، وقتادة[٣٧١٨]، وعكرمة[٣٧١٩]، والسدي[٣٧٢٠].
الثاني : أنه دواب سود صغار، قاله الحسن[٣٧٢١]، وسعيد بن جبير[٣٧٢٢]، وشاهده قول الأعشى[٣٧٢٣]:

(٣٧٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٥٤):ص١٥٤٤/٥.
(٣٧٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٥٧):ص١٥٤٤/٥.
(٣٧٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٦٢):ص١٥٤٥/٥.
(٣٧٠٤) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٩٠):ص٥٠/١٣.
(٣٧٠٥) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٩٣):ص٥٠/١٣.
(٣٧٠٦) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٩١):ص٥٠/١٣.
(٣٧٠٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٨٦٠):ص١٥٤٥/٥.
(٣٧٠٨) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٩٧):ص٥١/١٣.
(٣٧٠٩) انظر: تفسير الطبري(١٤٩٩٩):ص٥١/١٣.
(٣٧١٠) أخرجه الطبري(١٤٩٩٦):ص٥٠/١٣-٥١، وابن أبي حاتم(٨٨٥٥)، و(٨٨٥٦):ص١٥٤٤/٥
(٣٧١١)التفسير الميسر:١٦٦.
(٣٧١٢) أخرجه الطبري(١٥٠٢٥):ص٦٤/١٣.
(٣٧١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٦٥):ص١٥٤٦/٥.
(٣٧١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٦٧):ص١٥٤٦/٥.
(٣٧١٥) رواه الحافظ أبو الفرج المعافي بن زكريا الحريري، انظر: تفسير ابن كثير:٤٦٣/٣.
(٣٧١٦)التفسير الميسر:١٦٦.
(٣٧١٧) انظر: تفسير الطبري(١٥٠٠٧):ص٥٥/١٣.
(٣٧١٨) انظر: تفسير الطبري(١٥٠٠٦):ص٥٤/١٣.
(٣٧١٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٠١٠):ص٥٥/١٣.
(٣٧٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٠٠٥):ص٥٤/١٣.
(٣٧٢١) انظر: تفسير الطبري(١٥٠١٣):ص٥٥/١٣.
(٣٧٢٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٠١٣):ص٥٥/١٣.

قَوْماً تُعَالِجُ قُمَّلاً أَبْنَاؤُهُمْ ... وَسَلاَسِلاً أُجُداً وَبَاباً مُؤْصَداً
وواحد «القمل»: قملة[٣٧٢٤].
الثالث: القمل: الجراد الذي يطير. قاله أبو صخر[٣٧٢٥].
وروي، عن عكرمة أنه قال: "القمل بنات الجراد"[٣٧٢٦].
الرابع: أن القمل الجعلان. قاله حبيب بن أبي ثابت[٣٧٢٧].
قوله تعالى:{وَالضَّفَادِعَ} [الأعراف : ١٣٣]، أي:" وأرسلنا الضفادع فملأت آنيتهم وأطعمتهم ومضاجعهم"[٣٧٢٨].
قال مجاهد:" والضفادع تسقط على فرشهم وأطعمتهم"[٣٧٢٩].
قوله تعالى:{وَالدَّمَ} [الأعراف : ١٣٣]، أي:" وأرسلنا أيضًا الدم فصارت أنهارهم وآبارهم دمًا، ولم يجدوا ماء صالحًا للشرب"[٣٧٣٠].
قال زيد بن أسلم:" وأما {الدم}، فسلط الله عليهم الرعاف"[٣٧٣١].
قال قتادة:" ثم أرسل عليهم الدم فكان أحدهم إذا أراد أن يشرب تحول ذلك الماء دما"[٣٧٣٢].
قال مجاهد:" والدم يكون في بيوتهم وثيابهم ومائهم وطعامهم"[٣٧٣٣].
وقال مجاهد أيضا:" لما سال النِّيلُ دمًا، فكان الإسرائيلي يستقي ماء طيّبًا، ويستقي الفرعوني دمًا، ويشتركان في إناء واحد، فيكون ما يلي الإسرائيلي ماءً طيّبًا وما يلي الفرعوني دمًا"[٣٧٣٤].
عن محمد بن كعب القرظي: أنه حُدِّث: "أن المرأة من آل فرعون كانت تأتي المرأةَ من بني إسرائيل حين جَهدهم العطش، فتقول: اسقيني من مائك! فتغرف لها من جرَّتها أو تصبّ لها من قربتها، فيعود في

(٣٧٢٣)ديوانه: ١٥٤، واللسان (قمل) . من قصيدته التي قالها لكسرى حين أراد من بنى ضبيعة (رهط الأعشى) رهائن، لما أغار الحارث بن وعلة على بعض السواد، فأخذ كسرى قيس بن مسعود، ومن وجد من بكر، فجعل يحبسهم، فقال له الأعشى:
مَنْ مُبْلِغٌ كِسْرَى، إذَا مَا جَاءَهُ رُهُنًا، ... عَنِّى مآلِكَ مُخْمِشَاتٍ شُرَّدَا
آلَيْتُ لا نُعْطِيهِ مِنْ أَبْنَائِنَا ... رُهْنًا فَيُفْسِدُهُمْ كَمَنْ قَدْ أَفْسَدَا
حَتَّى يُفِيدُكَ مِنْ بَنِيهِ رَهِينَةً ... نَعْشُ، وَيَرْهَنُكَ السِّمَاكُ الفَرْقَدَا
يقول: من يبلغ كسرى عني تغضبه، رسائل تأتيه من كل مكان: أننا آلينا أن لا نعطيه من أبنائنا رهائن، يتولى إفسادهم كما أفسد رجالا من قبل، ولن ينال منا ذلك حتى تعطيه نجوم السماء رهائن من صواحباتها. ثم قال له: لَسْنَا كَمَنْ جَعَلَتْ إِيَادُ دَارَهَا ... تَكْرِيت تَمْنَع حَبَّها أَنْ يُحْصَدَا
قَوْمًا يُعَالِجُ.. .. ..
جَعَلَ الإِلَهُ طَعَامَنَا فِي مَالِنَا ... رِزْقًا تَضَمَّنَهُ لَنَا لَنْ يَنْفَدَا
يقول: لسنا كإياد التي آتتك الرهائن فأنها نزلت تكريت تنظر ما يحصد من الزرع من سنة إلى سنة، فهم حراثون، قد قملوا، فقام أبناؤهم يعالجون القمل، ويجرون السلاسل ليشدوها على الأجران، ويجهدون في تغليق أبوابها. أما نحن، فالله قد جعل إبلنا رزقنا، ضمنت لنا من ألبانها طعاماً لا ينفد، ونزعنا عن أعناقنا ربقة عبودية القرى والأمصار، إلى حرية البادية، نغدو فيها ونروح، ليس لك علينا سلطان. وهذا من شعر أحرار العرب. و ((الأجد)) (بضمتين) : القوى الموثق. يقال: ((ناقة أجد)) ، قوية وثيقة التركيب. و ((ناقة مؤجدة القرى)) ، مثله. ويقال: ((الحمد لله الذي آجدنى بعد ضعف)) ، أي: قوانى. و ((المؤصد)) من ((أوصد الباب)) أغلقه وأطبقه، فهو ((موصد)) و ((مؤصد)) بالهمز، ومثله قوله تعالى ذكره: ((إنها عليهم مؤصدة)) بالهمز، أي: مطبقة.
(٣٧٢٤) انظر: النكت والعيون:٢/٢٥٢.
(٣٧٢٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٨٧٣):ص١٥٤٧/٥.
(٣٧٢٦) تفسير ابن أبي حاتم: ١٥٤٧/٥ حكاه دون ذكر الإسناد.
(٣٧٢٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٨٧٤):ص١٥٤٧/٥.
(٣٧٢٨)التفسير الميسر:١٦٦.
(٣٧٢٩) أخرجه الطبري(١٥٠٢٥):ص٦٤/١٣.
(٣٧٣٠)التفسير الميسر:١٦٦.
(٣٧٣١) انظر: تفسير الطبري(١٥٠٢٨):ص٦٨/١٣.
(٣٧٣٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨٨٢):ص١٥٤٩/٥.
(٣٧٣٣) أخرجه الطبري(١٥٠٢٥):ص٦٤/١٣.
(٣٧٣٤) أخرجه الطبري(١٥٠٢٥):ص٦٤/١٣.

الإناء دمًا، حتى إن كانت لتقول لها: اجعليه في فيك ثم مُجيِّه في فيَّ! فتأخذ في فيها ماءً، فإذا مجته في فيها صار دمًا، فمكثوا في ذلك سبعة أيام"[٣٧٣٥].

قال محمد بن إسحاق:" فرجع عدوّ الله –يعني: فرعون، حين آمنت السحرة- مغلوبًا مغلولا ثم أبى إلا الإقامة على الكفر، والتماديَ في الشر، فتابع الله عليه بالآيات، وأخذه بالسنين، فأرسل عليه الطوفان، ثم الجراد، ثم القمل، ثم الضفادع، ثم الدم، آيات مفصلات،، فأرسل الطوفان - وهو الماء- ففاض على وجه الأرض، ثم ركد، لا يقدرون على أن يحرُثوا، ولا يعملوا شيئًا، حتى جُهدوا جوعًا; فلما بلغهم ذلك، قالوا: يا موسى، ادع لنا ربك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك، ولنرسلن معك بني إسرائيل! فدعا موسى ربه، فكشفه عنهم، فلم يفُوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الجراد، فأكل الشجر، فيما بلغني، حتى إنْ كان ليأكل مساميرَ الأبواب من الحديد، حتى تقع دورهم ومساكنهم، فقالوا مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشفه عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا. فأرسل الله عليهم القمّل، فذكر لي أنّ موسى أمر أن يمشي إلى كثيب حتى يضربه بعصاه. فمضى إلى كثيبٍ أهيل عظيم، فضربه بها، فانثَالَ عليهم قمَّلا حتى غلب على البيوت والأطعمة، ومنعهم النوم والقرار. فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشفه عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، فملأت البيوت والأطعمة والآنية، فلا يكشف أحدٌ ثوبًا ولا طعامًا ولا إناء إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه. فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشفه عنهم، فلم يفوا له بشيء مما قالوا. فأرسل الله عليهم الدم، فصارت مياه آل فرعون دمًا، لا يستقون من بئر ولا نهر، ولا يغترفون من إناء، إلا عاد دمًا عبيطًا"[٣٧٣٦].

قوله تعالى:{آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ} [الأعراف : ١٣٣]، أي:" هذه آيات من آيات الله لا يقدر عليها غيره، مفرقات بعضها عن بعض"[٣٧٣٧].

قال ابن إسحاق: {آيات مفصلات}، أي: آية بعد آية، يتبع بعضُها بعضًا"[٣٧٣٨].

عن ابن جريج قوله: "{يات مفصلات}، قال: يتبع بعضها بعضًا، ليكون لله عليهم الحجة، فينتقم منهم بعد ذلك. وكانت الآية تمكث فيهم من السبت إلى السبت، وترفع عنهم شهرًا، قال الله عز وجل: {فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليمّ} [الأعراف: ١٣٦] ... الآية"[٣٧٣٩].

وروي عن مجاهد:"{آيات مفصلات}، قال: معلومات"[٣٧٤٠].

عن نوف الشامي، قال: "مكث موسى في آل فرعون بعد ما غلبت السحرة عشرين سنة يريهم الآيات الجراد، والقمل والضفادع والدم فيأبوا، يعني: أن يسلموا"[٣٧٤١].

القرآن

{وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ (١٣٤)} [الأعراف : ١٣٤]

التفسير:

ولما نزل العذاب على فرعون وقومه فزعوا إلى موسى وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما أوحى به إليك مِن رَفْع العذاب بالتوبة، لئن رفعت عنا العذاب الذي نحن فيه لنصدِّقنَّ بما جئت به، ونتبع ما دعوت إليه، ولنطلقنَّ معك بني إسرائيل، فلا نمنعهم من أن يذهبوا حيث شاؤوا.

قوله تعالى:{وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ} [الأعراف : ١٣٤]، أي:" ولما نزل العذاب على فرعون وقومه"[٣٧٤٢].

وفي قوله تعالى:{وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ} [الأعراف : ١٣٤]، وجهان:

(٣٧٣٥) أخرجه الطبري(١٥٠٢٤):ص٦٤/١٣.
(٣٧٣٦) أخرجه الطبري(١٥٠٢٣):ص٦٣/١٣-٦٤.
(٣٧٣٧)التفسير الميسر:١٦٦.
(٣٧٣٨) أخرجه الطبري(١٥٠٣١):ص٦٩/١٣.
(٣٧٣٩) أخرجه الطبري(١٥٠٣٠):ص٦٩/١٣.
(٣٧٤٠) أخرجه الطبري(١٥٠٣٢):ص٦٩/١٣.
(٣٧٤١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨٨٤):ص١٥٤٩/٥.
(٣٧٤٢)التفسير الميسر:١٦٦.

أحدهما : أنه العذاب ، قاله الحسن[٣٧٤٣]، ومجاهد[٣٧٤٤]، وقتادة[٣٧٤٥]، وابن زيد[٣٧٤٦].
والثاني : هو الطاعون أصابهم فمات به من القبط سبعون ألف إنسان ، قاله سعيد بن جبير[٣٧٤٧].
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الطاعون رجز عذاب عذب به قوم قبلكم"[٣٧٤٨].
قال سعيد بن جبير:" وأمر موسى قومه من بني إسرائيل وذلك بعد ما جاء قوم فرعونَ بالآيات الخمس: الطوفان وما ذكر الله في هذه الآية، فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فقال: ليذبح كل رجل منكم كبشًا، ثم ليخضب كفّه في دمه، ثم ليضرب به على بابه! فقالت القبط لبني إسرائيل: لم تعالجُون هذا الدمَ على أبوابكم؟ فقالوا: إن الله يرسل عليكم عذابًا، فنسلم وتهلكون. فقالت القبط: فما يعرفكم الله إلا بهذه العلامات؟ فقالوا: هكذا أمرنا به نبيّنا! فأصبحوا وقد طُعِنَ من قوم فرعون سبعون ألفًا، فأمسوا وهم لا يتدَافنون. فقال فرعون عند ذلك: {ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفتَ عنا الرجز}، وهو الطاعون، {لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني إسرائيل}، فدعا ربه، فكشفه عنهم، فكان أوفاهم كلّهم فرعون، فقال لموسى: اذهب ببني إسرائيل حيث شئت"[٣٧٤٩]. وروي عن ابن عباس نحو ذلك[٣٧٥٠].
قوله تعالى:{قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ} [الأعراف : ١٣٤]، أي:" فزعوا إلى موسى وقالوا: يا موسى ادع لنا ربك بما أوحى به إليك مِن رَفْع العذاب بالتوبة"[٣٧٥١].
عن السدي:" ما هداك به أن تفعله في قومك"[٣٧٥٢].

القرآن
{فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ (١٣٥)} [الأعراف : ١٣٥]
التفسير:
فلما رفع الله عنهم العذاب الذى أنزله بهم إلى أجلٍ هم بالغوه لا محالة فيعذبون فيه، لا ينفعهم ما تقدَّم لهم من الإمهال وكَشْفِ العذاب إلى حلوله، إذا هم ينقضون عهودهم التي عاهدوا عليها ربهم وموسى، ويقيمون على كفرهم وضلالهم.
قوله تعالى:{فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ} [الأعراف : ١٣٥]، أي:" فلما رفع الله عنهم العذاب الذى أنزله بهم إلى أجلٍ هم بالغوه لا محالة فيعذبون فيه"[٣٧٥٣].
عن مجاهد:"{إلى أجل هم بالغوه}، عدد مسمى معهم من أيامهم"[٣٧٥٤].
قوله تعالى:{إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ} [الأعراف : ١٣٥]، أي:" إذا هم ينقضون عهودهم التي عاهدوا عليها ربهم وموسى، ويقيمون على كفرهم وضلالهم"[٣٧٥٥].
قال السدي:" ما أعطوا من العهود"[٣٧٥٦].

القرآن
{فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٣٦)} [الأعراف : ١٣٦]
التفسير:

(٣٧٤٣) انظر: النكت والعيون: ٢٥٣/٢.
(٣٧٤٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٠٣٥):ص٧١/١٣.
(٣٧٤٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٠٣٧):ص٧١/١٣.
(٣٧٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٠٣٩):ص٧١/١٣-٧٢.
(٣٧٤٧) انظر: تفسير الطبري(١٥٠٣٣):ص٧٠/١٣-٧١.
(٣٧٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٧):ص١٥٥٠/٥.
(٣٧٤٩) أخرجه الطبري الطبري(١٥٠٣٣):ص٧٠/١٣-٧١.
(٣٧٥٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٨٩٠):ص١٥٥٠/٥.
(٣٧٥١)التفسير الميسر:١٦٦.
(٣٧٥٢) انظر: النكت والعيون:٢٥٣/٢.
(٣٧٥٣)التفسير الميسر:١٦٦.
(٣٧٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٩٢):ص١٥٥١/٥.
(٣٧٥٥)التفسير الميسر:١٦٦.
(٣٧٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٩٣):ص١٥٥١/٥.

فانتقمنا منهم حين جاء الأجل المحدد لإهلاكهم، وذلك بإحلال نقمتنا عليهم، وهي إغراقهم في البحر; بسبب تكذيبهم بالمعجزات التي ظهرت على يد موسى، وكانوا عن هذه المعجزات غافلين، وتلك الغفلة هي سبب التكذيب.

قوله تعالى:{فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ} [الأعراف : ١٣٦]، أي:" فانتقمنا منهم بالإغراق في البحر"(٣٧٥٧).

عن ابن جريج، في قوله: {آيَاتٍ مُفَصَّلَات} [الأعراف : ١٣٣]، قال: يتبع بعضها بعضا، ليكون لله عليهم الحجة، فينتقم منهم بعد ذلك. وكانت الآية تمكث فيهم من السبت إلى السبت، وترفع عنهم شهرا، قال الله عز وجل: {فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ} [الأعراف: ١٣٦] ... الآية"(٣٧٥٨).

القرآن

{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧)} [الأعراف : ١٣٧]

التفسير:

وأورثنا بني إسرائيل الذين كانوا يُستَذَلُّون للخدمة، مشارق الأرض ومغاربها (وهي بلاد «الشام») التي باركنا فيها، بإخراج الزروع والثمار والأنهار، وتمت كلمة ربك -أيها الرسول- الحسنى على بني إسرائيل بالتمكين لهم في الأرض; بسبب صبرهم على أذى فرعون وقومه، ودمَّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والمزارع، وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور وغير ذلك.

قوله تعالى:{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا} [الأعراف : ١٣٧]، أي:" وأورثنا بني إسرائيل الذين كانوا يُستَذَلُّون للخدمة، مشارق الأرض ومغاربها، التي باركنا فيها، بإخراج الزروع والثمار والأنهار"(٣٧٥٩).

قال الحسن:" يقول: مشارق الشام ومغاربها"(٣٧٦٠).

عن قتادة:"{وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها}، هي أرض الشام"(٣٧٦١).

قوله تعالى:{وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا} [الأعراف : ١٣٧]، أي:" وتمت كلمة ربك -أيها الرسول- الحسنى على بني إسرائيل بالتمكين لهم في الأرض بسبب صبرهم على أذى فرعون وقومه"(٣٧٦٢).

عن مجاهد:"{ وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل}، قال: ظهرَ قوم موسى على فرعون، و«تمكين الله لهم في الأرض»، وما ورَّثهم منها"(٣٧٦٣).

قال الحسن:" لو أن الناس إذا ابتلوا من قبل سلطانهم بشيء دعوا الله أوشك الله أن يرفع عنهم، ولكنهم فزعوا إلى السيف فوكلوا إليه والله ما جاءوا بيوم خير قط، ثم قرأ: {وتمت كلمت ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون}"(٣٧٦٤).

عن موسى بن علي، عن أبيه قال: "كانت بنو إسرائيل بالربع من آل فرعون ووليهم فرعون أربعمائة وأربعون سنة فأضعف الله ذلك لبني إسرائيل فولاهم ثمان مائة عام وثمانين عاما، قال: وإن كان الرجل ليعمر ألف سنة في القرون الأولى وما يحتلم حتى يبلغ عشرين ومائة سنة"(٣٧٦٥).

(٣٧٥٧) صفوة التفاسير:٤٣٤/١.
(٣٧٥٨) أخرجه الطبري(١٥٠٣٠):ص٦٩/١٣.
(٣٧٥٩)التفسير الميسر:١٦٦.
(٣٧٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٩٥):ص١٥٥١/٥.
(٣٧٦١) أخرجه الطبري(١٥٠٤٦):ص٧٧/١٣، و ابن أبي حاتم(٨٨٩٦):ص١٥٥١/٥.
(٣٧٦٢)التفسير الميسر:١٦٦.
(٣٧٦٣) أخرجه الطبري(١٥٠٤٨):ص٧٨/١٣، وابن أبي حاتم(٨٨٩٨):ص١٥٥١/٥.
(٣٧٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٩٧):ص١٥٥١/٥.
(٣٧٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٩٩):ص١٥٥٢/٥.

قوله تعالى:{وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ} [الأعراف : ١٣٧]، أي:" ودمَّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمارات والمزارع، وما كانوا يبنون من الأبنية والقصور وغير ذلك"[٣٧٦٦].

عن مجاهد: {وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ}، قال :" يبنون البيوت والمساكن ما بلغت، وكان عنبهم غير معروش"[٣٧٦٧].

القرآن

{وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨)} [الأعراف : ١٣٨]

التفسير:

وقطعنا ببني إسرائيل البحر، فمرُّوا على قوم يقيمون ويواظبون على عبادة أصنام لهم، قال بنو إسرائيل: اجعل لنا يا موسى صنمًا نعبده ونتخذه إلهًا، كما لهؤلاء القوم أصنام يعبدونها، قال موسى لهم: إنكم أيها القوم تجهلون عظمة الله، ولا تعلمون أن العبادة لا تنبغي إلا لله الواحد القهار.

قوله تعالى:{فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ} [الأعراف : ١٣٨]، أي:" فمرُّوا على قوم يقيمون ويواظبون على عبادة أصنام لهم"[٣٧٦٨].

قال ابن جريج: "{على أصنام لهم}، قال: تماثيل بقر. فلما كان عجل السامريّ شبِّه لهم أنه من تلك البقر، فذلك كان أوّل شأن العجل: {قالوا يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون}"[٣٧٦٩].

عن قتادة:"{فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم}، قال: على لخم"[٣٧٧٠].

القرآن

{إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩)} [الأعراف : ١٣٩]

التفسير:

إن هؤلاء المقيمين على هذه الأصنام مُهْلَك ما هم فيه من الشرك، ومدمَّر وباطل ما كانوا يعملون من عبادتهم لتلك الأصنام، التي لا تدفع عنهم عذاب الله إذا نزل بهم.

قوله تعالى:{إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَا هُمْ فِيهِ} [الأعراف : ١٣٩]، أي:" إن هؤلاء المقيمين على هذه الأصنام مُهْلَك ما هم فيه من الشرك"[٣٧٧١].

قال السدي:" يقول: مهلك ما هم فيه"[٣٧٧٢].

القرآن

{قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ (١٤٠)} [الأعراف : ١٤٠]

التفسير:

قال موسى لقومه: أغير الله أطلب لكم معبودًا تعبدونه من دونه، والله هو الذي خلقكم، وفضَّلكم على عالمي زمانكم بكثرة الأنبياء فيكم، وإهلاك عدوكم وما خصَّكم به من الآيات؟

قوله تعالى:{وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [الأعراف : ١٤٠]، أي:" والله هو الذي خلقكم، وفضَّلكم على عالمي زمانكم بكثرة الأنبياء فيكم، وإهلاك عدوكم وما خصَّكم به من الآيات"[٣٧٧٣].

(٣٧٦٦)التفسير الميسر:١٦٦.
(٣٧٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٠١):ص١٥٥٢/٥.
(٣٧٦٨)التفسير الميسر:١٦٧.
(٣٧٦٩) أخرجه الطبري(١٥٠٥٣):ص٨٠/١٣.
(٣٧٧٠) أخرجه الطبري(١٥٠٥٤):ص٨١/١٣.
(٣٧٧١)التفسير الميسر:١٦٧.
(٣٧٧٢) أخرجه الطبري(١٥٠٥٩):ص٨٤/١٣.
(٣٧٧٣)التفسير الميسر:١٦٧.

عن أبي العالية: "{فضلكم على العالمين}، قال: ما أعطوا من الملك والرسل والكتب على عالم كان في ذلك الزمان فإن لكل زمان عالما"[٣٧٧٤]. وروي عن مجاهد، والربيع بن أنس، وقتادة، وإسماعيل بن أبي خالد نحو ذلك[٣٧٧٥].

القرآن

{وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (١٤١)} [الأعراف : ١٤١]

التفسير:

واذكروا - يا بني إسرائيل - نِعَمنا عليكم إذ أنقذناكم من أسْر فرعون وآله، وما كنتم فيه من الهوان والذلة من تذبيح أبنائكم واستبقاء نسائكم للخدمة والامتهان، وفي حَمْلِكم على أقبح العذاب وأسوئه، ثم إنجائكم، اختبار من الله لكم ونعمة عظيمة.

قوله تعالى:{يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} [الأعراف : ١٤١]، أي:" يذبحون الذكور ويستبقون الإناث لامتهانهن في الخدمة"[٣٧٧٦].

عن ابن جريج، قوله: "{ويستحيون نساءكم}، قال: يسترقون نساءكم"[٣٧٧٧].

القرآن

{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ (١٤٢)} [الأعراف : ١٤٢]

التفسير:

وواعد الله سبحانه وتعالى موسى لمناجاة ربه ثلاثين ليلة، ثم زاده في الأجل بعد ذلك عشر ليال، فتمَّ ما وَقَّتَه الله لموسى لتكليمه أربعين ليلة. وقال موسى لأخيه هارون -حين أراد المضيَّ لمناجاة ربه-: كن خليفتي في قومي حتى أرجع، وأحمِلهم على طاعة الله وعبادته، ولا تسلكْ طريق الذين يفسدون في الأرض.

قوله تعالى:{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ} [الأعراف : ١٤٢]، أي:" وواعد الله سبحانه وتعالى موسى لمناجاة ربه ثلاثين ليلة، ثم زاده في الأجل بعد ذلك عشر ليال"[٣٧٧٨].

عن مجاهد: "{وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر}، قال: ذو القعدة، وعشر ذي الحجة"[٣٧٧٩].

وعن مسروق: "{وأتممناها بعشر}، قال: عشر الأضحى"[٣٧٨٠].

قوله تعالى:{فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً} [الأعراف : ١٤٢]، أي:" فتمَّ ما وَقَّتَه الله لموسى لتكليمه أربعين ليلة"[٣٧٨١].

قال ابن جريج:" فبلغ ميقات ربه أربعين ليلة"[٣٧٨٢].

قوله تعالى:{وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف : ١٤٢]، أي:" وقال موسى لأخيه هارون -حين أراد المضيَّ لمناجاة ربه-: كن خليفتي في قومي حتى أرجع، وأحمِلهم على طاعة الله وعبادته، ولا تسلكْ طريق الذين يفسدون في الأرض"[٣٧٨٣].

عن ابن جريج: {وَأَصْلِحْ}، قال:" وكان من إصلاحه أن لا يدع العجل يُعْبد"[٣٧٨٤].

(٣٧٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩١١):ص١٥٥٤/٥.
(٣٧٧٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٥٥٤/٥.
(٣٧٧٦) صفوة التفاسير:٤٣٥/١.
(٣٧٧٧) أخرجه الطبري(٨٩٨):ص٤٦/٢.
(٣٧٧٨)التفسير الميسر:١٦٧.
(٣٧٧٩) أخرجه الطبري(١٥٠٦٢):ص٨٦/١٣.
(٣٧٨٠) أخرجه الطبري(١٥٠٦٨):ص٨٧/١٣.
(٣٧٨١)التفسير الميسر:١٦٧.
(٣٧٨٢) أخرجه الطبري(١٥٠٦٩):ص٨٧/١٣.
(٣٧٨٣)التفسير الميسر:١٦٧.
(٣٧٨٤) أخرجه الطبري(١٥٠٧٠):ص٨٨/١٣.

عن ابن جريج قوله: "{وواعدنا موسى ثلاثين ليلة}، الآية، قال: يقول: إن ذلك بعد ما فرغ من فرعون وقبل الطور، لما نجى الله موسى عليه السلام من البحر وغرّق آل فرعون، وخلص إلى الأرض الطيبة، أنزل الله عليهم فيها المنّ والسلوى، وأمره ربه أن يلقَاه، فلما أراد لقاء ربه، استخلف هارون على قومه، وواعدهم أن يأتيهم إلى ثلاثين ليلة، ميعادًا من قِبَله، من غير أمر ربه ولا ميعاده. فتوجه ليلقى ربه، فلما تمت ثلاثون ليلة، قال عدو الله السامريُّ: ليس يأتيكم موسى، وما يصلحكم إلا إله تعبدونه! فناشدهم هارون وقال: لا تفعلوا، انظروا ليلتكم هذه ويومكم هذا، فإن جاء وإلا فعلتم ما بدا لكم! فقالوا: نعم!.."[٣٧٨٥].

أبو بكر بن عبد الله الهذليّ، قال: "قام السامري إلى هارون حين انطلق موسى فقال: يا نبي الله، إنا استعرنا يوم خرجنا من القبط حليًّا كثيرًا من زينتهم، وإن الجند الذين معك قد أسرعوا في الحلي يبيعونه وينفقونه، وإنما كان عارية من آل فرعون، فليسوا بأحياء فنردّها عليهم، ولا ندري لعل أخاك نبيّ الله موسى إذا جاء يكون له فيها رأي، إما يقرّبها قربانا فتأكلها النار، وإما يجعلها للفقراء دون الأغنياء! فقال له هارون: نِعْمَ ما رأيت وما قلت! فأمر مناديًا فنادى: من كان عنده شيء من حليّ آل فرعون فليأتنا به! فأتوه به، فقال هارون: يا سامري أنت أحق من كانت عنده هذه الخزانة! فقبضها السامري، وكان عدو الله الخبيث صائغًا، فصاغ منه عجلا جسدًا، ثم قذف في جوفه تُرْبة من القبضة التي قبض من أثر فرس جبريل عليه السلام إذ رآه في البحر، فجعل يخور، ولم يخر إلا مرة واحدة، وقال لبني إسرائيل: إنما تخلف موسى بعد الثلاثين الليلة يلتمس هذا! {هذا إِلَهُكُمْ وإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ} [طه: ٨٨] . يقول: إن موسى عليه السلام نسي ربّه"[٣٧٨٦].

القرآن

{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ (١٤٣)} [الأعراف : ١٤٣]

التفسير:

ولما جاء موسى في الوقت المحدد وهو تمام أربعين ليلة، وكلَّمه ربه بما كلَّمه من وحيه وأمره ونهيه، طمع في رؤية الله فطلب النظر إليه، قال الله له: لن تراني، أي لن تقدر على رؤيتي في الدنيا، ولكن انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه إذا تجلَّيتُ له فسوف تراني، فلما تجلَّى ربه للجبل جعله دكًّا مستويًا بالأرض، وسقط موسى مغشيًّا عليه، فلما أفاق من غشيته قال: تنزيهًا لك يا رب عما لا يليق بجلالك، إني تبت إليك من مسألتي إياك الرؤية في هذه الحياة الدنيا، وأنا أول المؤمنين بك من قومي.

قوله تعالى:{وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا} [الأعراف : ١٤٣]، أي:" ولما جاء موسى في الوقت المحدد وهو تمام أربعين ليلة"[٣٧٨٧].

قوله تعالى:{وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} [الأعراف : ١٤٣]، أي:" وكلَّمه ربه بما كلَّمه من وحيه وأمره ونهيه"[٣٧٨٨].

أبو معشر عن أبي الحويرث قال: إنما كلم الله تعالى موسى بكلام يطيق موسى من كلامه ولو تكلم بكلامه كله لم يطيقه، فمكث موسى أربعين ليلة لا يراه أحد إلا مات من نور رب العالمين"[٣٧٨٩].

عن وهب بن منبه، قال: "إن الله كلم موسى في ألف مقام، كان إذا كلمه رأي النور في وجه موسى ثلاثة أيام ثم لم يمس موسى امرأة بعد ما كلمه ربه"[٣٧٩٠].

عن كعب الأحبار، قال: "لما كلم الله موسى كلمه بالألسنة كلها قبل لسانه، فطفق يقول: أي رب والله ما أفقه هذا حتى كلمه آخر الألسنة بلسانه بمثل صوته، فقال أي رب هذا كلامك فقال الله: لو كلمتك كلامي لم تك شيئا قال: أي رب: هل من خلقك شيء بشبه كلامك قال: لا وأقرب خلقي شبها بكلامي ما يسمع الناس من الصواعق"[٣٧٩١].

(٣٧٨٥) أخرجه الطبري(١٥٠٧١):ص١٣/٨٨-٨٩.

(٣٧٨٦) أخرجه الطبري(١٥٠٧٢):ص١٣/٨٩-٩٠.

(٣٧٨٧)التفسير الميسر:١٦٧.

(٣٧٨٨)التفسير الميسر:١٦٧.

(٣٧٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٢٦):ص٥/١٥٥٨.

(٣٧٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٣٠):ص٥/١٥٥٨.

(٣٧٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٢٧):ص٥/١٥٥٨.

عن ابن عجلان، قال: "كلم الله موسى بالألسنة كلها، وكان فيها كلمة لسان البربر، فقال: كلمته بالبربرية: أنا الله الكبير"[٣٧٩٢].

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ} [الأعراف : ١٤٣]، أي:" أرني ذاتك المقدسة أنظر إليها"[٣٧٩٣].

روي عن الربيع، في قوله: "{وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا} [مريم: ٥٢]، قال: حدثني من لقي أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه قرّبه الربّ حتى سمع صَرِيف القلم، فقال عند ذلك من الشوق إليه: {رب أرني انظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل}"[٣٧٩٤].

قال أبو بكر الهذلي:" لما تخلف موسى عليه السلام بعد الثلاثين، حتى سمع كلام الله، اشتاق إلى النظر إليه فقال: {ربّ أرني أنظر إليك! قال: لن تراني}، وليس لبشر أن يطيق أن ينظر إليّ في الدنيا، من نظر إلي مات! قال: إلهي سمعت منطقك، واشتقت إلى النظر إليك، ولأن أنظر إليك ثم أموتُ أحب إليّ من أن أعيش ولا أراك! قال: فانظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه فسوف تراني"[٣٧٩٥].

قوله تعالى:{قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي} [الأعراف : ١٤٣]، أي:" لن تقدر على رؤيتي في الدنيا، ولكن انظر إلى الجبل، فإن استقر مكانه إذا تجلّيتُ له فسوف تراني"[٣٧٩٦].

قال السدي:" إن موسى عليه السلام لما كلمه ربه، أحب أن ينظر إليه، قال: {رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني}، فحُفَّ حول الجبل بملائكة، وحُفَّ حول الملائكة بنار، وحُفّ حول النار بملائكة، وحُفّ حول الملائكة بنار، ثم تجلى ربه للجبل"[٣٧٩٧].

قوله تعالى:{فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا} [الأعراف : ١٤٣]، أي:" فلما تجلّى ربه للجبل جعله دكًّا مستويًا بالأرض، وسقط موسى مغشيًّا عليه"[٣٧٩٨].

عن الربيع: "{فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا وخرّ موسى صعقًا} ، وذلك أن الجبل حين كُشِف الغطاء ورأى النور، صار مثل دكّ من الدكّات"[٣٧٩٩].

عن مجاهد: "{ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه}، فإنه أكبر منك وأشد خلقا ، {فلما تجلى ربه للجبل}، فنظر إلى الجبل لا يتمالك، وأقبل الجبل يندك على أوله. فلما رأى موسى ما يصنع الجبل، خر صعقًا"[٣٨٠٠].

عن ابن جريج: "{وخر موسى صعقًا} ، أي: ميتًا"[٣٨٠١].

عن قتادة قوله: "{فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا}، قال انقعر بعضه على بعض، {وخر موسى صعقًا}، أي: ميتا"[٣٨٠٢].

عن أبي بكر الهذلي: "{فلما تجلى ربه للجبل جعله دكًّا}، انقعر فدخل تحت الأرض، فلا يظهر إلى يوم القيامة"[٣٨٠٣].

وروي عن عكرمة قال: "«دكّاء من الدكّاوات». وقال: لما نظر الله تبارك وتعالى إلى الجبل صار صَحراء ترابًا"[٣٨٠٤].

قوله تعالى:{فَلَمَّا أَفَاقَ} [الأعراف : ١٤٣]، أي:" فلما أفاق من غشيته"[٣٨٠٥].

(٣٧٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٢٩):ص١٥٥٨/٥.
(٣٧٩٣) صفوة التفاسير:٤٣٥/١.
(٣٧٩٤) أخرجه الطبري(١٥٠٧٤):ص٩٠/١٣-٩١.
(٣٧٩٥) أخرجه الطبري(١٥٠٧٥):ص٩١/١٣.
(٣٧٩٦)التفسير الميسر:١٦٧.
(٣٧٩٧) أخرجه الطبري(١٥٠٧٣):ص٩٠/١٣.
(٣٧٩٨)التفسير الميسر:١٦٧.
(٣٧٩٩) أخرجه الطبري(١٥٠٨٩):ص٩٨/١٣.
(٣٨٠٠) أخرجه الطبري(١٥٠٩٠):ص١٠٠/١٣.
(٣٨٠١) أخرجه الطبري(١٥٠٨٢):ص٩٧/١٣.
(٣٨٠٢) أخرجه الطبري(١٥٠٨١):ص٩٧/١٣.
(٣٨٠٣) أخرجه الطبري(١٥٠٨٥):ص٩٨/١٣.
(٣٨٠٤) أخرجه الطبري(١٥٠٩١):ص١٠١/١٣.

قوله تعالى:{فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف : ١٤٣]، أي:" فلما أفاق من غشيته، قال: تنزيهًا لك يا رب عما لا يليق بجلالك، إني تبت إليك من مسألتي إياك الرؤية في هذه الحياة الدنيا، وأنا أول المؤمنين بك من قومي"[٣٨٠٦]

عن مجاهد:"{سبحانك تبت إليك}، قال: من مسألتي الرؤية"[٣٨٠٧]، {وأنا أول المؤمنين}: أنا أول قومي إيمانًا"[٣٨٠٨].

عن أبي العالية في قوله: "{تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين}، قال: كان قبله مؤمنون، ولكن يقول: أنا أوّل من آمن بأنه لا يراك أحد من خلقك إلى يوم القيامة"[٣٨٠٩].

قال الربيع:" لما رأى موسى ذلك وأفاق، عرف أنه قد سأل أمرًا لا ينبغي له، فقال: "سبحانك تبت إليك وأنا أوّل المؤمنين"، قال أبو العالية: عنى: إني أوّل من آمن بك أنه لن يراك أحدٌ قبل يوم القيامة"[٣٨١٠].

القرآن

{قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٤٤)} [الأعراف : ١٤٤]

التفسير:

قال الله يا موسى: إني اخترتك على الناس برسالاتي إلى خلقي الذين أرسلتك إليهم وبكلامي إياك مِن غير وساطة، فخذ ما أعطيتك مِن أمري ونهيي، وتمسَّك به، واعمل به، وكن من الشاكرين لله تعالى على ما آتاك من رسالته، وخصَّك بكلامه.

عن قتادة:" قال الله: {يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين} [الأعراف: ١٤٤] , قال: «فرضي نبي الله»[٣٨١١].

القرآن

{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ (١٤٥)} [الأعراف : ١٤٥]

التفسير:

وكتبنا لموسى في التوراة من كل ما يحتاج إليه في دينه من الأحكام، موعظة للازدجار والاعتبار وتفصيلا لتكاليف الحلال والحرام والأمر والنهي والقصص والعقائد والأخبار والمغيبات، قال الله له: فخذها بقوة، أي: خذ التوراة بجد واجتهاد، وأمر قومك يعملوا بما شرع الله فيها; فإن مَن أشرك منهم ومِن غيرهم فإني سأريه في الآخرة دار الفاسقين، وهي نار الله التي أعدَّها لأعدائه الخارجين عن طاعته.

قوله تعالى:{وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ} [الأعراف : ١٤٥]، أي:" وكتبنا لموسى في التوراة من كل ما يحتاج إليه في دينه من الأحكام، موعظة للازدجار والاعتبار وتفصيلا لتكاليف الحلال والحرام والأمر والنهي والقصص والعقائد والأخبار والمغيبات "[٣٨١٢].

عن سعيد بن جبيرفي قول الله: "{وتفصيلا لكل شيء}، قال: ما أمروا به ونهوا عنه"[٣٨١٣].

عن السدي: "{وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء}، من الحلال والحرام"[٣٨١٤].

(٣٨٠٥)التفسير الميسر:١٦٧.
(٣٨٠٦)التفسير الميسر:١٦٧.
(٣٨٠٧) أخرجه الطبري(١٥٠٩٦):ص١٠٣/١٣.
(٣٨٠٨) أخرجه الطبري(١٥١٠٢):ص١٠٤/١٣.
(٣٨٠٩) أخرجه الطبري(١٥٠٩٢):ص١٠٢/١٣-١٠٣.
(٣٨١٠) أخرجه الطبري(١٥٠٩٣):ص١٠٣/١٣.
(٣٨١١) أخرجه الطبري(٩٤٠):ص٩١/٢.
(٣٨١٢) التفسير الميسر:١٦٨.
(٣٨١٣) أخرجه الطبري(١٥١٠٦):ص١٠٦/١٣-١٠٧.
(٣٨١٤) أخرجه الطبري(١٥١٠٨):ص١٠٧/١٣.

قال وهب:" كتب له: لا تشرك بي شيئًا من أهل السماء ولا من أهل الأرض، فإن كل ذلك خلقي. لا تحلف باسمي كاذبًا، فإن من حلف باسمي كاذبًا فلا أزكّيه، ووقّر والديك"[٣٨١٥].

عن مجاهد قوله: "{وتفصيلاً لكل شيء}، قال: ما أمروا به ونهوا عنه"[٣٨١٦].

قوله تعالى:{فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ} [الأعراف : ١٤٥]، أي:" فخذ التوراة بجد واجتهاد"[٣٨١٧].

قال الطبري:" وقلنا لموسى إذ كتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء: خذ الألواح بقوة"[٣٨١٨].

واختلف في تفسير قوله تعالى:{فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ} [الأعراف : ١٤٥]، على وجهين:

أحدهما: بجد واجتهاد. قاله السدي[٣٨١٩].

والثاني: فخذها بالطاعة لله. قاله الربيع بن أنس[٣٨٢٠].

قوله تعالى:{وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا} [الأعراف : ١٤٥]، أي:" وأمر قومك يعملوا بما شرع الله فيها"[٣٨٢١].

عن السدي: "{وأمر قومك يأخذوا بأحسنها}، بأحسن ما يجدون فيها"[٣٨٢٢].

قوله تعالى:{سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} [الأعراف : ١٤٥]، أي:" فإن مَن أشرك منهم ومِن غيرهم فإني سأريه في الآخرة دار الفاسقين"[٣٨٢٣].

عن سعيد بن جبير : "{سأريكم دار الفاسقين}، قال: رفعت لموسى حتى رآها"[٣٨٢٤].

وفي قوله تعالى:{سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ} [الأعراف : ١٤٥]، أقوال:

أحدها : مصيرهم في الآخرة وهي جهنم ، قاله الحسن[٣٨٢٥]، ومجاهد[٣٨٢٦].

الثاني : أي: منازل الفاسقين، وهي منازل من هلك بالتكذيب من عاد وثمود والقرون الخالية ، لتعتبروا بها وبما صاروا إليه من النكال، قاله قتادة[٣٨٢٧].

الثالث :معناه: سأدخلكم أرض الشام، فأريكم منازل الكافرين الذين هم سكانها من الجبابرة والعمالقة. قاله قتادة[٣٨٢٨].

القرآن

{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ (١٤٦)} [الأعراف : ١٤٦]

التفسير:

سأصرف عن فَهْم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي، والمتكبرين على الناس بغير الحق، فلا يتبعون نبيًا ولا يصغون إليه لتكبرهم، وإنْ يَرَ هؤلاء المتكبرون عن الإيمان كل آية لا يؤمنوا بها لإعراضهم ومحادَّتهم لله ورسوله، وإن يروا طريق الصلاح لا يتخذوه طريقًا،

(٣٨١٥) أخرجه الطبري(١٥١١١):ص١٠٨/١٣.

(٣٨١٦) أخرجه الطبري(١٥١٠٩):ص١٠٧/١٣.

(٣٨١٧) التفسير الميسر:١٦٨.

(٣٨١٨) تفسير الطبري:١٠٨/١٣.

(٣٨١٩) انظر: تفسير الطبري(١٥١١٣):ص١٠٩/١٣.

(٣٨٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٥١١٤):ص١٠٩/١٣.

(٣٨٢١) التفسير الميسر:١٦٨.

(٣٨٢٢) أخرجه الطبري(١٥١١٥):ص١١٠/١٣.

(٣٨٢٣) التفسير الميسر:١٦٨.

(٣٨٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٧٥):١٥٦٦/١٣.

(٣٨٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٥١١٩):ص١١١/١٣.

(٣٨٢٦) انظر: تفسير الطبري(١٥١١٧):ص١١١/١٣.

(٣٨٢٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٩٧٩):ص١٥٦٦/٥.

(٣٨٢٨) انظر: تفسير الطبري(١٥١٢٠):ص١١١/١٣.

وإن يروا طريق الضلال، أي الكفر يتخذوه طريقًا وديئًا; وذلك بسبب تكذيبهم بآيات الله وغفلتهم عن النظر فيها والتفكر في دلالاتها.

قوله تعالى:{سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ} [الأعراف : ١٤٦]، أي:" سأصرف عن فَهْم الحجج والأدلة الدالة على عظمتي وشريعتي وأحكامي قلوب المتكبرين عن طاعتي، والمتكبرين على الناس بغير الحق، فلا يتبعون نبيًا ولا يصغون إليه لتكبرهم"(٣٨٢٩).

قال السدي:" يقول: سأصرفهم أن يتفكروا في آياتي"(٣٨٣٠).

عن ابن جريج: "{سأصرف عن آياتي}، عن خلق السموات والأرض والآيات فيها، سأصرفهم عن أن يتفكروا فيها ويعتبروا"(٣٨٣١).

القرآن

{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٤٧)} [الأعراف : ١٤٧]

التفسير:

والذين كذَّبوا بآيات الله وحججه وبلقاء الله في الآخرة حبطت أعمالهم; بسبب فَقْدِ شرطها، وهو الإيمان بالله والتصديق بجزائه، ما يجزون في الآخرة إلا جزاء ما كانوا يعملونه في الدنيا من الكفر والمعاصي، وهو الخلود في النار.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} [الأعراف : ١٤٧]، أي:" والذين كذَّبوا بآيات الله وحججه وبلقاء الله في الآخرة، حبطت أعمالهم; بسبب فَقْدِ شرطها، وهو الإيمان بالله والتصديق بجزائه"(٣٨٣٢).

عن أبي مالك قوله: "{حبطت أعمالهم}، يعني: بطلت أعمالهم"(٣٨٣٣).

القرآن

{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨)} [الأعراف : ١٤٨]

التفسير:

واتخذ قوم موسى من بعد ما فارقهم ماضيًا لمناجاة ربه معبودًا من ذهبهم عِجلا جسدًا بلا روح، له صوت، ألم يعلموا أنه لا يكلمهم، ولا يرشدهم إلى خير؟ أقْدَمُوا على ما أقدموا عليه من هذا الأمر الشنيع، وكانوا ظالمين لأنفسهم واضعين الشيء في غير موضعه.

قوله تعالى:{وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ} [الأعراف : ١٤٨]، أي:" واتخذ قوم موسى من بعد ما فارقهم ماضيًا لمناجاة ربه معبودًا من ذهبهم عِجلا جسدًا بلا روح، له صوت"(٣٨٣٤).

عن سعيد بن جبير:" {له خوار}، قال: والله ما كان له صوت قط، ولكن الريح كانت تدخل في دبره وتخرج من فيه فكان ذلك الصوت من ذلك"(٣٨٣٥).

قال قتادة:" استعاروا حليا من آل فرعون فجمعه السامري فصاغ منه عجلا فجعله الله جسدا لحما ودما له خوار"(٣٨٣٦).

(٣٨٢٩) التفسير الميسر:١٦٨.
(٣٨٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٨٢):ص١٥٦٧/٥.
(٣٨٣١) انظر: تفسير الطبري(١٥١٢٣):ص١١٣/١٣.
(٣٨٣٢) التفسير الميسر:١٦٨.
(٣٨٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٨٥):ص١٥٦٧/٥.
(٣٨٣٤) التفسير الميسر:١٦٨.
(٣٨٣٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٩٩٠):ص١٥٦٨/٥.
(٣٨٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٩٨٨):ص١٥٦٨/٥.

عن السدي، قال: "موسى: يا رب هذا السامري أمرهم أن يتخذوا العجل أرأيت الروح من نفخها فيه قال الرب: أنا، قال رب: فأنت إذا أضللتهم"[٣٨٣٧].

قوله تعالى:{أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا} [الأعراف : ١٤٨]، أي:" ألم يعلموا أنه لا يكلمهم، ولا يرشدهم إلى خير؟"[٣٨٣٨].

عن الضحاك بن مزاحم، قال: في العجل: "خار خورة لم يثن، ألم تر أن الله قال: {ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يرجع إليهم قولا}"[٣٨٣٩].

القرآن

{وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩)} [الأعراف : ١٤٩]

التفسير:

ولما ندم الذين عبدوا العجل مِن دون الله عند رجوع موسى إليهم، ورأوا أنهم قد ضلُّوا عن قصد السبيل، وذهبوا عن دين الله، أخذوا في الإقرار بالعبودية والاستغفار، فقالوا: لئن لم يرحمنا ربنا بقَبول توبتنا، ويستر بها ذنوبنا، لنكونن من الهالكين الذين ذهبت أعمالهم.

قال السدي، قال: "فلما أسقط في أيدي بني إسرائيل حين جاء موسى عليه السلام، {وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا}، {قَالُوا لَئِنْ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الأعراف : ١٤٩]، فأبى الله عز وجل أن يقبل توبة بني إسرائيل إلا بالحال التي كرهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل"[٣٨٤٠].

القرآن

{وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠)} [الأعراف : ١٥٠]

التفسير:

ولما رجع موسى إلى قومه مِن بني إسرائيل غضبان حزينًا; لأن الله قد أخبره أنه قد فُتِن قومه، وأن السامريَّ قد أضلَّهم، قال موسى: بئس الخلافة التي خلفتموني مِن بعدي، أعجلتم أمْر ربكم؟ أي: أستعجلتم مجيئي إليكم وهو مقدَّر من الله تعالى؟ وألقى موسى ألواح التوراة غضبا على قومه الذين عبدوا العجل، وغضبًا على أخيه هارون، وأمسك برأس أخيه يجره إليه، قال هارون مستعطفًا: يا ابن أمي: إن القوم استذلوني وعدُّوني ضعيفًا وقاربوا أن يقتلوني، فلا تَسرَّ الأعداء بما تفعل بي، ولا تجعلني في غضبك مع القوم الذين خالفوا أمرك وعبدوا العجل.[٣٨٤١].

قوله تعالى:{وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا} [الأعراف : ١٥٠]، أي:" ولما رجع موسى إلى قومه مِن بني إسرائيل غضبان حزينًا"[٣٨٤٢].

وروي عن السدي:"{أسفًا}، قال: حزينًا"[٣٨٤٣].

عن الحسن:"{غضبان أسفًا}، قال: غضبان حزينًا"[٣٨٤٤].

عن مجاهد: {غضبان أسفًا}، قال: جزعا"[٣٨٤٥].

(٣٨٣٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٩٨٩):ص١٥٦٨/٥.

(٣٨٣٨) التفسير الميسر:١٦٨.

(٣٨٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٩٢):ص١٥٦٩/٥.

(٣٨٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٩٣):ص١٥٦٩/٥.

(٣٨٤١) التفسير الميسر:١٦٩.

(٣٨٤٢) التفسير الميسر:١٦٨.

(٣٨٤٣) أخرجه الطبري(١٥١٢٥):ص١٢١/١٣.

(٣٨٤٤) أخرجه الطبري(١٥١٢٧):ص١٢١/١٣.

(٣٨٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٩٧):ص١٥٦٩/٥.

قوله تعالى:{أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ} [الأعراف : ١٥٠]، أي:" أعجلتم عن أمر ربكم وهو انتظار موسى حتى يرجع من الطور؟"(٣٨٤٦).

عن الحسن والسدي: يعني: "وعد ربكم الذي وعدني به من الأربعين ليلة ، وذلك أنه قَدَّروا أنه قد مات لمَّا لم يأت على رأس الثلاثين ليلة" (٣٨٤٧).

قوله تعالى:{وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ} [الأعراف : ١٥٠]، أي:" طرح الألواح لما عراه من شدة الغضب، وفرط الضجر غضباً لله من عبادة العجل"(٣٨٤٨).

قال سعيد:" أدناه حتى سمع صريف الأقلام"(٣٨٤٩).

قال الربيع بن أنس:" أنزلت التوراة وهي سبعون وَقْر بعير، يقرأ منها الجزء في سنة، لم يقرأها إلا أربعة نفر: موسى بن عمران، وعيسى، وعزير، ويوشع بن نون، صلوات الله عليهم"(٣٨٥٠).

و اختلف أهل العلم في سبب إلقائه «الألواح»، على وجهين:

أحدهما: أنه ألقاها غضبًا على قومه الذين عبدوا العجل. قاله السدي(٣٨٥١).

والثاني: من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- أنهم خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله ، قال : رب فاجعلهم أمتي قال : تلك أمة أحمد ، فاشتد عليه فألقاها ، قاله قتادة(٣٨٥٢).

عن قتادة، قوله: "{أخذ الألواح}، قال: رب، إني أجد في الألواح أمةً خيرَ أمة أخرجت للناس، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم الآخرون- أي آخرون في الخلق- السابقون في دخول الجنة، رب اجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة أناجيلهم في صدورهم يقرأونها، وكان من قبلهم يقرأون كتابهم نظرًا، حتى إذا رفعوها لم يحفظوا شيئًا، ولم يعرفوه. قال قتادة: وإن الله أعطاكم أيتها الأمة من الحفظ شيئًا لم يعطه أحدًا من الأمم ، قال: ربِّ اجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة يؤمنون بالكتاب الأول وبالكتاب الآخر، ويقاتلون فضول الضلالة، حتى يقاتلوا الأعور الكذاب، فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة صدقاتهم يأكلونها في بطونهم، ثم يؤجرون عليها، وكان من قبلهم من الأمم إذا تصدق بصدقة فقبلت منه، بعث الله عليها نارًا فأكلتها، وإن ردَّت عليه تركت تأكلها الطير والسباع. قال: وإن الله أخذ صدقاتكم من غنيكم لفقيركم، قال: رب اجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بحسنة ثم لم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها إلى سبعمائة، رب اجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة إذا همّ أحدهم بسيئة لم تكتب عليه حتى يعملها، فإذا عملها كتبت عليه سيئة واحدة، فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المستجيبون والمستجاب لهم، فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد، قال: رب إني أجد في الألواح أمة هم المشفَّعون والمشفوع لهم، فاجعلهم أمتي! قال: تلك أمة أحمد! قال: وذكر لنا أن نبي الله موسى عليه السلام نبذ الألواح وقال: اللهم اجعلني من أمة أحمد! قال: فأعطي نبي الله موسى عليه السلام ثنتين لم يعطهما نبيٌّ، قال الله: {يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي} [سورة الأعراف: ١٤٣] . قال: فرضي نبي الله. ثم أعطي الثانية: {وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ} [سورة الأعراف: ١٥٩] ، قال: فرضي نبي الله صلى الله عليه وسلم كل الرضى"(٣٨٥٣).

واختلفوا في «الألواح»، على أقوال:

أحدها: أنها كانت من زُمرد أخضر. قاله مجاهد(٣٨٥٤).

الثاني: أنها كانت من ياقوت. وهذا قول سعيد بن جبير(٣٨٥٥).

(٣٨٤٦) صفوة التفاسير:١/٤٤٠.

(٣٨٤٧)النكت والعيون:٢/٢٦٣.

(٣٨٤٨) صفوة التفاسير:١/٤٤٠.

(٣٨٤٩) أخرجه الطبري(١٥١٣٥):ص١٣/١٢٤-١٢٥.

(٣٨٥٠) أخرجه الطبري(١٥١٣٦):ص١٣/١٢٦.

(٣٨٥١) أخرجه الطبري(١٥١٣٠):ص١٣/١٢٣.

(٣٨٥٢) انظر: تفسير الطبري(١٥١٣٢)، و(١٥١٣٣):ص١٣/١٢٣-١٢٤.

(٣٨٥٣) أخرجه الطبري(١٥١٣٢):ص١٣/١٢٣-١٢٤.

(٣٨٥٤) انظر: تفسير الطبري(١٥١٤١):ص١٣/١٢٧.

الثالث: أنها كانت من بَرَد. قاله ابو العالية[٣٨٥٦].

قوله تعالى:{وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ} [الأعراف : ١٥٠]، أي:" وأخذ بشعر رأس أخيه هارون يجره إليه ظناً منه أنه قصَّر في كفهم عن ذلك"[٣٨٥٧].

قال محمد بن إسحاق:" لما انتهى موسى إلى قومه فرأى ما هم عليه من عبادة العجل، ألقى الألواح من يده، ثم أخذ برأس أخيه ولحيته، ويقول: {مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلا تَتَّبِعَنِي أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي} [سورة طه: ٩٢، ٩٣] "[٣٨٥٨].

قال السدي:" أخذ موسى الألواح، ثم رجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا، فقال: {يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا} ، إلى قوله: {فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ} [سورة طه: ٨٦-٨٧] ، فألقى موسى الألواح، وأخذ برأس أخيه يجره إليه{قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي} [سورة طه: ٩٤]"[٣٨٥٩].

قوله تعالى:{قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي} [الأعراف : ١٥٠]، أي:" قال هارون مستعطفًا: يا ابن أمي: إن القوم استذلوني وعدُّوني ضعيفًا وقاربوا أن يقتلوني"[٣٨٦٠].

عن الحسن:"أنه قال ذلك لأنه كان أخاه لأمه"[٣٨٦١].

قوله تعالى:{فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ} [الأعراف : ١٥٠]، أي:" فلا تَسرَّ الأعداء بما تفعل بي"[٣٨٦٢].

وروي عن مجاهد أنه قرأ:«فَلا تَشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ»[٣٨٦٣].

قوله تعالى:{وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [الأعراف : ١٥٠]، أي:" ولا تجعلني في غضبك مع القوم الذين خالفوا أمرك وعبدوا العجل"[٣٨٦٤].

عن مجاهد: "{ولا تجعلني مع القوم الظالمين}، قال: أصحاب العجل"[٣٨٦٥].

القرآن

{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١)} [الأعراف : ١٥١]

التفسير:

قال موسى لما تبين له عذر أخيه، وعلم أنه لم يُفَرِّط فيما كان عليه من أمر الله: ربِّ اغفر لي غضبي، واغفر لأخي ما سبق بينه وبين بني إسرائيل، وأدخلنا في رحمتك الواسعة، فإنك أرحم بنا من كل راحم.

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي} [الأعراف : ١٥١]، أي:" : ربِّ اغفر لي غضبي، واغفر لأخي ما سبق بينه وبين بني إسرائيل"[٣٨٦٦].

قال الحسن: "عبد كلهم العجل غير هارون، إذ لو كان ثم مؤمن غير موسى وهارون لما اقتصر على قوله: رب اغفر لي ولأخي، ولدعا لذلك المؤمن أيضا"[٣٨٦٧].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢)} [الأعراف : ١٥٢]

التفسير:

(٣٨٥٥) انظر: تفسير الطبري(١٥١٣٨):ص١٢٧/١٣.

(٣٨٥٦) انظر: تفسير الطبري(١٥١٣٩):ص١٢٧/١٣.

(٣٨٥٧) صفوة التفاسير:٤٤٠/١.

(٣٨٥٨) أخرجه الطبري(١٥١٣١):ص١٢٣/١٣.

(٣٨٥٩) أخرجه الطبري(١٥١٣٠):ص١٢٣/١٣.

(٣٨٦٠) التفسير الميسر:١٦٨.

(٣٨٦١) انظر: النكت والعيون:٢٦٤/٢.

(٣٨٦٢) التفسير الميسر:١٦٨.

(٣٨٦٣) أخرجه الطبري(١٥١٤٢)(١٥١٤٤):ص١٣/.١٣١-١٣٢.

(٣٨٦٤) التفسير الميسر:١٦٨.

(٣٨٦٥) أخرجه الطبري(١٥١٤٥):ص١٣٣/١٣.

(٣٨٦٦) التفسير الميسر:١٦٩.

(٣٨٦٧) حكاه عنه القرطبي في تفسيره:٢٨٩/٧.

إن الذين اتخذوا العجل إلهًا سينالهم غضب شديد مِن ربهم وهوان في الحياة الدنيا; بسبب كفرهم بربهم، وكما فعلنا بهؤلاء نفعل بالمفترين المبتدعين في دين الله.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الأعراف : ١٥٢]، أي:" إن الذين اتخذوا العجل إلهًا سينالهم غضب شديد مِن ربهم وهوان في الحياة الدنيا"(٣٨٦٨).

روي عن الحسن:" اسم عجل بني إسرائيل الذي عبدوه يهبوث"(٣٨٦٩).

عن أيوب قال: "تلا أبو قلابة: {سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا} الآية، قال: فهو جزاء كل مفترٍ يكون إلى يوم القيامة: أن يذله الله عز وجل"(٣٨٧٠).

وقال ابن جريج:" هذا لمن مات ممن اتخذ العجل قبل أن يرجع موسى عليه السلام، ومن فرّ منهم حين أمرهم موسى أن يقتل بعضهم بعضًا"(٣٨٧١).

وعن ثابت، وحميد: "أن قيس بن عُبَاد، وجارية بن قدامة، دخلا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقالا أرأيت هذا الأمر الذي أنت فيه وتدعو إليه، أعهدٌ عهده إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم رأيٌ رأيته؟ قال: ما لكما ولهذا؟ أعرضا عن هذا! فقالا: والله لا نعرضُ عنه حتى تخبرنا! فقال: ما عهد إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا كتابًا في قراب سيفي هذا! فاستلّه، فأخرج الكتاب من قراب سيفه، وإذا فيه: «إنه لم يكن نبيّ إلا له حرم، وأنّي حرمت المدينة كما حرّم إبراهيم عليه السلام مكة، لا يحمل فيها السلاحُ لقتال. من أحدث حدثًا أو آوى مُحدِثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عَدْل». فلما خرجا قال أحدهما لصاحبه: أما ترى هذا الكتاب؟ فرجعا وتركاه وقالا إنا سمعنا الله يقول: {إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم}، الآية، وإن القوم قد افتروا فرية، ولا أدري إلا سينزل بهم ذلة"(٣٨٧٢).

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ} [الأعراف : ١٥٢]، أي:" كما جازينا هؤلاء بإحلال الغضب والإذلال كذلك نجزي كل من افترى الكذب على الله"(٣٨٧٣).

قال الحسن البصري : "إن ذل البدعة على أكتافهم، وإن هَمْلَجَت بهم البغلات ، وطقطقت بهم البراذين"(٣٨٧٤).

القرآن

{وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٥٣)} [الأعراف : ١٥٣]

التفسير:

والذين عملوا السيئات من الكفر والمعاصي، ثم رجعوا مِن بعد فعلها إلى الإيمان والعمل الصالح، إن ربك من بعد التوبة النصوح لغفور لأعمالهم غير فاضحهم بها، رحيم بهم وبكل مَن كان مثلهم من التائبين.

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأعراف : ١٥٣]، أي:" إن ربك من بعد التوبة النصوح لغفور لأعمالهم غير فاضحهم بها، رحيم بهم وبكل مَن كان مثلهم من التائبين"(٣٨٧٥).

قال سعيد بن جبير:" {لغفور}، لما كان منهم في الشرك"(٣٨٧٦)، {رحيم}:"رحيم بهم بعد التوبة"(٣٨٧٧).

(٣٨٦٨) التفسير الميسر:١٦٩.
(٣٨٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٠٣):ص١٥٧١/٥.
(٣٨٧٠) أخرجه الطبري(١٥١٤٨):ص١٣٥/١٣.
(٣٨٧١) أخرجه الطبري(١٥١٤٧):ص١٣٤/١٣.
(٣٨٧٢) أخرجه الطبري(١٥١٥٠):ص١٣٥/١٣-١٣٦.
(٣٨٧٣) صفوة التفاسير:٤٤٠/١.
(٣٨٧٤) تفسير ابن كثير:٤٧٧/٣-٤٤٧٨.
(٣٨٧٥) التفسير الميسر:١٦٩.
(٣٨٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠١١):ص١٥٧٢/٥.
(٣٨٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠١٣):ص١٥٧٢/٥.

قال قتادة:" {لغفور}، يعني: الذنوب الكثيرة، أو الكبيرة. -شك يزيد-"[٣٨٧٨]، "{رحيم}، قال: بعباده"[٣٨٧٩].

القرآن

{وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ (١٥٤)} [الأعراف : ١٥٤]

التفسير:

ولما سكن عن موسى غضبه أخذ الألواح بعد أن ألقاها على الأرض، وفيها بيان للحق ورحمة للذين يخافون الله، ويخشون عقابه.

قوله تعالى:{وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ} [الأعراف : ١٥٤]، أي:" وفيها بيان للحق ورحمة للذين يخافون الله، ويخشون عقابه"[٣٨٨٠].

عن مجاهد وإبراهيم: في قوله تعالى:{ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ}، قالا: هو " الرجل يريد أن يذنب، فيذكر مقام ربه، فيدع الذنب"[٣٨٨١].

القرآن

{وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ (١٥٥)} [الأعراف : ١٥٥]

التفسير:

واختار موسى من قومه سبعين رجلا مِن خيارهم، وخرج بهم إلى طور «سيناء» للوقت والأجل الذي واعده الله أن يلقاه فيه بهم للتوبة مما كان من سفهاء بني إسرائيل من عبادة العجل، فلما أتوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك -يا موسى- حتى نرى الله جهرة فإنك قد كلَّمته فأرِنَاهُ، فأخذتهم الزلزلة الشديدة فماتوا، فقام موسى يتضرع إلى الله ويقول: رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتُهم، وقد أهلكتَ خيارهم؟ لو شئت أهلكتهم جميعًا من قبل هذا الحال وأنا معهم، فإن ذلك أخف عليَّ، أتهلكنا بما فعله سفهاء الأحلام منا؟ ما هذه الفعلة التي فعلها قومي من عبادتهم العجل إلا ابتلاءٌ واختبارٌ، تضلُّ بها مَن تشاء مِن خلقك، وتهدي بها من تشاء هدايته، أنت وليُّنا وناصرنا، فاغفر ذنوبنا، وارحمنا برحمتك، وأنت خير مَن صفح عن جُرْم، وستر عن ذنب.

قوله تعالى:{وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا} [الأعراف : ١٥٥]، أي:" واختار موسى من قومه سبعين رجلا مِن خيارهم، وخرج بهم إلى طور «سيناء» للوقت والأجل الذي واعده الله أن يلقاه فيه بهم للتوبة مما كان من سفهاء بني إسرائيل من عبادة العجل"[٣٨٨٢].

عن ميمون: "{واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا}، قال: لموعدهم الذي وعدهم"[٣٨٨٣].

عن مجاهد: "{سبعين رجلا لميقاتنا}، قال: اختارهم لتمام الوعد"[٣٨٨٤].

قال السدي:" إن الله أمر موسى عليه السلام أن يأتيه في ناسٍ من بني إسرائيل، يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعدهم موعدًا، فاختار موسى قومه سبعين رجلا على عينه، ثم ذهب بهم ليعتذروا. فلما أتوا ذلك المكان قالوا: لن نؤمن لك يا موسى حتى نرى الله جهرة، فإنك قد كلمته، فأرناه! فأخذتهم الصاعقة فماتوا، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول: رَبِّ ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم، لو شئتَ أهلكتهم من قبل وإيّاي!"[٣٨٨٥].

(٣٨٧٨) تفسير ابن أبي حاتم(٩٠١٢):ص١٥٧٢/٥.
(٣٨٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠١٤):ص١٥٧٢/٥.
(٣٨٨٠) التفسير الميسر:١٦٩.
(٣٨٨١) رواه ابن أبي الدنيا، في "التوبة"(٥٣):ص٦٧، وأخرجه البيهقي في "شعب الإيمان(٧٢٥):ص١٩٩/٢.
(٣٨٨٢) التفسير الميسر:١٦٩.
(٣٨٨٣) أخرجه الطبري(١٥١٥٥):ص١٤١/١٣.
(٣٨٨٤) أخرجه الطبري(١٥١٥٦):ص١٤١/١٣.
(٣٨٨٥) أخرجه الطبري(١٥١٥٢):ص١٤٠/١٣.

قال ابن إسحاق:" اختار موسى من بني إسرائيل سبعين رجلا الخيِّر فالخيرَ، وقال: انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم، واسألوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم، صوموا وتَطَهَّروا، وطهِّروا ثيابكم! فخرج بهم إلى طور سيْناء، لميقات وقَّته له ربه. وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم. فقال السبعون -فيما ذكر لي- حين صنعوا ما أمرهم به، وخرجوا معه للقاء ربِّه، لموسى: اطلب لنا نسمع كلام ربِّنا! فقال: أفعل. فلما دنا موسى من الجبل، وقع عليه عمودُ الغمام، حتى تغشى الجبلَ كله. ودنا موسى فدخل فيه، وقال للقوم: ادنوا! وكان موسى إذا كلمه الله وقَع على جبهته نورساطع، لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه! فضرب دونه بالحجاب. ودنا القوم، حتى إذا دخلوا في الغمام وقَعوا سجودًا، فسمعوه وهو يكلِّم موسى، يأمره وينهاه: افعل، ولا تفعل! فلما فرغ الله من أمره، انكشف عن موسى الغمام. أقبل إليهم، فقالوا لموسى: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة! فأخذتهم الرجفة- وهي الصاعقة- فَاقْتُلِتَتْ أرواحهم، فماتوا جميعًا، وقام موسى عليه السلام يناشد ربّه ويدعوه ويرغب إليه، ويقول: رب لو شئت أهلكتهم من قبلُ وإياي! قد سفهوا! أفتهلك مَنْ ورائي من بني إسرائيل؟"[٣٨٨٦].

قوله تعالى:{فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} [الأعراف : ١٥٥]، أي:" فلما رجف بهم الجبل وصعقوا"[٣٨٨٧].

قال مجاهد:" ماتوا ثم أحياهم"[٣٨٨٨].

قوله تعالى:{قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّايَ} [الأعراف : ١٥٥]، أي:" قال موسى على وجه التضرع والإستسلام لأمر الله: لو شئت يا ربِّ أن تهلكنا قبل ذلك لفعلتَ فإنَّا عبيدك وتحت قهرك وأنت تفعل ما تشاء"[٣٨٨٩].

وفي سبب أخذها لهم قولان :

أحدهما : لأنهم سألوا الرؤية ، قاله ابن إسحاق[٣٨٩٠] .

الثاني: لأنهم لم ينهوا عن عبادة العجل. وهذا قول ابن جريج[٣٨٩١]، ومحمد بن كعب القرظي[٣٨٩٢].

قوله تعالى:{أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا} [الأعراف : ١٥٥]، أي:" أتهلكنا وسائر بني إسرائيل بما فعل هؤلاء السفهاء السبعون في قولهم: {أَرِنَا الله جَهْرَةً} [النساء: ١٥٣] ؟"[٣٨٩٣].

وفي قوله تعالى:{أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا} [الأعراف : ١٥٥]، وجهان:

أحدهما: أتهلك هؤلاء الذين أهلكتهم بما فعل السفهاء منا، أي: بعبادة من عبد العجل؟ قالوا: وكان الله إنما أهلكهم لأنهم كانوا ممن يَعبد العجل. وقال موسى ما قال، ولا علم عنده بما كان منهم من ذلك. وهذا معنى قول السدي[٣٨٩٤].

والثاني: معناه: إن إهلاكك هؤلاء الذين أهلكتهم، هلاك لمن وراءهم من بني إسرائيل، إذا انصرفت إليهم وليسوا معي، و{السفهاء}، على هذا القول، كانوا المهلكين الذين سألوا موسى أن يُريهم ربَّهم. وهذا معنى قول ابن إسحاق[٣٨٩٥].

والصواب-والله أعلم- "أن موسى إنما حزن على هلاك السبعين بقوله: {أتهلكنا بما فعل السفهاء منا}، وأنّه إنما عنى بـ{السفهاء} عبدةَ العجل. وذلك أنه محالٌ أن يكون موسى صلى الله عليه وسلم كان تخيَّر من قومه لمسألة ربِّه ما أراه أن يسألَ لهم إلا الأفضل فالأفضل منهم، ومحالٌ أن يكون الأفضل كان عنده مَنْ أشرك في عبادة العجل واتخذه دون الله إلهًا"[٣٨٩٦].

(٣٨٨٦) أخرجه الطبري(١٥١٥٣):ص١٣/١٤٠-١٤١.
(٣٨٨٧) صفوة التفاسير:١/٤٤١.
(٣٨٨٨) أخرجه الطبري(١٥١٦٥):ص١٣/١٤٨.
(٣٨٨٩) صفوة التفاسير:١/٤٤١.
(٣٨٩٠) انظر: النكت والعيون:٢/٢٦٥.
(٣٨٩١) انظر: تفسير الطبري(١٥١٦١):ص١٣/١٤٤.
(٣٨٩٢) انظر: تفسير الطبري(١٥١٦٢):ص١٣/١٤٤.
(٣٨٩٣) صفوة التفاسير:١/٤٤١.
(٣٨٩٤) انظر: تفسير الطبري(١٥١٦٨):ص١٣/١٤٩.
(٣٨٩٥) انظر: تفسير الطبري(١٥١٦٩):ص١٣/١٤٩-١٥٠.
(٣٨٩٦) تفسير الطبري:١٣/١٥٠.

قوله تعالى:{إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ} [الأعراف : ١٥٥]، أي:" ما هذه الفتنة التي حدثت لهم إلا محنتك وابتلاؤك تمتحن بها عبادك، تضل بهذه المحنة من تشاء إضلاله وتهدي من تشاء هدايته "[٣٨٩٧].

عن أبي العالية: "{إن هي إلا فتنتك}، قال: بليّتك"[٣٨٩٨].

القرآن

{وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (١٥٦)} [الأعراف : ١٥٦]

التفسير:

واجعلنا ممن كتبتَ له الصالحات من الأعمال في الدنيا وفي الآخرة، إنا رجعنا تائبين إليك، قال الله تعالى لموسى: عذابي أصيب به مَن أشاء مِن خلقي، كما أصبتُ هؤلاء الذين أصبتهم من قومك، ورحمتي وسعت خلقي كلَّهم، فسأكتبها للذين يخافون الله، ويخشون عقابه، فيؤدون فرائضه، ويجتنبون معاصيه، والذين هم بدلائل التوحيد وبراهينه يصدقون.

قوله تعالى:{وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ} [الأعراف : ١٥٦]، أي:" واجعلنا ممن كتبتَ له الصالحات من الأعمال في الدنيا وفي الآخرة"[٣٨٩٩].

عن ابن جريج قوله: "{واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة}، قال: مغفرة"[٣٩٠٠].

قوله تعالى:{إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ} [الأعراف : ١٥٦]، أي:" إنا رجعنا تائبين إليك"[٣٩٠١].

قال قتادة:" تبنا إليك"[٣٩٠٢].

عن محمد بن إسحاق، قال: "سمعت أبا وجزة يقول: {إنا هدنا إليك}، بكسر الهاء يعني: ملنا"[٣٩٠٣].

قوله تعالى:{ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف : ١٥٦]، أي:" قال الله تعالى لموسى: عذابي أصيب به مَن أشاء مِن خلقي، كما أصبتُ هؤلاء الذين أصبتهم من قومك، ورحمتي وسعت خلقي كلَّهم"[٣٩٠٤].

وفي قوله تعالى:{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ} [الأعراف : ١٥٦]، وجهان:

أحدهما : أن مخرجها عام ومعناها خاص ، تأويل ذلك : ورحمتي وسعت المؤمنين بي من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- لقوله تعالى :{فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ}، الآية. قاله قتادة[٣٩٠٥]، وابو بكر الهذلي[٣٩٠٦]، وابن جريج[٣٩٠٧].

الثاني : أنها على العموم في الدنيا والخصوص في الآخرة ، وتأويل ذلك : "وسعت في الدنيا البر والفاجر وهي يوم القيامة للذين اتقوا خاصة"، قاله الحسن[٣٩٠٨]، وقتادة[٣٩٠٩].

قال الحسن:" اشترك في هذه الآية في الدنيا المسلم والكافر فإذا كان يوم القيامة كانت للمتقين خاصة"[٣٩١٠].

(٣٨٩٧) صفوة التفاسير:٤٤١/١.
(٣٨٩٨) أخرجه الطبري(١٥١٧١):ص١٥١/١٣.
(٣٨٩٩) التفسير الميسر:١٧٠.
(٣٩٠٠) أخرجه الطبري(١٥١٧٦):ص١٥٢/١٣.
(٣٩٠١) التفسير الميسر:١٧٠.
(٣٩٠٢) تفسير عبدالرزاق(٩٤٤):ص٩٣/٢.
(٣٩٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٤٢):ص١٥٧٧/٥.
(٣٩٠٤) التفسير الميسر:١٧٠.
(٣٩٠٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٠٥):ص١٥٧/١٣.
(٣٩٠٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٠٣):ص١٥٧/١٣.
(٣٩٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٠٤):ص١٥٧/١٣.
(٣٩٠٨) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٠٩):ص١٥٩/١٣.
(٣٩٠٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٠٩):ص١٥٩/١٣.
(٣٩١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٤٨):ص١٥٧٨/٥.

عن عمر بن عبد الرحمن بن مهرب، قال:" ذكرنا عند سماك بن الفضل، أي شيء أعظم؟ فذكروا السماوات والأرض، وهو ساكت، فقالوا: ما تقول يا أبا الفضل، فقال: ما من شيء أعظم من رحمته قال الله تعالى: {ورحمتي وسعت كل شيء}"[٣٩١١].

قوله تعالى:{فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ} [الأعراف : ١٥٦]، أي:" فسأكتبها للذين يخافون الله، ويخشون عقابه، فيؤدون فرائضه، ويجتنبون معاصيه، والذين هم بدلائل التوحيد وبراهينه يصدقون"[٣٩١٢].

عن أبي بكر الهذلي قال: "لما نزلت: {ورحمتي وسعت كل شيء}، قال إبليس: يا رب وأنا من الشيء فنزلت: {فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون}، فنزعها الله من إبليس"[٣٩١٣].

عن قتادة، قوله: "{ورحمتي وسعت كل شيء}، سمعها ناس فقالوا: إنا من ذلك الشيء، فأنزل الله: {فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة}"[٣٩١٤].

عن شهر، عن نوف، قال: "لما اختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا قال الله: يا موسى إني معلم قومك التوراة عن ظهر قلوبهم رجلهم وامرأتهم، وأجعل السكينة في قلوبهم، وأجعل لهم الأرض مساجد وطهورا قال: فعرض ذلك موسى على قومه فقالوا: لا نتعلم التوراة إلا نظرا، ولا نصلي إلا في الكنائس ولا تكون السكينة إلا في التابوت، قال الله عز وجل: فسأكتبها للذين يتقون إلى قوله: والإنجيل"[٣٩١٥].

وفي قوله تعالى:{فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} [الأعراف : ١٥٦]، قولان:

أحدهما : يتقون الشرك، وعبادة الأوثان، قاله الحسن[٣٩١٦]، وابن سيرين[٣٩١٧].

الثاني : يتقون معاصي الله، قاله قتادة[٣٩١٨].

عن يزيد بن سمرة قال: "سمعت عطاء الخراساني في قوله: {فسأكتبها للذين يتقون}، قال: ليس لك ولا لأصحابك"[٣٩١٩].

وفي قوله تعالى:{ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ} [الأعراف : ١٥٦]، قولان:

أحدهما : معناه :يطيعون الله ورسوله، قاله الحسن[٣٩٢٠]، وذهب إلى أنه العمل بما يزكي النفس ويطهرها من صالحات الأعمال.

الثاني : أنها زكاة أموالهم، لأنها من أشق فرائضهم ، وهذا قول الجمهور[٣٩٢١].

قال عكرمة:" زكاة المال من كل مائتي درهم قفلة خمسة دراهم"[٣٩٢٢].

وعن الحارث العكلي في قوله: "{وآتوا الزكاة}، قال: صدقة الفطر"[٣٩٢٣].

عن الحسن، في قوله: "{وآتوا الزكاة}، قال: فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها مع الصلاة"[٣٩٢٤].

وروي عن قتادة نحو ذلك[٣٩٢٥].

القرآن

(٣٩١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٤٩):ص١٥٧٩/٥.
(٣٩١٢) التفسير الميسر:١٧٠.
(٣٩١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٥٠):ص١٥٧٩/٥.
(٣٩١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٥١):ص١٥٧٩/٥.
(٣٩١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٥٣):ص١٥٧٩/٥.
(٣٩١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٩٠٥٦):ص١٥٨٠/٥.
(٣٩١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٩٠٥٦):ص١٥٨٠/٥.
(٣٩١٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٩٠٥٨):ص١٥٨٠/٥، وتفسير الطبري(١٥٢١٢):ص١٦٠/١٣.
(٣٩١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٩٠٥٧):ص١٥٨٠/٥.
(٣٩٢٠) انظر: النكت والعيون:٢٦٧/٢.
(٣٩٢١) انظر: النكت والعيون:٢٦٧/٢.
(٣٩٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٢٨):ص١٥٨١/٥.
(٣٩٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٣٠):ص١٥٨١/٥.
(٣٩٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٢٩):ص١٥٨١/٥.
(٣٩٢٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٥٨١/٥.

{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)} [الأعراف : ١٥٧]

التفسير:

هذه الرحمة سأكتبها للذين يخافون الله ويجتنبون معاصيه، ويتبعون الرسول النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، وهو محمد صلى الله عليه وسلم، الذي يجدون صفته وأمره مكتوبَيْن عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالتوحيد والطاعة وكل ما عرف حُسْنه، وينهاهم عن الشرك والمعصية وكل ما عرف قُبْحه، ويُحِلُّ لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والمناكح، ويُحرِّم عليهم الخبائث منها كلحم الخنزير، وما كانوا يستحلُّونه من المطاعم والمشارب التي حرَّمها الله، ويذهب عنهم ما كُلِّفوه من الأمور الشاقة كقطع موضع النجاسة من الثوب، وإحراق الغنائم، والقصاص حتمًا من القاتل عمدًا كان القتل أم خطأ، فالذين صدَّقوا بالنبي الأمي محمد صلى الله عليه وسلم وأقروا بنبوته، ووقروه وعظَّموه ونصروه، واتبعوا القرآن المنزل عليه، وعملوا بسنته، أولئك هم الفائزون بما وعد الله به عباده المؤمنين.

قوله تعالى:{الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ} [الأعراف : ١٥٧]، أي:" أي هؤلاء الذين تنالهم الرحمة هم الذين يتبعون محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النبيَّ العربي الأمي أي الذي لا يقرأ ولا يكتب"(٣٩٢٦).

عن قتادة قال: "لما قيل: {فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون}، تمنّتها اليهود والنصارى، فأنزل الله شرطًا بيّنًا وثيقًا فقال: {الذين يتبعون الرَّسول النبيّ الأمي}، وهو نبيكم صلى الله عليه وسلم، كان أمِّيًّا لا يكتبُ"(٣٩٢٧).

قوله تعالى:{الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ} [الأعراف : ١٥٧]، أي:" الذي يجدون نعته وصفته في التوراة والإنجيل"(٣٩٢٨).

عن عطاء بن يسار قال: "لقيت عبد الله بن عمرو، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة. قال: أجل والله، إنه لموصوف في التوراة كصفتِه في القرآن: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومُبَشِّرًا ونذيرًا، وحِرْزًا للأمِّيين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكّل، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا صخَّاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، ولن نقبضه حتى نقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: "لا إله إلا الله"، فنفتح به قلوبًا غُلْفًا، وآذانًا صُمًّا، وأعينًا عُمْيًا قال عطاء: ثم لقيتُ كعبًا فسألته عن ذلك، فما اختلفا حرفًا، إلا أن كعبًا قال بلغته: قلوبًا غُلُوفيا، وآذانًا صموميَا، وأعينًا عُمْوميا"(٣٩٢٩).

عن أبي صخر العقيلي ، حدثني رجل من الأعراب ، قال : "جلبت جَلُوبَةً إلى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغت من بيعتي، قلت : لألقين هذا الرجل فلأسمعن منه ، قال : فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون ، فتبعتهم في أقفائهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشرًا التوراة يقرؤها ، يعزي بها نفسه عن ابن له في الموت كأحسن الفتيان وأجمله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنشدك بالذي أنزل التوراة ، هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي ؟" فقال برأسه هكذا ، أي : لا. فقال ابنه ، إي : والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومَخرجك ، وإني أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله فقال : "أقيموا اليهودي عن أخيكم". ثم ولى كفنه والصلاة عليه"(٣٩٣٠)(٣٩٣١).

(٣٩٢٦) صفوة التفاسير:٤٤١/١.

(٣٩٢٧) أخرجه الطبري(١٥٢٢٣):ص١٦٣/١٣.

(٣٩٢٨) صفوة التفاسير:٤٤١/١.

(٣٩٢٩) أخرجه الطبري(١٥٢٢٥):ص١٦٤/١٣.

وقد رواه البخاري في صحيحه ، عن محمد بن سِنَان ، عن فُلَيْح ، عن هلال بن علي - فذكر بإسناده نحوه، وزاد بعد قوله : "ليس بفظ ولا غليظ" : "ولا صخاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويصفح". كانظر: صحيح البخاري برقم (٢١٢٥).

(٣٩٣٠)المسند (٤١١/٥).

(٣٩٣١)قال ابن كثير:" هذا حديث جيد قوي له شاهد في الصحيح ، عن أنس". تفسير ابن كثير:٤٨٣/٣.

قوله تعالى:{وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} [الأعراف : ١٥٧]، أي:" ويذهب عنهم ما كُلِّفوه من الأمور الشاقة كقطع موضع النجاسة من الثوب، وإحراق الغنائم، والقصاص حتمًا من القاتل عمدًا كان القتل أم خطأ"[٣٩٣٢].

قال السدي:" يقول: يضع عنهم عهودهم ومواثيقَهم التي أخذت عليهم في التوراة والإنجيل"[٣٩٣٣].

وفي قوله تعالى:{وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ} [الأعراف : ١٥٧]، قولان:

أحدهما : أنه عهدهم الذي كان الله تعالى أخذه على بني إسرائيل. قاله الحسن[٣٩٣٤]، ومجاهد[٣٩٣٥]، والضحاك[٣٩٣٦]، والسدي[٣٩٣٧].

الثاني : أنه التشديد على بني إسرائيل الذي كان في دينهم من تحريم السبت وتحريم الشحوم والعروق وغير ذلك من الأمور الشاقة، قاله مجاهد[٣٩٣٨]، وقتادة[٣٩٣٩]، وسعيد بن جبير[٣٩٤٠].

عن ابن سيرين قال: "قال أبو هريرة لابن عباس: ما علينا في الدين من حَرَج أن نزني ونسرق؟ قال: بلى! ولكن الإصر الذي كان على بني إسرائيل وُضِع عنكم"[٣٩٤١].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنّ "الإصر" هو العهد، ومعنى الكلام: ويضع النبيُّ الأميُّ العهدَ الذي كان الله أخذ على بني إسرائيل، من إقامة التوراة والعمل بما فيها من الأعمال الشديدة، كقطع الجلد من البول، وتحريم الغنائم، ونحو ذلك من الأعمال التي كانت عليهم مفروضةً، فنسخها حُكْم القرآن"[٣٩٤٢].

قوله تعالى:{فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ} [الأعراف : ١٥٧]، أي:" فالذين صدقوا بمحمد وعظّموه ووقّره"[٣٩٤٣].

قال مجاهد:" {عزروه}: سددوا أمره، وأعانوا رسوله، {ونصروه}"[٣٩٤٤].

عن عكرمة:"{عزروه}، قال: يقاتلون معه بالسيف"[٣٩٤٥].

قوله تعالى:{أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [الأعراف : ١٥٧]، أي:" أولئك هم الفائزون بما وعد الله به عباده المؤمنين"[٣٩٤٦].

عن قتادة، قال: "فما نقموا- يعني اليهود- إلا أن حسدوا نبيَّ الله، فقال الله: {الذين آمنوا به وعزّروه ونصروه}، فأما نصره وتعزيره فقد سبقتم به، ولكن خياركم من آمن بالله واتَّبع النور الذي أنزل معه"[٣٩٤٧].

القرآن

{قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٨)} [الأعراف : ١٥٨]

التفسير:

(٣٩٣٢) التفسير الميسر:١٧٠.
(٣٩٣٣) أخرجه الطبري(١٥٢٣٥):ص١٦٦/١٣.
(٣٩٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٣٣):ص١٦٦/١٣.
(٣٩٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٣٤):ص١٦٦/١٣.
(٣٩٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٣١):ص١٦٦/١٣.
(٣٩٣٧) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٣٥):ص١٦٦/١٣.
(٣٩٣٨) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٤٠):ص١٦٧/١٣.
(٣٩٣٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٣٧):ص١٦٧/١٣.
(٣٩٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٣٨)، (١٥٢٣٩):ص١٦٧/١٣.
(٣٩٤١) أخرجه الطبري(١٥٢٤١):ص١٦٧/١٣.
(٣٩٤٢) تفسير الطبري:١٦٨/١٣.
(٣٩٤٣) التفسير الميسر:١٧٠.
(٣٩٤٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٤٥):ص١٦٩/١٣.
(٣٩٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٥٧):ص١٥٨٥/٥.
(٣٩٤٦) التفسير الميسر:١٧٠.
(٣٩٤٧) أخرجه الطبري(١٥٢٤٦):ص١٦٩/١٣.

قل -أيها الرسول- للناس كلهم: إني رسول الله إليكم جميعًا لا إلى بعضكم دون بعض، الذي له ملك السموات والأرض وما فيهما، لا ينبغي أن تكون الألوهية والعبادة إلا له جل ثناؤه، القادر على إيجاد الخلق وإفنائه وبعثه، فصدَّقوا بالله وأقرُّوا بوحدانيته، وصدِّقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم النبي الأميِّ الذي يؤمن بالله وما أنزل إليه من ربه وما أنزل على النبيين من قبله، واتبعوا هذا الرسول، والتزموا العمل بما أمركم به من طاعة الله، رجاء أن توفقوا إلى الطريق المستقيم.

قوله تعالى:{الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف : ١٥٨]، أي:" الذي له ملك السموات والأرض وما فيهما"(٣٩٤٨).

قال كعب:" ما من موضع خرمة إبرة من الأرض إلا وملك موكل بها يرفع علم ذلك إلى الله، وإن ملائكة السماء لأكثر من عدد التراب وإن حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى مسيرة مائة عام"(٣٩٤٩).

عن عثمان بن سعيد، قال جبريل: "يا محمد، لله الخلق كله والسموات كلهن ومن فيهن والأرضون كلهن ومن فيهن، ومن بينهن مما يعلم ومما لا يعلم"(٣٩٥٠).

قوله تعالى:{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [الأعراف : ١٥٨]، أي:" لا ينبغي أن تكون الألوهية والعبادة إلا له جل ثناؤه"(٣٩٥١).

عن كعب، قال: "{لا إله إلا الله}: كلمة الإخلاص"(٣٩٥٢).

قال محمد بن إسحاق:" لا إله إلا الله، أي: ليس معه غيره شريكا في أمره"(٣٩٥٣).

قوله تعالى:{يُحْيِي وَيُمِيتُ} [الأعراف : ١٥٨]، أي:" القادر على إيجاد الخلق وإفنائه وبعثه"(٣٩٥٤).

قال محمد بن إسحاق: "{يحيي ويميت}، أي: يعجل ما يشاء، ويؤخر ما يشاء من ذلك من آجالهم بقدرته"(٣٩٥٥).

قوله تعالى:{فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ} [الأعراف : ١٥٨]، أي:" فصدَّقوا بالله وأقرُّوا بوحدانيته، وصدِّقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم، النبي الأمي صاحب المعجزات الذي لا يقرأ ولا يكتب، المصدق بالكتب التي أنزلها الله عليه وعلى غيره من الأنبياء"(٣٩٥٦).

واختلف في قوله تعالى:{ وَكَلِمَاتِهِ} [الأعراف : ١٥٨]، على قولين:

احدهما: معناه: وآياته. قاله قتادة(٣٩٥٧).

والثاني: أنه عنى بذلك عيسى ابن مريم عليه السلام. قاله مجاهد(٣٩٥٨)، والسدي(٣٩٥٩).

والصواب : أنَّ الله تعالى ذكره أمرَ عباده أن يصدِّقوا بنبوَّة النبيّ الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته، ولم يخصص الخبرَ جل ثناؤه عن إيمانه من «كلمات الله» ببعض دون بعضٍ، بل أخبرهم عن جميع «الكلمات»، فالحق في ذلك أن يعمَّ القول، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يؤمن بكلمات الله كلِّها، على ما جاء به ظاهرُ كتابِ الله(٣٩٦٠).

قوله تعالى:{وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} [الأعراف : ١٥٨]، أي:" اسلكوا طريقة واقتفوا أثره رجاء أن توفقوا إلى الطريق المستقيم"(٣٩٦١).

(٣٩٤٨) التفسير الميسر:١٧٠.

(٣٩٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٦٢):ص١٥٨٦/٥.

(٣٩٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٢):ص١٠٨٥/٤. في تفسير قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا} [النساء : ١٣٢].

(٣٩٥١) التفسير الميسر:١٧٠.

(٣٩٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٦٤):ص١٥٨٦/٥.

(٣٩٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٦٥):ص١٥٨٦/٥.

(٣٩٥٤) التفسير الميسر:١٧٠.

(٣٩٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٦٦):ص١٥٨٦/٥-١٥٨٧.

(٣٩٥٦) التفسير الميسر:١٧٠.

(٣٩٥٧) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٤٧):ص١٧١/١٣.

(٣٩٥٨) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٤٨):ص١٧١/١٣.

(٣٩٥٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٤٩):ص١٧١/١٣-١٧٢.

(٣٩٦٠) تفسير الطبري:١٧٢/١٣.

(٣٩٦١) انظر: التفسير الميسر:١٧٠، وصفوة التفاسير:٤٤٢/١.

قال سعيد بن جبير:قوله:"{لعلكم}، يعني: لكي"[٣٩٦٢].

القرآن

{وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٥٩)} [الأعراف : ١٥٩]

التفسير:

ومِن بني إسرائيل من قوم موسى جماعة يستقيمون على الحق، يهدون الناس به، ويعدلون به في الحكم في قضاياهم.

قوله تعالى:{وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ} [الأعراف : ١٥٩]، أي:" ومِن بني إسرائيل من قوم موسى جماعة يستقيمون على الحق، يهدون الناس به"[٣٩٦٣].

وفي قوله تعالى:{وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ} [الأعراف : ١٥٩]، ثلاثة أقوال:

عن السدي:" {ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون}، قال: بينكم وبينهم نهر من سهل، قال حامد: سهل. نهر من رمل يجري"[٣٩٦٤].

عن السدي:" {ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون}، قال: قوم بينكم وبينهم نهر من شُهْدٍ"[٣٩٦٥].

وقال صفوان بن عمرو: "هم الذين قال الله تعالى:{ ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق}، يعني: سلطان من أسباط بني إسرائيل يوم الملحمة العظمى ينصرون الإسلام وأهله"[٣٩٦٦].

عن الشعبي قال: "إن لله عبادا من وراء الأندلس كما بيننا وبين الأندلس، لا يرون أن الله عصاه مخلوق رضراضهم الدر والياقوت، وجبالهم الذهب والفضة لا يزرعون ولا يحصدون، ولا يعملون عملا، لهم شجر على أبوابهم لها أوراق عراض هي لبوسهم، ولهم شجر على أبوابهم لها ثمر فمنها يأكلون"[٣٩٦٧].

وعن ابن جريج قوله: "{ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون}، قال: بلغني أن بني إسرائيل لمّا قتلوا أنبياءَهم، كفروا. وكانوا اثني عشر سبطًا، تبرّأ سبطٌ منهم مما صنعوا، واعتذروا، وسألوا الله أن يفرِّق بينهم وبينهم، ففتح الله لهم نَفَقًا في الأرض، فساروا فيه حتى خرجُوا من وراء الصين، فهم هنالك، حُنَفاء مسلمُون يستقبلون قبلتنا، قال ابن جريج: قال ابن عباس: فذلك قوله: {وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا} [سورة الإسراء: ١٠٤] . و«وعد الآخرة»، عيسى ابن مريم، يخرجون معه. قال ابن جريج: قال ابن عباس: ساروا في السَّرَب سنة ونصفًا"[٣٩٦٨][٣٩٦٩].

القرآن

(٣٩٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٧٤٠):ص١١٩٥/٤.

(٣٩٦٣) التفسير الميسر:١٧٠.

(٣٩٦٤) تفسير ابن أبي حاتم(٨٣٧٢):ص١٥٨٨/٥.

(٣٩٦٥) تفسير الطبري(١٥٢٥٠):ص١٧٣/١٣. قال السيد أحمد شاكر:" نهر من شهد)) يعنى: نهراً من عسل من أنهار الجنة التي قال الله تعالى في سورة محمد: ١٥ {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى}، وبهذا اللفظ (شهد) ، ذكره ابن كثير في تفسيره ٣: ٥٧٣. وفي الدر المنثور ١: ١٣٦: ((وبينهم نهر من سهل - يعني من رمل - يجري)) ، ثم جاء الألوسى في تفسير الآية (٩: ٧٥) فنقل ذلك هكذا: ((وبينهم نهر من رمل يجري)) ثم قال: ((وضعف هذه الحكاية ابن الخازن، وأنا لا أراها شيئا، ولا أظنك تجد لها سنداً يعول عليه ولو ابتغيت نفقاً في الأرض أو سلماً إلى السماء)) . ونقل الألوسى نقل من المعنى الذي ذكره السيوطي ((سهل)) - يعني من رمل)) ، وهو فاسد جداً والصواب أن ((سهل)) ، محرف عن ((شهد)) ، وهو الصواب إن شاء الله. هذا تحرير نص الخبر وتأويله، وأما صحته أو ضعفه فهما بمعزل من تصحيح نصه، ومثل هذا الخبر والذي يليه، لا يؤخذ به إلا بحجة قاطعة يجب التسليم لها. ولا حجة في رواية موقوفة على السدي".

(٣٩٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٧٣):ص١٥٨٨/٥.

(٣٩٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٧٤):ص١٥٨٨/٥.

(٣٩٦٨) تفسير الطبري(١٥٢٥١):ص١٧٣/١٣-١٧٤.

(٣٩٦٩)قال ابن كثير: "هذا خبر عجيب". تفسير ابن كثير:٤٩٢/٣.

{وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١٦٠)} [الأعراف : ١٦٠]

التفسير:

وفرَّقنا قوم موسى مِن بني إسرائيل اثنتي عشرة قبيلة بعدد الأسباط -وهم أبناء يعقوب- كل قبيلة معروفة من جهة نقيبها. وأوحينا إلى موسى إذ طلب منه قومه السقيا حين عطشوا في التِّيْه: أن اضرب بعصاك الحجر، فضربه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا من الماء، قد علمت كل قبيلة من القبائل الاثنتي عشرة مشربهم، لا تدخل قبيلة على غيرها في شربها، وظلَّلنا عليهم السحاب، وأنزلنا عليهم المنَّ -وهو شيء يشبه الصَّمغ، طعمه كالعسل- والسلوى، وهو طائر يشبه السُّمَانَى، وقلنا لهم: كلوا من طيبات ما رزقناكم، فكرهوا ذلك وملُّوه من طول المداومة عليه، وقالوا: لن نصبر على طعام واحد، وطلبوا استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير. وما ظلمونا حين لم يشكروا لله، ولم يقوموا بما أوجب الله عليهم، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون; إذ فوَّتوا عليها كل خير، وعرَّضوها للشر والنقمة.

قوله تعالى:{وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا} [الأعراف : ١٦٠]، أي:" وفرَّقنا قوم موسى مِن بني إسرائيل اثنتي عشرة قبيلة بعدد الأسباط -وهم أبناء يعقوب- كل قبيلة معروفة من جهة نقيبها"(٣٩٧٠).

قال السدي:" فدخلت بنو إسرائيل البحر، وكان في البحر، اثنا عشر طريقا في كل طريق سبط، وكانت الطرق، إذا انفلقت بجدران، فقال: كل سبط قد قتل أصحابنا فلما رأى ذلك موسى عليه الصلاة والسلام دعا الله تبارك وتعالى فجعلها لهم قناطر كهيئة الطبقات ينظر آخرهم إلى أولهم، حتى خرجوا جميعا"(٣٩٧١).

قوله تعالى:{وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ} [الأعراف : ١٦٠]، أي:" وأوحينا إلى موسى إذ طلب منه قومه السقيا حين عطشوا في التِّيْه: أن اضرب بعصاك الحجر"(٣٩٧٢).

قال قتادة:" فأمر بحجر أن يضربه بعصاه، وكان حجرا طوريا من الطور يحملونه معهم حتى إذا نزلوا ضربه موسى بعصاه"(٣٩٧٣).

قال عطاء:" كان لبني إسرائيل حجر، وكان يضعه هارون، ويضربه موسى بالعصا"(٣٩٧٤).

عن عطية العوفي:" وجعل لهم حجرا مثل رأس الثور يحمل على ثور فإذا نزلوا منزلا وضعوه، فضربه موسى بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، فإذا ساروا حمله على ثور فاستمسك الماء"(٣٩٧٥).

قوله تعالى:{ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ} [الأعراف : ١٦٠]، أي:" فضربه، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينًا من الماء، قد علمت كل قبيلة من القبائل الاثنتي عشرة مشربهم، لا تدخل قبيلة على غيرها في شربها"(٣٩٧٦).

عن يحيى أبي النضر، قال: "قلت لجويبر كيف علم كل أناس مشربهم؟ قال: كان موسى يضع الحجر ويقوم من كل سبط رجل، ويضرب موسى الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عينا، فينتضح من كل عين على رجل فيدعوا فيه ذلك الرجل بسبطه إلى تلك العين"(٣٩٧٧).

قوله تعالى:{وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ} [الأعراف : ١٦٠]، أي:"وظلَّلنا عليهم السحاب"(٣٩٧٨).

قال قتادة:" كان هذا في البرية ظلل عليهم الغمام من الشمس"(٣٩٧٩). وروي عن الحسن نحو ذلك(٣٩٨٠).

قال مجاهد:" ليس السحاب هو الغمام الذي يأتي الله فيه يوم القيامة، ولم يكن إلا لهم"(٣٩٨١).

(٣٩٧٠) التفسير الميسر:١٧١.
(٣٩٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٧٦):ص٥/١٥٨٨-١٥٨٩.
(٣٩٧٢) التفسير الميسر:١٧١.
(٣٩٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٨٠):ص٥/١٥٨٩.
(٣٩٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٧٩):ص٥/١٥٨٩.
(٣٩٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٧٨):ص٥/١٥٨٩.
(٣٩٧٦) التفسير الميسر:١٧١.
(٣٩٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٨٥):ص٥/١٥٩٠.
(٣٩٧٨) التفسير الميسر:١٧١.
(٣٩٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٨٧):ص٥/١٥٩٠.
(٣٩٨٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٥/١٥٩٠.

قوله تعالى:{وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى} [الأعراف : ١٦٠]، أي:" وأنزلنا عليهم المنَّ -وهو شيء يشبه الصَّمغ، طعمه كالعسل- والسلوى، وهو طائر يشبه السُّمَانَى"(٣٩٨٢).

قال قتادة:" كان المن يسقط عليهم في محلتهم سقوط الثلج، أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، يأخذ الرجل قدر ما يكفيه يومه ذلك، فإن تعدى ذلك فسد ما يبقى حتى إذا كان يوم سادسه يوم جمعته أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه لأنه كان يوم عيد لا يشخص فيه لأمر معيشته ولا يطلبه شيء وهذا كله في البرية"(٣٩٨٣).

قال قتادة:" كان يسقط عليهم في محلتهم سقوط الثلج أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل، يسقط عليهم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس"(٣٩٨٤).

قال قتادة:" كان السلوى من طير إلى الحمرة تحشرها عليهم الريح الجنوب، فكان الرجل منهم يذبح منها قدر ما يكفيه يومه ذلك فإذا تعدى فسد ولم يبق عنده، حتى إذا كان يوم سادسه يوم جمعة أخذ ما يكفيه ليوم سادسه ويوم سابعه، لأنه كان يوم عبادة لا يشخص فيه لشيء ولا يطلبه"(٣٩٨٥).

قال مجاهد:" المن: حمقه"(٣٩٨٦).

عن الربيع بن أنس، قال: "كان المن شرابا كان ينزل عليهم مثل العسل فيمزجونه بالماء ثم يشربونه"(٣٩٨٧).

عن السدي:" قالوا يا موسى: فكيف لنا بماءها هنا، أين الطعام؟ فأنزل الله تعالى عليهم المن، فكان يسقط على الشجرة الزنجبيل"(٣٩٨٨).

قال عكرمة:" المن شيء أنزله الله عليهم مثل الطل شبه الرب الغليظ"(٣٩٨٩).

عن عبد الصمد بن معقل، أنه سمع وهب بن منبه -وسئل ما المن؟- قال: "خبز الرقاق مثل الذرة أو مثل النقى"(٣٩٩٠).

عن ابن منبه، قال: "سألت بنوا إسرائيل موسى اللحم فقال الله عز وجل: لأطعمنهم من أقل لحم يعلم في الأرض، فأرسل عليهم ريحا، فأدرت عند مساكنهم السلوى وهو السماني ميل في ميل قيد رمح في السماء، فخبئوا للغد فنتن اللحم"(٣٩٩١).

عن عبد الصمد بن معقل:" أنه سمع وهب بن منبه يقول: -وسئل ما السلوى؟- قال: "طير سمين مثل الحمام فكان يأتيهم فيأخذون منه من سبت إلى سبت"(٣٩٩٢).

قوله تعالى:{كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [الأعراف : ١٦٠]، أي:" وقلنا لهم كلوا من هذا الشيء الطيب اللذيذ الذي رزقناكم إياه"(٣٩٩٣).

قال الحسن:" أما أنه لم يذكر أصغركم وأحمركم، ولكنه قال ينتهون إلى حلاله"(٣٩٩٤).

قوله تعالى:{وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [الأعراف : ١٦٠]، أي:" فكفروا بهذه النعم الجليلة وما ظلمونا بذلك ولكنْ ظلموا أنفسهم حيث عرّضوها بالكفر لعذاب الله"(٣٩٩٥).

(٣٩٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٨٨):ص١٥٩٠/٥.
(٣٩٨٢) التفسير الميسر:١٧١.
(٣٩٨٣)أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٩٠):ص١٥٩١/٥ .
(٣٩٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٩٥):ص١٥٩٢/٥.
(٣٩٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠١):ص١٥٩٣/٥.
(٣٩٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٩٢):ص١٥٩١/٥.
(٣٩٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٩٧):ص١٥٩٢/٥.
(٣٩٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٩٤):ص١٥٩١/٥-١٥٩٢.
(٣٩٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٩٣):ص١٥٩١/٥.
(٣٩٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٩٦):ص١٥٩٢/٥.
(٣٩٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٣٩٩):ص١٥٩٢/٥.
(٣٩٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠٢):ص١٥٩٣/٥.
(٣٩٩٣) صفوة التفاسير:٤٤٣/١.
(٣٩٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠٣):ص١٥٩٣/٤.
(٣٩٩٥) صفوة التفاسير:٤٤٣/١.

عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" ما أحد أحب إليه المدح من الله، ولا أكثر معاذير من الله عذب قوما بذنوبهم اعتذر إلى المؤمنين قال: {وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون}"[٣٩٩٦].

القرآن

{وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (١٦١)} [الأعراف : ١٦١]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- عصيان بني إسرائيل لربهم سبحانه وتعالى ولنبيهم موسى عليه السلام، وتبديلهم القول الذي أمروا أن يقولوه حين قال الله لهم: اسكنوا قرية «بيت المقدس» ، وكلوا من ثمارها وحبوبها ونباتها أين شئتم ومتى شئتم، وقولوا: حُطَّ عنا ذنوبنا، وادخلوا الباب خاضعين لله، نغفر لكم خطاياكم، فلا نؤاخذكم عليها، وسنزيد المحسنين مِن خَيْرَي الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ} [الأعراف : ١٦١]، أي:" واذكر لهم حين قلنا لأسلافهم اسكنوا بيت المقدس"[٣٩٩٧].

واختلف المفسرون في تعيين «القرية»، على أقوال:

أحدها: أنها بيت المقدس. قاله قتادة[٣٩٩٨]، والسدي[٣٩٩٩]، والربيع[٤٠٠٠]، وهو قول الجمهور[٤٠٠١].

الثاني: أنها : الرملة والأردن وفلسطين وتدمر، قاله الضحاك[٤٠٠٢].

والراجح هو القول الأول، وهو قول الجمهور. والله أعلم.

قوله تعالى:{وَقُولُوا حِطَّةٌ} [الأعراف : ١٦١]، أي:" وقولوا حين دخولكم: يا أله حُطَّ عنا ذنوبنا"[٤٠٠٣].

واختلف أهل العلم في معنى: «حِطَّةٌ»، على أقوال:

أحدها: أن معناه: حُطَّ عنا خطايانا، وهو قول الحسن[٤٠٠٤]، وقتادة[٤٠٠٥]، وعطاء[٤٠٠٦].

قال الحسن وقتادة: أي: احطط عنا خطايانا"[٤٠٠٧].

قال الماوردي :"وهو أشبهُ بظاهر اللفظ"[٤٠٠٨]. وهذا تفسير حسن، قال به كثير من أهل العلم[٤٠٠٩].

الثاني: أن معناه: قولوا (لا إله إلا الله). روي ذلك عن عكرمة[٤٠١٠]، كأنهم وجهوا تأويله : قولوا الذي يحط عنكم خطاياكم، وهو قول لا إله إلا الله .

عن عكرمة:" **{وقولوا حطة}**، يقول: قولوا لا إله إلا الله"[٤٠١١].

(٣٩٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٠٥):ص١٥٩٣/٥.

(٣٩٩٧) صفوة التفاسير:٤٤٣/١.

(٣٩٩٨) أنظر: تفسير الطبري(٩٩٩):ص١٠٢/٢.

(٣٩٩٩) أنظر: تفسير الطبري(١٠٠٠):ص١٠٢/٢-١٠٣.

(٤٠٠٠) أنظر: تفسير الطبري(١٠٠١):ص١٠٣/٢.

(٤٠٠١) انظر: تفسير القرطبي: ٤٠٩/١.

(٤٠٠٢) نقلا: عن تفسير الثعلبي: ٢٠١/١، وتفسير القرطبي: ٤٠٩/١.

(٤٠٠٣) صفوة التفاسير:٤٤٣/١.

(٤٠٠٤) أنظر: تفسير الطبري(١٠٠٩):ص١٠٥/٢، وابن أبي حاتم(٥٨٤):ص١١٩/١.

(٤٠٠٥) أنظر: تفسير الطبري(١٠٠٩):ص١٠٥/٢، وابن أبي حاتم(٥٨٤):ص١١٩/١.

(٤٠٠٦) أنظر: تفسير الطبري(١٠١٤):ص١٠٦/٢.

(٤٠٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٨٤):ص١١٩/١.

(٤٠٠٨)النكت والعيون: ١٢٦/١.

(٤٠٠٩)انظر: غريب القرآن وتفسيره لليزيدي: ٧٠، معاني القرآن للأخفش: ٢٦٩/١، تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٥/١، النكت والعيون للماوردي: ١٢٦/١، المفردات للراغب: ١٢٢، الكشاف للزمخشري: ٢٨٣/١، أنوار التنزيل للبيضاوي: ٥٨/١، إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ١٠٤/١، محاسن التأويل للقاسمي: ١٣٤/٢، وغيرها.

(٤٠١٠) أنظر: تفسير الطبري(١٠١٥):ص١٠٧/٢، وابن أبي حاتم(٥٨٢):ص١١٨/١.

(٤٠١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٨٢):ص١١٨/١.

الثالث: أن {حِطَّة} المغفرة، فكأنه أمر بالاستغفار، روي نحوه عن عطاء والحسن وقتادة والربيع بن أنس[٤٠١٢].

عن عطاء والحسن وقتادة والربيع بن أنس:" {حطة}، قال: مغفرة، استغفروا"[٤٠١٣].

الرابع: أن (حِطَّة) من ألفاظ أهل الكتاب لا يعرف المراد منها، قاله الأصم[٤٠١٤].

وأحسن هذه الوجوه وأقربها إلى التحقيق القول الأول وهو أشبهُ بظاهر اللفظ، وبه قال كثير من أهل العلم[٤٠١٥].

قوله تعالى:{وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا} [الأعراف : ١٦١]، أي:" وادخلوا الباب خاضعين لله"[٤٠١٦].

قال الصابوني:" أي: ساجدين لله شكراً على خلاصكم من التيه"[٤٠١٧].

قال مجاهد:" باب الحطة، من باب إيلياء، من بيت المقدس"[٤٠١٨]. وروي عن الضحاك نحوه[٤٠١٩].

قال السدي:" أما الباب فباب من أبواب بيت المقدس"[٤٠٢٠].

قال السدي:" فدخلوا مقنعي رؤسهم"[٤٠٢١].

قال الربيع بن أنس:" وكان سجود أحدهم على خده"[٤٠٢٢].

قال مجاهد:" فدخلوا على شق"[٤٠٢٣].

قوله تعالى:{نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ} [الأعراف : ١٦١]، أي:" نغفر لكم خطاياكم، فلا نؤاخذكم عليها"[٤٠٢٤].

قال قتادة:" من كان خاطئا غفرت له خطيئته"[٤٠٢٥].

قوله تعالى:{سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف : ١٦١]، أي:" وسنزيد المحسنين مِن خَيْرَي الدنيا والآخرة"[٤٠٢٦].

قال قتادة:" من كان محسنا زيد في إحسانه"[٤٠٢٧].

القرآن

{فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ (١٦٢)} [الأعراف : ١٦٢]

التفسير:

فغيَّر الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول، ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة، فأرسلنا عليهم عذابًا من السماء، أهلكناهم به; بسبب ظلمهم وعصيانهم.

(٤٠١٢) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم:١١٨/١.

(٤٠١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٨٠):ص١١٨/١. وهو قول ابن عباس.

(٤٠١٤)أنظر: مفاتيح الغيب للرازي: ٩٥/٣، وذكر ذلك السيوطي في المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب: ٨٣-٨٤، وهو قول بعيد إذ اللفظة معلومة الاشتقاق في العربية.

(٤٠١٥)انظر: غريب القرآن وتفسيره لليزيدي: ٧٠، معاني القرآن للأخفش: ٢٦٩/١، تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٥/١، النكت والعيون للماوردي: ١٢٦/١، المفردات للراغب: ١٢٢، الكشاف للزمخشري: ٢٨٣/١، أنوار التنزيل للبيضاوي: ٥٨/١، إرشاد العقل السليم لأبي السعود: ١٠٤/١، محاسن التأويل للقاسمي: ١٣٤/٢، وغيرها.

(٤٠١٦) التفسير الميسر:١٧١.

(٤٠١٧) صفوة التفاسير: ٥٢/١.

(٤٠١٨) أنظر: تفسير الطبري(١٠٠٣):ص١٠٣/٢، وتفسير ابن أبي حاتم(٥٧٤):ص١١٧/١.

(٤٠١٩) انظر" تفسير ابن أبي حاتم: ١١٧/١.

(٤٠٢٠) أنظر: تفسير الطبري(١٠٠٥):ص١٠٤/٢.

(٤٠٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٩):ص١١٨/١.

(٤٠٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٨):ص١١٨/١.

(٤٠٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٩):ص١١٨/١.

(٤٠٢٤) التفسير الميسر:١٧١.

(٤٠٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٨٥):ص١١٩/١.

(٤٠٢٦) التفسير الميسر:١٧١.

(٤٠٢٧) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٨٦):ص١١٩/١.

قوله تعالى:{فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ} [الأعراف : ١٦٢]، أي:" فغيَّر الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول، ودخلوا الباب يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة"(٤٠٢٨).

قال الطبري:" فغيَّر الذين كفروا بالله منهم ما أمرهم الله به من القول، فقالوا، وقد قيل لهم: قولوا: هذه حطة: حنطة في شعيرة، وقولهم ذلك كذلك، هو غير القول الذي قيل لهم قولوه"(٤٠٢٩).

واختلف في قوله تعالى: {فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ} [الأعراف : ١٦٢]، على وجهين:

أحدهما: أنهم: "دخلوا الباب يزحفون على أستاهم، وقالوا : حبة في شعيرة". روي ذلك عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-(٤٠٣٠)، وعلى هذا القول عامة المفسرين، وقد روي عن عطاء ومجاهد وعكرمة وقتادة والضحاك والحسن والربيع ويحيى بن رافع نحو ذلك(٤٠٣١).

الثاني: أنهم قالوا: حنطة حمراء فيها شعيرة. قاله عكرمة(٤٠٣٢)، وأبو الكنود(٤٠٣٣).

وحاصل ما ذكره المفسرون وما دل عليه السياق أنهم بدلوا أمر الله لهم من الخضوع بالقول والفعل، فأمروا أن يدخلوا سجدًا، فدخلوا يزحفون على أستاههم من قبل أستاههم رافعي رؤوسهم، وأمروا أن يقولوا : حطة، أي : احطط عنا ذنوبنا، فاستهزؤوا فقالوا : حنطة في شعرة، وهذا في غاية ما يكون من المخالفة والمعاندة ؛ ولهذا أنزل الله بهم بأسه وعذابه بفسقهم، وهو خروجهم عن طاعته ؛ ولهذا قال : {فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ}"(٤٠٣٤)، ومعنى السجود في قوله تعالى عند الدخول، أي: "الانحناء شكراً لله تعالى لا لأن بابها قصير كما قيل، إذ لا جدوى له، والظاهر أن المقصود من السجود مطلق الانحناء لإظهار العجز والضعف كيلا يفطن لهم أهل القرية وهذا من أحوال الجوسسة، ولم تتعرض لها التوراة ويبعد أن يكون السجود المأمور به سجود الشكر لأنهم داخلون متجسسين لا فاتحين وقد جاء في الحديث الصحيح أنهم بدلوا وصية موسى فدخلوا يزحفون على استاهم كأنهم أرادوا إظهار الزمانة فأفرطوا في التصنع بحيث يكاد أن يفتضح أمرهم لأن بعض التصنع لا يستطاع استمراره"(٤٠٣٥).

قوله تعالى:{فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ} [الأعراف : ١٦٢]، أي:" فأرسلنا عليهم عذابًا من السماء، أهلكناهم به; بسبب ظلمهم وعصيانهم"(٤٠٣٦).

واختلف أهل التفسير في معنى «الرجز»، في قوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ} [الأعراف : ١٦٢]:

أحدها: أنه الغضب. وهو قول أبي العالية(٤٠٣٧).

الثاني: أنه العذاب. قاله قتادة(٤٠٣٨).

الثالث: إما الطاعون أو البرد. قاله الشعبي(٤٠٣٩).

(٤٠٢٨) التفسير الميسر:١٧١.

(٤٠٢٩) تفسير الطبري:١٧٩/١٣.

(٤٠٣٠) عن أبي هريرة، قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : قال الله لبني إسرائيل : " ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم " ، فبدلوا ودخلوا الباب يزحفون على أستاهم ، وقالوا : حبة في شعيرة .(رواه أحمد في المسند : ٨٢١٣ (ج ٢ ص ٣١٨ حلبي) ، عن عبد الرزاق ، بهذا الإسناد ، ولكن بلفظ " حبة في شعرة " . وكذلك رواه البخاري ٦ : ٣١٢ ، و٨ : ٢٢٨ - ٢٢٩ (فتح الباري) ، من طريق عبد الرازق. وذكر الحافظ (٨ : ٢٢٩) أن لفظ " شعرة " رواية أكثر رواة البخاري ، وأن رواية الكشميهني " شعيرة " . وذكره ابن كثير ١ : ١٨٠ ، ونسبه أيضًا لمسلم والترمذي ، من رواية عبد الرزاق).

(٤٠٣١) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٢٠/١.

(٤٠٣٢) أنظر: تفسير الطبري(١٠٣١):ص:١١٥/٢.

(٤٠٣٣) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٨٨):ص١١٩/١.

(٤٠٣٤) تفسير ابن كثير: ٢٧٧/١.

(٤٠٣٥) انظر: تفسير ابن عاشور: ٥١٥.

(٤٠٣٦) التفسير الميسر:١٧١.

(٤٠٣٧) أنظر: تفسير الطبري(١٠٣٩):ص١١٧/٢.

(٤٠٣٨) أنظر: تفسير الطبري(١٠٣٨):ص١١٧/٢.

(٤٠٣٩) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٩٤):ص١٢٠/١، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٧٧/١-٢٧٨.

والراجح أنه طاعون، وذلك لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: " الطَّاعُونُ رِجْزٌ أَوْ عَذَابٌ أُرْسِلَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ "[٤٠٤٠]، وقد روى أنه مات منهم في ساعة بالطاعون أربعة وعشرون ألفاً، وقيل : سبعون ألفاً[٤٠٤١].

القرآن

{وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣)} [الأعراف : ١٦٣]

التفسير:

واسأل -أيها الرسول- هؤلاء اليهود عن خبر أهل القرية التي كانت بقرب البحر، إذ يعتدي أهلها في يوم السبت على حرمات الله، حيث أمرهم أن يعظموا يوم السبت ولا يصيدوا فيه سمكًا، فابتلاهم الله وامتحنهم; فكانت حيتانهم تأتيهم يوم السبت كثيرة طافية على وجه البحر، وإذا ذهب يوم السبت تذهب الحيتان في البحر، ولا يرون منها شيئًا، فكانوا يحتالون على حبسها في يوم السبت في حفائر، ويصطادونها بعده. وكما وصفنا لكم من الاختبار والابتلاء، لإظهار السمك على ظهر الماء في اليوم المحرم عليهم صيده فيه، وإخفائه عليهم في اليوم المحلل لهم فيه صيده، كذلك نختبرهم بسبب فسقهم عن طاعة الله وخروجهم عنها.

قوله تعالى:{وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ} [الأعراف : ١٦٣]، أي:" واسأل -أيها الرسول- هؤلاء اليهود عن خبر أهل القرية التي كانت بقرب البحر"[٤٠٤٢].

واختلف في هذه «القرية»، على أقوال :

أحدها : أنها أيلة ، قاله مجاهد[٤٠٤٣]، وعكرمة[٤٠٤٤]، والسدي[٤٠٤٥].

الثاني : أنها بساحل مدين ، قاله قتادة[٤٠٤٦].

الثالث: أن القرية التي كانت حاضرة البحر طبرية، وهذا قول ابن شهاب[٤٠٤٧]، والقرية التي قال فيها:{وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ }[يس : ١٣] . أنطاكية[٤٠٤٨].

والصواب أن يقال: هي قرية حاضرة البحر، وجائز أن تكون أيلة، وجائز أن تكون مدين، وجائز أن تكون مقنا، لأن كل ذلك حاضرة البحر، ولا خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع العذر بأيٍّ ذلك من أيٍّ، والاختلاف فيه على ما وصفت. ولا يوصل إلى علم ما قد كان فمضى مما لم نعاينه، إلا بخبر يوجب العلم. ولا خبر كذلك في ذلك"[٤٠٤٩].

قوله تعالى:{إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ} [الأعراف : ١٦٣]، أي:" إذ يعتدي أهلها في يوم السبت على حرمات الله حيث أمرهم أن يعظموا يوم السبت ولا يصيدوا فيه سمكًا"[٤٠٥٠].

عن الحسن:" أنهم أخذوا فيه الحيتان على جهة الاستحلال"[٤٠٥١].

قوله تعالى:{إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ} [الأعراف : ١٦٣]، أي:" حين كانت الحيتان«الأسماك» تأتيهم يوم السبت - وقد حُرّم عليهم الصيدُ فيه - كثيرةً ظاهرةً على وجه الماء، وفي غير يوم السبت وهي سائر الأيام لا تأتيهم بل تغيب عنهم وتختفي"[٤٠٥٢].

(٤٠٤٠) رواه البخاري (٣٤٧٣) ، ومسلم (٢٢١٨) عن أُسَامَةَ بْن زَيْدٍ رضي الله عنهما .

(٤٠٤١) انظر: تفسير الكشاف: ١٤٣/١.

(٤٠٤٢) التفسير الميسر:١٧١.

(٤٠٤٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٥٨):ص١٨١/١٣.

(٤٠٤٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٥٤):ص١٨٠/١٣.

(٤٠٤٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٥٧):ص١٨١/١٣.

(٤٠٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٥٩):ص١٨١/١٣.

(٤٠٤٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٤٤٢):ص١٥٩٧/٥.

(٤٠٤٨) انظر: النكت والعيون:٢٧٢/٢.

(٤٠٤٩) تفسير الطبري:١٨٢/١٣.

(٤٠٥٠) التفسير الميسر:١٧١.

(٤٠٥١) أنظر: النكت والعيون: ١٣٤/١-١٣٥.

(٤٠٥٢) صفوة التفاسير:٤٤٣/١.

وفي قوله تعالى:{إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا} [الأعراف : ١٦٣]، ثلاثة أقوال:
أحدهما : أنها تأتيهم من كل مكان ، قاله العوفي(٤٠٥٣).
الثاني : أنها شرّع على أبوابهم كأنها الكباش البيض رافعة رؤوسها حكاه بعض المتأخرين فتعدَّوا فأخذوها في السبت ، قاله الحسن(٤٠٥٤).
وقرأ الحسن: «وَيَوْمَ لا يُسْبَتُونَ» بضم الياء، من "أسبت القوم يسبتون"، إذا دخلوا في "السبت"(٤٠٥٥).
قوله تعالى:{كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [الأعراف : ١٦٣]، أي:" مثل ذلك البلاء العجيب نختبرهم ونمتحنهم بإظهار السمك لهم على وجه الماء في اليوم المحرَّم عليهم صيده وإخفائها عنهم في اليوم الحلال بسبب فسقهم وانتهاكهم حرمات الله"(٤٠٥٦).
عن أيوب قال:" تلا الحسن ذات يوم: {واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرَّعًا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون}، فقال: حوتٌ حرمه الله عليهم في يوم، وأحله لهم فيما سوى ذلك، فكان يأتيهم في اليوم الذي حرَّمه الله عليهم كأنه المخاض، لا يمتنع من أحد. وقلَّما رأيت أحدًا يكثر الاهتمامَ بالذنب إلا واقعه، فجعلوا يَهتمُّون ويمْسِكون، حتى أخذوه، فأكلوا أوْخَم أكلة أكلها قوم قطُّ، أبقاه خزيًا في الدنيا، وأشدُّه عقوبة في الآخرة! وايم الله، ما حوتُ أخذه قوم فأكلوه، أعظم عند الله من قتل رجل مؤمن! وللمؤمن أعظم حرمة عند الله من حوت، ولكن الله جعل موعدَ قومٍ الساعة {وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [سورة القمر: ٤٦] "(٤٠٥٧).

القرآن
{وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤)} [الأعراف : ١٦٤]
التفسير:
واذكر -أيها الرسول- إذ قالت جماعة منهم لجماعة أخرى كانت تعظ المعتدين في يوم السبت، وتنهاهم عن معصية الله فيه: لِمَ تعظون قومًا الله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم إياه أو معذبهم عذابا شديدًا في الآخرة؟ قال الذين كانوا ينهَوْنهم عن معصية الله: نَعِظهم وننهاهم لِنُعْذَر فيهم، ونؤدي فرض الله علينا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورجاء أن يتقوا الله، فيخافوه، ويتوبوا من معصيتهم ربهم وتعدِّيهم على ما حرَّم عليهم.
قوله تعالى:{وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا} [الأعراف : ١٦٤]، أي:" واذكر -أيها الرسول- إذ قالت جماعة منهم لجماعة أخرى كانت تعظ المعتدين في يوم السبت، وتنهاهم عن معصية الله فيه: لِمَ تعظون قومًا الله مهلكهم في الدنيا بمعصيتهم إياه أو معذبهم عذابا شديدًا في الآخرة؟"(٤٠٥٨).
واختلف التابعون في هذه الفرقة التي قالت: {لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ}[الأعراف:١٦٤]، على قولين:
أحدهما: أنها كانت من الفرقة الناجية، لأنها كانت هي الناهية الفرقة الهالكة عن الاعتداء في السبت. قاله قتادة(٤٠٥٩)، وعكرمة(٤٠٦٠)، السدي(٤٠٦١).
وفي رواية أخرى عن عكرمة:" جئت ابن عباس يومًا وهو يبكي، وإذا المصحف في حجره، فأعظمت أن أدنو، ثم لم أزل على ذلك حتى تقدَّمت فجلستُ، فقلت: ما يبكيك يا ابن عباس، جعلني الله فداءك؟ فقال: هؤلاء الورقات! قال: وإذا هو في «سورة الأعراف»، قال: تعرف أيلة! قلت: نعم! قال: فإنه كان حيّ

(٤٠٥٣) انظر: النكت والعيون:٢٧٢/٢.
(٤٠٥٤) انظر: النكت والعيون:٢٧٢/٢.
(٤٠٥٥) انظر: تفسير الطبري:١٨٤/١٣.
(٤٠٥٦) صفوة التفاسير:٤٤٣/١.
(٤٠٥٧) أخرجه الطبري(١٥٢٨٤):ص١٩٦/١٣-١٩٧.
(٤٠٥٨) التفسير الميسر:١٧٢.
(٤٠٥٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٧٣):ص١٨٩/١٣.
(٤٠٦٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٧٦):ص١٩٢/١٣.
(٤٠٦١) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٦٨):ص١٨٧/١٣.

من يهود، سيقت الحيتان إليهم يوم السبت، ثم غاصت لا يقدرون عليها حتى يغُوصوا، بعد كدٍّ ومؤنة شديدة، كانت تأتيهم يوم السبت شرعًا بيضًا سمانًا كأنها الماخض، تنبطحُ ظهورُها لبطونها بأفنيتهم وأبنيتهم. فكانوا كذلك برهة من الدهر، ثم إن الشيطان أوحى إليهم فقال: إنما نهيتم عن أكلها يوم السبت، فخذوها فيه، وكلوها في غيره من الأيام! فقالت ذلك طائفة منهم، وقالت طائفة منهم: بل نُهيتم عن أكلها وأخذِها وصيدها في يوم السبت. وكانوا كذلك، حتى جاءت الجمعة المقبلة، فعدت طائفة بأنفسها وأبنائها ونسائها، واعتزلت طائفة ذات اليمين، وتنحَّت، واعتزلت طائفة ذات اليسار وسكتت. وقال الأيمنون: ويلكم! اللهَ، اللهَ، ننهاكم أن تعترّضوا لعقوبة الله! وقال الأيسرون: {لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابًا شديدًا}؟ قال الأيمنون: "معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون"! أي: ينتهون، فهو أحب إلينا أن لا يصابوا ولا يهلكوا، وإن لم ينتهوا فمعذرة إلى ربكم. فمضوا على الخطيئة، فقال الأيمنون: قد فعلتم، يا أعداء الله! والله لا نُبَايتكم الليلة في مدينتكم، والله ما نراكم تصبحون حتى يصيبكم الله بخسف أو قذف أو بعض ما عنده بالعذاب! فلما أصبحوا ضربوا عليهم الباب ونادوا، فلم يجابوا، فوضعوا سلّمًا، وأعلوا سور المدينة رجلا فالتفت إليهم فقال: أي عبادَ الله، قردةٌ والله تعاوَى لها أذناب! قال: ففتحوا فدخلوا عليهم، فعرفت القردةُ أنسابها من الإنس، ولا تعرف الإنس أنسابها من القردة، فجعلت القرود تأتي نسيبها من الإنس فتشمّ ثيابه وتبكي، فتقولُ لهم: ألم ننهكم عن كذا؟ فتقول برأسها: نعم! ثم قرأ ابن عباس: {فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} . قال: فأرى اليهود الذين نَهَوْا قد نجوا، ولا أرى الآخرين ذُكروا، ونحن نرى أشياء ننكرها فلا نقول فيها! قال قلت: إنَّ جعلني الله فداك، ألا ترى أنهم قد كَرِهوا ما هم عليه، وخالفوهم وقالوا: {لم تعظون قومًا الله مهلكهم أو معذبهم}؟ قال: فأمرَ بي فكسيت بُرْدَين غليظين"[٤٠٦٢].

وروي عن مالك قال: "زعم ابن رُومان أن قوله: "تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرَّعًا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم"، قال: كانت تأتيهم يوم السبت، فإذا كان المساء ذهبتْ، فلا يرى منها شيء إلى السبت. فاتخذ لذلك رجل منهم خيطًا ووتدًا، فربط حوتًا منها في الماء يوم السبت، حتى إذا أمسوا ليلة الأحد أخذه فاشتواه، فوجد الناس ريحه، فأتوه فسألوه عن ذلك، فجحدهم، فلم يزالوا به حتى قال لهم: فإنه جلد حوتٍ وجدناه! فلما كان السبت الآخر فعل مثل ذلك- ولا أدري لعله قال: ربط حوتين- فلما أمسى من ليلة الأحد أخذه فاشتواه، فوجدوا ريحه، فجاءوا فسألوه، فقال لهم: لو شئتم صنعتم كما أصنع! فقالوا له: وما صنعت؟ فأخبرهم، ففعلوا مثل ما فعل، حتى كثر ذلك. وكانت لهم مدينة لها رَبَض، فغلَّقوها، فأصابهم من المسْخ ما أصابهم. فغدا إليهم جيرانهم ممن كان يكون حولهم، يطلبون منهم ما يطلب الناس، فوجدوا المدينة مغلقة عليهم، فنادوا فلم يجيبوهم، فتسوَّروا عليهم، فإذا هم قردة، فجعل القرد يدنو يتمسَّح بمن كان يعرف قبل ذلك، ويدنو منه ويتمسَّح به"[٤٠٦٣]

الثاني: أن الفرقة التي قالت: {لم تعظون قومًا الله مهلكهم}، كانت من الفرقة الهالكة. قاله أبو صالح[٤٠٦٤].

قوله تعالى:{قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الأعراف : ١٦٤]، أي:" قال الناهون: إنما نعظهم لنعذر عند الله بقيامنا بواجب النصح والتذكير، ورجاء أن يتقوا الله، فيخافوه، ويتوبوا من معصيتهم ربهم وتعذّيهم على ما حرَّم عليهم"[٤٠٦٥].

عن عطاء قال: "كنت جالسًا في المسجد، فإذا شيخ قد جاء وجلس الناسُ إليه، فقالوا: هذا من أصحاب عبد الله بن مسعود! قال: قال ابن مسعود: {واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر} الآية، قال: لما حرم عليهم السبت، كانت الحيتان تأتي يوم السبت، وتأمن فتجيء، فلا يستطيعون أن يمسوها. وكان إذا ذهب السبت ذهبت، فكانوا يتصيّدون كما يتصيد الناس. فلما أرادوا أن يعدوا في السبت، اصطادوا، فنهاهم قوم من صالحيهم، فأبوا، وكَثَرَهم الفجَّار، فأراد الفجار قتالهم، فكان فيهم من لا يشتهون قتاله، أبو أحدهم وأخوه أو قريبه. فلما نهوهم وأبوا، قال الصالحون: إذًا نُتَّهم! وإنا نجعل بيننا وبينهم حائطًا! ففعلوا، فلما فقدوا أصواتهم قالوا: لو نظرتم إلى إخوانكم ما فعلوا! فنظروا، فإذا هم قد مُسخوا قردةً، يعرفون الكبير بكبره، والصغير بصغره، فجعلوا يبكون إليهم. وكان هذا بعد موسى صلى الله عليه وسلم"[٤٠٦٦].

(٤٠٦٢) أخرجه الطبري(١٥٢٧٢):ص١٣/١٨٨-١٨٩.
(٤٠٦٣) أخرجه الطبري(١٥٢٧٧):ص١٣/١٩٣.
(٤٠٦٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٢٨٣):ص١٣/١٩٥-١٩٦.
(٤٠٦٥) صفوة التفاسير:١/٤٤٤.
(٤٠٦٦) أخرجه الطبري(١٥٢٨٦):ص١٣/١٩٨.

القرآن

{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥)} [الأعراف : ١٦٥]

التفسير:

فلما تركت الطائفة التي اعتدت في يوم السبت ما ذُكّرت به، واستمرت على غيِّها واعتدائها فيه، ولم تستجب لما وَعَظَتْها به الطائفة الواعظة، أنجى الله الذين ينهون عن معصيته، وأخذ الذين اعتدَوْا في يوم السبت بعذاب أليم شديد; بسبب مخالفتهم أمر الله وخروجهم عن طاعته.

قوله تعالى:{فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ} [الأعراف : ١٦٥]، أي:" فلما تركت الطائفة التي اعتدت في يوم السبت ما ذُكّرت به، واستمرت على غيِّها واعتدائها فيه، ولم تستجب لما وَعَظَتْها به الطائفة الواعظة"(٤٠٦٧).

قال ابن جريج:" فلما نسُوا موعظة المؤمنين إياهم، الذين قالوا: {لم تعظون قومًا}"(٤٠٦٨).

قوله تعالى:{أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ} [الأعراف : ١٦٥]، أي:" أنجى الله الذين ينهون عن معصيته، وأخذ الذين اعتدَوْا في يوم السبت بعذاب أليم شديد; بسبب مخالفتهم أمر الله وخروجهم عن طاعته"(٤٠٦٩).

عن مجاهد: "{بعذاب بئيس}، قال: شديد"(٤٠٧٠). وفي رواية:" أليم شديد"(٤٠٧١).

عن قتادة: "{بعذاب بئيس}، قال: موجع"(٤٠٧٢)،{ بما كانوا يفسقون}: بما كانوا يعصون"(٤٠٧٣).

عن الحسن: "{بما كانوا يفسقون}: بما كانوا يعملون قبل ذلك من المعاصي"(٤٠٧٤).

قال محمد بن إسحاق:"أي: بما تعمدوا من أمري"(٤٠٧٥).

القرآن

{فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦)} [الأعراف : ١٦٦]

التفسير:

فلما تمردت تلك الطائفة، وتجاوزت ما نهاها الله عنه من عدم الصيد في يوم السبت، قال لهم الله: كونوا قردة خاسئين مبعدين من كل خير، فكانوا كذلك.

قوله تعالى:{فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ} [الأعراف : ١٦٦]، أي:" فلما تمردت تلك الطائفة، وتجاوزت ما نهاها الله عنه من عدم الصيد في يوم السبت"(٤٠٧٦).

قال عكرمة:" «العتو»: في كتاب الله التجبر"(٤٠٧٧).

قوله تعالى:{قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [الأعراف : ١٦٦]، أي:" قال لهم الله: كونوا قردة خاسئين مبعدين من كل خير، فكانوا كذلك"(٤٠٧٨).

وفي قوله تعالى:{خاسئين}[البقرة:٦٥]، قولان:

أحدهما : أن معناه: أذلة صاغرين، وهذا قول أبي العالية(٤٠٧٩)، والربيع(٤٠٨٠)، وروي عن مجاهد وقتادة وأبي مالك نحو ذلك(٤٠٨١).

(٤٠٦٧) التفسير الميسر:١٧٢.
(٤٠٦٨) أخرجه الطبري(١٥٢٨٧):ص١٩٩/١٣.
(٤٠٦٩) التفسير الميسر:١٧٢.
(٤٠٧٠) أخرجه الطبري(١٥٢٩٠):ص٢٠٢/١٣.
(٤٠٧١) أخرجه الطبري(١٥٢٩١):ص٢٠٢/١٣.
(٤٠٧٢) أخرجه الطبري(١٥٢٩٢):ص٢٠٢/١٣.
(٤٠٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٥٢):ص١٦٠٠/٥.
(٤٠٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٥٢):ص١٦٠٠/٥.
(٤٠٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٥٣):ص١٦٠٠/٥.
(٤٠٧٦) التفسير الميسر:١٧٢.
(٤٠٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٩٩):ص١٦٠٣/٥.
(٤٠٧٨) التفسير الميسر:١٧٢.
(٤٠٧٩) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم(٦٧٤):ص١٣٣/١.

الثاني: معناه: صاغرين. قاله مجاهد[٤٠٨٢].

ومعنى {الخاسئين}: "أي: مبعدين من الخير أذلاء صغراء"[٤٠٨٣]، وبالتالي إن القولين ضمن المعنى الصحيح. والله تعالى أعلم.

قال قتادة:" فصارُوا قردةً لها أذناب، تعاوى، بعدما كانوا رجالا ونساءً"[٤٠٨٤].

قال عطاء:" افترقت ثلاث فرق. فرقة أكلت، وفرقة اعتزلت ولم تنه، وفرقة نهت ولم تعتزل فنودي الذين اعتدوا في السبت ثلاثة أصوات نودوا: يا أهل القرية فانتبهت طائفة ثم نودوا: يا أهل القرية فانتبهت طائفة أكثر من الأولى، ثم نودوا: يا أهل القرية فانتبه الرجال والنساء والصبيان فقال الله لهم: كونوا قردة خاسئين فجعل الذين نهوهم يدخلون عليهم فيقولون: يا فلان ألم ننهكم؟ فيقولون برءوسهم، أي: بلى"[٤٠٨٥].

وفي رواية أخرى عن عطاء:" لما كان في جوف الليل نودي: يا أهل القرية فلما انتبهوا من نومهم ثم نودي: يا أهل القرية فلبسوا ثيابهم وبرزوا من بيوتهم ثم نودي: يا أهل القرية كونوا قردة خاسئين فمسخوا قردة"[٤٠٨٦].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى: {قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ} [الأعراف : ١٦٦]، على وجهين[٤٠٨٧]:

أحدهما: أنهم مُسِخُوا قردةً، فصاروا لأجل اعتدائهم في السبت في صورة القردة المخلوقين من قبل، في الأيام الستة. قاله قتادة[٤٠٨٨]، والسدي[٤٠٨٩].

الثاني: أنهم لم يمسخوا قردة، وإنما مسخت قلوبهم، وهو مَثَلَ ضربه الله لهم، كما قال تعالى:{كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارَاً}[الجمعة:٥] . قاله مجاهد[٤٠٩٠]. واعترض عليه الطبري[٤٠٩١] وابن كثير[٤٠٩٢].

والصحيح في هذه المسألة: أن مسخهم قرودا، إنما كان معنويًا لا صوريًا خلاف ما ذهب إليه مجاهد[٤٠٩٣]، رحمه الله. ورجحه ابن كثير[٤٠٩٤].

(٤٠٨٠) أنظر: تفسير الطبري(١١٤٩):ص١٧٥/٢.

(٤٠٨١) أنظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٣٣/١.

(٤٠٨٢) أنظر: تفسير الطبري(١١٤٦)، و(١١٤٧):ص١٧٥/٢.

(٤٠٨٣) تفسير الطبري:١٧٤/٢.

(٤٠٨٤) أخرجه الطبري(١٥٢٩٤):ص٢٠٣/١٣.

(٤٠٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٦٦):ص١٦٠٣/٥.

(٤٠٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٦٧):ص١٦٠٣/٥.

(٤٠٨٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٨٩/١-٢٩٠.

(٤٠٨٨) أنظر: تفسير الطبري(١١٤٠)، و(١١٤١):ص١٧٠/٢-١٧١.

(٤٠٨٩) أنظر: تفسير الطبري(١١٤٢):ص١٧٢/٢.

(٤٠٩٠) أنظر: تفسير الطبري(١١٤٣)، و(١١٤٤):ص١٧٢/٢-١٧٣.

(٤٠٩١) أنظر: تفسير الطبري: ١٧٣/٢.

(٤٠٩٢)تفسير ابن كثير: ٢٨٩/١. قال ابن كثير:" وهذا قول غريب خلاف الظاهر من السياق في هذا المقام وفي غيره، قال الله تعالى: {قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} الآية [المائدة : ٦٠]".

(٤٠٩٣) إن المروي عن مجاهد أنه سبحانه وتعالى مسخ قلوبهم بمعنى الطبع والختم لا أنه مسخ صورهم وهو مثل قوله تعالى: {كمثل الحمار يحمل أسفارا} (الجمعة: ٥) ونظيره أن يقول الأستاذ للمتعلم البليد الذي لا ينجح في تعليمه: كن حمارا، واحتج على امتناعه بأمرين:

الأول: أن الإنسان هو هذا الهيكل المشاهد والبنية المحسوسة فإذا أبطلها وخلق في تلك الأجسام تركيب القرد وشكله كان ذلك إعداما للإنسان وإيجادا للقرد فيرجع حاصل المسخ على هذا القول إلى أنه تعالى أعدم الأعراض التي باعتبارها كانت تلك الأجسام إنسانا وخلق فيها الأعراض التي باعتبارها كانت قردا فهذا يكون إعداما وإيجادا لا أنه يكون مسخا.

والثاني: إن جوزنا ذلك لما آمنا في كل ما نراه قردا وكلبا أنه كان إنسانا عاقلا، وذلك يفضي إلى الشك في المشاهدات.

وأجيب عن الأول بأن الإنسان ليس هو تمام هذا الهيكل، وذلك لأن هذا الإنسان قد يصير سمينا بعد أن كان هزيلا، وبالعكس فالأجزاء متبدلة والإنسان المعين هو الذي كان موجودا والباقي غير الزائل، فالإنسان أمر وراء هذا الهيكل المحسوس، وذلك الأمر إما أن يكون جسما ساريا في البدن أو جزءا في بعض جوانب البدن كقلب أو دماغ أو موجودا مجردا على ما يقوله الفلاسفة وعلى جميع التقديرات فلا امتناع في بقاء ذلك الشيء مع تطرق التغير إلى هذا الهيكل وهذا هو المسخ وبهذا التقدير يجوز في المالك الذي تكون جثته في غاية العظم أن يدخل حجرة الرسول عليه السلام.

القرآن

{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٦٧)} [الأعراف : ١٦٧]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- إذ علم ذلك إعلامًا صريحًا ليبعثن على اليهود مَن يذيقهم سوء العذاب والإذلال إلى يوم القيامة. إن ربك -أيها الرسول- لسريع العقاب لِمَن استحقه بسبب كفره ومعصيته، وإنه لغفور عن ذنوب التائبين، رحيم بهم.

قوله تعالى:{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} [الأعراف : ١٦٧]، أي:" واذكر أيها الرسول- حين أعلم ربك ليسلطنَّ على اليهود إلى قيام الساعة من يذيقهم أسوأ العذاب بسبب عصيانهم ومخالفتهم أمر الله واحتيالهم على المحارم"[٤٠٩٥].

عن مجاهد: "{وإذ تأذن ربك}، قال: أمرَ ربك"[٤٠٩٦].

عن مجاهد قوله: "{وإذ تأذن ربك}، قال: قال ربك"[٤٠٩٧].

قال السدي:" يقول: إن ربك يبعث على بني إسرائيل العرب، فيسومونهم سوء العذاب، يأخذون منهم الجزية ويقتلونهم"[٤٠٩٨].

قال قتادة:" فبعث الله عليهم هذا الحيَّ من العرب، فهم في عذاب منهم إلى يوم القيامة"[٤٠٩٩].

عن سعيد بن جبير: "{وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب}، قال: هم أهل الكتاب، بعث الله عليهم العرب يجبُونهم الخراجَ إلى يوم القيامة، فهو سوء العذاب. ولم يجب نبيٌّ الخراجَ قطُّ إلا مُوسى صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنةً، ثم أمسك، وإلا النبي صلى الله عليه وسلم"[٤١٠٠].

قوله تعالى:{وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ } [الأعراف : ١٦٧]، أي:" وإنه لغفور عن ذنوب التائبين، رحيم بهم"[٤١٠١].

قال قتادة:" قوله:{رحيما}، بعياده"[٤١٠٢].

عن قتادة:" قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"[٤١٠٣].

القرآن

{وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٦٨)} [الأعراف : ١٦٨]

التفسير:

وفرَّقنا بني إسرائيل في الأرض جماعات، منهم القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، ومنهم المقصِّرون الظالمون لأنفسهم، واختبرنا هؤلاء بالرخاء في العيش والسَّعَة في الرزق، واختبرناهم أيضًا بالشدة في العيش والمصائب والرزايا; رجاء أن يرجعوا إلى طاعة ربهم ويتوبوا من معاصيه.

وعن الثاني أن الأمان يحصل بإجماع الأمة، ولما ثبت بما قررنا جواز المسخ أمكن إجراء الآية على ظاهرها، ولم يكن بنا حاجة إلى التأويل الذي ذكره مجاهد رحمه الله وإن كان ما ذكره غير مستبعد جدا، لأن الإنسان إذا أصر على جهالته بعد ظهور الآيات وجلاء البينات فقد يقال في العرف الظاهر إنه حمار وقرد، وإذا كان هذا المجاز من المجازات الظاهرة المشهورة لم يكن في المصير إليه محذور ألبتة.(انظر: تفسير الرازي: ١٠٤/٢).

(٤٠٩٤) انظر: تفسيره: ١٩١/١.

(٤٠٩٥) صفوة التفاسير:٤٤٤/١.[بتصرف بسيط].

(٤٠٩٦) تفسير الطبري(١٥٢٩٧):ص٢٠٤/١٣.

(٤٠٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٦٨):ص١٦٠٣/٥.

(٤٠٩٨) أخرجه الطبري(١٥٣٠٩):ص٢٠٧/١٣.

(٤٠٩٩)أخرجه الطبري(١٥٣٣٠٢):ص٢٠٦/١٣.

(٤١٠٠)أخرجه الطبري(١٥٣٣٠٦):ص٢٠٦/١٣.

(٤١٠١) التفسير الميسر:١٧٢.

(٤١٠٢)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣

(٤١٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٠٣):ص٩١٥/٣.

قوله تعالى:{وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا} [الأعراف : ١٦٨]، أي:" وفرَّقنا بني إسرائيل في الأرض جماعات"[٤١٠٤].

قال مجاهد:" يعني: «اليهود»"[٤١٠٥]. وروي عن سعيد بن جبير مثل ذلك[٤١٠٦].

قوله تعالى:{مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ} [الأعراف : ١٦٨]، أي:" منهم القائمون بحقوق الله وحقوق عباده"[٤١٠٧].

قال مجاهد:" وهم مسلمو أهل الكتاب"[٤١٠٨].

قال سعيد بن جبير:" من أمة محمد صلى الله عليه وسلم"[٤١٠٩].

قوله تعالى:{وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ} [الأعراف : ١٦٨]، أي:" ومنهم المقصِّرون الظالمون لأنفسهم"[٤١١٠].

قال مجاهد:" اليهود"[٤١١١].

قال سعيد بن جبير:" من لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم"[٤١١٢].

قوله تعالى:{وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} [الأعراف : ١٦٨]، أي:" واختبرناهم أيضًا بالشدة في العيش والمصائب والرزايا; رجاء أن يرجعوا إلى طاعة ربهم ويتوبوا من معاصيه"[٤١١٣].

عن مجاهد، قوله: "{وبلوناهم بالحسنات}، قال: الرخاء والعافية"[٤١١٤].

قال محمد بن كعب:" ابتلوا بالرخاء فلم يصبروا قال: {وقطعناهم في الأرض أمما منهم الصالحون ومنهم دون ذلك وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون}"[٤١١٥].

عن الحسن :"{لعلهم يرجعون}: لعلهم يتوبون"[٤١١٦].

القرآن

{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (١٦٩)} [الأعراف : ١٦٩]

التفسير:

فجاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم بَدَلُ سوء أخذوا الكتاب من أسلافهم، فقرؤوه وعلموه، وخالفوا حكمه، يأخذون ما يعرض لهم من متاع الدنيا من دنيء المكاسب كالرشوة وغيرها; وذلك لشدة حرصهم ونَهَمهم، ويقولون مع ذلك: إن الله سيغفر لنا ذنوبنا تمنيًا على الله الأباطيل، وإن يأت هؤلاء اليهودَ متاعٌ زائلٌ من أنواع الحرام يأخذوه ويستحلوه، مصرِّين على ذنوبهم وتناولهم الحرام، ألَمْ يؤخذ على هؤلاء العهود بإقامة التوراة والعمل بما فيها، وألا يقولوا على الله إلا الحق وألا يكذبوا عليه، وعلموا ما في الكتاب فضيعوه، وتركوا العمل به، وخالفوا عهد الله إليهم في ذلك؟ والدار الآخرة خير للذين يتقون الله، فيمتثلون أوامره، ويجتنبون نواهيه، أفلا يعقل هؤلاء الذين يأخذون دنيء المكاسب أن ما عند الله خير وأبقى للمتقين؟

قوله تعالى:{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ} [الأعراف : ١٦٩]، أي:" فجاء من بعد هؤلاء الذين وصفناهم بَدَلُ سوء أخذوا الكتاب من أسلافهم"[٤١١٧].

(٤١٠٤) التفسير الميسر:١٧٢.
(٤١٠٥) تفسير مجاهد: ٣٤٦، وتفسير ابن أبي حاتم(٨٤٨٠):ص١٦٠٥/٥.
(٤١٠٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٤٨٠):ص١٦٠٥/٥.
(٤١٠٧) التفسير الميسر:١٧٢.
(٤١٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٨١):ص١٦٠٥/٥.
(٤١٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٨٢):ص١٦٠٥/٥.
(٤١١٠) التفسير الميسر:١٧٢.
(٤١١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٨٣):ص١٦٠٥/٥.
(٤١١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٨٣):ص١٦٠٥/٥.
(٤١١٣) التفسير الميسر:١٧٢.
(٤١١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٨٦):ص١٦٠٦/٥.
(٤١١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٨٤):ص١٦٠٦/٥.
(٤١١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٤٨٧):ص١٦٠٦/٥.
(٤١١٧) التفسير الميسر:١٧٢.

قال مجاهد:" إي والله، لَخَلْفُ سَوْء ورثوا الكتابَ بعد أنبيائهم ورسلهم، ورَّثهم الله وَعهد إليهم، وقال الله في آية أخرى: {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ} [سورة مريم: ٥٩]"[٤١١٨].

وروي عن مجاهد في قول الله: "{فخلف من بعدهم خلف}، قال: النصارى"[٤١١٩].

قوله تعالى:{يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا} [الأعراف : ١٦٩]، أي:" يأخذون ما يعرض لهم من متاع الدنيا من دنيء المكاسب كالرشوة وغيرها; وذلك لشدة حرصهم ونَهَمهم ويقولون مع ذلك: إن الله سيغفر لنا ذنوبنا تمنيًا على الله الأباطيل"[٤١٢٠].

قال سعيد بن جبير:" يعملون الذنب، ثم يستغفرون الله"[٤١٢١].

عن مجاهد: "{يأخذون عرض هذا الأدنى} قال: ما أشرف لهم من شيء في اليوم من الدنيا حلالٌ أو حرام يشتهونه أخذوه، ويبتغون المغفرة، فإن يجدوا الغد مثله يأخذوه"[٤١٢٢]. وفي رواية "يتمنَّون المغفرة"[٤١٢٣].

قوله تعالى:{وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ} [الأعراف : ١٦٩]، أي:" وإن يأت هؤلاء اليهودَ متاعٌ زائلٌ من أنواع الحرام يأخذوه ويستحلوه، مصرِّين على ذنوبهم وتناولهم الحرام"[٤١٢٤].

قال قتادة:" إن جاءهم حلال أو حرامٌ أخذوه"[٤١٢٥].

عن سعيد بن جبير:"{وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه}، قال: ذنبٌ آخر، يعملون به"[٤١٢٦].

عن مجاهد:" {وإن يأتهم عرض مثله}، لا يشغلهم شيء عن شيء ولا ينهاهم عن ذلك، كلما أشرف لهم شيء من الدنيا أكلوه، لا يبالون حلالا كان أو حرامًا"[٤١٢٧].

عن السدي قوله: "{فخلف من بعدهم خلف} إلى قوله: {ودرسوا ما فيه}، قال: كانت بنو إسرائيل لا يستقضون قاضيًا إلا ارتشى في الحكم، وإن خيارهم اجتمعُوا، فأخذ بعضهم على بعض العهود أن لا يفعلوا ولا يرتشوا، فجعل الرجل منهم إذا استُقْضِي ارتشى، فيقال له: ما شأنك ترتشي في الحكم؟ فيقول: سيغفر لي! فيطعن عليه البقية الآخرون من بني إسرائيل فيما صنع. فإذا مات، أو نزع، وجعل مكانه رجل ممن كان يطعن عليه، فيرتشي. يقول: وإن يأت الآخرين عرضُ الدنيا يأخذوه. وأما «عرض الأدنى»، فعرض الدنيا من المال"[٤١٢٨].

قوله تعالى:{أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ} [الأعراف : ١٦٩]، أي:" ألم يؤخذ عليهم العهد المؤكد في التوراة أن يقولوا الحق ولا يكذبوا على الله؟ والحال أنهم درسوا ما في الكتاب وعرفوا ما فيه المعرفة التامة من الوعيد على قول الباطل والافتراء على الله "[٤١٢٩].

عن الضحاك: {وَدَرَسُوا مَا فِيهِ}، قال:" علموا ما فيه"[٤١٣٠].

عن الربيع:" يعني: فأقروا ما فيه. يعني: مخففة"[٤١٣١].

قوله تعالى:{وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ} [الأعراف : ١٦٩]، أي:" والآخرة خير للذين يتقون الله بترك الحرام"[٤١٣٢].

قال الحسن:"هي لأهل الإيمان منهم"[٤١٣٣].

(٤١١٨) أخرجه الطبري(١٥٣٢١):ص٢١٣/١٣.
(٤١١٩) أخرجه الطبري(١٥٣١٣):ص٢١٠/١٣.
(٤١٢٠) التفسير الميسر:١٧٢.
(٤١٢١) أخرجه الطبري(١٥٣١٤):ص٢١٢/١٣.
(٤١٢٢) أخرجه الطبري(١٥٣١٨):ص٢١٢/١٣.
(٤١٢٣) أخرجه الطبري(١٥٣١٩):ص٢١٢/١٣.
(٤١٢٤) التفسير الميسر:١٧٢.
(٤١٢٥) أخرجه الطبري(١٥٣٢٢):ص٢١٣/١٣.
(٤١٢٦) أخرجه الطبري(١٥٣١٦):ص٢١٢/١٣.
(٤١٢٧) أخرجه الطبري(١٥٣٢١):ص٢١٣/١٣.
(٤١٢٨) أخرجه الطبري(١٥٣٢٣):ص٢١٣/١٣.
(٤١٢٩) صفوة التفاسير:٤٤٥/١.
(٤١٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٠٦):ص١٦٠٩/٥.
(٤١٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٠٨):ص١٦٠٩/٥.
(٤١٣٢) صفوة التفاسير:٤٤٥/١.

القرآن

{وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ (١٧٠)} [الأعراف : ١٧٠]

التفسير:

والذين يتمسَّكون بالكتاب، ويعملون بما فيه من العقائد والأحكام، ويحافظون على الصلاة بحدودها، ولا يضيعون أوقاتها، فإن الله يثيبهم على أعمالهم الصالحة، ولا يضيعها.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ} [الأعراف : ١٧٠]، أي:" والذين يتمسَّكون بالكتاب، ويعملون بما فيه من العقائد والأحكام"(٤١٣٤).

عن مجاهد قوله: "{والذين يمسكون بالكتاب}، من يهود أو نصارى"(٤١٣٥).

عن الحسن قوله: "{والذين يمسكون بالكتاب}، قال: يعني: لأهل الإيمان منهم"(٤١٣٦).

قوله تعالى:{وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ} [الأعراف : ١٧٠]، أي:" ويحافظون على الصلاة بحدودها، ولا يضيعون أوقاتها"(٤١٣٧).

قال الزهري:" إقامتها أن تصلي الصلاة لوقتها"(٤١٣٨).

عن الحسن في قوله: { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}، قال: "فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها وبالزكاة"(٤١٣٩).

وروي عن عطاء بن أبي رباح، وقتادة نحو ذلك(٤١٤٠).

قوله تعالى:{إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ} [الأعراف : ١٧٠]، أي:" فإن الله يثيبهم على أعمالهم الصالحة، ولا يضيعها"(٤١٤١).

عن الحسن قوله: "{إنا لا نضيع أجر المصلحين}، قال: هي لأهل الإيمان منهم"(٤١٤٢).

القرآن

{وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٧١)} [الأعراف : ١٧١]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- إذ رفعنا الجبل فوق بني إسرائيل كأنه سحابة تظلهم، وأيقنوا أنه واقع بهم إن لم يقبلوا أحكام التوراة، وقلنا لهم: خذوا ما آتيناكم بقوة، أي اعملوا بما أعطيناكم باجتهاد منكم، واذكروا ما في كتابنا من العهود والمواثيق التي أخذناها عليكم بالعمل بما فيه; كي تتقوا ربكم فتنجوا من عقابه.

قوله تعالى:{وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ} [الأعراف : ١٧١]، أي:" اذكر أيها الرسول- حين اقتلعنا جبل الطور ورفعناه فوق رءوس بني إسرائيل"(٤١٤٣).

قال مجاهد:" كما تنتق الزُّبْدَة"(٤١٤٤). وفي لفظ:" نتقنا قال: خرجنا كما تخرج الزبدة"(٤١٤٥).

عن ابن جريج قال: "قال لي عطاء: إن هذا الجبل جبل الطور هو الذي رفع على بني إسرائيل"(٤١٤٦).

(٤١٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٠٩):ص١٦٠٩/٥.

(٤١٣٤) التفسير الميسر:١٧٢.

(٤١٣٥) أخرجه الطبري(١٥٣٣٠):ص٢١٧/١٣.

(٤١٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥١١):ص١٦٠٩/٥.

(٤١٣٧) التفسير الميسر:١٧٢.

(٤١٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥١٣):ص١٦٠٩/٥.

(٤١٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢١):س١٠٠٤/٣.

(٤١٤٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):ص١٠٠٤/٣.

(٤١٤١) التفسير الميسر:١٧٢.

(٤١٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥١٤):ص١٦١٠/٥.

(٤١٤٣) صفوة التفاسير:٤٤٦/١.

(٤١٤٤) أخرجه الطبري(١٥٣٣٦):ص٢١٨/١٣.

و"نتق الزبدة": هو أن تنفض السقاء لكي تقتلع منه زبدته.

(٤١٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥١٨):ص١٦١٠/٥.

قوله تعالى:{كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ} [الأعراف : ١٧١]، أي:" كأنه سحابة تظلهم"[٤١٤٧].

قال ثابت بن الحجاج:" جاءتهم التوراة جملة واحدة فكبر عليهم، فأبوا أن يأخذوه حتى ظلل الله عليهم الجبل فأخذوه عند ذلك"[٤١٤٨].

قوله تعالى:{وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ} [الأعراف : ١٧١]، أي:" وأيقنوا أنه واقع بهم إن لم يقبلوا أحكام التوراة"[٤١٤٩].

عن الحسن:"أنهم تيقنوه لما عاينوا من ارتفاعه عليهم"[٤١٥٠].

قوله تعالى:{خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ} [الأعراف : ١٧١]، أي:" وقلنا لهم خذوا التوراة بجد وعزيمة"[٤١٥١].

قال قتادة:" أي: بجدّ"[٤١٥٢].

قال الربيع: "بطاعة"[٤١٥٣].

قال ابن جريج:"كانوا أبوا التوراة أن يقبلوها أو يؤمنوا بها، {خذوا ما آتيناكم بقوّة}، قال: يقول: لتؤمنن بالتوراة ولتقبلنَّها، أو ليقعَنَّ عليكم"[٤١٥٤].

قوله تعالى:{وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأعراف : ١٧١]، أي:" اذكروا ما فيه بالعمل واعملوا به لتكونوا في سلك المتقين"[٤١٥٥].

قال قتادة:" جبل نزعه الله من أصله ثم جعله فوق رؤوسهم، فقال: لتأخذُنّ أمري، أو لأرمينَّكم به!"[٤١٥٦].

عن أبي بكر بن عبد الله قال: "هذا كتاب الله، أتقبلونه بما فيه، فإن فيه بيانُ ما أحلَّ لكم وما حرَّم عليكم، وما أمركم وما نهاكم! قالوا: انشُرْ علينا ما فيها، فإن كانت فرائضها يسيرةً وحدودها خفيفةً، قبلناها! قال: اقبلوها بما فيها! قالوا: لا حتى نعلم ما فيها، كيف حدودها وفرائضها! فراجعوا موسى مرارًا، فأوحى الله إلى الجبل فانقلع فارتفع في السماء، حتى إذا كان بين رؤوسهم وبين السماء قال لهم موسى: ألا ترون ما يقول ربِّي؟ "لئن لم تقبلوا التوراةَ بما فيها لأرمينَّكم بهذا الجبل". قال: فحدثني الحسن البصريّ، قال: لما نظروا إلى الجبل خرَّ كلُّ رجل ساجدًا على حاجبه الأيسر، ونظر بعينه اليُمْنَى إلى الجبل، فَرَقًا من أن يسقط عليه، فلذلك ليس في الأرض يهوديٌّ يسجدُ إلا على حاجبه الأيسر، يقولون: هذه السجدة التي رُفِعت عنا بها العقوبة قال أبو بكر: فلما نشر الألواح فيها كتاب الله كتَبَه بيده، لم يبقَ على وجه الأرض جبلٌ ولا شجرٌ ولا حجرٌ إلا اهتزّ، فليس اليوم يهوديّ على وجه الأرض صغيرٌ ولا كبير تقرأ عليه التوراة إلا اهتزّ، ونَفضَ لها رأسَه"[٤١٥٧].

القرآن

{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢)} [الأعراف : ١٧٢]

التفسير:

(٤١٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥١٧):ص١٦١٠/٥.

(٤١٤٧) التفسير الميسر:١٧٣.

(٤١٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥١٩):ص١٦١٠/٥.

(٤١٤٩) التفسير الميسر:١٧٣.

(٤١٥٠) انظر: النكت والعيون:٢٧٦/٢.

(٤١٥١) صفوة التفاسير:٤٤٧/١.

(٤١٥٢) أخرجه الطبري(١٥٣٣٥):ص٢١٨/١٣.

(٤١٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٢٦):ص١٦١٢/٥.

(٤١٥٤) أخرجه الطبري(١٥٣٣٦):ص٢١٩/١٣.

(٤١٥٥) صفوة التفاسير:٤٤٧/١.

(٤١٥٦) أخرجه الطبري(١٥٣٣٥):ص٢١٨/١٣.

(٤١٥٧) أخرجه الطبري(١٥٣٣٧):ص٢١٩/١٣.

واذكر -أيها الرسول- إذ استخرج ربك أولاد آدم مِن أصلاب آبائهم، وقررهم بتوحيده بما أودعه في فطرهم من أنه ربهم وخالقهم ومليكهم، فأقروا له بذلك، خشية أن ينكروا يوم القيامة، فلا يقروا بشيء منه، ويزعموا أن حجة الله ما قامت عليهم، ولا عندهم علم بها، بل كانوا عنها غافلين.

قوله تعالى:{وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ} [الأعراف : ١٧٢]، أي:" واذكر -أيها الرسول- إذ استخرج ربك أولاد آدم مِن أصلاب آبائهم"(٤١٥٨).

قال الحسن: والله لقد قال الله ذلك في كتابه، قال: {وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم}"(٤١٥٩).

قال الحسن:" ثم أعادهم في صلب آدم"(٤١٦٠).

قال الضحاك:" إن الله أخرج من ظهر آدم يوم خلقه ما يكون إلى يوم القيامة، فأخرجهم مثل الذر ثم قال: {ألست بربكم قالوا بلى}، {قالت الملائكة شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين} ... إلى قوله: {المبطلون}"(٤١٦١).

عن جويبر قال: مات ابن للضحاك بن مزاحم، ابن ستة أيام قال: فقال: يا جابر إذا أنت وضعت ابني في لحده، فأبرز وجهه، وحل عنه عقده، فإن ابني مجلس ومسئول! ففعلت به الذي أمرني، فلما فرغت، قلت: يرحمك الله، عم يسأل ابنك؟ من يسأله إياه؟ قال: يسأل عن الميثاق الذي أقر به في صلب آدم عليه السلام. قلت: يا أبا القاسم، وما هذا الميثاق الذي أقر به في صلب آدم؟ قال: ثني ابن عباس أن الله مسح صلب آدم، فاستخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة، وأخذ منهم الميثاق أن يعبدوه، ولا يشركوا به شيئا، وتكفل لهم بالأرزاق، فلن تقوم الساعة حتى يولد من أعطى الميثاق يومئذ، فمن أدرك منهم الميثاق الآخر فوفى به نفعه الميثاق الأول، ومن أدرك الميثاق الآخر فلم يف به لم ينفعه الميثاق الأول، ومن مات صغيرا قبل أن يدرك الميثاق الآخر مات على الميثاق الأول على الفطرة "(٤١٦٢).

قوله تعالى:{وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا} [الأعراف : ١٧٢]، أي:"وقررهم بتوحيده بما أودعه في فطرهم من أنه ربهم وخالقهم ومليكهم، فأقروا له بذلك"(٤١٦٣).

قال محمد بن كعب القرظي:" أقرَّت الأرواح قبلَ أن تُخْلق أجسادها"(٤١٦٤).

عن عبد الملك بن أبي يزيد ووهب بن منبه في قول الله: "{وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم}- إلى قوله: {ألست بربكم؟} قالا: الرسل"(٤١٦٥).

القرآن

{وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (١٧٤)} [الأعراف : ١٧٤]

التفسير:

وكما فَصَّلْنا الآيات، وبيَّنَّا فيها ما فعلناه بالأمم السابقة، كذلك نفصِّل الآيات ونبيِّنها لقومك أيها الرسول; رجاء أن يرجعوا عن شركهم، وينيبوا إلى ربهم.

قوله تعالى:{وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ} [الأعراف : ١٧٤]، أي:" وكما فَصَّلْنا الآيات، وبيَّنَّا فيها ما فعلناه بالأمم السابقة، كذلك نفصِّل الآيات ونبيِّنها لقومك أيها الرسول"(٤١٦٦).

عن السدي قوله: "{وكذلك نفصل الآيات}، ما نفصل فنبين"(٤١٦٧).

(٤١٥٨) التفسير الميسر:١٧٣.
(٤١٥٩) أخرجه الطبري(١٥٣٥٣):ص٢٣١/١٣.
(٤١٦٠) تفسير ابن أبي زمنين: ١٥٢/٢.
(٤١٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٣٨):ص١٥١٦/٥.
(٤١٦٢) أخرجه الطبري(١٥٣٥٢):ص٢٣٠/١٣-٢٣١.
(٤١٦٣) التفسير الميسر:١٧٣.
(٤١٦٤) أخرجه الطبري(١٥٣٧٦):ص٢٤٤/١٣.
(٤١٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٣٩):ص١٥١٦/٥.
(٤١٦٦) التفسير الميسر:١٧٣.
(٤١٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٤٠):ص١٦١٦/٥.

القرآن

{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ (١٧٥)} [الأعراف : ١٧٥]

التفسير:

واقصص -أيها الرسول- على أمتك خبر رجل من بني إسرائيل أعطيناه حججنا وأدلتنا، فتعلَّمها، ثم كفر بها، ونبذها وراء ظهره، فاستحوذ عليه الشيطان، فصار من الضالين الهالكين; بسبب مخالفته أمر ربه وطاعته الشيطان.

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: عن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنهما-؛ قال: "نزلت في أمية بن أبي الصلت الثقفي"(٤١٦٨). [صحيح]

والثاني: عن عبد الله بن مسعود؛ قال: "هو بلعم بن أبر رجل من اليمن"(٤١٦٩). [صحيح]

قوله تعالى:{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا} [الأعراف : ١٧٥]، أي:" واقصص -أيها الرسول- على أمتك خبر رجل من بني إسرائيل أعطيناه حججنا وأدلتنا، فتعلَّمها، ثم كفر بها، ونبذها وراء ظهره"(٤١٧٠).

اختلف في قوله تعالى:{وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا} [الأعراف : ١٧٥]، على وجوه:

أحدها : أنه بلعام بن عوراء. قاله مجاهد(٤١٧١)، وعكرمة(٤١٧٢).

الثاني: أنه من اليهود والنصارى والحنفاء ممن أعطاه الله الحق فتركه. قاله عكرمة(٤١٧٣).

الثالث: قال قتادة:" هذا مثل ضربه الله لمن عرض عليه الهدى فأبى أن يقبله وتركه"(٤١٧٤).

وفي الآيات التي أوتيها قولان :

أحدهما : أنه اسم الله الأعظم الذي تجاب به الدعوات ، قاله السدي(٤١٧٥)، وكعب(٤١٧٦).

قال كعب:" كان يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب"(٤١٧٧).

وروي عن عكرمة:" أعطاه الله آياته وكتابه فانسلخ منها فجعله مثل الكلب" (٤١٧٨).

(٤١٦٨)أخرجه النسائي في "تفسيره" (١/ ٥٠٨، ٥١١ رقم ٢١٢، ٢١٤)، والطبري في "جامع البيان" (١٥٤٠٩):ص٢٥٧/١٣، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦١٦ رقم ٨٥٤٢)، ومسدد بن مسرهد في "مسنده"؛ كما في "إتحاف الخيرة المهرة" (٨/ ٧٨ رقم ٧٦٨٠) من طريق يعقوب ونافع ابني عاصم عن عبد الله بن عمرو به.

قلنا: وسنده صحيح.

وذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ٢٥) وقال: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح".

وقال البوصيري: "ورواته ثقات".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ١٤٦) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه وابن عساكر.

وصححه ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٢٦٦)، وقال الحافظ في "فتح الباري" (٧/ ١٥٤): "وروى ابن مردويه بإسناد قوي عن عبد الله بن عمرو. . .".

(٤١٦٩)أخرجه النسائي في "تفسيره" (١/ ٥١٠ رقم ٢١٣)، والطبري في "جامع البيان" (١٥٣٨٣)، و(١٥٣٨٤):ص٢٥٢/١٣، والطبراني في "الكبير" (٩/ ٢١٩ رقم ٩٠٦٤)، وعبد الرزاق في "تفسيره" (١/ ٢/ ٢٤٣)، والحاكم في "المستدرك" (٢/ ٣٢٥)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦١٦ رقم ٨٥٤١) من طريق الأعمش ومنصور كلاهما عن أبي الضحى عن مسروق عنه به.

قلنا: وهذا سند صحيح على شرط الشيخين.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٧/ ٢٥): "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح".

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٦٠٨) وزاد نسبته للفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٤١٧٠) التفسير الميسر:١٧٣.

(٤١٧١) انظر: تفسير الطبري(١٥٣٩١):ص٢٥٤/١٣.

(٤١٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٣٩٤)-(١٥٣٩٧):ص٢٥٤/١٣.

(٤١٧٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٥٥٤):ص١٦١٨/٥.

(٤١٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٤٨):ص١٦١٧/٥.

(٤١٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٤١١):ص٢٥٧/١٣.

(٤١٧٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٥٥٠):ص١٦١٨/٥.

(٤١٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٥٠):ص١٦١٨/٥.

(٤١٧٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٥٤):ص١٦١٨/٥.

الثاني : أنه أوتي النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه ، قاله مجاهد[٤١٧٩]، وحكاه المعتمر سليمان عن أبيه[٤١٨٠].

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمرَ نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتلو على قومه خبرَ رجلٍ كان الله آتاه حُجَجه وأدلته، وهي «الآيات»، وقد دللنا على أن معنى "الآيات": الأدلة والأعلام، فيما مضى، بما أغنى عن إعادته، وجائز أن يكونَ الذي كان الله آتاه ذلك «بلعم»، وجائز أن يكون أمية. وكذلك «الآيات» إن كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه، فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية، وعناه بها; فجائز أن يكون الذي كان أوتيها «بلعم»، وجائز أن يكون «أمية»، لأن «أمية» كان، فيما يقال، قد قرأ من كتب أهل الكتاب، وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على مَنْ أمر نبيَّ الله عليه الصلاة والسلام أن يتلوَ على قومه نبأه أو بمعنى اسم الله الأعظم، أو بمعنى النبوّة ، فغير جائز أن يكون معنيًّا به «أمية»"; لأن «أمية» لا تختلف الأمة في أنه لم يكن أوتي شيئًا من ذلك، ولا خبرَ بأيٍّ ذلك المراد، وأيّ الرجلين المعنيّ، يوجب الحجة، ولا في العقل دلالة على أيٍّ ذلك المعنيُّ به من أيٍّ. فالصواب أن يقال فيه ما قال الله، ونُقِرّ بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله"[٤١٨١].

قوله تعالى:{فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ} [الأعراف : ١٧٥]، أي:" فاستحوذ عليه الشيطان، فصار من الضالين الهالكين; بسبب مخالفته أمر ربه وطاعته الشيطان"[٤١٨٢].

عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير: "{فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين}، قال: سجوده للشيطان حين تراءى له"[٤١٨٣].

قال مالك ابن دينار قال: "بعث نبي الله موسى بلعام وكان مجاب الدعوة وكان يقدمهم عند الشدائد، وكان من علماء بني إسرائيل فبعثه إلى ملك مدين يدعوه إلى الله، فأقطعه وأعطاه فتبع دينه وترك دين موسى فنزلت هذه الآية: {واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها} إلى قوله: {من الغاوين}"[٤١٨٤].

القرآن

{وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (١٧٦)} [الأعراف : ١٧٦]

التفسير:

ولو شئنا أن نرفع قدره بما آتيناه من الآيات لفعلنا، ولكنه رَكَنَ إلى الدنيا واتبع هواه، وآثر لذَّاته وشهواته على الآخرة، وامتنع عن طاعة الله وخالف أمره. فَمَثَلُ هذا الرجل مثل الكلب، إن تطرده أو تتركه يُخْرج لسانه في الحالين لاهثًا، فكذلك الذي انسلخ من آيات الله يظل على كفره إن اجتهدْتَ في دعوتك له أو أهملته، هذا الوصف -أيها الرسول- وصف هؤلاء القوم الذين كانوا ضالين قبل أن تأتيهم بالهدى والرسالة، فاقصص -أيها الرسول- أخبار الأمم الماضية، ففي إخبارك بذلك أعظم معجزة، لعل قومك يتدبرون فيما جئتهم به فيؤمنوا لك.

قوله تعالى:{وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا} [الأعراف : ١٧٦]، أي:" ولو شئنا أن نرفع قدره بما آتيناه من الآيات لفعلنا"[٤١٨٥].

قال مجاهد:" ولو شئنا لرفعناه بها لدفعنا عنه"[٤١٨٦].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ} [الأعراف : ١٧٦]، أي:" ولكنه رَكَنَ إلى الدنيا"[٤١٨٧].

قال سعيد بن جبير:" يعني: ركن إلى الأرض"[٤١٨٨].

(٤١٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٤١٥):ص٢٥٩/١٣.
(٤١٨٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٤١٦):ص٢٥٩/١٣.
(٤١٨١) تفسير الطبري:٢٥٩/١٣-٢٦٠.
(٤١٨٢) التفسير الميسر:١٧٣.
(٤١٨٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٥٥٦):ص١٦١٩/٥.
(٤١٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٥٣):ص١٦١٨/٥.
(٤١٨٥) التفسير الميسر:١٧٣.
(٤١٨٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٥٧):ص١٦١٩/٥، والطبري(١٥٤٢٦):ص٢٦٨/١٣.
(٤١٨٧) التفسير الميسر:١٧٣.

قال السدي:" أما {أخلد إلى الأرض} : فاتبع الدنيا، وركن إليها"[٤١٨٩].
قال قتادة:" يأبى أن يصحب واتبع هواه"[٤١٩٠].
قوله تعالى:{وَاتَّبَعَ هَوَاهُ} [الأعراف : ١٧٦]، أي:" واتبع هواه، وآثر لذَّاته وشهواته على الآخرة، وامتنع عن طاعة الله وخالف أمره"[٤١٩١].
قوله تعالى:{فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ} [الأعراف : ١٧٦]، أي:" فَمَثَلُ هذا الرجل مثل الكلب، إن تطرده أو تتركه يُخْرج لسانه في الحالين لاهثًا، فكذلك الذي انسلخ من آيات الله يظل على كفره إن اجتهدْتَ في دعوتك له أو أهملته"[٤١٩٢].
عن الحسن:" {إن تحمل عليه يلهث}، قال: إن تسع عليه"[٤١٩٣].
واختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله جَعَل الله مثَله كمثل الكلب، على قولين:
أحدهما: مثَّله به في اللهث، لتركه العمل بكتابِ الله وآياته التي آتاها إياه، وإعراضِه عن مواعظ الله التي فيها إعراض من لم يؤته الله شيئًا من ذلك، فقال جل ثناؤه فيه: إذْ كان سواء أمرُه، وُعِظَ بآيات الله التي آتاها إياه، أو لم يوعظ، في أنه لا يتَّعظ بها، ولا يترك الكفر به، مثل الكلب الذي سواءٌ أمره في لهثه، طرد أو لم يطرد، إذ كان لا يتركُ اللهث بحال. وهذا معنى قول مجاهد[٤١٩٤]، وقتادة[٤١٩٥].
قال قتادة:" هذا مثلٌ ضربه الله لمن عُرض عليه الهدى، فأبى أن يقبله وتركه، قال: وكان الحسن يقول: هو المنافق {ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث}، قال: هذا مثل الكافر ميتُ الفؤاد"[٤١٩٦].
الثاني: مثله جل ثناؤه بالكلب، لأنه كان يلهث كما يلهثُ الكلب. وهذا قول السدي[٤١٩٧].
وأولى التأويلين في ذلك بالصواب، تأويلُ من قال: إنما هو مثلٌ لتركه العمل بآيات الله التي آتاها إياه، وأنّ معناه: سواء وعظ أو لم يوعظ، في أنه لا يترك ما هو عليه من خلافه أمر ربّه، كما سواءٌ حمل على الكلب وطُرِد أو ترك فلم يطرد، في أنه لا يدَع اللهث في كلتا حالتيه. وإنما قلنا: ذلك أولى القولين بالصواب، لدلالة قوله تعالى: {ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا}، فجعل ذلك مثلَ المكذِّبين بآياته. وقد علمنا أن اللُّهَاث ليس في خِلقة كل مكذّب كُتب عليه ترك الإنابة من تكذيبه بآيات الله، وأن ذلك إنما هو مثل ضربه الله لهم، فكان معلوما بذلك أنه للذي وصف الله صفته في هذه الآية، كما هو لسائر المكذبين بآيات الله، مثلٌ"[٤١٩٨].
قوله تعالى:{ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا} [الأعراف : ١٧٦]، أي:" هذا الوصف -أيها الرسول- وصف هؤلاء القوم الذين كانوا ضالين قبل أن تأتيهم بالهدى والرسالة"[٤١٩٩].
عن الربيع يعني قوله:"{فانسلخ منها}، انسلخ من الآيات، ودعا بهلاكهم فنزع منه ما أوتي من العلم، وصار لعينا متقلبا على عقبيه من ذلك فيما ذكر أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، وذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، وأهلك العدو الذي دعا عليهم، وإنما هذا مثل فكذلك كل عالم نهي أن يسأل ربه ما لا ينبغي له"[٤٢٠٠].
قوله تعالى:{فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [الأعراف : ١٧٦]، أي:" فاقصص -أيها الرسول- أخبار الأمم الماضية، ففي إخبارك بذلك أعظم معجزة، لعل قومك يتدبرون فيما جئتهم به فيؤمنوا لك"[٤٢٠١].

(٤١٨٨) أخرجه الطبري(١٥٤٢٩):ص٢٦٩/١٣.
(٤١٨٩) أخرجه الطبري(١٥٤٣٣):ص٢٦٩/١٣-٢٧٠.
(٤١٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٥٦٧):ص١٦٢٠/٥.
(٤١٩١) التفسير الميسر:١٧٣.
(٤١٩٢) التفسير الميسر:١٧٣.
(٤١٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٧١):ص١٦٢١/٥.
(٤١٩٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٣٥)، و(١٥٤٣٦):ص٢٧٢/١٣.
(٤١٩٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٤٠):ص٢٧٣/١٣.
(٤١٩٦) أخرجه الطبري(١٥٤٤٠):ص٢٧٣/١٣.
(٤١٩٧) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٤١):ص٢٧٣/١٣.
(٤١٩٨) تفسير الطبري:٢٧٣/١٣.
(٤١٩٩) التفسير الميسر:١٧٣.
(٤٢٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٧٢):ص١٦٢١/٥.
(٤٢٠١) التفسير الميسر:١٧٣.

قال ابن إسحاق:" يعني: بني إسرائيل، أي: قد جئتهم بخبر من كان قبلهم مما يخفون عليك لعلهم يتفكرون فيعرفون أنه لم يأت بهذا من الخبر عما مضى فيهم إلا نبي يأتيه خبر السماء"(٤٢٠٢).

عن سالم أبي النضر: "{فاقصص القصص لعلهم يتفكّرون}، يعني: بني إسرائيل، إذ قد جئتهم بخبر ما كان فيهم ممّا يخفُون عليك ، {لعلهم يتفكرون}، فيعرفون أنه لم يأت بهذا الخبر عمّا مضى فيهم إلا نبيٌّ يأتيه خبرُ السماء"(٤٢٠٣).

القرآن

{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٧٩)} [الأعراف : ١٧٩]

التفسير:

ولقد خلقنا للنار -التي يعذِّب الله فيها مَن يستحق العذاب في الآخرة- كثيرًا من الجن والإنس، لهم قلوب لا يعقلون بها، فلا يرجون ثوابًا ولا يخافون عقابًا، ولهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته، ولهم آذان لا يسمعون بها آيات كتاب الله فيتفكروا فيها، هؤلاء كالبهائم التي لا تَفْقَهُ ما يقال لها، ولا تفهم ما تبصره، ولا تعقل بقلوبها الخير والشر فتميز بينهما، بل هم أضل منها; لأن البهائم تبصر منافعها ومضارها وتتبع راعيها، وهم بخلاف ذلك، أولئك هم الغافلون عن الإيمان بالله وطاعته.

قوله تعالى:{وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ} [الأعراف : ١٧٩]، أي:" ولقد خلقنا للنار -التي يعذِّب الله فيها مَن يستحق العذاب في الآخرة- كثيرًا من الجن والإنس"(٤٢٠٤).

عن الحسن، في قوله:" {ولقد ذرأنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس}، قال: مما خلقنا"(٤٢٠٥).

قال مجاهد:" لقد خلقنا لجهنم كثيرًا من الجن والإنس"(٤٢٠٦).

قال سعيد بن جبير:" أولاد الزنا ممّا ذرأ الله لجهنم"(٤٢٠٧).

قوله تعالى:{لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا} [الأعراف : ١٧٩]، أي:" لهم قلوب لا يفهمون بها الحق"(٤٢٠٨).

قال مجاهد:" لا يفقهون بها شيئًا من أمر الآخرة"(٤٢٠٩).

قوله تعالى:{وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا} [الأعراف : ١٧٩]، أي: ولهم أعين" لا يبصرون بها دلائل قدرة الله بصر اعتبار"(٤٢١٠).

قال مجاهد:أي:" الهدى"(٤٢١١).

قوله تعالى:{وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا} [الأعراف : ١٧٩]، أي:" يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ"(٤٢١٢).

قال مجاهد:أي:" الحقَّ"(٤٢١٣).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ} [الأعراف : ١٧٩]، أي:" أولئك كالحيوانات في عدم الفقه والبصر والاستماع، بل هم أسوأ حالاً من الحيوانات فإنها تدرك منافعها ومضارها وهؤلاء لا يميزون بين المنافع والمضار"(٤٢١٤).

قال مجاهد:" ثم جعلهم كالأنعام سواءً، ثم جعلهم شرًّا من الأنعام، فقال:{بل هم أضل}"(٤٢١٥).

(٤٢٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٧٣):ص١٦٢١/٥.
(٤٢٠٣) أخرجه الطبري(١٥٤٤٢):ص٢٧٥/١٣.
(٤٢٠٤) التفسير الميسر:١٧٤.
(٤٢٠٥) أخرجه الطبري(١٥٤٤٣):ص٢٧٧/١٣.
(٤٢٠٦) أخرجه الطبري(١٥٤٤٨):ص٢٧٨/١٣.
(٤٢٠٧) أخرجه الطبري(١٥٤٤٤):ص٢٧٧/١٣.
(٤٢٠٨) صفوة التفاسير:٤٤٨/١.
(٤٢٠٩) أخرجه الطبري(١٥٤٥٠):ص٢٨٠/١٣.
(٤٢١٠) صفوة التفاسير:٤٤٨/١.
(٤٢١١) أخرجه الطبري(١٥٤٥٠):ص٢٨٠/١٣.
(٤٢١٢) صفوة التفاسير:٤٤٨/١.
(٤٢١٣) أخرجه الطبري(١٥٤٥٠):ص٢٨٠/١٣.
(٤٢١٤) صفوة التفاسير:٤٤٨/١.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الأعراف : ١٧٩]، أي:" أولئك هم الغافلون عن الإيمان بالله وطاعته"[٤٢١٦].

قال مجاهد:"ثم أخبر أنهم هم الغافلون"[٤٢١٧].

القرآن

{وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٨٠)} [الأعراف : ١٨٠]

التفسير:

ولله سبحانه وتعالى الأسماء الحسنى، الدالة على كمال عظمته، وكل أسمائه حسن، فاطلبوا منه بأسمائه ما تريدون، واتركوا الذين يُغيِّرون في أسمائه بالزيادة أو النقصان أو التحريف، كأن يُسمَّى بها من لا يستحقها، كتسمية المشركين بها آلهتهم، أو أن يجعل لها معنى لم يُرِدْه الله ولا رسوله، فسوف يجزون جزاء أعمالهم السيئة التي كانوا يعملونها في الدنيا من الكفر بالله، والإلحاد في أسمائه وتكذيب رسوله.

قوله تعالى:{وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} [الأعراف : ١٨٠]، أي:" واتركوا الذين يُغيِّرون في أسمائه بالزيادة أو النقصان أو التحريف، كأن يُسمَّى بها من لا يستحقها، كتسمية المشركين بها آلهتهم، أو أن يجعل لها معنى لم يُرِدْه الله ولا رسوله"[٤٢١٨].

وفي قوله تعالى:{وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} [الأعراف : ١٨٠]، وجهان:

أحدهما : يشركون ، قاله قتادة[٤٢١٩].

عن قتادة: "{يلحدون}، قال: يشركون"[٤٢٢٠].

الثاني: يدخلون فيها ما ليس منها. قاله الأعمش[٤٢٢١].

وأصل "الإلحاد" في كلام العرب: العدول عن القصد، والجورُ عنه، والإعراض. ثم يستعمل في كل معوَجّ غير مستقيم، ولذلك قيل للحْد القبر: "لحد"، لأنه في ناحية منه، وليس في وسطه[٤٢٢٢].

قال مجاهد:" اشتقوا «العزى» من «العزيز»، واشتقوا «اللات» من «الله»"[٤٢٢٣].

القرآن

{وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ (١٨١)} [الأعراف : ١٨١]

التفسير:

ومن الذين خَلَقْنا جماعة فاضلة يهتدون بالحق ويَدْعون إليه، وبه يقضون وينصفون الناس، وهم أئمة الهدى ممن أنعم الله عليهم بالإيمان والعمل الصالح.

قال قتادة:" هذه الأمة يهدون بالحق وبه يعدلون"[٤٢٢٤].

قال قتادة:" بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول إذا قرأها: هذه لكم، وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها: (وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ) ، [سورة الأعراف: ١٥٩] "[٤٢٢٥].

قال ابن جريج: "ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال: هذه أمتي! قال: بالحق يأخُذون ويعطون ويَقْضُون"[٤٢٢٦].

(٤٢١٥) أخرجه الطبري(١٥٤٥٠):ص٢٨٠/١٣.
(٤٢١٦) التفسير الميسر:١٧٤.
(٤٢١٧) أخرجه الطبري(١٥٤٥٠):ص٢٨٠/١٣.
(٤٢١٨) التفسير الميسر:١٧٤.
(٤٢١٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٥٦):ص٢٨٣/١٣.
(٤٢٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٥٦):ص٢٨٣/١٣.
(٤٢٢١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٥٨٧):ص١٦٢٣/٥.
(٤٢٢٢) انظر: تفسير الطبري:٢٨٣/١٣.
(٤٢٢٣) أخرجه الطبري(١٥٤٥٤):ص٢٨٣/١٣.
(٤٢٢٤) تفسير عبدالرزاق(٩٦٢):ص١٠١/٢.
(٤٢٢٥) أخرجه الطبري(١٥٤٤٦٠):ص٢٨٦/١٣.
(٤٢٢٦) أخرجه الطبري(١٥٤٤٥٩):ص٢٨٥/١٣-٢٨٦.

عن الربيع بن أنس في قوله: "{وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون}، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم متى أنزل"[٤٢٢٧].

القرآن

{وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٢)} [الأعراف : ١٨٢]

التفسير:

والذين كذَّبوا بآياتنا، فجحدوها، ولم يتذكروا بها، سنفتح لهم أبواب الرزق ووجوه المعاش في الدنيا، استدراجًا لهم حتى يغتروا بما هم فيه ويعتقدوا أنهم على شيء، ثم نعاقبهم على غِرَّة من حيث لا يعلمون. وهذه عقوبة من الله على التكذيب بحجج الله وآياته.

قوله تعالى:{سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ} [الأعراف : ١٨٢]، أي:" سنأخذهم قليلاً وندنيهم من الهلاك نم حيث لا يشعرون"[٤٢٢٨].

قال السدي:" سنأخذهم من حيث لا يعلمون"[٤٢٢٩].

وقال السدي:" سنأخذهم من حيث لا يعلمون، يقول عذاب بدر"[٤٢٣٠].

قال الضحاك: "كلما جددوا لنا معصية جددنا لهم نعمة"[٤٢٣١].

قال عطاء: "سنمكر بهم من حيث لا يعلمون"[٤٢٣٢].

وأصل "الاستدراج": اغترارُ المستدرَج بلطف من استدرجه، حيث يرى المستدرَج أن المستدرِج إليه محسنٌ، حتى يورِّطه مكروهًا[٤٢٣٣].

القرآن

{أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ (١٨٤)} [الأعراف : ١٨٤]

التفسير:

أو لم يتفكر هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا فيتدبروا بعقولهم، ويعلموا أنه ليس بمحمد جنون؟ ما هو إلا نذير لهم من عقاب الله على كفرهم به إن لم يؤمنوا، ناصح مبين.

سبب النزول:

عن قتادة؛ قال:" ذكر لنا أن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - كان على الصفا، فدعا قريشاً؛ فجعل يفخذهم فخذاً فخذاً: يا بني فلان، يا بني فلان فحذرهم بأس الله ووقائع الله، فقال قائلهم: إن صاحبكم هذا لمجنون؛ بات يصوت إلى الصباح أو حتى أصبح؛ فأنزل الله -تبارك وتعالى-: {أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ}"[٤٢٣٤]. [ضعيف]

القرآن

{مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٨٦)} [الأعراف : ١٨٦]

التفسير:

مَن يضلله الله عن طريق الرشاد فلا هادي له، ويتركُهم في كفرهم يتحيرون ويترددون.

(٤٢٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٨٩):ص١٦٢٣/٥.

(٤٢٢٨) صفوة التفاسير:٤٤٨/١.

(٤٢٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٩٠):ص١٦٢٤/٥.

(٤٢٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٥٩١):ص١٦٢٤/٥.

(٤٢٣١) انظر: تفسير الثعلبي:٣١٢/٤، وزاد المسير:٢٠١/٣.

(٤٢٣٢) انظر: تفسير البغوي:٣٠٨/٣.

(٤٢٣٣) انظر: تفسير الطبري:٢٨٧/١٣.

(٤٢٣٤)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٤٦١):ص٢٨٩/١٣، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٢٤ رقم ٨٥٩٢) من طريق يزيد بن زريع ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به.

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٦١٨) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ.

وقال الحافظ في "الكافي الشاف" (رقم ٤٢): "بإسناد صحيح إلى قتادة"..

قوله تعالى:{مَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ} [الأعراف : ١٨٦]، أي:" مَن يضلله الله عن طريق الرشاد فلا هادي له"(٤٢٣٥).

قوله تعالى:{وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأعراف : ١٨٦]، أي:" ويتركُهم في كفرهم يتحيرون ويترددون"(٤٢٣٦).

عن مجاهد:"{في طغيانهم يعمهون}، قال: يترددون"(٤٢٣٧).

قال الربيع: "{يعمهون}: يترددون"(٤٢٣٨).

القرآن

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (١٨٧)} [الأعراف : ١٨٧]

التفسير:

يسألك -أيها الرسول- كفار «مكة» عن الساعة متى قيامها؟ قل لهم: عِلْمُ قيامها عند الله لا يظهرها إلا هو، ثَقُلَ علمها، وخفي على أهل السموات والأرض، فلا يعلم وقت قيامها ملَك مقرَّب ولا نبي مرسل، لا تجيء الساعة إلا فجأة، يسألك هؤلاء القوم عنها كأنك حريص على العلم بها، مستقص بالسؤال عنها، قل لهم: إنما علمها عند الله الذي يعلم غيب السموات والأرض، ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون أن ذلك لا يعلمه إلا الله.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "قال حمل بن أبي قشير وسمول بن زيد لرسول الله -صلى الله عليه وسلم -: يا محمد! أخبرنا متى الساعة إن كنت نبياً كما تقول، فإنا نعلم متى هي؟! فأنزل الله -تعالى-: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}"(٤٢٣٩). [ضعيف]

والثاني: عن مخارق بن شهاب؛ قال: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا}"(٤٢٤٠). [ضعيف]

والثالث: عن قتادة؛ قال: قالت قريش لمحمد - صلى الله عليه وسلم -: إن بيننا وبينك قرابة؛ فأسر إلينا متى الساعة، فقال الله: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}"(٤٢٤١). [ضعيف]

(٤٢٣٥) التفسير الميسر:١٧٤.

(٤٢٣٦) التفسير الميسر:١٧٤.

(٤٢٣٧) أنظر: تفسير الطبري(٣٧٥)، و(٣٧٦)، و(٣٧٧)، و(٣٧٨):ص٣١١/١.

(٤٢٣٨) أنظر: تفسير الطبري(٣٧٩):ص٣١١/١.

(٤٢٣٩)أخرجه ابن إسحاق في "السيرة" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٥٤٦٣):ص٢٩٢/١٣ -: حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ فيه محمد هذا؛ مجهول تفرد عنه ابن إسحاق.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٦١٩) وزاد نسبته لأبي الشيخ.

(٤٢٤٠)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٤٦٤):ص٢٩٢/١٣: ثنا سفيان بن وكيع ثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن مخارق.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ سفيان بن وكيع؛ قال الحافظ: "كان صدوقاً؛ إلا أنه ابتلي بوراقه، فأدخل عليه ما ليس من حديثه؛ فنصح؛ فلم يقبل؛ فسقط حديثه".

(٤٢٤١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٤٦٢):ص٢٩٢/١٣؛ ثنا محمد بن عبد الأعلى ثنا محمد بن ثور عن معمر عن قتادة به.

قلنا: وهذا إسناده صحيح؛ رجاله ثقات؛ لكنه مرسل.

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن قومًا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الساعة ، فأنزل الله هذه الآية وجائز أن يكون كانوا من قريش وجائز أن يكونوا كانوا من اليهود; ولا خبر بذلك عندنا يجوِّز قَطْعَ القول على أيّ ذلك كان[٤٢٤٢].

قوله تعالى:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ} [الأعراف : ١٨٧]، أي:" يسألونك يا محمد عن القيامة"[٤٢٤٣].

عن السدي : "{يسألونك عن الساعة أيان مرساها} : يقول: متى قيامها"[٤٢٤٤].

عن قتادة قوله : "{يسألونك عن الساعة أيان مرساها}: متى قيامها؟"[٤٢٤٥].

قال قتادة:" قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم: إن بيننا وبينك قرابة، فأسر إلينا متى الساعة! فقال الله: {يسألونك كأنك حفي عنها}"[٤٢٤٦].

قوله تعالى:{أَيَّانَ مُرْسَاهَا} [الأعراف : ١٨٧]، أي:" متى وقوعها وحدوثها؟"[٤٢٤٧].

قال قتادة:" متى قيامها؟"[٤٢٤٨].

قال السدي:" يقول متى قيامها"[٤٢٤٩].

قوله تعالى:{قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي} [الأعراف : ١٨٧]، أي:" قل لهم يا محمد لا يعلم الوقت الذي يحصل قيام القيامة فيه إلا الله"[٤٢٥٠].

قال قتادة:" يقول: علمها عند الله"[٤٢٥١].

قوله تعالى:{لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ} [الأعراف : ١٨٧]، أي:" لا يكشف أمرها ولا يظهرها للناس إلا الرب سبحانه"[٤٢٥٢].

قال السدي:" يقول: لا يرسلها لوقتها إلا هو"[٤٢٥٣].

عن مجاهد: "{لا يجليها}: لا يأتي بها إلا هو"[٤٢٥٤].

قال قتادة:" ... هو يجليها لوقتها، لا يعلم ذلك إلا الله"[٤٢٥٥].

قوله تعالى:{ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف : ١٨٧]، أي:" عظُمت على أهل السماوات والأرض حيث يشفقون منها ويخافون شدائدها وأهوالها"[٤٢٥٦].

وفي قوله تعالى:{ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} [الأعراف : ١٨٧]، أربعة تأويلات:

أحدها : كبر على أهل السموات والأرض مجيء الساعة ، قاله الحسن[٤٢٥٧].

عن السدي قال: "قال بعض الناس في {ثقلت}: عظمت"[٤٢٥٨].

الثاني : ثقلت الساعة على أهل السموات والأرض أن يعرفوا وقتها ومجيئها، لخفائها عنهم، واستئثار الله بعلمها. قاله السدي[٤٢٥٩].

عن معمر، عن بعض أهل التأويل: "{ثقلت في السموات والأرض}، قال: ثقل علمها على أهل السموات وأهل الأرض، إنهم لا يعلمون"[٤٢٦٠].

(٤٢٤٢) تفسير الطبري:٢٩٢/١٣.
(٤٢٤٣) صفوة التفاسير:٤٥١/١.
(٤٢٤٤) أخرجه الطبري(١٥٤٦٥):ص٢٩٣/١٣-٢٩٤.
(٤٢٤٥) أخرجه الطبري(١٥٤٦٦):ص٢٩٤/١٣.
(٤٢٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٦٢):ص٢٩٢/١٣.
(٤٢٤٧) صفوة التفاسير:٤٥١/١.
(٤٢٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٦٦):ص٢٩٤/١٣.
(٤٢٤٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٦٥):ص٢٩٣/١٣-٢٩٤.
(٤٢٥٠) صفوة التفاسير:٤٥١/١.
(٤٢٥١) أخرجه الطبري(١٥٤٦٨):ص٢٩٤/١٣.
(٤٢٥٢) صفوة التفاسير:٤٥١/١.
(٤٢٥٣) أخرجه الطبري(١٥٤٧١):ص٢٩٥/١٣.
(٤٢٥٤) أخرجه الطبري(١٥٤٧٠):ص٢٩٤/١٣.
(٤٢٥٥) أخرجه الطبري(١٥٤٦٨):ص٢٩٤/١٣.
(٤٢٥٦) صفوة التفاسير:٤٥١/١.
(٤٢٥٧) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٧٤):ص٢٩٦/١٣.
(٤٢٥٨) أخرجه الطبري(١٥٤٧٦):ص٢٩٦/١٣.
(٤٢٥٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٧٢):ص٢٩٥/١٣.

الثالث : معناه :عظم وصفها على أهل السموات والأرض ، وهذا معنى قول ابن جريج[٤٢٦١].

قال ابن جريج:" إذا جاءت انشقت السماء، وانتثرت النجوم، وكوِّرت الشمس، وسُيِّرت الجبال، وكان ما قال الله; فذلك ثقلها"[٤٢٦٢].

الرابع: معنى قوله: {في السموات والأرض}: على السموات والأرض. قاله قتادة[٤٢٦٣].

وأولى ذلك عندي بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ثقلت الساعة في السموات والأرض على أهلها، أن يعرفوا وقتها وقيامها; لأن الله أخفى ذلك عن خلقه، فلم يطلع عليه منهم أحدًا. وذلك أن الله أخبرَ بذلك بعد قوله: {قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو}، وأخبر بعده أنها لا تأتي إلا بغتة، فالذي هو أولى: أن يكون ما بين ذلك أيضًا خبرًا عن خفاء علمها عن الخلق، إذ كان ما قبله وما بعده كذلك"[٤٢٦٤].

قوله تعالى:{لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً} [الأعراف : ١٨٧]، أي:" لا تجيء الساعة إلا فجأة"[٤٢٦٥].

قال السدي:" يقول: يبغتهم قيامها، تأتيهم على غفلة"[٤٢٦٦].

عن قتادة:"{لا تأتيكم إلا بغتة}، قضى الله أنها لا تأتيكم إلا بغتة. قال: وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: إن الساعة تهيج بالناس والرجل يُصلِح حوضه، والرجلُ يسقي ماشيته، والرجل يقيم سلعته في السوق، والرجل يخفض ميزانه ويرفعه"[٤٢٦٧].

قوله تعالى:{يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا} [الأعراف : ١٨٧]، أي:" يسألك هؤلاء القوم عنها كأنك حريص على العلم بها، مستقص بالسؤال عنها"[٤٢٦٨].

وفي قوله تعالى:{يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا} [الأعراف : ١٨٧]، وجهان:

أحدهما : معناه عالِمٌ بها، قاله مجاهد[٤٢٦٩]، والضحاك[٤٢٧٠]، وحكاه معمر عن بعضهم[٤٢٧١].

قال مجاهد:" استحفيت عنها السؤال حتى علمتها"[٤٢٧٢]. وفي لفظ:" استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقتها"[٤٢٧٣].

قال الضحاك:" كأنك عالم بها"[٤٢٧٤].

الثاني : معنى الكلام: يسألونك عنها كأن حفي بهم، على التقديم والتأخير ، أي: كأنك بينك وبينهم مودة توجب برهم ، من قوله:{إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً} [مريم : ٤٦] قاله أبو مالك[٤٢٧٥]، ومجاهد[٤٢٧٦]، وقتادة[٤٢٧٧]، وعكرمة[٤٢٧٨]، والسدي[٤٢٧٩].

قال مجاهد:" حفي بهم حين يسألونك"[٤٢٨٠].

قال أبو مالك: "كأنك حفي بهم، فتحدثهم"[٤٢٨١].

(٤٢٦٠) أخرجه الطبري(١٥٤٧٣):ص٢٩٥/١٣.
(٤٢٦١) أخرجه الطبري(١٥٤٧٥):ص٢٩٦/١٣.
(٤٢٦٢) أخرجه الطبري(١٥٤٧٥):ص٢٩٦/١٣.
(٤٢٦٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٧٧):ص٢٩٦/١٣.
(٤٢٦٤) كتفسير الطبري:٢٩٧/١٣.
(٤٢٦٥) التفسير الميسر:١٧٤.
(٤٢٦٦) أخرجه الطبري(١٥٤٧٨):ص٢٩٧/١٣.
(٤٢٦٧) أخرجه الطبري(١٥٤٧٩):ص٢٩٧/١٣.
(٤٢٦٨) التفسير الميسر:١٧٤.
(٤٢٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٨٦):ص٢٩٩/١٣.
(٤٢٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٨٨):ص٢٩٩/١٣.
(٤٢٧١) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٩١):ص٢٩٩/١٣.
(٤٢٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٨٦):ص٢٩٩/١٣.
(٤٢٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٨٧):ص٢٩٩/١٣.
(٤٢٧٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٨٨):ص٢٩٩/١٣.
(٤٢٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٨٤):ص٢٩٨/١٣.
(٤٢٧٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٨٣):ص٢٩٨/١٣.
(٤٢٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٨١):ص٢٩٨/١٣.
(٤٢٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٨٣):ص٢٩٨/١٣.
(٤٢٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٨٥):ص٢٩٨/١٣-٢٩٩.
(٤٢٨٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٨٣):ص٢٩٨/١٣.

قال السدي:" كأنك صديق لهم"[٤٢٨٢].
قال قتادة:" قالت قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم: إن بيننا وبينك قرابة، فأسِرَّ إلينا متى الساعة! فقال الله: {يسألونك كأنك حفي عنها}"[٤٢٨٣].
والصواب قول من قال: معناه: كأنك حفي بالمسألة عنها فتعلمها- والله أعلم-.

القرآن
{قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (١٨٨)} [الأعراف : ١٨٨]
التفسير:
قل -أيها الرسول-: لا أقدرُ على جَلْبِ خير لنفسي ولا دفع شر يحل بها إلا ما شاء الله، ولو كنت أعلم الغيب لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تكثِّر لي المصالح والمنافع، ولاتَّقيتُ ما يكون من الشر قبل أن يقع، ما أنا إلا رسول الله أرسلني إليكم، أخوِّف من عقابه، وأبشر بثوابه قومًا يصدقون بأني رسول الله، ويعملون بشرعه.
قوله تعالى:{قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ} [الأعراف : ١٨٨]، أي:" قل -أيها الرسول-: لا أقدرُ على جَلْبِ خير لنفسي ولا دفع شر يحل بها إلا ما شاء الله"[٤٢٨٤].
عن ابن جريج: قوله: "{قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا}، قال: الهدى والضلالة"[٤٢٨٥]. وروي عن مجاهد مثله[٤٢٨٦].
وعن مجاهد: "{قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا}: ضلالة، {إلا ما شاء الله}"[٤٢٨٧].
قوله تعالى:{وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ} [الأعراف : ١٨٨]، أي:" ولو كنت أعلم الغيب لفعلت الأسباب التي أعلم أنها تكثِّر لي المصالح والمنافع"[٤٢٨٨].
عن ابن جريج: قوله: "{أعلم الغيب}: متى أموت، لاستكثرت من العمل الصالح"[٤٢٨٩]. وروي عن مجاهد مثله[٤٢٩٠].
وعن مجاهد: "{ولو كنت أعلم} متى أموت لعملت عملا صالحا"[٤٢٩١].
قوله تعالى:{وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ} [الأعراف : ١٨٨]، أي:" ولاتَّقيتُ ما يكون من الشر قبل أن يقع"[٤٢٩٢].
عن الحسن:" ما بي جنون كما زعم المشركون"[٤٢٩٣].

القرآن
{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ (١٨٩)} [الأعراف : ١٨٩]
التفسير:
هو الذي خلقكم -أيها الناس- من نفس واحدة، وهي آدم عليه السلام وخَلَق منها زوجها، وهي حواء; ليأنس بها ويطمئن، فلما جامعها -والمراد جنس الزوجين من ذرية آدم- حملت ماءً خفيفًا، فقامت به وقعدت وأتمت

(٤٢٨١) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٨٤):ص٢٩٨/١٣.
(٤٢٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٨٥):ص٢٩٨/١٣-٢٩٩.
(٤٢٨٣) أخرجه الطبري(١٥٤٨١):ص٢٩٨/١٣.
(٤٢٨٤) التفسير الميسر:١٧٥.
(٤٢٨٥) انظر: تفير الطبري(١٥٤٩٤):ص٣٠٢/١٣.
(٤٢٨٦) انظر: تفير الطبري(١٥٤٩٥):ص٣٠٢/١٣.
(٤٢٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٣):ص١٦٢٩/٥.
(٤٢٨٨) التفسير الميسر:١٧٥.
(٤٢٨٩) انظر: تفير الطبري(١٥٤٩٤):ص٣٠٢/١٣.
(٤٢٩٠) انظر: تفير الطبري(١٥٤٩٥):ص٣٠٢/١٣.
(٤٢٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٢٥):ص١٦٢٩/٥.
(٤٢٩٢) التفسير الميسر:١٧٥.
(٤٢٩٣) انظر: النكت والعيون:٢٨٦/٢.

الحمل، فلما قَرُبت ولادتها وأثقلت دعا الزوجان ربهما: لئن أعطيتنا بشرًا سويًا صالحًا لنكونن ممن يشكرك على ما وهبت لنا من الولد الصالح.

سبب النزول:

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "كانت حواء تلد لآدم، فتعبدهم لله وتسميه عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك، فيصيبهم الموت، فأتاها إبليس وآدم فقال: إنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه لعاش، فولدت له رجلًا فسماه عبد الحارث؛ ففيه أنزل الله -تبارك وتعالى-: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}"[٤٢٩٤]. [منكر]

قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ} [الأعراف : ١٨٩]، أي:" هو الذي خلقكم -أيها الناس- من نفس واحدة، وهي آدم عليه السلام"[٤٢٩٥].

عن مجاهد: "{خلقكم من نفس واحدة}، قال: آدم عليه السلام"[٤٢٩٦]. وروي عن قتادة مثله[٤٢٩٧].

قوله تعالى:{وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا} [الأعراف : ١٨٩]، أي:" وخَلَق منها زوجها، وهي حواء; ليأنس بها ويطمئن"[٤٢٩٨].

عن قتادة. "{وجعل منها زوجها}،: حواء، فجعلت من ضلع من أضلاعه، ليسكن إليها"[٤٢٩٩].

قوله تعالى:{فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا} [الأعراف : ١٨٩]، أي:" فلما جامعها -والمراد جنس الزوجين من ذرية آدم- حملت ماءً خفيفًا"[٤٣٠٠].

عن السدي، قوله: "{حملت حملا خفيفًا}، قال: هي النطفة"[٤٣٠١].

قوله تعالى:{فَمَرَّتْ بِهِ} [الأعراف : ١٨٩]، أي:" فاستمرت به إلى حين ميلاده"[٤٣٠٢].

(٤٢٩٤)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٥١٥):ص٣١٠/١٣: ثنا ابن حميد ثنا سلمة بن الأبرش عن ابن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس.

قلنا: وهذا حديث منكر؛ فيه علل:

الأولى: رواية داود بن الحصين عن عكرمة خاصة منكرة.

الثانية: ابن إسحاق؛ مدلس، وقد عنعن.

الثالثة: ابن حميد؛ ضعيف، وقد اتهمه بعضهم.

وأخرجه الترمذي في "سننه" (٥/ ٢٦٧ رقم ٣٠٧٧)، وأحمد "مسنده" (٥/ ١١)، والطبري في "جامع البيان" (٩/ ٩٩)، والطبراني في "المعجم الكبير" (٧/ ٢١٥ رقم ٦٨٩٥)، وابن عدي في "الكامل" (٥/ ١٧٠٠)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٣١ رقم ٨٦٣٧، ٨٦٤١)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٢٨٦)، والحاكم في "المستدرك" (٢/ ٥٤٥)، وابن بشران في "الأمالي" (ق ١٥٨/ ب) من طريق عمر بن إبراهيم عن قتادة عن الحسن عن سمرة بنحوه ليس فيه التصريح بسبب النزول.

قلنا: وهذا سند ضعيف، فيه نكارة؛ وفيه علل:

الأولى: الحسن مدلس وقد عنعنه.

الثانيه: عمر هذا؛ أصله صدوق؛ إلا أن روايته عن قتادة خاصة ضعيفة.

قال ابن عدي: "وحديثه عن قتادة خاصة مضطرب، وهو مع ضعفه يكتب حديثه".

ولخصه الحافظ في "التقريب" (٢/ ٥١) بقوله: "صدوق، وفي حديثه عن قتادة ضعف".

قال الإمام الألباني في "الضعيفة" (رقم ٣٤٢): "ضعيف".

وأعله ابن كثير من ثلاثة أوجه تراها في "تفسيره" (٢/ ٢٨٦).

ومما يدلك على نكارة القصة ما ثبت عن الحسن نفسه أنه فسر الآية بغير ذلك فقال: كان هذا في بعض أهل الملل ولم يكن بآدم.

ذكر ذلك عنه الحافظ ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٢٨٦)، ثم قال:

"وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير وأولى ما حملت عليه".

(٤٢٩٥) التفسير الميسر:١٧٥.

(٤٢٩٦) أخرجه الطبري(١٥٤٩٧):ص٣٠٣/١٣.

(٤٢٩٧) انظر: تفسير الطبري(١٥٤٩٨):ص٣٠٤/١٣.

(٤٢٩٨) التفسير الميسر:١٧٥.

(٤٢٩٩) أخرجه الطبري(١٥٤٩٩):ص٣٠٤/١٣.

(٤٣٠٠) التفسير الميسر:١٧٥.

(٤٣٠١) أخرجه الطبري(١٥٥٠٣):ص٣٠٥/١٣.

(٤٣٠٢) صفوة التفاسير:٤٥٢/١.

عن مجاهد: "{فمرت به}، قال: استمرّ حملها"[٤٣٠٣].

عن أيوب قال: "سألت الحسن عن قوله: {حملت حملا خفيفًا فمرت به}، قال: لو كنت امرءًا عربيًّا لعرفت ما هي؟ إنما هي: فاستمرَّت به"[٤٣٠٤].

عن قتادة: "{فلما تغشاها حملت حملا خفيفًا فمرت به}، استبان حملها"[٤٣٠٥].

قوله تعالى:{فَلَمَّا أَثْقَلَتْ} [الأعراف : ١٨٩]، أي:" فلما قَرُبت ولادتها وأثقلت"[٤٣٠٦].

عن السدي: "{فلما أثقلت}: كبر الولد في بطنها"[٤٣٠٧].

قوله تعالى:{دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ} [الأعراف : ١٨٩]، أي:" دعا الزوجان ربهما: لئن أعطيتنا بشرًا سويًا صالحًا لنكونن ممن يشكرك على ما وهبت لنا من الولد الصالح"[٤٣٠٨].

واختلف في معنى«الصلاح» هنا، على قولين:

أحدهما: معناه: أن يكون الحمل غلاما. قاله الحسن[٤٣٠٩].

الثاني: معناه: أن يكون المولود بشرًا سويًّا مثلهما، ولا يكون بهيمة، وهذا قول أبي صالح[٤٣١٠]، وأبي البختري[٤٣١١]، وسعيد بن جبير[٤٣١٢]، والسدي[٤٣١٣].

قال أبو صالح:" أشفقنا أن تكون بهيمة"[٤٣١٤].

قال مجاهد:" أشفقنا أن لا يكون إنسانا"[٤٣١٥]. وروي عن أبي ملك مثل ذلك[٤٣١٦].

قال أبو صالح:" خشينا أن يكون بهيمة، فقالا: لئن آتيتنا بشرا سويا"[٤٣١٧].

قال سعيد بن جبير: "لما هبط آدم وحواء، ألقيت الشهوة في نفسه فأصابها، فليس إلا أن أصابها حملت، فليس إلا أن حملت تحرك في بطنها ولدها، قالت: ما هذا؟ فجاءها إبليس، فقال لها: إنك حملت فتلدين! قالت: ما ألد؟ قال: أترين في الأرض إلا ناقةً أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة، أو بعض ذلك! ويخرج من أنفك، أو من أذنك، أو من عينك. قالت: والله ما مني شيء إلا وهو يضيق عن ذلك! قال: فأطيعيني وسميه «عبد الحارث»-وكان اسمه في الملائكة الحارث- تلدي شبهكما مثلكما! قال: فذكرت ذلك لآدم عليه السلام، فقال: هو صاحبنا الذي قد علمت! فمات، ثم حملت بآخر، فجاءها فقال: أطيعيني وسميه عبد الحارث -وكان اسمه في الملائكة الحارث- وإلا ولدت ناقة أو بقرة أو ضائنة أو ماعزة، أو قتلته، فإني أنا قتلت الأول! قال: فذكرت ذلك لآدم، فكأنه لم يكرهه، فسمته «عبد الحارث»، فذلك قوله: {لئن آتيتنا صالحًا} ، يقول: شبهنا مثلنا {فلما آتاهما صالحًا}، قال: شبههما مثلهما"[٤٣١٨].

عن السدي: "{فلما أثقلت}، كبر الولد في بطنها، جاءها إبليس، فخوَّفها وقال لها: ما يدريك ما في بطنك؟ لعله كلب، أو خنزير، أو حمار! وما يدريك من أين يخرج؟ أمن دبرك فيقتلك، أو من قُبُلك، أو ينشق بطنك فيقتلك؟ فذلك حين {دعوا الله ربهما لئن آتينا صالحًا}، يقول: مثلنا {لنكونن من الشاكرين}"[٤٣١٩].

(٤٣٠٣) أخرجه الطبري(١٥٥٠٢):ص٣٠٥/١٣.
(٤٣٠٤) أخرجه الطبري(١٥٥٠٠):ص٣٠٤/١٣-٣٠٥.
(٤٣٠٥) أخرجه الطبري(١٥٥٠١):ص٣٠٥/١٣.
(٤٣٠٦) التفسير الميسر:١٧٥.
(٤٣٠٧) أخرجه الطبري(١٥٥٠٥):ص٣٠٥/١٣.
(٤٣٠٨) التفسير الميسر:١٧٥.
(٤٣٠٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٠٦):ص٣٠٦/١٣.
(٤٣١٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٠٩):ص٣٠٦/١٣.
(٤٣١١) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٠٧):ص٣٠٦/١٣.
(٤٣١٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٥١١):ص٣٠٧/١٣.
(٤٣١٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٥١٢):ص٣٠٧/١٣-٣٠٨.
(٤٣١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٧):ص١٦٣٣/٥.
(٤٣١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٨):ص١٦٣٣/٥.
(٤٣١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٣٣/٥.
(٤٣١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٤٩):ص١٦٣٣/٥.
(٤٣١٨) أخرجه الطبري(١٥٥١١):ص٣٠٧/١٣.
(٤٣١٩) أخرجه الطبري(١٥٥١٢):ص٣٠٧/١٣-٣٠٨.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أخبر عن آدم وحواء أنهما دعَوا الله ربهما بحمل حواء، وأقسما لئن أعطاهما ما في بطن حواء، صالحًا ليكونان لله من الشاكرين.

و«الصلاح» قد يشمل معاني كثيرة: منها «الصلاح» في استواء الخلق، ومنها "الصلاح" في الدين، و"الصلاح" في العقل والتدبير.

وإذ كان ذلك كذلك، ولا خبر عن الرسول يوجب الحجة بأن ذلك على بعض معاني «الصلاح» دون بعض، ولا فيه من العقل دليل، وجب أن يُعَمَّ كما عمَّه الله، فيقال: إنهما قالا {لئن آتيتنا صالحًا} بجميع معاني «الصلاح»"[٤٣٢٠].

القرآن

{فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠)} [الأعراف : ١٩٠]

التفسير:

فلما رزق الله الزوجين ولدًا صالحًا، جعلا لله شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بخلقه فعبَّداه لغير الله، فتعالى الله وتنزه عن كل شرك.

قوله تعالى:{ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا} [الأعراف : ١٩٠]، أي:" فلما رزق الله الزوجين ولدًا صالحًا، جعلا لله شركاء في ذلك الولد الذي انفرد الله بخلقه فعبَّداه لغير الله"[٤٣٢١].

واختلف في «الشركاء» التي جعلاها فيما أوتيا من المولود، على قولين:

أحدهما: جعلا له شركاء في الاسم. وهذا قول سمرة بن جندب[٤٣٢٢]، ومجاهد[٤٣٢٣]، وسعيد بن جبير[٤٣٢٤]، وقتادة[٤٣٢٥]، وعكرمة[٤٣٢٦]، والسدي[٤٣٢٧].

قال سعيد بن جبير:" لما حملت حواء في أول ولد ولدته حين أثقلت، أتاها إبليس قبل أن تلد، فقال: يا حواء، ما هذا الذي في بطنك؟ فقالت: ما أدري. فقال: من أين يخرج؟ من أنفك، أو من عينك، أو من أذنك؟ قالت: لا أدري. قال: أرأيت إن خرج سليما أمطيعتي أنت فيما آمرك به؟ قالت: نعم. قال: سميه "عبد الحارث"! -وقد كان يسمى إبليس الحارث- فقالت: نعم. ثم قالت بعد ذلك لآدم: أتاني آت في النوم فقال لي كذا وكذا، فقال: إن ذلك الشيطان فاحذريه، فإنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة! ثم أتاها إبليس، فأعاد عليها، فقالت: نعم. فلما وضعته أخرجه الله سليما، فسمته "عبد الحارث" فهو قوله: (جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون)"[٤٣٢٨].

عن عبد الملك، عن سعيد بن جبير قال: "قيل له: أشرك آدم؟ قال: أعوذ بالله أن أزعم أن آدم أشرك، ولكن حواء لما أثقلت، أتاها إبليس فقال لها: من أين يخرج هذا، من أنفك، أو من عينك، أو من فيك؟ فقنطها، ثم قال: أرأيت إن خرج سويا - زاد ابن فضيل: لم يضرك ولم يقتلك- أتطيعيني؟ قالت: نعم. قال: فسميه "عبد الحارث"! ففعلت - زاد جرير: فإنما كان شركه في الاسم-"[٤٣٢٩].

عن سمرة بن جندب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "كانت حوّاء لا يعيش لها ولد، فنذرت لئن عاش لها ولد لتسمينه «عبد الحارث»، فعاش لها ولد، فسمته «عبد الحارث»، وإنما كان ذلك عن وحي الشيطان"[٤٣٣٠].

(٤٣٢٠) تفسير الطبري:٣٠٨/١٣.

(٤٣٢١) التفسير الميسر:١٧٥.

(٤٣٢٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٥١٤):ص٣١٠/١٣.

(٤٣٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٢٢):ص٣١٢/١٣.

(٤٣٢٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٢٣):ص٣١٣/١٣.

(٤٣٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٢٠):ص٣١٢/١٣.

(٤٣٢٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٥١٩):ص٣١١/١٣.

(٤٣٢٧) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٢٥):ص٣١٣/١٣-٣١٤.

(٤٣٢٨) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٢٣):ص٣١٣/١٣.

(٤٣٢٩) أخرجه الطبري(١٥٥٢٤):ص٣١٣/١٣.

(٤٣٣٠) أخرجه الطبري(١٥٥١٣):ص٣٠٩/١٣. والخبر رواه أحمد في مسنده ٥: ١١، بغير هذا اللفظ، ورواه بهذا اللفظ الحاكم في المستدرك ٢: ٥٤٥، وقال: ((هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)) ، ووافقه الذهبي. وأخرجه الترمذي في تفسير

قال قتادة:" كان آدم عليه السلام لا يولد له ولد إلا مات، فجاءه الشيطان، فقال: إن سرك أن يعيش ولدك هذا، فسمه "عبد الحارث"! ففعل قال: فأشركا في الاسم، ولم يشركا في العبادة"[٤٣٣١].

قال مجاهد:" كان لا يعيش لآدم وامرأته ولد. فقال لهما الشيطان: إذا ولد لكما ولد، فسمياه "عبد الحارث"! ففعلا وأطاعاه، فذلك قول الله: {فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء}، الآية"[٤٣٣٢].

قال عكرمة:" ما أشرك آدم ولا حواء، وكان لا يعيش لهما ولد، فأتاهما الشيطان فقال: إن سركما أن يعيش لكما ولد فسمياه "عبد الحارث"! فهو قوله: {جعلا له شركاء فيما آتاهما}"[٤٣٣٣].

عن السدي في قوله: "{جعلا له شركاء فيما آتاهما}، قال: هو آدم وحواء"[٤٣٣٤].

قال السدي:" يعني في الأسماء"[٤٣٣٥].

الثاني: أن المعنيّ بذلك رجل وامرأة من أهل الكفر من بني آدم، جعلا لله شركاء من الآلهة والأوثان حين رزقهما ما رزقهما من الولد. وهذا قول الحسن[٤٣٣٦].

وكان الحسن يقول: "هم اليهود والنصارى رزقهم الله أولادا فهودوا ونصروا"[٤٣٣٧].

وأولى القولين بالصواب، قول من قال: عنى بقوله: {فلما آتاهما صالحًا جعلا له شركاء} في الاسم لا في العبادة وأن المعنيَّ بذلك آدم وحواء، لإجماع الحجة من أهل التأويل على ذلك"[٤٣٣٨].

قوله تعالى:{فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [الأعراف : ١٩٠]، أي:" فتعالى الله وتنزه عن كل شرك"[٤٣٣٩].

الآية وقال: ((هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم، عن قتادة. وقد رواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه)) .

وخرجه ابن كثير في تفسيره ٣: ٦١١، ٦١٢، وأعله من ثلاثة وجوه:

الأول: أن عمر بن إبراهيم لا يحتج به =

الثاني: أنه قد روى من قول سمرة نفسه غير مرفوع

= الثالث: أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا، وذكر بعض أخبار أبي جعفر بأسانيدها رقم ١٥٥٢٦ - ١٥٥٢٨، ثم قال: ((وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن رضي الله عنه أنه فسر الآية بذلك، وهو من أحسن التفاسير، وأولى ما حملت عليه الآية. ولو كان هذا الحديث عنده محفوظا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدل عنه هو ولا غيره، ولاسيما مع تقواه وورعه. فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابي، ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب من آمن منهم، مثل كعب أو وهب بن منيه وغيرهما، كما سيأتي بيانه إن شاء الله، إلا أننا برئنا من عهدة المرفوع، والله أعلم)) .

قلت: وسترى أن أبا جعفر قد رجح أن المعني بذلك آدم وحواء، قال: ((لإجماع الحجة من أهل التأويل علي ذلك)) . وإجماع أهل التأويل في مثل هذا، مما لا يقوم الأول: لأن الآية مشكلة، ففيها نسبة الشرك إلى آدم الذي اصطفاه ربه، بنص كتاب الله، وقد أراد أبو جعفر أن يخرج من ذلك، فزعم (ص: ٣١٥) أن القول عن آدم وحواء انقضى عند قوله: ((جعلا له شركاء فيما آتاهما، ثم استأنف قوله: ((فتعالى الله عما يشركون)) ، يعنى عما يشرك به مشركو العرب من عبدة الأوثان.وهذا مخرج ضعيف جداً.

الثاني أن مثل هذا المشكل في أمر آدم وحواء، ونسبة الشرك إليهما، مما لا يقضى به، إلا بحجة يجب التسليم لها من نص كتاب، أو خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا خبر بذلك، إلا هذا الخبر الضعيف الذي بينا ضعفه، وأنه من رواية عمر بن إبراهيم، عن قتادة. وروايته عن قتادة مضطربة، خالف فيها ما روى عن الحسن، أنه عنى بالآية بعض أهل الملل والمشركون.

هذا، وقد رد هذا القول، جماعة من المفسرين، كابن كثير في تفسيره، والفخر الرازي (٣: ٢٤٣ - ٣٤٥) ، وحاول الزمخشرى في تفسيره أن يرده فلم يحسن، وتعقبه أحمد بن محمد بن المنير في الإنصاف. وغير هؤلاء كثير.

ولكن بعد هذا كله، نجد إن تفسير ألفاظ الآية، ومطابقته للمعنى الصحيح الذي ذهب العلماء إليه في نفي الشرك عن أبينا آدم عليه السلام، وفي أن الآية لا تعنى أبانا آدم وأمنا حواء بقى مبهماً، لم يتناوله أحد ببيان صحيح.

(٤٣٣١) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٢٠):ص٣١٢/١٣.

(٤٣٣٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٢٢):ص٣١٢/١٣.

(٤٣٣٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٥١٩):ص٣١١/١٣.

(٤٣٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٥٦):ص١٦٣٤/٥.

(٤٣٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٥٧):ص١٦٣٤/٥.

(٤٣٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٢٦)-(١٥٥٢٨):ص٣١٤/١٣-٣١٥.

(٤٣٣٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٥٩):ص١٦٣٤/٥.

(٤٣٣٨) تفسير الطبري:٣١٥/١٣.

(٤٣٣٩) التفسير الميسر:١٧٥.

عن ابن جريج: "{فتعالى الله عما يشركون}، قال: هو الإنكاف، أنكف نفسه جل وعز- يقول: عظَّم نفسه - وأنكفته الملائكة وما سبَّح له"(٤٣٤٠).

عن عيينة، قال: "سمعت صدقة يحدِّث عن السدي، قال: "هذا من الموصول والمفصول، قوله: {جعلا له شركاء فيما آتاهما}، في شأن آدم وحواء، ثم قال الله تبارك وتعالى: {فتعالى الله عما يشركون}، قال: عما يشرك المشركون، ولم يعنهما"(٤٣٤١).

عن السدي، قوله: {فتعالى الله عما يشركون}، يقول: هذه فصْلٌ من آية آدم، خاصة في آلهة العرب"(٤٣٤٢).

القرآن

{وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٢)} [الأعراف : ١٩٢]

التفسير:

ولا تستطيع أن تنصر عابديها أو تدفع عن نفسها سوءًا، فإذا كانت لا تخلق شيئًا، بل هي مخلوقة، ولا تستطيع أن تدفع المكروه عمن يعبدها، ولا عن نفسها، فكيف تُتَّخذ مع الله آلهة؟ إنْ هذا إلا أظلم الظلم وأسفه السَّفَه.

قوله تعالى:{وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ} [الأعراف : ١٩٢]، أي:" ولا ينصرون أنفسهم ممن أرادهم بسوء، فهم في غاية العجز والذلة فكيف يكونون آلهة؟"(٤٣٤٣).

قال الحسن:" أي: ولا يدفعون عن أنفسهم مكروه من أرادهم بكسر أو نحوه"(٤٣٤٤).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٩٤)} [الأعراف : ١٩٤]

التفسير:

إن الذين تعبدون من غير الله -أيها المشركون- هم مملوكون لربهم كما أنكم مملوكون لربكم، فإن كنتم كما تزعمون صادقين في أنها تستحق من العبادة شيئًا فادعوهم فليستجيبوا لكم، فإن استجابوا لكم وحصَّلوا مطلوبكم، وإلا تبين أنكم كاذبون مفترون على الله أعظم الفرية.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ} [الأعراف : ١٩٤]، أي:" إن الذين تعبدون من غير الله -أيها المشركون- هم مملوكون لربهم كما أنكم مملوكون لربكم"(٤٣٤٥).

قرأ سعيد بن جبير: «إن الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم»، بتخفيف «إن» ونصب «عبادا أمثالكم»، والمعنى: ما الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم، على إعمال «إن» النافية عمل «ما» الحجازية(٤٣٤٦).

قوله تعالى:{فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الأعراف : ١٩٤]، أي:" فإن كنتم كما تزعمون صادقين في أنها تستحق من العبادة شيئًا فادعوهم فليستجيبوا لكم، فإن استجابوا لكم وحصَّلوا مطلوبكم، وإلا تبين أنكم كاذبون مفترون على الله أعظم الفرية"(٤٣٤٧).

عن سعيد بن جبير قال: "يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة حتى يلقيان بين يدي الله، ويجاء بمن كان يعبدهما، فيقال: {فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين}"(٤٣٤٨).

(٤٣٤٠) أخرجه الطبري(١٥٥٣٠):ص٣١٧/١٣.
(٤٣٤١) أخرجه الطبري(١٥٥٣١):ص٣١٧/١٣.
(٤٣٤٢) أخرجه الطبري(١٥٥٢٩):ص٣١٥/١٣.
(٤٣٤٣) صفوة التفاسير:٤٥٢/١.
(٤٣٤٤)"انظر: الدر المنثور: ٥/ ٥٣٦، و"البسيط" للواحدي: ٥٢٣/٩.
(٤٣٤٥) التفسير الميسر:١٧٥.
(٤٣٤٦) انظر: الكشاف:١٨٩/٢.
(٤٣٤٧) التفسير الميسر:١٧٥.
(٤٣٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٦٦):ص١٦٣٦/٥.

القرآن

{أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ (١٩٥)} [الأعراف : ١٩٥]

التفسير:

ألهذه الآلهة والأصنام أرجل يسعَوْن بها معكم في حوائجكم؟ أم لهم أيدٍ يدفعون بها عنكم وينصرونكم على من يريد بكم شرًا ومكروهًا؟ أم لهم أعين ينظرون بها فيعرِّفونكم ما عاينوا وأبصروا مما يغيب عنكم فلا ترونه؟ أم لهم آذان يسمعون بها فيخبرونكم بما لم تسمعوه؟ فإذا كانت آلهتكم التي تعبدونها ليس فيها شيء من هذه الآلات، فما وجه عبادتكم إياها، وهي خالية من هذه الأشياء التي بها يتوصل إلى جلب النفع أو دفع الضر؟ قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان: ادعوا آلهتكم الذين جعلتموهم لله شركاء في العبادة، ثم اجتمعوا على إيقاع السوء والمكروه بي، فلا تؤخروني وعجِّلوا بذلك، فإني لا أبالي بآلهتكم; لاعتمادي على حفظ الله وحده.

قوله تعالى:{قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ} [الأعراف : ١٩٥]، أي:" قل -أيها الرسول- لهؤلاء المشركين من عبدة الأوثان: ادعوا آلهتكم الذين جعلتموهم لله شركاء في العبادة، ثم اجتمعوا على إيقاع السوء والمكروه بي، فلا تؤخروني وعجِّلوا بذلك، فإني لا أبالي بآلهتكم; لاعتمادي على حفظ الله وحده"[٤٣٤٩].

قال الحسن: "إنهم كانوا يخوفونه بآلهتهم فقال الله تعالى: {قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ}"[٤٣٥٠].

القرآن

{إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (١٩٦)} [الأعراف : ١٩٦]

التفسير:

إن وليِّيَ الله، الذي يتولى حفظي ونصري، هو الذي نزَّل عليَّ القرآن بالحق، وهو يتولى الصالحين مِن عباده، وينصرهم على أعدائهم ولا يخذلهم.

عن عمارة بن أبي حفصة، قال: "دخل مسلمة على عمر بن عبد العزيز يعوده في مرضه الذي مات فيه فقال له من توصي بأهلك؟ فقال: إذا نسيت الله فذكرني، فأعاد عليه ثلاثا، فقال: {إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين}"[٤٣٥١].

القرآن

{وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٧)} [الأعراف : ١٩٧]

التفسير:

والذين تدعون -أنتم أيها المشركون- مِن غير الله من الآلهة لا يستطيعون نصركم، ولا يقدرون على نصرة أنفسهم.

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ} [الأعراف : ١٩٧]، أي:" والذين تدعون -أنتم أيها المشركون- مِن غير الله من الآلهة لا يستطيعون نصركم"[٤٣٥٢].

عن قتادة، قوله: "{والذين تدعون من دونه}، قال: هذا الوثن"[٤٣٥٣].

القرآن

{وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ (١٩٨)} [الأعراف : ١٩٨]

(٤٣٤٩) التفسير الميسر:١٧٥.

(٤٣٥٠)ذكره الواحدي في "الوسيط" ٢/ ٢٨٦، و"البسيط": ٥٣٢/٩، وابن الجوزي ٣/ ٣٠٦، والرازي ١٥/ ٩٣، والخازن ٢/ ٣٢٧.

(٤٣٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٦٩):ص١٦٣٦/٥.

(٤٣٥٢) التفسير الميسر:١٧٦.

(٤٣٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٧٠):ص١٦٣٦/٥.

التفسير:
وإن تدعوا -أيها المشركون- آلهتكم إلى الاستقامة والسداد لا يسمعوا دعاءكم، وترى -أيها الرسول- آلهة هؤلاء المشركين مِن عبدة الأوثان يقابلونك كالناظر إليك وهم لا يبصرون; لأنهم لا أبصار لهم ولا بصائر.

قوله تعالى:{وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا} [الأعراف : ١٩٨]، أي:" وإن تدعوا -أيها المشركون- آلهتكم إلى الاستقامة والسداد لا يسمعوا دعاءكم"(٤٣٥٤).

روي عن السدي: "{وإن تدعوهم إلى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون إليك هم لا يبصرون}، قال: هؤلاء المشركين"(٤٣٥٥).

قوله تعالى:{وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ} [الأعراف : ١٩٨]، أي:" وترى -أيها الرسول- آلهة هؤلاء المشركين مِن عبدة الأوثان يقابلونك كالناظر إليك وهم لا يبصرون; لأنهم لا أبصار لهم ولا بصائر"(٤٣٥٦).

عن مجاهد: "{وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون}، ما تدعوهم إلى الهدى. وكأنّ مجاهدًا وجّه معنى الكلام إلى أن معناه: وترى المشركين ينظرون إليك وهم لا يبصرون، فهو وجهٌ، ولكن الكلام في سياق الخبر عن الآلهة، فهو بوصفها أشبه"(٤٣٥٧).

القرآن
{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)} [الأعراف : ١٩٩]
التفسير:
اقْبَلْ -أيها النبي أنت وأمتك- الفضل من أخلاق الناس وأعمالهم، ولا تطلب منهم ما يشق عليهم حتى لا ينفروا، وأمر بكل قول حسن وفِعْلٍ جميل، وأعرض عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة الأغبياء.

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: عن عبد الله بن الزبير؛ قال: "ما أنزلها الله إلا في أخلاق الناس"(٤٣٥٨). [صحيح]

والثاني: عن السدي؛ قال: "نزلت هذه الآية: {خُذِ الْعَفْوَ}؛ فكان الرجل يمسك من ماله ما يكفيه ويتصدق بالفضل، فنسخها الله بالزكاة: {وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ}؛ قال: بالمعروف، {وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ}؛ قال: نزلت هذه الآية قبل أن تفرض الصلاة والزكاة والقتال، أمره الله بالكف ثم نسخها القتال؛ فأنزل: {أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا} [الحج: ٣٩] الآية "(٤٣٥٩). [ضعيف]

قوله تعالى:{خُذِ الْعَفْوَ} [الأعراف : ١٩٩]، أي:" اقْبَلْ -أيها النبي أنت وأمتك- الفضل من أخلاق الناس وأعمالهم، ولا تطلب منهم ما يشق عليهم حتى لا ينفروا"(٤٣٦٠).

وفي قوله تعالى:{خُذِ الْعَفْوَ} [الأعراف : ١٩٩]، وجوه:

أحدها: معناه: {خذ العفو} من أخلاق الناس، وهو الفضل وما لا يجهدهم، قاله مجاهد(٤٣٦١).

الثاني :معناه: خذ العفو من أموال الناس، وهو الفضل. قالوا: وأمر بذلك قبل نزول الزكاة، فلما نزلت الزكاة نُسِخ. وهذا قول الضحاك(٤٣٦٢)، والسدي(٤٣٦٣).

الثالث: معناه: ما لم يسرفوا. قاله عطاء(٤٣٦٤).

(٤٣٥٤) التفسير الميسر:١٧٦.
(٤٣٥٥) أخرجه الطبري(١٥٥٣٣):ص٣٢٤/١٣.
(٤٣٥٦) التفسير الميسر:١٧٦.
(٤٣٥٧) أخرجه الطبري(١٥٥٣٤):ص٣٢٤/١٣-٣٢٥.
(٤٣٥٨)أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨/ ٣٠٥ رقم ٤٦٤٣، ٤٦٤٤)، والنسائي في "تفسيره" (١/ ٥١٢ رقم ٢١٥)، وأبو داود (رقم ٤٧٨٧) وغيرهم.
(٤٣٥٩)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٦٣١) ونسبه لأبي الشيخ.
(٤٣٦٠) التفسير الميسر:١٧٦.
(٤٣٦١) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٣٥)، (١٥٥٣٦)، (١٥٥٣٩)، و(١٥٥٤٢):ص٣٢٧/١٣-٣٢٩.
(٤٣٦٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٤٥):ص٣٢٨/١٣.
(٤٣٦٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٤٤):ص٣٢٨/١٣.
(٤٣٦٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٦٨٠):ص١٦٣٨/٥.

وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معناه: خذ العفو من أخلاق الناس، واترك الغلظة عليهم وقال: أُمر بذلك نبيّ الله صلى الله عليه وسلم في المشركين. وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك تعليمَه نبيَّه صلى الله عليه وسلم محاجَّته المشركين في الكلام، وذلك قوله: {قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون}، وعقَّبه بقوله: {وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لا يُقْصِرُونَ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلا اجْتَبَيْتَهَا} ، فما بين ذلك بأن يكون من تأديبه نبيَّه صلى الله عليه وسلم في عشرتهم به، أشبهُ وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين"[٤٣٦٥].

قوله تعالى:{وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} [الأعراف : ١٩٩]، أي:" وأمر بكل قول حسن وفِعْلٍ جميل"[٤٣٦٦].

وفي قوله تعالى:{وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} [الأعراف : ١٩٩]، وجهان:

أحدهما: معناه ما روي عن سفيان، عن أُمَيّ قال: "لما أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين} قال النبي صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا جبريل؟ قال: إن الله يأمرك أن تعفوَ عمن ظلمك، وتعطيَ من حرمك، وتصل من قطعك"[٤٣٦٧].

والثاني: معناه: بالمعروف. قاله قتادة[٤٣٦٨]، والسدي[٤٣٦٩].

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر الناس بالعرف وهو المعروف في كلام العرب، مصدر في معنى: "المعروف". قال: "أوليته عُرْفًا، وعارفًا، وعارفةً" كل ذلك بمعنى: «المعروف» فإذا كان معنى العرف ذلك، فمن «المعروف» صلة رحم من قطع، وإعطاء من حرم، والعفو عمن ظلم. وكل ما أمر الله به من الأعمال أو ندب إليه، فهو من العرف. ولم يخصص الله من ذلك معنى دون معنى; فالحق فيه أن يقال: قد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأمر عباده بالمعروف كله، لا ببعض معانيه دون بعض[٤٣٧٠].

قوله تعالى:{وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ} [الأعراف : ١٩٩]، أي:" وأعرض عن منازعة السفهاء ومساواة الجهلة الأغبياء"[٤٣٧١].

قال قتادة:" قوله: {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين}، أخلاقٌ أمر الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم، ودلَّه عليها"[٤٣٧٢].

وقال قتادة أيضا:" الإعراض عن الناس: أن يكلمك أحد وأنت معرض عنه وتتكبر"[٤٣٧٣].

عن عبد الله بن نافع:" أن سالم بن عبد الله مر على عير لأهل الشام وفيها جرس فقال: إن هذا ينهى عنه فقالوا: نحن أعلم بهذا منك، إنما يكره الجلجل الكبير، فأما مثل هذا فلا بأس به، فسكت سالم وقال: {وأعرض عن الجاهلين}"[٤٣٧٤].

وفي حكم قوله تعالى: {خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ} [الأعراف : ١٩٩]، قولان:

أحدهما: أنها محكمة، وأن الذي أمر بأخذ العفو هو أخلاق الناس قاله مجاهد[٤٣٧٥]،وهو اختيار النحاس[٤٣٧٦]، ومكي بن أبي طالب[٤٣٧٧].

الثاني: أنها منسوخة. قاله الضحاك[٤٣٧٨]، والسدي[٤٣٧٩].

(٤٣٦٥) تفسير الطبري:٣٢٩/١٣.
(٤٣٦٦) التفسير الميسر:١٧٦.
(٤٣٦٧) أخرجه الطبري(١٥٥٤٨):ص٣٣٠/١٣.
(٤٣٦٨) أخرجه الطبري(١٥٥٥١):ص٣٣١/١٣.
(٤٣٦٩) أخرجه الطبري(١٥٥٥٠):ص٣٣١/١٣.
(٤٣٧٠) تفسير الطبري:٣٣١/١٣.
(٤٣٧١) التفسير الميسر:١٧٦.
(٤٣٧٢) أخرجه الطبري(١٥٥٥٢):ص٣٣٢/١٣.
(٤٣٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٨٦):ص١٦٣٩/١٣.
(٤٣٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٨٨):ص١٦٣٩/١٣.
(٤٣٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٣٥)، (١٥٥٣٦)، (١٥٥٣٩)، و(١٥٥٤٢):ص٣٢٧/١٣-٣٢٩.
(٤٣٧٦)في ناسخه ص: ١٤٧.
(٤٣٧٧)في الإيضاح ص: ٢٥٣.
(٤٣٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٤٥):ص٣٢٨/١٣.
(٤٣٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٤٤):ص٣٢٨/١٣.

قال السدي:" ما {العفو}: فالفضل من المال، نسختها الزكاة"[٤٣٨٠].
قال الضحاك:" خذ ما عفا من أموالهم. وهذا قبل أن تنزل الصدقة المفروضة"[٤٣٨١].
روى سفيان بن عيينة عن الشعبي، أنه قال: «إن جبريل نزل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:" ما هذا يا جبريل"؟ فقال:" لا أدري حتى أسأل العالم" في رواية" لا أدري حتى أسأل ربي" فذهب فمكث ساعة ثم رجع فقال:" إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطي من حرمك وتصل من قطعك»[٤٣٨٢].
وقال جعفر الصادق: "أمر الله نبيه بمكارم الأخلاق في هذه الآية، وليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق من هذه الآية"[٤٣٨٣].

القرآن
{وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠)} [الأعراف : ٢٠٠]
التفسير:
وإما يصيبنَّك -أيها النبي- من الشيطان غضب أو تُحِس منه بوسوسة وتثبيط عن الخير أو حث على الشرِّ، فالجأ إلى الله مستعيذًا به، إنه سميع لكل قول، عليم بكل فعل.
سبب النزول:
عن عبد الرحمن بن زيد؛ قال: في قوله: "{خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩)}؛ قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "فكيف بالغضب يا رب؟ "، قال: {وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}"[٤٣٨٤]. [ضعيف جداً]
قوله تعالى:{وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ} [الأعراف : ٢٠٠]، أي:" وإما يصيبنَّك - أيها النبي- من الشيطان غضب أو تُحِس منه بوسوسة وتثبيط عن الخير أو حث على الشرّ، فالجأ إلى الله مستعيذًا به"[٤٣٨٥].
عن قتادة، قوله: "{وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم}، قال: علم الله أن هذا العدوَّ مَنِيع ومَرِيد"[٤٣٨٦].
عن أبي سليمان الداراني، يقول: "لولا أن الله تبارك وتعالى أمرنا بالتعوذ من الشيطان ما تعوذت منه أبدا لأنه لا يملك ضرا ولا نفعا، وكان أبو سليمان لا يذكر قبلها من الشيطان اتباعا لقول الله عز وجل"[٤٣٨٧].
قوله تعالى:{إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأعراف : ٢٠٠]، أي:" إنه سميع لكل قول، عليم بكل فعل"[٤٣٨٨].
عن محمد ابن إسحاق: "{إنه سميع عليم}، أي: سميع ما يقولون، عليم بما يخفون"[٤٣٨٩].

القرآن
{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١)} [الأعراف : ٢٠١]
التفسير:
إن الذين اتقوا الله مِن خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه، إذا أصابهم عارض من وسوسة الشيطان تذكَّروا ما أوجب الله عليهم من طاعته، والتوبة إليه، فإذا هم منتهون عن معصية الله على بصيرة، آخذون بأمر الله، عاصون للشيطان.

(٤٣٨٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٤٤):ص٣٢٨/١٣.
(٤٣٨١) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٤٥):ص٣٢٨/١٣.
(٤٣٨٢) أخرجه الطبري(١٥٥٤٨):ص٣٣٠/١٣.
(٤٣٨٣) انظر: تفسير القرطبي:٣٤٥/٧.
(٤٣٨٤)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٥٥٣):ص٣٣٣/١٣: ثني يونس: نا ابن وهب؛ قال ابن زيد به.
قلنا: وهذا معضل مع ضعف عبد الرحمن، بل إنه اتهم بالكذب.
(٤٣٨٥) التفسير الميسر:١٧٦.
(٤٣٨٦) أخرجه الطبري(١٥٥٥٤):ص٣٣٣/١٣.
(٤٣٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٩١):ص١٦٤٠/٥.
(٤٣٨٨) التفسير الميسر:١٧٦.
(٤٣٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٩٢):ص١٦٤٠/٥.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا} [الأعراف : ٢٠١]، أي:" إن الذين اتقوا الله مِن خلقه، فخافوا عقابه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه"(٤٣٩٠).

قال مجاهد:" هم المؤمنون"(٤٣٩١).

قوله تعالى:{إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ} [الأعراف : ٢٠١]، أي:" إذا أصابهم عارض من وسوسة الشيطان"(٤٣٩٢).

وفي قوله تعالى:{إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ} [الأعراف : ٢٠١]، وجوه من التفسير:

أحدها : أي: إذا زلُّوا تابوا. قاله السدي(٤٣٩٣).

الثاني: أن «الطائف»: الغضب ، قاله مجاهد(٤٣٩٤)، وسعيد بن جبير(٤٣٩٥).

الثالث: أنه الوسوسة ، قاله أبو عمرو بن العلاء(٤٣٩٦).

الرابع ، أنه الفزع ، قاله سعيد بن جبير(٤٣٩٧).

والقول الثاني : أن معنى الطيف والطائف مختلفان ، فالطيف اللمم ، والطائف كل شيء طاف بالإنسان .

قوله تعالى:{تَذَكَّرُوا} [الأعراف : ٢٠١]، أي:" تذكَّروا ما أوجب الله عليهم من طاعته، والتوبة إليه"(٤٣٩٨).

عن الضحاك قوله: "{إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان}، بالآلام {تذكروا}، قال: هم بفاحشة ولم يعملها، قال الحر بن جرموز، وقال العلا بن بدر: قد عملها"(٤٣٩٩).

القرآن

{وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ (٢٠٢)} [الأعراف : ٢٠٢]

التفسير:

وإخوان الشياطين، وهم الفجَّار من ضلال الإنس تمدهم الشياطين من الجن في الضلالة والغَواية، ولا تدَّخر شياطين الجن وُسْعًا في مدِّهم شياطين الإنس في الغيِّ، ولا تدَّخر شياطين الإنس وُسْعًا في عمل ما توحي به شياطين الجن.

قوله تعالى:{وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ} [الأعراف : ٢٠٢]، أي:" وإخوان الشياطين، وهم الفجَّار من ضلال الإنس تمدهم الشياطين من الجن في الضلالة والغَواية"(٤٤٠٠).

عن السدي: "{وإخوانهم يمدونهم في الغيّ}، إخوان الشياطين من المشركين، يمدهم الشيطان في الغيّ ، {ثم لا يقصرون}"(٤٤٠١).

قوله تعالى:{ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ} [الأعراف : ٢٠٢]، أي:" ولا تدَّخر شياطين الجن وُسْعًا في مدِّهم شياطين الإنس في الغيِّ، ولا تدَّخر شياطين الإنس وُسْعًا في عمل ما توحي به شياطين الجن"(٤٤٠٢).

عن ابن جريج :"قال عبد الله بن كثير: وإخوانهم من الجن، يمدون إخوانهم من الإنس {ثم لا يقصرون}، يقول لا يقصر الإنسان. قال: و«المد» الزيادة، يعني: أهل الشرك، يقول: لا يُقصر أهل الشرك، كما يقصر الذين اتقوا، لا يرعَوُون، لا يحجزهم الإيمان ، قال ابن جريج قال مجاهد {وإخوانهم}، من الشياطين {يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون}، استجهالا يمدون أهل الشرك ، قال ابن جريج: {وَلَقَدْ ذَرَأْنَا

(٤٣٩٠) التفسير الميسر:١٧٦.
(٤٣٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٦٩٣):ص١٦٤٠/٥.
(٤٣٩٢) التفسير الميسر:١٧٦.
(٤٣٩٣) أخرجه الطبري(١٥٥٦٢):ص٣٣٧/١٣.
(٤٣٩٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٥٦)-(١٥٥٥٩):ص٣٣٦/١٣.
(٤٣٩٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٥٥):ص٣٣٥/١٣-٣٣٦.
(٤٣٩٦) انظر: النكت والعيون:٢٨٩/٢.
(٤٣٩٧) انظر: النكت والعيون:٢٨٩/٢.
(٤٣٩٨) التفسير الميسر:١٧٦.
(٤٣٩٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٦٩٦):ص١٦٤١/٥.
(٤٤٠٠) التفسير الميسر:١٧٦.
(٤٤٠١) أخرجه الطبري(١٥٥٦٦):ص٣٣٨/١٣.
(٤٤٠٢) التفسير الميسر:١٧٦.

لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ} ، [سورة الأعراف: ١٧٩] . قال: فهؤلاء الإنس. يقول الله: {وإخوانهم يمدونهم في الغي}"[٤٤٠٣].

عن مجاهد :"{وإخوانهم} ، من الشياطين. {يمدونهم في الغي}، استجهالا"[٤٤٠٤].

عن قتادة: "لآوإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون} قال: إخوان الشياطين، يمدهم الشياطين في الغيّ {ثمّ لا يقصرون}"[٤٤٠٥].

وروي عن قتادة أيضا، قوله: "{وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون}، عنهم، ولا يرحمونهم"[٤٤٠٦].

القرآن

{وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٢٠٣)} [الأعراف : ٢٠٣]

التفسير:

وإذا لم تجئ -أيها الرسول- هؤلاء المشركين بآية قالوا: هلا أحدَثْتها واختلقتها من عند نفسك، قل لهم -أيها الرسول-: إن هذا ليس لي، ولا يجوز لي فِعْله; لأن الله إنما أمرني باتباع ما يوحى إليَّ من عنده، وهو هذا القرآن الذي أتلوه عليكم حججًا وبراهين من ربكم، وبيانًا يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم، ورحمة يرحم الله بها عباده المؤمنين.

قوله تعالى:{وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا} [الأعراف : ٢٠٣]، أي:" وإذا لم تجئ -أيها الرسول- هؤلاء المشركين بآية، قالوا: هلا أحدَثْتها واختلقتها من عند نفسك"[٤٤٠٧].

وفي قوله تعالى:{قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا} [الأعراف : ٢٠٣]، وجهان:

أحدهما : معناه: هلا ابتدعتها من عندك، وهذا قول مجاهد[٤٤٠٨]، وقتادة[٤٤٠٩]، والسدي[٤٤١٠].

الثاني: هلا أخذتها من ربك وتقبَّلتها منه؟ وهذا مروي عن قتادة[٤٤١١]، والضحاك[٤٤١٢].

والراجح-والله أعلم- أن معناه:" هلا أحدثتها من نفسك! لدلالة قول الله: {قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ} ، فبيَّن ذلك أن الله إنما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم، بأن يجيبهم بالخبر عن نفسه أنه إنما يتبع ما ينزل عليه ربه ويوحيه إليه، لا أنه يحدث من قبل نفسه قولا وينشئه فيدعو الناس إليه"[٤٤١٣].

قوله تعالى:{هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ} [الأعراف : ٢٠٣]، أي:" هذا القرآن الجليل حججٌ بيّنة، وبراهين نيّرة يغني عن غيره من المعجزات فهو بمنزلة البصائر للقلوب به يُبْصر الحق ويُدرك"[٤٤١٤].

قال قتادة:" أي: بينة من ربكم"[٤٤١٥].

قوله تعالى:{وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [الأعراف : ٢٠٣]، أي:" وهداية ورحمة للمؤمنين لأنهم المقتبسون من أنواره والمنتفعون من أحكامه"[٤٤١٦].

عن الشعبي: "{هدى}، قال: من الضلالة"[٤٤١٧].

(٤٤٠٣) أخرجه الطبري(١٥٥٦٧):ص٣٣٨/١٣-٣٣٩.
(٤٤٠٤) أخرجه الطبري(١٥٥٦٩):ص٣٣٩/١٣.
(٤٤٠٥) أخرجه الطبري(١٥٥٦٨):ص٣٣٩/١٣.
(٤٤٠٦) أخرجه الطبري(١٥٥٧٠):ص٣٣٩/١٣.
(٤٤٠٧) التفسير الميسر:١٧٦.
(٤٤٠٨) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٧٢):ص٣٤١/١٣.
(٤٤٠٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٧١):ص٣٤١/١٣.
(٤٤١٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٧٥):ص٣٤٢/١٣.
(٤٤١١) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٧٨):ص٣٤٢/١٣.
(٤٤١٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٧٩):ص٣٤٢/١٣.
(٤٤١٣) تفسير الطبري:٣٤٢/١٣-٣٤٣.
(٤٤١٤) صفوة التفاسير:٤٥٤/١.
(٤٤١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧١٩):ص١٦٤٤/٥.
(٤٤١٦) صفوة التفاسير:٤٥٤/١.
(٤٤١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢١):ص١٦٤٤/٥.

عن السدي قوله: "{هدى}، قال: نور"[٤٤١٨].
عن أبي العالية، قوله:"{ورحمة}، قال: رحمته القرآن"[٤٤١٩].

القرآن
{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)} [الأعراف : ٢٠٤]
التفسير:
وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له أيها الناس وأنصتوا، لتعقلوه رجاء أن يرحمكم الله به.
في سبب نزول الآية وجوه:
أحدها: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ "أنه كان يقول -في هذه {وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً} -: هذا في المكتوبة، وأما ما كان من قصص أو قراءة بعد ذلك؛ فإنما هي نافلة، إن نبي الله - صلى الله عليه وسلم - قرأ في صلاة مكتوبة وقرأ أصحابه وراءه فخلطوا عليه، قال: فنزل القرآن: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}؛ فهذا في المكتوبة"[٤٤٢٠].[حسن]
والثاني: أن المشركين كانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى، فيقول بعضهم لبعض: لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه، فنزلت هذه الآية، قاله سعيد بن المسيب[٤٤٢١].[باطل]
والثالث: أن فتى من الأنصار كان كلما قرأ النبي صلى الله عليه وسلم شيئا، قرأ هو، فنزلت هذه الآية، قاله الزهري[٤٤٢٢].[ضعيف]
والرابع: أنهم كانوا يتكلمون في صلاتهم بحوائجهم أول ما فرضت عليهم؛ فأنزل الله ما تسمعون: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}. قاله قتادة[٤٤٢٣]. [ضعيف].

(٤٤١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٣):ص١٦٤٤/٥.
(٤٤١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٢٤):ص١٦٤٥/٥.
(٤٤٢٠)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٦٠٨):ص٣٥٠/١٣، والبيهقي في "جزء القراءة". (ص ١٠٩ رقم ٢٥٥) من طريقين عن ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن ابن عباس به.
قلنا: وهذا إسناد حسن لذاته، والراوي عن ابن لهيعة عند الطبري ابن المبارك وهو من قدماء أصحابه.
وأخرج الطبري -أيضاً- (١٥٦٠٤):ص٣٤٩/١٣، والبيهقي (ص ١٠٩ رقم ٢٥٤) من طريق عبد الله بن صالح ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس؛ قال: في الصلاة المفروضة.
قلنا: وسنده ضعيف؛ لضعف عبد الله بن صالح.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٦٣٤) وزاد نسبته لابن المنذر.
وأخرجه البيهقي في "جزء القراءة" (رقم ٢٥٣)، و"السنن الكبرى" (٢/ ١٥٥)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٤٦ رقم ٨٧٣٣) من طريق مسكين بن بكير الحراني عن ثابت بن عجلان عن سعيد بن جبير عن ابن عباس؛ قال: المؤمن في سعة من الاستماع إليه؛ إلا في صلاة مفروضة، أو مكتوبة، أو يوم جمعة، أو يوم فطر، أو يوم أضحى بعد قوله: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)}.
قلنا: وهذا إسناد حسن -إن شاء الله-؛ مسكين هذا وثقه ابن حبان والبزار، وقال أحمد: "لا بأس به"، وقال الذهبي: "صدوق يغرب"، وقال ابن حجر: "صدوق يخطئ"؛ فرجل هذا حاله حديثه حسن ما لم يخالف -والله أعلم-.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٦٣٧) وزاد نسبته لأبي الشيخ.
وأخرجه ابن مردويه؛ كما في "الدر المنثور": عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنه- في قوله: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا}؛ قال: نزلت في رفع الأصوات خلف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الصلاة، وفي الخطبة؛ لأنها صلاة، وقال: من تكلم يوم الجمعة والإمام يخطب؛ فلا صلاة له.
(٤٤٢١)باطل. عزاه ابن الجوزي في زاد المسير:٢٨٣/٢ لابن المسيب، ولم أقف عليه، وهو باطل لا يصح عنه، فإن الخطاب في الآية للمؤمنين، وسياق الخبر يدل على أن الخطاب للمشركين!!!.
(٤٤٢٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٨٣):ص٣٤٦/١٣. أخرجه عن الزهري مرسلا، والمرسل من قسم الضعيف. وذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ٤٦٥ عن الزهري مرسلا.
(٤٤٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٩٨):ص٣٤٨/١٣. ثنا بشر العقدي ثنا يزيد بن زريع ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد، ويزيد بن زريع روى عن سعيد قبل اختلاطه.
وهو شاهد قوي لحديث أبي هريرة.
ثم أخرجه (١٥٥٩٩):ص٣٤٨/١٣ من طريق محمد بن ثور، وعبد الرزاق في "تفسيره" (١/ ٢/ ٢٤٧) كلاهما عن معمر عن قتادة؛ قال: كان الرجل يأتي وهم في الصلاة فيسألهم: كم صليتم؟ كم بقي؟ فأنزل الله: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (٢٠٤)}.

عن أبي هريرة -رضي الله عنه-؛ قال: "كانوا يتكلمون في الصلاة؛ فنزلت: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ. . .} "[٤٤٢٤]. [صحيح لغيره]

والخامس: أنها نزلت تأمر بالإنصات للامام في الخطبة يوم الجمعة، قاله مجاهد[٤٤٢٥]، وعزاه ابن الجوزي والماوردي إلى أمّنا عائشة-رضي الله عنها-[٤٤٢٦].

والسادس: قال الكلبي:"كانوا يرفعون أصواتهم في الصلاة حين يسمعون ذكر الجنة والنار؛ فأنزل الله: {وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}"[٤٤٢٧]. [موضوع]

قوله تعالى:{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا} [الأعراف : ٢٠٤]، أي:" وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له أيها الناس وأنصتوا"[٤٤٢٨].

قال الحسن:" إذا جلست إلى القرآن فأنصت له"[٤٤٢٩].

واختلفوا في موضع هذا الإنصات على أقوال:

أحدها : أنها نزلت في المأموم خلف الإمام ينصت ولا يقرأ، وهذا قول مجاهد[٤٤٣٠]، وقتادة[٤٤٣١]، والزهري[٤٤٣٢]، والسدي[٤٤٣٣]، وابن زيد[٤٤٣٤]، وعبيد بن عمير[٤٤٣٥]، وعطاء[٤٤٣٦]، ومحمد بن كعب القرظي[٤٤٣٧].

قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٦٣٦) وزاد نسبته لعبد بن حميد وأبي الشيخ، وله شاهد من حديث معاوية بن قرة بنحوه:

أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (٥/ ١٨٤ رقم ٩٨١ - تكملة) -ومن طريقه البيهقي في "جزء القراءة" (ص ١١٦ رقم ٢٨٣)، و"السنن الكبرى" (٩/ ١٥٥) -، وهو مرسل صحيح الإسناد.

ويشهد له في الجملة ما ثبت في "الصحيحين" من حديث زيد أرقم -وتقدم تخريجه في سورة البقرة- قال: كان أحدنا يكلم صاحبه إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ}؛ فأمرنا بالسكوت ونهينا عن الكلام.

(٤٤٢٤)أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٢/ ٤٧٨)، وابن المنذر في "الأوسط" (٣/ ١٠٥ رقم ١٣١٨)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٤٥ رقم ٨٧٢٨)، والطبري في "جامع البيان" (١٥٥٨٢):ص٣٤٥/١٣، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٢/ ١٥٥)، و"جزء القراءة خلف الإمام" (ص ١١٤ رقم ٢٧٤ - ٢٧٧) من طريق إبراهيم الهجري عن أبي عياض عن أبي هريرة به.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ فيه إبراهيم الهجري، وهو لين الحديث: رفع موقوفات؛ كما في "التقريب"، وأبو عياض -اسمه عمرو بن الأسود-؛ ثقة عابد.

لكنه توبع؛ فأخرجه البيهقي في "جزء القراءة خلف الإمام" (ص ١١٤، ١١٥ رقم ٢٧٨) من طريق مؤمل بن إسماعيل نا عبد العزيز بن مسلم القسلمي نا محمد بن زياد عن أبي هريرة به.

قلت: ومؤمل صدوق سيئ الحفظ.

وأخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٤٥ رقم ٨٧٢٦)، والطبري في "جامع البيان" (١٥٥٨٦):ص٣٤٦/١٣-٣٤٧، والدارقطني (١/ ٣٢٦) -ومن طريقه الواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٥٤)، و"الوسيط" (٢/ ٤٤٠) -، والبيهقي في "جزء القراءة" (ص ١١٥ رقم ٢٧٩) من طريق الأوزاعي نا عبد الله بن عامر ثنا زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة به.

قلنا: وعبد الله بن عامر هذا؛ ضعيف، وبه أعله الدارقطني عقبه.

فالحديث بمجموعها صحيح -إن شاء الله-، على أن له شواهد كثيرة يصح بها.

والحديث ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٦٣٦) وزاد نسبته لأبي الشيخ وابن مردويه.[انظر: الاستيعاب في بيان الأسباب:١٧٧/٢].

(٤٤٢٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٠٩):ص٣٥٠/١٣.

(٤٤٢٦) انظر: زاد المسير:١٨٣/٢، والنكت والعيون:٢٩٠/٢. لم أره عن عائشة، وورد عن بعض التابعين.

(٤٤٢٧)أخرجه عبد الرزاق في "تفسيره" (١/ ٢/ ٢٤٧) من طريق الكلبي به.

قلنا: والكلبي يضع الحديث فكلامه ليس بشيء.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٣/ ٦٣٧) وزاد نسبته لابن المنذر..

(٤٤٢٨) التفسير الميسر:١٧٦.

(٤٤٢٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٣٧):ص١٦٤٧/١٣.

(٤٤٣٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٨٩)-(١٥٥٩٥):ص٣٤٧/١٣-٣٤٨.

(٤٤٣١) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٩٨):ص٣٤٨/١٣.

(٤٤٣٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٠٠):ص٣٤٨/١٣-٣٤٩.

(٤٤٣٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٠٣):ص٣٤٩/١٣.

عن الزهري قال:" نزلت هذه الآية في فتى من الأنصار، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كلما قرأ شيئًا قرأه، فنزلت: {وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا}"[٤٤٣٨].

وعن بشير بن جابر قال: "صلى ابن مسعود، فسمع ناسًا يقرأون مع الإمام، فلما انصرف قال: أما آن لكم أن تفقهوا! أما آن لكم أن تعقلوا؟ {وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا}، كما أمركم الله"[٤٤٣٩].

الثاني : أنها نزلت في خطبة الجمعة ينصت الحاضر لاستماعها ولا يتكلم، قاله مجاهد أيضا[٤٤٤٠].

قال مجاهد:" وجب الإنصات في اثنتين من الصلاة والإمام يقرأ وفي الجمعة والإمام يخطب"[٤٤٤١].

الثالث: عني بذلك: الإنصات في الصلاة، وفي الخطبة. قاله عطاء[٤٤٤٢]، وسعيد بن جبير[٤٤٤٣]، وهو مروي عن مجاهد أيضا[٤٤٤٤].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قولُ من قال: أمروا باستماع القرآن في الصلاة إذا قرأ الإمام، وكان من خلفه ممن يأتمّ به يسمعه، وفي الخطبة، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «إذا قرأ الإمام فأنصتوا»[٤٤٤٥]، وإجماع الجميع على أن على من سمع خطبة الإمام ممن عليه الجمعة، الاستماعَ والإنصاتَ لها، مع تتابع الأخبار بالأمر بذلك، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه لا وقت يجب على أحد استماع القرآن والإنصات لسامعه، من قارئه، إلا في هاتين الحالتين، على اختلاف في إحداهما، وهي حالة أن يكون خلف إمام مؤتم به. وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا من قوله: «إذا قرأ الإمام فانصتوا»[٤٤٤٦]، فالإنصات خلفه لقراءته واجب على من كان به مؤتمًّا سامعًا قراءته، بعموم ظاهر القرآن والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "[٤٤٤٧].

القرآن

{وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ (٢٠٥)} [الأعراف : ٢٠٥]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- ربك في نفسك تخشعًا وتواضعًا لله خائفًا وجل القلب منه، وادعه متوسطًا بين الجهر والمخافتة في أول النهار وآخره، ولا تكن من الذين يَغْفُلون عن ذكر الله، ويلهون عنه في سائر أوقاتهم.

قوله تعالى:{وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً } [الأعراف : ٢٠٥]، أي:" واذكر ربك سراً مستحضراً لعظمته وجلاله متضرعاً إليه وخائفاً منه"[٤٤٤٨].

قال قتادة:" أمر الله بذكره ونهى عن الغفلة"[٤٤٤٩].

قال مجاهد:" أمروا أن يذكروه في الصدور تضرعًا وخيفة"[٤٤٥٠].

(٤٤٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٠٦):ص٣٤٩/١٣.
(٤٤٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٨٥):ص٣٤٦/١٣.
(٤٤٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٥٨٥):ص٣٤٦/١٣.
(٤٤٣٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٧٢٧):ص١٦٤٥/٥.
(٤٤٣٨) أخرجه الطبري(١٥٥٨٣):ص٣٤٦/١٣.
(٤٤٣٩) أخرجه الطبري(١٥٥٨٤):ص٣٤٦/١٣.
(٤٤٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٠٩):ص٣٥٠/١٣.
(٤٤٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٣٤):ص١٦٤٦/٥.
(٤٤٤٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٦١٢):ص٣٥١/١٣.
(٤٤٤٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٦١٦):ص٣٥١/١٣.
(٤٤٤٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٦١١):ص٣٥١/١٣.
(٤٤٤٥)أخرجه مسلم (٣٠٣/١، رقم ٤٠٤).
(٤٤٤٦)أخرجه مسلم (٣٠٣/١، رقم ٤٠٤).
(٤٤٤٧) تفسير الطبري:٣٥٢/١٣-٣٥٣.
(٤٤٤٨) صفوة التفاسير:٤٥٤/١.
(٤٤٤٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٧٣٩):ص١٦٤٧/٥.
(٤٤٥٠) أخرجه الطبري(١٥٦٢٠):ص٣٥٤/١٣.

عن ابن جريج، قوله: "{واذكر ربك في نفسك تضرعًا وخيفة}، قال: يؤمر بالتضرع في الدعاء والاستكانة، ويكره رفع الصوت والنداء والصياح بالدعاء"(٤٤٥١).

قال زيد بن أسلم:" الذكر: أن تذكر الله وتسبحه وتهلله وتحمده"(٤٤٥٢).

قال الحكم بن عيينة:" إذا أسمعك الإمام القراءة فلا تنطقن بشيء"(٤٤٥٣).

قال عبيد بن عمير :" يقول الله: إذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي، وإذا ذكرني عبدي وحده ذكرته وحدي، وإذا ذكرني في ملإ ذكرته في أحسن منهم وأكرم"(٤٤٥٤).

قوله تعالى:{وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ} [الأعراف : ٢٠٥]، أي:" وادعه متوسطًا بين الجهر والمخافتة في أول النهار وآخره"(٤٤٥٥).

عن زيد بن أسلم، قال: "دون الجهر من القول بالغدو والآصال قال: فالآصال لا يجهر فيها"(٤٤٥٦).

قال قتادة:" أما {بالغدو}: فصلاة الصبح، {والآصال}، قال: بالعشي"(٤٤٥٧).

وعن أبي صخر في قوله: {بالغدو والآصال}، {والآصال}، ما بين الظهر والعصر"(٤٤٥٨).

قال مجاهد:" الغدو": آخر الفجر، صلاة الصبح ، {والآصال} ، آخر العشي، صلاة العصر. قال: وكل ذلك لها وقت، أول الفجر وآخره"(٤٤٥٩).

قوله تعالى:{وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ} [الأعراف : ٢٠٥]، أي:" ولا تكن من الذين يَغْفُلون عن ذكر الله، ويلهون عنه في سائر أوقاتهم"(٤٤٦٠).

عن زيد أسلم قال: "{ولا تكن من الغافلين}، قال: مع الغافلين"(٤٤٦١).

عن بكير بن الأخنس، قال: "ما أتى يوم الجمعة على أحد وهو لا يعلم أنه يوم جمعة إلا كتب من الغافلين"(٤٤٦٢).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ (٢٠٦)} [الأعراف : ٢٠٦]

التفسير:

إن الذين عند ربك من الملائكة لا يستكبرون عن عبادة الله، بل ينقادون لأوامره، ويسبحونه بالليل والنهار، وينزهونه عما لا يليق به، وله وحده -لا شريك له- يسجدون.

قوله تعالى:{وَيُسَبِّحُونَهُ} [الأعراف : ٢٠٦]، أي:" ويسبحونه بالليل والنهار، وينزهونه عما لا يليق به"(٤٤٦٣).

عن السدي:" «يسبح»، قال: يصلي"(٤٤٦٤).

«آخر تفسير سورة الأعراف، والحمد لله وحده»

(٤٤٥١) أخرجه الطبري(١٥٦٢٢):ص٣٥٤/١٣.

(٤٤٥٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٧٤٠):ص١٦٤٧/٥.

(٤٤٥٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٧٤١):ص١٦٤٧/٥.

(٤٤٥٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٧٣٨):ص١٦٤٧/٥.

(٤٤٥٥) التفسير الميسر:١٧٦.

(٤٤٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٤٨):ص١٦٤٨/٥.

(٤٤٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٤٥)، و(٨٧٤٦):ص١٦٤٨/٥، والطبري(١٥٦٢٧):ي٣٥٧/١٣.

(٤٤٥٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٤٧):ص١٦٤٨/٥.

(٤٤٥٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٢٥):ي٣٥٦/١٣.

(٤٤٦٠) التفسير الميسر:١٧٦.

(٤٤٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٤٩):ص١٦٤٨/٥.

(٤٤٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٥٠):ص١٦٤٨/٥.

(٤٤٦٣) التفسير الميسر:١٧٦.

(٤٤٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٩٤٨٥):ص١٦٤٨/٥.

بسم الله الرحمن الرحيم
تفسير سورة الأنفال

سورة «الأنفال»: هي السورة الثامنة في ترتيب المصحف، ووضعت موضع السابعة من السبع الطوال، مع أن آياتها دون المائة، لأنها مع قصرها قدمت على سورة «براءة»، لأنها مشتملة على البسملة، لتكون قطعة منها، وتكون«براءة» لخلوها من البسملة كتتمتها وبقيتها، ولهذا قال جماعة من السلف: إنهما سورة واحدة[٤٤٦٥].

ووضعت«براءة» موضعها لمناسبة الكل، فإنه ليس بعد الست السابقة سورة أطول منها.

ولهذا كان جواب عثمان لابن عباس-رضي الله عنهما- عندما سأله: "ما حملكم على أن عمدتم إلى «الأنفال»-وهي من المثاني- وإلى «براءة» -وهي من المئين-ففرقتم بينهما، ولم تكتبوا البسملة بينهما ووضعتموهما من السبع الطوال؟

فقال عثمان-رضي الله عنه-: كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا أنزل عليه الشيء، دعا من كان يكتب فيقول:«ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا».

وكانت «الأنفال» من أوائل ما نزل بالمدينة، وكانت «براءة» من آخر القرآن نزولا، وكانت قصتها شبيهة بقصتها فظننت أنها منها، فقبض رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم يبين أنها منها، فمن اجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر: «بسم الله الرحمن الرحيم»، ووضعتها من السبع الطوال"[٤٤٦٦].

نزلت بعد نزول سورة «البقرة»، وعدد آياتها: (٧٧) سبع وسبعون عند الشّاميّين، و(٧٥) وخمس وسبعون عند الكوفيّين، وعدد كلماتها (٣٣٢٥) ألف ومائة وخمس وتسعون كلمة، وحروفها(١٤٣١٠) خمسة آلاف ومائتان وثمانون أحرف، والآيات المختَلف فيها ثلاث {يُغْلَبُونَ } [الأنفال : ٣٦]، { بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال : ٦٢]، { أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} [الأنفال : ٤٢].

ومجموع فواصل آياتها (ن د م ق ط ر ب) يجمعها «نَدِمَ قُطْرُب»، أو «نطق مدبر»، على «الدّال» منها آية واحدة: {لِلْعَبِيدِ} [الأنفال : ٥١]، وعلى «القاف» آية واحدة: {الْحَرِيقِ} [الأنفال : ٥٠]، وعلى «الباء» أربع آيات آخرها {الْعِقَابِ} [الأنفال : ١٣، ٢٥، ٤٨، ٥٢][٤٤٦٧].

مكان نزول السورة:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على قولين:

أحدهما: أنها مدنية. وهذا قول ابن عباس[٤٤٦٨]، وابن الزبير[٤٤٦٩]، والحسن[٤٤٧٠]، وعكرمة[٤٤٧١]، وجابر[٤٤٧٢]، وعطاء[٤٤٧٣].

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "نزلت في بدر"[٤٤٧٤].

والثاني: انها مدنية إلا سبع آيات، من قوله تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال : ٣٠]، إلى آخر السبع آيات[٤٤٧٥]. قاله ابن عباس أيضا[٤٤٧٦].

(٤٤٦٥) انظر: تفسير ابن كثير:٣٥٦/٣.

(٤٤٦٦) الحديث أخرجه الترمذي رقم (٣٠٨٦) في التفسير، باب ومن سورة التوبة، وأبو داود رقم (٧٨٦) في الصلاة، باب من جهر بها، أي: بسم الله الرحمن الرحيم، وقال الترمذي: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث عوف عن يزيد الفارسي عن ابن عباس، ويزيد الفارسي: هو من التابعين من أهل البصرة، قد روى عن ابن عباس غير حديث. نقول: ويزيد الفارسي: لم يوثقه غير ابن حبان، وكذا رواه أحمد والنسائي، وابن حبان في صحيحه، والحاكم من طرق أخر عن عوف الأعرابي به، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٤٤٦٧)انظر :بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٢٢.

(٤٤٦٨)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٣) ونسبه للنحاس في "ناسخه" وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٤٤٦٩)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٣) ونسبه لابن مردويه.

(٤٤٧٠) انظر: تفسير القرطبي:٣٦٠/٧، والمحرر الوجيز:٤٩٦/٢.

(٤٤٧١) انظر: تفسير القرطبي:٣٦٠/٧، والمحرر الوجيز:٤٩٦/٢.

(٤٤٧٢) انظر: تفسير القرطبي:٣٦٠/٧، والمحرر الوجيز:٤٩٦/٢.

(٤٤٧٣) انظر: تفسير القرطبي:٣٦٠/٧، والمحرر الوجيز:٤٩٦/٢.

(٤٤٧٤)أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨/ ٣٠٦ رقم ٤٦٤٥ - فتح).

قال الفيروزآبادي:" هذه السّورة مدَنيّة بالإجماع"[٤٤٧٧].
قال ابن الجوزي:" وهي مدنية بإجماعهم"[٤٤٧٨].

(٤٤٧٥) وهي: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠) وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤) وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)} [الأنفال : ٦٩ - ٧٥].
(٤٤٧٦) انظر: زاد المسير:١٨٦/٢، تفسير القرطبي:٣٦٠/٧، والمحرر الوجيز:٤٩٦/٢.
(٤٤٧٧)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز:٢٢٢/١.
(٤٤٧٨) زاد المسير:١٨٦/٢.

القرآن

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١)} [الأنفال : ١]

التفسير:

يسألك أصحابك -أيها النبي- عن الغنائم يوم «بدر» كيف تقسمها بينهم؟ قل لهم: إنَّ أمرها إلى الله ورسوله، فالرسول يتولى قسمتها بأمر ربه، فاتقوا عقاب الله ولا تُقَدموا على معصيته، واتركوا المنازعة والمخاصمة بسبب هذه الأموال، وأصلحوا الحال بينكم، والتزموا طاعة الله ورسوله إن كنتم مؤمنين; فإن الإيمان يدعو إلى طاعة الله ورسوله.(٤٤٧٩).

اختلفوا في سبب نزول هذه الآية على أربعة أقوال:

أحدها : ما رواه ابن عباس قال : " قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "من أتى مكان كذا وكذا أو فعل كذا وكذا؛ فله كذا وكذا" فسارع إليه الشبان، وثبت الشيوخ تحت الرايات، فلما فتح الله لهم، جاء الشباب يطلبون ما جعل لهم، فقال الأشياخ: لا تذهبوا به دوننا، فإنما كنا ردءاً لكم؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ}"(٤٤٨٠). [صحيح].

الثاني : ما روى محمد بن عبيد بن سعد بن أبي وقاص قال : " لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه، وكان يسمى ذا الكتيفة، فأتيت به نبي الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فقال: "اذهب فاطرحه في القبض"، فطرحته قال: فرجعت وبي ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلبي، قال: فما جاوزت إلا يسيراً حتى نزلت سورة الأنفال، فقال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "اذهب فخذ سيفك"(٤٤٨١).[حسن]

(٤٤٧٩) التفسير الميسر: ١٧٧.

(٤٤٨٠)أخرجه ابن أبي شيبة (١٤/ ٣٥٦ رقم ١٨٥٠٨)، وأبو داود (رقم ٢٧٣٧ - ٢٧٣٩)، والنسائي في "الكبرى" (٦/ ٣٤٩ رقم ١١١٩٧)، والطبري في "جامع البيان" (١٥٦٥٠):ص٣٦٧/١٣، وابن حبان في "صحيحه" (رقم ١٧٤٣ - موارد)، والحاكم في "المستدرك" (٢/ ١٣١، ١٣٢، ٢٢١، ٢٢٢، ٣٢٦، ٣٢٧)، والبيهقي في "الكبرى" (٦/ ٢٩١، ٢٩٢، ٣١٥، ٣١٥ - ٣١٦)، وفي "الدلائل" (٣/ ١٣٥، ١٣٦)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٢٩٦) من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس به.

قلنا: وهذا إسناد صحيح.

وصححه ابن حبان.

وقال الحاكم في "الموضع الأول": "هذا حديث صحيح؛ فقد احتج البخاري بعكرمة، وقد احتج مسلم بداود بن أبي هند ولم يخرجاه".

وتعقبه الذهبي فقال: "هو على شرط البخاري".

قلنا: لم يخرج البخاري في "صحيحه" لداود بن أبي هند؛ فهو صحيح فقط.

وقال الحاكم في "الموضع الثاني والثالث": "هذا حديث صحيح ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٦) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ.

(٤٤٨١)أخرجه سعيد بن منصور في "سننه" (رقم ٢٦٨٩ - ط الأعظمي)، وابن أبي شيبة (١٢/ ٣٧ رقم ١٤٠٣١)، وأحمد (١/ ١٨٠) -ومن طريقه الواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٥٥) -، والطبري في "جامع البيان" (١٥٦٥٩):ص٣٧٣/١٣، والبزار في "البحر الزخار" (٤/ ٧٢، ٧٣ رقم ١٢٣٩)، وأبو عبيد في "الأموال" (ص ٣٨٢ - كتاب الخمس) من طريق أبي معاوية نا الشيباني -وهو أبو إسحاق- عن محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعد به.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ لانقطاعه بين محمد الثقفي وسعد؛ فإنه لم يدركه.

انظر: "المراسيل" (رقم ٣٢٤).

وقال الشيخ أحمد شاكر -رحمه الله- في "تحقيقه للمسند" (٣/ ٧٨ رقم ١٥٥٦): "إسناده ضعيف؛ لانقطاعه".ا. هـ.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٣) وزاد نسبته لابن مردويه.

وأخرج أحمد (١/ ١٧٨)، وأبو داود (رقم ٢٧٤٠)، والترمذي (رقم ٣٠٧٩)، والنسائي في "التفسير" (١/ ٥١٣، ٥١٤ رقم ٢١٦)، والطبري في "جامع البيان" (١٥٦٥٧):ص٣٧٢/١٣، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٤٩/ ٨٧٥٥) وأبو يعلى في "المسند" (٢/ ٨٤ رقم ٧٣٥)، وأبو نعيم في "الحلية" (٨/ ٣١٢)، والحاكم (٢/ ١٣٢)، والبيهقي في "سننه" (٦/ ٢٩١) جميعهم من طريق أبي بكر بن عياش عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن سعد؛ قال: قلت يا رسول الله! قد شفاني الله من المشركين؛ فهب لي هذا السيف، قال: "إن هذا السيف ليس لك ولا لي، ضعه"، قال: فوضعته، ثم رجعت؛ قلت: عسى أن يعطي

الثالث : أنها نزلت في المهاجرين والأنصار ممن شهد بدراً فاختلفوا، وكانوا أثلاثاً، فنزلت:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنْفَالِ} الآية . فملّكه الله رسوله فقسمه كما أراه الله ، قاله عكرمة[٤٤٨٢]، والضحاك[٤٤٨٣]، وابن جريج[٤٤٨٤].

والرابع : أنهم لم يعلموا حكمها وشكّوا في إحلالها لهم مع تحريمها على من كان قبلهم فسألوا عنها ليعلموا حكمها من تحليل أو تحريم فأنزل الله تعالى هذه الآية[٤٤٨٥].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى أخبرَ في هذه الآية عن قوم سألوا رَسول الله صلى الله عليه وسلم الأنفال أن يُعطيهموها ، فأخبرهم الله أنها لله ، وأنه جعلها لرسوله.

وإذا كان ذلك معناه ، جاز أن يكون نزولها كان من أجل اختلاف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وجائز أن يكون كان من أجل مسألة من سأله السيف الذي ذكرنا عن سعد أنه سأله إياه وجائز أن يكون من أجل مسألة من سأله قسم ذلك بين الجيش"[٤٤٨٦].

قوله تعالى:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} [الأنفال : ١]، أي:" يسألك أصحابك -أيها النبي- عن الغنائم يوم «بدر» كيف تقسمها بينهم؟"[٤٤٨٧].

قال الضحاك:" يقولون: أعطنا"[٤٤٨٨].

وفي هذه «الأنفال» التي سألوه عنها، خمسة أقوال :

أحدها : أنها الغنائم ، وهذا قول عكرمة[٤٤٨٩]، ومجاهد[٤٤٩٠]، وقتادة[٤٤٩١]، والضحاك[٤٤٩٢]، وعطاء الخراساني[٤٤٩٣].

الثاني:أنها السرايا التي تتقدم الجيش، حكاه الماوردي عن الحسن[٤٤٩٤].

الثالث : الأنفال ما شذَّ من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من دابة أو عبد ، قاله عطاء[٤٤٩٥].

الرابع : أن الأنفال الخمس من الفيء والغنائم التي جعلها الله تعالى لأهل الخمس ، وهذا قول مجاهد[٤٤٩٦].

وأولى هذه الأقوال بالصواب في معنى : «الأنفال»، قولُ من قال : هي زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش أو جميعهم ، إما من سَهْمه على حقوقهم من القسمة ، وإما مما وصل إليه بالنفل ، أو ببعض أسبابه ، ترغيبًا له ، وتحريضًا لمن معه من جيشه على ما فيه صلاحهم وصلاح المسلمين ، أو صلاح أحد الفريقين. وقد يدخل في ذلك ما قال ابن عباس من أنه الفرس والدرع ونحو ذلك ، ويدخل فيه ما قاله عطاء من أن ذلك ما عاد من المشركين إلى المسلمين من عبد أو فرس ، لأن ذلك أمره إلى الإمام ، إذا لم يكن ما وصلوا إليه بغلبة وقهر، يفعل ما فيه صلاح أهل الإسلام ، وقد يدخل فيه ما غلب عليه الجيش بقَهر"[٤٤٩٧].

هذا السيف اليوم من لم يبل بلائي، قال: إذ رجل يدعوني من ورائي، قال: قلت: قد أنزل فيَّ شيء، قال: "كنت سألتني السيف وليس هو لي، وإنه قد وهب لي فهو لك" قال: وأنزلت هذه الآية: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ}.

قلنا: وهذا إسناد حسن.

قال الترمذي: "حديث حسن صحيح".

وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٣) وزاد نسبته لابن المنذر وابن مردويه.

(٤٤٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٧١):ص٣٧٩/١٣.

(٤٤٨٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٧٠):ص٣٧٩/١٣.

(٤٤٨٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٦٨):ص٣٧٨/١٣-٣٧٩.

(٤٤٨٥) انظر: النكت والعيون:٢٩٤/٢.

(٤٤٨٦) تفسير الطبري:٣٧٩/١٣-٣٨٠.

(٤٤٨٧) التفسير الميسر: ١٧٧.

(٤٤٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٤٨٦):ص١٦٤٩/٥.

(٤٤٨٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٢٨):ص٣٥٩/١٣.

(٤٤٩٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٢٩):ص٣٥٩/١٣.

(٤٤٩١) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٣٥):ص٣٦١/١٣.

(٤٤٩٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٣١):ص٣٦٠/١٣.

(٤٤٩٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٤٩/٥.

(٤٤٩٤) انظر: النكت والعيون:٢٩٢/٢.

(٤٤٩٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٣٩):ص٣٦٣/١٣.

(٤٤٩٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٤٨)، و(١٥٦٤٩):ص٣٦٥/١٣.

(٤٤٩٧) تفسير الطبري:٣٦٥/١٣-٣٦٦.

قوله تعالى:{وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} [الأنفال : ١]، أي:" وأصلحوا الحال بينكم"(٤٤٩٨).

واختلف في قوله تعالى:{وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} [الأنفال : ١]، على قولين:

أحدهما: أنه أمر من الله الذين غنموا الغنيمة يوم بدر ، وشهدوا الوقعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ اختلفوا في الغنيمة : أن يردَّ ما أصابوا منها بعضُهم على بعض. وهذا قول قتادة(٤٤٩٩)، وابن جريج(٤٥٠٠).

عن مكحول:" أن صلاح ذات بينهم كان أن ردت الغنائم، فقسمت بين من ثبت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبين من قاتل وغنم"(٤٥٠١).

عن قتادة ومطر، أنهما قالا: "أمرهم أن يرد بعضهم على بعض"(٤٥٠٢).

الثاني: أن هذا تحريج من الله على القوم ، ونهيٌ لهم عن الاختلاف فيما اختلفوا فيه من أمر الغنيمة وغيره. وهذا قول مجاهد(٤٥٠٣)، والسدي(٤٥٠٤).

قال السدي:" أي لا تستبوا(٤٥٠٥).

عن مجاهد: "{فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم}، قال: حرج عليهم"(٤٥٠٦).

عن مجاهد وعكرمة، قالا:" كانت الأنفال لله وللرسول، فنسختها: {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ} [الانفال : ٤١]"(٤٥٠٧).

عن مجاهد: "{يسئلونك عن الأنفال}، قال: نسختها: {وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} [الانفال : ٤١]"(٤٥٠٨).

قال السدي:" أصاب سعد بن أبي وقاص يوم بدر سيفا، فاختصم فيه وناس معه، فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم منهم، فقال الله: {يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول}، الآية، فكانت الغنائم يومئذ للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة، فنسخها الله بالخمس"(٤٥٠٩).

عن محمد بن عمرو، قال : «أرسل سعيد بن المسيب غلامه إلى قوم سألوه عن شيء ، فقال : إنكم أرسلتم إلي تسألوني عن الأنفال ، فلا نَفَل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم»(٤٥١٠).

القرآن

{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢)} [الأنفال : ٢]

التفسير:

إنما المؤمنون بالله حقًا هم الذين إذا ذُكِر الله فزعت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آيات القرآن زادتهم إيمانًا مع إيمانهم، لتدبرهم لمعانيه وعلى الله تعالى يتوكلون، فلا يرجون غيره، ولا يرهبون سواه.

قوله تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} [الأنفال : ٢]، أي:" إنما المؤمنون بالله حقًا هم الذين إذا ذُكِر الله فزعت قلوبهم"(٤٥١١).

قال السدي:" يقول: إذا ذكر الله وجل قلبه"(٤٥١٢).

(٤٤٩٨) تفسير الطبري:٣٨٣/١٣.
(٤٤٩٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٧٨):ص٣٨٣/١٣.
(٤٥٠٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٧٩):ص٣٨٣/١٣.
(٤٥٠١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٧٠):ص١٦٥٤/٥.
(٤٥٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٧٠):ص١٦٥٤/٥.
(٤٥٠٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٨٠):ص٣٨٤/١٣.
(٤٥٠٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٨٢):ص٣٨٤/١٣.
(٤٥٠٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٨٢):ص٣٨٤/١٣.
(٤٥٠٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٨٠):ص٣٨٤/١٣.
(٤٥٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٧٢):ص٣٨٠/١٣.
(٤٥٠٨) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٧٤):ص٣٨٠/١٣.
(٤٥٠٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٧٣):ص٣٨٠/١٣.
(٤٥١٠) أخرجه الطبري(١٥٦٧٧):ص٣٨٢/١٣.
(٤٥١١) التفسير الميسر: ١٧٧.
(٤٥١٢) أخرجه الطبري(١٥٦٨٧):ص٣٨٦/١٣.

عن مجاهد: "{وجلت قلوبهم}، قال: فرقت"[٤٥١٣].
قال قتادة:" فرقا من الله تبارك وتعالى، ووجلا من الله، وخوفا من الله تبارك وتعالى"[٤٥١٤].
قال السدي : "هو الرجل يريد أن يظلم - أو قال : يهم بمعصية - فيقال له : اتق الله فَيجل قلبه"[٤٥١٥].
قوله تعالى:{وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [الأنفال : ٢]، أي:" وإذا تليت عليهم آيات القرآن زادتهم إيمانًا مع إيمانهم، لتدبرهم لمعانيه"[٤٥١٦].
عن الربيع: "وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا"، قال: خشية"[٤٥١٧].
عن مجاهد في قوله: "{زادتهم إيمانا}، قال: الإيمان يزيد وينقص"[٤٥١٨].
قوله تعالى:{وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} [الأنفال : ٢]، أي:" وعلى الله تعالى يتوكلون، فلا يرجون غيره، ولا يرهبون سواه"[٤٥١٩].
عن قتادة :"{وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانًا وعلى ربهم يتوكلون}، قال : هذا نعت أهل الإيمان ، فأثبت نَعْتهم ، ووصفهم فأثبت صِفَتهم"[٤٥٢٠].
قال سعيد بن جبير :"التوكل على الله جماع الإيمان"[٤٥٢١].
وعن عن سعيد بن جبير أيضا، قال: "التوكل على الله نصف الإيمان"[٤٥٢٢].

القرآن
{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣)} [الأنفال : ٣]
التفسير:
الذين يداومون على أداء الصلوات المفروضة في أوقاتها، ومما رزقناهم من الأموال ينفقون فيما أمرناهم به.
فقوله تعالى:{الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ} [الأنفال : ٣]، أي:" الذين يداومون على أداء الصلوات المفروضة في أوقاتها"[٤٥٢٣].
قال قتادة:" إقامة الصلاة: المحافظة على مواقيتها، ووضوئها وركوعها وسجودها"[٤٥٢٤].
فقوله تعالى:{وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [الأنفال : ٣]، أي:" ومما رزقناهم من الأموال ينفقون فيما أمرناهم به"[٤٥٢٥].
عن السدي:{ومما رزقناهم ينفقون}، فهي نفقة الرجل على أهله، وهذا قبل أن تنزل الزكاة"[٤٥٢٦].
عن قتادة :"{ومما رزقناهم ينفقون}، فأنفقوا مما أعطاكم الله، فإنما هذه الأموال عواري وودائع عندك يا ابن آدم أوشكت أن تفارقها"[٤٥٢٧].

القرآن
{أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤)} [الأنفال : ٤]
التفسير:

(٤٥١٣) أخرجه الطبري(١٥٦٨٥)-، (١٥٦٨٨):ص٣٨٦/١٣.
(٤٥١٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٩٢):ص٣٨٧/١٣.
(٤٥١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٧٨):ص١٦٥٥/٥.
(٤٥١٦) التفسير الميسر: ١٧٧.
(٤٥١٧) أخرجه الطبري(١٥٦٩٣):ص٣٨٧/١٣.
(٤٥١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٨٢):ص١٦٥٦/٥.
(٤٥١٩) التفسير الميسر: ١٧٧.
(٤٥٢٠) أخرجه الطبري(١٥٦٩٤):ص٣٨٧/١٣.
(٤٥٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٨٤):ص١٦٥٦/٥.
(٤٥٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٨٦):ص١٦٥٦/٥.
(٤٥٢٣) التفسير الميسر: ١٧٧.
(٤٥٢٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٨٩):ص١٦٥٧/٥.
(٤٥٢٥) التفسير الميسر: ١٧٧.
(٤٥٢٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٩٢):ص١٦٥٧/٥.
(٤٥٢٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٩٣):ص١٦٥٧/٥.

هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال هم المؤمنون حقًا ظاهرًا وباطنًا بما أنزل الله عليهم، لهم منازل عالية عند الله، وعفو عن ذنوبهم، ورزق كريم، وهو الجنة.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} [الأنفال : ٤]، أي:" هؤلاء الذين يفعلون هذه الأفعال هم المؤمنون حقًا ظاهرًا وباطنًا بما أنزل الله عليهم"(٤٥٢٨).

عن قتادة :"{أولئك هم المؤمنون حقًّا}، قال : استحقُّوا الإيمان بحق ، فأحقه الله لهم"(٤٥٢٩).

عن أبي سنان قال: "سئل عمرو بن مرة عن قوله: {أولئك هم المؤمنون حقا}، قال: إنما أنزل القرآن بلسان العرب، كقولك: فلان سيد حقا وفي القوم سادة، وفلان تاجر حقا وفي القوم تجار، وفلان شاعر حقا وفي القوم شعراء"(٤٥٣٠).

قوله تعالى:{لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [الأنفال : ٤]، أي:" لهم منازل عالية عند الله"(٤٥٣١).

وفي قوله تعالى:{لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ} [الأنفال : ٤]، وجهان:

أحدهما: أنها هي أعمال رفيعة ، وفضائل قدّموها في أيام حياتهم. قاله مجاهد(٤٥٣٢).

وقال سعيد بن جبير:" فضائل ورحمة"(٤٥٣٣).

الثاني: أن ذلك مراتب في الجنة. قاله ابن محيريز(٤٥٣٤).

وروي عن الضحاك في قوله: "{لهم درجات عند ربهم}، قال: أهل الجنة بعضهم فوق بعض، فيرى الذي هو فوق فضله على الذي هو أسفل منه، ولا يرى الذي هو أسفل أنه فضل عليه أحد"(٤٥٣٥).

قوله تعالى:{وَمَغْفِرَةٌ} [الأنفال : ٤]، أي:" تكفير لما فرط منهم من الذنوب"(٤٥٣٦).

عن قتادة : "{ومغفرة}، قال : لذنوبهم "(٤٥٣٧).

قوله تعالى:{وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الأنفال : ٤]، أي:" رزق دائم مستمر مقرون بالإكرام والتعظيم"(٤٥٣٨).

عن قتادة : "{ ورزق كريم}، قال : الجنة "(٤٥٣٩).

قال محمد بن كعب القرظي: "إذا سمعت الله يقول: «رزق كريم»، فهي الجنة"(٤٥٤٠).

القرآن

{كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥)} [الأنفال : ٥]

التفسير:

كما أنكم لما اختلفتم في المغانم فانتزعها الله منكم، وجعلها إلى قَسْمه وقَسْم رسوله صلى الله عليه وسلم، كذلك أمرك ربك -أيها النبي- بالخروج من «المدينة» للقاء عِيْر قريش، وذلك بالوحي الذي أتاك به جبريل مع كراهة فريق من المؤمنين للخروج.

في سبب نزول الآية والتي بعدها وجوه:

أحدها: عن أبي أيوب الأنصاري؛ يقول: «قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحن بالمدينة: "إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة، فهل لكم أن نخرج قِبَلَ هذا العير؟ لعل الله يغنمناها"، فقلنا: نعم، فخرج وخرجنا، فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا: "ما ترون في القوم، فإنهم قد أخبروا بمخرجكم؟ "، فقلنا: لا، والله ما لنا طاقة بقتال العدو، ولكن أردنا العير، ثم قال: "ما ترون في قتال القوم؟ "، فقلنا مثل ذلك، فقال المقداد بن

(٤٥٢٨) التفسير الميسر: ١٧٧.
(٤٥٢٩) أخرجه الطبري(١٥٦٩٦):ص٣٨٩/١٣.
(٤٥٣٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٧٩٦):ص١٦٥٨/٥.
(٤٥٣١) التفسير الميسر: ١٧٧.
(٤٥٣٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٩٧):ص٣٨٩/١٣.
(٤٥٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٧):ص١٦٥٨/٥.
(٤٥٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٦٩٨):ص٣٨٩/١٣-٣٩٠.
(٤٥٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٩):ص١٦٥٨/٥.
(٤٥٣٦) صفوة التفاسير:٤٥٩/١.
(٤٥٣٧) أخرجه الطبري(١٥٦٩٩):ص٣٩٠/١٣.
(٤٥٣٨) صفوة التفاسير:٤٥٩/١.
(٤٥٣٩) أخرجه الطبري(١٥٦٩٩):ص٣٩٠/١٣.
(٤٥٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠١):ص١٦٥٨/٥.

عمرو: إذن لا نقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} [المائدة: ٢٤]، قال: فتمنينا معشر الأنصار لو أنا قلنا كما قال المقداد أحبّ إلينا من أن يكون لنا مال عظيم؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ- على رسوله: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦)}؛ ثم أنزل الله-عزّ وجلّ-: {أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ}، وقال: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ}، والشوكة: القوم وغير ذات الشوكة: العير، فلما وعدنا إحدى الطائفتين: إما القوم، وإما العير طابت أنفسنا، ثم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث رجلاً لينظر ما قبل القوم؟ فقال: رأيت سواداً ولا أدري، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "هم هم هلموا أن نتعاد"؛ ففعلنا، فإذا نحن ثلاث مئة وثلاثة عشر رجلاً، فأخبرنا رسول الله بعدتنا، فسره ذلك؛ فحمد الله، وقال: "عدة أصحاب طالوت"، ثم إنا اجتمعنا مع القوم فصففنا، فبدرت منا بادرة أمام الصف، فنظر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إليهم فقال: "معي معي"، ثم إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "اللهم إني أنشدك وعدك"، فقال ابن رواحة: يا رسول الله! إني أريد أن أشير عليك، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - أفضل من يشير عليه، إن الله -عزّ وجلّ- أعظم من أن تنشده وعده، فقال: "يا ابن رواحة! لأنشدن الله وعده؛ فإن الله لا يخلف الميعاد"، فأخذ قبضة من التراب فرمى بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في وجوه القوم، فانهزموا؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} فقتلنا وأسرنا، فقال عمر -رضي الله عنه-: يا رسول الله! ما أرى أن يكون لك أسرى، فإنما نحن داعون مولفون، فقلنا: معشر الأنصار! إنما يحمل عمر على ما قال حسد لنا، فنام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثم استيقظ، ثم قال: "ادعوا لي عمر" فدعي له، فقال: "إن الله -عزّ وجلّ- قد أنزل علي: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧)}»[٤٥٤١]. [صحيح]

والثاني: عن محمد بن عمرو بن علقمة عن [أبيه] عن جده؛ قال: «خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى بدر حتى إذا كان بالروحاء خطب الناس، فقال: "كيف ترون؟ "، قال أبو بكر: يا رسول الله! بلغنا أنهم بكذا وكذا، قال: ثم خطب الناس، فقال: "كيف ترون؟ "، فقال عمر مثل قول أبي بكر، ثم خطب فقال: "ما ترون؟ " فقال سعد بن معاذ: إيانا تريد؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم، ولئن سرت حتى تأتي برك الغماد من ذي يمن لنسيرن معك، ولا نكون كالذين قالوا لموسى من بني إسرائيل:

(٤٥٤١)أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير" (٤/ ١٧٤، ١٧٥ رقم ٤٠٥٦) -وعنه ابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٢٩٩) -، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٥٩ رقم ٨٨٠٥، ص ١٦٦٠، ١٦٦١ رقم ٨٨١٤، ٨٨١٦، ٨٨١٧) من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران عن أبي أيوب به.

قلنا: وهذا سند حسن؛ رجاله ثقات؛ عدا ابن لهيعة، وهو صدوق حسن الحديث قبل اختلاطه واحتراق كتبه، وحديثنا هذا من صحيح حديثه؛ فإن زيد بن الحباب رواه عنه عند ابن أبي حاتم، وزيد سمع منه قبل احتراق كتبه؛ كما قال أبو الفتح ابن سيد الناس اليعمرى في "النفح الشذي" (٢/ ٨٠٣).

وأخرجه البيهقي في "دلائل النبوة" (٣/ ٣٧) من طريق يعقوب بن سفيان أخبرنا سعيد بن أبي مريم أخبرنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب حدثني أسلم أبو عمران أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول: قال لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم – ونحن بالمدينة: "هل لكم أن نخرج فنلقى هذه العير لعل الله يغنينا؟ ". قلنا: نعم، فخرجنا، فلما سرنا يوماً أو يومين أمرنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن نتعادّ، ففعلنا فإذا نحن ثلثمائة وثلاثة عشر رجلاً، فأخبرنا النبي - صلى الله عليه وسلم -، فسُرّ بذلك وحمد الله، وقال: "عدة أصحاب طالوت".

قلنا: وهذا إسناد جيد، وهو من صحيح حديث ابن لهيعة؛ لأن سعيد بن أبي مريم سمع من ابن لهيعة قبل اختلاطه واحتراق كتبه؛ كما قال الإمام أحمد.

انظر: "إكمال تهذيب التهذيب" (٨/ ١٤٥).

وأخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٧٢٧):ص١٣/٤٠٥ -مختصراً جداً- من طريق ابن وهب وابن المبارك عن ابن لهيعة به بلفظ: أنزل الله -عزّ وجلّ-: {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ}، فلما وعدنا إحدى الطائفتين أنها لنا طابت أنفسنا، والطائفتان عير أبي سفيان أو قريش؛ لفظ ابن وهب.

ولفظ ابن المبارك: قالوا: الشوكة: القوم، وغير الشوكة: العير، فلما وعدنا الله إحدى الطائفتين إما العير وإما القوم؛ طابت أنفسنا.

قلنا: وهذا إسناد جيد، وهو من صحيح حديث ابن لهيعة؛ لأن ابن وهب وابن المبارك من قدماء أصحابه.

وقال الهيثمي في "مجمع الزوائد" (٦/ ٧٤): "إسناده حسن".

{فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ}، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما متبعون، ولعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله إليك غيره، فانظر الذي أحدث الله إليك فامضي له؛ فصل حبال من شئت، واقطع حبال من شئت، وسالم من شئت، وعاد من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت؛ فنزل القرآن على قول سعد: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} إلى قوله: {وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} وإنما خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يريد غنيمة ما مع أبي سفيان فأحدث الله إليه القتال»[٤٥٤٢]. [ضعيف]

والثالث: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "لما شاور النبي - صلى الله عليه وسلم - في لقاء القوم، وقال له سعد بن عبادة ما قال -وذلك يوم بدر-؛ أمر الناس فتعبّوا للقتال، وأمرهم بالشوكة، وكره ذلك أهل الإيمان؛ فأنزل الله: {كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦)}"[٤٥٤٣]. [ضعيف جداً]

قوله تعالى:{كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ} [الأنفال : ٥]، أي:" كما أنكم لما اختلفتم في المغانم فانتزعها الله منكم، وجعلها إلى قَسْمه وقَسْم رسوله صلى الله عليه وسلم، كذلك أمرك ربك -أيها النبي- بالخروج من «المدينة» للقاء عِيْر قريش، وذلك بالوحي الذي أتاك به جبريل"[٤٥٤٤].

عن مجاهد:{كما أخرجك ربك من بيتك بالحق}، كذلك"[٤٥٤٥].

عن السدي كما :"{أخرجك ربك من بيتك بالحق}، قال: خروج النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى بدر"[٤٥٤٦].

قوله تعالى:{وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ} [الأنفال : ٥]، أي:" والحال أن فريقاً منهم كارهون للخروج لقتال العدو خوفاً من القتل أو لعدم الاستعداد"[٤٥٤٧].

قال السدي:" لكارهون لطلب المشركين"[٤٥٤٨].

القرآن

{يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦)} [الأنفال : ٦]

التفسير:

يجادلك -أيها النبي- فريق من المؤمنين في القتال مِن بعد ما تبيَّن لهم أن ذلك واقع، كأنهم يساقون إلى الموت، وهم ينظرون إليه عِيانًا.

قوله تعالى:{يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ} [الأنفال : ٦]، أي:" يجادلك -أيها النبي- فريق من المؤمنين في القتال مِن بعد ما تبيَّن لهم أن ذلك واقع"[٤٥٤٩].

عن مجاهد، قوله: "{يجادلونك في الحق}، القتال"[٤٥٥٠].

عن السدي: "{بعد ما تبين} أنك لا تصنع إلا ما أمرك الله به"[٤٥٥١].

(٤٥٤٢)أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٤/ ٣٥٥، ٣٥٦ رقم ١٨٥٠٧)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٢٩٩) عن طريق محمد به.

قلنا: وهذا إسناده ضعيف؛ فيه علتان:

الأولى: علقمة بن وقاص الليثي؛ قال عنه الحافظ: "ثقة ثبت من الثانية، أخطأ من زعم أن له صحبة، وقيل: إنه ولد في عهد النبي - صلى الله عليه وسلم -"؛ فهو مرسل.

الثانية: عمرو بن علقمة؛ مجهول؛ لم يرو عنه إلا ابنه محمد، وإن وثقه ابن حبان.

(٤٥٤٣)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٧١٢):ص٣٩٥/١٣.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف جداً؛ مسلسل بالعوفيين الضعفاء.

(٤٥٤٤) التفسير الميسر: ١٧٧.

(٤٥٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨٠٣):ص١٦٥٩/٥.

(٤٥٤٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨٠٤):ص١٦٥٩/٥.

(٤٥٤٧) صفوة التفاسير:٤٥٩/١.

(٤٥٤٨) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٨٨٠٦):ص١٦٥٩/٥.

(٤٥٤٩) التفسير الميسر: ١٧٧.

(٤٥٥٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨٠٧):ص١٦٥٩/٥.

(٤٥٥١) انظر: تفسير الطبري(١٥٨١٦):ص٣٩٧/١٣.

عن ابن إسحاق قال: ثم ذكر القوم= يعني أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم = ومسيرهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين عرف القوم أن قريشا قد سارت إليهم، وأنهم إنما خرجوا يريدون العير طمعا في الغنيمة، فقال: {كما أخرجك ربك من بيتك بالحق}، إلى قوله: {لكارهون}، أي: كراهية للقاء القوم، وإنكارا لمسير قريش حين ذكروا لهم"[٤٥٥٢].

قوله تعالى:{كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ} [الأنفال : ٦]، أي:" كأنهم يساقون إلى الموت، وهم ينظرون إليه عِيانًا"[٤٥٥٣].

قال ابن إسحاق:" أي: كراهةً للقاء القوم ، وإنكارًا لمسير قريش حين ذكروا لهم"[٤٥٥٤].

عن السدي قوله: "{كأنما يساقون إلى الموت}، حين قيل هم المشركون"[٤٥٥٥].

القرآن

{وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧)} [الأنفال : ٧]

التفسير:

واذكروا -أيها المجادلون- وَعْدَ الله لكم بالظَّفْر بإحدى الطائفتين: العير وما تحمله مِن أرزاق، أو النفير، وهو قتال الأعداء والانتصار عليهم، وأنتم تحبون الظَّفْر بالعير دون القتال، ويريد الله أن يحق الإسلام، ويُعْليه بأمره إياكم بقتال الكفار، ويستأصل الكافرين بالهلاك.

قوله تعالى:{وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ} [الأنفال : ٧]، أي:" واذكروا -أيها المجادلون- وَعْدَ الله لكم بالظَّفْر بإحدى الطائفتين: العير وما تحمله مِن أرزاق، أو النفير، وهو قتال الأعداء والانتصار عليهم"[٤٥٥٦].

قال قتادة:" فالطائفتان: أحدهما أبو سفيان أقبل بالعير من الشام، والطائفة الأخرى: أبو جهل بن هشام معه نفير قريش"[٤٥٥٧].

قوله تعالى:{وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ} [الأنفال : ٧]، أي:" وأنتم تحبون الظَّفْر بالعير دون القتال"[٤٥٥٨].

قال الضحاك:" هي عير أبي سفيان، ود أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن العير كانت لهم وأن القتال صرف عنهم"[٤٥٥٩].

قوله تعالى:{وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ} [الأنفال : ٧]، أي:" ويريد الله أن يحق الإسلام، ويُعْليه بأمره إياكم بقتال الكفار"[٤٥٦٠].

قال السدي:" أرادوا العير والله يريد أن يحق الحق بكلماته"[٤٥٦١].

قوله تعالى:{وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} [الأنفال : ٧]، أي:"ويستأصل الكافرين بالهلاك"[٤٥٦٢].

عن أبي مالك قوله:"{ دابر}، يعني: أصل"[٤٥٦٣].

عن ابن إسحاق :{ويقطع دابر الكافرين}، الوقعة التي أوقع الله بقريش يوم بدر"[٤٥٦٤].

عن صفوان بن سليم:"{ويقطع دابر الكافرين}، فأوحى الله إليه القتال"[٤٥٦٥].

(٤٥٥٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٧١٣):ص٣٩٥/١٣.
(٤٥٥٣) التفسير الميسر: ١٧٧.
(٤٥٥٤) أخرجه الطبري(١٥٧١٨):ص٣٩٧/١٣.
(٤٥٥٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨١٠):ص١٦٦٠/٥.
(٤٥٥٦) التفسير الميسر: ١٧٧.
(٤٥٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨١٥):ص١٦٦١/٥.
(٤٥٥٨) التفسير الميسر: ١٧٧.
(٤٥٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨١٨):ص١٦٦١/٥.
(٤٥٦٠) التفسير الميسر: ١٧٧.
(٤٥٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٢٠):ص١٦٦٢/٥.
(٤٥٦٢) التفسير الميسر: ١٧٧.
(٤٥٦٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨٢٢):ص١٦٦٢/٥.
(٤٥٦٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨٢٣):ص١٦٦٢/٥.

عن محمد بن إسحاق :"عن محمد بن مسلم الزهري ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وعبد الله بن أبي بكر ، ويزيد بن رومان ، عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا ، عن عبد الله بن عباس ، كُلٌّ قد حدثني بعض هذا الحديث ، فاجتمع حديثهم فيما سُقت من حديث بدر ، قالوا : لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي سفيان مقبلا من الشأم ، ندب المسلمين إليهم وقال : هذه عير قريش ، فيها أموالهم ، فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفِّلكموها! فانتدب الناس ، فخف بعضهم وثقل بعض ، وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربًا. وكان أبو سفيان يستيقن حين دنا من الحجاز ويتحسس الأخبار ، ويسأل من لقي من الركبان ، تخوفًا على أموال الناس ، حتى أصاب خبرًا من بعض الركبان : " أن محمدًا قد استنفر أصحابه لك ولعِيرك " ! فحذر عند ذلك ، واستأجر ضمضم بن عمرو الغِفاري ، فبعثه إلى مكة ، وأمره أن يأتي قريشًا يستنفرهم إلى أموالهم ، ويخبرهم أن محمدًا قد عرض لها في أصحابه. فخرج ضمضم بن عمرو سريعًا إلى مكة. وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه حتى بلغ واديًا يقال له " ذَفِرَان " ، فخرج منه، حتى إذا كان ببعضه ، نزل ، وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عِيرهم ، فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم الناسَ ، وأخبرهم عن قريش. فقام أبو بكر رضوان الله عليه ، فقال فأحسن. ثم قام عمر رضي الله عنه ، فقال فأحسن. ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، امض إلى حيث أمرك الله ، فنحن معك ، والله ، لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى : {اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ} [سورة المائدة : ٢٤] ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون! فوالذي بعثك بالحق ، لئن سرت بنا إلى بَرْك الغِمَاد يعني : مدينة الحبشة لجالدنا معك مَن دونه حتى تبلغه! فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرًا ، ثم دعا له بخيرٍ ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أشيروا عليّ أيها الناس! وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عَدَدَ الناس ، وذلك أنهم حين بايعوه على العقبة قالوا : " يا رسول الله ، إنا برآء من ذِمامك حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا ، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا " ، فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نُصرته إلا ممن دهمه بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدوٍّ من بلادهم قال : فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟ قال : أجل! قال : فقد آمنا بك وصدَّقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت ، فوالذي بعثك بالحق إن استعرضتَ بنا هذا البحرَ فخضته لخُضناه معك ، ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدًا ، إنا لصُبُرٌ عند الحرب ، صُدُقٌ عند اللقاء، لعلّ الله أن يريك منا ما تَقرُّ به عينك ، فسر بنا على بركة الله! فسُرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا على بركة الله وأبشروا ، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم غدًا"[٤٥٦٦].

القرآن

{لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨)} [الأنفال : ٨]

التفسير:

ليعزَّ الله الإسلام وأهله، ويذهب الشرك وأهله، ولو كره المشركون ذلك.

قوله تعالى:{وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ} [الأنفال : ٨]، أي:" ولو كره المشركون ذلك"[٤٥٦٧].

عن قتادة:"{ ولو كره المجرمون}، هم المشركون"[٤٥٦٨]. وروي عن السدي مثله[٤٥٦٩].

القرآن

{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩)} [الأنفال : ٩]

التفسير:

(٤٥٦٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨٢١):ص١٦٦٢/٥.

(٤٥٦٦) أخرجه الطبري(١٥٧٢٠):ص٣٩٩/١٣-٤٠٠.

(٤٥٦٧) التفسير الميسر: ١٧٧.

(٤٥٦٨) أخرجه الطبري(١٥٧٣٣):ص٤٠٨/١٣.

(٤٥٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٢٤):ص١٦٦٢/٥.

اذكروا نعمة الله عليكم يوم «بدر» إذ تطلبون النصر على عدوكم، فاستجاب الله لدعائكم قائلا إني ممدُّكم بألف من الملائكة من السماء، يتبع بعضهم بعضًا.

قوله تعالى:{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ} [الأنفال : ٩]، أي:" اذكروا نعمة الله عليكم يوم «بدر» إذ تطلبون النصر على عدوكم"(٤٥٧٠).

عن ابن إسحاق : "{إذ تستغيثون ربكم}، أي : بدعائكم ، حين نظروا إلى كثرة عدوهم وقلة عددهم"(٤٥٧١).

عن ابن جريج قوله : "{إذ تستغيثون ربكم} ، قال : دعاء النبي صلى الله عليه وسلم"(٤٥٧٢).

عن زيد بن يُثَيْع، قال : "كان أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في العريش، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يقول : اللهم انصر هذه العصابة ، فإنك إن لم تفعل لن تعبد في الأرض! قال : فقال أبو بكر : بعضَ مناشدتك مُنْجِزَك ما وعدك"(٤٥٧٣).

قوله تعالى:{فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ} [الأنفال : ٩]، أي:" فاستجاب الله لدعائكم قائلا إني ممدُّكم بألف من الملائكة من السماء، يتبع بعضهم بعضًا"(٤٥٧٤).

عن ابن إسحاق : "{فاستجاب لكم}، بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعائكم معه"(٤٥٧٥).

قال السدي: "أقبل النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله ويستغيثه ويستنصره ، فأنزل الله عليه الملائكة"(٤٥٧٦).

عن أبي صالح قال : "لما كان يوم بدر جعل النبي صلى الله عليه وسلم يناشد ربه أشد النِّشدة يدعو ، فأتاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : يا رسول الله ، بعض نِشْدَتك ، فوالله ليفيَنَّ الله لك بما وعدك! "(٤٥٧٧).

وفي صحيح البخاري عن ابن عباس: "أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في يوم بدر: ذا جبريل آخذ برأس فرسه، عليه أداة حرب"(٤٥٧٨).

وفي قوله تعالى:{ مُرْدِفِينَ} [الأنفال : ٩]، وجهان:

أحدهما : معناه: متتابعين ، قاله قتادة(٤٥٧٩)،والضحاك(٤٥٨٠)، والسدي(٤٥٨١).

الثاني : معنى مردفين أي: ممدّين، و«الإرداف» إمداد المسلمين بهم ، قاله مجاهد(٤٥٨٢)، وعبدالله بن كثير(٤٥٨٣).

القرآن

{وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠)} [الأنفال : ١٠]

التفسير:

وما جعل الله ذلك الإمداد إلا بشارة لكم بالنصر، ولتسكن به قلوبكم، وتوقنوا بنصر الله لكم، وما النصر إلا من عند الله، لا بشدة بأسكم وقواكم. إن الله عزيز في ملكه، حكيم في تدبيره وشرعه.

(٤٥٧٠) التفسير الميسر:١٧٨.
(٤٥٧١) أخرجه الطبري(١٥٧٤٠):ص٤١١/١٣.
(٤٥٧٢) أخرجه الطبري(١٥٧٣٩):ص٤١١/١٣.
(٤٥٧٣) أخرجه الطبري(١٥٧٣٧):ص٤١٠/١٣.
(٤٥٧٤) التفسير الميسر:١٧٨.
(٤٥٧٥) أخرجه الطبري(١٥٧٤٠):ص٤١١/١٣.
(٤٥٧٦) أخرجه الطبري(١٥٧٣٨):ص٤١١/١٣.
(٤٥٧٧) أخرجه الطبري(١٥٧٤١):ص٤١١/١٣.
(٤٥٧٨)صحيح البخاري: ٣١٢/٧. ورقمه: ٣٩٩٥.
(٤٥٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٧٥١):ص٤١٣/١٣.
(٤٥٨٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٧٤٨)، و(١٥٧٥٤):ص٤١٣/١٣-٤١٤.
(٤٥٨١) انظر: تفسير الطبري(١٥٧٥٢):ص٤١٣/١٣.
(٤٥٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٧٥٠):ص٤١٣/١٣.
(٤٥٨٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٧٥٠):ص٤١٣/١٣.

قوله تعالى:{وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى} [الأنفال : ١٠]، أي:" وما جعل الله ذلك الإمداد إلا بشارة لكم بالنصر"(٤٥٨٤).

قال مجاهد:"ما مدّ النبي صلى الله عليه وسلم مما ذكر الله غيرُ ألف من الملائكة مردفين ، وذكر«الثلاثة» و«الخمسة» بشرى ، ما مدُّوا بأكثر من هذه الألف الذي ذكر الله عز وجل في «الأنفال» ، وأما «الثلاثة» و«الخمسة»، فكانت بشرَى"(٤٥٨٥).

قوله تعالى:{وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ} [الأنفال : ١٠]، أي:" ولتسكن به قلوبكم، وتوقنوا بنصر الله لكم"(٤٥٨٦).

قال مجاهد:" تطمئنوا إليه"(٤٥٨٧).

قوله تعالى:{وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ} [الأنفال : ١٠]، أي:" وما النصر إلا من عند الله، لا بشدة بأسكم وقواكم"(٤٥٨٨).

قال محمد بن إسحاق: "{وما النصر إلا من عند الله}: إلا من عندي، إلا بسلطاني وقدرتي، وذلك أن العز والحكم إلي لا إلى أحد من خلقي"(٤٥٨٩).

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال : ١٠]، أي:" إن الله عزيز في ملكه، حكيم في تدبيره وشرعه"(٤٥٩٠).

عن ابن العالية:" {إن الله عزيز حكيم}، يقول: عزيز في نقمته إذا انتقم"(٤٥٩١). وروي عن قتادة والربيع بن أنس نحو ذلك(٤٥٩٢).

عن أبي العالية :"{إن الله عزيز حكيم}، يقول: حكيم في أمره"(٤٥٩٣).

قال محمد بن إسحاق: "{عزيز حكيم}، العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"(٤٥٩٤)، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"(٤٥٩٥).

القرآن

{إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١)} [الأنفال : ١١]

التفسير:

إذ يُلقي الله عليكم النعاس أمانًا منه لكم من خوف عدوكم أن يغلبكم، وينزل عليكم من السحاب ماء طهورًا، ليطهركم به من الأحداث الظاهرة، ويزيل عنكم في الباطن وساوس الشيطان وخواطره، وليشدَّ على قلوبكم بالصبر عند القتال، ويثبت به أقدام المؤمنين بتلبيد الأرض الرملية بالمطر حتى لا تنزلق فيها الأقدام.

قوله تعالى:{إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ} [الأنفال : ١١]، أي:" إذ يُلقي الله عليكم النعاس أمانًا منه لكم من خوف عدوكم أن يغلبكم"(٤٥٩٦).

عن ابن إسحاق :"{إذ يغشاكم النعاس أمنة منه}، أي : أنزلت عليكم الأمنة حتى نمتم لا تخافون"(٤٥٩٧).

(٤٥٨٤) التفسير الميسر:١٧٨.
(٤٥٨٥) أخرجه الطبري(١٥٧٥٧):ص٤١٨/١٣.
(٤٥٨٦) التفسير الميسر:١٧٨.
(٤٥٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣١):ص١٦٦٣/٥.
(٤٥٨٨) التفسير الميسر:١٧٨.
(٤٥٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٢):ص١٦٦٣/٥.
(٤٥٩٠) التفسير الميسر:١٧٨.
(٤٥٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٣):ص١٦٦٤/٥.
(٤٥٩٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٦٤/٥.
(٤٥٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٥):ص١٦٦٤/٥.
(٤٥٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.
(٤٥٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.
(٤٥٩٦) التفسير الميسر:١٧٨.
(٤٥٩٧) أخرجه الطبري(١٥٧٨٠):ص٤٢٦/١٣.

عن مجاهد : "{أمنة منه}، أمانًا من الله عز وجل"[٤٥٩٨].

عن أبي رزين ، عن عبد الله قال: "النعاس في القتال ، أمنةٌ من الله عز وجل ، وفي الصلاة من الشيطان"[٤٥٩٩].

قوله تعالى:{وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ} [الأنفال : ١١]، أي:" وينزل عليكم من السحاب ماء طهورًا ليطهركم به من الأحداث الظاهرة"[٤٦٠٠].

عن ابن إسحاق :" {وينزل عليكم من السماء ماء}، للمطر الذي أصابهم تلك الليلة، فحبس المشركون أن يسبقوا إلى الماء ، وخلَّي سبيل المؤمنين إليه "[٤٦٠١].

عن مجاهد في قوله : "{ماء ليطهركم به}، قال: المطر، أنزله عليهم قبل النعاس"[٤٦٠٢].

عن سعيد بن المسيب : "{ماء ليطهركم به}، قال : طش يوم بدر"[٤٦٠٣].

قوله تعالى:{وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ} [الأنفال : ١١]، أي:" ويزيل عنكم في الباطن وساوس الشيطان وخواطره"[٤٦٠٤].

عن ابن إسحاق :" ليذهب عنهم شك الشيطان ، بتخويفه إياهم عدوهم ، واستجلاد الأرض لهم، حتى انتهوا إلى منزلهم الذي سبق إليه عدوهم"[٤٦٠٥].

عن مجاهد في قوله : "{رجز الشيطان}، قال : وسوسته. قال : فأطفأ بالمطر الغبار ، والتبدت به الأرض ، وطابت به أنفسهم ، وثبتت به أقدامهم "[٤٦٠٦].

قال السدي:" ثم ذكر ما ألقى الشيطان في قلوبهم من شأن الجنابة ، وقيامهم يصلون بغير وضوء ، فقال:" إذ يغشيكم النعاسَ أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام " ، حتى تشتدون على الرمل ، وهو كهيئة الأرض"[٤٦٠٧].

عن الشعبي وسعيد بن المسيب في هذه الآية :"{ينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ، ويذهب عنكم رجز الشيطان}، قالا: طشٌ كان يوم بدر ، فثبَّت الله به الأقدام"[٤٦٠٨].

عن قتادة قوله : " {إذ يغشاكم النعاس أمنة منه}الآية ، ذكر لنا أنهم مُطِروا يومئذ حتى سال الوادي ماءً ، واقتتلوا على كثيب أعفر ، فلبَّده الله بالماء ، وشرب المسلمون وتوضأوا وسقوْا ، وأذهب الله عنهم وسواس الشيطان"[٤٦٠٩].

وفي تطهيرهم به وجهان:

أحدهما : من وساوس الشيطان التي ألقى بها في قلوبهم الرعب ، قاله زيد بن أسلم[٤٦١٠].

والثاني : من الأحداث والأنجاس التي نالتهم ، حكاه الماوردي عن الجمهور[٤٦١١].

قوله تعالى:{وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ} [الأنفال : ١١]، أي:" وليشدَّ على قلوبكم بالصبر عند القتال"[٤٦١٢].

قال قتادة:" بالصبر"[٤٦١٣].

(٤٥٩٨) أخرجه الطبري(١٥٧٦١):ص٤٢٠/١٣.

(٤٥٩٩) أخرجه الطبري(١٥٧٥٨):ص٤١٩/١٣.

(٤٦٠٠) التفسير الميسر:١٧٨.

(٤٦٠١) أخرجه الطبري(١٥٧٨٠):ص٤٢٦/١٣.

(٤٦٠٢) أخرجه الطبري(١٥٧٧٤):ص٤٢٥/١٣.

(٤٦٠٣) أخرجه الطبري(١٥٧٦٥):ص٤٢٢/١٣.

(٤٦٠٤) التفسير الميسر:١٧٨.

(٤٦٠٥) أخرجه الطبري(١٥٧٨٠):ص٤٢٦/١٣-٤٢٧.

(٤٦٠٦) أخرجه الطبري(١٥٧٧٤):ص٤٢٥/١٣.

(٤٦٠٧) أخرجه الطبري(١٥٧٨١):ص٤٢٧/١٣.

(٤٦٠٨) أخرجه الطبري(١٥٧٦٨):ص٤٢٣/١٣.

(٤٦٠٩) أخرجه الطبري(١٥٧٦٩):ص٤٢٣/١٣.

(٤٦١٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٧٧٨):ص٤٢٦/١٣.

(٤٦١١) انظر: النكت والعيون:٣٠٠/٢.

(٤٦١٢) التفسير الميسر:١٧٨.

(٤٦١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٦٩):ص١٦٦٦/٥.

قوله تعالى:{وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ} [الأنفال : ١١]، أي:" ويثبت به أقدام المؤمنين بتلبيد الأرض الرملية بالمطر حتى لا تنزلق فيها الأقدام"(٤٦١٤).

قال السدي:" حتى يشتدوا على الرمل وهو كهيئة الأرض"(٤٦١٥).

قال قتادة:" كان بطن الوادي دهاس، فلما مطروا اشتدت الرملة"(٤٦١٦).

وروي عن قتادة، قال:"اقتتلوا على كثيب أعفر، فلبده الله تعالى بالماء"(٤٦١٧).

القرآن

{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢)} [الأنفال : ١٢]

التفسير:

إذ يوحي ربك -أيها النبي- إلى الملائكة الذين أمدَّ الله بهم المسلمين في غزوة «بدر» أني معكم أُعينكم وأنصركم، فقوُّوا عزائم الذين آمنوا، سألقي في قلوب الذين كفروا الخوف الشديد والذلة والصَّغَار، فاضربوا -أيها المؤمنون- رؤوس الكفار، واضربوا منهم كل طرف ومِفْصل.

قوله تعالى:{إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ} [الأنفال : ١٢]، أي:" إذ يوحي ربك -أيها النبي- إلى الملائكة الذين أمدَّ الله بهم المسلمين في غزوة «بدر» أني معكم أُعينكم وأنصركم"(٤٦١٨).

عن ابن شهاب: "ثم أخبرهم بما أوحى الله إلى الملائكة بنصرهم فقال: إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم"(٤٦١٩).

قال أحمد بن داود الحداد: "لم يقل الله عز وجل لشيء أنه معه إلا الملائكة يوم بدر قال: { أَنِّي مَعَكُمْ} بالنصر"(٤٦٢٠).

قوله تعالى:{فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا} [الأنفال : ١٢]، أي:" فقوُّوا عزائم الذين آمنوا"(٤٦٢١).

وفي قوله تعالى:{فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا} [الأنفال : ١٢]، وجهان من التفسير:

أحدهما : بقتالكم معهم يوم بدر ، حكاه الماوردي عن الحسن(٤٦٢٢).

الثاني: معناه: فآزروا الذين آمنوا. قاله ابن إسحاق(٤٦٢٣).

قوله تعالى:{سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} [الأنفال : ١٢]، أي:" سألقي في قلوب الذين كفروا الخوف الشديد والذلة والصَّغَار"(٤٦٢٤).

قوله تعالى:{فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ} [الأنفال : ١٢]، أي:" فاضربوا -أيها المؤمنون- رؤوس الكفار"(٤٦٢٥).

عن الربيع بن أنس، قال: "كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم بضربهم فوق الأعناق وعلى البنان، مثل سمة النار قد أحرق به"(٤٦٢٦).

قال أبو الليث:" سمعت من حكى عن أبي سعيد الفاريابي أنه قال: أراد الله إلا يلطخ سيوفهم بفرث المشركين، فأمرهم أن يضربوا على الأعناق ولا يضربوا على الوسط، ويقال: معناه اضربوا كل شيء استقبلكم من أعضائهم ولا ترحموهم"(٤٦٢٧).

(٤٦١٤) التفسير الميسر:١٧٨.
(٤٦١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٧٠):ص١٦٦٧/٥.
(٤٦١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٧١):ص١٦٦٧/٥.
(٤٦١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٧٠):ص١٦٦٧/٥.
(٤٦١٨) التفسير الميسر:١٧٨.
(٤٦١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٧٢):ص١٦٦٧/٥.
(٤٦٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٧٣):ص١٦٦٧/٥.
(٤٦٢١) التفسير الميسر:١٧٨.
(٤٦٢٢) انظر: النكت والعيون:٣٠١/٢.
(٤٦٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٧٨٣):ص٤٢٨/١٣.
(٤٦٢٤) التفسير الميسر:١٧٨.
(٤٦٢٥) التفسير الميسر:١٧٨.
(٤٦٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٧٦):ص١٦٦٨/٥.

وفي قوله تعالى:{فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ} [الأنفال : ١٢]، قولان:
أحدهما : فاضربوا الأعناق ، و"فوق": صلة زائدة في الكلام ، قاله عطية[٤٦٢٨]، والضحاك[٤٦٢٩].
وقد روى المسعودي عن القاسم، قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ::" إني لم أبعث لأعذِّب بعذاب الله ، إنما بعثت لضرب الأعناق وشدِّ الوَثَاق"[٤٦٣٠].
الثاني : معناه: واضربوا الرؤوس فوق الأعناق ، قاله عكرمة[٤٦٣١].
والصواب من القول في ذلك أن يقال : أن الله أمر المؤمنين ، مُعَلِّمَهم كيفية قتل المشركين وضربهم بالسيف : أن يضربوا فوق الأعناق منهم والأيدي والأرجل. وقوله : {فوق الأعناق}، محتمل أن يكون مرادًا به الرؤوس ، ومحتمل أن يكون مرادًا له : من فوق جلدة الأعناق ، فيكون معناه : على الأعناق. وإذا احتمل ذلك ، صح قول من قال ، معناه : الأعناق. وإذا كان الأمر محتملا ما ذكرنا من التأويل ، لم يكن لنا أن نوجِّهه إلى بعض معانيه دون بعض ، إلا بحجة يجب التسليم لها ، ولا حجة تدلّ على خصوصه ، فالواجب أن يقال : إن الله أمر بضرب رؤوس المشركين وأعناقهم وأيديهم وأرجلهم ، أصحابَ نبيه صلى الله عليه وسلم الذين شهدوا معه بدرًا[٤٦٣٢].
قوله تعالى:{وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ} [الأنفال : ١٢]، أي:" واضربوا منهم كل طرف ومِفْصل"[٤٦٣٣].
عن عطية : "{واضربوا منهم كل بنان} ، قال : كل مفصِل"[٤٦٣٤].
عن عكرمة : "{واضربوا منهم كل بنان}، قال : الأطراف. ويقال : كل مفصل"[٤٦٣٥].
عن الضحاك[٤٦٣٦] وابن جريج[٤٦٣٧] قوله: {واضربوا منهم كل بنان}، قالا : الأطراف".
عن الأوزاعي في قوله: "{واضربوا منهم كل بنان}، قال: اضرب منه الوجه والعين، وارمه بشهاب من نار، فإذا أخذته حرم ذلك كله عليك"[٤٦٣٨].
روي الإمام أحمد بإسناده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ... قال: "جاء رجل من الأنصار قصير بالعباس بن عبد المطلب أسيراً فقال العباس: يا رسول الله إن هذا والله ما أسرني لقد أسرني رجل أجلح[٤٦٣٩] من أحسن الناس وجهاً على فرس أبلق[٤٦٤٠] ما أراه في القوم، فقال الأنصاري: أنا أسرته يا رسول الله، قال: "أسكت فقد أيدك الله تعالى بملك كريم"[٤٦٤١].

القرآن
{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣)} [الأنفال : ١٣]
التفسير:
ذلك الذي حدث للكفار من ضَرْب رؤوسهم وأعناقهم وأطرافهم; بسبب مخالفتهم لأمر الله ورسوله، ومَن يخالف أمر الله ورسوله، فإن الله شديد العقاب له في الدنيا والآخرة.

(٤٦٢٧) بحر العلوم:١١/٢.
(٤٦٢٨) انظر: تفسير الطبري(١٥٧٨٤):ص٤٢٩/١٣.
(٤٦٢٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٧٨٦):ص٤٢٩/١٣.
(٤٦٣٠) أخرجه الطبري(١٥٧٨٥):ص٤٢٩/١٣.
(٤٦٣١) انظر: تفسير الطبري(١٥٧٨٧):ص٤٣٠/١٣.
(٤٦٣٢) تفسير الطبري:٤٣٠/١٣.
(٤٦٣٣) التفسير الميسر:١٧٨.
(٤٦٣٤) أخرجه الطبري(١٥٧٨٨):ص٤٣٢/١٣.
(٤٦٣٥) أخرجه الطبري(١٥٧٩١):ص٤٣٢/١٣.
(٤٦٣٦) أخرجه الطبري(١٥٧٩٤):ص٤٣٢/١٣.
(٤٦٣٧) أخرجه الطبري(١٥٧٩٣):ص٤٣٢/١٣.
(٤٦٣٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨٨١):ص١٦٦٨/٥.
(٤٦٣٩)قال ابن الأثير: الأجلح من الناس الذي انحسر الشعر عن جانبيه رأسه ٢٨٤/١.
(٤٦٤٠)قال في اللسان البلق: الدابة، والبلق سواد وبياض وكذلك البلقة: بالضم ـ ٢٥/١٠.
(٤٦٤١)المسند ١١٧/١.

قوله تعالى:{وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال : ١٣]، أي:" ومَن يخالف أمر الله ورسوله، فإن الله شديد العقاب له في الدنيا والآخرة"(٤٦٤٢).

عن علي بن زيد، قال: "تلا مطرف هذه الآية {شديد العقاب}، قال: لو يعلم الناس قدر عقوبة الله ونقمة الله وبأس الله ونكال الله لما رقى لهم دمع وما قرت أعينهم بشيء"(٤٦٤٣).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ (١٥)} [الأنفال : ١٥]

التفسير:

يا أيها الذين صَدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا قابلتم الذين كفروا في القتال متقاربين منكم فلا تُوَلُّوهم ظهوركم، فتنهزموا عنهم، ولكن اثبتوا لهم، فإن الله معكم وناصركم عليهم.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الأنفال : ١٥]، أي:" يا أيها الذين صَدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"(٤٦٤٤).

عن الزهري قال: "إذا قال الله: يا أيها الذين آمنوا إفعلوا، فالنبي- صلى الله عليه وسلم- منهم"(٤٦٤٥).

عن خيثمة قال: "ما تقرؤون في القرآن :{يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: «يا أيها المساكين»"(٤٦٤٦).

قوله تعالى:{إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا} [الأنفال : ١٥]، أي:" إذا لقيتم أعداءكم الكفار مجتمعين كأنهم لكثرتهم يزحفون زحفاً"(٤٦٤٧).

قال سعيد بن جبير:" يعني: يوم بدر"(٤٦٤٨).

قوله تعالى:{فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ} [الأنفال : ١٥]، أي:" فلا تُوَلُّوهم ظهوركم، فتنهزموا عنهم، ولكن اثبتوا لهم، فإن الله معكم وناصركم عليهم"(٤٦٤٩).

عن محمد بن عمرو عن ابن سلمة، قال: "الموجبات الفرار من الزحف، ثم قرأ {إذا لقيتم الذين كفروا زحفا}"(٤٦٥٠).

وفي حكم الآية قولان:

أحدهما: أنها منسوخة بقوله: {فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} [الأنفال : ٦٦]، فليس للمؤمنين أن يفروا عن مثليهم. وهذا قول عطاء(٤٦٥١).

عن قيس بن سعد قال : "سألت عطاء بن أبي رباح عن قوله : {ومن يولهم يومئذ دبره} ، قال : هذه منسوخة بالآية التي في الأنفال : {الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} [سورة الأنفال : ٦٦]. قال : وليس لقوم أن يفرُّوا من مثليْهم. قال : ونسخت تلك إلا هذه العِدّة"(٤٦٥٢).

الثاني: أنها محكمة. وهذا اختيار الطبري(٤٦٥٣)، والنحاس(٤٦٥٤)، ومكي بن ابي طالب(٤٦٥٥).

(٤٦٤٢) التفسير الميسر:١٧٨.

(٤٦٤٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٢):ص١٦٦٨/٥.

(٤٦٤٤) التفسير الميسر:١٧٨.

(٤٦٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٦):ص١٦٦٩/٥.

(٤٦٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٤):ص١٦٦٩/٥.

(٤٦٤٧) صفوة التفاسير:٤٦١/١.

(٤٦٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٩٦٢٣):ص١٦٦٩/٥.

(٤٦٤٩) التفسير الميسر:١٧٨.

(٤٦٥٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٨٨٨):ص١٦٦٩/٥.

(٤٦٥١) انظر: تفسير الطبري(١٥٨١٣):ص٤٣٩/١٣، والناسخ والمنسوخ للنحاس ص: ١٥٣، وذكره مكي بن أبي طالب أيضا عنه في الإيضاح ص: ٢٥٦.

(٤٦٥٢) أخرجه الطبري(١٥٨١٣):ص٤٣٩/١٣.

(٤٦٥٣) انظر: تفسير الطبري:٤٤٠/١٣-٤٤١.

(٤٦٥٤) انظر: الناسخ والمنسوخ : ١٥٣.

(٤٦٥٥) انظر: الإيضاح: ٢٥٦.

والقول الثاني هو الصحيح، لأنها محكمة في النهي عن الفرار[٤٦٥٦]. فيحمل النهي على ما إذا كان العدو أعلى من عدد المسلمين وقد ذهب إلى نحو هذا ابن جرير[٤٦٥٧].

القرآن

{وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦)} [الأنفال : ١٦]

التفسير:

ومن يُوَلِّهم منكم ظهره وقت الزحف إلا منعطفًا لمكيدة الكفار أو منحازًا إلى جماعة المسلمين حاضري الحرب حيث كانوا، فقد استحق الغضب من الله، ومقامه جهنم، وبئس المصير والمنقلب.

قوله تعالى:{وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ} [الأنفال : ١٦]، أي:" ومن يُوَلِّهم منكم ظهره وقت الزحف، إلا منعطفًا لمكيدة الكفار"[٤٦٥٨].

قال الضحاك:" «المتحرف»، المتقدم من أصحابه ليرى غِرَّة من العدوّ فيصيبها"[٤٦٥٩].

قال السدي:" أما«المتحرف» ، يقول : إلا مستطردًا ، يريد العودة"[٤٦٦٠].

قوله تعالى:{أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ} [الأنفال : ١٦]، أي:" أو منحازًا إلى جماعة المسلمين حاضري الحرب حيث كانوا"[٤٦٦١].

قال الضحاك:" «المتحيز»، الفارّ إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه. وكذلك من فرّ اليوم إلى أميره أو أصحابه"[٤٦٦٢].

قال السدي:" «المتحيز»، إلى الإمام وجنده إن هو كرّ فلم يكن له بهم طاقة ، ولا يُعذّر الناس وإن كثروا أن يُولُّوا عن الإمام "[٤٦٦٣].

قوله تعالى:{فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ} [الأنفال : ١٦]، أي:" فقد استحق الغضب من الله"[٤٦٦٤].

قال سعيد بن جبير:" يعني: فقد أوجب بغضب من الله"[٤٦٦٥]. "يقول: استوجبوا سخطا"[٤٦٦٦].

قوله تعالى:{وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [الأنفال : ١٦]، أي:" ومقامه جهنم وبئس المصير والمنقلب"[٤٦٦٧].

قال الضحاك:" وإنما هذا وعيد من الله لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، أن لا يفروا. وإنما كان النبيُّ عليه الصلاة والسلام و أصحابه فئتَهم"[٤٦٦٨].

عن سعيد بن جبير :"{فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير}، فهذا يوم بدر خاصة، كان الله عز وجل شده على المسلمين يومئذ ليقطع دابر الكافرين وهو أول قتال قاتل فيه المشركين من أهل مكة"[٤٦٦٩].

القرآن

(٤٦٥٦)عن ابن عباس قال : "أكبر الكبائر الشرك بالله ، والفرار من الزحف ، لأن الله عز وجل يقول : {ومن يولهم يومئذ دبره... فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير}. اخرجه الطبري(١٥٨١٦):ص٤٤٠/١٣.

(٤٦٥٧) انظر: تفسير الطبري:٤٤٠/١٣-٤٤١.

(٤٦٥٨) التفسير الميسر:١٧٨.

(٤٦٥٩) أخرجه الطبري(١٥٧٩٥):ص٤٣٥/١٣.

(٤٦٦٠) أخرجه الطبري(١٥٧٩٦):ص٤٣٦/١٣.

(٤٦٦١) التفسير الميسر:١٧٨.

(٤٦٦٢) أخرجه الطبري(١٥٧٩٥):ص٤٣٥/١٣.

(٤٦٦٣) أخرجه الطبري(١٥٧٩٦):ص٤٣٦/١٣.

(٤٦٦٤) التفسير الميسر:١٧٨.

(٤٦٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٠١):ص١٦٧١/٥.

(٤٦٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٠٢):ص١٦٧٢/٥.

(٤٦٦٧) التفسير الميسر:١٧٨.

(٤٦٦٨) أخرجه الطبري(١٥٧٩٥):ص٤٣٥/١٣.

(٤٦٦٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٠٤):ص١٦٧٢/٥.

{فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٧)} [الأنفال : ١٧]

التفسير:

فلم تقتلوا -أيها المؤمنون- المشركين يوم «بدر» ، ولكن الله قتلهم، حيث أعانكم على ذلك، وما رميت حين رميت -أيها النبي- ولكن الله رمى، حيث أوصل الرمية التي رميتها إلى وجوه المشركين; وليختبر المؤمنين بالله ورسوله ويوصلهم بالجهاد إلى أعلى الدرجات، ويعرِّفهم نعمته عليهم، فيشكروا له سبحانه على ذلك. إن الله سميع لدعائكم وأقوالكم ما أسررتم به وما أعلنتم، عليم بما فيه صلاح عباده.

قوله تعالى:{ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ } [الأنفال : ١٧]، أي:" فلم تقتلوا -أيها المؤمنون- المشركين يوم «بدر» ، ولكن الله قتلهم، حيث أعانكم على ذلك"(٤٦٧٠).

قال مجاهد:" {فلم تقتلوهم} لأصحاب محمد- صلى الله عليه وسلم- حين قال هذا: قتلت، يعني: فلانا، وقال هذا: قتلت، يعني: فلانا"(٤٦٧١).

قوله تعالى:{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} [الأنفال : ١٧]، أي:" وما رميت في الحقيقة أنت يا محمد أعين القوم بقبضةٍ من تراب -لأن كفاً من تراب لا يملأ عيون الجيش الكبير-، ولكن الله رمى، حيث أوصل الرمية التي رميتها إلى وجوه المشركين"(٤٦٧٢).

قال ابن إسحاق:" أي: لم يكن ذلك برميتك، لولا الذي جعل الله فيها من نصرك، وما ألقى في صدور عدوك منها حين هزمهم الله"(٤٦٧٣).

وفي قوله تعالى:{وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} [الأنفال : ١٧]، أقوال:

أحدها : ما حكاه هشام بن عروة(٤٦٧٤)، والسدي(٤٦٧٥)،ومحمد بن قيس(٤٦٧٦)، ومحمد بن كعب القرظي(٤٦٧٧):

أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قبض يوم بدر قبضة من تراب رماهم بها وقال:«شَاهَتِ الْوُجُوهُ»، أي: قبحت، ومنه قول الحطيئة(٤٦٧٨):

أرى ليَ وجهاً شوَّه اللهُ خَلْقَهُ... فقُبِّح من وجهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

فألقى الله تعالى القبضة في أبصارهم حتى شغلتهم بأنفسهم وأظفر الله المسلمين بهم ، فهو معنى قوله تعالى :{ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى}.

قال مجاهد:" يعني: به محمدا صلى الله عليه وسلم حين حصب الكفار"(٤٦٧٩).

عن عكرمة: "{ولكن الله رمى}، قال: ما وقع منها شيء إلا في عين رجل"(٤٦٨٠).

عن قتادة:" ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أخذ يوم بدر ثلاثة أحجار ورمى بها وجوه الكفار، فهزموا عند الحجر الثالث"(٤٦٨١).

وروي عن حكيم بن حزام قال : "لما كان يوم بدر ، سمعنا صوتًا وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طَسْت، ورمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية فانهزمنا"(٤٦٨٢).

الثاني : عن عبد الرحمن بن جبير: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم ابن أبي الحقيق بخيبر ، دعا بقوس ، فأتى بقوس طويلة، وقال : "جيئوني غيرها". فجاؤوا بقوس كبداء ، فرمى النبي صلى الله عليه وسلم

(٤٦٧٠) التفسير الميسر:١٧٩.
(٤٦٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٠٥):ص١٦٧٢/٥.
(٤٦٧٢) صفوة التفاسير:٤٦١/١، والتفسير الميسر:١٧٩.
(٤٦٧٣) أخرجه الطبري(١٥٧٢٨):ص٤٤٥/١٣.
(٤٦٧٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٨٢١):ص٤٤٣/١٣.
(٤٦٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٨٢٥):ص٤٤٥/١٣.
(٤٦٧٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٨٢٣):ص٤٤٤/١٣.
(٤٦٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٥٨٢٣):ص٤٤٤/١٣.
(٤٦٧٨)ديوانه: ٢٨٢.
(٤٦٧٩) تفسير مجاهد: ٣٥٢.
(٤٦٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩١٢):ص١٦٧٤/٥.
(٤٦٨١) أخرجه الطبري(١٥٨٢٤):ص٤٤٤/١٣.
(٤٦٨٢) أخرجه الطبري(١٥٨٢٢):ص٤٤٣/١٣.

الحصن ، فأقبل السهم يهوي حتى قتل ابن أبي الحقيق ، وهو في فراشه ، فأنزل الله عز وجل : { وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى }"[٤٦٨٣].

وهذا غريب ، وإسناده جيد إلى عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، ولعله اشتبه عليه ، أو أنه أراد أن الآية تعم هذا كله، وإلا فسياق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة، وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم ، والله أعلم.

الثالث : روى ابن جرير أيضا ، والحاكم في مستدركه ، بإسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب والزهري أنهما قالا:" أنزلت في رمية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أُبَي بن خلف بالحربة وهو في لأمته ، فخدشه في ترقوته ، فجعل يتدأدأ عن فرسه مرارا ، حتى كانت وفاته بها بعد أيام ، قاسى فيها العذاب الأليم ، موصولا بعذاب البرزخ، المتصل بعذاب الآخرة" [٤٦٨٤].

وهذا القول عن هذين الإمامين غريب أيضا جدا ، ولعلهما أرادا أن الآية تتناوله بعمومها ، لا أنها نزلت فيه خاصة كما تقدم ، والله أعلم[٤٦٨٥].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال : ١٧]، أي:" . إن الله سميع لدعائكم وأقوالكم ما أسررتم به وما أعلنتم، عليم بما فيه صلاح عباده"[٤٦٨٦].

قال محمد بن إسحاق:" أي: سميع ما تقولون"[٤٦٨٧]، عليم بما يخفون"[٤٦٨٨].

القرآن

{ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ (١٨)} [الأنفال : ١٨]

التفسير:

هذا الفعل مِن قتل المشركين ورميهم حين انهزموا، والبلاء الحسن بنصر المؤمنين على أعدائهم، هو من الله للمؤمنين، وأن الله -فيما يُستقبل- مُضعِف ومُبطِل مكر الكافرين حتى يَذِلُّوا وينقادوا للحق أو يهلكوا.

عن أبي مالك، قوله: "{موهن}، يعني: ضعيف"[٤٦٨٩].

القرآن

{إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ (١٩)} [الأنفال : ١٩]

التفسير:

إن تطلبوا -أيها الكفار- من الله أن يوقع بأسه وعذابه على المعتدين الظالمين فقد أجاب الله طلبكم، حين أوقع بكم مِن عقابه ما كان نكالا لكم وعبرة للمتقين، فإن تنتهوا -أيها الكفار- عن الكفر بالله ورسوله وقتال نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فهو خير لكم في دنياكم وأخراكم، وإن تعودوا إلى الحرب وقتال محمد صلى الله عليه وسلم وقتال أتباعه المؤمنين نَعُدْ بهزيمتكم كما هُزمتم يوم «بدر» ، ولن تغني عنكم جماعتكم شيئًا، كما لم تغن عنكم يوم «بدر» مع كثرة عددكم وعتادكم وقلة عدد المؤمنين وعدتهم، وأن الله مع المؤمنين بتأييده ونصره.

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير؛ قال: "كان المستفتح يوم بدر أبو جهل، وإنه قال حين التقى القوم: اللهم! أينا كان أقطع للرحم، وآتى لما لا نعرف؛ فافتح الغد، وكان ذلك استفتاحه؛ فأنزل الله -تعالى-: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ}"[٤٦٩٠]. [صحيح]

(٤٦٨٣) تفسير ابن كثير:٣١/٤، ورواه الواحدي في أسباب النزول : ١٧٤، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٧٥، وزاد نسبته إلى ابن أبي حاتم.

(٤٦٨٤) تفسير ابن كثير:٣٢/٤، وخرجه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ١٧٥، وزاد نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٤٦٨٥) تفسير ابن كثير:٣١/٤-٣٢.

(٤٦٨٦) التفسير الميسر:١٧٩.

(٤٦٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٦٠٧٥):ص١٠٨٦/٤.

(٤٦٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩١٥):ص١٦٧٤/٥.

(٤٦٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩١٦):ص١٦٧٤/٥.

الثاني: عن عطية؛ قال: "قال أبو جهل يوم بدر: اللهم انصر أهدى الفئتين وأفضل الفئتين وخير الفئتين؛ فنزلت: {إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ}"(٤٦٩١). [ضعيف]

قوله تعالى:{إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ} [الأنفال : ١٩]، أي:" إن تطلبوا -أيها الكفار- من الله أن يوقع بأسه وعذابه على المعتدين الظالمين فقد أجاب الله طلبكم، حين أوقع بكم مِن عقابه ما كان نكالا لكم وعبرة للمتقين"(٤٦٩٢).

عن مجاهد قوله : "{إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح}، قال : كفار قريش في قولهم : «ربنا افتح بيننا وبين محمد وأصحابه»! ففُتح بينهم يوم بدر"(٤٦٩٣).

عن الضحاك(٤٦٩٤)، وعكرمة(٤٦٩٥): "{إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح}، قال : إن تستقضوا فقد جاءكم القضاء".

قال عطاء:" يعني: أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم"(٤٦٩٦).

قال السدي:" كان المشركون حين خرجوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم من مكة ، أخذوا بأستار الكعبة واستنصروا الله وقالوا : " اللهم انصر أعز الجندين ، وأكرم الفئتين ، وخير القبيلتين " ! فقال الله : {إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح}، يقول : نصرت ما قلتم ، وهو محمد صلى الله عليه وسلم "(٤٦٩٧).

قال الزهري:" استفتح أبو جهل بن هشام فقال : " اللهم أيُّنا كان أفجر لك وأقطعَ للرحم ، فأحنه اليوم! " يعني محمدًا عليه الصلاة والسلام ونفسه. قال الله عز وجل : {إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح}، فضربه ابنا عفراء : عوف ومعوِّذ ، وأجهزَ عليه ابن مسعود"(٤٦٩٨).

قوله تعالى:{وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} [الأنفال : ١٩]، أي:" فإن تنتهوا -أيها الكفار- عن الكفر بالله ورسوله وقتال نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فهو خير لكم في دنياكم وأخراكم"(٤٦٩٩).

قال السدي:" إن تنتهوا عن قتال محمد صلى الله عليه وسلم"(٤٧٠٠).

قوله تعالى:{وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ} [الأنفال : ١٩]، أي:" وإن تعودوا إلى الحرب وقتال محمد صلى الله عليه وسلم وقتال أتباعه المؤمنين نَعُدْ بهزيمتكم كما هُزمتم يوم «بدر»"(٤٧٠١).

(٤٦٩٠)أخرجه ابن إسحاق في "المغازي" (٢/ ٢٧٠ - ابن هشام)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٤/ ٣٥٩، ٣٦٠ رقم ١٨٥٢١)، وأحمد (٥/ ٤٣١)، والطبري في "جامع البيان" (١٥٨٤٧):ص٤٥٤/١٣، والنسائي في "الكبرى" (٦/ ٣٥٠ رقم ١١٢٠١)، وابن أبي عاصم في "الآحاد والمثاني" (١/ ٤٥٤، ٤٥٥ رقم ٦٣١، ٦٣٢)، والواحدي في "أسباب النزول" (ص ١٥٧)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٧٥ رقم ٨٩١٧)، والحاكم في "المستدرك" (٢/ ٣٢٨)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٣/ ٧٤) من طريق الزهري عن عبد الله به.

قلنا: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه"، ووافقه الذهبي.

قلنا: لم يخرج مسلم شيئاً في "صحيحه" عن عبد الله بن ثعلبة الصحابي.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٤٢) وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه وابن منده.

وأخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٤/ ٣٦٥ رقم ١٨٥٢٨)، والطبري في جامع البيان" (١٥٨٣٧):ص٤٥١/١٣، من طريق عبد الأعلى بن عبد الأعلى عن معمر عن الزهري به.

قلنا: وهذا مرسل صحيح، والحديث صحيح مرسلاً ومسندا.

(٤٦٩١)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٨٤٤):ص٤٥٣/١٣، وابن أبي حاتم (٥/ ١٦٧٥/ ٨٩٢٠) من طريقين عن مطرف عن عطية به.

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ فيه عطية العوفي ضعيف، وهو مع ذلك مرسل.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٤٢) وزاد نسبته لابن أبي شيبة وابن المنذر.

(٤٦٩٢) التفسير الميسر:١٧٩.

(٤٦٩٣) أخرجه الطبري(١٥٨٣٥):ص٤٥١/١٣.

(٤٦٩٤) أخرجه الطبري(١٥٨٣١):ص٤٥٠/١٣.

(٤٦٩٥) أخرجه الطبري(١٥٨٣٢):ص٤٥١/١٣.

(٤٦٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٢٢):ص١٦٧٥/٥.

(٤٦٩٧) أخرجه الطبري(١٥٨٤١):ص٤٥٣/١٣.

(٤٦٩٨) أخرجه الطبري(١٥٨٣٨):ص٤٥١/١٣-٤٥٢.

(٤٦٩٩) التفسير الميسر:١٧٩.

(٤٧٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٢٥):ص١٦٧٦/٥.

قال السدي:" إن تستفتحوا الثانية أفتح لمحمد صلى الله عليه وسلم"[٤٧٠٢].
قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال : ١٩]، أي:" وأن الله مع المؤمنين بتأييده ونصره"[٤٧٠٣].
قال الطبري:" يقول جل ذكره : وأن الله مع من آمن به من عباده على من كفر به منهم ، ينصرهم عليهم ، أو يظهرهم كما أظهرهم يوم بدر على المشركين"[٤٧٠٤].
عن السدي:{وأن الله مع المؤمنين}، مع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم"[٤٧٠٥].

القرآن
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ (٢٠)} [الأنفال : ٢٠]
التفسير:
يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله أطيعوا الله ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه، ولا تتركوا طاعة الله وطاعة رسوله، وأنتم تسمعون ما يتلى عليكم في القرآن من الحجج والبراهين.
قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [الأنفال : ٢٠]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله أطيعوا الله ورسوله فيما أمركم به ونهاكم عنه "[٤٧٠٦].
قال الأعمش عن خيثمة:" ما تقرؤون من القرآن {يا أيها الذين آمنوا}، فإن في التوراة "يا أيها المساكين"[٤٧٠٧].
قوله تعالى:{وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ} [الأنفال : ٢٠]، أي:" ولا تتركوا طاعة الله وطاعة رسوله وأنتم تسمعون ما يتلى عليكم في القرآن من الحجج والبراهين"[٤٧٠٨].
قال ابن إسحاق:" أي: لا تخالفوا أمره، وأنتم تسمعون لقوله، وتزعمون أنكم منه"[٤٧٠٩].

القرآن
{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ (٢١)} [الأنفال : ٢١]
التفسير:
ولا تكونوا أيها المؤمنون في مخالفة الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم كالمشركين والمنافقين الذين إذا سمعوا كتاب الله يتلى عليهم قالوا: سمعنا بآذاننا، وهم في الحقيقة لا يتدبرون ما سمعوا، ولا يفكرون فيه.
عن ابن إسحاق : "{ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون}، أي : كالمنافقين الذين يظهرون له الطاعة ، ويُسِرُّون المعصية"[٤٧١٠].
عن مجاهد في قول الله : "{وهم لا يسمعون}، قال : عاصون"[٤٧١١].

القرآن
{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ (٢٢)} [الأنفال : ٢٢]
التفسير:
إنَّ شر ما دبَّ على الأرض -مِنْ خَلْق الله- عند الله الصمُّ الذين انسدَّت آذانهم عن سماع الحق فلا يسمعون، البكم الذين خرست ألسنتهم عن النطق به فلا ينطقون، هؤلاء هم الذين لا يعقلون عن الله أمره ونهيه.
سبب نزول الآية الكريمة والتي بعدها:

(٤٧٠١) التفسير الميسر:١٧٩.
(٤٧٠٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٢٧):ص١٦٧٦/٥.
(٤٧٠٣) التفسير الميسر:١٧٩.
(٤٧٠٤) تفسير الطبري:٤٥٥/١٣.
(٤٧٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٣٠):ص١٦٧٦/٥.
(٤٧٠٦) التفسير الميسر:١٧٩.
(٤٧٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٨٩٠):ص٧١٨/٣.
(٤٧٠٨) التفسير الميسر:١٧٩.
(٤٧٠٩) أخرجه الطبري(١٥٨٥٢):ص٤٥٧/١٣.
(٤٧١٠) أخرجه الطبري(١٥٨٥٣):ص٤٥٨/١٣.
(٤٧١١) أخرجه الطبري(١٥٨٥٤):ص٤٥٨/١٣-٤٥٩.

عن قتادة؛ قال: "أنزلت في حي من أحياء العرب من بني عبد الدار"[٤٧١٢]. [ضعيف]
عن ابن جريج؛ قال: "نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث[٤٧١٣] وقومه"[٤٧١٤]. [ضعيف جداً]
عن ابن شهاب:" حدثني أبو عثمان بن سنة الخزاعي الكعبي -وهو من أهل دمشق- أنه لحق بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه كان معه فخلا به يوما وهو يحدثنا فيما أنزلت هذه الآية التي قال الله: إن شر الدواب عند الله ثم قال: إن هذه الآية أنزلت في فلان وأصحاب له"[٤٧١٥].
قوله تعالى:{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ} [الأنفال : ٢٢]، أي:" إنَّ شر ما دبَّ على الأرض -مِنْ خَلْق الله- عند الله، الصمُّ الذين انسدَّت آذانهم عن سماع الحق فلا يسمعون، البكم الذين خرست ألسنتهم عن النطق به فلا ينطقون"[٤٧١٦].
قال قتادة:" صم عن الحق فهم لا يسمعونه"[٤٧١٧]، " بكم فهم لا ينطقون به"[٤٧١٨].

القرآن
{وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٢٣)} [الأنفال : ٢٣]
التفسير:
ولو علم الله في هؤلاء خيرًا لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره حتى يعقلوا عن الله عز وجل حججه وبراهينه، ولكنه علم أنه لا خير فيهم وأنهم لا يؤمنون، ولو أسمعهم -على الفرض والتقدير- لتولَّوا عن الإيمان قصدًا وعنادًا بعد فهمهم له، وهم معرضون عنه، لا التفات لهم إلى الحق بوجه من الوجوه.
قوله تعالى:{وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ} [الأنفال : ٢٣]، أي:" ولو علم الله في هؤلاء خيرًا لأسمعهم مواعظ القرآن وعبره حتى يعقلوا عن الله عز وجل حججه وبراهينه، ولكنه علم أنه لا خير فيهم وأنهم لا يؤمنون"[٤٧١٩].
واختلف أهل العلم فيمن عني بهذه الآية، على قولين:
أحدهما: عني بها المشركون. وقال: معناه: أنهم لو رزقهم الله الفهم لما أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم، لم يؤمنوا به، لأن الله قد حكم عليهم أنهم لا يؤمنون. وهذا قول ابن جريج[٤٧٢٠].
قال ابن جريج، قوله: {ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو اسمعهم} ، لقالوا: {ائت بقرآن غير هذا}، [يونس: ١٥] ، ولقالوا: {لولا اجتبيتها} [الأعراف: ٢٠٣] ، ولو جاءهم بقرآن غيره {لتولوا وهم معرضون}[٤٧٢١].
الثاني: عني بها المنافقون. قالوا: ومعناه: لأنفذ لهم قولهم الذي قالوه بألسنتهم ولكن القلوب خالفت ذلك منهم، ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون، ما وفَوا لكم بشيء مما خرجوا عليه. قاله ابن إسحاق[٤٧٢٢].
قال ابن إسحاق:" لأنفذ لهم قولهم الذي قالوه بألسنتهم، ولكن القلوب خالفت ذلك منهم، ولو خرجوا معكم لتولوا وهم معرضون، ما وفوا لكم بشيء مما خرجوا عليه"[٤٧٢٣].

(٤٧١٢)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٤٣) ونسبه لعبد بن حميد وأبي الشيخ.
قلنا: وسنده ضعيف؛ لإرساله، ويغني عنه ما قبله.
(٤٧١٣)النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، شيطان قريش وصاحب لواء المشركين ببدر، مشرك مجاهر بالعداوة والأذي لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -. قتل في بدر سنة ٢ هـ انظر: "سيرة ابن هشام" ٩/ ٣١١، ٣٢٠، ٣٢١، ٢/ ٢٨٦، و"جوامع السير" ص ٥٢، ١٤٧ - ١٤٨، و"الكامل" لابن الأثير ٢/ ٤١٤، و"الأعلام" ٨/ ٣٣.
(٤٧١٤)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٤٣) ونسبه لابن المنذر.
(٤٧١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٣٤):ص١٦٧٧/٥.
(٤٧١٦) التفسير الميسر:١٧٩.
(٤٧١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٣٧):ص١٦٧٨/٥.
(٤٧١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٤٠):ص١٦٧٨/٥.
(٤٧١٩) التفسير الميسر:١٧٩.
(٤٧٢٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٨٦٣):ص٤٦٢/١٣.
(٤٧٢١) انظر: تفسير الطبري(١٥٨٦٣):ص٤٦٢/١٣.
(٤٧٢٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٨٦٦):ص٤٦٢/١٣-٤٦٣.
(٤٧٢٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٨٦٦):ص٤٦٢/١٣-٤٦٣.

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢٤)} [الأنفال : ٢٤]

التفسير:

يا أيها الذين صدِّقوا بالله ربًا وبمحمد نبيًا ورسولا استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم لما يحييكم من الحق، ففي الاستجابة إصلاح حياتكم في الدنيا والآخرة، واعلموا -أيها المؤمنون- أن الله تعالى هو المتصرف في جميع الأشياء، والقادر على أن يحول بين الإنسان وما يشتهيه قلبه، فهو سبحانه الذي ينبغي أن يستجاب له إذا دعاكم; إذ بيده ملكوت كل شيء، واعلموا أنكم تُجمعون ليوم لا ريب فيه، فيجازي كلا بما يستحق.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [الأنفال : ٢٤]، أي:" يا أيها الذين صدِّقوا بالله ربًا وبمحمد نبيًا ورسولا"[٤٧٢٤].

قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال : ٢٤]، أي:" يا أيها الذين صدِّقوا بالله ربًا وبمحمد نبيًا ورسولا، استجيبوا لله وللرسول بالطاعة إذا دعاكم لما يحييكم من الحق، ففي الاستجابة إصلاح حياتكم في الدنيا والآخرة"[٤٧٢٥].

وفي قوله تعالى:{إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ} [الأنفال : ٢٤]، أقوال:

أحدها : إذا دعاكم إلى الإيمان ، قاله السدي[٤٧٢٦].

والثاني : إذا دعاكم إلى الحق ، قاله مجاهد[٤٧٢٧].

والثالث : إذا دعاكم إلى ما في القرآن ، قاله قتادة[٤٧٢٨].

والرابع : إذا دعاكم إلى الحرب وجهاد العدو ، قاله ابن إسحاق[٤٧٢٩].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قولُ من قال : معناه : استجيبوا لله وللرسول بالطاعة ، إذا دعاكم الرسول لما يحييكم من الحق. وذلك أن ذلك إذا كان معناه ، كان داخلا فيه الأمر بإجابتهم لقتال العدو والجهاد ، والإجابة إذا دعاكم إلى حكم القرآن ، وفي الإجابة إلى كل ذلك حياة المجيب. أما في الدنيا ، فبقاء الذكر الجميل ، وذلك له فيه حياة. وأما في الآخرة ، فحياة الأبد في الجنان والخلود فيها."[٤٧٣٠].

قوله تعالى:{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} [الأنفال : ٢٤]، أي:" واعلموا -أيها المؤمنون- أن الله تعالى هو المتصرف في جميع الأشياء، والقادر على أن يحول بين الإنسان وما يشتهيه قلبه، فهو سبحانه الذي ينبغي أن يستجاب له إذا دعاكم; إذ بيده ملكوت كل شيء"[٤٧٣١].

وفي قوله تعالى:{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ} [الأنفال : ٢٤]، سبعة أقوال:

أحدها : يحول بين الكافر والإيمان ، وبين المؤمن والكفر ، قاله سعيد بن جبير[٤٧٣٢]، والضحاك[٤٧٣٣]، ومجاهد-في أحد قوليه-[٤٧٣٤].

الثاني : يحول بين المرء وعقله، فلا يدري ما يعمل ، قاله مجاهد[٤٧٣٥].

الثالث : يحول بين المرء وقلبه أن يقدر على إيمان أو كفر إلا بإذنه ، قاله السدي[٤٧٣٦].

(٤٧٢٤) التفسير الميسر:١٧٩.

(٤٧٢٥) التفسير الميسر:١٧٩.

(٤٧٢٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٨٦٧):ص٤٦٣/١٣.

(٤٧٢٧) انظر: تفسير الطبري(١٥٨٦٨)- (١٥٨٧١):ص٤٦٤/١٣.

(٤٧٢٨) انظر: تفسير الطبري(١٥٨٧٢):ص٤٦٤/١٣-٤٦٥.

(٤٧٢٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٨٧٣):ص٤٦٥/١٣.

(٤٧٣٠)أخرجه أحمد (٤١٢/٢، رقم ٩٣٣٤) ، والترمذى (١٥٥/٥، رقم ٢٨٧٥) وقال: حسن صحيح. والحاكم (٧٤٥/١، رقم ٢٠٥١).

(٤٧٣١) التفسير الميسر:١٧٩.

(٤٧٣٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٨٧٦):ص٤٦٨/١٣.

(٤٧٣٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٨٨٢)-(١٥٨٨٨):ص٤٦٨/١٣-٤٦٩.

(٤٧٣٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٨٩١):ص٤٧٠/١٣.

(٤٧٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٨٩٥)-(١٥٨٩٩):ص٤٧٠/١٣-٤٧١.

(٤٧٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٠١):ص٤٧١/١٣.

الرابع : معناه: أنه قريب من قلبه يحول بينه وبين أن يخفى عليه شيء من سره أو جهره فصار أقرب من حبل الوريد ، وهذا تحذير شديد ، قاله قتادة[٤٧٣٧].

وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال : إن ذلك خبرٌ من الله عز وجل أنه أملك لقلوب عباده منهم ، وأنه يحول بينهم وبينها إذا شاء ، حتى لا يقدر ذو قلب أن يُدرك به شيئًا من إيمان أو كفر ، أو أن يَعِي به شيئًا ، أو أن يفهم ، إلا بإذنه ومشيئته. وذلك أن " الحول بين الشيء والشيء " ، إنما هو الحجز بينهما ، وإذا حجز جل ثناؤه بين عبد وقلبه في شيء أن يدركه أو يفهمه ، لم يكن للعبد إلى إدراك ما قد منع الله قلبَه إدراكَه سبيلٌ. وإذا كان ذلك معناه ، دخل في ذلك قول من قال : " يحول بين المؤمن والكفر ، وبين الكافر والإيمان " ، وقول من قال : «يحول بينه وبين عقله»، وقول من قال : «يحول بينه وبين قلبه حتى لا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه»، لأن الله عز وجل إذا حال بين عبد وقلبه ، لم يفهم العبد بقلبه الذي قد حيل بينه وبينه ما مُنِع إدراكه به على ما بيَّنتُ. غير أنه ينبغي أن يقال : إن الله عم بقوله : {واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه} ، الخبرَ عن أنه يحول بين العبد وقلبه ، ولم يخصص من المعاني التي ذكرنا شيئًا دون شيء ، والكلام محتمل كل هذه المعاني ، فالخبر على العموم حتى يخصه ما يجب التسليم له"[٤٧٣٨].

القرآن

{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥)} [الأنفال : ٢٥]

التفسير:

واحذروا -أيها المؤمنون- اختبارًا ومحنة يُعَمُّ بها المسيء وغيره لا يُخَص بها أهل المعاصي ولا مَن باشر الذنب، بل تصيب الصالحين معهم إذا قدروا على إنكار الظلم ولم ينكروه، واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره ونهيه.

في سبب نزول الآية وجوه:

أحدها: عن الحسن؛ قال: "نزلت في علي وعثمان وطلحة والزبير -رضي الله عنهم- "[٤٧٣٩]. [ضعيف]

الثاني: عن السدي؛ قال: "نزلت في أهل بدر خاصة، وأصابتهم يوم الجمل فاقتتلوا"[٤٧٤٠]. [ضعيف جداً]

الثالث: عن الضحاك؛ قال: "نزلت في أصحاب محمد - صلى الله عليه وسلم – خاصة"[٤٧٤١]. [ضعيف جداً]

قوله تعالى:{وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً} [الأنفال : ٢٥]، أي:" واحذروا -أيها المؤمنون- اختبارًا ومحنة يُعَمُّ بها المسيء وغيره لا يُخَص بها أهل المعاصي ولا مَن باشر الذنب، بل تصيب الصالحين معهم إذا قدروا على إنكار الظلم ولم ينكروه"[٤٧٤٢].

عن الضحاك في قوله: "{واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم}، قال: تصيب الصالح والظالم عامة"[٤٧٤٣]. وروي عن حبيب بن أبي ثابت نحو ذلك[٤٧٤٤].

عن مجاهد:"{واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة}، قال:هى أيضًا لكم"[٤٧٤٥].

(٤٧٣٧) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٠٢):ص٤٧١/١٣.

(٤٧٣٨) تفسير الطبري:٤٧١/١٣-٤٧٢.

(٤٧٣٩)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٠٣):ص٤٧٣/١٣ بسند صحيح إلى الحسن بن أبي جعفر ثنا داود بن أبي هند عن الحسن.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ لإرساله، وضعف الحسن بن أبي جعفر.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٤٦) وزاد نسبته لابن المنذر.

(٤٧٤٠)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٠٧):ص٤٧٤/١٣ من طريق أسباط عنه به.

قلنا: وسنده ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف أسباط بن نصر.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٤٦) وزاد نسبته لأبي الشيخ.

(٤٧٤١)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (/ ٤٦) وزاد نسبه لعبد بن حميد.

وسنده ضعيف؛ لإعضاله.

(٤٧٤٢) التفسير الميسر:١٧٩.

(٤٧٤٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٦٥):ص١٦٨٢/٥.

(٤٧٤٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٦٨٢/٥ . حكاه دون ذكر الإسناد.

(٤٧٤٥) أخرجه الطبري(١٥٩١٠):ص٤٧٥/١٣.

عن الحسن قال : قال الزبير : "لقد خُوِّفنا، بها يعني: قوله :{واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة}"[٤٧٤٦].

قوله تعالى:{وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال : ٢٥]، أي:" واعلموا أن الله شديد العقاب لمن خالف أمره ونهيه"[٤٧٤٧].

عن علي بن زيد، قال: "تلا مطرف هذه الآية: {شديد العقاب}، قال: لو يعلم الناس قدر عقوبة الله، ونقمة الله، وبأس الله، ونكال الله، لما رقأ لهم دمع، وما قرت أعينهم بشيء"[٤٧٤٨].

القرآن

{وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٢٦)} [الأنفال : ٢٦]

التفسير:

واذكروا أيها المؤمنون نِعَم الله عليكم إذ أنتم بـ «مكة» قليلو العدد مقهورون، تخافون أن يأخذكم الكفار بسرعة، فجعل لكم مأوى تأوون إليه وهو «المدينة» ، وقوَّاكم بنصره عليهم يوم «بدر» ، وأطعمكم من الطيبات -التي من جملتها الغنائم-; لكي تشكروا له على ما رزقكم وأنعم به عليكم.

قوله تعالى:{وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ} [الأنفال : ٢٦]، أي:" واذكروا أيها المؤمنون نِعَم الله عليكم إذ أنتم بـ «مكة» قليلو العدد مقهورون"[٤٧٤٩].

عن معمر، عن الكلبي، أو قتادة أو كليهما في قوله تعالى: "{واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض} [الأنفال: ٢٦]: أنها في يوم بدر كانوا يومئذ يخافون أن يتخطفهم الناس , فآواهم الله وأيدهم بنصره "[٤٧٥٠].

قوله تعالى:{تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ} [الأنفال : ٢٦]، أي:" تخافون أن يأخذكم الكفار بسرعة"[٤٧٥١].

قال قتادة:" كان هذا الحي من العرب أذلَّ الناس ذلا وأشقاهُ عيشًا، وأجوعَه بطونًا، وأعراه جلودًا، وأبينَه ضلالا مكعومين، على رأس حجر، بين الأسدين فارس والروم، ولا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقيًّا، ومن مات منهم رُدِّي في النار، يوكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلا من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشرَّ منهم منزلا حتى جاء الله بالإسلام، فمكن به في البلاد، ووسَّع به في الرزق، وجعلكم به ملوكًا على رقاب الناس. فبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا الله على نعمه، فإن ربكم منعمٌ يحب الشكر، وأهل الشكر في مزيد من الله تبارك وتعالى"[٤٧٥٢].

وفي قوله تعالى:{تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ} [الأنفال : ٢٦]، وجهان:

أحدهما : يعني: بالناس كفار قريش ، قاله عكرمة[٤٧٥٣]، وقتادة[٤٧٥٤].

الثاني : فارس والروم ، قاله وهب بن منبه[٤٧٥٥]، وهو مروي عن قتادة أيضا[٤٧٥٦].

وأولى القولين في ذلك بالصواب ، قولُ من قال: عُني بذلك مشركو قريش، لأن المسلمين لم يكونوا يخافون على أنفسهم قبل الهجرة من غيرهم ، لأنهم كانوا أدنى الكفار منهم إليهم ، وأشدَّهم عليهم يومئذ ، مع كثرة عددهم ، وقلة عدد المسلمين"[٤٧٥٧].

(٤٧٤٦) أخرجه الطبري(١٥٩١٣):ص٤٧٥/١٣.
(٤٧٤٧) التفسير الميسر:١٧٩.
(٤٧٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٥):ص٣٤٥/١.
(٤٧٤٩) التفسير الميسر:١٨٠.
(٤٧٥٠) تفسير عبدالرزاق(١٠٠٧):ص١٢٠/٢.
(٤٧٥١) التفسير الميسر:١٨٠.
(٤٧٥٢) أخرجه الطبري(١٥٩١٩):ص٤٧٨/١٣-٤٧٩.
(٤٧٥٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٩١٤):ص٤٧٧/١٣.
(٤٧٥٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٩١٦):ص٤٧٨/١٣.
(٤٧٥٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٩١٨):ص٤٧٨/١٣.
(٤٧٥٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٩١٩):ص٤٧٨/١٣-٤٧٩.
(٤٧٥٧) تفسير الطبري:٤٧٩/١٣.

قوله تعالى:{فَآوَاكُمْ} [الأنفال : ٢٦]، أي:" فجعل لكم مأوى تأوون إليه وهو «المدينة»"[٤٧٥٨].
عن السدي : "{فآواكم}، قال : إلى الأنصار بالمدينة"[٤٧٥٩].
عن عكرمة : "{فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات} ، يعني بالمدينة"[٤٧٦٠].
قوله تعالى:{وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ} [الأنفال : ٢٦]، أي:" وقوَّاكم بنصره عليهم يوم «بدر»"[٤٧٦١].
عن السدي : "{وأيدكم بنصره}، وهؤلاء أصحابُ محمد صلى الله عليه وسلم ، أيدهم بنصره يوم بدر"[٤٧٦٢].

القرآن
{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧)} [الأنفال : ٢٧]
التفسير:
يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تخونوا الله ورسوله بترك ما أوجبه الله عليكم وفِعْل ما نهاكم عنه، ولا تفرطوا فيما ائتمنكم الله عليه، وأنتم تعلمون أنه أمانة يجب الوفاء بها.
في سبب نزول هذه الآية الكريمة والتي بعدها، وجوه:
أحدها: عن جابر: "أن أبا سفيان خرج من مكة، فأتى جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لأصحابه: "إن أبا سفيان في مكان كذا وكذا؛ فاخرجوا إليه واكتموا"، قال: فكتب رجل من المنافقين إلى أبي سفيان: أن محمداً يريدكم؛ فخذوا حذركم؛ فأنزل الله - تعالى-: {لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ}"[٤٧٦٣]. [ضعيف]
والثاني: عن الزهري؛ قوله: {لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ}؛ قال: نزلت في أبي لبابة بعثه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأشار إلى حلقه أنه الذبح، قال الزهري: فقال أبو لبابة: والله لا أذوق طعاماً ولا شراباً حتى أموت أو يتوب الله عليّ، فمكث سبعة أيام لا يذوق طعاماً ولا شراباً حتى خرّ مغشياً عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل: يا أبا لبابة قد تيب عليك، قال: والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو الذي يحلني، فجاءه فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: إن من توبتي أن أهجر دار قومي التي أصبت بها الذنب وأن أنخلع من مالي، قال: يجزئك الثلث أن تصدق به"[٤٧٦٤]. [ضعيف]
وروي عن لبابة بنت أبي لبابة؛ قالت: "كنت أنا صاحبته فكان يقول: شدي وثاق عدو الله الذي خان الله ورسوله، فمر به أبو رفاعة بن عبد المنذر فناداه: يا أخي، هلم أكلمك؟ فقال: لا، والله لا أكلمك أبداً، حتى يرضي الله عنك ورسوله، فسأل عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: هو في المسجد وأخبروه بخبره، فقال: "لو جاءني؛ لكان لي فيه أمر"؛ فنزلت: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ} الآية، ونزلت الآية الأخرى فيه: {وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ} [التوبة: ١٠٦]"[٤٧٦٥]. [ضعيف]

(٤٧٥٨) التفسير الميسر:١٨٠.
(٤٧٥٩) أخرجه الطبري(١٥٩٢٠):ص٤٧٩/١٣.
(٤٧٦٠) أخرجه الطبري(١٥٩٢١):ص٤٧٩/١٣.
(٤٧٦١) التفسير الميسر:١٨٠.
(٤٧٦٢) أخرجه الطبري(١٥٩٢٠):ص٤٧٩/١٣.
(٤٧٦٣)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٢٢):ص٤٨٠/١٣: ثنا القاسم بن بشر بن معروف ثنا شبابة بن سوار ثنا محمد بن المحرم قال: لقيت عطاء بن أبي رباح فحدثني قال: حدثني جابر (فذكره).
قلنا: محمد هذا لم نجد له ترجمة بعد طول بحث.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٤٨) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ.
وقال الحافظ ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٣/ ٣١٣): "هذا حديث غريب جداً، وفي سنده وسياقه نظر".
(٤٧٦٤)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٢٣):ص٤٨١/١٣-٤٨٢، من طريق سنيد صاحب "التفسير": ثني أبو سفيان عن معمر عن الزهري به.
قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ فيه علتان:
الأولى: الإرسال.
الثانية: سنيد صاحب "التفسير" ضعيف؛ كما تقدم مراراً، ثم إن أبا سفيان هذا لم نعرفه.
(٤٧٦٥)أخرجه أبو نعيم الأصبهاني في "معرفة الصحابة" (٦/ ٣٤٣٧، ٣٤٣٨ رقم ٧٨٢٨) من طريق بهلول بن مورق -وفي المطبوع: مرزوق، وهو خطأ؛ فليحرر-: ثنا موسى بن عبيدة عن سعيد بن جبير -وفي المطبوع: جبريل!! - مولى أبي لبابة ويعقوب بن زيد عن لبابة به.

عن عكرمة؛ قال: "لما كان شأن بني قريظة، بعث إليهم النبي - صلى الله عليه وسلم - علياً -رضي الله عنه- فيمن كان عنده من الناس انتهى إليهم؛ وقعوا في رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وجاء جبريل - عليه السلام- إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على فرس أبلق، فقالت عائشة -رضي الله عنها-: فلكأني أنظر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسح الغبار عن وجه جبريل -عليه السلام-، فقلت: هذا دحية يا رسول الله؟ قال: "هذا جبريل"، فقال: يا رسول الله! ما يمنعك من بني قريظة أن تأتيهم؟ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "فكيف لي بحصنهم؟ "، فقال جبريل -عليه السلام-: "إني أدخل فرشي هذا عليهم"، فركب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فرساً معروراً، فلما رآه علي -رضي الله عنه-، قال: يا رسول الله! لا عليك أن لا تأتيهم؛ فإنهم يشتمونك، فقال: "كلا إنها ستكون تحية"، فأتاهم النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: "يا إخوة القردة والخنازير!! "؛ فقالوا: يا أبا القاسم ما كنت فحاشاً. . .؟! فقالوا: لا ننزل على حكم محمد - صلى الله عليه وسلم - ولكننا ننزل على حكم سعد بن معاذ، فنزلوا؛ فحكم فيهم: أن تقتل مقاتلتهم، وتسبي ذراريهم؛ فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "بذلك طرقني الملك سحراً"؛ فنزل فيهم: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧)}؛ نزلت في أبي لبابة -رضي الله عنه-، أشار إلى بني قريظة حين قالوا: ننزل على حكم سعد بن معاذ -رضي الله عنه-، لا تفعلوا؛ فإنه الذبح، وأشار بيده إلى حلقه"[٤٧٦٦]. [ضعيف]

وروي عن عبد الله بن أبي قتادة، يقول: "نزلت: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٧)} في أبي لبابة "[٤٧٦٧]. [ضعيف]

والثالث: عن المغيرة بن شعبة؛ قال: "نزلت هذه الآية في قتل عثمان"[٤٧٦٨]. [ضعيف جداً]

والصحيح أن الآية عامة ، وإن صح أنها وردت على سبب خاص ، فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء. والخيانة تعم الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية[٤٧٦٩].

قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ} [الأنفال : ٢٧]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تخونوا الله ورسوله بترك ما أوجبه الله عليكم وفِعْل ما نهاكم عنه"[٤٧٧٠].

قال ابن إسحاق:" أي: لا تظهروا لله من الحق ما يرضى به منكم، ثم تخالفوه في السر إلى غيره، فإن ذلك هلاك لأماناتكم، وخيانة لأنفسكم"[٤٧٧١].

قال السدي:" فإنهم إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم"[٤٧٧٢].

قال السدي:" كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين"[٤٧٧٣].

قلنا: وهذا سند ضعيف؛ موسى بن عبيدة ضعيف؛ كما في "التقريب".

وبه أعله الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في "الإصابة" (٤/ ٣٩٩).

(٤٧٦٦)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٤٩) ونسبه لابن مردويه.

قلنا: وهو ضعيف؛ لإرساله.

(٤٧٦٧)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٢٤):ص٤٨٢/١٣، وسعيد بن منصور في "سننه" (٥/ ٢٠٥ رقم ٩٨٧)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٨٤ رقم ٨٩٧٥) من طريق ابن عيينة ثنا إسماعيل بن أبي خالد قال: سمعت عبد الله بن أبي قتادة به.

قلنا: وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات؛ لكنه مرسل.

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٤٨) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ.

(٤٧٦٨)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٢٥):ص٤٨٢/١٣: ثني الحارث بن أبي أسامة ثنا عبد العزيز بن أبان ثنا يونس بن الحارث الطائفي ثنا محمد بن عبد الله بن عون الثقفي عن المغيرة به.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف جداً؛ فيه علل:

الأولى: عبد العزيز بن أبان؛ متروك الحديث، وكذبه ابن معين وغيره؛ كما في "التقريب".

الثانية: يونس بن الحارث الطائفي؛ ضعيف؛ كما في "التقريب".

الثالثة: محمد بن عبد الله هذا لم نعرفه ولم نجد له ترجمة.

(٤٧٦٩) تفسير ابن كثير:٤/٤١.

(٤٧٧٠) التفسير الميسر:١٨٠.

(٤٧٧١) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٢٩):ص٤٨٤/١٣.

(٤٧٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٢٨):ص٤٨٤/١٣.

(٤٧٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٢٧):ص٤٨٣/١٣.

عن الحسن:" لا تخونوا الله سبحانه والرسول عليه السلام كما صنع المنافقون في خيانتهم"[٤٧٧٤].
قوله تعالى:{وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ} [الأنفال : ٢٧]، أي:" ولا تفرطوا فيما ائتمنكم الله عليه"[٤٧٧٥].
قال يزيد بن أبي حبيب:" هذا الإخلال بالسلاح في البعوث"[٤٧٧٦].

القرآن

{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨)} [الأنفال : ٢٨]

التفسير:

واعلموا -أيها المؤمنون- أن أموالكم التي استخلفكم الله فيها، وأولادكم الذين وهبهم الله لكم اختبار من الله وابتلاء لعباده; ليعلم أيشكرونه عليها ويطيعونه فيها، أو ينشغلون بها عنه؟ واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم لمن اتقاه وأطاعه.

قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [الأنفال : ٢٨]، أي:" واعلموا أن الله عنده خير وثواب عظيم لمن اتقاه وأطاعه"[٤٧٧٧].

عن الحسن، وسعيد بن جبير، وعكرمة والضحاك وقتادة: " {أجر عظيم}: الجنة" [٤٧٧٨].
عن سعيد بن جبير: "{أجر عظيم}، يعني: جزاء وافرا"[٤٧٧٩].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)} [الأنفال : ٢٩]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه إن تتقوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه يجعل لكم فصلا بين الحق والباطل، ويَمحُ عنكم ما سلف من ذنوبكم ويسترها عليكم، فلا يؤاخذكم بها. والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع.

قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} [الأنفال : ٢٩]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه إن تتقوا الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه يجعل لكم فصلا بين الحق والباطل"[٤٧٨٠].

وفي قوله تعالى:{إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} [الأنفال : ٢٩]، أقوال:
أحدها : معنى {فرقاناً}، أي: هداية وفصلا في قلوبكم، تفرقون بها بين الحق والباطل ، قاله ابن إسحاق[٤٧٨١].
الثاني : يعني: مخرجاً في الدنيا والآخرة ، قاله مجاهد[٤٧٨٢]، وعكرمة[٤٧٨٣]، والضحاك[٤٧٨٤].
الثالث : يعني نجاة ، قاله مجاهد أيضا[٤٧٨٥]، وقتادة[٤٧٨٦]، وعكرمة[٤٧٨٧]، والسدي[٤٧٨٨].

(٤٧٧٤) انظر: النكت والعيون:٣١٠/٢.
(٤٧٧٥) التفسير الميسر:١٨٠.
(٤٧٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٨٢):ص١٦٨٥/٥.
(٤٧٧٧) التفسير الميسر:١٨٠.
(٤٧٧٨)تفسير ابن أبي حاتم (٤٥١٥): ص ٣/ ٨١٧.
(٤٧٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٨٧):ص١٦٨٥/٥.
(٤٧٨٠) التفسير الميسر:١٨٠.
(٤٧٨١) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٥٥):ص٤٩٠/١٣.
(٤٧٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٣٦)-(١٥٩٤١):ص٤٨٨/١٣-٤٨٩.
(٤٧٨٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٤٨):ص٤٨٩/١٣.
(٤٧٨٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٤٥)، و(١٥٩٤٦):ص٤٨٩/١٣.
(٤٧٨٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٥٠):ص٤٨٩/١٣-٤٩٠.
(٤٧٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٥٣):ص٤٩٠/١٣.
(٤٧٨٧) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٤٥):ص٤٨٩/١٣.
(٤٧٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٥١):ص٤٩٠/١٣.

والقول الأول أعم مما تقدم وقد يستلزم ذلك كله ؛ فإن من اتقى الله بفعل أوامره وترك زواجره ، وفق لمعرفة الحق من الباطل ، فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا ، وسعادته يوم القيامة ، وتكفير ذنوبه - وهو محوها - وغفرها : سترها عن الناس - سببًا لنيل ثواب الله الجزيل ، كما قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [الحديد : ٢٨][٤٧٨٩].

قوله تعالى:{وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ} [الأنفال : ٢٩]، أي:" ويَمحُ عنكم ما سلف من ذنوبكم ويسترها عليكم، فلا يؤاخذكم بها"[٤٧٩٠].

عن مجاهد في قوله :"{يغفر} الكثير من الذنوب لمن يشاء"[٤٧٩١]. وروي عن الثوري مثل ذلك[٤٧٩٢].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ} [الأنفال : ٢٩]، أي:" والله ذو الإحسان والعطاء الكثير الواسع"[٤٧٩٣].

عن سعيد بن جبير قوله: "{العظيم}، يعني: وافرا"[٤٧٩٤].

القرآن

{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)}

[الأنفال : ٣٠]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- حين يكيد لك مشركو قومك بـ «مكَّة» ; ليحبسوك أو يقتلوك أو ينفوك من بلدك. ويكيدون لك، وردَّ الله مكرهم عليهم جزاء لهم، ويمكر الله، والله خير الماكرين.

في سبب نزول الآية وجهان:

أحدهما: عن المطلب بن أبي وداعة: "أن أبا طالب قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ما يأتمر به قومك، قال: "يريدون أن يسحروني ويقتلوني ويخرجوني"، فقال: من أخبرك بهذا؟ قال: "ربي"، قال: نعم، الرب ربك فاستوص به خيراً، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "أنا أستوصي به، بل هو يستوصي بي خيراً"؛ فنزلت: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)}"[٤٧٩٥]. [حسن]

الثاني: عن معاوية بن قرة: "أن قريشاً اجتمعت في بيت، وقالوا: لا يدخل معكم اليوم إلا من هو منكم، فجاء إبليس فقال له: من أنت؟ قال: شيخ من أهل نجد، وأنا ابن أختكم، فقالوا: ابن أخت القوم منهم، فقال بعضهم: أوثقوه، فقال: أيرضى بنو هاشم بذلك؟ فقال بعضهم: أخرجوه، فقال: يؤويه غيركم، فقال أبو جهل: ليجتمع من

(٤٧٨٩) تفسير ابن كثير:٤٣/٤.

(٤٧٩٠) التفسير الميسر:١٨٠.

(٤٧٩١) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٩٩١):ص١٦٨٦/٥.

(٤٧٩٢) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٦٨٦/٥ حكاه دون ذكر الإسناد.

(٤٧٩٣) التفسير الميسر:١٨٠.

(٤٧٩٤) أخرجه ابن ابي حاتم(٨٩٩٣):ص١٦٨٦/٥.

(٤٧٩٥)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٦٣): ص٤٩٢/١٣، ثني محمد بن إسماعيل البصري ثنا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي رواد عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن المطلب.

قلنا: وهذا إسناد حسن -إن شاء الله-؛ رجاله ثقات؛ عدا عبد المجيد هذا فيه كلام طويل، ولخصه الحافظ بقوله: "صدوق يخطئ"، وهو أثبت الناس في ابن جريج، وعنعنة ابن جريج عن عطاء خاصة محمولة على الاتصال.

قال الحافظ ابن كثير في "تفسير القرآن العظيم" (٢/ ٣١٤): "وذكر أبي طالب في هذا غريب جداً، بل منكر؛ لأن هذه الآية مدنية، ثم إن هذه القصة واجتماع قريش على هذا الائتمان والمشاورة على الإثبات أو النفي أو القتل إنما كان ليلة الهجرة سواء، وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين لما تمكنوا منه واجترأوا عليه بسبب موت عمه أبي طالب الذي كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه، والدليل على صحة ما قلنا. ." ثم ذكر حديث ابن عباس الواهي الذي ذكرنا آنفاً.

قلنا: حديث المطلب هذا من حيث السند أقوى من حديث ابن عباس جزماً، وإن كان في حديث المطلب بعض النكارة لا نحكم عليه كله؛ تماماً كحديث بحيرة الراهب الذي فيه جملاً مستنكرة ومع ذلك؛ فالمحدثين من أهل العلم صححوه؛ لصحة سنده، وأنكروا بعض ما فيه؛ لمخالفته للصحيح والواقع.

كل بني أبي رجل فيقتلوه، فقال إبليس: هذا الأمر الذي قال الفتى؛ فأنزل الله -تعالى- هذه الآية: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)}"[٤٧٩٦].

وفي السياق نفسه روي عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "أن نفراً من قريش من أشراف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة، فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل، فلما رأوه؛ قالوا: من أنت؟ قال: شيخ من نجد، سمعت أنكم اجتمعتم؛ فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم مني رأي ونصح، قالوا: أجل أدخل، فدخل معهم، فقال: انظروا في شأن هذا الرجل، والله ليوشكن أن يؤاتيكم في أموركم بأمره، قال: فقال قائل: احبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء؛ زهير، والنابغة، إنما هو كأحدهم، قال: فصرخ عدو الله الشيخ النجدي، فقال: والله ما هذا لكم رأي، والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه، فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيمنعوه منكم، فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم، قالوا: فانظروا في غير هذا، قال: فقال قائل: أخرجوه من بين أظهركم تستريحوا منه؛ فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع، وأين وقع إذا غاب عنكم أذاه واسترحتم، وكان أمره في غيركم، فقال الشيخ النجدي: والله ما هذا لكم برأي؛ ألم تروا حلاوة قوله، وطلاقة لسانه، وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه، والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب لتجتمعن عليكم ثم ليأتين إليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم، قالوا: صدق، والله فانظروا رأياً غير هذا، قال: فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأي ما أراكم أبصرتموه بعدما أرى غيره، قالوا: وما هو؟ قال: نأخذ من كل قبيلة غلاماً وسطاً شاباً نهداً، ثم يعطى كل غلام منهم سيفاً صارماً، ثم يضربوه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها، فلا أظن هذا الحي من بني هاشم يقدرون على حرب قريش كلها؛ فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه، فقال الشيخ النجدي: هذا والله الرأي، القول ما قال الفتى، لا أرى غيره، قال: فتفرقوا على ذلك وهم مجمعون له، قال: فأتى جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - فأمره أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه تلك الليلة، وأذن الله له عند ذلك بالخروج، وأنزل عليه بعد قدومه المدينة الأنفال، يذكره نعمه عليه وبلاءه عنده: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)} وأنزل في قولهم: تربصوا به ريب المنون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء: {أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ (٣٠)} [الطور: ٣٠]، وكان يسمى ذلك اليوم: يوم الزحمة، للذي اجتمعوا عليه من الرأي "[٤٧٩٧]. [ضعيف]

قوله تعالى:{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ} [الأنفال : ٣٠]، أي:" واذكر -أيها الرسول- حين يكيد لك مشركو قومك بـ «مكَّة» ليحبسوك"[٤٧٩٨].

وفي قوله تعالى:{وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ} [الأنفال : ٣٠]، اقوال:

أحدها : ليثبتوك في الوثاق ، قاله الحسن[٤٧٩٩]، ومجاهد[٤٨٠٠]، وقتادة[٤٨٠١]، ومقسم[٤٨٠٢]، والسدي[٤٨٠٣].

(٤٧٩٦)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٥٣) ونسبه لعبد بن حميد.

(٤٧٩٧)أخرجه ابن إسحاق في "المغازي والسير" (٢/ ٩٥) -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٦٥):ص٤٩٤/١٣- ٤٩٥، وأبو نعيم في "دلائل النبوة" (ص ١٥٦، ١٦٠)، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٨٦، ١٦٨٧ رقم ٨٩٩٤)، والبيهقي في "دلائل النبوة" (٢/ ٤٦٨، ٤٦٩) - عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس.

ومن طريق ابن إسحاق عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

قلنا: وهذا موضوع ، فالكلبي شيخ ابن إسحاق كذاب ونحوه شيخه أبو صالح.

والطريق الأولى لم يصرح ابن إسحاق فيها بالسماع وهو مدلس، ولعله أسقط الكلبي، وفي رواية لأبي نعيم حدثني من لا أتهم.

وفي رواية أخرى عنده: ثني ابن أبي نجيح عن مجاهد به.

قلنا: وهو وهم ففي الطريق إليه سلمة بن الأبرش وهو صدوق كثير الخطأ، وكذا في الطريق إليه الفضل بن غانم؛ قال ابن معين: ليس بشيء، وقال الدارقطني: ليس بشيء، وضعفه الخطيب؛ كما في "الميزان" (٣/ ٣٥٧).

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٥١) وزاد نسبته لابن المنذر.

(٤٧٩٨) التفسير الميسر:١٨٠.

(٤٧٩٩) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٥٦):ص٤٩١/١٣.

(٤٨٠٠) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٥٧):ص٤٩١/١٣.

(٤٨٠١) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٥٩):ص٤٩٢/١٣.

(٤٨٠٢) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٦٠):ص٤٩٢/١٣.

(٤٨٠٣) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٥٦):ص٤٩١/١٣.

والثاني : ليثبتوك في الحبس ، قاله عطاء[٤٨٠٤]، وعبد الله بن كثير[٤٨٠٥].
الثالث : الإثبات، هو الحبس والوَثاق. قاله السدي-أيضا-[٤٨٠٦].
قوله تعالى:{أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ} [الأنفال : ٣٠]، أي:" أو يقتلوك بالسيف ضربة رجل واحد ليتفرق دمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بين القبائل، أو ينفوك من بلدك «مكة»"[٤٨٠٧].
عن مجاهد:" {ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك}، كفار قريش حين أرادوا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم قبل أن يخرج من مكة"[٤٨٠٨].
عن عبيد بن عمير" أن أبا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم :هل تدري ما ائتمر فيك قومك؟ قال: نعم، ائتمروا أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني قال: من أخبرك هذا؟ قال: ربي، قال: نعم الرب ربك فاستوص به خيرا، قال: أنا استوصي به أو هو يستوصي بي؟"[٤٨٠٩].
قوله تعالى:{وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ} [الأنفال : ٣٠]، أي:" يحتالون ويتآمرون عليك يا محمد ويدبر لك ربك ما يبطل مكرهم ويفضح أمرهم"[٤٨١٠].
قال الحسن: "فيقولون ويقول الله"[٤٨١١].
قال الضحاك: "ويصنعون ويصنع الله"[٤٨١٢].

القرآن
{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١)} [الأنفال : ٣١]
التفسير:
وإذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا بالله آيات القرآن العزيز قالوا جهلا منهم وعنادًا للحق: قد سمعنا هذا من قبل، لو نشاء لقلنا مثل هذا القرآن، ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا -أيها الرسول- إلا أكاذيب الأولين.
سبب النزول:
عن سعيد بن جبير؛ قال: "قتل النبي - صلى الله عليه وسلم - يوم بدر صبراً عقبة بن أبي معيط وطعيمة بن عدي والنضر بن الحارث، وكان المقداد أسر النضر، فلما أمر بقتله؛ قال المقداد: يا رسول الله! أسيري، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "إنه كان يقول في كتاب الله ما يقول"، فأمر النبي - صلى الله عليه وسلم - بقتله، فقال المقداد: أسيري، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "اللهم أغن المقداد من فضلك"، فقال المقداد: هذا الذي أردت، وفيه أنزلت هذه الآية: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٣١)}"[٤٨١٣]. [ضعيف]
عن ابن جريج؛ قوله: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا}؛ قال: كان النضر بن الحارث يختلف تاجراً إلى فارس، فيمر بالعباد وهم يقرؤون الإنجيل، ويركعون ويسجدون، فجاء مكة؛ فوجد محمداً - صلى الله عليه وسلم - قد أنزل عليه وهو يركع ويسجد، فقال النضر: قد سمعنا، لو نشاء لقلنا

(٤٨٠٤) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٦١):ص٤٩٢/١٣.
(٤٨٠٥) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٦١):ص٤٩٢/١٣، و تفسير ابن أبي حاتم(٨٩٩٦):ص١٦٨٨/٥.
(٤٨٠٦) انظر: تفسير الطبري(١٥٩٦٠):ص٤٩٢/١٣.
(٤٨٠٧) انظر: صفوة التفاسير:٤٦٥/١.
(٤٨٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٩٧):ص١٦٨٨/٥.
(٤٨٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٩٩٨):ص١٦٨٨/٥.
(٤٨١٠) صفوة التفاسير:٤٦٥/١.
(٤٨١١) الكشف والبيان:٣٥٠/٤.
(٤٨١٢) الكشف والبيان:٣٥٠/٤.
(٤٨١٣)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٧٩):ص٥٠٤/١٣: ثنا محمد بن بشار بندار حدثنا محمد بن جعفر غندر ثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير به.
قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد، رجاله ثقات.
ثم أخرجه من طريق هشيم نا أبو بشر به.
وهذا إسناد صحيح كالشمس؛ لكنه مرسل.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٥٤) وزاد نسبته لابن مردويه.

مثل هذا للذي سمع من العباد؛ فنزلت: {وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا}، قال: فقص ربنا ما كانوا قالوا بمكة، وقص قولهم إذ قالوا: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ} الآية"[٤٨١٤]. [ضعيف جداً]

عن السدي؛ قال: كان النضر بن الحارث بن علقمة أخو بني عبد الدار يختلف إلى الحيرة، فيسمع سجع أهلها وكلامهم، فلما قدم مكة سمع كلام النبي - صلى الله عليه وسلم - والقرآن، فقال: {قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} يقول: أساجيع أهل الحيرة"[٤٨١٥]. [ضعيف جداً]

قوله تعالى:{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا} [الأنفال : ٣١]، أي:" وإذا تتلى على هؤلاء الذين كفروا بالله آيات القرآن العزيز"[٤٨١٦].

عن أبي مالك قوله: "{إذا}، يعني: لم يكن"[٤٨١٧].

قوله تعالى:{قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا} [الأنفال : ٣١]، أي:" العزيز قالوا جهلا منهم وعنادًا للحق: قد سمعنا هذا من قبل، لو نشاء لقلنا مثل هذا القرآن"[٤٨١٨].

قال سعيد بن جبير:" هو النضر بن الحارث"[٤٨١٩].

قوله تعالى:{إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} [الأنفال : ٣١]، أي:" ما هذا القرآن الذي تتلوه علينا -أيها الرسول- إلا أكاذيب الأولين"[٤٨٢٠].

قال قتادة:" أي: أحاديث الأولين وباطلهم"[٤٨٢١].

قال السدي:" يقول: أساجيع أهل الحيرة"[٤٨٢٢].

القرآن

{وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أو ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢)} [الأنفال : ٣٢]

التفسير:

واذكر -أيها الرسول- قول المشركين من قومك داعين الله: إن كان ما جاء به محمد هو الحق مِن عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب شديد موجع.

في سبب نزول الآيات[٣٢-٣٤]، وجوه:

أحدها: أنها نزلت في أبي جهل.

عن أنس؛ قال أبو جهل: "{اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أو ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}؛ فنزلت: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣) وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤)}"[٤٨٢٣]. [صحيح]

(٤٨١٤)أخرجه سنيد في "تفسيره" -ومن طريقه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٧٧):ص٥٠٤/١٣ -: ثني حجاج قال: قال ابن جريج. . (وذكره).

قلنا: وهذا إسناد ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف سنيد صاحب "التفسير".

(٤٨١٥)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٧٨):ص٥٠٤/١٣، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٨٩ رقم ٩٠٠٢) من طريق أسباط بن نصر عن السدي.

قلنا: وهذا إسناد ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف أسباط.

(٤٨١٦) التفسير الميسر:١٨٠.

(٤٨١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٠٠):ص١٦٨٩/٥.

(٤٨١٨) التفسير الميسر:١٨٠.

(٤٨١٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٩٠٠١):ص١٦٨٩/٥.

(٤٨٢٠) التفسير الميسر:١٨٠.

(٤٨٢١) أخرجه ابن ابي حاتم(٩٠٠٤):ص١٦٨٩/٥.

(٤٨٢٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٩٠٠٥):ص١٦٨٩/٥.

(٤٨٢٣)أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨/ ٣٠٨، ٣٠٩ رقم ٤٦٤٨، ٤٦٤٩)، ومسلم (٤/ ٢١٥٤ رقم ٢٧٩٦).

وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٥٥) ولم يعزه لمسلم؛ فليستدرك عليه.

عن قتادة؛ قال: ذكر لنا أنها نزلت في أبي جهل بن هشام"[٤٨٢٤].
الثاني: أنها نزلت في النضر بن الحارث.
عن سعيد بن جبير؛ قال: "نزلت في النضر بن الحارث"[٤٨٢٥]. [ضعيف]
عن مجاهد في قوله: {إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ}؛ قال: هو النضر بن الحارث بن كلدة "[٤٨٢٦]. [ضعيف]
عن السدي؛ قال: "فقال-يعني: النضر بن الحارث-: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ} ما يقول محمد {هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}، قال الله: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ} [المعارج: ١، ٢]"[٤٨٢٧]. [ضعيف جداً]
عن عطاء؛ قال: "قال رجل من بني عبد الدار -يقال له: النضر بن كلدة-: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}؛ فقال الله: {وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (١٦)} [ص: ١٦]، وقال: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [الأنعام: ٩٤]، وقال: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِلْكَافِرِينَ} [المعارج: ١، ٢]؛ قال عطاء: لقد نزل فيه بضع عشرة آية من كتاب الله"[٤٨٢٨]. [ضعيف]
الثالث: عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-: "أن المشركين كانوا يطوفون بالبيت، يقولون: لبيك لا شريك لك لبيك، فيقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "قد، قد"، فيقولون: لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك، ويقولون: غفرانك، غفرانك؛ فأنزل الله -تعالى-: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣)}؛ فقال ابن عباس: فيهم أمانان: نبي الله، والاستغفار؛ فذهب النبي - صلى الله عليه وسلم -، وبقي الاستغفار: {وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤)}، قال: فهذا عذاب الآخرة، قال: وذاك عذاب الدنيا"[٤٨٢٩]. [ضعيف]
الرابع: عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس؛ قالا: "قالت قريش -بعضها لبعض-: محمد أكرمه الله من بيننا، {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا} الآية، فلما أمسوا؛ ندموا على ما قالوا، فقالوا: غفرانك اللهم؛ فأنزل الله -عزّ وجلّ-: {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} إلى قولهم: {وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ

(٤٨٢٤)ذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٥٥) ونسبه لعبد بن حميد.
(٤٨٢٥)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٨١):ص٥٠٥/١٣، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٨٩ رقم ٩٠٠١) من طريق هشيم وشعبة كلاهما عن أبي بشر عن سعيد بن جبير.
قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد؛ رجاله ثقات.
وأخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٩٠ رقم ٩٠٠٨، ٩٠١٣) من طريق سفيان الثوري عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.
قلنا: وسنده ضعيف؛ لجهالة الرجل الذي لم يسم.
(٤٨٢٦)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٨٤):ص٥٠٦/١٣، من طريقين عن ابن أبي نجيح عن مجاهد.
قلنا: وهذا مرسل صحيح الإسناد.
(٤٨٢٧)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٨٦):ص٥٠٦/١٣، من طريق أسباط عنه به.
قلنا: وهذا إسناد ضعيف جداً؛ لإعضاله، وضعف أسباط.
(٤٨٢٨)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٥٩٨٤):ص٥٠٦/١٣، من طريق طلحة بن عمرو القناد عنه به.
قلنا: وهذا مرسل حسن الإسناد..
(٤٨٢٩)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٦٠٠٠):ص٥١١/١٣-٥١٢، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٩١ رقم ٩٠١٧)، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٥/ ٤٥، ٤٦) من طريق أبي حذيفة ثنا عكرمة عن أبي زميل عن ابن عباس به.
قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ أبو حذيفة هذا موسى بن مسعود النهدي؛ صدوق سيئ الحفظ، وكان يصحف.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٥٥) وزاد نسبته لابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه.
وقد أخرجه مسلم في "صحيحه" (٢/ ٨٤٣ رقم ١١٨٥) من طريق النضر بن محمد اليمامي ثنا عكرمة بن عمار ثنا أبو زميل عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: كان المشركون يقولون: لبيك لا شريك لك، قال: فيقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "ويلكم قد قد". فيقولون: إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت.
وأنت ترى أنه ليس فيه التصريح بسبب النزول؛ وهو الصواب.

يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤)}"[٤٨٣٠].
[ضعيف جداً]

أكثر المفسرين على أن هذا قول النضر بن الحارث[٤٨٣١].

قوله تعالى:{وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ} [الأنفال : ٣٢]، أي:" واذكر -أيها الرسول- قول المشركين من قومك داعين الله: إن كان ما جاء به محمد هو الحق مِن عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء"[٤٨٣٢].

قال السدي:" قال النضر بن الحارث: اللهم إن كان ما يقول محمد هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء"[٤٨٣٣].

قال ابن إسحاق:" ثم ذكر غِرَّة قريش واستفتاحهم على أنفسهم ، إذ قالوا : {اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك}، أي : ما جاء به محمد، {فأمطر علينا حجارة من السماء}، كما أمطرتها على قوم لوط"[٤٨٣٤].

عن أبي مالك قوله:"{وإذ}، فقد كان"[٤٨٣٥].

قوله تعالى:{أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأنفال : ٣٢]، أي:" أو ائتنا بعذاب شديد موجع"[٤٨٣٦].

عن ابن إسحاق:" {أو ائتنا بعذاب أليم}، أي : ببعض ما عذبت به الأمم قبلنا"[٤٨٣٧].

حكى عن معاوية:" أنه قال لرجل من أهل اليمن: ما أجهل قومك حيث قالوا: {ربنا باعد بين أسفارنا}، فقال الرجل وأجهل من قومي قومك؛ حيث قالوا: {إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم}"[٤٨٣٨].

القرآن

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (٣٣)} [الأنفال : ٣٣]

التفسير:

وما كان الله سبحانه وتعالى ليعذِّب هؤلاء المشركين، وأنت -أيها الرسول- بين ظهرانَيْهم، وما كان الله معذِّبهم، وهم يستغفرون من ذنوبهم.

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} [الأنفال : ٣٣]، أي:" وما كان الله سبحانه وتعالى ليعذِّب هؤلاء المشركين، وأنت -أيها الرسول- بين ظهرانَيْهم"[٤٨٣٩].

قال الضحاك :"يعني النبي -صلى الله عليه وسلم-"[٤٨٤٠].

وعن الضحاك أيضا: قوله: "{وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم قال: المشركون الذين بمكة"[٤٨٤١].

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال : ٣٣]، أي:" وما كان الله معذِّبهم، وهم يستغفرون من ذنوبهم"[٤٨٤٢].

(٤٨٣٠)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٦٠٠١):ص٥١٢/١٣: ثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا عبد العزيز عن أبي معشر عن يزيد به.

قلنا: وهذا إسناد واهٍ بمرة؛ فيه علل:

الأولى: عبد العزيز بن أبان؛ متروك الحديث، وكذبه ابن معين وغيره؛ كما في "التقريب".

الثانية: أبو معشر نجيح السندي؛ ضعيف، أسن واختلط.

الثالثة: الإرسال.

(٤٨٣١) تفسير السمعاني:٢٦١/٢.

(٤٨٣٢) التفسير الميسر:١٨٠.

(٤٨٣٣) أخرجه ابن ابي حاتم(٩٠٠٩):ص١٦٩٠/٥.

(٤٨٣٤) أخرجه الطبري(١٥٩٨٩):ص٥٠٧/١٣. وأخرجه ابن ابي حاتم(١٤)(٩٠١٢):ص١٦٩٠/٥ عن عروة بن الزبير.

(٤٨٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٠٦):ص١٦٨٩/٥.

(٤٨٣٦) التفسير الميسر:١٨٠.

(٤٨٣٧) أخرجه الطبري(١٥٩٨٩):ص٥٠٧/١٣، وأخرجه ابن ابي حاتم(٩٠١٤):ص١٦٩١/٥ عن عروة بن الزبير.

(٤٨٣٨) تفسير السمعاني:٢٦١/٢.

(٤٨٣٩) التفسير الميسر:١٨٠.

(٤٨٤٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠١٨):ص١٦٩١/٥.

(٤٨٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠١٩):ص١٦٩١/٥.

وفي قوله تعالى:{وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال : ٣٣]، وجهان:
أحدهما: أن هذا في قوم من المسلمين بقوا بمكة بعد هجرة الرسول، وما كان الله ليعذبهم وفيهم من يستغفر. وهذا معنى قول الضحاك[٤٨٤٣]، وأبو مالك[٤٨٤٤]، ومجاهد في أحد قوليه[٤٨٤٥].

وروي عن عكرمة :"وهم يدخلون في الإسلام"[٤٨٤٦].

عن عطية في قوله: "{وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}، يعني: المؤمنين"[٤٨٤٧].

عن السدي:" {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}، قال: قال الله تعالى لرسوله، ما كنت معذبهم وهم يستغفرون يقول: لو استغفروا وأقروا بالذنوب لكانوا مؤمنين"[٤٨٤٨].

سئل سعيد بن جبير عن "الاستغفار"، فقال:" قال الله عز وجل: {وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون}، يقول: يعملون على الغفران، وعلمت أن ناسا سيدخلون جهنم ممن يستغفرون بألسنتهم ممن يدعي الإسلام وسائر الملل"[٤٨٤٩].

الثاني: قوله:{ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ}، معناه: يصلون، يعني: بهذا أهل مكة. قاله مجاهد في قوله الآخر[٤٨٥٠].

وفي الخبر: " أن النبي قال: أنزل الله على أمانين لأمتى : {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ} [الأنفال: ٣٣] {وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: ٣٣]، فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة"[٤٨٥١].

وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: "من قال أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه ثلاثًا غفرت ذنوبه وإن كان فارًّا من الزحف"[٤٨٥٢].

وفي حكم قوله تعالى:{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ}[الأنفال : ٣٣]، قولان:
أحدها: نسختها الآية التي بعدها {وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّه} [الأنفال : ٣٤]. وهذا قول الحسن[٤٨٥٣]، وعكرمة[٤٨٥٤].

والثاني: أنها محكمة. به قال النحاس[٤٨٥٥]، والطبري[٤٨٥٦]، ومكي بن ابي طالب[٤٨٥٧]، وابن الجوزي[٤٨٥٨].

قال ابن الجوزي: " لأن النسخ لا يدخل على الأخبار، وهذه الآية بينت أن كون الرسول فيهم منع نزول العذاب بهم، وكون المؤمنين يستغفرون بينهم منع أيضا والآية التي تليها بينت استحقاقهم العذاب لصدهم عن سبيل الله، غير أن كون الرسول والمؤمنين بينهم منع من تعجيل ذلك، أو عمومه، فالعجب من مدعي النسخ"[٤٨٥٩].

القرآن

{وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٣٤)} [الأنفال : ٣٤]

(٤٨٤٢) التفسير الميسر:١٨٠.
(٤٨٤٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٦٩٢/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٤٨٤٤) انظر: تفسير ابن ابي حاتم:١٦٩٢/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٤٨٤٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٩٠٢١):ص١٦٩٢/٥.
(٤٨٤٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٦٩٢/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٤٨٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٢٢):ص١٦٩٢/٥.
(٤٨٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٢٣):ص١٦٩٢/٥.
(٤٨٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٢٤):ص١٦٩٢/٥.
(٤٨٥٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٩٠٢١):ص١٦٩٢/٥.
(٤٨٥١)أخرجه الترمذى (٢٧٠/٥، رقم ٣٠٨٢) ، وقال: غريب، وإسماعيل بن مهاجر يضعف فى الحديث.
(٤٨٥٢)أخرجه الحاكم (٦٩٢/١، رقم ١٨٨٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين.
(٤٨٥٣) انظر: تفسير الطبري(١٦٠١٧):ص٥١٧/١٣.
(٤٨٥٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٠١٧):ص٥١٧/١٣.
(٤٨٥٥)انظر: الناسخ والمنسوخ: ١٥٣.
(٤٨٥٦) انظر: تفسير الطبري:٥١٨/١٣.
(٤٨٥٧) انظر: الإيضاح: ٢٥٨.
(٤٨٥٨) انظر: نواسخ القرآن:٤٤٩/٢.
(٤٨٥٩) نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٤٩/٢.

التفسير:
وكيف لا يستحقُّون عذاب الله، وهم يصدون أولياءه المؤمنين عن الطواف بالكعبة والصلاة في المسجد الحرام؟ وما كانوا أولياء الله، إنْ أولياء الله إلا الذين يتقونه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، ولكن أكثر الكفار لا يعلمون; فلذلك ادَّعوا لأنفسهم أمرًا، غيرهم أولى به.

قوله تعالى:{ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ} [الأنفال : ٣٤]، أي:" وكيف لا يستحقُّون عذاب وهم يصدون أولياءه المؤمنين عن الطواف بالكعبة والصلاة في المسجد الحرام؟ وما كانوا أولياء الله "(٤٨٦٠).

عن السدي :"{وما لهم ألا يعذبهم الله}، يقول: وكيف لا أعذبهم وهم لا يستغفرون؟"(٤٨٦١).

قوله تعالى:{إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ} [الأنفال : ٣٤]، أي:" إنْ أولياء الله إلا الذين يتقونه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه"(٤٨٦٢).

قال السدي:" هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٤٨٦٣).

عن مجاهد، في قول الله: "{إن أولياؤه إلا المتقون}، مَن كانوا، وحيث كانوا"(٤٨٦٤).

عن ابن إسحاق: "{وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون}، الذين يحرمون حرمته، ويقيمون الصلاة عنده، أي: أنت- يعني النبي صلى الله عليه وسلم- ومن آمن بك"(٤٨٦٥).

القرآن

{وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥)} [الأنفال : ٣٥]

التفسير:
وما كان صلاتهم عند المسجد الحرام إلا صفيرًا وتصفيقًا. فذوقوا عذاب القتل والأسر يوم «بدر» ; بسبب جحودكم وأفعالكم التي لا يُقْدم عليها إلا الكفرة، الجاحدون توحيد ربهم ورسالة نبيهم.

سبب النزول:

عن سعيد بن جبير؛ قال: "كانت قريش يعارضون النبي - صلى الله عليه وسلم - في الطواف، يستهزئون به، ويصفرون ويصفقون؛ فنزلت: {وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥)}"(٤٨٦٦). [ضعيف]

عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-؛ قال: "كانوا يطوفون بالبيب عراة؛ فأنزل الله: {وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٥)}؛ قال: والمكاء: الصفير، وإنما شبهوا بصفير الطير، والتصدية: التصفيق، وأنزل فيهم: {قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ} [الأعراف: ٣٢]"(٤٨٦٧). [ضعيف]

(٤٨٦٠) التفسير الميسر:١٨١.
(٤٨٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٢٨):ص١٦٩٣/٥.
(٤٨٦٢) التفسير الميسر:١٨١.
(٤٨٦٣) أخرجه الطبري(١٦٠١٨):ص٥٢٠/١٣.
(٤٨٦٤) أخرجه الطبري(١٦٠١٩):ص٥٢٠/١٣.
(٤٨٦٥) أخرجه الطبري(١٦٠٢١):ص٥٢٠/١٣.
(٤٨٦٦)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٦٠٣٥):ص٥٢٤/١٣: ثنا المثنى ثنا عبد الحميد الحماني ثنا شريك عن سالم الأفطس عن سعيد به.
قلنا: وهذا إسناد ضعيف؛ فيه ثلاث علل:
الأولى: الإرسال.
الثانية: شريك القاضي؛ ضعيف.
الثالثة: الحماني؛ حافظ متهم.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٦١) وزاد نسبته لعبد بن حميد.
(٤٨٦٧)أخرجه ابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٩٦ رقم ٩٠٤٥)، وابن مردويه في "تفسيره"؛ كما في "الدر المنثور" (٤/ ٦١) -ومن طريقه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١٠/ ١١٧، ١١٨ رقم ١١٦) - من طريق جعفر بن أبي المغيرة القمي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس به.
قلنا: وسنده حسن في الشواهد والمتابعات.
وذكره السيوطي في "الدر المنثور" (٤/ ٦١) وزاد نسبته لأبي الشيخ.

عن عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-؛ قال: "كانوا يطوفون بالبيت ويصفقون، ووصف الصفق بيده، ويصفرون، ووصف صفرهم، ويضعون خدودهم بالأرض؛ فنزلت هذه الآية"[٤٨٦٨]. [ضعيف]

قوله تعالى:{وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً} [الأنفال : ٣٥]، أي:" وما كان صلاتهم عند المسجد الحرام إلا صفيرًا وتصفيقًا"[٤٨٦٩].

قال الطبري: يقول:"{وما كان صلاتهم عند البيت} ، يعني : بيت الله العتيق {إلا مُكاء} ، وهو الصفير، {وَتَصْدِيَةً}، أي: التصفيق"[٤٨٧٠].

وفي «المكاء»، ثلاثة أقوال :

أحدها : أنه إدخال أصابعهم في أفواههم ، قاله مجاهد[٤٨٧١].

الثاني :أنه التصفيق بالأيدي. قاله قتادة[٤٨٧٢].

والثالث: أن «المكاء» هو التصفير. وهذا قول سعيد بن جبير[٤٨٧٣]، ومجاهد[٤٨٧٤]، والضحاك[٤٨٧٥]، وقتادة[٤٨٧٦]، والسدي[٤٨٧٧]، وابن زيد[٤٨٧٨]، وحجر بن عنبس [٤٨٧٩]، ومنه قول عنترة[٤٨٨٠]:

وَحَلِيلِ غَانِيَةٍ تَرَكْتُ مُجَدَّلا ... تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأَعْلَمِ

أي: تصفر بالريح لما طعنته[٤٨٨١].

عن سعيد بن جبير في قوله : " {وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية}، قال : " المكاء " ، كانوا يشبِّكون بين أصابعهم ويصفرون بها ، فذلك " المكاء " [٤٨٨٢].

وقال السدي:" «المكاء»، الصفير ، على نحو طير أبيض يقال له «المكَّاء»، يكون بأرض الحجاز"[٤٨٨٣].

وأما «التصدية»، ففيها أقوال :

أحدهما : أنه التصفيق ، قاله الحسن[٤٨٨٤]، ومجاهد[٤٨٨٥]، وقتادة[٤٨٨٦]، عطية[٤٨٨٧]، والضحاك[٤٨٨٨]، والسدي[٤٨٨٩]، وحجر بن عنبس [٤٨٩٠]، وأبو سلمة بن عبد الرحمن[٤٨٩١]، ومنه قول عمرو بن الإطنابة[٤٨٩٢]:

(٤٨٦٨)أخرجه الواحدي في "تفسيره" (ص ١٥٨) من طريق قرة عن عطية العوفي عن ابن عمر.
قلنا: وسنده ضعيف؛ لضعف عطية وتدليسه.
وقد أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٦٠٢٥)-(١٦٠٢٩):ص٥٢٣/١٣، وابن أبي حاتم في "تفسيره" (٥/ ١٦٩٥ رقم ٩٠٤٠)، وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ وابن مردويه؛ كما في "الدر المنثور" (٤/ ٦٢) مختصراً ليس فيه ذكر سبب النزول.

(٤٨٦٩) التفسير الميسر:١٨١.

(٤٨٧٠) تفسير الطبري:٥٢١/١٣-٥٢٢[بتصرف بسيط].

(٤٨٧١) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٣٧):ص٥٢٥/١٣.

(٤٨٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٤٥):ص٥٢٦/١٣.

(٤٨٧٣) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٤١):ص٥٢٥/١٣.

(٤٨٧٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٣٦):ص٥٢٤/١٣.

(٤٨٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٤٣):ص٥٢٦/١٣.

(٤٨٧٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٤٦):ص٥٢٦/١٣.

(٤٨٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٤٧):ص٥٢٦/١٣.

(٤٨٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٤٨):ص٥٢٦/١٣.

(٤٨٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٢٢):ص٥٢٢/١٣.

(٤٨٨٠) ديوانه: ٢٠٧، وسيرة بن هشام ٢ / ٣٢٦ ، والمعاني الكبير : ٩٨١ ، واللسان "مكا".

(٤٨٨١) انظر: تفسير الطبري:٥٢١/١٣.

(٤٨٨٢) أخرجه الطبري(١٦٠٤١):ص٥٢٥/١٣.

(٤٨٨٣) أخرجه الطبري(١٦٠٤٧):ص٥٢٦/١٣.

(٤٨٨٤) انظر: النكت والعيون:٣١٥/٢.

(٤٨٨٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٣٦):ص٥٢٤/١٣.

(٤٨٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٤٦):ص٥٢٦/١٣.

(٤٨٨٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٢٥):ص٥٢٣/١٣.

(٤٨٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٤٣):ص٥٢٦/١٣.

(٤٨٨٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٤٧):ص٥٢٦/١٣.

وظلوا جميعاً لهم ضجة ... مكاء لدى البيت بالتصدية

روي عن جعفر بن ربيعة قال : "سمعت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف يقول في قول الله : {وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية}، قال بكر : فجمع لي جعفر كفيه ، ثم نفخ فيهما صفيرًا ، كما قال له أبو سلمة"[٤٨٩٣].

والثاني : أنه الصد عن البيت الحرام ، قاله سعيد بن جبير[٤٨٩٤].

الثالث :أنه نوع من الصياح، كانوا يعارضون به القرآن. قاله قتادة[٤٨٩٥].

قوله تعالى:{فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ} [الأنفال : ٣٥]، أي:" فذوقوا عذاب القتل والأسر يوم «بدر» ; بسبب جحودكم وأفعالكم التي لا يُقْدم عليها إلا الكفرة، الجاحدون توحيد ربهم ورسالة نبيهم"[٤٨٩٦].

عن ابن إسحاق : "{فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون}، أي : ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل"[٤٨٩٧].

عن الضحاك:" {فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون}، يعني: أهل بدر ، عذبهم الله يوم بدر بالقتل والأسر"[٤٨٩٨].

عن ابن جريج : " {فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون}، قال : هؤلاء أهل بدر، يوم عذبهم الله"[٤٨٩٩].

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (٣٦)} [الأنفال : ٣٦]

التفسير:

إن الذين جحدوا وحدانية الله وعصوا رسوله ينفقون أموالهم فيعطونها أمثالهم من المشركين وأهل الضلال، ليصدوا عن سبيل الله ويمنعوا المؤمنين عن الإيمان بالله ورسوله، فينفقون أموالهم في ذلك، ثم تكون عاقبة نفقتهم تلك ندامة وحسرة عليهم; لأن أموالهم تذهب، ولا يظفرون بما يأمُلون مِن إطفاء نور الله والصد عن سبيله، ثم يهزمهم المؤمنون آخر الأمر. والذين كفروا إلى جهنم يحشرون فيعذبون فيها.

اختلفوا فيمن نزلت الآية على ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها نزلت في المطعمين ببدر، وكانوا اثني عشر رجلا يطعمون الناس الطعام، كل رجل يطعم يوما، وهم: عتبة وشيبة، ومنبه ونبيه ابنا الحجاج، وأبو البختري، والنضر بن الحارث، وأبو جهل وأخوه الحارث، وحكيم بن حزام وأبي بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر بن نوفل، هذا قول أبي صالح عن ابن عباس[٤٩٠٠].

الثاني: أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب، استأجر يوم أحد ألفين من الأحابيش لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى من استجاش من العرب، قاله سعيد بن جبير[٤٩٠١]، ومقاتل[٤٩٠٢]، والكلبي[٤٩٠٣].

(٤٨٩٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٢٢):ص٥٢٢/١٣.

(٤٨٩١) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٤٢):ص٥٢٥/١٣-٥٢٦.

(٤٨٩٢) انظر: النكت والعيون:٣١٥/٢.

في القاموس وشرحه:" والإطنابة امرأة من بنى كنانة بن القيس بن جسر بن قضاعة، وعمرو ابنها شاعر مشهور، واسم أبيه زيد مناة"..

(٤٨٩٣) أخرجه الطبري(١٦٠٣٠):ص٥٢٣/١٣.

(٤٨٩٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٤٩):ص٥٢٧/١٣.

(٤٨٩٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٤٥):ص٥٢٦/١٣.

(٤٨٩٦) التفسير الميسر:١٨١.

(٤٨٩٧) أخرجه الطبري(١٦٠٥٣):ص٥٢٨/١٣.

(٤٨٩٨) أخرجه الطبري(١٦٠٥٥):ص٥٢٨/١٣.

(٤٨٩٩) أخرجه الطبري(١٦٠٥٤):ص٥٢٨/١٣.

(٤٩٠٠)عزاه ابن الجوزي لأبي صالح عن ابن عباس، وراوية أبي صالح هو الكلبي، وقد كذبه غير واحد. انظر: زاد المسير:٢٠٩/٢.

(٤٩٠١)ورد من وجوه متعددة مرسلة. أخرجه الطبري(١٦٠٥٦):ص٥٣٠/١٣ عن سعيد بن جبير مرسلا. وكرره (١٦٠٥٧):ص٥٣٠/١٣ عن ابن أبزى مرسلا. وذكره الواحدي في «أسباب النزول»: ٤٨٢ عن سعيد بن جبير وابن أبزى مرسلا.

(٤٩٠٢)ذكره الواحدي في أسباب النزول: ٤٨١. ومقاتل يضع الحديث.

وقال مجاهد: "نزلت في نفقة أبي سفيان على الكفار يوم أحد"[٤٩٠٤].
الثالث: أنها نزلت في أهل بدر، وبه قال الضحاك[٤٩٠٥].
قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الأنفال : ٣٦]، أي:" إن الذين جحدوا وحدانية الله وعصوا رسوله ينفقون أموالهم فيعطونها أمثالهم من المشركين وأهل الضلال، ليصدوا عن سبيل الله ويمنعوا المؤمنين عن الإيمان بالله ورسوله"[٤٩٠٦].
وفي قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الأنفال : ٣٦]، قولان:
أحدهما : أنها نفقة قريش في قتال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يوم بدر ، قاله الضحاك[٤٩٠٧].
والثاني : أنه أبو سفيان استأجر معه يوم أُحد ألفين من الأحابيش ومنه كنانة ليقاتل بهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، سوى من انحاز إليه من العرب ، قاله سعيد بن جبير[٤٩٠٨]، ومجاهد[٤٩٠٩]، والحكم بن عيينة[٤٩١٠]، وابن أبزى[٤٩١١]، والسدي[٤٩١٢]، وفي ذلك يقول كعب بن مالك[٤٩١٣]:
وَجِئْنَا إِلَى مَوْجٍ مِنَ البَحْرِ وَسْطَه ... أَحَابِيشُ ، مِنْهُمْ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ
ثَلاثَةُ آلافٍ ، ونَحْنُ نَصِيَّةٌ .... ثَلاثُ مِئِينَ إن كَثُرْنَ ، فَأَرْبَعُ
والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبرَ عن الذين كفروا به من مشركي قريش ، أنهم ينفقون أموالهم ليصدُّوا عن سبيل الله. لم يخبرنا بأيّ أولئك عَنى ، غير أنه عم بالخبر {الذين كفروا}، وجائز أن يكون عَنَى المنفقين أموالهم لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بأحد وجائز أن يكون عنى المنفقين منهم ذلك ببدر وجائز أن يكون عنى الفريقين. وإذا كان ذلك كذلك ، فالصواب في ذلك أن يعمّ كما عم جل ثناؤه الذين كفروا من قريش"[٤٩١٤].
قوله تعالى:{فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً} [الأنفال : ٣٦]، أي:" فينفقون أموالهم في ذلك، ثم تكون عاقبة نفقتهم تلك ندامة وحسرة عليهم; لأن أموالهم تذهب، ولا يظفرون بما يأمُلون مِن إطفاء نور الله والصد عن سبيله"[٤٩١٥].
عن السدي :"{فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة}، يقول: ندامة يوم القيامة"[٤٩١٦].
قوله تعالى:{ثُمَّ يُغْلَبُونَ} [الأنفال : ٣٦]، أي:" ثم يهزمهم المؤمنون آخر الأمر"[٤٩١٧].
عن خلف أبي الفضل القرشي، عن كتاب عمر بن عبد العزيز قال: "قول الله: {يغلبون} فأخبرهم بعذابهم بالقتل في الدنيا والآخرة بالنار"[٤٩١٨].

القرآن

(٤٩٠٣)ذكره الواحدي في أسباب النزول: ٤٨١. والكلبي يضع الحديث.
(٤٩٠٤)مرسل. أخرجه الطبري(١٦٠٦١)،((١٦٠٦٢)):٥٣١/١٣-٥٣٢ عن مجاهد مرسلا. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٨٢- ٤٨٣ بنحوه.
(٤٩٠٥)مرسل. أخرجه الطبري(١٦٠٦٦):ص٥٣٣/١٣ عن الضحاك مرسلا.
(٤٩٠٦) التفسير الميسر:١٨١.
(٤٩٠٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٦٦):ص٥٣٣/١٣.
(٤٩٠٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٥٦):ص٥٣٠/١٣.
(٤٩٠٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٦١):ص٥٣١/١٣-٥٣٢.
(٤٩١٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٥٨):ص٥٣١/١٣.
(٤٩١١) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٥٧):ص٥٣٠/١٣.
(٤٩١٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٦٠):ص٥٣١/١٣.
(٤٩١٣) انظر: سيرة ابن هشام ٣ : ١٤١ ، طبقات فحول الشعراء : ١٨٣ ، نسب قريش : ٩ وغيرها. ويعني بقوله : " فجئنا إلى موج " ، جيش الكفار يوم أحد ، يموج موجه . وكان عدة المشركين بأحد ثلاثة آلاف . و " الحاسر " ، الذي لا درع له ، ولا بيضة على رأسه . و " المقنع " ، الدارع الذي ليس لبس سلاحه ، ووضع البيضة على رأسه. و"نصية" ، أي : خيار أشراف ، أهل جلد وقتال . يقال : " انتصى الشيء " ، اختار ناصيته ، أي أكرم ما فيه .
(٤٩١٤) تفسير الطبري:٥٣٤/١٣.
(٤٩١٥) التفسير الميسر:١٨١.
(٤٩١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٥٧):ص١٦٩٨/٥.
(٤٩١٧) التفسير الميسر:١٨١.
(٤٩١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٥٨):ص١٦٩٨/٥.

{لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٣٧)} [الأنفال : ٣٧]

التفسير:

يحشر الله ويخزي هؤلاء الذين كفروا بربهم، وأنفقوا أموالهم لمنع الناس عن الإيمان بالله والصد عن سبيله; ليميز الله تعالى الخبيث من الطيب، ويجعل الله المال الحرام الذي أُنفق للصدِّ عن دين الله بعضه فوق بعض متراكمًا متراكبًا، فيجعله في نار جهنم، هؤلاء الكفار هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

قوله تعالى:{لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} [الأنفال : ٣٧]، أي:" يحشر الله ويخزي هؤلاء الذين كفروا بربهم، وأنفقوا أموالهم لمنع الناس عن الإيمان بالله والصد عن سبيله; ليميز الله تعالى الخبيث من الطيب"(٤٩١٩).

قال السدي:" ثم ذكر المشركين ، وما يصنع بهم يوم القيامة ، فقال : {ليميز الله الخبيث من الطيب}، يقول : يميز المؤمن من الكافر ، فيجعل الخبيث بعضه على بعض"(٤٩٢٠).

قال شمر بن عطية:" يميز ما كان لله من عمل صالح من الدنيا، ثم تؤخذ الدنيا بأسرها فتلقى في جهنم"(٤٩٢١).

القرآن

{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ (٣٨)} [الأنفال : ٣٨]

التفسير:

قل -أيها الرسول- للذين جحدوا وحدانية الله مِن مشركي قومك: إن ينزجروا عن الكفر وعداوة النبي صلى الله عليه وسلم، ويرجعوا إلى الإيمان بالله وحده وعدم قتال الرسول والمؤمنين، يغفر الله لهم ما سبق من الذنوب، فالإسلام يجُبُّ ما قبله. وإن يَعُدْ هؤلاء المشركون لقتالك -أيها الرسول- بعد الوقعة التي أوقعتها بهم يوم «بدر» فقد سبقت طريقة الأولين، وهي أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم أننا نعاجلهم بالعذاب والعقوبة.

سبب النزول:

قال ابن عباس : "نزلت هذه الآية في أهل مكة بعد أن دخلها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عام الفتح وقال لهم : ما ظَنُّكُم بِي وَمَا الَّذِي تَرَونَ أَنِّي صَانِعُ بِكُم ؟، قالوا : ابن عم كريم فإن تعف فذاك الظن بك وإن تنتقم فقد أسأنا ، فقال -صلى الله عليه وسلم- : أَقُولُ لَكُمْ كَمَا قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ : {لاَ تَثْرِيبَ عَلَيكُمُ اليَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ} [يوسف : ٩٢]، فأنزل الله تعالى هذه الآية"(٤٩٢٢).

قوله تعالى:{قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} [الأنفال : ٣٨]، أي:" قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك، إن ينتهوا عن الكفر ويؤمنوا بالله ويتركا قتالك وقتال المؤمنين، يغفر لهم ما قد سلف من الذنوب والآثام"(٤٩٢٣).

قال مالك: "لا يؤخذ كافر بشيء صنعه في كفره إذا أسلم وذلك أن الله تعالى يقول: {قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنت الأولين}"(٤٩٢٤).

قوله تعالى:{وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ} [الأنفال : ٣٨]، أي:" وإن عادوا إلى قتالك وتكذيبك فقد مضت سنتي في تدمير وإهلاك المكذبين لأنبيائي، فكذلك نفعل بهم"(٤٩٢٥).

عن مجاهد قوله: "{فقد مضت سنت الأولين}، في قريش وغيرها يوم بدر والأمم قبل ذلك"(٤٩٢٦).

عن أبي مالك قوله: "{مضت}، يعني: خلت"(٤٩٢٧).

(٤٩١٩) التفسير الميسر:١٨١.
(٤٩٢٠) أخرجه الطبري(١٦٠٦٨):ص٥٣٥/١٣.
(٤٩٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٦٢):ص١٦٩٩/٥.
(٤٩٢٢) انظر: النكت والعيون:٣١٨/٢.
(٤٩٢٣) صفوة التفاسير:٤٦٧/١.
(٤٩٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٦٦):ص١٧٠٠/٥.
(٤٩٢٥) صفوة التفاسير:٤٦٧/١.
(٤٩٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٧٠):ص١٧٠٠/٥.

قال ابن إسحاق:" أي: من قتل منهم يوم بدر"[٤٩٢٨]. وروي عن [٤٩٢٩]، والسدي[٤٩٣٠] نحوه.
عن يحيى بن عباد، عن أبيه:" وإن يعودوا لحربك"[٤٩٣١].

القرآن
{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩)} [الأنفال : ٣٩]
التفسير:
وقاتلوا -أيها المؤمنون- المشركين حتى لا يكون شِرْكٌ وصدٌّ عن سبيل الله; ولا يُعْبَدَ إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله في الأرض، وحتى يكون الدين والطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره، فإن انزجروا عن قتنة المؤمنين وعن الشرك بالله وصاروا إلى الدين الحق معكم، فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون مِن ترك الكفر والدخول في الإسلام.
قوله تعالى:{وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} [الأنفال : ٣٩]، أي:" وقاتلوا -أيها المؤمنون- المشركين حتى لا يكون شِرْكٌ وصدٌّ عن سبيل الله; ولا يُعْبَدَ إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله في الأرض"[٤٩٣٢].
قال قتادة:" حتى لا يكون شرك"[٤٩٣٣]. وروي عن أبي العالية- ومجاهد والحسن وقتادة والربيع بن أنس والسدي نحوذلك[٤٩٣٤].
قال السدي:" أما الفتنة فالشرك"[٤٩٣٥].
عن أبي ظبيان قال: "جاء رجل إلى سعد فقال له: ألا تخرج تقاتل مع الناس حتى لا تكون فتنة؟ فقال سعد: قد قاتلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لم تكن فتنة، فأما أنت وذا البطين تريدون أن أقاتل حتى تكون فتنة"[٤٩٣٦]. وروي عن ابن عمر مثل ذلك [٤٩٣٧].
قوله تعالى:{وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} [الأنفال : ٣٩]، أي:" وحتى يكون الدين والطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره"[٤٩٣٨].
عن قتادة: {ويكون الدين كله لله}، قال: لا إله إلا الله"[٤٩٣٩].
قال ابن جريج:"أي: لا يفتن مؤمن عن دينه، ويكون التوحيد لله خالصًا ليس فيه شرك، ويُخلع ما دونه من الأنداد"[٤٩٤٠].
قوله تعالى:{فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الأنفال : ٣٩]، أي:" فإن انزجروا عن قتنة المؤمنين وعن الشرك بالله وصاروا إلى الدين الحق معكم، فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون مِن ترك الكفر والدخول في الإسلام"[٤٩٤١].
عن مجاهد قوله: "{فإن انتهوا}، قال: فإن تابوا"[٤٩٤٢].

(٤٩٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٦٩):ص١٧٠٠/٥.
(٤٩٢٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٧٤):ص٥٣٧/١٣.
(٤٩٢٩) انظر: النكت والعيون: ٣١٨/٢.
(٤٩٣٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٧٥):ص٥٣٧/١٣.
(٤٩٣١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٩٠٦٨):ص١٧٠٠/٥.
(٤٩٣٢) التفسير الميسر:١٨١.
(٤٩٣٣) تفسير عبدالرزاق(١٩٩):ص٣١٥/١.
(٤٩٣٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٧٠١/٥. حكاه دون ذكر الإسناد
(٤٩٣٥) أخرجه الطبري(٣١١٧):ص٥٧٠/٣.
(٤٩٣٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٩٠٧٢):ص١٧٠٠/٥-١٧٠١.
(٤٩٣٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٧٠١/٥. حكاه دون ذكر الإسناد
(٤٩٣٨) التفسير الميسر:١٨١.
(٤٩٣٩) أخرجه ابن ابي حاتم(٩٠٧٦):ص١٧٠١/٥.
(٤٩٤٠) أخرجه الطبري(١٦٠٨١):ص٥٣٩/١٣.
(٤٩٤١) التفسير الميسر:١٨١.
(٤٩٤٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٩٠٧٧):ص١٧٠١/٥.

عن إسماعيل بن أبي خالد: " قال مروان بن الحكم لأيمن بن خريم ، ألا تخرج فتقاتل معنا؟ فقال: إن أبي وعمي شهدا بدرا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فعهدا إلي أن لا أقاتل أحدا يشهد أن لا إله إلا الله، فإن جئتني ببراءة من النار قاتلت معك، قال: اذهب فلا حاجة لنا فيك".

وفي رواية أبي يعلي من طريق عامر الشعبي:" قال: لما قاتل مروان الضحاك بن قيس، أرسل إلى أيمن بن خريم الأسدي فقال: إنا نحب أن تقاتل معنا، فقال: إن أبي وعمي شهدا بدرا فعهدا إلي أن لا أقاتل أحدا يشهد أن لا إله إلا الله، فإن جئتني ببراءة قاتلت معك، قال: اذهب، ووقع في نفسه وشتمه، فأنشأ أيمن ابن خريم يقول:

"لست بقاتل رجلا يصلي ... على سلطان آخر من قريش
له سلطانه وعلي إثمي ... معاذ الله من جهل وطيش
أأقتل مسلما في غير شيء ... فلست بنافعي ما عشت عيشي"[٤٩٤٣]

القرآن

{وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ (٤٠)} [الأنفال : ٤٠]

التفسير:

وإن أعرض هؤلاء المشركون عمَّا دعوتموهم إليه -أيها المؤمنون- من الإيمان بالله ورسوله وترك قتالكم، وأبَوْا إلا الإصرار على الكفر وقتالكم، فأيقِنوا أن الله معينكم وناصركم عليهم. نِعْمَ المعين والناصر لكم ولأوليائه على أعدائكم.

قوله تعالى:{وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ} [الأنفال : ٤٠]، أي:" وإن أعرض هؤلاء المشركون عمَّا دعوتموهم إليه -أيها المؤمنون- من الإيمان بالله ورسوله وترك قتالكم، وأبَوْا إلا الإصرار على الكفر وقتالكم، فأيقِنوا أن الله معينكم وناصركم عليهم"[٤٩٤٤].

عن ابن إسحاق :"{فاعلموا أن الله مولاكم}، الذي أعزكم في اليوم الذي كان قبله، يعني: بدرا"[٤٩٤٥].

قوله تعالى:{نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ} [الأنفال : ٤٠]، أي:" نعم الله أن يكون مولاكم فإنه لا يضيع من تولاه، ونعم النصير لكم فإنه لا يُغلب من نصره الله"[٤٩٤٦].

قال ابن إسحاق :"ومولاكم {نعم المولى ونعم النصير}"[٤٩٤٧].

(٤٩٤٣)ذكره البوصيري في الإتحاف (١/ ق ٢١ أ) وقال: أيمن بن خزيم مختلف في صحبته.
وأورده الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٩٩) وعزاه إلى أبي يعلى والطبراني: ورجاله رجال الصحيح غير زكريا بن يحيي رحمويه وهو ثقة.
وللحديث طريقان طريق ابن أبي عمر وهي منقطعة لأن إسماعيل لم يدرك مروان.
والثانية طريق أبي يعلى وهي موصولة. وإنما جمعت بين الطريقين لأنهما في الحقيقة طريق واحدة لأن إسماعيل بن أبي خالد أرسل عن الشعبي إن لم يكن سقوط الشعبي من الناسخ لدليل أن ابن عبد البر روى الحديث من طريق ابن أبي عمر فرواه موصولا في ترجمة أيمن بن خزيم (١/ ٨٩).
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٦٧: ٨٥٢) من طريق عبد الله بن أبان، عن أبي أسامة، عن إسماعيل بن أبي خالد، به بنحوه وذكر البيتين الأولين دون الثالث.
ورواه ابن عبد البر في الاستيعاب (١/ ٨٩) من طريق أبي معاوية الضرير عن إسماعيل ابن أبي خالد، به بمعناه.
تخريج طريق مطرف عن الشعبي التي أخرجها أبو يعلى.
هو في مسند أبي يعلى (٢/ ٢٤٥: ٩٤٧).
ومن طريق أبي يعلى رواه ابن الأثير في أسد الغابة (١/ ١٨٩).
ورواه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٦٧: ٨٥١) من طريق شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن مطرف، به بمعناه واقتصر على البيتين الأولين.
الحكم عليه:
هذا الأثر له طرق عن الشعبي أصحها طريق أبو يعلى، ورجالها رجال الصحيح غير زكريا بن يحيي وهو ثقة.[المطالب العلية: ٢٧٣/١٢]
(٤٩٤٤) التفسير الميسر:١٨١.
(٤٩٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٩٠٨١):ص١٧٠٢/٥.
(٤٩٤٦) صفوة التفاسير:٤٦٨/١.
(٤٩٤٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٩٠٨١):ص١٧٠٢/٥.

عن الأعمش عن شقيق قال: "قال لي: يا سليمان نعم الرب ربنا لو أطعناه ما عصانا"[٤٩٤٨].

القرآن

{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١)} [الأنفال : ٤١]

التفسير:

واعلموا -أيها المؤمنون- أن ما ظَفِرتم به مِن عدوكم بالجهاد في سبيل الله فأربعة أخماسه للمقاتلين الذين حضروا المعركة، والخمس الباقي يجزَّأ خمسة أقسام: الأول لله وللرسول، فيجعل في مصالح المسلمين العامة، والثاني لذوي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، جُعِل لهم الخمس مكان الصدقة فإنها لا تحلُّ لهم، والثالث لليتامى، والرابع للمساكين الذين لا يملكون ما يكفيهم ويسد حاجتهم، والخامس للمسافر الذي انقطعت به النفقة، إن كنتم مقرِّين بتوحيد الله مطيعين له، مؤمنين بما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الآيات والمدد والنصر يوم فَرَق بين الحق والباطل بـ «بدر» ، يوم التقى جَمْعُ المؤمنين وجَمْعُ المشركين. والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

قوله تعالى:{وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ} [الأنفال : ٤١]، أي:" اعلموا أيها المؤمنون أنما غنمتوه من أموال المشركين في الحرب سواء كان قليلاً أو كثيرا"[٤٩٤٩].

عن سعيد بن جبير في قول الله :"{واعلموا أنما غنمتم من شيء}، يعني: من المشركين"[٤٩٥٠].

عن مجاهد: "{أنما غنمتم من شيء}، قال: المخيط من الشيء"[٤٩٥١].

قوله تعالى:{فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} [الأنفال : ٤١]، أي:" فحكمه أن لله خمسه"[٤٩٥٢].

عن ابن جريج: "{فأن لله خمسه}، قال: أربعة أخماس لمن حضر البأس، والخمس الباقي لله والرسول، خمسه يضعه حيث رأى، وخمسه لذوي القربى، وخمسه لليتامى، وخمسة للمساكين، ولابن السبيل خمسه"[٤٩٥٣].

وفي قوله تعالى:{فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ} [الأنفال : ٤١]، قولان:

أحدهما : أنه استفتاح كلام ، فلله الدنيا والآخرة وما فيهما ، ومعنى الكلام فأن للرسول خمسه ، قاله الحسن[٤٩٥٤]، وعطاء[٤٩٥٥]، وقتادة[٤٩٥٦]، وإبراهيم[٤٩٥٧].

قال الحسن:" هذا مفتاح كلامٍ، لله الدنيا والآخرة"[٤٩٥٨].

الثاني : أن سهم الله مستحق لبيته ، ومعناه: فإن لبيت الله خمسه وللرسول.

عن أبي العالية الرياحي، قال : " كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يؤتَى بالغنيمة، فيقسمها على خمسة، تكون أربعة أخماس لمن شهدها، ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه، فيأخذ منه الذي قبض كفه، فيجعله للكعبة، وهو سهم الله. ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم، فيكون سهم للرسول، وسهم لذي القربى، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل"[٤٩٥٩].

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قولُ من قال: قوله: {فأن لله خمسه}، «افتتاح كلام»، وذلك لإجماع الحجة على أنّ الخمس غير جائز قسمه على ستة أسهم، ولو كان لله فيه سهم، كما قال أبو العالية، لوجب أن

(٤٩٤٨) أخرجه ابن ابي حاتم(٩٠٨٠):ص١٧٠٢/٥.
(٤٩٤٩) صفوة التفاسير:٤٧٠/١.
(٤٩٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٨٣):ص١٧٠٢/٥.
(٤٩٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٠٨٤):ص١٧٠٢/٥.
(٤٩٥٢) .مفاتيح الغيب:٦٧٦/٣٠
(٤٩٥٣) أخرجه الطبري(١٦١٠٩):ص٥٥٣/١٣.
(٤٩٥٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٩٣)، و(١٦٠٩٤):ص٥٤٨/١٣
(٤٩٥٥) انظر: تفسير الطبري(١٦١٠٠):ص٥٥٠/١٣.
(٤٩٥٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٩٨):ص٥٤٩/١٣-٥٥٠.
(٤٩٥٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٠٩٦):ص٥٤٩/١٣.
(٤٩٥٨) أخرجه الطبري(١٦٠٩٣):ص٥٤٨/١٣.
(٤٩٥٩) أخرجه الطبري(١٦١-٢):ص٥٥٠/١٣-٥٥١.

يكون خمس الغنيمة مقسومًا على ستة أسهم. وإنما اختلف أهل العلم في قسمه على خمسة فما دونها، فأما على أكثر من ذلك، فما لا نعلم قائلا قاله غير الذي ذكرنا من الخبر عن أبي العالية. وفي إجماع من ذكرت، الدلالةُ الواضحةُ على صحة ما اخترنا"[٤٩٦٠].

قوله تعالى:{وَلِلرَّسُولِ} [الأنفال : ٤١]، أي:" سهم من الخمس يعطى للرسول -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم-"[٤٩٦١].

واختلفوا في سهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بعده على قولين:

أحدهما : أنه للخليفة بعده ، قاله قتادة[٤٩٦٢].

الثاني : أن ذلك مصروف في الكراع والسلاح ، وروي أن ذلك فعل أبي بكر وعمر ، رواه النخعي[٤٩٦٣].

قوله تعالى:{وَلِذِي الْقُرْبَى} [الأنفال : ٤١]، أي:" ولذوي قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، جُعِل لهم الخمس مكان الصدقة فإنها لا تحلُّ لهم"[٤٩٦٤].

قال مجاهد: "كان آل محمد صلى الله عليه وسلم لا تحل لهم الصدقة، فجعل لهم خمس الخمس"[٤٩٦٥].

عن أبي الديلم قال: "قال علي بن الحسين، رحمة الله عليه، لرجل من أهل الشأم: أما قرأت في «الأنفال»: {واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول} الآية؟ قال: نعم! قال: فإنكم لأنتم هم؟ قال: نعم!"[٤٩٦٦].

واختلفوا في سهمهم اليوم على أقوال:

أحدها : أنه جعل لوليّ أمر المسلمين. قاله قتادة[٤٩٦٧].

عن قتادة: "أنه سئل عن سهم ذي القربى فقال: كان طُعْمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان حيًّا، فلما توفي جُعل لوليّ الأمر من بعده"[٤٩٦٨].

الثاني : يُصرفان في معونة الإسلام وأهله. قاله االحسن[٤٩٦٩]، وقتادة[٤٩٧٠]، وإبراهيم[٤٩٧١].

عن قتادة: "أنه سئل عن سهم ذي القربى فقال: كان طعمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما تُوُفي، حمل عليه أبو بكر وعمر في سبيل الله، صدقةً على رسول الله صلى الله عليه وسلم"[٤٩٧٢].

عن إبراهيم قال: "كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما يجعلان سهم النبي صلى الله عليه وسلم في الكُرَاع والسلاح. فقلت لإبراهيم: ما كان علي رضي الله عنه يقول فيه؟ قال: كان عليٌّ أشدَّهم فيه"[٤٩٧٣].

الثالث: أن سهمهم وسهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مردود على باقي السهام وهي ثلاثة ، قاله أبو حنيفة[٤٩٧٤]، ونسبه الطبري إلى جماعة من أهل العراق[٤٩٧٥].

والصواب من القول في ذلك، أن سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مردودٌ في الخمس، والخمس مقسوم على أربعة أسهم، على ما روي عن ابن عباس: للقرابة سهم، ولليتامى سهم، وللمساكين سهم، ولابن السبيل سهم، لأن الله أوجبَ الخمس لأقوام موصوفين بصفات، كما أوجب الأربعة الأخماس الآخرين. وقد أجمعوا أنّ حق الأربعة الأخماس لن يستحقه غيرهم، فكذلك حق أهل الخمس لن يستحقه غيرهم. فغير جائز

(٤٩٦٠) تفسير الطبري:٥٥٢/١٣.
(٤٩٦١) صفوة التفاسير:٤٧٠/١.
(٤٩٦٢) انظر: تفسير الطبري(١٦١١٨):ص٥٥٥/١٣، والنكت والعيون:٣٢٠/٢.
(٤٩٦٣) انظر: النكت والعيون:٣٢٠/٢.
(٤٩٦٤) التفسير الميسر:١٨٢.
(٤٩٦٥) انظر: تفسير الطبري(١٦١١٠):ص٥٥٣/١٣.
(٤٩٦٦) أخرجه الطبري(١٦١١٣):ص٥٥٤/١٣.
(٤٩٦٧) انظر: تفسير الطبري(١٦١١٨):ص٥٥٥/١٣.
(٤٩٦٨) أخرجه الطبري(١٦١١٨):ص٥٥٥/١٣.
(٤٩٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٦١٢١):ص٥٥٧/١٣.
(٤٩٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٦١٢٥):ص٥٥٨/١٣.
(٤٩٧١) انظر: تفسير الطبري(١٦١٢٣):ص٥٥٧/١٣.
(٤٩٧٢) أخرجه الطبري(١٦١٢٥):ص٥٥٨/١٣.
(٤٩٧٣) أخرجه الطبري(١٦١٢٣):ص٥٥٧/١٣.
(٤٩٧٤) انظر: النكت والعيون:٣٢٠/٢-٣٢١.
(٤٩٧٥) انظر: تفسير الطبري:٥٥٩/١٣.

أن يخرج عنهم إلى غيرهم، كما غير جائز أن تخرج بعض السهمان التي جعلها الله لمن سماه في كتابه بفقد بعض من يستحقه، إلى غير أهل السهمان الأخَر"[٤٩٧٦].

وروي المنهال بن عمرو قال: "سألت عبد الله بن محمد بن علي، وعلي بن الحسين عن الخمس فقالا هو لنا. فقلت لعلي: إن الله يقول: "واليتامى والمساكين وابن السبيل"، فقالا يتامانَا ومساكيننا"[٤٩٧٧].

قوله تعالى:{إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ} [الأنفال : ٤١]، أي:" إن كنتم مقرِّين بتوحيد الله مطيعين له وبما أنزلنا على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم يوم بدر لأن الله فرق به بين الحق والباطل"[٤٩٧٨].

عن ابن إسحاق: "{وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان}، أي: يوم فرقت بين الحق والباطل بقدرتي"[٤٩٧٩].

عن ابن إسحاق: " يوم التقى الجمعان منكم ومنهم"[٤٩٨٠].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [الأنفال : ٤١]، أي:" والله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء"[٤٩٨١].

قال ابن إسحاق:" أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نقمة أو عفو فهو قدير"[٤٩٨٢].

القرآن

{إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢)} [الأنفال : ٤٢]

التفسير:

واذكروا حينما كنتم على جانب الوادي الأقرب إلى «المدينة» ، وعدوكم نازل بجانب الوادي الأقصى، وعِير التجارة في مكان أسفل منكم إلى ساحل «البحر الأحمر» ، ولو حاولتم أن تضعوا موعدًا لهذا اللقاء لاختلفتم، ولكنَّ الله جمعكم على غير ميعاد; ليقضي أمرًا كان مفعولا بنصر أوليائه، وخِذْلان أعدائه بالقتل والأسر; وذلك ليهلك من هلك منهم عن حجة لله ثبتت له فعاينها وقطعت عذره، وليحيا مَن حيَّ عن حجة لله قد ثبتت وظهرت له. وإن الله لسميع لأقوال الفريقين، لا يخفى عليه شيء، عليم بنيَّاتهم.

قوله تعالى:{إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا} [الأنفال : ٤٢]، أي:" واذكروا حينما كنتم على جانب الوادي الأقرب إلى «المدينة»"[٤٩٨٣].

عن قتادة : " {إذ أنتم بالعدوة الدنيا}، قال : شفير الوادي الأدنى"[٤٩٨٤].

قوله تعالى:{وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى} [الأنفال : ٤٢]، أي:" وعدوكم نازل بجانب الوادي الأقصى"[٤٩٨٥].

قال قتادة : " وهم بشفير الوادي الأقصى "[٤٩٨٦].

قوله تعالى:{وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ} [الأنفال : ٤٢]، أي:" وعِير التجارة في مكان أسفل منكم إلى ساحل «البحر الأحمر»"[٤٩٨٧].

عن قتادة : "{والركب أسفل منكم}، قال : أبو سفيان وأصحابه ، أسفلَ منهم "[٤٩٨٨].

(٤٩٧٦) تفسير الطبري:٥٥٩/١٣.
(٤٩٧٧) أخرجه الطبري(١٦١٢٨):ص٥٥٩/١٣.
(٤٩٧٨) التفسير الميسر:١٨٢.
(٤٩٧٩) أخرجه الطبري(١٦١٣٧):٥٦٢/١٣
(٤٩٨٠) أخرجه الطبري(١٦١٣٧):٥٦٢/١٣
(٤٩٨١) التفسير الميسر:١٨٢.
(٤٩٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٢١٤):ص٥٩/١.
(٤٩٨٣) التفسير الميسر:١٨٢.
(٤٩٨٤) أخرجه الطبري(١٦١٣٩):ص٥٦٣/١٣.
(٤٩٨٥) التفسير الميسر:١٨٢.
(٤٩٨٦) أخرجه الطبري(١٦١٣٩):ص٥٦٣/١٣.
(٤٩٨٧) التفسير الميسر:١٨٢.

وفي رواية أخرى عن قتادة:" يعني : أبا سفيان ، [انحدر بالعير على حوزته]، حتى قدم بها مكة"(٤٩٨٩).

عن مجاهد قوله :"{والركب أسفل منكم}، قال : أبو سفيان وأصحابه ، مقبلون من الشأم تجارًا ، لم يشعروا بأصحاب بدر ، ولم يشعر محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش ، ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه ، حتى التقى على ماء بدر من يسقي لهم كلهم، فاقتتلوا، فغلبهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فأسروهم"(٤٩٩٠).

قال السدي:" ذكر منازل القوم والعير فقال :{إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى}، و«الركب»: هو أبو سفيان، {أسفل منكم}، على شاطئ البحر"(٤٩٩١).

قوله تعالى:{وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ} [الأنفال : ٤٢]، أي:" ولو حاولتم أن تضعوا موعدًا لهذا اللقاء لاختلفتم، ولكنَّ الله جمعكم على غير ميعاد"(٤٩٩٢).

قال ابن إسحاق:" ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم، ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم، ما لقيتموهم"(٤٩٩٣). ورواه يحيى بن عباد عن أبيه(٤٩٩٤).

قوله تعالى:{وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} [الأنفال : ٤٢]، أي:" ليقضي أمرًا كان مفعولا بنصر أوليائه، وخِذْلان أعدائه بالقتل والأسر"(٤٩٩٥).

قال ابن إسحاق:" أي: ليقضي الله ما أراد بقدرته، من إعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله، عن غير ملأ منكم، ففعل ما أراد من ذلك بلطفه"(٤٩٩٦). ورواه يحيى بن عباد عن أبيه(٤٩٩٧).

عن يحيى بن عباد بن الزبير، عن أبيه: "{ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا}، فأخرجه الله ومن معه إلى العير لا يريد غيرها، وأخرج قريشا من مكة لا يريدون إلا الدفع عن عيرهم، ثم ألف بين القوم على الحرب، وكان لا يريد إلا العير فقال في ذلك: {ليقضي الله أمرا كان مفعولا}، ليفصل بين الحق والباطل ويعز الإسلام وأهله، ويذل الشرك وأهله"(٤٩٩٨).

قوله تعالى:{لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ} [الأنفال : ٤٢]، أي:" وذلك ليهلك من هلك منهم عن حجة لله ثبتت له فعاينها وقطعت عذره، وليحيا مَن حيَّ عن حجة لله قد ثبتت وظهرت له"(٤٩٩٩).

عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه:" {ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم}، أي: ليكفر من كفر بعد الحجة، لما رأى من الآيات والعبر، ويؤمن من آمن على مثل ذلك"(٥٠٠٠).

عن ابن إسحاق: {لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ}، " أي: ليقضي الله ما أراد بقدرته، من إعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله، عن غير ملأ منكم، ففعل ما أراد من ذلك بلطفه"(٥٠٠١).

قوله تعالى:{وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال : ٤٢]، أي:" وإن الله لسميع لأقوال الفريقين، لا يخفى عليه شيء، عليم بنيَّاتهم"(٥٠٠٢).

(٤٩٨٨) أخرجه الطبري(١٦١٣٩):ص٥٦٣/١٣.
(٤٩٨٩) أخرجه الطبري(١٦١٤٠):ص٥٦٤/١٣.
(٤٩٩٠) أخرجه الطبري(١٦١٤٢):ص٥٦٤/١٣.
(٤٩٩١) أخرجه الطبري(١٦١٤٥):ص٥٦٥/١٣.
(٤٩٩٢) التفسير الميسر:١٨٢.
(٤٩٩٣) أخرجه الطبري(١٦١٤٦):ص٥٦٦/١٣.
(٤٩٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١١٣):ص١٧٠٨/٥.
(٤٩٩٥) التفسير الميسر:١٨٢.
(٤٩٩٦) أخرجه الطبري(١٦١٤٦):ص٥٦٦/١٣.
(٤٩٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١١٤):ص١٧٠٨/٥.
(٤٩٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١١٥):ص١٧٠٨/٥.
(٤٩٩٩) التفسير الميسر:١٨٢.
(٥٠٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١١٦):ص١٧٠٨/٥.
(٥٠٠١) أخرجه الطبري(١٦١٤٦):ص٥٦٦/١٣.
(٥٠٠٢) التفسير الميسر:١٨٢.

قال محمد بن إسحاق:" أي : سميع لما يقولون، عليم بما يخفون"[٥٠٠٣].

القرآن

{إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣)} [الأنفال : ٤٣]

التفسير:

واذكر -أيها النبي- حينما أراك الله قلة عدد عدوك في منامك، فأخبرت المؤمنين بذلك، ففويت قلوبهم، واجترؤوا على حربهم، ولو أراك ربك كثرة عددهم لتردد أصحابك في ملاقاتهم، وجَبُنتم واختلفتم في أمر القتال، ولكن الله سلَّم من الفشل، ونجَّى من عاقبة ذلك. إنه عليم بخفايا القلوب وطبائع النفوس.

قوله تعالى:{إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا} [الأنفال : ٤٣]، أي:" واذكر -أيها النبي- حينما أراك الله قلة عدد عدوك في منامك، فأخبرت المؤمنين بذلك، ففويت قلوبهم، واجترؤوا على حربهم"[٥٠٠٤].

وفي قوله تعالى:{إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا} [الأنفال : ٤٣]، وجهان[٥٠٠٥]:

أحدهما : أن الله أرى نبيه -صلى الله عليه وسلم- قلة المشركين عياناً ، وقوله{فِي مَنَامِكَ} يريد في عينيك التي هي محل النوم ، قاله الحسن[٥٠٠٦].

عن الحسن:"{إذ يريكهم الله في منامك قليلا}، قال: بعينك"[٥٠٠٧].

الثاني : أنه ألقى عليه النوم وأراه قلتهم في نومه، وهو الظاهر ، وعليه الجمهور[٥٠٠٨]

قال مجاهد:"أراه الله إياهم في منامه قليلا فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بذلك ، فكان تثبيتًا لهم"[٥٠٠٩].

قال ابن إسحاق:" فكان أول ما أراه من ذلك نعمةً من نعمه عليهم ، شجعهم بها على عدوهم ، وكفَّ بها ما تُخُوِّف عليهم من ضعفهم ، لعلمه بما فيهم"[٥٠١٠].

عن عكرمة: "{إذ يريكهم الله في منامك قليلا}، الآية. قال: حرش بينهم"[٥٠١١].

قوله تعالى:{وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ} [الأنفال : ٤٣]، أي:" ولو أراك ربك عدوك كثيراً لجبن أصحابك ولم يقدروا على حرب القوم"[٥٠١٢].

قال قتادة:" يقول: لجبنتم"[٥٠١٣].

قال مجاهد:" لفشلت أنت، فرأى أصحابك في وجهك الفشل ففشلوا"[٥٠١٤].

قوله تعالى:{وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ} [الأنفال : ٤٣]، أي:" ولاختلفتم يا معشر الصحابة في أمر قتالهم"[٥٠١٥].

قال قتادة:" يقول: لجبنتم"[٥٠١٦].

قوله تعالى:{وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ} [الأنفال : ٤٣]، أي:" ولكن الله أنعم عليكم بالسلامة من الفشل والتنازع"[٥٠١٧].

(٥٠٠٣) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص١٦٥/٧.

(٥٠٠٤) التفسير الميسر:١٨٢.

(٥٠٠٥) انظر: النكت والعيون:٣٢٣/٢.

(٥٠٠٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٩١١٩):ص١٧٠٩/٥، والنكت والعيون:٣٢٣/٢.

(٥٠٠٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٩١١٩):ص١٧٠٩/٥، والنكت والعيون:٣٢٣/٢.

(٥٠٠٨) انظر: النكت والعيون:٣٢٣/٢.

(٥٠٠٩) أخرجه الطبري(١٦١٥٠):ص٥٧٠/١٣.

(٥٠١٠) أخرجه الطبري(١٦١٥١):ص٥٧٠/١٣-٥٧١.

(٥٠١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١١٧):ص١٧٠٩/٥.

(٥٠١٢) صفوة التفاسير:٤٧١/١.

(٥٠١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٢١):ص١٧٠٩/٥.

(٥٠١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٢٠):ص١٧٠٩/٥.

(٥٠١٥) صفوة التفاسير:٤٧١/١.

(٥٠١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٢٢):ص١٧٠٩/٥.

(٥٠١٧) صفوة التفاسير:٤٧١/١.

قال قتادة:" سلم أمره فيهم"[٥٠١٨].

قوله تعالى:{إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} [الأنفال : ٤٣]، أي:" إنه عليم بخفايا القلوب وطبائع النفوس"[٥٠١٩].

قال محمد بن إسحاق: أي: لا يخفى عليه ما في صدورهم مما استخفوا به منكم"[٥٠٢٠].

القرآن

{وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤)} [الأنفال : ٤٤]

التفسير:

واذكر أيضًا حينما برز الأعداء إلى أرض المعركة فرأيتموهم قليلا فاجترأتم عليهم، وقلَّلكم في أعينهم، ليتركوا الاستعداد لحربكم; ليقضي الله أمرًا كان مفعولا فيتحقق وَعْدُ الله لكم بالنصر والغلبة، فكانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى. وإلى الله مصير الأمور كلها، فيجازي كلا بما يستحق.

قوله تعالى:{وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ} [الأنفال : ٤٤]، أي:" واذكر أيضًا حينما برز الأعداء إلى أرض المعركة فرأيتموهم قليلا فاجترأتم عليهم، وقلَّلكم في أعينهم، ليتركوا الاستعداد لحربكم"[٥٠٢١].

عن السدي قال: "قال ناس من المشركين: إن العيرَ قد انصرفت فارجعوا. فقال أبو جهل: الآن إذ برز لكم محمد وأصحابه! فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم. وقال: يا قوم لا تقتلوهم بالسلاح، ولكن خذوهم أخذًا، فاربطوهم بالحبال! يقوله من القدرة في نفسه"[٥٠٢٢].

قوله تعالى:{لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا} [الأنفال : ٤٤]، أي:" ليقضي الله أمرًا كان مفعولا فيتحقق وَعْدُ الله لكم بالنصر والغلبة، فكانت كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى"[٥٠٢٣].

قال ابن إسحاق:" أي: ليؤلف بينهم على الحرب، للنقمة ممن أراد الانتقام منه، والإنعام على من أراد إتمام النعمة عليه من أهل ولايته"[٥٠٢٤].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)} [الأنفال : ٤٥]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر قد استعدوا لقتالكم، فاثبتوا ولا تنهزموا عنهم، واذكروا الله كثيرًا داعين مبتهلين لإنزال النصر عليكم والظَّفَر بعدوكم; لكي تفوزوا.

قوله تعالى:{أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا} [الأنفال : ٤٥]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر قد استعدوا لقتالكم، فاثبتوا ولا تنهزموا عنهم"[٥٠٢٥].

عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: "ثم وعظهم وفهمهم وأعلمهم الذي ينبغي لهم أن يسيروا بهم في حربهم فقال: {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة يقاتلونك في الله فاثبتوا} "[٥٠٢٦].

قوله تعالى:{وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال : ٤٥]، أي:" واذكروا الله كثيرًا داعين مبتهلين لإنزال النصر عليكم والظَّفَر بعدوكم; لكي تفوزوا"[٥٠٢٧].

(٥٠١٨) انظر: تفسير الطبري(١٦١٥٥):ص٥٧١/١٣.
(٥٠١٩) التفسير الميسر:١٨٢.
(٥٠٢٠)أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٢٦):ص١٧١٠/٥ .
(٥٠٢١) التفسير الميسر:١٨٢.
(٥٠٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٥٩):ص٥٧٣/١٣.
(٥٠٢٣) التفسير الميسر:١٨٢.
(٥٠٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦١٦٠):ص٥٧٣/١٣.
(٥٠٢٥) التفسير الميسر:١٨٢.
(٥٠٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٣٠):ص١١٧١٠/٥-١١٧١١.
(٥٠٢٧) التفسير الميسر:١٨٢.

قال ابن إسحاق:" اذكروا الله الذي بذلتم له أنفسكم والوفاء بما أعطيتموه من بيعتكم {لعلكم تفلحون}"[٥٠٢٨].

قال قتادة :"افترضَ الله ذكره عند أشغل ما تكونون، عند الضِّراب بالسيوف"[٥٠٢٩].

عن ابن جريج، عن عطاء، قال: "وجب الإنصات والذكر عند الزحف ثم تلا: {إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا}، قلت: يجهرون بالذكر؟ قال: نعم"[٥٠٣٠].

عن أبي مالك، قوله:"{لعلكم}، يعني: كي"[٥٠٣١].

قال محمد بن كعب:" لعلكم تفلحون غدا إذا لقيتموني"[٥٠٣٢].

القرآن

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦)} [الأنفال : ٤٦]

التفسير:

والتزموا طاعة الله وطاعة رسوله في كل أحوالكم، ولا تختلفوا فتتفرق كلمتكم وتختلف قلوبكم، فتضعفوا وتذهب قوتكم ونصركم، واصبروا عند لقاء العدو. إن الله مع الصابرين بالعون والنصر والتأييد، ولن يخذلهم.

قوله تعالى:{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [الأنفال : ٤٦]، أي:" والتزموا طاعة الله وطاعة رسوله في كل أحوالكم"[٥٠٣٣].

قال عطاء:" طاعة الرسول اتباع الكتاب والسنة"[٥٠٣٤].

قوله تعالى:{وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا} [الأنفال : ٤٦]، أي:" ولا تختلفوا فتتفرق كلمتكم وتختلف قلوبكم، فتضعفوا"[٥٠٣٥].

قال ابن إسحاق:" أي: لا تختلفوا فيتفرق أمركم"[٥٠٣٦].

قوله تعالى:{وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال : ٤٦]، أي:" وتذهب قوتكم ونصركم"[٥٠٣٧].

وفي قوله تعالى:{وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال : ٤٦]، وجوه:

أحدها : يريد بالريح القوة، وضرب «الريح» لها مثلاً.

قال السدي:أي:" حَدُّكم وجِدُّكم"[٥٠٣٨].

قال ابن إسحاق:"فيذهب حَدُّكم"[٥٠٣٩].

الثاني: يريد «ريح النصر» التي يرسلها الله عز وجل لنصر أوليائه وهلاك أعدائه قاله قتادة[٥٠٤٠].

الثالث: {ريحكم}، معناه: نصركم، قاله مجاهد[٥٠٤١].

عن مجاهد قوله: "{وتذهب ريحكم}، قال: نصركم. قال: وذهبت ريحُ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، حين نازعوه يوم أحد"[٥٠٤٢].

وفي رواية أخرى عنه أيضا قال:" ريح أصحاب محمد حين تركوه يوم أحد"[٥٠٤٣].

(٥٠٢٨) أخرجه الطبري(١٦١٦٢):ص٥٧٤/١٣.

(٥٠٢٩) أخرجه الطبري(١٦١٦١):ص٥٧٤/١٣.

(٥٠٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٣٣):ص١٧١١/٥.

(٥٠٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٣٤):ص١٧١١/٥.

(٥٠٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٨٦٩):ص١٧١١/٥.

(٥٠٣٣) التفسير الميسر:١٨٣.

(٥٠٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٧١):ص١٦٥٤/٥.

(٥٠٣٥) التفسير الميسر:١٨٣.

(٥٠٣٦) أخرجه الطبري(١٦١٦٩):ص٥٧٧/١٣.

(٥٠٣٧) التفسير الميسر:١٨٣.

(٥٠٣٨) أخرجه الطبري(١٦١٦٦):ص٥٧٦/١٣-٥٧٧.

(٥٠٣٩) أخرجه الطبري(١٦١٦٩):ص٥٧٧/١٣.

(٥٠٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٦١٦٧):ص٥٧٧/١٣.

(٥٠٤١) انظر: تفسير الطبري(١٦١٦٣):ص٥٧٦/١٣.

(٥٠٤٢) أخرجه الطبري(١٦١٦٣):ص٥٧٦/١٣.

وإنما يراد به في هذا الموضع: وتذهب قوتكم وبأسكم، فتضعفوا ويدخلكم الوهن والخلل[٥٠٤٤].

قوله تعالى:{وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال : ٤٦]، أي:" واصبروا عند لقاء العدو. إن الله مع الصابرين بالعون والنصر والتأييد، ولن يخذلهم"[٥٠٤٥].

قال ابن إسحاق:" أي: إني معكم إذا فعلتم ذلك"[٥٠٤٦].

عن الحسن :{واصبروا}، قال: على الصلوات"[٥٠٤٧].

عن قتادة قوله: "{واصبروا}، قال: على حق الله"[٥٠٤٨].

قال سعيد بن جبير:" «الصبر»: اعتراف العبد لله بما أصاب منه واحتسابه عند الله رجاء ثوابه، وقد يجزع الرجل وهو متجلد لا يرى منه إلا الصبر"[٥٠٤٩].

القرآن

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧)} [الأنفال : ٤٧]

التفسير:

ولا تكونوا مثل المشركين الذين خرجوا من بلدهم كبرًا ورياءً; ليمنعوا الناس عن الدخول في دين الله. والله بما يعملون محيط لا يغيب عنه شيء.

سبب النزول:

عن محمد بن كعب القرظي؛ قال: "لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والدفوف؛ فأنزل الله: {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٤٧)} "[٥٠٥٠]. [ضعيف جداً]

قوله تعالى:{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ} [الأنفال : ٤٧]، أي:" ولا تكونوا مثل المشركين الذين خرجوا من بلدهم كبرًا ورياءً"[٥٠٥١].

عن مجاهد قوله: "{بطرًا ورئاء الناس}، قال: أبو جهل وأصحابه يوم بدر"[٥٠٥٢].

قال عبد الله بن كثير: "هم مشركو قريش، وذلك خروجهم إلى بدر"[٥٠٥٣].

قال الضحاك:" هم المشركون، خرجوا إلى بدر أشرًا وبطرًا"[٥٠٥٤].

قال قتادة:" كان مشركو قريش الذين قاتلوا نبي الله يوم بدر، خرجوا ولهم بَغْي وفخر. وقد قيل لهم يومئذ: "ارجعوا، فقد انطلقت عيركم، وقد ظفرتم". قالوا: لا والله، حتى يتحدث أهل الحجاز بمسيرنا وعددنا!. قال: وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ: «اللهم إنّ قريشًا أقبلت بفخرها وخيلائها لتحادَّك ورسولك»!"[٥٠٥٥].

(٥٠٤٣) أخرجه الطبري(١٦١٦٥):ص٥٧٦/١٣.

(٥٠٤٤) تفسير الطبري:٥٧٦/١٣.

(٥٠٤٥) التفسير الميسر:١٨٣.

(٥٠٤٦) أخرجه الطبري(١٦١٦٩):ص٥٧٧/١٣.

(٥٠٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٤٤):ص١٧١٣/٥.

(٥٠٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٤٥):ص١٧١٣/٥.

(٥٠٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٤٦):ص١٧١٣/٥.

(٥٠٥٠)أخرجه الطبري في "جامع البيان" (١٦١٨٢):ص٥٨١/١٣: ثنا الحارث بن أبي أسامة ثنا عبد العزيز ثنا أبو معشر عن محمد به.

قلنا: وهذا سند تالف، واهٍ جداً؛ فيه علل:

الأولى: الإرسال.

الثانية: أبو معشر؛ ضعيف، أسن واختلط؛ كما في "التقريب".

الثالثة: عبد العزيز بن أبان؛ متروك، وكذبه ابن معين وغيره؛ كما في "التقريب".

(٥٠٥١) التفسير الميسر:١٨٣.

(٥٠٥٢) أخرجه الطبري(١٦١٧٥):ص٥٨٠/١٣.

(٥٠٥٣) أخرجه الطبري(١٦١٧٦):ص٥٨٠/١٣.

(٥٠٥٤) أخرجه الطبري(١٦١٨١):ص٥٨١/١٣.

(٥٠٥٥) أخرجه الطبري(١٦١٧٩):ص٥٨٠/١٣.

قال ابن إسحاق:" أي: لا تكونوا كأبي جهل وأصحابه الذين قالوا: لا نرجع حتى نأتي بدرًا، وننحر الجزر، ونسقي بها الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا، أي: لا يكونن أمركم رياءً ولا سمعة، ولا التماس ما عند الناسَ، وأخلصوا لله النية والحِسْبة في نصر دينكم، وموازرة نبيكم، أي: لا تعملوا إلا لله، ولا تطلبوا غيره"(٥٠٥٦).

قوله تعالى:{وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [الأنفال : ٤٧]، أي:" ويمنعون الناس عن الدخول في دين الله"(٥٠٥٧).

قال السدي:" يعني: ويمنعون الناس عن دين الله الإسلام"(٥٠٥٨).

قال السدي:" أما {سبيل الله}: فمحمد- صلى الله عليه وسلم-"(٥٠٥٩).

القرآن

{وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨)} [الأنفال : ٤٨]

التفسير:

واذكروا حين حسَّن الشيطان للمشركين ما جاؤوا له وما همُّوا به، وقال لهم: لن يغلبكم أحد اليوم، فإني ناصركم، فلما تقابل الفريقان: المشركون ومعهم الشيطان، والمسلمون ومعهم الملائكة، رجع الشيطان مُدْبرًا، وقال للمشركين: إني بريء منكم، إني أرى ما لا ترون من الملائكة الذين جاؤوا مددًا للمسلمين، إني أخاف الله، فخذلهم وتبرأ منهم. والله شديد العقاب لمن عصاه ولم يتب توبة نصوحًا.

قوله تعالى:{وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ} [الأنفال : ٤٨]، أي:" واذكروا حين حسَّن الشيطان للمشركين ما جاؤوا له وما همُّوا به، وقال لهم: لن يغلبكم أحد اليوم، وإني ناصركم"(٥٠٦٠).

قال عباد بن عبد الله بن الزبير : "يذكر استدراج إبليس إياهم، وتشبهه بسراقة بن جعشم حين ذكروا ما بينهم وبين بن عبد مناة بن كنانة من الحرب التي كانت بينهم"(٥٠٦١).

قال الضحاك:" إن الشيطان سار معهم برايته وجنوده وألقى في قلوب المشركين أن أحدا لن يغلبكم وأنتم تقاتلون على دينكم ودين آبائكم"(٥٠٦٢).

قال السدي: "أتى المشركين إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الكنانيّ الشاعر، ثم المدلجي، فجاء على فرس، فقال للمشركين: {لا غالب لكم اليوم من الناس} ! فقالوا: ومن أنت؟ قال: أنا جاركم سراقة، وهؤلاء كنانة قد أتوكم!"(٥٠٦٣).

عن محمد بن كعب قال:"لما أجمعت قريش على السير قالوا: إنما نتخوف من بني بكر! فقال لهم إبليس، في صورة سراقة بن مالك بن جعشم: أنا جار لكم من بني بكر، ولا غالب لكم اليوم من الناس"(٥٠٦٤).

قوله تعالى:{فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ} [الأنفال : ٤٨]، أي:" فلما تقابل الفريقان: المشركون ومعهم الشيطان، والمسلمون ومعهم الملائكة، رجع الشيطان مُدْبرًا"(٥٠٦٥).

قال عباد بن عبد الله بن الزبير :" فلما تراءت الفئتان نظر عدو الله إلى جنود الله من الملائكة قد أيد الله بهم رسوله والمؤمنين على عدوهم نكص على عقبيه"(٥٠٦٦).

(٥٠٥٦) أخرجه الطبري(١٦١٧٣):ص٥٧٩/١٣.
(٥٠٥٧) انظر: التفسير الميسر:١٨٣، وصفوة التفاسير:٤٧٢/١.
(٥٠٥٨) تفسير يحيى بن سلام: ٣٦١/١.
(٥٠٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٨):ص١٦٨٧/٦.
(٥٠٦٠) التفسير الميسر:١٨٣.
(٥٠٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٥٦):ص١٧١٥/٥.
(٥٠٦٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٩١٥٨):ص١٧١٥/٥.
(٥٠٦٣) أخرجه الطبري(١٦١٨٤):ص٨/١٤.
(٥٠٦٤) اخرجه الطبري(١٦١٩٢):ص١١/١٤.
(٥٠٦٥) التفسير الميسر:١٨٣.
(٥٠٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٥٩):ص١٧١٥/٥.

قال الضحاك:" فلما التقوا نكص على عقبيه، يقول: رجع مدبرا"[٥٠٦٧].
قوله تعالى:{وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ} [الأنفال : ٤٨]، أي:" وقال للمشركين: إني بريء منكم"[٥٠٦٨].

قوله تعالى:{إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ} [الأنفال : ٤٨]، أي:" إني أرى ما لا ترون من الملائكة الذين جاؤوا مددًا للمسلمين"[٥٠٦٩].
قال الحسن: "رأى جبريل معتجرا بردائه يقود الفرس بين يدي أصحابه ما ركبه"[٥٠٧٠].
قوله تعالى:{إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الأنفال : ٤٨]، أي:" إني أخاف الله أن يعذبني لشدة عقابه"[٥٠٧١].
عن قتادة قوله: "{وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم}، إلى قوله: {شديد العقاب} ، قال: ذُكر لنا أنه رأى جبريل تنزل معه الملائكة، فزعم عدو الله أنه لا يَدَيْ له بالملائكة، وقال: {إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله} ، وكذب والله عدو الله، ما به مخافة الله، ولكن علم أن لا قوة له ولا منعة له، وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستقاد له، حتى إذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مُسْلَم، وتبرأ منهم عند ذلك"[٥٠٧٢].
عن الحسن، وتلا هذه الآية: "{وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم} الآية، قال: سار إبليس مع المشركين ببدر برايته وجنوده، وألقى في قلوب المشركين أن أحدًا لن يغلبكم وأنتم تقاتلون على دين آبائكم، ولن تغلبوا كثرةً! فلما التقوا نكص على عقبيه -يقول: رجع مدبرًا- وقال: {إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون}، يعني: الملائكة"[٥٠٧٣].

القرآن
{إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٩)} [الأنفال : ٤٩]
التفسير:
واذكروا حين يقول أهل الشرك والنفاق ومرضى القلوب، وهم يرون قلة المسلمين وكثرة عدوهم: غرَّ هؤلاء المسلمين دينُهم، فأوردهم هذه الموارد، ولم يدرك هؤلاء المنافقون أنه من يتوكل على الله ويثق بوعده فإن الله لن يخذله، فإن الله عزيز لا يعجزه شيء، حكيم في تدبيره وصنعه.
قوله تعالى:{إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} [الأنفال : ٤٩]، أي:" واذكروا حين يقول أهل الشرك والنفاق ومرضى القلوب، وهم يرون قلة المسلمين وكثرة عدوهم"[٥٠٧٤].
وفي قوله تعالى:{إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ} [الأنفال : ٤٩]، أقوال:
أحدها : أنهم قوم في قلوبهم شك كانوا تكلموا بالإسلام وهم بمكة ، قاله مجاهد[٥٠٧٥]، وابن جريج[٥٠٧٦]، وعامر[٥٠٧٧]، وابن إسحاق[٥٠٧٨].
قال ابن جريج:" ناس كانوا من المنافقين بمكة ، قالوه يوم بدر ، وهم يومئذ ثلاث مئة وبضعة عشر رجلا"[٥٠٧٩].

(٥٠٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٦٠):ص١٧١٥/٥.
(٥٠٦٨) التفسير الميسر:١٨٣.
(٥٠٦٩) التفسير الميسر:١٨٣.
(٥٠٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٦٣):ص١٧١٦/٥.
(٥٠٧١) صفوة التفاسير:٤٧٢/١.
(٥٠٧٢) أخرجه الطبري(١٦١٨٧):ص٩/١٤.
(٥٠٧٣) أخرجه الطبري(١٦١٩١):ص١٠/١٤-١١.
(٥٠٧٤) التفسير الميسر:١٨٣.
(٥٠٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٦١٩٥):ص١٣/١٤.
(٥٠٧٦) انظر: تفسير الطبري(١٦١٩٨):ص١٤/١٤.
(٥٠٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٦١٩٣):ص١٣/١٤.
(٥٠٧٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٩١٦٧):ص١٧١٦/٥-١٧١٧.
(٥٠٧٩) أخرجه الطبري(١٦١٩٨):ص١٤/١٤.

قال مجاهد: "فئة من قريش : أبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة ، والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب ، وعلي بن أمية بن خلف ، والعاصي بن منبّه بن الحجاج; خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب ، فحبسهم ارتيابهم. فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا : {غرّ هؤلاء دينهم}، حتى قدموا على ما قدموا عليه ، مع قلة عددهم وكثرة عدوهم، فشرَّد بهم من خلفهم"(٥٠٨٠).

قال ابن إسحاق:" وهم الفتية الذين خرجوا مع قريش من مكة احتبسهم آباؤهم فخرجوا وهم على الارتياب، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: {غر هؤلاء دينهم} حين قدموا على ما قدموا عليه من قلة عددهم وكثرة عدوهم وهم فتية من قريش مسمون خمسة أبو قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزوميان والحارث بن زمعة وعلي بن أمية بن خلف والعاص بن منبه"(٥٠٨١).

الثاني : أنهم المشركون ، قاله ابن عباس، وحكاه الماوردي عن الحسن(٥٠٨٢).

الثالث : أنهم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر ، فسموا «منافقين». قاله الحسن-أيضا-(٥٠٨٣).

و«المرض» في القلب كله هو الشك(٥٠٨٤)، وهو مشهور في كلام العرب ، قال الشاعر(٥٠٨٥):

ولا مرضاً أتقيه إني لصائن ... لعرضي ولي في الأليّة مفخر

قوله تعالى:{غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ} [الأنفال : ٤٩]، أي:" اغتر المسلمون بدينهم فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به"(٥٠٨٦).

عن قتادة:" رأت عصابة من المؤمنين تشددت لأمر الله، قال: وذكر لنا أن عدو الله أبا جهل بن هشام لما أشرف على محمد وأصحابه قال: والله لا يعبد الله بعد اليوم قسوة وعتوا"(٥٠٨٧).

قال ابن جريج:" لما دنا القوم بعضهم من بعض ، فقلَّل الله المسلمين في أعين المشركين ، وقلَّل المشركين في أعين المسلمين ، فقال المشركون : {غر هؤلاء دينهم}، وإنما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم ، وظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون في ذلك ، فقال الله : {ومن يتوكل على الله فإنّ الله عزيز حكيم}"(٥٠٨٨).

قوله تعالى:{وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال : ٤٩]، أي:" ومن يعتمد على الله ويثق به فإن الله ناصره لأن الله عزيز، أي: غالب لا يذل من استجار به، حكيم في أفعاله وصنعه"(٥٠٨٩).

قال محمد بن إسحاق: "وعلى الله لا على الناس فليتوكل"(٥٠٩٠).

القرآن

{وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠)} [الأنفال : ٥٠]

التفسير:

ولو تعاين -أيها الرسول- حال قبض الملائكة أرواح الكفار وانتزاعها، وهم يضربون وجوههم في حال إقبالهم، ويضربون ظهورهم في حال فرارهم، ويقولون لهم: ذوقوا العذاب المحرق، لرأيت أمرًا عظيمًا، وهذا السياق وإن كان سببه وقعة «بدر» ، ولكنه عام في حق كلِّ كافر.

(٥٠٨٠) أخرجه الطبري(١٦١٩٥):ص١٣/١٤.

(٥٠٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٦٧):ص١٧١٦/٥-١٧١٧.

(٥٠٨٢) انظر: النكت والعيون:٣٢٦/٢.

(٥٠٨٣) انظر: تفسير الطبري(١٦١٩٦):ص١٣/١٤-١٤.

(٥٠٨٤) انظر: النكت والعيون:٣٢٦/٢.

(٥٠٨٥) لم أقف على قائله، انظر: النكت والعيون:٣٢٦/٢.

(٥٠٨٦) صفوة التفاسير:٤٧٢/١.

(٥٠٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٦٩):ص١٧١٧/٥.

(٥٠٨٨) أخرجه الطبري(١٦١٩٩):ص١٤/١٤.

(٥٠٨٩) صفوة التفاسير:٤٧٢/١.

(٥٠٩٠) أخرجه ابن ابي حاتم(٩١٧٠):ص١٧١٧/٥.

قوله تعالى:{وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ} [الأنفال : ٥٠]، أي:" ولو تعاين -أيها الرسول- حال قبض الملائكة أرواح الكفار وانتزاعها وهم يضربون وجوههم في حال إقبالهم، ويضربون ظهورهم في حال فرارهم"(٥٠٩١).

عن مجاهد، قوله:" {يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وأدبارهم}، قال: وأستاههم، ولكنه كريم يَكْنِي"(٥٠٩٢).

عن الحسن قال : "قال رجل : يا رسول الله ، إني رأيت بظهر أبي جهل مثل الشراك![٥٠٩٣] قال : ما ذاك ؟ قال : ضربُ الملائكة"(٥٠٩٤).

عن مجاهد : "أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم : إني حملت على رجل من المشركين فذهبت لأضربه، فنَدرَ رأسُه ؟[٥٠٩٥] فقال : سبقك إليه الملك"(٥٠٩٦).

قوله تعالى:{وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الأنفال : ٥٠]، أي:" ويقولون لهم: ذوقوا العذاب المحرق"(٥٠٩٧).

قال الحسن: "بلغني أنه يحرق أحدهم في اليوم سبعين ألف مرة"(٥٠٩٨).

القرآن

{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٥١)} [الأنفال : ٥١]

التفسير:

ذلك الجزاء الذي أصاب المشركين فبسبب أعمالكم السيئة في حياتكم الدنيا، ولا يظلم الله أحدًا من خَلْقه مثقال ذرة، بل هو الحَكَمُ العدل الذي لا يجور.

قوله تعالى:{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ} [الأنفال : ٥١]، أي:" ذلك الجزاء الذي أصاب المشركين فبسبب أعمالكم السيئة في حياتكم الدنيا"(٥٠٩٩).

عن أبي مالك قوله: "{ذلك}، يعني: هذا"(٥١٠٠).

عن سعيد بن جبير في قول الله تعالى: "{ذلك}، يعني: الذي نزل بهم"(٥١٠١).

القرآن

{كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٥٢)} [الأنفال : ٥٢]

التفسير:

إنَّ ما نزل بالمشركين يومئذ سُنَّة الله في عقاب الطغاة من الأمم السابقة من أمثال فرعون والسابقين له، عندما كذَّبوا رسل الله وجحدوا آياته، فإن الله أنزل بهم عقابه بسبب ذنوبهم. إن الله قوي لا يُقْهر، شديد العقاب لمن عصاه ولم يتب من ذنبه.

قوله تعالى:{كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ} [الأنفال : ٥٢]، أي:" إنَّ ما نزل بالمشركين يومئذ سُنَّة الله في عقاب الطغاة من الأمم السابقة من أمثال فرعون والسابقين له، عندما كذَّبوا رسل الله وجحدوا آياته، فأنزل بهم عقابه بسبب ذنوبهم"(٥١٠٢).

عن عامر ومجاهد وعطاء:"{كدأب آل فرعون}، كفعل آل فرعون، كسُنَنِ آل فرعون"(٥١٠٣).

(٥٠٩١) التفسير الميسر:١٨٣.

(٥٠٩٢) أخرجه الطبري(١٦٢٠٢):ص١٦/١٤.

(٥٠٩٣)" الشراك " ، سير النعل الذي يكون على ظهرها.

(٥٠٩٤) أخرجه الطبري(١٦٢٠٥):ص١٦/١٤-١٧.

(٥٠٩٥)" ندر الشيء " سقط . يقال : " ضرب يده بالسيف فأندرها " ، أي قطعها فسقطت.[حاشية تفسير الطبري:١٧/١٤]

(٥٠٩٦) أخرجه الطبري(١٦٢٠٦):ص١٧/١٤.

(٥٠٩٧) التفسير الميسر:١٨٣.

(٥٠٩٨)أخرجه ابن أبي حاتم (٤٥٩٢): ص ٣/ ٨٣٠.

(٥٠٩٩) التفسير الميسر:١٨٣.

(٥١٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٥٩٣):ص٣/٨٣٠.

(٥١٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٥٩٤):ص٣/٨٣٠.

(٥١٠٢) التفسير الميسر:١٨٣.

عن الربيع في قوله:"{كدأب آل فرعون}، يقول: كسنتهم"[٥١٠٤].
وعن الضحاك في قوله:"{كدأب آل فرعون}، قال: كعمل آل فرعون"[٥١٠٥].

القرآن
{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٥٣)} [الأنفال : ٥٣]
التفسير:
ذلك الجزاء السيِّئ بأن الله إذا أنعم على قوم نعمة لم يسلبها منهم حتى يغيِّروا حالهم الطيبة إلى حال سيئة، وأن الله سميع لأقوال خلقه، عليم بأحوالهم، فيجري عليهم ما اقتضاه علمه ومشيئته.
قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} [الأنفال : ٥٣]، أي:" ذلك الجزاء السيِّئ بأن الله إذا أنعم على قوم نعمة لم يسلبها منهم، حتى يغيِّروا حالهم الطيبة إلى حال سيئة"[٥١٠٦].
قال السدي: "{نعمة الله}، محمد صلى الله عليه وسلم، أنعم به على قريش، وكفروا، فنقله إلى الأنصار"[٥١٠٧].
قوله تعالى:{وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [الأنفال : ٥٣]، أي:" وأن الله سميع لأقوال خلقه، عليم بأحوالهم، فيجري عليهم ما اقتضاه علمه ومشيئته"[٥١٠٨].
قال محمد بن إسحاق:" أي : سميع لما يقولون، عليم بما يخفون"[٥١٠٩].

القرآن
{كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ (٥٤)} [الأنفال : ٥٤]
التفسير:
شأن هؤلاء الكافرين في ذلك كشأن آل فرعون الذين كذبوا موسى، وشأن الذين كذبوا رسلهم من الأمم السابقة فأهلكهم الله بسبب ذنوبهم، وأغرق آل فرعون في البحر، وكل منهم كان فاعلا ما لم يكن له فِعْله من تكذيبهم رسل الله وجحودهم آياته، وإشراكهم في العبادة غيره.
قوله تعالى:{كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ} [الأنفال : ٥٤]، أي:" شأن هؤلاء الكافرين في ذلك كشأن آل فرعون الذين كذبوا موسى، وشأن الذين كذبوا رسلهم من الأمم السابقة"[٥١١٠].
عن مجاهد:" {كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ}، كفعل آل فرعون"[٥١١١]. وروي عن الضحاك وابن جريج مثله[٥١١٢].
قال السدي:" ذكر الذين كفروا فقال بتكذيبهم كمثل الذين من قبلهم في الجحود والتكذيب"[٥١١٣].

القرآن
{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٥٥)} [الأنفال : ٥٥]

(٥١٠٣) أخرجه الطبري(١٦٢٠٨):ص١٩/١٤.
(٥١٠٤) أخرجه الطبري(٦٦٥٩):ص٢٢٣/٦.
(٥١٠٥) أخرجه الطبري(٦٦٦١):ص٢٢٤/٦.
(٥١٠٦) التفسير الميسر:١٨٤.
(٥١٠٧) أخرجه الطبري(١٦٢٠٩):ص٢٠/١٤.
(٥١٠٨) التفسير الميسر:١٨٤.
(٥١٠٩) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص١٦٥/٧.
(٥١١٠) التفسير الميسر:١٨٤.
(٥١١١) تفسير مجاهد: ٣٥٦.
(٥١١٢) انظر: تفسير ابن المنذر(٢٦٨):ص١٣٦/١.
(٥١١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٢٣١):ص٦٠٣/٢.

التفسير:
إن شر ما دبَّ على الأرض عند الله الكفار المصرُّون على الكفر، فهم لا يصدقون رسل الله، ولا يُقرون بوحدانيته، ولا يتبعون شرعه.
سبب النزول:
قال أبو صالح عن ابن عباس: "نزلت في بني قريظة من اليهود، منهم كعب بن الأشرف وأصحابه"(٥١١٤).
عن سعيد بن جبير، قال: "نزلت: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} في ستة رهط من اليهود، منهم ابن تابوت"(٥١١٥).

القرآن
{الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ (٥٦)} [الأنفال : ٥٦]
التفسير:
مِن أولئك الأشرار اليهود الذين دخلوا معك في المعاهدات بأن لا يحاربوك ولا يظاهروا عليك أحدًا، ثم ينقضون عهدهم المرة تلو المرة، وهم لا يخافون الله.
قوله تعالى:{الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ} [الأنفال : ٥٦]، أي:" مِن أولئك الأشرار اليهود الذين دخلوا معك في المعاهدات بأن لا يحاربوك ولا يظاهروا عليك أحدًا"(٥١١٦).
عن مجاهد قوله : "{الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم}، قال : قريظة مالئوا على محمد يوم الخندق أعداءه"(٥١١٧).

القرآن
{فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ (٥٧)} [الأنفال : ٥٧]
التفسير:
فإن واجهت هؤلاء الناقضين للعهود والمواثيق في المعركة، فأنزِلْ بهم من العذاب ما يُدْخل الرعب في قلوب الآخرين، ويشتت جموعهم; لعلهم يتّذكرون، فلا يجترئون على مثل الذي أقدم عليه السابقون.
قوله تعالى:{فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ} [الأنفال : ٥٧]، أي:" فإن واجهت هؤلاء الناقضين للعهود والمواثيق في المعركة، فأنزِلْ بهم من العذاب ما يُدْخل الرعب في قلوب الآخرين، ويشتت جموعهم"(٥١١٨).
قال سعيد بن جبير:" أنذر بهم من خلفهم"(٥١١٩).
قال الضحاك:" : نكل بهم من بعدهم"(٥١٢٠).
قال قتادة:" يقول : عظْ بهم من سواهم من الناس"(٥١٢١).
قال السدي:" يقول : نكل بهم من خلفهم ، مَنْ بعدهم من العدوّ ، لعلهم يحذرون أن ينكُثوا فتصنع بهم مثل ذلك"(٥١٢٢).
قوله تعالى:{لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ} [الأنفال : ٥٧]، أي:" لعلهم يتّذكرون، فلا يجترئون على مثل الذي أقدم عليه السابقون"(٥١٢٣).

(٥١١٤) زاد المسير:٢١٩/٢.
(٥١١٥) الدر المنثور: ٨١/٤، وعزاه إلى أبي الشيخ.
(٥١١٦) التفسير الميسر:١٨٤.
(٥١١٧) أخرجه الطبري(١٦٢١٠):ص٢٢/١٤.
(٥١١٨) التفسير الميسر:١٨٤.
(٥١١٩) أخرجه الطبري(١٦٢١٧):ص٢٣/١٤.
(٥١٢٠) أخرجه الطبري(١٦٢١٩):ص٢٤/١٤.
(٥١٢١) أخرجه الطبري(١٦٢١٤):ص٢٣/١٤.
(٥١٢٢) أخرجه الطبري(١٦٢١٥):ص٢٣/١٤.
(٥١٢٣) التفسير الميسر:١٨٤.

عن السدي:"{لعلهم يذكرون}، يقول: لعلهم يحذرون أن ينكثوا، فيصنع بهم مثل ذلك"[٥١٢٤].
عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه :"{لعلهم يذكرون}، لعلهم يعقلون"[٥١٢٥].

القرآن
{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ (٥٨)} [الأنفال : ٥٨]
التفسير:
وإن خفت -أيها الرسول- من قومٍ خيانة ظهرت بوادرها فألق إليهم عهدهم، كي يكون الطرفان مستويين في العلم بأنه لا عهد بعد اليوم. إن الله لا يحب الخائنين في عهودهم الناقضين للعهد والميثاق.
سبب النزول:
قال الشافعي -رحمه الله-: "نزلت في أهل هدنة، بلغ النبي - صلى الله عليه وسلم - عنهم شيء، استدل به على خيانتهم"[٥١٢٦].
قال الطبري:" وقيل: نزلت الآية في قريظة... عن مجاهد: {فانبذ إليهم على سواء}، قال: قريظة"[٥١٢٧].
قوله تعالى:{وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ} [الأنفال : ٥٨]، أي:" وإن خفت -أيها الرسول- من قومٍ خيانة ظهرت بوادرها، فألق إليهم عهدهم، كي يكون الطرفان مستويين في العلم بأنه لا عهد بعد اليوم"[٥١٢٨].
عن مجاهد قوله:"{فانبذ إليهم على سواء}، قال: قريظة"[٥١٢٩].

القرآن
{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ (٥٩)} [الأنفال : ٥٩]
التفسير:
ولا يظنن الذين جحدوا آيات الله أنهم فاتوا ونجَوْا، وأن الله لا يقدر عليهم، إنهم لن يُفْلِتوا من عذاب الله.
قوله تعالى:{إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ} [الأنفال : ٥٩]، أي:" إنهم لن يُفْلِتوا من عذاب الله"[٥١٣٠].
قال السدي:"يقول : لا يفوتون"[٥١٣١].

القرآن
{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)} [الأنفال : ٦٠]
التفسير:
وأعدُّوا - يا معشر المسلمين - لمواجهة أعدائكم كل ما تقدرون عليه مِن عدد وعدة، لتُدْخلوا بذلك الرهبة في قلوب أعداء الله وأعدائكم المتربصين بكم، وتخيفوا آخرين لا تظهر لكم عداوتهم الآن، لكن الله يعلمهم ويعلم ما يضمرونه. وما تبذلوا من مال وغيره في سبيل الله قليلا أو كثيرًا يخلفه الله عليكم في الدنيا، ويدخر لكم ثوابه إلى يوم القيامة، وأنتم لا تُنْقصون من أجر ذلك شيئًا.
قوله تعالى:{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ} [الأنفال : ٦٠]، أي:" أعدوا لقتال أعدائكم جميع أنواع القوة: المادية، والمعنوية، ومن الخيل التي تربط في سبيل الله"[٥١٣٢].

(٥١٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٩٠):ص٥/١٧٢٠.
(٥١٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٩١):ص٥/١٧٢٠.
(٥١٢٦) تفسير الإمام الشافعي:٢/٨٨٥.
(٥١٢٧) تفسير الطبري:١٤/٢٦، والخبر أخرجه الطبري(١٦٢٢١):ص١٤/٢٦.
(٥١٢٨) التفسير الميسر:١٨٤.
(٥١٢٩) أخرجه الطبري(٩١٩٣):ص٥/١٧٢١.
(٥١٣٠) التفسير الميسر:١٨٤.
(٥١٣١) أخرجه الطبري(١٦٢٢٣):ص١٤/٣١.

عن صالح بن كيسان ، عن رجل من جهينة ، يرفع الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : "{وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة} ، ألا إنَّ الرمي هو القوة ، ألا إنّ الرمي هو القوة"(٥١٣٣).

عن عكرمة في قوله :"{وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة}، قال : الحصون {ومن رباط الخيل}، قال : الإناث"(٥١٣٤).

عن رجاء بن أبي سلمة قال : "لقي رجل مجاهدًا بمكة ، ومع مجاهد جُوَالق، قال : فقال مجاهد : هذا من القوة! ومجاهد يتجهز للغزو"(٥١٣٥).

عن السدي : "{وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة}، من سلاح"(٥١٣٦).

قوله تعالى:{تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ} [الأنفال : ٦٠]، أي:" تُخيفون بتلك القوة الكفار أعداء الله وأعداءكم"(٥١٣٧).

قال مجاهد:" تخزون به عدو الله وعدوكم"(٥١٣٨).

قوله تعالى:{وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ} [الأنفال : ٦٠]، أي:" وترهبون به آخرين غيرهم ،لا تعلمون ما هم عليه من النفاق ولكن الله يعلمهم "(٥١٣٩).

وفي قوله تعالى:{وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ} [الأنفال : ٦٠]، أقوال:

أحدها : هم بنو قريظة ، قاله مجاهد(٥١٤٠).

والثاني : أهل فارس والروم. قاله السدي(٥١٤١).

الثالث : ما رواه يزيد بن عبد الله بن عريب، عن أبيه، عن جده، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في قول الله: {وآخرين من دونهم لا تعلمونهم}، قال: "هم الجن"(٥١٤٢).

قوله تعالى:{وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} [الأنفال : ٦٠]، أي:" وما تنفقوا في الجهاد وفي سائر وجوه الخيرات، تُعْطون جزاءه وافياً كاملاً يوم القيامة، ولا تنقصون من ذلك الأجر شيئاً"(٥١٤٣).

قال محمد بن إسحاق: " أي: لا يضيع لكم عند الله أجره في الآخرة وعاجل خلفه في الدنيا"(٥١٤٤).

القرآن

{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١)} [الأنفال : ٦١]

التفسير:

وإن مالوا إلى ترك الحرب ورغبوا في مسالمتكم فمِلْ إلى ذلك -أيها النبي- وفَوِّضْ أمرك إلى الله، وثق به. إنه هو السميع لأقوالهم، العليم بنيَّاتهم.

قوله تعالى:{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا} [الأنفال : ٦١]، أي:" وإن مالوا إلى ترك الحرب ورغبوا في مسالمتكم فمِلْ إلى ذلك -أيها النبي-"(٥١٤٥).

قال مجاهد:" يعني: الصلح، يعني: قريظة"(٥١٤٦).

(٥١٣٢) صفوة التفاسير:١/٤٧٤.
(٥١٣٣) أخرجه الطبري(١٦٢٢٤):ص١٤/٣١.
(٥١٣٤) أخرجه الطبري(١٦٢٣٠):ص١٤/٣٤.
(٥١٣٥) أخرجه الطبري(١٦٢٣١):ص١٤/٣٤.
(٥١٣٦) أخرجه الطبري(١٦٢٣٢):ص١٤/٣٤.
(٥١٣٧) صفوة التفاسير:١/٤٧٤.
(٥١٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٠٥):ص٥/١٧٢٣.
(٥١٣٩) صفوة التفاسير:١/٤٧٤.
(٥١٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٢٣٩):ص١٤/٣٦.
(٥١٤١) انظر: تفسير الطبري(١٦٢٤١):ص١٤/٣٦.
(٥١٤٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٠٧):ص٥/١٧٢٣.
(٥١٤٣) صفوة التفاسير:١/٤٧٤.
(٥١٤٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١١٥):ص٥/١٧٢٤.
(٥١٤٥) التفسير الميسر:١٨٤.
(٥١٤٦) تفسير مجاهد:٣٥٧.

قوله تعالى:{وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} [الأنفال : ٦١]، أي:" وفوِّضْ أمرك إلى الله، وثق به"(٥١٤٧).
عن ابن إسحاق : "{وتوكل على الله}، إن الله كافيك"(٥١٤٨).
قوله تعالى:{إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [الأنفال : ٦١]، أي:" إنه هو السميع لأقوالهم، العليم بنيَّاتهم"(٥١٤٩).
قال محمد بن إسحاق:" أي : سميع لما يقولون، عليم بما يخفون"(٥١٥٠).
واختلف المفسرون في حكم هذه الآية، على قولين:
أحدهما: أن المعنيين هم المشركون، وأنها نسخت بآية السيف. وبعضهم يقول: بقوله: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّه} [التوبة : ٢٩]. وهذا مروي عن الحسن(٥١٥١)، وعكرمة(٥١٥٢)، وقتادة(٥١٥٣).
الثاني: أن المعنيين هم أهل الكتاب. وأنها محكمة. وقال مجاهد: "قريظة"(٥١٥٤).
وهكذا رد دعوى النسخ ابن العربي لعدم وجود الشروط لوقوعه(٥١٥٥)، ومكي بن أبي طالب(٥١٥٦)، والطبري(٥١٥٧).

القرآن
{وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢)} [الأنفال : ٦٢]
التفسير:
وإن أراد الذين عاهدوك المكر بك فإن الله سيكفيك خداعهم; إنه هو الذي أنزل عليك نصره وقوَّاك بالمؤمنين من المهاجرين والأنصار.
قوله تعالى:{وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ} [الأنفال : ٦٢]، أي:" وإن أراد الذين عاهدوك المكر بك"(٥١٥٨).
عن مجاهد: "{وإن يريدوا أن يخدعوك}، قال : قريظة"(٥١٥٩).
قوله تعالى:{فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ} [الأنفال : ٦٢]، أي:" فإن الله سيكفيك خداعهم"(٥١٦٠).
عن ابن إسحاق : "{وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله}، هو من وراء ذلك"(٥١٦١).
قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال : ٦٢]، أي:" إنه هو الذي أنزل عليك نصره وقوَّاك بالمؤمنين من المهاجرين والأنصار"(٥١٦٢).
عن السدي: "{هو الذي أيدك بنصره}، قال : بالأنصار"(٥١٦٣).

(٥١٤٧) التفسير الميسر:١٨٤.
(٥١٤٨) أخرجه الطبري(١٦٢٥٢):ص٤٣/١٤.
(٥١٤٩) التفسير الميسر:١٨٤.
(٥١٥٠) أخرجه الطبري(٧٧١٩):ص١٦٥/٧.
(٥١٥١) انظر: تفسير الطبري(١٦٢٤٧):ص٤١/١٤.
(٥١٥٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٢٤٧):ص٤١/١٤.
(٥١٥٣) انظر: تفسير الطبري(١٦٢٤٥)، و(١٦٢٤٦):ص٤١/١٤، والناسخ والمنسوخ للنحاس: ١٥٥؛ والإيضاح لمكي: ٢٥٩.

(٥١٥٤) أخرجه الطبري(١٦٢٥١):ص٤٣/١٤.
(٥١٥٥) انظر: إحكام القرآن:٢١/ ٨٧٦.
(٥١٥٦)انظر: الإيضاح: ٢٥٩.
(٥١٥٧) انظر: تفسير الطبري:٤٢/١٤-٤٣. قال الطبري:" فأما ما قاله قتادة ومن قال مثل قوله ، من أن هذه الآية منسوخة ، فقولٌ لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطرة عقل. وقد دللنا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره على أن الناسخ لا يكون إلا ما نفى حكم المنسوخ من كل وجه. فأما ما كان بخلاف ذلك ، فغير كائنٍ ناسخا".
(٥١٥٨) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥١٥٩) أخرجه الطبري(١٦٢٥٣):ص٤٤/١٤.
(٥١٦٠) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥١٦١) أخرجه الطبري(١٦٢٥٤):ص٤٤/١٤.
(٥١٦٢) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥١٦٣) أخرجه الطبري(١٦٢٥٥):ص٤٤/١٤.

القرآن

{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٣)} [الأنفال : ٦٣]

التفسير:

وجَمَع بين قلوبهم بعد التفرق، لو أنفقت مال الدنيا على جمع قلوبهم ما استطعت إلى ذلك سبيلا ولكن الله جمع بينها على الإيمان فأصبحوا إخوانًا متحابين، إنه عزيز في مُلْكه، حكيم في أمره وتدبيره.

قوله تعالى:{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ} [الأنفال : ٦٣]، أي:" وجَمَع بين قلوبهم بعد التفرق"(٥١٦٤).

عن السدي : "{وألف بين قلوبهم}، قال : هؤلاء الأنصار ، ألف بين قلوبهم من بعد حرب ، فيما كان بينهم"(٥١٦٥).

عن ابن إسحاق:"{وألف بين قلوبهم}، على الهدى الذي بعثك به إليهم"(٥١٦٦).

قوله تعالى:{لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ} [الأنفال : ٦٣]، أي:" لو أنفقت مال الدنيا على جمع قلوبهم ما استطعت إلى ذلك سبيلا، ولكن الله جمع بينها على الإيمان فأصبحوا إخوانًا متحابين"(٥١٦٧).

عن ابن إسحاق:" {لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم}، بدينه الذي جمعهم عليه يعني الأوس والخزرج"(٥١٦٨).

عن الوليد بن أبي مغيث ، عن مجاهد قال : "إذا التقى المسلمان فتصافحا غُفِر لهما. قال قلت لمجاهد : بمصافحةٍ يغفر لهما ؟ فقال مجاهد: أما سمعته يقول : {لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم}؟ فقال الوليد لمجاهد : أنت أعلم مني"(٥١٦٩).

عن عبدة بن أبي لبابة، عن مجاهد ، ولقيته وأخذ بيدي فقال : "إذا تراءى المتحابَّان في الله، فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك إليه، تحاتّت خطاياهما كما يتحاتُّ ورق الشجر. قال عبدة : فقلت له : إنّ هذا ليسير! قال : لا تقل ذلك ، فإن الله يقول : {لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم}! قال عبدة : فعرفت أنه أفقه مني"(٥١٧٠).

عن عمير بن إسحاق قال: "كنا نُحدَّث أن أوّل ما يرفع من الناس- أو قال : عن الناس- الألفة"(٥١٧١).

قوله تعالى:{إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال : ٦٣]، أي:" ، إنه عزيز في مُلْكه، حكيم في أمره وتدبيره"(٥١٧٢).

قال محمد بن إسحاق: "العزيز: في نصرته ممن كفر به إذا شاء"(٥١٧٣)، الحكيم: في عذره وحجته إلى عباده"(٥١٧٤).

عن أبي العالية:" {حكيم}، يقول: حكيم في أمره"(٥١٧٥).

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٦٤)} [الأنفال : ٦٤]

التفسير:

يا أيها النبي إن الله كافيك، وكافي الذين معك من المؤمنين شرَّ أعدائكم.

(٥١٦٤) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥١٦٥) أخرجه الطبري(١٦٢٥٦):ص٤٥/١٤.
(٥١٦٦) أخرجه الطبري(١٦٢٥٨):ص٤٦/١٤.
(٥١٦٧) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥١٦٨) أخرجه الطبري(١٦٢٥٨):ص٤٦/١٤.
(٥١٦٩) أخرجه الطبري(١٦٢٥٩):ص٤٦/١٤.
(٥١٧٠) أخرجه الطبري(١٦٢٦٠):ص٤٦/١٤-٤٧.
(٥١٧١) أخرجه الطبري(١٦٢٦٢):ص٤٧/١٤-٤٨.
(٥١٧٢) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥١٧٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٤):ص١٦٦٤/٥.
(٥١٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٦):ص١٦٦٤/٥.
(٥١٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٣٥):ص١٦٦٤/٥.

في سبب نزول الآية قولان:
أحدهما: عن سعيد بن جبير قال: "لما أسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم أسلم عمر، فنزلت:{يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين}"[٥١٧٦]. وروي عن سعيد بن المسيب نحو ذلك[٥١٧٧]. وأخرج الطبراني نحوه عن ابن عباس[٥١٧٨].
الثاني: عن محمد بن إسحاق عن الزهري في قول الله: "{حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين}، قال: يقال: نزلت في الأنصار"[٥١٧٩].
وفي قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال : ٦٤]، قولان[٥١٨٠]:
أحدهما: معناه: حسبك وحسب من اتبعك من المؤمنين الله ، وهذا قول الشعبي[٥١٨١].
أي: يكفيك الله ويكفي من اتبعك من المؤمنين، فتكون {من} في موضع النصب. قال الشاعر[٥١٨٢]:
إذَا كانت الهيجاء وانشقّتِ العصا ... فحسبُك والضَّحاكَ سيفٌ مُهَنَّد
عن الشعبي:" {يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين}، قال: حسبك الله وحسب من اتبعك من المؤمنين، الله"[٥١٨٣].
القول الثاني: أي: حسبك الله ومتبعوك إلى جهاد العدو من المؤمنين. وهو معنى قول الزهري"[٥١٨٤].
عن الزهري: "يقال: نزلت في الأنصار"[٥١٨٥].
وقال اكثر المفسرين: محل {مَنِ} نصب عطفا على «الكاف» في قوله {حَسْبُكَ}، ومعنى الآية: وحسب من أتبعك، وقال بعضهم رفع عطفا على اسم «الله»، تقديره: حسبك الله ومتّبعوك من المؤمنين[٥١٨٦].

(٥١٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٣٥):ص١٧٢٨/٥.
(٥١٧٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٧٢٨/٥. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٥١٧٨)روي الطبراني (١٢/ ٦٠) (١٢٤٧٠) من طريق إسحاق بن بشر الكاهلي ثنا خلف بن خليفة عن أبي هاشم الرماني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «أسلم مع النبي - صلى الله عليه وسلم - تسعة وثلاثون رجلا وامرأة، وأسلم عمر تمام الأربعين، فأنزل الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}». قال الهيثمي في المجمع (٧/ ١٠١): [رواه الطبراني وفيه إسحاق بن بشر الكاهلي وهو كذاب].
قال عبدالسلام بن محسن آل عيسى في كتابه: "دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه" (١/ ١٤٣: ١٤٧): [وكان إسلام عمر رضي الله عنه فيما روي بعد تسعة وثلاثين رجلاً. وقيل: إن إسلامه كان بعد أربعين رجلاً. وقيل: بعد خمسة وأربعين رجلاً. وأمّا عدد النساء اللاتي سبقن عمر بالإسلام فقيل إنهن إحدى عشرة إمرأة. وقيل إحدى وعشرين. وهذه الروايات لا تخلو من ضعف كما هو مبين في الهامش، ولكنها متقاربة في تحديد العدد، فالرواية الأولى حددت عدد الرجال السابقين لعمر بالإسلام بتسعة وثلاثين، والثانية حددتهم بأربعين، والثالثة بخمسة وأربعين، وهذا فارق غير معتبر إذ إنّ زيادة العدد، أو نقصه بواحد، أو اثنين، أو ثلاثة، أو أربعة أمر معتاد في الإحصاء حيث إن بعض المسلمين كان يخفي إسلامه فيعلم به البعض، ويخفي على البعض.
وعلى أيّ حال فإن إسلام عمر - رضي الله عنه - كان في السنة السادسة، أو السابعة كما تقدم ذلك. إلاّ أن تحديد عدد من أسلم من الرجال بأربعين، أو نحوها، والنساء بعشرة، أو عشرين فيه نظر، فإن ابن إسحاق رحمه الله ذكر أن عدد المهاجرين إلى الحبشة الهجرة الثانية كانوا ثلاثة وثمانين رجلاً. ونقل ابن حجر عن ابن جرير الطبري أن نساءهم، وأبناءهم كانوا معهم، فقال: وقيل: إن عدة نسائهم ثمان عشرة امرأة. وقد ذكر ابن إسحاق أن إسلام عمر رضي الله عنه كان بعد الهجرة الثانية إلى الحبشة. لذلك قال ابن كثير رحمه الله بعد أن ذكر إسلام عمر كان بعد الهجرة الثانية للحبشة: "وهذا يرد قول من زعم أنه (أي: إسلام عمر) كان تمام أربعين من المسلمين، فإن المهاجرين إلى الحبشة كانوا فوق الثمانين، اللهم إلا أن يقال: إنه كان تمام الأربعين بعد خروج المهاجرين". ولعلّ مما يؤيّد كلام ابن كثير - رحمه الله - قول ابن إسحق رحمه الله بعد ذكره لأسماء المهاجرين إلى الحبشة وهم ثلاثة وثمانون رجلاً. ثم ذكر إسلام عمر - رضي الله عنه - فقال: "وكان إسلام عمر بعد خروج من خرج من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الحبشة"].
(٥١٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٣٦):ص١٧٢٨/٥.
(٥١٨٠) انظر: معاني القرآن للفراء:٤١٧/١، ومعاني القرآن للنحاس:١٠٣/٢، وتفسير السمعاني:٢٧٧/٢، والنكت والعيون:٣٣١/٢.
(٥١٨١) انظر: تفسير الطبري(١٦٢٦٥)- (١٦٢٦٧):ص٤٩/١٤.
(٥١٨٢)الشاهد لجرير في ذيل الأمالي ١٤٠، وليس في ديوانه، وبلا نسبة في خزانة الأدب ٧/ ٥٨١، وسمط اللئالي ص ٨٩٩، وشرح الأشموني ١/ ٢٢٤، وشرح شواهد الإيضاح ص ٣٧٤، وشرح شواهد المغني ٢/ ٩٠٠، وشرح عمدة الحافظ ٤٠٧، وشرح المفصل ٢/ ٥١، ولسان العرب (حسب) و (هيج) ، و (عصا) ، ومغني اللبيب ٢/ ٥٦٣، والمقاصد النحوية ٣/ ٨٤.
(٥١٨٣) أخرجه الطبري(١٦٢٦٥):ص٤٩/١٤.
(٥١٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٣٦):ص١٧٢٨/٥.
(٥١٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٣٦):ص١٧٢٨/٥.

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥)} [الأنفال : ٦٥]

التفسير:

يا أيها النبي حُثَّ المؤمنين بك على القتال، إن يكن منكم عشرون صابرون عند لقاء العدو يغلبوا مائتين منهم، وإن يكن منكم مائة مجاهدة صابرة يغلبوا ألفًا من الكفار; لأنهم قوم لا عِلْم ولا فهم عندهم لما أعدَّ الله للمجاهدين في سبيله، فهم يقاتلون من أجل العلو في الأرض والفساد فيها.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} [الأنفال : ٦٥]، أي:" يا أيها النبي حُثَّ المؤمنين بك على القتال"(٥١٨٧).

عن أبي سنان قوله: "{يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال}، قال: عظهم"(٥١٨٨).

قوله تعالى:{إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [الأنفال : ٦٥]، أي:" إن يكن منكم عشرون صابرون عند لقاء العدو يغلبوا مائتين منهم، وإن يكن منكم مائة مجاهدة صابرة يغلبوا ألفًا من الكفار"(٥١٨٩).

عن سعيد بن جبير: {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ}، " يعني: يقتلوا مائتين من المشركين"(٥١٩٠).

قال سعيد بن جبير:" فكان يوم بدر جعل الله على المسلمين أن يقاتل الرجل الواحد منهم عشرة من المشركين ليقطع دابرهم فلما هزم الله المشركين، وقطع دابرهم خفف على المسلمين بعد ذلك فنزلت: {الآن خفف الله عنكم}، يعني: بعد قتال بدر، {وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا}، يعني: يقاتلوا {مائتين} من المشركين"(٥١٩١).

قوله تعالى:{بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ} [الأنفال : ٦٥]، أي:" لأنهم قوم لا عِلْم ولا فهم عندهم لما أعدَّ الله للمجاهدين في سبيله، فهم يقاتلون من أجل العلو في الأرض والفساد فيها"(٥١٩٢).

عن ابن إسحاق: "{بأنهم قوم لا يفقهون}، أي لا يقاتلون على نِيَّةٍ ولا حقٍّ فيه، ولا معرفة بخير ولا شر"(٥١٩٣). وروي عن عباد بن عبدالله بن الزبير مثله(٥١٩٤).

قال المفسرون: "لفظ هذا الكلام لفظ الخبر، ومعناه الأمر والمراد: يقاتلوا مائتين، وكان هذا فرضا في أول الأمر ثم نسخ بقوله تعالى: {الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ} [الأنفال: ٦٦]، ففرض على الرجل أن يثبت لرجلين فإن زاد جاز له الفرار"(٥١٩٥).

قال الضحاك:" كان هذا واجبًا أن لا يفر واحد من عشرة"(٥١٩٦).

قال عطاء:"كان الواحد لعشرة، ثم جعل الواحد باثنين; لا ينبغي له أن يفرَّ منهما"(٥١٩٧).

عن السدي: "{إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين}، يقول: يقاتلوا مئتين، فكانوا أضعف من ذلك، فنسخها الله عنهم. فخفف فقال: {فإن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين}، فجعل أول مرة الرجل لعشرة، ثم جعل الرجل لاثنين"(٥١٩٨).

(٥١٨٦) الكشف والبيان:٣٧٠/٤.
(٥١٨٧) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥١٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٣٧):ص١٧٢٨/٥.
(٥١٨٩) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥١٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٤٢):ص١٧٢٩/٥.
(٥١٩١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٤٣):ص١٧٢٩/٥.
(٥١٩٢) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥١٩٣) أخرجه الطبري(١٦٢٨٥):ص٥٦/١٤.
(٥١٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٤٤):ص١٧٢٩/٥.
(٥١٩٥) نواسخ القرآن:١٥٠.
(٥١٩٦) أخرجه الطبري(١٦٢٨٣):ص٥٦/١٤.
(٥١٩٧) أخرجه الطبري(١٦٢٦٩):ص٥١/١٤.
(٥١٩٨) أخرجه الطبري(١٦٢٨١):ص٥٥/١٤-٥٦.

عن مجاهد في قوله: "{إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين}، قال: كان فرض عليهم إذا لقي عشرون مئتين أن لا يفروا، فإنهم إن لم يفرُّوا غَلَبوا. ثم خفف الله عنهم فقال: {إن يكن منكم مئة صابرة يغلبوا مئتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله} ، فيقول: لا ينبغي أن يفرّ ألف من ألفين، فإنهم إن صبروا لهم غلبوهم"[٥١٩٩].

عن عكرمة، في قوله: "{إن يكن منكم عشرون صابرون}، قال: واحد من المسلمين وعشرة من المشركين. ثم خفف عنهم فجعل عليهم أن لا يفرَّ رجل من رجلين"[٥٢٠٠].

وعن عكرمة والحسن قالا:" قال في «سورة الأنفال»: {إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وإن يكن منكم مئة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون}، ثم نسخ فقال : {الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا}، إلى قوله : {والله مع الصابرين}"[٥٢٠١].

وهذا تخفيف لا نسخ، لأن معنى النسخ رفع حكم المنسوخ ولم يرفع حكم الأول، لأنه لم يقل فيه: لا يقاتل الرجل عشرة، بل إن قدر على ذلك فهو الاختيار له. ونظير هذا إفطار الصائم في السفر، لا يقال إنه نسخ الصوم، وإنما هو تخفيف ورخصة، والصيام له أفضل[٥٢٠٢].

القرآن

{الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)} [الأنفال : ٦٦]

التفسير:

الآن خفف الله عنكم أيها المؤمنون لما فيكم من الضعف، فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين من الكافرين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين منهم بإذن الله تعالى. والله مع الصابرين بتأييده ونصره.

قوله تعالى:{الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا} [الأنفال : ٦٦]، أي:" الآن رفع الله عنكم ما فيه مشقة عليكم أيها المؤمنون، وعلم ضعفكم فرحمكم في أمر القتال"[٥٢٠٣].

قال سعيد بن جبير:" فلما هزم الله المشركين وقطع دابرهم، خفف على المسلمين بعد ذلك فنزلت: {الآن خفف الله عنكم}، يعني: بعد قتال بدر"[٥٢٠٤].

قوله تعالى:{فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ} [الأنفال : ٦٦]، أي:" إن يوجد منكم مائة صابرة على الشدائد يتغلبوا على مائتين من الكفرة، يوجد منكم ألف صابرون في ساحة اللقاء، يتغلبوا على ألفين من الأعداء بتيسير الله وتسهيله"[٥٢٠٥].

قال مجاهد[٥٢٠٦]، وابن ابي نجيح[٥٢٠٧]:" يقول: لا ينبغي أن يفر ألف من ألفين، فإنهم إن صبروا لهم غلبوهم".

قوله تعالى:{وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [الأنفال : ٦٦]، أي:" والله مع الصابرين بتأييده ونصره"[٥٢٠٨].

عن سعيد بن جبير، قال: "الصبر اعتراف العبد لله، بما أصاب منه، واحتسابه عند الله، ورجاء ثوابه وقد يجزع الرجل وهو متجلد، لا يرى منه إلا الصبر"[٥٢٠٩].

وفي حكم الآبة حكي عن الحسن[٥٢١٠]، ومجاهد[٥٢١١]، وقتادة[٥٢١٢]، والضحاك[٥٢١٣]: أن ذلك خاص في أهل بدر ، وبه قال أبو حنيفة[٥٢١٤].

(٥١٩٩) أخرجه الطبري(١٦٢٨٢):ص٥٦/١٤.
(٥٢٠٠) أخرجه الطبري(١٦٢٧٥):ص٥٤/١٤.
(٥٢٠١) أخرجه الطبري(١٦٢٧٤):ص٥٤/١٤.
(٥٢٠٢) الناسخ والمنسوخ:١٤٩.
(٥٢٠٣) صفوة التفاسير:٤٧٧/١
(٥٢٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٤٥):ص١٧٢٩/٥.
(٥٢٠٥) صفوة التفاسير:٤٧٧/١
(٥٢٠٦) تفسير عبدالرزاق(١٠٢٧):ص١٢٥/٢.
(٥٢٠٧) أخرجه الطبري(١٦٢٧٨):ص٥٥/١٤.
(٥٢٠٨) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥٢٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٥٢٤):ص٤٧٧/٢.
(٥٢١٠) انظر: النكت والعيون:٣٠٣/٢.

عن مجاهد قوله: "{إن يكن منكم عشرون صابرون}، إلى قوله: {وإن يكن منكم مئة}، قال: هذا لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم بدر، جعل على الرجل منهم عشرة من الكفار، فضجوا من ذلك، فجعل على الرجل قتال رجلين، تخفيفا من الله"(٥٢١٥).

القرآن

{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧)} [الأنفال : ٦٧]

التفسير:

لا ينبغي لنبي أن يكون له أسرى مِن أعدائه حتى يبالغ في القتل; لإدخال الرعب في قلوبهم ويوطد دعائم الدين، تريدون -يا معشر المسلمين- بأخذكم الفداء من أسرى «بدر» متاع الدنيا، والله يريد إظهار دينه الذي به تدرك الآخرة. والله عزيز لا يُقْهر، حكيم في شرعه.

سبب نزول الآيات:[٦٧ إلى ٦٩]:

عن أبي عبيدة ، عن عبد الله قال : "لما كان يوم بدر وجيء بالأسرى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما تقولون في هؤلاء الأسرى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، قومك وأهلك ، استبقهم واستأنهم ، لعل الله أن يتوب عليهم. وقال عمر : يا رسول الله ، كذبوك وأخرجوك ، قدّمهم فاضرب أعناقهم! وقال عبد الله بن رواحة : يا رسول الله ، انظر واديًا كثير الحطب فأدخلهم فيه ، ثم أضرمه عليهم نارا. قال : فقال له العباس : قُطِعتْ رَحِمُك! قال : فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبهم ، ثم دخل. فقال ناس : يأخذ بقول أبي بكر. وقال ناس : يأخذ بقول عُمر. وقال ناس : يأخذ بقول عبد الله بن رواحة. ثم خرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " إنّ الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن ، وإن الله ليشدد قلوبَ رجال حتى تكون أشد من الحجارة! وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم ، قال : {فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } [سورة إبراهيم : ٣٦] ، ومثلك يا أبا بكر مثل عيسى قال : {إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ } ، الآية [سورة المائدة : ١١٨]، ومثلك يا عمر مثل نوح ، قال : { رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا } [سورة نوح : ٢٦] ، ومثلك كمثل موسى قال : { رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ } [سورة يونس : ٨٨]. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم اليوم عالة ، فلا ينفلتنّ أحدٌ منهم إلا بفداء أو ضرب عنق. قال عبد الله بن مسعود : إلا سهيل بن بيضاء ، فإني سمعته يذكر الإسلام! فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما رأيتُني في يوم أخوفَ أن تقع عليَّ الحجارة من السماء ، مني في ذلك اليوم ، حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إلا سهيل بن بيضاء. قال : فأنزل الله : {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض} ، إلى آخر الثلاث الآيات"(٥٢١٦).

عن عبد الله بن عباس قال : "لما أسروا الأسارى ، يعني يوم بدر ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين أبو بكر وعمر وعلي ؟ قال : ما ترون في الأسارى ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، هم بنو العم والعشيرة ، وأرى أن تأخذ منهم فدية تكون لنا قوة على الكفار ، وعسى الله أن يهديهم للإسلام! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما ترى يا ابن الخطاب ؟ فقال : لا والذي لا إله إلا هو ، ما أرى الذي رأى أبو بكر ، يا نبي الله ، ولكن أرى أن تمكننا منهم ، فتمكن عليًّا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من العباس فيضرب عنقه ، وتمكنني من فلان - نسيبٍ لعمر - فأضرب عنقه ، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهويَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهوَ ما قلت. قال عمر : فلما كان من الغد ، جئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو وأبو بكر قاعدان يبكيان ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني من أيّ شيء تبكي أنتَ وصاحبك ، فإن وجدت بكاء بكيت ، وإن لم أجد بكاء تباكيت! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبكي للذي عرَض لأصحابي من أخذهم الفداء ، ولقد عُرِض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة!

(٥٢١١) انظر: تفسير الطبري(١٦٢٧٦):ص٥٤/١٤.
(٥٢١٢) انظر: النكت والعيون:٣٠٣/٢.
(٥٢١٣) انظر: النكت والعيون:٣٠٣/٢.
(٥٢١٤) انظر: النكت والعيون:٣٠٣/٢.
(٥٢١٥) أخرجه الطبري(١٦٢٧٦):ص٥٤/١٤.
(٥٢١٦) أخرجه الطبري(١٦٢٩٣):٦١/١٤-٦٢.

لشجرة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله عز وجل : {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض}، إلى قوله : {حلالا طيبا} ، وأحلّ الله الغنيمة لهم"[٥٢١٧].

قوله تعالى:{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} [الأنفال : ٦٧]، أي:" لا ينبغي لنبي أن يكون له أسرى مِن أعدائه حتى يبالغ في القتل; لإدخال الرعب في قلوبهم ويوطد دعائم الدين"[٥٢١٨].

عن ابن إسحاق : "{ما كان لنبي أن يكون له أسرى}، من عدوه {حتى يثخن في الأرض}، أي : يثخن عدوه حتى ينفيهم من الأرض"[٥٢١٩].

عن سعيد بن جبير في قوله : "{ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض}، قال : إذا أسرتموهم فلا تفادوهم حتى تثخنوا فيهم القتلَ"[٥٢٢٠].

عبيد بن سليمان قال:" سمعت الضحاك يقول في قوله:{ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض} ، يعني : الذين أسروا ببدر"[٥٢٢١].

عن مجاهد قال:" «الإثخان»، القتل"[٥٢٢٢].

وعن مجاهد أيضا: "{ما كان لنبي أن يكون له أسرى}، الآية ، نزلت الرخصة بعدُ ، إن شئت فمنّ ، وإن شئت ففاد"[٥٢٢٣].

قوله تعالى:{تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا} [الأنفال : ٦٧]، أي:" تريدون -يا معشر المسلمين- بأخذكم الفداء من أسرى «بدر» متاع الدنيا"[٥٢٢٤].

عن ابن إسحاق : "{ تريدون عرض الدنيا}، أي : المتاع والفداء بأخذ الرجال "[٥٢٢٥].

عن عكرمة في قوله: {تريدون عرض الدنيا}، يعني: الخراج"[٥٢٢٦].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ} [الأنفال : ٦٧]، أي:" والله يريد إظهار دينه الذي به تدرك الآخرة"[٥٢٢٧].

عن الحسن في قوله: "{تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة}، قال: لو لم يكن لنا ذنوب نخاف على أنفسنا منها إلا حبنا الدنيا لخشينا على أنفسنا، أريدوا ما أراد الله"[٥٢٢٨].

عن محمد ابن إسحاق :"{والله يريد الآخرة}، بقتلهم ، لظهور الدين الذي يريدون إطفاءه ، الذي به تدرك الآخرة"[٥٢٢٩].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال : ٦٧]، أي:" والله عزيز لا يُقْهر، حكيم في شرعه"[٥٢٣٠].

روي عن ابن عباس[٥٢٣١]، ومجاهد[٥٢٣٢]، في آخرين أن هذه الآية منسوخة بقوله: {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء} [محمد : ٤]، وليس للنسخ وجه لأن غزاة بدر كانت وفي المسلمين قلة، فلما كثروا واشتد سلطانهم نزلت الآية الأخرى، ويبين هذا قوله: {حتى يثخن في الأرض}[٥٢٣٣].

(٥٢١٧) أخرجه الطبري(١٦٢٩٤):ص٦٢/١٤، وأخرجه مسلم (١٣٨٣/٣ - ح: ١٧٦٣) والإمام أحمد (الفتح الرباني: ١٠٢/١٤ - ح: ٢٩٢) وابن جرير (٣١/١٠) والبيهقي في "الدلائل" (١٣٧/٣) وأبو نعيم في "الدلائل" (١٧١/٢)، والواحدي في اسباب النزول:٢٤٠ من طريق سماك الحنفي به.

(٥٢١٨) التفسير الميسر:١٨٥.

(٥٢١٩) أخرجه الطبري(١٦٢٩٢):ص٦٠/١٤-٦١.

(٥٢٢٠) أخرجه الطبري(١٦٢٨٩):ص٦٠/١٤.

(٥٢٢١) أخرجه الطبري(١٦٢٩١):ص٦٠/١٤.

(٥٢٢٢) أخرجه الطبري(١٦٢٨٨):ص٦٠/١٤.

(٥٢٢٣) أخرجه الطبري(١٦٢٩٠):ص٦٠/١٤.

(٥٢٢٤) التفسير الميسر:١٨٥.

(٥٢٢٥) أخرجه الطبري(١٦٢٩٢):ص٦٠/١٤-٦١، وابن أبي حاتم(٩١٥٨):ص١٧٣٣/٥.

(٥٢٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٥٦):ص١٧٣٣/٥.

(٥٢٢٧) التفسير الميسر:١٨٥.

(٥٢٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٥٩):ص١٧٣٣/٥.

(٥٢٢٩) أخرجه الطبري(١٦٢٩٢):ص٦٠/١٤-٦١.

(٥٢٣٠) التفسير الميسر:١٨٥.

(٥٢٣١)روى هذا القول النحاس بإسناده عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة، وذكره مكي بن أبي طالب بدون إسناد، عنه. انظر: الناسخ والمنسوخ ص:١٥٦؛ والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه (٢٦٥).

(٥٢٣٢) انظر: زاد المسير:٢٢٥/٢، ونواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٥٥/٢.

القرآن
{لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨)} [الأنفال : ٦٨]
التفسير:
لولا كتاب من الله سبق به القضاء والقدر بإباحة الغنيمة وفداء الأسرى لهذه الأمة، لنالكم عذاب عظيم بسبب أَخْذكم الغنيمة والفداء قبل أن ينزل بشأنهما تشريع.

قوله تعالى:{لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ} [الأنفال : ٦٨]، أي:" لولا كتاب من الله سبق به القضاء والقدر بإباحة الغنيمة وفداء الأسرى لهذه الأمة"(٥٢٣٤).

وفي قوله تعالى:{لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ} [الأنفال : ٦٨]، أقوال:

أحدها: لولا كتاب من الله سبق لأهل بدر أن لا يعذبهم، لمسهم فيما أخذوه من فداء أسرى بدر عذاب عظيم ، قاله الحسن(٥٢٣٥)، مجاهد(٥٢٣٦)، وقتادة(٥٢٣٧)، وسعيد بن جبير(٥٢٣٨).

الثاني : لولا كتاب من الله سبق في أنه سيحل لكم الغنائم لمسكم في تعجلها من أهل بدر عذاب عظيم ، قاله االحسن(٥٢٣٩)، ومجاهد(٥٢٤٠).

عن الأعمش: في قوله:"{لولا كتاب من الله سبق}، قال: سبق من الله أن أحل لهم الغنيمة"(٥٢٤١).

عن الحسن في قوله : "{لولا كتاب من الله سبق} الآية ، قال : إن الله كان مُطْعِم هذه الأمة الغنيمة ، وإنهم أخذوا الفداء من أسارى بدر قبل أن يؤمروا به. قال : فعاب الله ذلك عليهم ، ثم أحله الله"(٥٢٤٢).

وفي رواية أخرى عن الحسن في قول الله : "{لولا كتاب من الله سبق} الآية ، وذلك يوم بدر ، وأخذ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم المغانمَ والأسارى قبل أن يؤمروا به ، وكان الله تبارك وتعالى قد كتب في أم الكتاب : المغانم والأسارى حلال لمحمد وأمته، ولم يكن أحله لأمة قبلهم ، وأخذوا المغانم وأسروا الأسارى قبل أن ينزل إليهم في ذلك ، قال الله : {لولا كتاب من الله سبق}، يعني في الكتاب الأول. أن المغانم والأسارى حلال لكم"(٥٢٤٣).

وروي عن الحسن أيضا:" {لولا كتاب من الله سبق}، قال : {سبق}، أن لا يعذب أحدًا من أهل بدر"(٥٢٤٤).

الثالث : لولا كتاب من الله سبق أن لا يؤاخذ أحداً بعمل أتاه على جهالة لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم ، قاله مجاهد(٥٢٤٥)، ابن اسحاق(٥٢٤٦).

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، أن قوله : {لولا كتاب من الله سبق}، خبر عامٌّ غير محصور على معنى دون معنى ، وكل هذه المعاني، مما قد سبق في كتاب الله أنه لا يؤاخذ بشيء منها هذه الأمة ، وذلك : ما عملوا من عمل بجهالة ، و إحلال الغنيمة ، والمغفرة لأهل بدر ، وكل ذلك مما كتب لهم. وإذ كان ذلك كذلك ، فلا وجه لأن يخصّ من ذلك معنى دون معنى ، وقد عم الله الخبر بكل ذلك ، بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه(٥٢٤٧).

(٥٢٣٣) نواسخ القرآن:٢/٤٥٥.
(٥٢٣٤) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥٢٣٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٣١١):ص٦٩/١٤.
(٥٢٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٣١٠)، و(١٦٣١٤):ص٦٩/١٤
(٥٢٣٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٣١٢):ص٦٩/١٤.
(٥٢٣٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٠٩):ص٦٨/١٤.
(٥٢٣٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٢٩٦):ص٦٥/١٤.
(٥٢٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٣١٦):ص٦٩/١٤-٧٠.
(٥٢٤١) أخرجه الطبري(١٦٢٩٩):ص٦٦/١٤.
(٥٢٤٢) أخرجه الطبري(١٦٢٩٥):ص٦٥/١٤.
(٥٢٤٣) أخرجه الطبري(١٦٢٩٦):ص٦٥/١٤.
(٥٢٤٤) أخره الطبري(١٦٣١٣):ص٦٩/١٤.
(٥٢٤٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٣١٦):ص٦٩/١٤-٧٠.
(٥٢٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٣١٧):ص٧٠/١٤
(٥٢٤٧) تفسير الطبري:١٤/٧٠-٧١.

قوله تعالى:{لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [الأنفال : ٦٨]، أي:" لنالكم عذاب عظيم بسبب أخْذكم الغنيمة والفداء قبل أن ينزل بشأنهما تشريع"(٥٢٤٨).

عن ابن إسحاق :"{لمسكم فيما أخذتم}، لعذبتكم فيما صنعتم"(٥٢٤٩).

عن سعيد بن جبير:"{لمسكم فيما أخذتم}، قال: من الفداء {عذاب عظيم}"(٥٢٥٠).

قال ابن إسحاق : لما نزلت : "{لولا كتاب من الله سبق}، الآية ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لو نزل عذابٌ من السماء لم ينج منه إلا سعد بن معاذ ، لقوله : يا نبي الله ، كان الإثخان في القتل أحبّ إلي من استبقاء الرجال"(٥٢٥١).

القرآن

{فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩)} [الأنفال : ٦٩]

التفسير:

فكلوا من الغنائم وفداء الأسرى فهو حلال طيب، وحافظوا على أحكام دين الله وتشريعاته. إن الله غفور لعباده، رحيم بهم.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنفال : ٦٩]، أي:" إن الله غفور لعباده، رحيم بهم"(٥٢٥٢).

عن قتادة:" قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"(٥٢٥٣).

قال قتادة:" قوله:{رحيما}، بعياده"(٥٢٥٤).

قال سعيد بن جبير:" قوله:{رحيما} بهم بعد التوب"(٥٢٥٥).

القرآن

{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠)} [الأنفال : ٧٠]

التفسير:

يا أيها النبي قل لمن أسرتموهم في «بدر» : لا تأسوا على الفداء الذي أخذ منكم، إن يعلم الله تعالى في قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا مما أُخذ منكم من المال بأن يُيَسِّر لكم من فضله خيرًا كثيرًا -وقد أنجز الله وعده للعباس رضي الله عنه وغيره-، ويغفر لكم ذنوبكم. والله سبحانه غفور لذنوب عباده إذا تابوا، رحيم بهم.(٥٢٥٦).

سبب النزول:

قال العباس: "فيّ نزلت: {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض}، فأخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بإسلامي، وسألته أن يحاسبني بالعشرين الأوقية التي أخذ مني فأبى، فأبدلني الله بها عشرين عبدًا، كلهم تاجر، مالي في يديه"(٥٢٥٧).

وعن ابن عباس: "{يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى}، عباس وأصحابه، قال: قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: آمنا بما جئت به، ونشهد إنك لرسول الله، لننصحن لك على قومنا. فنزل: {إن يعلم الله في قلوبكم خيرًا يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم}، إيمانًا وتصديقًا، يخلف لكم خيرًا مما أصيب منكم {ويغفر لكم}، الشرك الذي كنتم عليه. قال: فكان العباس يقول: ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فينا، وأن لي الدنيا، لقد قال:

(٥٢٤٨) التفسير الميسر:١٨٥.

(٥٢٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٧١):ص١٧٣٦/٥.

(٥٢٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٧٣):ص١٧٣٦/٥.

(٥٢٥١) أخرجه الطبري(١٦٣٢٠):ص٧١/١٤.

(٥٢٥٢) التفسير الميسر:١٨٥.

(٥٢٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٠٣):ص٩١٥/٣.

(٥٢٥٤)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣

(٥٢٥٥)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٤):ص٨٩٦/٣

(٥٢٥٦) التفسير الميسر:١٨٦.

(٥٢٥٧) أخرجه الطبري(١٦٣٢١):ص٧٣/١٤.

{يؤتكم خيرًا مما أخذ منكم}، فقد أعطاني خيرًا مما أخذ مني مئة ضعف، وقال: {ويغفر لكم}، وأرجو أن يكون قد غُفِر لي"[٥٢٥٨].

وعن الضحاك في قوله: "{يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى} الآية، يعني: العباسَ وأصحابه، أسروا يوم بدر. يقول الله: إن عملتم بطاعتي ونصحتم لي ولرسولي، أعطيتكم خيرًا مما أخذ منكم وغفرت لكم. وكان العباس بن عبد المطلب يقول: لقد أعطانا الله خصلتين، ما شيء هو أفضل منهما: عشرين عبدًا. وأما الثانية: فنحن في موعود الصادق ننتظر المغفرة من الله سبحانه"[٥٢٥٩].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى} [الأنفال : ٧٠]، أي:" يا أيها النبي قل لمن أسرتموهم في «بدر»"[٥٢٦٠].

قال الضحاك:" يعني: العباس وأصحابه، أسروا يوم بدر"[٥٢٦١].

قال عامر: "أسر يوم بدر العباس وعقيل ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب"[٥٢٦٢].

قوله تعالى:{إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ} [الأنفال : ٧٠]، أي:" إن يعلم الله في قلوبكم إيماناً وإخلاصاً، وصدقاً في دعوى الإيمان، يعطكم أفضل مما أخذ منكم من الفداء، ويمحو عنكم ما سلف من الذنوب"[٥٢٦٣].

قال الضحاك:" يقول الله تعالى: إن عملتم بطاعتي ونصحتم لي ولرسولي أعطيتكم خيرا مما أخذ منكم وغفرت لكم"[٥٢٦٤].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [الأنفال : ٧٠]، أي:" والله واسع المغفرة، عظيم الرحمة لمن تاب وأناب"[٥٢٦٥].

عن قتادة:" قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"[٥٢٦٦].

قال قتادة:" قوله:{رحيما}، بعياده"[٥٢٦٧].

قال سعيد بن جبير:" قوله:{رحيما} بهم بعد التوب"[٥٢٦٨].

القرآن

{وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٧١)} [الأنفال : ٧١]

التفسير:

وإن يرد الذين أطْلَقْتَ صراحهم -أيها النبي- من الأسرى الغدر بك مرة أخرى فلا تَيْئَسْ، فقد خانوا الله من قبل وحاربوك، فنصرك الله عليهم. والله عليم بما تنطوي عليه الصدور، حكيم في تدبير شؤون عباده.

قوله تعالى:{وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ} [الأنفال : ٧١]، أي:" وإن يرد الذين أطْلَقْتَ صراحهم -أيها النبي- من الأسرى الغدر بك مرة أخرى"[٥٢٦٩].

عن قتادة قوله : "{وإن يريدوا خيانتك} الآية ، قال : ذكر لنا أن رجلا كتب لنبي الله صلى الله عليه وسلم ، ثم عمد فنافق ، فلحق بالمشركين بمكة ، ثم قال :" ما كان محمد يكتب إلا ما شئت! " فلما سمع ذلك رجل من الأنصار ، نذر لئن أمكنه الله منه ليضربنه بالسيف. فلما كان يوم الفتح ، أمَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلا عبد الله بن سعد بن أبي سرح ، ومِقْيَس بن صُبابة، وابن خطل ، وامرأة كانت تدعو على النبيّ صلى الله عليه وسلم كل صباح. فجاء عثمان بابن أبي سرح ، وكان رضيعه أو : أخاه من الرضاعة

(٥٢٥٨) أخرجه الطبري(١٦٣٢٦):ص٧٤/١٤.
(٥٢٥٩) أخرجه الطبري(١٦٣٢٧):ص٧٥/١٤.
(٥٢٦٠) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥٢٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٧٧):ص١٧٣٦/٥.
(٥٢٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٧٦):ص١٧٣٦/٥.
(٥٢٦٣) صفوة التفاسير:٤٧٨/١.
(٥٢٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٧٧):ص١٧٣٦/٥.
(٥٢٦٥) صفوة التفاسير:٤٧٨/١.
(٥٢٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٠٣):ص٩١٥/٣.
(٥٢٦٧)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣
(٥٢٦٨)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٤):ص٨٩٦/٣
(٥٢٦٩) التفسير الميسر:١٨٥.

فقال : يا رسول الله ، هذا فلان أقبل تائبًا نادمًا! فأعرض نبي الله صلى الله عليه وسلم . فلما سمع به الأنصاريّ أقبل متقلدًا سيفه ، فأطاف به، وجعل ينظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجاء أن يومئ إليه. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدّم يده فبايعه ، فقال : أما والله لقد تلوَّمتك فيه لتوفي نذرك! فقال : يا نبيّ الله إنيّ هِبْتك ، فلولا أوْمضت إليّ! فقال : إنه لا ينبغي لنبيٍّ أن يومض"(٥٢٧٠).

قوله تعالى:{فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ} [الأنفال : ٧١]، أي:" فقد خانوا الله من قبل وحاربوك، فقواك ونصرك الله عليهم وجعلك تتمكن من رقابهم، فإن عادوا إلى الخيانة فسيمكنك منهم أيضاً"(٥٢٧١).

عن السدي : "{وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم}، يقول : قد كفروا بالله ونقضوا عهده ، فأمكن منهم ببدر"(٥٢٧٢).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [الأنفال : ٧١]، أي:" والله عليم بما تنطوي عليه الصدور، حكيم في تدبير شؤون عباده"(٥٢٧٣).

قال محمد بن إسحاق: "{والله عليم} أي: عليم بما يخفون"(٥٢٧٤).

عن أبي العالية:" {حكيما}، قال: حكيم في أمره"(٥٢٧٥).

القرآن

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢)} [الأنفال : ٧٢]

التفسير:

إن الذين صدَّقوا الله، ورسوله وعملوا بشرعه، وهاجروا إلى دار الإسلام، أو بلد يتمكنون فيه من عبادة ربهم، وجاهدوا في سبيل الله بالمال والنفس، والذين أنزلوا المهاجرين في دورهم، وواسوهم بأموالهم، ونصروا دين الله، أولئك بعضهم نصراء بعض. أما الذين آمنوا ولم يهاجروا من دار الكفر فلستم مكلفين بحمايتهم ونصرتهم حتى يهاجروا، وإن وقع عليهم ظلم من الكفار فطلبوا نصرتكم فاستجيبوا لهم، إلا على قوم بينكم وبينهم عهد مؤكد لم ينقضوه. والله بصير بأعمالكم، يجزي كلا على قدر نيته وعمله.

قوله تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [الأنفال : ٧٢]، أي:" إن الذين صدَّقوا الله، ورسوله وعملوا بشرعه، وهاجروا إلى دار الإسلام، أو بلد يتمكنون فيه من عبادة ربهم، وجاهدوا في سبيل الله بالمال والنفس، والذين أنزلوا المهاجرين في دورهم، وواسوهم بأموالهم، ونصروا دين الله، أولئك بعضهم نصراء بع "(٥٢٧٦).

قال سعيد بن جبير:"قوله: {آمنوا بالله}، يعني: بتوحيد الله"(٥٢٧٧).

قال مجاهد:" الثلاث الآيات خواتيم الأنفال ، فيهن ذكر ما كان والىَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مهاجري المسلمين وبين الأنصار في الميراث. ثم نسخ ذلك آخرها : {وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}"(٥٢٧٨).

عن قتادة : "{والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا} ، إلى قوله : {ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا} ، قال : لبث المسلمون زمانا يتوارثون بالهجرة ، والأعرابي المسلم لا يرث من المهاجر شيئًا ، فنسخ ذلك بعد ذلك ، فألحق الله { وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ

(٥٢٧٠) أخرجه الطبري(١٦٣٢٩):ص٧٦/١٤.
(٥٢٧١) انظر: التفسير الميسر:١٨٥، وصفوة التفاسير:٤٧٨/١.
(٥٢٧٢) أخرجه الطبري(١٦٣٣٠):ص٧٦/١٤-٧٧.
(٥٢٧٣) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥٢٧٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٤٩٤٧):ص٨٩٠/٣.
(٥٢٧٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٩١٥).:ص٨٨٤/٣
(٥٢٧٦) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥٢٧٧) أخرجه ابن ابي حاتم(٦١٠٤):ص١٠٩٠/٤.
(٥٢٧٨) أخرجه الطبري(١٦٣٣٣):ص٧٩/١٣.

الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا} [سورة الأحزاب : ٦] ، أي : من أهل الشرك ، فأجيزت الوصية ، ولا ميراث لهم ، وصارت المواريث بالملل ، والمسلمون يرث بعضهم بعضًا من المهاجرين والمؤمنين ، ولا يرث أهل ملتين"(٥٢٧٩).

عن عكرمة والحسن قالا:"{إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله} ، إلى قوله : {ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا} ، كان الأعرابي لا يرث المهاجر ، ولا يرثه المهاجر ، فنسخها فقال : {وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}"(٥٢٨٠).

عن السدي : "{إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعهم أولياء بعض}، في الميراث {والذين آمنوا ولم يهاجروا}، وهؤلاء الأعراب {ما لكم من ولايتهم من شيء} ، في الميراث {وإن استنصروكم في الدين} يقول : بأنهم مسلمون {فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والذين كفروا بعضهم أولياء بعض} ، في الميراث {والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم} ، ثم نسختها الفرائض والمواريث ، " وأولوا الأرحام " . الذين توارثوا على الهجرة {بعضهم أولى ببعض في كتاب الله} ، فتوارث الأعرابُ والمهاجرون"(٥٢٨١).

عن عبد الله بن كثير قوله : "{إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا} ، إلى قوله : {بما تعملون بصير}، قال : بلغنا أنها كانت في الميراث ، لا يتوارث المؤمنون الذين هاجروا ، والمؤمنون الذين لم يهاجروا. قال : ثم نزل بعد : { وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } ، فتوارثوا ولم يهاجروا قال ابن جريج ، قال مجاهد : خواتيم " الأنفال " الثلاث الآيات ، فيهن ذكر ما كان واليَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين المسلمين وبين الأنصار في الميراث ، ثم نسخ ذلك آخرها : { وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ}"(٥٢٨٢).

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا} [الأنفال : ٧٢]، أي:" أما الذين آمنوا ولم يهاجروا من دار الكفر"(٥٢٨٣).

قال السدي:" هؤلاء الأعراب"(٥٢٨٤).

قال عكرمة:" لبث برهة والأعرابي لا يرث المهاجر، ولا المهاجر يرث الأعرابي حتى فتحت مكة ودخل الناس في الدين أفواجا، فأنزل الله تعالى: {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله}"(٥٢٨٥).

قوله تعالى:{مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا} [الأنفال : ٧٢]، أي:" فلستم مكلفين بحمايتهم ونصرتهم حتى يهاجروا"(٥٢٨٦).

عن قتادة: "{ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا}، قال : كان المسلمون يتوارثون بالهجرة، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم ، فكانوا يتوارثون بالإسلام والهجرة. وكان الرجل يسلم ولا يهاجر ، لا يرث أخاه ، فنسخ ذلك قوله : {وَأُولُو الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ} [الأحزاب : ٦]"(٥٢٨٧).

عن الزهري : "أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ على رجل دخل في الإسلام فقال : تقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتحج البيت، وتصوم رمضان، وأنك لا ترى نار مشرك إلا وأنت حرب"(٥٢٨٨).

قوله تعالى:{وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ} [الأنفال : ٧٢]، أي:" وإن وقع عليهم ظلم من الكفار فطلبوا نصرتكم فاستجيبوا لهم"(٥٢٨٩).

(٥٢٧٩) أخرجه الطبري(١٦٣٣٥):ص١٤/٨٠.
(٥٢٨٠) أخرجه الطبري(١٦٣٣٦):ص١٤/٨٠.
(٥٢٨١) أخرجه الطبري(١٦٣٣٧):ص١٤/٨٠-٨١.
(٥٢٨٢) أخرجه الطبري(١٦٣٣٤):ص١٤/٧٩-٨٠.
(٥٢٨٣) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥٢٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٨٨):ص٥/١٧٣٩.
(٥٢٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٩٠):ص٥/١٧٣٩.
(٥٢٨٦) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥٢٨٧) أخرجه الطبري(١٦٣٣٨):ص١٤/٨١.
(٥٢٨٨) أخرجه الطبري(١٦٣٤٠):ص١٤/٨٢-٨٣.
يعني بذلك : أن يبعد منزله عن منزل المشرك "حتى لا يرى ناره " نهى منه صلى الله عليه وسلم عن جوار لمشرك.
(٥٢٨٩) التفسير الميسر:١٨٥.

عن السدي:" يقول: بأنهم مسلمون"[٥٢٩٠].
قوله تعالى:{إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ} [الأنفال : ٧٢]، أي:" إلا على قوم بينكم وبينهم عهد مؤكد لم ينقضوه"[٥٢٩١].
قال قتادة:" نهى المسلمون عن أهل ميثاقهم فو الله لأخوك المسلم أعظم عليك حرمة وحقا"[٥٢٩٢].

القرآن
{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ (٧٣)} [الأنفال : ٧٣]
التفسير:
والذين كفروا بعضهم نصراء بعض، وإن لم تكونوا -أيها المؤمنون- نصراء بعض تكن في الأرض فتنة للمؤمنين عن دين الله، وفساد عريض بالصد عن سبيل الله وتقوية دعائم الكفر.
سبب النزول:
عن أبي مالك قال: "قال رجل : نورّث أرحامنا من المشركين! فنزلت : {والذين كفروا بعضهم أولياء بعض}، الآية"[٥٢٩٣].
عن ابن عباس قوله : "{والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير} ، نزلت في مواريث مشركي أهل العهد"[٥٢٩٤].
قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [الأنفال : ٧٣]، أي:" والذين كفروا بعضهم نصراء بعض"[٥٢٩٥].
وفي قوله تعالى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [الأنفال : ٧٣]، وجهان:
أحدهما : بعضهم أنصار بعض ، قاله قتادة[٥٢٩٦]، وابن إسحاق[٥٢٩٧].
قال ابن إسحاق:" : حض الله المؤمنين على التواصل ، فجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون سواهم ، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض"[٥٢٩٨].
الثاني : بعضهم وارث بعض ، قاله أبو مالك [٥٢٩٩].
عن أسامة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لا يتوارث أهل ملتين ، ولا يرث مسلم كافرًا ، ولا كافر مسلما" ، ثم قرأ : { وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ }"[٥٣٠٠].
وأولى التأويلين بتأويل قوله : {والذين كفروا بعضهم أولياء بعض}، قول من قال : معناه : أن بعضهم أنصار بعض دون المؤمنين ، وأنه دلالة على تحريم الله على المؤمن المقامَ في دار الحرب وترك الهجرة ، لأن المعروف في كلام العرب من معنى " الوليّ " ، أنه النصير والمعين ، أو : ابن العم والنسيب. فأما الوارث فغير معروف ذلك من معانيه ، إلا بمعنى أنه يليه في القيام بإرثه من بعده. وذلك معنى بعيد ، وإن كان قد يحتمله الكلام. وتوجيه معنى كلام الله إلى الأظهر الأشهر ، أولى من توجيهه إلى خلاف ذلك"[٥٣٠١].

(٥٢٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٩٤):ص٥/١٧٤٠.
(٥٢٩١) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥٢٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٩٦):ص٥/١٧٤٠.
(٥٢٩٣) أخرجه الطبري(١٦٣٤٣):ص١٤/٨٤.
(٥٢٩٤) أخرجه الطبري(١٦٣٤٤):ص١٤/٨٤.
(٥٢٩٥) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥٢٩٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٤٦):ص١٤/٨٥.
(٥٢٩٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٤٧):ص١٤/٨٥.
(٥٢٩٨) أخرجه الطبري(١٦٣٤٧):ص١٤/٨٥.
(٥٢٩٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٤٣):ص١٤/٨٤.
(٥٣٠٠) أخرجه الحاكم في) المستدرك (٢/٢٤٠)، وقال:" صحيح الإسناد ولم يخرجاه".
(٥٣٠١) تفسير الطبري:١٤/٨٧.

قوله تعالى:{ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ} [الأنفال : ٧٣]، أي:" وإن لم تكونوا -أيها المؤمنون- نصراء بعض، تكن في الأرض فتنة للمؤمنين عن دين الله، وفساد عريض بالصد عن سبيل الله وتقوية دعائم الكفر"(٥٣٠٢).

قال ابن جريج:" إلا تعاونوا وتناصروا في الدين {تكن فتنة في الأرض وفساد كبير}"(٥٣٠٣).

قال ابن إسحاق:" جعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم، وجعل الكفار بعضهم أولياء بعض، ثم قال: {إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير}، إلا يوال المؤمن المؤمن من دون الكافر، وإن كان ذا رحم به {تكن فتنة في الأرض وفساد كبير} ، أي: شبهة في الحق والباطل، وظهور الفساد في الأرض، بتولي المؤمن الكافر دون المؤمن. ثم رد المواريث إلى الأرحام"(٥٣٠٤).

القرآن

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٧٤)} [الأنفال : ٧٤]

التفسير:

والذين آمنوا بالله ورسوله، وتركوا ديارهم قاصدين دار الإسلام أو بلدًا يتمكنون فيه من عبادة ربهم، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله، والذين نصروا إخوانهم المهاجرين وآووهم وواسوهم بالمال والتأييد، أولئك هم المؤمنون الصادقون حقًا، لهم مغفرة لذنوبهم، ورزق كريم واسع في جنات النعيم.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} [الأنفال : ٧٤]، أي:" أولئك هم المؤمنون الصادقون حقًا"(٥٣٠٥).

قال قتادة:" استحقوا الإيمان بحق، فأحقه الله لهم"(٥٣٠٦).

عن أبي سنان قال: "سئل عمرو بن مرة عن قوله: {أولئك هم المؤمنون حقا}، قال: إنما أنزل القرآن بلسان العرب، كقولك: فلان سيد حقا وفي القوم سادة، وفلان تاجر حقا وفي القوم تجار، وفلان شاعر حقا وفي القوم شعراء"(٥٣٠٧).

قوله تعالى:{لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [الأنفال : ٧٤]، أي:" لهم مغفرة لذنوبهم، ورزق كريم واسع في جنات النعيم"(٥٣٠٨).

عن ابن جريج:" {مغفرة}، لذنوبهم"(٥٣٠٩).

قال محمد بن كعب القرظي: "إذا سمعت الله يقول: {رزق كريم}، فهي الجنة"(٥٣١٠).

القرآن

{وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٧٥)} [الأنفال : ٧٥]

التفسير:

والذين آمنوا مِن بعد هؤلاء المهاجرين والأنصار، وهاجروا وجاهدوا معكم في سبيل الله، فأولئك منكم -أيها المؤمنون- لهم ما لكم وعليهم ما عليكم، وأولو القرابة بعضهم أولى ببعض في التوارث في حكم الله من عامة المسلمين. إن الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح عباده مِن توريث بعضهم من بعض في القرابة والنسب دون التوارث بالحِلف، وغير ذلك مما كان في أول الإسلام.

(٥٣٠٢) التفسير الميسر:١٨٥.

(٥٣٠٣) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٥١):ص٨٧/١٤.

(٥٣٠٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٥٠):ص٨٦/١٤-٨٧.

(٥٣٠٥) التفسير الميسر:١٨٥.

(٥٣٠٦) أخرجه الطبري(١٥٦٩٦):ص٣٨٩/١٣.

(٥٣٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٧٩٦):ص١٦٥٨/٥.

(٥٣٠٨) التفسير الميسر:١٨٥.

(٥٣٠٩) أخرجه الطبري(١٨٠٠٦):ص٢٥٧/١٥-٢٥٨.

(٥٣١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٠١):ص١٦٥٨/٥.

سبب النزول:

عن الزبير بن العوام قال: "أنزل الله فينا خاصة معشر قريش والأنصار {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله}، قال: وذلك أنا معشر قريش لما قدمنا المدينة ولا أموال لنا، فوجدنا الأنصار نعم الإخوان فواخيناهم وأورثناهم، فآخى أبو بكر خارجة بن زيد، وآخى عمر فلانا وآخى عثمان بن عفان رجلا من بني زريق بن سعد الزرقي ويقول بعض الناس غيره قال الزبير: وواخيت أنا كعب بن مالك، وأورثونا وأورثناهم، فلما كان يوم أحد قيل لي: قد قتل أخوك كعب بن مالك، فجئته فانتقلته، فوجدت السلاح قد ثقله فيما نرى، فو الله يا بني لو مات يومئذ عن الدنيا ما ورثه غيري، حتى أنزل الله هذه الآية فينا معشر قريش والأنصار خاصة فرجعنا إلى مواريثنا"(٥٣١١).

عن عيسى بن الحارث: "أن أخاه شريح بن الحارث كانت له سُرِّيَّة ، فولدت منه جارية ، فلما شبت الجارية زُوِّجت ، فولدت غلامًا ، ثم ماتت السرِّية ، واختصم شريح بن الحارث والغلام إلى شريح القاضي في ميراثها ، فجعل شريح بن الحارث يقول : ليس له ميراث في كتاب الله! قال : فقضى شريح بالميراث للغلام. قال : {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله}، فركب ميسرة بن يزيد إلى ابن الزبير ، فأخبره بقضاء شريح وقوله ، فكتب ابن الزبير إلى شريح : إن ميسرة أخبرني أنك قضيت بكذا وكذا، وقلت: {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله}، وإنه ليس كذلك ، إنما نزلت هذه الآية : أنّ الرجل كان يعاقد الرجل يقول : «ترثني وأرثك»، فنزلت:{وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله}. فجاء بالكتاب إلى شريح ، فقال شريح:أعتقها حيتان بطنها!، وأبى أن يرجع عن قضائه"(٥٣١٢). وفي رواية أخرى :" كان الرجل يعاقد الرجل يقول :«ترثني وأرثك»، فلما نزلت تُرك ذلك"(٥٣١٣).

عن ابن عباس" وقيل له أن ابن مسعود لا يورث الموالي دون ذوي الأرحام، ويقول: إن ذوي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، فقال ابن عباس: هيهات هيهات أين ذهب؟ إنما كان المهاجرون يتوارثون دون الأعراب فنزلت وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله يعني: أنه يورث المولى"(٥٣١٤).

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ} [الأنفال : ٧٥]، أي:" والذين آمنوا مِن بعد هؤلاء المهاجرين والأنصار، وهاجروا وجاهدوا معكم في سبيل الله، فأولئك منكم -أيها المؤمنون- لهم ما لكم وعليهم ما عليكم"(٥٣١٥).

عن ابن إسحاق قال: "حض الله المؤمنين على التواصل، فجعل المهاجرين والأنصار أهل ولاية في الدين دون من سواهم"(٥٣١٦).

قال الضحاك:" فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وترك الناس على أربع منازل: مؤمن مهاجر، ومسلم أعرابي والذين آووا ونصروا والتابعين بإحسان"(٥٣١٧).

قوله تعالى:{وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} [الأنفال : ٧٥]، أي:" وأولو القرابة بعضهم أولى ببعض في التوارث في حكم الله من عامة المسلمين"(٥٣١٨).

عن قتادة قوله: كتاب قال: القرآن"(٥٣١٩).

قال قتادة:"كان لا يرث الأعرابيُّ المهاجرَ، حتى أنزل الله:{وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله}"(٥٣٢٠).

(٥٣١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٠٦):ص٥/١٧٤٢-١٧٤٣.
(٥٣١٢) أخرجه الطبري(١٦٣٥٤):ص١٤/٩٠-٩١.
(٥٣١٣) أخرجه الطبري(١٦٣٥٥):ص١٤/٩١.
(٥٣١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٠٩):ص٥/١٧٤٣.
(٥٣١٥) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥٣١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٠٤):ص٥/١٧٤٢.
(٥٣١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٠٥):ص٥/١٧٤٢.
(٥٣١٨) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥٣١٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٩٢١١):ص٥/١٧٤٤. وقد بين لهم قسمة الميراث في سورة النساء [١١- ١٢].
(٥٣٢٠) أخرجه الطبري(١٦٣٥٣):ص١٤/٩٠.

قال عكرمة: "لبث برهة والأعرابي لا يرث المهاجر، ولا المهاجر يرث الأعرابي حتى فتحت مكة ودخل الناس في الدين أفواجا، فأنزل الله تعالى: {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله}"[٥٣٢١].

قال ابن إسحاق:" ثم ردّ المواريث إلى الأرحام ممن أسلم بعد الولاية من المهاجرين والأنصار دونهم ، إلى الأرحام التي بينهم، فقال : {والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله}، أي : بالميراث"[٥٣٢٢].

عن سعيد بن جبير في قول الله: "{وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم}، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من مواريث العقد والحلف والمواريث بالهجرة وصارت لذوي الأرحام، قال: والوالد أولى من الأخ والأخ والأخت أولى من ابن الأخ وابن الأخ أولى من العم والعم أولى من ابن العم وابن العم أولى من الخال، وليس للخال ولا العمة ولا الخالة من الميراث نصيب في قول زيد رضي الله عنه وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعطي ثلثي المال للعمة والثلث للخالة، إذا لم يكن له وارث وكان علي وابن مسعود رضي الله عنهما يعني: يردان ما فضل من الميراث على ذوي الأرحام على قدر سهمانهم غير الزوج والمرأة"[٥٣٢٣].

عن سفيان، عن نسير بن ذعلوق قال: "قال رجل للربيع: أوص لي بمصحفك فنظر إلى ابن له صغير فقال: {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله}"[٥٣٢٤].

وليس المراد بقوله:{ وَأُوْلُوا الأَرْحَامِ } خصوصية ما يطلقه علماء الفرائض على القرابة ، الذين لا فرض لهم ولا هم عصبة ، بل يُدْلون بوارث ، كالخالة ، والخال ، والعمة ، وأولاد البنات ، وأولاد الأخوات ، ونحوهم ، كما قد يزعمه بعضهم ويحتج بالآية ، ويعتقد ذلك صريحا في المسألة ، بل الحق أن الآية عامة تشمل جميع القرابات. كما نص ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، وقتادة وغير واحد : على أنها ناسخة للإرث بالحلف والإخاء اللذين كانوا يتوارثون بهما أو لا وعلى هذا فتشمل ذوي الأرحام بالاسم الخاص. ومن لم يورثهم يحتج بأدلة من أقواها حديث : "إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه ، فلا وصيَّة لوارث" ، قالوا : فلو كان ذا حق لكان له فرض في كتاب الله مسمى ، فلما لم يكن كذلك لم يكن وارثا[٥٣٢٥].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} [الأنفال : ٧٥]، أي:"إن الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح عباده مِن توريث بعضهم من بعض في القرابة والنسب دون التوارث بالحِلف، وغير ذلك مما كان في أول الإسلام"[٥٣٢٦].

عن سعيد بن جبير:"{إن الله بكل شيء عليم}، يعني: من أعمالكم عليم"[٥٣٢٧].

قال ابن إسحاق {عليم}، أي: عليم بما يخفون"[٥٣٢٨].

«آخر تفسير سورة الأنفال، والحمد لله وحده»

(٥٣٢١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩١٩٠):ص١٧٣٩/٥.
(٥٣٢٢) أخرجه الطبري(١٦٣٥٢):ص٨٩/١٤.
(٥٣٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٠٨):ص١٧٤٣/٥.
(٥٣٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢١٠):ص١٧٤٤/٥.
(٥٣٢٥) تفسير ابن كثير:٩٩/٤-١٠٠.
(٥٣٢٦) التفسير الميسر:١٨٥.
(٥٣٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢١٧):ص١٧٤٤/٥.
(٥٣٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢١٢):ص١٧٤٤/٥.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «التوبة»

سورة «التوبة»: هي السورة التاسعة في ترتيب المصحف، تأتي بعد سورة «الأنفال»، وبعد «المائدة» في ترتيب النزول[٥٣٢٩]، وعدد آياتها (١٢٩) مائة وتسع وعشرون آية عند الكوفيّين، ومائة وثلاثون عند الباقين، عدد كلماتها (٢٤٩٧)ألفان وأربعمائة وسبع وتسعون كلمة. وحروفها (١٠٧٨٧)عشرة آلاف وسبعمائة وسبع وثمانون حرفاً، والآيات المختلف فيها ثلاث: { بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [التوبة : ٣]، {عَادٍ وَثَمُودَ} [التوبة : ٧٠]، {عَذَابًا أَلِيمًا } [التوبة : ٧٤][٥٣٣٠].

مجموع فواصل آياته (ل م ن ر ب) يجمعها «لم نربّ» على «اللاّم» منها آية واحدة {إِلَّا قَلِيلٌ} [التوبة : ٣٨]، وعلى «الياءِ» آية {وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ} [التوبة : ٧٨]، وكلّ آية منها آخرها «راء» فما قبل «الرّاءِ» «ياء»[٥٣٣١].

مكان نزول السورة:

اختلف أهل التفسير في مكان نزول السورة على قولين:

أحدهما: أنها مَدَنيّة. وهذا قول ابن عباس[٥٣٣٢]، وعبدالله بن الزبير[٥٣٣٣]، وقتادة[٥٣٣٤]، وعليه جمهور المفسرين[٥٣٣٥].

قال الفيروزآبادي:"هذه السورة مَدَنيّة بالاتّفاق"[٥٣٣٦].

والثاني: أنها مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان، وهما: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (١٢٨) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ (١٢٩)} [التوبة : ١٢٨ - ١٢٩]. قاله مقاتل[٥٣٣٧]، وبه قال الزمخشري[٥٣٣٨]، والفخر الرازي[٥٣٣٩]، وابن جزى الكلبي[٥٣٤٠].

قال العز بم عبدالسلام:" سورة التوبة مدنية اتفاقاً، أو إلا آيتين في آخرها، {لَقَدْ جَاءَكُمْ..} [١٢٨، ١٢٩] ، نزلتا بمكة"[٥٣٤١].

قال ابن الجوزي:" هي مدنية بإجماعهم، سوى الآيتين اللتين في آخرها: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُم..}[٥٣٤٢]، فانها نزلت بمكة"[٥٣٤٣].

(٥٣٢٩) انظر: الكشاف: ٢٤١/٢.

(٥٣٣٠)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٢٧، و عمدة القاري:٣٤٤/١٨.

(٥٣٣١)انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز للفيروزآبادي:١/ ٢٢٧.

(٥٣٣٢) انظر: الدر المنثور:١١٩/٤، وعزاه لابن مردويه، وانظر: بحر العلوم:٣٧/٢.

(٥٣٣٣)انظر: الدر المنثور:١١٩/٤، وعزاه لابن مردويه.

(٥٣٣٤)انظر: الدر المنثور:١١٩/٤، وعزاه لابن المنذر.

(٥٣٣٥) انظر: بحر العلوم:٣٧/٢، والكشف والبيان:٥/٥، والتفسير الوسيط للواحدي:٤٧٥/٢، ودرج الدرر:٨٥٧/٢، وتفسير النسفي:٦٦١/١، وتفسير ابن كثير:١٠١/٤، وغيرهم.

(٥٣٣٦) انظر: البصائر:٢٢٧/١.

(٥٣٣٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٥٣/٢-١٥٤.

(٥٣٣٨) انظر: الكشاف:٢٤١/٢.

(٥٣٣٩) انظر: مفاتيح الغيب:٥٢١/١٥.

(٥٣٤٠) انظر: التسهيل:٣٣١/١.

(٥٣٤١) تفسير العز بن عبدالسلام:٥/٢.

(٥٣٤٢)[التوبة : ١٢٨-١٢٩].

(٥٣٤٣) زاد المسير:٢٣٠/٢.

روى البخاري في «صحيحه» من حديث البراء قال: "آخر سورة نزلت براءة، وآخر آية نزلت: {يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ: اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلاَلَةِ} [النساء: ١٧٦]"(٥٣٤٤).

وقد نقل عن بعض العرب أنه سمع قارئا يقرأ هذه السورة، فقال الأعرابي: "إني لأحسب هذه من آخر ما نزل من القرآن. قيل له: ومن أين علمت؟ فقال: إني لأسمع عهودا تنبذ، ووصايا تنفذ"(٥٣٤٥).

واختلفوا في أول ما نزل من (براءة) على ثلاثة أقوال:

أحدها: أن أول ما نزل منها قوله تعالى: {لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ} [التوبة : ٢٥]، يعرِّفهم نصره، ويوطِّنهم لغزوة «تَبُوك»، قاله مجاهد(٥٣٤٦).

والثاني: {انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً} [التوبة : ٤١]، قاله مسلم بن صبيح(٥٣٤٧)، وأبو الضحى(٥٣٤٨)، وأبو مالك(٥٣٤٩).

والثالث: {إِلَّا تَنْصُرُوه} [التوبة : ٤٠]، قاله مقاتل(٥٣٥٠).

قال ابن الجوزي:"وهذا الخلاف إنما هو في أول ما نزل منها بالمدينة، فانهم قد قالوا: نزلت الآيتان اللتان في آخرها بمكة"(٥٣٥١).

(٥٣٤٤) صحيح البخاري(٤٦٠٥):ص٥٠/٦، وأخرجه مسلم في الفرائض باب آخر آية أنزلت آية الكلالة رقم (١٦١٨)

(٥٣٤٥) زاد المسير:٢٣٠/٢.

(٥٣٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٥٩):ص٢٧٠/١٤.

(٥٣٤٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٥٧):ص٢٦٩/١٤.

(٥٣٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٥٨):ص٢٧٠/١٤.

(٥٣٤٩) انظر: زاد المسير:٢٣٠/٢.

(٥٣٥٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:١٧١/٢.

(٥٣٥١) زاد المسير:٢٣٠/٢.

القرآن

{بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١)} [التوبة : ١]

التفسير:

هذه براءة من الله ورسوله، وإعلان بالتخلي عن العهود التي كانت بين المسلمين والمشركين.

سبب النزول:

قال ابن عباس: "نزلت في أبي سفيان بن حرب والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وسائر رؤساء قريش الذين نقضوا العهد، وهم الذين هموا بإخراج الرسول"(٥٣٥٢).

قوله تعالى:{بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [التوبة : ١]، أي:" هذه براءة من المشركين ومن عهودهم كائنة من الله ورسوله"(٥٣٥٣).

عن السدي قوله: "{براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين}، قال: لما نزلت هذه الآية برئ من عهد كل مشرك ولم يعاهد بعدها إلا من كان عاهد وأجرى لكل قوم مدتهم"(٥٣٥٤).

عن مجاهد في قوله: "{براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين}، إلى أهل العهد خزاعة ومدلج ومن كان له عهد وغير هم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من تبوك حين فرغ منها فأراد الحج، ثم قال: إنه يحضر البيت مشركون يطوفون عراة فلا أحب أن أحج حتى لا يكون ذلك، فأرسل أبا بكر وعليا فطافا في الناس بذي المجاز وبأمكنتهم التي كانوا يبيعون بها وبالموسم كله، فأذنوا أصحاب العهد أن يأمنوا أربعة أشهر"(٥٣٥٥).

القرآن

{فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ (٢)} [التوبة : ٢]

التفسير:

فسيروا -أيها المشركون- في الأرض مدَّة أربعة أشهر، تذهبون حيث شئتم آمنين من المؤمنين، واعلموا أنكم لن تُفْلِتوا من العقوبة، وأن الله مذل الكافرين ومورثهم العار في الدنيا، والنار في الآخرة.

قوله تعالى:{فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ} [التوبة : ٢]، أي:" فسيروا -أيها المشركون- في الأرض مدَّة أربعة أشهر، تذهبون حيث شئتم آمنين من المؤمنين"(٥٣٥٦).

واختلفوا فيمن جعل له أمان هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقاويل :

أحدها : أن الله تعالى جعلها أجلاً لمن كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد أمنه أقل من أربعة أشهر ولمن كان أجل أمانه غير محدود ثم هو بعد الأربعة حرب ، فأما من لا أمان له فهو حرب ، قاله ابن إسحاق(٥٣٥٧).

الثاني : أن الأربعة الأشهر أمان أصحاب العهد من كان عهده أكثر منها حط إليها ، ومن كان عهده أقل منها إليها ، ومن لم يكن له من رسول الله عهد جعل له أمان خمسين ليلة من يوم النحر إلى سلخ المحرم لقوله تعالى :{فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ}. قاله الضحاك(٥٣٥٨)، وقتادة(٥٣٥٩).

الثالث : أن الأربعة الأشهر عهد المشركين كافة ، المعاهد منهم وغير المعاهد ، قاله الزهري(٥٣٦٠)، ومحمد بن كعب(٥٣٦١)، ومجاهد(٥٣٦٢)، والسدي(٥٣٦٣).

(٥٣٥٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول:٢٤٣. بدون إسناد.

(٥٣٥٣) صفوة التفاسير:٤٨٤/١.

(٥٣٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢١٦):ص١٧٤٦/٦.

(٥٣٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢١٧):ص١٧٤٦/٦.

(٥٣٥٦) التفسير الميسر:١٨٧/١.

(٥٣٥٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٥٦):ص٩٦/١٤-٩٧.

(٥٣٥٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٥٩):٩٨/١٤-٩٩.

(٥٣٥٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٦٠):٩٩/١٤.

(٥٣٦٠) انظر: النكت والعيون: ٣٣٨/٢.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قولُ من قال: الأجلُ الذي جعله الله لأهل العهد من المشركين، وأذن لهم بالسياحة فيه بقوله: {فسيحوا في الأرض أربعة أشهر}، إنما هو لأهل العهد الذين ظاهروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونقضوا عهدهم قبل انقضاء مدته. فأما الذين لم ينقضوا عهدهم ولم يظاهروا عليه، فإن الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بإتمام العهد بينه وبينهم إلى مدته بقوله: {إِلا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [سورة التوبة: ٤] (٥٣٦٤).

عن عامر قال: "بعث النبي صلى الله عليه وسلم عليًّا رحمة الله عليه، فنادى: ألا لا يحجنَّ بعد العام مشرك، ولا يطف بالبيت عريان، ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فأجله إلى مدته، والله بريء من المشركين ورسوله"(٥٣٦٥).

عن أبي جعفر محمد بن علي بن حسين بن علي قال: "لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد كان بعث أبا بكر الصديق رحمة الله عليه ليقيم الحج للناس; قيل له: يا رسول الله، لو بعثت إلى أبي بكر! فقال: لا يؤدِّي عني إلا رجل من أهل بيتي! ثم دعا علي بن أبي طالب رحمة الله عليه، فقال: اخرج بهذه القصة من صدر "براءة"، وأذِّن في الناس يوم النحر إذا اجتمعوا بمنًى: أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته. فخرج علي بن أبي طالب رحمة الله عليه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء، حتى أدرك أبا بكر الصديق بالطريق. فلما رآه أبو بكر قال: أميرٌ أو مأمور؟ قال: مأمور، ثم مضيا رحمة الله عليهما، فأقام أبو بكر للناس الحج، والعرب إذ ذاك في تلك السنة على منازلهم من الحجّ التي كانوا عليها في الجاهلية. حتى إذا كان يوم النحر، قام علي بن أبي طالب رحمة الله عليه، فأذن في الناس بالذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا أيها الناس، لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ولا يحج بعد العام مشرك، ولا يطف بالبيت عريان، ومن كان له عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو له إلى مدته. فلم يحجّ بعد ذلك العام مشرك، ولم يطف بالبيت عريان. ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان هذا من "براءة"، فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العامّ، وأهل المدة إلى الأجل المسمى"(٥٣٦٦).

عن السدي قال: "لما نزلت هذه الآيات إلى رأس أربعين آية، بعث بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أبي بكر وأمَّره على الحج. فلما سار فبلغ الشجرة من ذي الحليفة، أتبعه بعليّ فأخذها منه. فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أنزل في شأني شيء؟ قال: لا ولكن لا يبلِّغ عني غيري، أو رجل مني، أما ترضى يا أبا بكر أنك كنت معي في الغار، وأنك صاحبي على الحوض؟ قال: بلى، يا رسول الله! فسار أبو بكر على الحاجّ، وعلي يؤذن ببراءة، فقام يوم الأضحى فقال: لا يقربنَّ المسجد الحرام مشرك بعد عامه هذا، ولا يطوفنّ بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فله عهده إلى مدته، وإن هذه أيام أكل وشرب، وإن الله لا يدخل الجنة إلا من كان مسلما. فقالوا: نحن نبرأ من عهدك وعهد ابن عمك إلا من الطعن والضرب! فرجع المشركون، فلام بعضهم بعضًا وقالوا: ما تصنعون، وقد أسلمت قريش؟ فأسلموا"(٥٣٦٧).

فقد أنبأت هذه الأخبار ونظائرها على أن أجل الأشهر الأربعة إنما كان لمن وصفنا. فأما من كان عهده إلى مدة معلومة ، فلم يجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين لنَقْضِه ومظاهرة أعدائهم عليهم سبيلا فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وَفَى له بعهده إلى مدته ، عن أمر الله إياه بذلك. وعلى ذلك دلّ ظاهرُ التنزيل ، وتظاهرت به الأخبار عن الرسول صلى الله عليه وسلم(٥٣٦٨).

واختلفوا في أول مَدَى الأربعة الأشهر على قولين:

(٥٣٦١) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٦٢):١٤/١٠٠.
(٥٣٦٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٦٤):١٤/١٠٠.
(٥٣٦٣) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٦١):١٤/٩٩-١٠٠.
(٥٣٦٤) تفسير الطبري:١٤/١٠١-١٠٢.
(٥٣٦٥) أخرجه الطبري(١٦٣٧٦):ص١٤/١٠٧.
(٥٣٦٦) أخرجه الطبري(١٦٣٧٧):ص١٤/١٠٧-١٠٨.
(٥٣٦٧) أخرجه الطبري(١٦٣٧٨):ص١٤/١٠٨-١٠٩.
(٥٣٦٨) تفسير الطبري:١٤/١٠٩.

أحدهما : أن أولها يوم يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر ، وآخرها انقضاء العاشر من شهر ربيع الآخر ، قاله محمد بن كعب[٥٣٦٩]، ومجاهد[٥٣٧٠]، والسدي[٥٣٧١].
الثاني : أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، قاله الزهري[٥٣٧٢].
وأما الأشهر الأربعة ...كان ابتداؤها يوم الحج الأكبر، وانقضاؤها انقضاء عشر من ربيع الآخر ، فذلك أربعة أشهر متتابعة ، جُعِل لأهل العهد الذين وصفنا أمرهم ، فيها ، السياحةُ في الأرض ، يذهبون حيث شاؤوا ، لا يعرض لهم فيها من المسلمين أحدٌ بحرب ولا قتل ولا سلب[٥٣٧٣].

القرآن
{وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣)} [التوبة : ٣]
التفسير:
وإعلام من الله ورسوله وإنذار إلى الناس يوم النحر أن الله بريء من المشركين، ورسوله بريء منهم كذلك. فإن رجعتم -أيها المشركون- إلى الحق وتركتم شرككم فهو خير لكم، وإن أعرضتم عن قَبول الحق وأبيتم الدخول في دين الله فاعلموا أنكم لن تُفْلِتوا من عذاب الله. وأنذر -أيها الرسول- هؤلاء المعرضين عن الإسلام عذاب الله الموجع.
قوله تعالى:{وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ} [التوبة : ٣]، أي:" وإعلام من الله ورسوله وإنذار إلى الناس يوم النحر أن الله بريء من المشركين، ورسوله بريء منهم كذلك"[٥٣٧٤].
عن أبي حبرة: "{أن الله بريء من المشركين ورسوله}، قال: برىء رسوله صلى الله عليه وسلم"[٥٣٧٥].
قال ابن جريج: "زعم سليمان الشامي أن الأذان: القصص، قال: فتحة براءة حتى تختم"[٥٣٧٦].
وفي {يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ}، أربعة أقوال :
أحدها : أنه يوم عرفة ، قاله ابن المسيب[٥٣٧٧]، وعطاء[٥٣٧٨].
وروى ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة :"أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطب يوم عرفة وقال : {هَذَا يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ}"[٥٣٧٩].
روي عن سهل السراج قال: "سئل الحسن عن يوم الحج الأكبر فقال: ما لكم وللحج الأكبر؟ ذاك عام فيه أبو بكر الذي استخلفه رسول الله، صلى الله عليه وسلم- فحج بالناس"[٥٣٨٠].
الثاني : أنه يوم النحر ، قاله عبد الله بن أبي أوفى[٥٣٨١]، والمغيرة بن شعبه[٥٣٨٢]، وسعيد بن جبير[٥٣٨٣]، ومجاهد[٥٣٨٤]، ونافع بن جبير[٥٣٨٥]، وعامر الشعبي[٥٣٨٦]، وإبراهيم النخعي[٥٣٨٧]، وأبو جحيفة[٥٣٨٨]، وعبدالله بن شداد[٥٣٨٩].

(٥٣٦٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٦٢):١٤/١٠٠.
(٥٣٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٦٤):١٤/١٠٠.
(٥٣٧١) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٦١):١٤/٩٩-١٠٠.
(٥٣٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٦٦):ص١٤/١٠١.
(٥٣٧٣) تفسير الطبري:١٤/١٠٩-١١٠.
(٥٣٧٤) التفسير الميسر:١/١٨٧.
(٥٣٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٣٤):ص٦/١٧٤٩.
(٥٣٧٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٢٤):ص٦/١٧٤٧.
(٥٣٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٨٥)، و(١٦٣٨٦):ص١٤/١١٤.
(٥٣٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٨٤):ص١٤/١١٤.
(٥٣٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٢٨):ص٦/١٧٤٨.
(٥٣٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٣١):ص٦/١٧٤٨.
(٥٣٨١) انظر: تفسير الطبري(١٦٣٩٧)-(١٦٤٠٤):ص١٤/١١٦-١١٧.
(٥٣٨٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٤١١)-(١٦٤١٣):ص١٤/١١٨-١١٩.
(٥٣٨٣) انظر: تفسير الطبري(١٦٤١٥):ص١٤/١١٩.

وروي عن علي رضي الله عنه قال: "وسألته يعني النبي صلى الله عليه وسلم عن يوم الحج الأكبر، فقال: هو يوم النحر"[٥٣٩٠].

الثالث :أنه اليوم الثاني من يوم النحر. قاله سعيد بن المسيب[٥٣٩١].

الرابع: أنها أيام الحج كلها ، فعبر عن الأيام باليوم ، قاله مجاهد[٥٣٩٢].

وأولى الأقوال بالصحة ، قولُ من قال : يوم الحج الأكبر ، يوم النحر ، لتظاهر الأخبار عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عليًّا نادى بما أرسله به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرسالة إلى المشركين ، وتلا عليهم " براءة " ، يوم النحر. هذا ، مع الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم النحر : أتدرون أيّ يوم هذا ؟ هذا يوم الحج الأكبر، وبعدُ ، فإن " اليوم " إنما يضاف إلى المعنى الذي يكون فيه ، كقول الناس : يوم عرفة " ، وذلك يوم وقوف الناس بعرفة و " يوم الأضحى " ، وذلك يوم يضحون فيه " ويوم الفطر " ، وذلك يوم يفطرون فيه. وكذلك " يوم الحج " ، يوم يحجون فيه ، وإنما يحج الناس ويقضون مناسكهم يوم النحر ، لأن في ليلة نهار يوم النحر الوقوفُ بعرفة غير فائت إلى طلوع الفجر، وفي صبيحتها يعمل أعمال الحج. فأما يوم عرفة ، فإنه وإن كان الوقوف بعرفة ، فغير فائت الوقوف به إلى طلوع الفجر من ليلة النحر ، والحج كله يوم النحر"[٥٣٩٣].

وفي سبب التسمية بذلك ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه سمي بذلك لأنه كان في سنة اجتمع فيها حج المسلمين والمشركين ، ووافق أيضاً عيد اليهود والنصارى ، قاله الحسن[٥٣٩٤].

الثاني : أن الحج الأكبر القِران ، والأصغر الإفراد ، وهذا معنى قول مجاهد[٥٣٩٥].

عن مجاهد قال : "الحج الأكبر ، أيام منى كلها ، ومجامع المشركين حين كانوا بذي المجاز وعكاظ ومَجَنَّة ، حين نودي فيهم : أن لا يجتمع المسلمون والمشركون بعد عامهم هذا ، وأن لا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ فعهده إلى مدته"[٥٣٩٦].

الثالث : أن الحج الأكبر هو الحج ، والأصغر هو العمرة ، قاله عبدالله بن شداد[٥٣٩٧].

قوله تعالى:{فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ} [التوبة : ٣]، أي:" فإن رجعتم -أيها المشركون- إلى الحق وتركتم شرككم فهو خير لكم"[٥٣٩٨].

عن ابن جريج، قوله: "{فإن تبتم}، قال: آمنتم"[٥٣٩٩].

قال الضحاك:" إن عملتم بالذي أمرتكم به"[٥٤٠٠].

قوله تعالى:{وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [التوبة : ٣]، أي:" وإن أعرضتم عن قَبول الحق وأبيتم الدخول في دين الله فاعلموا أنكم لن تُفْلِتوا من عذاب الله، وأنذر -أيها الرسول- هؤلاء المعرضين عن الإسلام عذاب الله الموجع"[٥٤٠١].

(٥٣٨٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٤٢٩):ص١٢١/١٤.
(٥٣٨٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٤٢٣):ص١٢٠/١٤.
(٥٣٨٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٤٢٥):ص١٢٠/١٤.
(٥٣٨٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٤٢٤):ص١٢٠/١٤.
(٥٣٨٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٤١٦):ص١١٩/١٤.
(٥٣٨٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٤٢١):ص١٢٠/١٤.
(٥٣٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٢٦):ص١٧٤٧/٦.
(٥٣٩١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٩٢٣٢):ص١٧٤٨/٦.
(٥٣٩٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٤٥٥):ص١٢٧/١٤.
(٥٣٩٣) تفسير الطبري:١٢٧/١٤-١٢٨.
(٥٣٩٤) انظر: النكت والعيون:٣٣٩/٢.
(٥٣٩٥) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:٣٣٩/٢. وانظر: الخبر التالي.
(٥٣٩٦) أخرجه الطبري(١٦٤٥٦):ص١٢٧/١٤.
(٥٣٩٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٤٣٨):ص١٢٢/١٤.
(٥٣٩٨) التفسير الميسر:١٨٧/١.
(٥٣٩٩) أخرجه الطبري(١٦٤٧٠):ص١٣١/١٤.
(٥٤٠٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٣٥):ص١٧٤٩/٦.
(٥٤٠١) التفسير الميسر:١٨٧/١.

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٥٤٠٢]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٥٤٠٣].

القرآن

{إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤)} [التوبة : ٤]

التفسير:

ويُستثنى من الحكم السابق المشركون الذين دخلوا معكم في عهد محدد بمدة، ولم يخونوا العهد، ولم يعاونوا عليكم أحدا من الأعداء، فأكملوا لهم عهدهم إلى نهايته المحدودة. إن الله يحب المتقين الذين أدَّوا ما أمروا به، واتقوا الشرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصي.

قوله تعالى:{إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [التوبة : ٤]، أي:" ويُستثنى من الحكم السابق المشركون الذين دخلوا معكم في عهد محدد بمدة"[٥٤٠٤].

عن ابن إسحاق: "{إلا الذين عاهدتم من المشركين}، أي: العهد الخاص إلى الأجل المسمى {ثم لم ينقصوكم شيئا}، الآية"[٥٤٠٥].

قال قتادة:" هم مشركوا قريش الذين عاهدهم نبي الله زمن الحديبية وكان بقي من مدتهم أربعة أشهر بعد يوم النحر"[٥٤٠٦].

قوله تعالى:{ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ} [التوبة : ٤]، أي:" ولم ينقصوا من شروط الميثاق شيئا، و لم يعينوا عليكم أحداً من أعدائكم، فأكملوا لهم عهدهم إلى نهايته المحدودة"[٥٤٠٧].

عن السدي: "{فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ}، يقول: إلى أجلهم"[٥٤٠٨].

قال مجاهد:" كان بقي لبني مذحج وخزاعة عهد، فهو الذي قال الله: فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم"[٥٤٠٩].

قال قتادة : فأمر الله نبيه أن يوفي لهم بعهدهم إلى مدتهم، ومن لا عهد له إلى انسلاخ المحرم، ونبذ إلى كل ذي عهد عهده، وأمره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وأن لا يقبل منهم إلا ذلك"[٥٤١٠].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [التوبة : ٤]، أي:" إن الله يحب المتقين الذين أدَّوا ما أمروا به، واتقوا الشرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصي"[٥٤١١].

عن الضحاك:"{الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك[٥٤١٢].

عن السدي: "{المتقين}، قال: هم المؤمنون"[٥٤١٣].

القرآن

{فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)} [التوبة : ٥]

(٥٤٠٢) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٥٤٠٣) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.
(٥٤٠٤) التفسير الميسر:١٨٧/١.
(٥٤٠٥) أخرجه الطبري(١٦٤٧٢):ص١٣٢/١٤.
(٥٤٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٣٩):ص١٧٥٠/٦.
(٥٤٠٧) صفوة التفاسير:٤٨٥/١.
(٥٤٠٨) أخرجه الطبري(١٦٤٧١):ص١٣٢/١٤.
(٥٤٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٢):ص١٧٥٠/٦.
(٥٤١٠) أخرجه الطبري(١٦٤٧٣):ص١٣٣/١٤.
(٥٤١١) التفسير الميسر:١٨٧/١.
(٥٤١٢) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص٢١١/١٠.
(٥٤١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٨):ص١٧٥١/٦.

التفسير:
فإذا انقضت الأشهر الأربعة التي أمَّنتم فيها المشركين، فأعلنوا الحرب على أعداء الله حيث كانوا، واقصدوهم بالحصار في معاقلهم، وترصدوا لهم في طرقهم، فإن رجعوا عن كفرهم ودخلوا الإسلام والتزموا شرائعه من إقام الصلاة وإخراج الزكاة، فاتركوهم، فقد أصبحوا إخوانكم في الإسلام، إن الله غفور لمن تاب وأناب، رحيم بهم.

قوله تعالى:{فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ} [التوبة : ٥]، أي:" فإذا انقضت الأشهر الأربعة التي أمَّنتم فيها المشركين"(٥٤١٤).

وفي الأشهر الحرم، أقوال :

أحدها : أنها رجب وذو العقدة وذو الحجة والمحرم ، ثلاثة سرد وواحد فرد ، رواه جعفر بن محمد عن ابيه(٥٤١٥)، وهو رأي الجمهور(٥٤١٦).

الثاني: أنها:" عشر من ذي القعدة وذو الحجة والمحرم سبعون ليلة. قاله الضحاك(٥٤١٧).

الثالث : أنها الأربعة الأشهر التي جعلها الله تعالى أن يسيحوا فيها آمنين وهي عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع عشر من شهر ربيع الآخر ، قاله الحسن(٥٤١٨)، والسدي(٥٤١٩).

عن مجاهد وعمرو بن شعيب في قوله: "{فإذا انسلخ الأشهر الحرم}، أنها الأربعة التي قال الله: {فسيحوا في الأرض} ، قال: هي "الحُرم"، من أجل أنهم أومنوا فيها حتى يسيحوها"(٥٤٢٠).

قوله تعالى:{فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} [التوبة : ٥]، أي:" فأعلنوا الحرب على أعداء الله حيث كانوا، وأسروهم، واقصدوهم بالحصار في معاقلهم، وترصدوا لهم في طرقهم"(٥٤٢١).

قال الضحاك:" كل آية في كتاب الله فيها ميثاق من النبي صلى الله عليه وسلم وبين أحد من المشركين وكل عهد ومدة، نسختها سورة براءة: {وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدَ} [التوبة : ٥]"(٥٤٢٢).

قال أبو عمران الحوني: "الرباط في كتاب الله عز وجل، قوله: { وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدَ}"(٥٤٢٣).

قوله تعالى:{فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} [التوبة : ٥]، أي:" فإن رجعوا عن كفرهم ودخلوا الإسلام والتزموا شرائعه من إقام الصلاة وإخراج الزكاة، فاتركوهم، فقد أصبحوا إخوانكم في الإسلام"(٥٤٢٤).

عن الأوزاعي، قوله: "{فإن تابوا}، قال: شهادة أن لا إله إلا الله"(٥٤٢٥).

عن الزهري: { وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ}، قال:" إقامتها: أن تصلي الصلوات الخمس لوقتها"(٥٤٢٦).

قال الحسن:" فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها، وبالزكاة"(٥٤٢٧). وروي عن قتادة مثل ذلك(٥٤٢٨).

عن عكرمة: {وَآتُوا الزَّكَاةَ}، قال: "زكاة المال من كل مائتي درهم خمسة دراهم"(٥٤٢٩).

(٥٤١٤) التفسير الميسر:١/١٨٧.
(٥٤١٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٥٣):ص١٧٥٢/٦.
(٥٤١٦) انظر: النكت والعيون:٢/٣٤٠.
(٥٤١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٥٢):ص١٧٥٢/٦.
(٥٤١٨) انظر: النكت والعيون:٢/٣٤٠.
(٥٤١٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٤٧٧):ص١٣٦/١٤.
(٥٤٢٠) أخرجه الطبري(١٦٤٧٨):ص١٣٧/١٤.
(٥٤٢١) التفسير الميسر:١/١٨٧.
(٥٤٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٥٦):ص١٧٥٣/٦.
(٥٤٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٧١):ص١٧٥٣/٦.
(٥٤٢٤) التفسير الميسر:١/١٨٧.
(٥٤٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٧٤):ص١٧٥٣/٦.
(٥٤٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٧٥):ص١٧٥٤/٦.
(٥٤٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢١):س١٠٠٤/٣.
(٥٤٢٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٧٥٤/٦.
(٥٤٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٦):س١٠٠٤/٣.

عن الحارث العكلي، قوله: "{وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة}، قال: صدقة الفطر"[٥٤٣٠].

قال قتادة:" يقول: خلوا سبيل من أمركم الله أن تخلوا سبيله، فإنما الناس ثلاثة: رَهْط مسلم عليه الزكاة، ومشرك عليه الجزية، وصاحب حرب يأمن بتجارته في المسلمين إذا أعطى عُشُور ماله"[٥٤٣١].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة : ٥]، أي:" إن الله غفور لمن تاب وأناب، رحيم بهم"[٥٤٣٢].

عن قتادة:" قوله: {غفورا}، قال: للذنوب الكثيرة أو الكبيرة"[٥٤٣٣].

قال قتادة:" قوله:{رحيما}، بعياده"[٥٤٣٤].

قال سعيد بن جبير:" قوله:{رحيما} بهم بعد التوب"[٥٤٣٥].

وفي حكم قوله تعالى: {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة : ٥]، ثلاثة أقوال:

أحدها: أن حكم الأسارى كان وجوب قتلهم ثم نسخ بقوله: {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاء} [محمد : ٤]. قاله الحسن[٥٤٣٦]، وعطاء[٥٤٣٧]، والضحاك[٥٤٣٨]، والسدي[٥٤٣٩].

قال ابن الجوزي:"وهذا يرده قوله: {وخذوهم}"[٥٤٤٠].

الثاني: بالعكس فإنه كان الحكم في الأسارى، أنه لا يجوز قتلهم صبرا، وإنما يجوز المن أو الفداء، بقوله: {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً} [محمد : ٤]، ثم نسخ ذلك بقوله {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ} [التوبة : ٥]. قاله مجاهد[٥٤٤١]، وقتادة[٥٤٤٢].

وقد حكى مكي بن أبي طالب، عن قتادة "أن هذه الآية محكمة ناسخة لقوله: {فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً} [محمد : ٤]"[٥٤٤٣].

الثالث: أن الآيتين محكمتان، لأن قوله {فاقتلوا المشركين} أمر بالقتل وقوله: {وخذوهم} أي: ائسروهم، فإذا حصل الأسير في يد الإمام فهو مخير إن شاء من عليه وإن شاء فاداه، وإن شاء قتله صبرا، أي: ذلك رأي فيه المصلحة للمسلمين. فعلى هذا قول جابر بن زيد[٥٤٤٤]، وعليه الإمام أحمد[٥٤٤٥]، وعامة الفقهاء[٥٤٤٦].

قال ابن الجوزي:"وقد ذكر بعض من لا فهم له من ناقلي التفسير أن هذه الآية وهي آية السيف نسخت من القرآن مائة وأربعا وعشرين آية ثم صار آخرها ناسخا لأولها، وهو قوله: {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} [التوبة : ٥][٥٤٤٧]. وهذا سوء فهم. لأن المعنى: اقتلوهم وأسروهم إلا أن يتوبوا من شركهم، ويقروا بالصلاة والزكاة فخلوا سبيلهم ولا تقتلوهم"[٥٤٤٨].

(٥٤٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨١):ص١٧٥٤/٦.

(٥٤٣١) أخرجه الطبري(١٦٤٧٦):ص١٣٦/١٤.

(٥٤٣٢) التفسير الميسر:١٨٧/١.

(٥٤٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٥١٠٣):ص٩١٥/٣.

(٥٤٣٤)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٥):ص٨٩٦/٣

(٥٤٣٥)أخرجه ابن أبي حاتم(٤٤٩٤):ص٨٩٦/٣

(٥٤٣٦) حكاه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن:٤٦٤/٢.

(٥٤٣٧) حكاه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن:٤٦٤/٢، والنحاس في الناسخ والمنسوخ:١٦٤، ومحمد مكي بن أبي طالب في الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه:٢٦٧.

(٥٤٣٨) حكاه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن:٤٦٤/٢، والنحاس في الناسخ والمنسوخ:١٦٤، ومحمد مكي بن أبي طالب في الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه:٢٦٧.

(٥٤٣٩) حكاه عنه النحاس في الناسخ والمنسوخ:١٦٤، ومحمد مكي بن أبي طالب في الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه:٢٦٧.

(٥٤٤٠) الناسخ والمنسوخ:٤٦٥/٢.

(٥٤٤١) ذكره ابن الجوزي عنه في زاد المسير:٣٩٩/٣، ونواسخ القرآن:٤٦٤/٢.

(٥٤٤٢) ذكره ابن الجوزي عنه في زاد المسير:٣٩٩/٣، ونواسخ القرآن:٤٦٤/٢.

(٥٤٤٣) انظر: الإيضاح:٣٦٧، ثم قال: نقلا عن ابن زيد: "الآيتان محكمتان غير منسوختين، ومعنى آية براءة أنه تعالى ذكره أمر بقتل المشركين حيث وجدوا، ثم قال: {وخذوهم} يعني: أساري القتل أو المن أو الفداء".

(٥٤٤٤) حكاه عنه ابن الجوزي في نواسخ القرآن: ٤٦٥/٢، وزاد المسير:٣٩٩/٣.

(٥٤٤٥) انظر: زاد المسير:٣٩٩/٣.

(٥٤٤٦) انظر: الناسخ والمنسوخ:٤٦٥/٢.

(٥٤٤٧)وهذا القول ذكره ابن حزم في ناسخه ص: ٣٤٠، وهبة الله في ناسخه (٥١) ويذكر السيوطي في الدر المنثور٢/ ٢١٣: "أن الجزء الأخير من الآية نسخ واستثني من الجزء الأول". وعزا هذا القول إلى أبي داود في ناسخه: وأورد مكي بن أبي

القرآن

{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ (٦)} [التوبة : ٦]

التفسير:

وإذا طلب أحد من المشركين الذين استبيحت دماؤهم وأموالهم الدخول في جوارك -أيها الرسول- ورغب في الأمان، فأجبه إلى طلبه حتى يسمع القرآن الكريم ويطَّلع على هدايته، ثم أعِدْه من حيث أتى آمنًا; وذلك لإقامة الحجة عليه; ذلك بسبب أن الكفار قوم جاهلون بحقائق الإسلام، فربما اختاروه إذا زال الجهل عنهم.

قوله تعالى:{وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ} [التوبة : ٦]، أي:" وإذا طلب أحد من المشركين الذين استبيحت دماؤهم وأموالهم الدخول في جوارك -أيها الرسول- ورغب في الأمان، فأجبه إلى طلبه حتى يسمع القرآن الكريم ويطَّلع على هدايته"(٥٤٤٩).

قال ابن إسحاق:" أي: من هؤلاء الذين أمرتك بقتالهم"(٥٤٥٠).

عن السدي: "{فأجره حتى يسمع كلام الله}، أما "كلام الله"، فالقرآن"(٥٤٥١).

قال مجاهد:" إنسان يأتيك فيسمع ما تقول، ويسمع ما أنزل عليك، فهو آمن حتى يأتيك فيسمع كلام الله، وحتى يبلغ مأمنه، حيث جاءه"(٥٤٥٢).

قوله تعالى:{ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ} [التوبة : ٦]، أي:" ثم أعِدْه من حيث أتى آمنًا"(٥٤٥٣).

عن مجاهد:" {ثم أبلغه مأمنه} من حيث جاء"(٥٤٥٤).

قال ابن جريج: "قال عطاء في الرجل من أهل الشرك يأتي المسلمين بغير عهد، قال: يخيره إما أن يقره وإما أن يبلغه مأمنه"(٥٤٥٥).

القرآن

{كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧)} [التوبة : ٧]

التفسير:

لا ينبغي أن يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام في صلح (الحديبية) فما أقاموا على الوفاء بعهدكم فأقيموا لهم على مثل ذلك. إن الله يحب المتقين الموفِّين بعهودهم.

قوله تعالى:{كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [التوبة : ٧]، أي:" لا ينبغي أن يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام في صلح «الحديبية»"(٥٤٥٦).

وفي قوله تعالى:{إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ} [التوبة : ٧]، أقوال:

أحدها : أنهم قوم من بني بكر بن كنانة ، قاله ابن إسحاق(٥٤٥٧).

طالب في ناسخه (٢٦٩) مثل هذا القول عن ابن حبيب، ثم رد عليه بقوله: "لا يجوز في هذا نسخ، لأنها أحكام الأصناف من الكفار، حكم الله على قوم بالقتل إذا أقاموا على كفرهم، وحكم لقوم بأنهم إذا آمنوا وتابوا أن لا يعرض لهم، وأخبرنا بالرحمة والمغفرة لهم، وحكم لمن استجار بالنبي عليه السلام وأتاه، أن يجيره ويبلغه إلى موضع يأمن فيه، فلا استثناء في هذا إذ لا حرف فيه للاستثناء ولا نسخ فيه إنما كل آية في حكم منفرد، وفي صنف غير الصنف الآخر، فذكر النسخ في هذا وهم وغلط ظاهر وعلينا أن نتبين الحق والصواب".

(٥٤٤٨) الناسخ والمنسوخ:٤٦٥/٢.

(٥٤٤٩) التفسير الميسر:١٨٧/١.

(٥٤٥٠) أخرجه الطبري(١٦٤٨١):ص١٣٨/١٤.

(٥٤٥١) انظر: تفسير الطبري(١٦٤٨٢):ص١٣٩/١٤.

(٥٤٥٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٤٨٣):ص١٣٩/١٤.

(٥٤٥٣) التفسير الميسر:١٨٧/١.

(٥٤٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٩):ص١٧٥٦/٦.

(٥٤٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩٠):ص١٧٥٦/٦.

(٥٤٥٦) التفسير الميسر:١٨٨/١.

وروي عن السدي: هم بنو جذيمة بن الدُّئِل"[٥٤٥٨].
وروي عن محمد بن عباد بن جعفر:" هم جذيمة بكر كنانة"[٥٤٥٩].
الثاني : أنهم قريش ، وهو قول قتادة[٥٤٦٠].
الثالث : خزاعة ، قاله مجاهد[٥٤٦١].
وأولى هذه الأقوال بالصواب ، قولُ من قال: هم بعضُ بني بكر من كنانة، ممن كان أقام على عهده، ولم يكن دخل في نقض ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش يوم الحديبية من العهد مع قريش، حين نقضوه بمعونتهم حلفاءَهم من بني الدُّئِل، على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة، وإنما قلتُ: هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن الله أمر نبيه والمؤمنين بإتمام العهد لمن كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام، ما استقاموا على عهدهم. وقد بيَّنا أن هذه الآيات إنما نادى بها عليّ في سنة تسع من الهجرة، وذلك بعد فتح مكة بسنة، فلم يكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافرٌ يومئذ بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ، فيؤمر بالوفاء له بعهده ما استقام على عهده، لأنّ من كان منهم من ساكني مكة، كان قد نقض العهد وحورب قبل نزول هذه الآيات"[٥٤٦٢].
قوله تعالى:{فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ} [التوبة : ٧]، أي:" فما أقاموا على الوفاء بعهدكم فأقيموا لهم على مثل ذلك"[٥٤٦٣].
قال قتادة:" هو يوم الحديبية، قال: فلم يستقيموا فنقضوا عهدهم أعانوا بني بكر حلفاء قريش على خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم"[٥٤٦٤].
قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} [التوبة : ٧]، أي:" إن الله يحب المتقين الموفِّين بعهودهم"[٥٤٦٥].
عن الضحاك:"{الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك[٥٤٦٦].
عن السدي: "{المتقين}، قال: هم المؤمنون"[٥٤٦٧].

القرآن
{كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨)} [التوبة : ٨]
التفسير:
إن شأن المشركين أن يلتزموا بالعهود ما دامت الغلبة لغيرهم، أما إذا شعروا بالقوة على المؤمنين فإنهم لا يراعون القرابة ولا العهد، فلا يغرنكم منهم ما يعاملونكم به وقت الخوف منكم، فإنهم يقولون لكم كلامًا بألسنتهم; لترضوا عنهم، ولكن قلوبهم تأبى ذلك، وأكثرهم متمردون على الإسلام ناقضون للعهد.

(٥٤٥٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٤٩٢):ص١٤٢/١٤.
(٥٤٥٨) أخرجه الطبري(١٦٤٩٠):ص١٤١/١٤. قال المحقق:" هكذا جاء هنا " بنو جذيمة بن الدئل "، وفي رقم: ١٦٤٩١: " جذيمة بكر كنانة ". ولا أعلم في " الدئل بن بكر بن عبد مناة بن كنانة "، " جذيمة " فإن " جذيمة كنانة " إنما هم: " بنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة "، أبناء عمومة " الدئل "، و " بكر بن عبد مناة ".
وبنو جذيمة بن عامر بن عبد مناة، هم أهل الغميصاء، الذين أوقع بهم خالد بن الوليد بعد الفتح، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه ليتلافى خطأ خالد بن الوليد، فودي لهم الدماء وما أصيب من الأموال، حتى إنه إنه ليدي لهم ميلغة الكلب".
(انظر: سيرة ابن هشام ٤: ٧٠ - ٧٣)
(٥٤٥٩) أخرجه الطبري(١٦٤٩١):ص١٤٢/١٤.
(٥٤٦٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٤٩٢):ص١٤٣/١٤.
(٥٤٦١) انظر: تفسير الطبري(١٦٤٩٨):ص١٤٤/١٤.
(٥٤٦٢) تفسير الطبري:١٤٤/١٤.
(٥٤٦٣) التفسير الميسر:١٨٨/١.
(٥٤٦٤) تفسير عبدالرزاق(١٠٥٥):ص١٣٥/٢.
(٥٤٦٥) التفسير الميسر:١٨٨/١.
(٥٤٦٦) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص٢١١/١٠.
(٥٤٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٨):ص١٧٥١/٦.

قوله تعالى:{كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً} [التوبة : ٨]، أي:" كيف يكون لهم عهد وحالهم هذه أنهم إن يظفروا بكم لا يراعون القرابة ولا العهد، فلا يغرنكم منهم ما يعاملونكم به وقت الخوف منكم"(٥٤٦٨).

عن السدي:"{لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ} :لا يخافوا"(٥٤٦٩).

وقوله تعالى:{ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً} [التوبة : ٨]، في «الإلّ» أقوال:

أحدها : أنه العهد ، وهوقول مجاهد (٥٤٧٠)، ومنه قول القائل(٥٤٧١):

وَجَدْنَاهُمُ كَاذِبًا إِلُّهُمْ ... وَذُو الإِلِّ وَالعَهْدِ لا يَكْذِب

عن مجاهد: {إِلًّا}، قال: عهدا"(٥٤٧٢).

وروي عن ابن إسحاق: "{كيف وإن يظهروا عليكم}، أي: المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل العهد العام {لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة}"(٥٤٧٣).

الثاني : أنه اسم الله تعالى ، قاله مجاهد- أيضا -(٥٤٧٤)،وأبو مجلز(٥٤٧٥)، ويكون معناه: لا يرقبون الله فيكم .

الثالث : أنه الحلف ، وهو قول قتادة(٥٤٧٦).

الرابع : أنه الجوار ، قاله الحسن(٥٤٧٧).

الخامس : أنه القرابة، قاله الضحاك(٥٤٧٨)، والسدي(٥٤٧٩)، ومنه قول حسان(٥٤٨٠):

لَعَمْرُكَ إِنَّ إِلَّكَ مِنْ قُرَيْشٍ ... كَإِلِّ السَّقْبِ مِنْ رَأْلِ النَّعامِ

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء المشركين الذين أمر نبيَّه والمؤمنين بقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم، وحصرهم والقعود لهم على كل مرصد: أنهم لو ظهروا على المؤمنين لم يرقبوا فيهم "إلا".

و"الإلّ": اسم يشتمل على معان ثلاثة: وهي العهد، والعقد، والحلف، والقرابة، وهو أيضا بمعنى "الله". فإذْ كانت الكلمة تشمل هذه المعاني الثلاثة، ولم يكن الله خصّ من ذلك معنى دون معنى، فالصواب أن يُعَمّ ذلك كما عمّ بها جل ثناؤه معانيها الثلاثة، فيقال: لا يرقبون في مؤمنٍ اللهَ، ولا قرابةً، ولا عهدًا، ولا ميثاقًا"(٥٤٨١)

(٥٤٦٨) التفسير الميسر:١٨٨، وصفوة التفاسير:٤٨٦/١.

(٥٤٦٩) انظر: النكت والعيون:٣٤٢/٢.

(٥٤٧٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٥٠٩)، (١٦٥١١)، (١٦٥١٢):ص١٤٨/١٤.

(٥٤٧١)البيت من شواهد الطبري في تفسيره:١٤٩/١٤، ولم أقف عليه.

(٥٤٧٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٥٠٩)، (١٦٥١١)، (١٦٥١٢):ص١٤٨/١٤.

(٥٤٧٣) أخرجه الطبري(١٦٥١٣):ص١٤٩/١٤-١٥٠.

(٥٤٧٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٤٩٩)، و(١٦٥٠١):ص١٤٦/١٤.

(٥٤٧٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٥٠٠):ص١٤٦/١٤.

(٥٤٧٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٥٠٨):ص١٤٧/١٤.

(٥٤٧٧) انظر: النكت والعيون:٣٤٣/٢.

(٥٤٧٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٥٠٤):ص١٤٧/١٤.

(٥٤٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٥٠٧):ص١٤٧/١٤.

(٥٤٨٠)ديوانه: ٤٠٧، واللسان (ألل) ، من أبيات هجا بها أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخوه من الرضاعة، وكان ممن يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان أبو سفيان ممن يؤذي النبي صلى الله عليه وسلم، ويهجوه، ويؤذي المسلمين، فانبرى له حسان فأخذ منه كل ما أخذ. ثم أسلم في فتح مكة، وشهد حنينا، وثبت فيمن ثبت مع نبي الله، وظل آخذا بلجام بغلة رسول الله يكفها ورسول الله يركضها إلى الكفار. ثم ظل أبو سفيان بعد ذلك لا يرفع رأسه إلى رسول الله حياء منه.

ولكن كان من هجاء حسان له، بعد البيت: فَإِنَّكَ إن تَمُتَّ إلى قُرَيْشٍ ... كَذاتِ البَوِّ جائِلَة المَرَام

وَأَنْتَ مُنَوَّطٌ بِهِمُ هَجِينٌ ... كما نِيطَ السَّرَائِحُ بالخِدَام

فَلا تَفْخَر بِقَوْمٍ لَسْتَ مِنْهُمْ ... ولا تَكُ كاللِّئَامِ بَنِي هِشام

" السقب "، ولد الناقة ساعة يولد. و " الرأل "، ولد النعام. يقول: ما قرابتك في قريش، إلا كقرابة الفصيل، من ولد النعام!.

(٥٤٨١) تفسير الطبري:١٤٨/١٤.

قوله تعالى:{يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ} [التوبة : ٨]، أي:" يرضونكم بالكلام الجميل إن كان الظفر لكم عليهم وتمنع قلوبهم من الإذعان والوفاء بما أظهروه"(٥٤٨٢).

قال سعيد بن جبير: "يرضونكم بالحسن من القول وتأبى قلوبهم الوفاء به"(٥٤٨٣).

قوله تعالى:{وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ} [التوبة : ٨]، أي:" وأكثرهم ناقضون للعهد خارجون عن طاعة الله"(٥٤٨٤).

عن مجاهد قوله: "{وأكثرهم فاسقون}، قال: القرون الماضية"(٥٤٨٥).

عن قتادة قوله: "{وأكثرهم فاسقون}، قال: ذم الله- تعالى أكثر الناس"(٥٤٨٦).

القرآن

{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩)} [التوبة : ٩]

التفسير:

استبدلوا بآيات الله عرض الدنيا التافه، فأعرضوا عن الحق ومنعوا الراغبين في الإسلام عن الدخول فيه، لقد قَبُح فعلهم، وساء صنيعهم.

قوله تعالى:{اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا} [التوبة : ٩]، أي:" استبدلوا بآيات الله عرض الدنيا التافه"(٥٤٨٧).

قال مجاهد:" أبو سفيان بن حرب أطعم حلفاءه وترك حلفاء محمد صلى الله عليه وسلم"(٥٤٨٨).

سئل الحسن، قوله: "{ثمنا قليلا}، قال: الثمن القليل: الدنيا بحذافيرها"(٥٤٨٩).

والثاني : أنهم قوم من اليهود دخلوا في العهد ثم رجعوا عنه. وهذا قول من زعم أنها آيات التوراة .

قوله تعالى:{فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ} [التوبة : ٩]، أي:" فأعرضوا عن الحق ومنعوا الراغبين في الإسلام عن الدخول فيه"(٥٤٩٠).

قال السدي:" يعني: ويمنعون الناس عن دين الله الإسلام"(٥٤٩١).

قال السدي:" أما {سبيل الله}: فمحمد- صلى الله عليه وسلم-"(٥٤٩٢).

القرآن

{لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠)} [التوبة : ١٠]

التفسير:

إن هؤلاء المشركين حرب على الإيمان وأهله، فلا يقيمون وزنًا لقرابة المؤمن ولا لعهده، وشأنهم العدوان والظلم.

قوله تعالى:{لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً} [التوبة : ١٠]، أي:" إن هؤلاء المشركين حرب على الإيمان وأهله، فلا يقيمون وزنًا لقرابة المؤمن ولا لعهده"(٥٤٩٣).

قال السدي:" عهدا ولا قرابة، ولا ميثاقا"(٥٤٩٤). وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: العقد"(٥٤٩٥).

(٥٤٨٢) صفوة التفاسير:٤٨٦/١.

(٥٤٨٣) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٣٠٩/١٠.

(٥٤٨٤) صفوة التفاسير:٤٨٦/١.

(٥٤٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١٠):ص١٧٥٩/٦.

(٥٤٨٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١١):ص١٧٥٩/٦.

(٥٤٨٧) التفسير الميسر:١٨٨/١.

(٥٤٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١٢):ص١٧٥٩/٦.

(٥٤٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١٣):ص١٧٥٩/٦.

(٥٤٩٠) التفسير الميسر:١٨٨/١.

(٥٤٩١) تفسير يحيى بن سلام: ٣٦١/١.

(٥٤٩٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٨):ص١٦٨٧/٦.

(٥٤٩٣) التفسير الميسر:١٨٨/١.

(٥٤٩٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٠٨):ص١٧٥٨/٦.

(٥٤٩٥) تفسير: ابن أبي حاتم : ١٧٥٨/٦.

عن الضحاك بن مزاحم :"{لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة}، قال: الذمة الحلف"[٥٤٩٦].
قال مجاهد:" لا يراقبون الله ولا غيره"[٥٤٩٧].
عن مجاهد: {إلا}، قال: الله عز وجل"[٥٤٩٨]. وفي لفظ:" عهدا"[٥٤٩٩].
وروي عن سعيد بن جبير، قال: "إلها"[٥٥٠٠].
قال قتادة:" الإل: الحلف"[٥٥٠١].

القرآن

{فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١)} [التوبة : ١١]

التفسير:

فإن أقلعوا عن عبادة غير الله، ونطقوا بكلمة التوحيد، والتزموا شرائع الإسلام من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإنهم إخوانكم في الإسلام. ونبين الآيات، ونوضحها لقوم ينتفعون بها.

قوله تعالى:{فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} [التوبة : ١١]، أي:" فإن أقلعوا عن عبادة غير الله، ونطقوا بكلمة التوحيد، والتزموا شرائع الإسلام من إقام الصلاة وإيتاء الزكاة"[٥٥٠٢].

قال قتادة:"يقول: إن تركوا اللات والعزّى، وشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله"[٥٥٠٣].

قوله تعالى:{فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ} [التوبة : ١١]، أي:" فإنهم إخوانكم في الإسلام"[٥٥٠٤].

قال قتادة:" فكونوا من إخوة الإسلام ممن يرعاهم ويعاهد عليها ويعظم حقها، فإن أفضل المسلمين أوصلهم لأخوة الإسلام"[٥٥٠٥].

قوله تعالى:{وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} [التوبة : ١١]، أي:" ونبين الآيات، ونوضحها لقوم ينتفعون بها"[٥٥٠٦].

قال السدي:" أما {نفصل}: فنبين"[٥٥٠٧].

القرآن

{وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢)} [التوبة : ١٢]

التفسير:

وإنْ نَقَضَ هؤلاء المشركون العهود التي أبرمتموها معهم، وأظهروا الطعن في دين الإسلام، فقاتلوهم فإنهم رؤساء الضلال، لا عهد لهم ولا ذمة، حتى ينتهوا عن كفرهم وعداوتهم للإسلام.

قوله تعالى:{وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ} [التوبة : ١٢]، أي:" وإنْ نَقَضَ هؤلاء المشركون العهود التي أبرمتموها معهم، وأظهروا الطعن في دين الإسلام"[٥٥٠٨].

عن مجاهد قوله: "{وإن نكثوا أيمانهم}، قال: عهدهم"[٥٥٠٩].

(٥٤٩٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٠٩):ص١٧٥٩/٦.
(٥٤٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٠٢):ص١٧٥٨/٦.
(٥٤٩٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٠٤):ص١٧٥٨/٦.
(٥٤٩٩) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٠٥):ص١٧٥٨/٦.
(٥٥٠٠) تفسير ابن أبي حاتم: ١٧٥٨/٦.
(٥٥٠١) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٠٠٦):ص١٧٥٨/٦.
(٥٥٠٢) التفسير الميسر:١٨٨/١.
(٥٥٠٣) أخرجه الطبري(١٦٥١٦):ص١٥٢/١٤.
(٥٥٠٤) التفسير الميسر:١٨٨/١.
(٥٥٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١٧):ص١٧٦٠/٦.
(٥٥٠٦) التفسير الميسر:١٨٨/١.
(٥٥٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١٨):ص١٧٦٠/٦.
(٥٥٠٨) التفسير الميسر:١٨٨/١.
(٥٥٠٩) أخرجه الطبري(١٦٥٣١):ص١٥٦/١٤.

عن السدي: "{وإن نكثوا أيمانهم}، عهدهم الذي عاهدوا على الإسلام"[٥٥١٠].
قوله تعالى:{فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ} [التوبة : ١٢]، أي:" فقاتلوهم فإنهم رؤساء الضلال"[٥٥١١].
وفي قوله تعالى:{فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ} [التوبة : ١٢]، وجهان:
أحدهما : يعني: رؤوسَ المشركين، أهلَ مكة. قاله الضحاك[٥٥١٢].
الثاني : أنهم الذين كانوا قد هموا بإخراج رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ، قاله قتادة[٥٥١٣].
قال قتادة:" فكان من أئمة الكفر: أبو جهل بن هشام، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو سفيان، وسهيل بن عمرو، وهم الذين همُّوا بإخراجه"[٥٥١٤].
وفي لفظ عن قتادة في قوله: "{ففاتلوا أئمة الكفر}: أبو سفيان بن حرب، وأمية بن خلف، وعتبة بن ربيعة، وأبو جهل بن هشام، وسهيل بن عمرو، وهم الذين نكثوا عهد الله، وهمُّوا بإخراج الرسول. وليس والله كما تأوَّله أهل الشبهات والبدع والفِرَى على الله وعلى كتابه"[٥٥١٥].
قوله تعالى:{إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ} [التوبة : ١٢]، أي:"إنهم لا عهد لهم ولا ذمة"[٥٥١٦].
عن صلة بن زفر: "{إنهم لا أيمان لهم}، لا عهد لهم"[٥٥١٧].
عن الحسن البصري: أنه كان يقرأ ذلك: (إنهم لا إيمان لهم) ، بكسر الألف، بمعنى: لا إسلام لهم[٥٥١٨].

القرآن
{أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣)} [التوبة : ١٣]
التفسير:
لا تترددوا في قتال هؤلاء القوم الذين نقضوا عهودهم، وعملوا على إخراج الرسول من (مكة) ، وهم الذين بدؤوا بإيذائكم أول الأمر، أتخافونهم أو تخافون ملاقاتهم في الحرب؟ فالله أحق أن تخافوه إن كنتم مؤمنين حقًا.
قوله تعالى:{أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ} [التوبة : ١٣]، أي:" ألا تقاتلون يا معشر المؤمنين قوماً نقضوا العهود وطعنوا في دينكم"[٥٥١٩].
عن السدي قوله: "{ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم}، من بعد عهدهم"[٥٥٢٠].
قوله تعالى:{وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ} [التوبة : ١٣]، أي:" عزموا على تهجير الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة حين تشاوروا بدار الندوة على إخراجه من بين أظهركم"[٥٥٢١].
قال السدي:" هموا بإخراجه فأخرجوه"[٥٥٢٢].
قال مجاهد:" من بين أظهرهم فأخرجوه"[٥٥٢٣].
وقال مجاهد:" يأثر ذلك الله تبارك وتعالى"[٥٥٢٤].

(٥٥١٠) أخرجه الطبري(١٦٥٣٢):ص١٥٦/١٤.
(٥٥١١) التفسير الميسر:١٨٨/١.
(٥٥١٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٥٢٥):ص١٥٥/١٤.
(٥٥١٣) انظر: تفسير الطبري(١٦٥٢١):ص١٥٤/١٤.
(٥٥١٤) أخرجه الطبري(١٦٥٢١):ص١٥٤/١٤.
(٥٥١٥) أخرجه الطبري(١٦٥٢٦):ص١٥٥/١٤.
(٥٥١٦) التفسير الميسر:١٨٨/١.
(٥٥١٧) أخرجه الطبري(١٦٥٣٠):ص١٥٦/١٤.
(٥٥١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٥٧/١٤.
(٥٥١٩) صفوة التفاسير:٤٨٧/١.
(٥٥٢٠) أخرجه الطبري(١٦٥٣٥):ص١٥٩/١٤.
(٥٥٢١) صفوة التفاسير:٤٨٧/١.
(٥٥٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٣٠):ص١٧٦٢/٦.
(٥٥٢٣) تفسير مجاهد: ٤٦٥.
(٥٥٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٢٩):ص١٧٦٢/٦.

قوله تعالى:{وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ} [التوبة : ١٣]، أي:" هم البادئون بالقتال حيث قاتلوا حلفاءكم خزاعة"(٥٥٢٥).

عن السدي:" {وهم بدؤكم أول مرة}: بالقتال"(٥٥٢٦).

عن مجاهد: "{وهم بدأوكم أول مرة} ، قال: قتال قريش حلفاءَ محمد صلى الله عليه وسلم"(٥٥٢٧).

وروي عن عكرمة نحو ذلك(٥٥٢٨).

قوله تعالى:{أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [التوبة : ١٣]، أي:" أتخافونهم فتتركون قتالهم خوفاً على أنفسكم منهم؟ فالله أحق أن تخافوا عقوبته إن تركتم أمره، إن كنتم مصدقين بعذابه وثوابه"(٥٥٢٩).

عن سعيد بن جبير قوله: "{مؤمنين}، قال: مصدقين"(٥٥٣٠).

عن ابن إسحاق قال: "أمر الله رسوله بجهاد أهل الشرك ممن نقض من أهل العهد الخاص، ومن كان من أهل العهد العامّ، بعد الأربعة الأشهر التي ضرب لهم أجلا إلا أن يعدُوَ فيها عادٍ منهم، فيقتل بعدائه، ثم قال: {ألا تقاتلون قوما نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول} ، إلى قوله: {والله خبير بما تعملون}"(٥٥٣١).

القرآن

{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤)} [التوبة : ١٤]

التفسير:

يا معشر المؤمنين قاتلوا أعداء الله يعذبهم عز وجل بأيديكم، ويذلهم بالهزيمة والخزي، وينصركم عليهم، ويُعْلِ كلمته، ويشف بهزيمتهم صدوركم التي طالما لحق بها الحزن والغم من كيد هؤلاء المشركين.

قوله تعالى:{قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ} [التوبة : ١٤]، أي:" يا معشر المؤمنين قاتلوا أعداء الله يعذبهم عز وجل بأيديكم، ويذلهم بالهزيمة والخزي، وينصركم عليهم، ويُعْلِ كلمته"(٥٥٣٢).

عن عكرمة:" {وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ}، قال: نزلت في خزاعة"(٥٥٣٣).

قوله تعالى:{وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ} [التوبة : ١٤]، أي:" ويشف بهزيمتهم صدوركم التي طالما لحق بها الحزن والغم من كيد هؤلاء المشركين"(٥٥٣٤).

عن مجاهد :" {وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ}: خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٥٥٣٥).

عن مجاهد :" {وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ}، قال: خزاعة"(٥٥٣٦). وروي عن عكرمة. نحو ذلك(٥٥٣٧).

ذلك(٥٥٣٧).

قال السدي:" هم خزاعة، يشفي صدورهم من بني بكر"(٥٥٣٨).

القرآن

{وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥)} [التوبة : ١٥]

(٥٥٢٥) صفوة التفاسير:١/٤٨٧.

(٥٥٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٣٣):ص١٧٦٣/٦.

(٥٥٢٧) أخرجه الطبري(١٦٥٣٦):ص١٥٩/١٤.

(٥٥٢٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٧٦٢/٦.

(٥٥٢٩) صفوة التفاسير:١/٤٨٧.

(٥٥٣٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٣٢):ص١٧٦٣/٦.

(٥٥٣١) أخرجه الطبري(١٦٥٣٩):ص١٥٩/١٤.

(٥٥٣٢) التفسير الميسر:١/١٨٩.

(٥٥٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٣٥):ص١٧٦٣/٦.

(٥٥٣٤) التفسير الميسر:١/١٨٩.

(٥٥٣٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٣٦):ص١٧٦٣/٦.

(٥٥٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٣٥):ص١٧٦٣/٦.

(٥٥٣٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٧٦٣/٦.

(٥٥٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٣٧):ص١٧٦٣/٦.

التفسير:
ويُذْهِب عن قلوب المؤمنين الغيظ. ومن تاب من هؤلاء المعاندين فإن الله يتوب على من يشاء. والله عليم بصدق توبة التائب، حكيم في تدبيره وصنعه ووَضْع تشريعاته لعباده.

قوله تعالى:{وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ} [التوبة : ١٥]، أي:" ويُذْهِب عن قلوب المؤمنين الغيظ"(٥٥٣٩).

قال السدي:" حين قتلهم بنو بكر، وأعانتهم قريش"(٥٥٤٠). وفي لفظ:" وأعانتهم عليهم قريش"(٥٥٤١).

قوله تعالى:{وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ} [التوبة : ١٥]، أي:" ومن تاب من هؤلاء المعاندين فإن الله يتوب على من يشاء"(٥٥٤٢).

عن عكرمة :"{ويتوب الله على من يشاء}: خزاعة"(٥٥٤٣).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة : ١٥]، أي:" والله عليم بصدق توبة التائب، حكيم في تدبيره وصنعه ووَضْع تشريعاته لعباده"(٥٥٤٤).

قال محمد بن إسحاق: " {عليم}، أي: عليم بما يخفون"(٥٥٤٥).

عن أبي العالية :" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"(٥٥٤٦).

عن محمد بن جعفر بن الزبير، قوله: "{حكيم}، قال: الحكيم في عذره، وحجته إلى عباده"(٥٥٤٧).

القرآن

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٦)} [التوبة : ١٦]

التفسير:
مِن سنة الله الابتلاء، فلا تظنوا يا معشر المؤمنين أن يترككم الله دون اختبار; ليعلم الله علمًا ظاهرًا للخلق الذين أخلصوا في جهادهم، ولم يتخذوا غير الله ورسوله والمؤمنين بطانة وأولياء. والله خبير بجميع أعمالكم ومجازيكم بها.

قوله تعالى:{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ} [التوبة : ١٦]، أي:" ، فلا تظنوا يا معشر المؤمنين أن يترككم الله دون اختبار; ليعلم الله علمًا ظاهرًا للخلق الذين أخلصوا في جهادهم"(٥٥٤٨).

قال محمد بن إسحاق:" ولم أختبركم بالشدة، وأبتليكم بالمكاره"(٥٥٤٩).

قوله تعالى:{وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً} [التوبة : ١٦]، أي:" ولم يتخذوا غير الله ورسوله والمؤمنين بطانة وأولياء"(٥٥٥٠).

عن الحسن: "{وليجة}، قال: هو الكفر والنفاق، أو قال: أحدهما"(٥٥٥١).

عن الربيع: "{وليجة}، قال: دخلاء"(٥٥٥٢).

عن السدي:" {ولا المؤمنين وليجة}، قال: يتولجها من الولاية للمشركين"(٥٥٥٣).

عن قتادة:" {وليجة}: الخيانة"(٥٥٥٤).

(٥٥٣٩) التفسير الميسر:١٨٩/١.
(٥٥٤٠) أخرجه الطبري(١٦٥٤٦):ص١٦١/١٤.
(٥٥٤١) أخرجه الطبري(١٦٥٤٧):ص١٦٢/١٤.
(٥٥٤٢) التفسير الميسر:١٨٩/١.
(٥٥٤٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٠):ص١٧٦٤/٦.
(٥٥٤٤) التفسير الميسر:١٨٩/١.
(٥٥٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤١):ص١٧٦٤/٦.
(٥٥٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.
(٥٥٤٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٣):ص١٧٦٤/٦.
(٥٥٤٨) التفسير الميسر:١٨٩/١.
(٥٥٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٤):ص١٧٦٤/٦.
(٥٥٥٠) التفسير الميسر:١٨٩/١.
(٥٥٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٧):ص١٧٦٥/٦.
(٥٥٥٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٨):ص١٧٦٥/٦.
(٥٥٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٩):ص١٧٦٥/٦.

القرآن

{مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧)} [التوبة : ١٧]

التفسير:

ليس من شأن المشركين إعمار بيوت الله، وهم يعلنون كفرهم بالله ويجعلون له شركاء. هؤلاء المشركون بطلت أعمالهم يوم القيامة، ومصيرهم الخلود في النار.

قوله تعالى:{مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ} [التوبة : ١٧]، أي:" ليس من شأن المشركين إعمار بيوت الله، وهم يعلنون كفرهم بالله ويجعلون له شركاء"(٥٥٥٥).

قال السدي:" يقول: ما ينبغي لهم أن يعمروه"(٥٥٥٦).

قال عكرمة:" إنما هو مسجد واحد قال: وقال: إن الصفا والمروة من مساجد الله"(٥٥٥٧).

وفي قوله تعالى:{شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ} [التوبة : ١٧]، قولان:

أحدهما : أن فيما يقولونه أو يفعلونه دليل على كفرهم كما يدل عليه إقرارهم ، فكأن ذلك منهم هو شهادتهم على أنفسهم ، قاله الحسن (٥٥٥٨).

الثاني: أن النصراني إذا سئل ما أنت ؟ قال : نصراني ، واليهودي إذا سئل قال : يهودي ، وعابد الوثن يقول : مشرك ، وكان هؤلاء كفار وإن لم يقروا بالكفر ، قاله السدي(٥٥٥٩).

قال السدي:" فإن النصراني يسأل: ما أنت؟ فيقول: نصراني، واليهودي يقول: يهودي، والصابئ يقول: صابئ، والمشرك يقول إذا سألته ما دينك؟ فيقول: مشرك، لم يكن ليقوله أحد إلا العرب"(٥٥٦٠).

قوله تعالى:{أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ} [التوبة : ١٧]، أي:" هؤلاء المشركون بطلت أعمالهم يوم القيامة"(٥٥٦١).

قال أبو مالك:"يعني، بطلت أعمالهم"(٥٥٦٢).

قوله تعالى:{وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ} [التوبة : ١٧]، أي:" ومصيرهم الخلود في النار"(٥٥٦٣).

عن السدي: "{هم خالدون}: خالدا أبدا" (٥٥٦٤).

القرآن

{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨)} [التوبة : ١٨]

التفسير:

لا يعتني ببيوت الله ويعمرها إلا الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر، ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة، ولا يخافون في الله لومة لائم، هؤلاء العُمَّار هم المهتدون إلى الحق.

قوله تعالى:{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة : ١٨]، أي:" لا يعتني ببيوت الله ويعمرها إلا الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر"(٥٥٦٥).

(٥٥٥٤) انظر: النكت والعيون:٢٤٦/٢.

(٥٥٥٥) التفسير الميسر:١٨٩/١.

(٥٥٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٠):ص١٧٦٥/٦.

(٥٥٥٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥١):ص١٧٦٥/٦.

(٥٥٥٨) انظر: النكت والعيون:٣٤٧/٢.

(٥٥٥٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٠٥٢):ص١٧٦٥/٦.

(٥٥٦٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٠٥٢):ص١٧٦٥/٦.

(٥٥٦١) التفسير الميسر:١٨٩/١.

(٥٥٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٣):ص١٧٦٥/٦.

(٥٥٦٣) التفسير الميسر:١٨٩/١.

(٥٥٦٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٧٦/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٥٥٦٥) التفسير الميسر:١٨٩/١.

عن ابن إسحاق قال: ثم ذكر قول قريش: إنَّا أهلُ الحرم، وسُقاة الحاج، وعُمَّار هذا البيت، ولا أحد أفضل منا! فقال: {إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر}، أي: إن عمارتكم ليست على ذلك، {إنما يعمر مساجد الله}، أي: من عمرها بحقها {من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله}، فأولئك عمارها"(٥٥٦٦).

قوله تعالى:{وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ} [التوبة : ١٨]، أي:" أقام الصلاة المكتوبة بحدودها، وأدى الزكاة المفروضة بشروطها، وخاف الله ولم يرهب أحداً سواه"(٥٥٦٧).

عن الحسن في قوله: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}، قال: "فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها وبالزكاة"(٥٥٦٨).

وروي عن عطاء بن أبي رباح، وقتادة نحو ذلك(٥٥٦٩).

قال عبد الرحمن بن نمر: "سألت الزهري عن قوله: { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}، قال الزهري: إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"(٥٥٧٠).

عن عكرمة: {وَآتُوا الزَّكَاةَ}، قال: "زكاة المال من كل مائتي درهم خمسة دراهم"(٥٥٧١).

قوله تعالى:{فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} [التوبة : ١٨]، أي:" فعسى أن يكونوا في زمرة المهتدين يوم القيامة"(٥٥٧٢).

قال أبو مالك: " كل شيء في القران: (عسى) فهو واجب الا حرفين، حرف في التحريم: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُن}(٥٥٧٣)، وفي بني اسرائيل: {عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ}(٥٥٧٤)"(٥٥٧٥). وروي عن السدي(٥٥٧٦)، وابن إسحاق(٥٥٧٧)، نحو ذلك.

القرآن

{أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩)} [التوبة : ١٩]

التفسير:

أجعلتم -أيها القوم- ما تقومون به من سقي الحجيج وعِمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله؟ لا تتساوى حال المؤمنين وحال الكافرين عند الله، لأن الله لا يقبل عملا بغير الإيمان. والله سبحانه لا يوفق لأعمال الخير القوم الظالمين لأنفسهم بالكفر.

في سبب نزول الآيتان[١٩-٢٠]، أقوال:

احدها: عن النعمان بن بشير قال: "كنت عند منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أسقي الحاج، وقال الآخر: ما أبالي أن لا أعمل عملا بعد أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر: الجهاد في سبيل أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يوم الجمعة - ولكني إذا صليت دخلت فاستفتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما اختلفتم فيه، ففعل. فأنزل الله تعالى: {أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام} إلى قوله تعالى: {والله لا يهدي القوم الظالمين}"(٥٥٧٨).

(٥٥٦٦) أخرجه الطبري(١٦٥٥٦):ص١٦٨/١٤.

(٥٥٦٧) صفوة التفاسير:٤٨٨/١.

(٥٥٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢١):س١٠٠٤/٣.

(٥٥٦٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):ص١٠٠٤/٣.

(٥٥٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س١٠٠٤/٣.

(٥٥٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٦):س١٠٠٤/٣.

(٥٥٧٢) صفوة التفاسير:٤٨٨/١.

(٥٥٧٣)[التحريم : ٥].

(٥٥٧٤)[الإسراء : ٨].

(٥٥٧٥)أخرجه ابن أبي حاتم (٢٠١٧): ص ٢/ ٣٨٣.

(٥٥٧٦) انظر: النكت والعيون:٣٤٧/٢-٣٤٨.

(٥٥٧٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٥٥٦):ص١٦٨/١٤.

(٥٥٧٨)أخرجه مسلم (١٤٩٩/٣ - ح: ١٨٧٩) والإمام أحمد (الفتح الرباني: ١٥٩/١٨ - ح: ٢٩٣)، والطبري (١٦٥٥٧):ص١٦٩/١٤، وأبو داود وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وأبو الشيخ وابن مردويه (فتح القدير: ٣٤٥/٢)

والثاني: قال ابن عباس:" قال العباس بن عبد المطلب حين أسر يوم بدر : لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد ، لقد كنا نعمر المسجد الحرام ، ونسقي الحاج ، ونفك العاني! قال الله : {أجعلتم سقاية الحاج}، إلى قوله : {الظالمين} ، يعني: أن ذلك كان في الشرك ، ولا أقبل ما كان في الشرك"[٥٥٧٩].

وروي عن الضحاك:"أقبل المسلمون على العباس وأصحابه الذين أسرُوا يوم بدر يعيِّرونهم بالشرك، فقال العباس: أما والله لقد كنَّا نَعمُر المسجدَ الحرام، ونفُكُّ العاني، ونحجب البيتَ، ونسقي الحاج! فأنزل الله: {أجعلتم سقاية الحاج}، الآية"[٥٥٨٠].

والثالث: وقال ابن سيرين ومرة الهمداني: "قال علي للعباس: ألا تهاجر؟ ألا تلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: ألست في شيء أفضل من الهجرة؟ ألست أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام؟ فنزلت هذه الآية، ونزل قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا}[٥٥٨١]"[٥٥٨٢].

والرابع: وقال الحسن[٥٥٨٣] والشعبي[٥٥٨٤]، ومحمد بن كعب القرظي[٥٥٨٥]: "نزلت الآية في علي والعباس وطلحة بن شيبة، وذلك أنهم افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه ولو أشاء بت فيه وإلي ثياب بيته، وقال العباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، وقال علي: ما أدري ما تقولان، لقد صليت ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد. فأنزل الله تعالى هذه الآية"[٥٥٨٦].

وعن السدي:" افتخر علي، وعباس، وشيبة بن عثمان، فقال للعباس: أنا أفضلكم، أنا أسقي حُجَّاج بيت الله! وقال شيبة: أنا أعمُر مسجد الله! وقال علي: أنا هاجرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجاهد معه في سبيل الله! فأنزل الله: {الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله}، إلى: {نعيم مقيم}"[٥٥٨٧].

قوله تعالى:{أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [التوبة : ١٩]، أي:" أجعلتم -أيها القوم- ما تقومون به من سقي الحجيج وعِمارة المسجد الحرام كإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله؟"[٥٥٨٨].

عن عطاء:" {أجعلتم سقاية الحاج}، قال: زمزم"[٥٥٨٩].

قال مجاهد:" أمروا بالهجرة، فقال العباس بن عبد المطلب: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة أخو بني عبد الدار: أنا أحجب الكعبة فلا أهاجر"[٥٥٩٠].

عن الحسن قال: "لما نزلت {أجعلتم سقاية الحاج}، قال العباس: ما أراني إلا تارك سقايتنا! فقال النبي صلى الله عليه وسلم "أقيموا على سقايتكم فإن لكم فيها خيرًا""[٥٥٩١].

وكما في الدر المنثور:٢١٨/٣، والطبراني في "الأوسط" (٢٦٦/١ - ح: ٤٢٣) عن النعمان به، وأخرجه الواحدي في اسباب النزول:٢٤٣. واللفظ له.

ويشهد له: ما أخرجه عبد الرزاق (تفسير ابن كثير: ٣٤٢/٢) وابن جرير (٦٧/١٠) من وجه آخر عن النعمان به، وإسناده صحيح.

(٥٥٧٩)أخرجه الطبري(١٦٥٥٨):ص١٤/١٦٩-١٧٠ وابن المنذر وابن أبي حاتم (فتح القدير: ٣٤٦/٢) من طريق الوالبي - وهو علي بن أبي طلحة - عن ابن عباس رضي الله عنهما به، والواحدي في أسباب النزول:٢٤٤. وإسناده صحيح.

(٥٥٨٠) أخرجه الطبري(١٦٥٦٦):ص١٤/١٧٢.

(٥٥٨١)[التوبة : ٢٠].

(٥٥٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٢):ص٦/١٧٦٩، وذكره الواحدي في أسباب النزول:٢٤٤-٢٤٥.[مرسل]

(٥٥٨٣) انظر: تفسير الطبري(١٦٥٦١):ص١٤/١٧١. ولفظه:" نزلت في علي، وعباس، وعثمان، وشيبة، تكلموا في ذلك، فقال العباس: ما أراني إلا تارك سقايتنا! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقيموا على سقايتكم، فإن لكم فيها خيرًا".

(٥٥٨٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٥٦٢):ص١٤/١٧١. ولفظه:" نزلت في علي، والعباس، تكلما في ذلك".

(٥٥٨٥) انظر: تفسير الطبري(١٦٥٦٢):ص١٤/١٧١. ولفظه:" افتخر طلحة بن شيبة من بني عبد الدار، وعباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة، أنا صاحب البيت، معي مفتاحه، لو أشاء بتُّ فيه! وقال عباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، ولو أشاء بتُّ في المسجد! وقال علي: ما أدري ما تقولان، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد! فأنزل الله: {أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام}، الآية كلها".

(٥٥٨٦) أسباب النزول للواحدي:٢٤٤. [مرسل]

(٥٥٨٧) أخرجه الطبري(١٦٥٦٥):ص١٤/١٧٢.

(٥٥٨٨) التفسير الميسر:١٨٩/١.

(٥٥٨٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦١):ص٦/١٧٦٧.

(٥٥٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦٧):ص٦/١٧٦٨.

(٥٥٩١) أخرجه الطبري(١٦٥٦٤):ص١٤/١٧١-١٧٢.

لقرآن

{الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠)} [التوبة : ٢٠]

التفسير:

الذين آمنوا بالله وتركوا دار الكفر قاصدين دار الإسلام، وبذلوا أموالهم وأنفسهم في الجهاد لإعلاء كلمة الله، هؤلاء أعظم درجه عند الله، وأولئك هم الفائزون برضوانه.

قوله تعالى:{وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} [التوبة : ٢٠]، أي:" وأولئك هم الفائزون برضوانه"(٥٥٩٢).

عن السدي قوله: "{وأولئك هم الفائزون}، قال: إلى نعيم مقيم"(٥٥٩٣).

القرآن

{يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ (٢١)} [التوبة : ٢١]

التفسير:

إن هؤلاء المؤمنين المهاجرين لهم البشرى من ربهم بالرحمة الواسعة والرضوان الذي لا سخط بعده، ومصيرهم إلى جنات الخلد والنعيم الدائم.

قوله تعالى:{وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُقِيمٌ} [التوبة : ٢١]، أي:" ومصيرهم إلى جنات الخلد والنعيم الدائم"(٥٥٩٤).

عن السدي قوله: "{مقيم}، يعني: دائما لا ينقطع"(٥٥٩٥).

القرآن

{خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٢)} [التوبة : ٢٢]

التفسير:

ماكثين في تلك الجنان لا نهاية لإقامتهم وتنعمهم، وذلك ثواب ما قدَّموه من الطاعات والعمل الصالح في حياتهم الدنيا. إن الله تعالى عنده أجر عظيم لمن آمن وعمل صالحا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} [التوبة : ٢٢]، أي:" إن الله تعالى عنده أجر عظيم لمن آمن وعمل صالحا بامتثال أوامره واجتناب نواهيه"(٥٥٩٦).

عن يحيى بن أبي كثير:" {أجر عظيم}، قال: الأجر العظيم: الجنة"(٥٥٩٧).

عن سعيد بن جبير:" {أجر عظيم}، يعني: جزاء وافرا في الجنة"(٥٥٩٨).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣)} [التوبة : ٢٣]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه لا تتخذوا أقرباءكم -من الآباء والإخوان وغيرهم- أولياء، تفشون إليهم أسرار المسلمين، وتستشيرونهم في أموركم، ما داموا على الكفر معادين للإسلام. ومن يتخذهم أولياء ويُلْق إليهم المودة فقد عصى الله تعالى، وظلم نفسه ظلمًا عظيمًا.

في سبب نزول الآيات:[٢٣-٢٤]، وجوه:

(٥٥٩٢) التفسير الميسر:١٨٩/١.

(٥٥٩٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٣):ص١٧٦٩/٦.

(٥٥٩٤) التفسير الميسر:١٩٠.

(٥٥٩٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٤):ص١٧٦٩/٦.

(٥٥٩٦) التفسير الميسر:١٩٠.

(٥٥٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٦):ص١٧٧٠/٦.

(٥٥٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٧):ص١٧٧٠/٦.

أحدها: عن مجاهد، قوله:"{سقاية الحاج}، أمروا بالهجرة فقال العباس بن عبد المطلب: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة أخو بني عبد الدار: أنا أحجب الكعبة، فلا نهاجر، فأنزلت :{لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان}"[٥٥٩٩].

والثاني: نقل الواحدي عن الكلبي: "لما أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالهجرة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه وأخيه وامرأته: إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم من يسرع إلى ذلك ويعجبه، ومنهم من يتعلق به زوجته وعياله وولده، فيقولون: ناشدناك الله أن تدعنا إلى غير شيء فنضيع، فيرق فيجلس معهم ويدع الهجرة، فنزل قول الله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم} الآية. ونزل في الذين تخلفوا بمكة ولم يهاجروا قوله تعالى: {قل إن كان آباؤكم} إلى قوله: {فتربصوا حتى يأتي الله بأمره} يعني: القتال وفتح مكة"[٥٦٠٠].

وفي السياق نفسه نقل البغوي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس: قال: "لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم الناس بالهجرة إلى المدينة، فمنهم من يتعلق به أهله وولده، يقولون: ننشدك بالله أن لا تضيعنا. فيرق لهم فيقيم عليهم ويدع الهجرة، فأنزل الله عز وجل هذه الآية"[٥٦٠١].

والثالث: وقال مقاتل: " نزلت في السبعة الذين ارتدوا عن الإسلام فلحقوا بمكة من المدينة فنهى الله عن ولايتهم فقال: {ومن يتولهم منكم} يا معشر المؤمنين {فأولئك هم الظالمون}"[٥٦٠٢].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} [التوبة : ٢٣]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه"[٥٦٠٣].

قال ابن عباس-رضي الله عنهما-:" ما أنزل الله آية في القرآن يا أيها الذين آمنوا إلا أن عليا شريفها وأميرها وسيدها، وما من أصحاب محمد أحد إلا وقد عوتب في القرآن إلا علي بن أبي طالب فإنه لم يعاتب في شيء منه"[٥٦٠٤].

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: "إذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} فأرعها سمعك[يعني استمع لها]؛ فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه"[٢][٥٦٠٥].

عن الزهري قال: "إذا قال الله: يا أيها الذين آمنوا إفعلوا، فالنبي- صلى الله عليه وسلم- منهم"[٥٦٠٦].

عن خيثمة قال: "ما تقرؤون في القرآن :{يا أيها الذين آمنوا}، فإنه في التوراة: «يا أيها المساكين»"[٥٦٠٧].

قوله تعالى:{لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ} [التوبة : ٢٣]، أي:" لا تتخذوا أقرباءكم -من الآباء والإخوان وغيرهم- أولياء، تفشون إليهم أسرار المسلمين، وتستشيرونهم في أموركم، ما داموا على الكفر معادين للإسلام"[٥٦٠٨].

عن أبي مالك :"قوله {استحبوا}، قال: إختاروا"[٥٦٠٩].

القرآن

(٥٥٩٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٨):ص١٧٧٠/٦.

(٥٦٠٠) أسباب النزول:٢٤٥.

(٥٦٠١) تفسير البغوي:٢٤/٤. وعزاه ابن حجر للثعلبي من رواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس. انظر: الكافي الشاف ص (٧٤).

(٥٦٠٢) تفسير مقاتل بن سليمان:١٦٤/٢، وعزاه ابن حجر للثعلبي، انظر: الكافي الشاف ص (٧٤).

(٥٦٠٣) التفسير الميسر:١٩٠.

(٥٦٠٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٣):ص١٦٦٩/٥.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٣٧):ص ١٩٦/١.

(٥٦٠٥) انظر: تفسير ابن عثيمين: ٣٣٧/١.

(٥٦٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٦):ص١٦٦٩/٥.

(٥٦٠٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٨٨٤):ص١٦٦٩/٥.

(٥٦٠٨) التفسير الميسر:١٩٠.

(٥٦٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٠):ص١٧٧٠/٦.

{قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)} [التوبة : ٢٤]

التفسير:

قل -يا أيها الرسول- للمؤمنين: إن فَضَّلتم الآباء والأبناء والإخوان والزوجات والقرابات والأموال التي جمعتموها والتجارة التي تخافون عدم رواجها والبيوت الفارهة التي أقمتم فيها، إن فَضَّلتم ذلك على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله فانتظروا عقاب الله ونكاله بكم. والله لا يوفق الخارجين عن طاعته.

قوله تعالى:{وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا} [التوبة : ٢٤]، أي:" وأموالكم التي اكتسبتموها"(٥٦١٠).

عن قتادة:"{ وأموال اقترفتموها}، يقول: أصبتموها"(٥٦١١).

وعن قتادة: "{وأموال اقترفتموها}، قال: اغتصبتموها"(٥٦١٢).

قوله تعالى:{وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا} [التوبة : ٢٤]، أي:" والتجارة التي تخافون عدم رواجها"(٥٦١٣).

قال السدي:" تخشون أن تكسد فتبيعونها"(٥٦١٤).

قوله تعالى:{وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا} [التوبة : ٢٤]، أي:" والبيوت الفارهة التي أقمتم فيها"(٥٦١٥).

قال السدي:" هي القصور والمنازل"(٥٦١٦).

قوله تعالى:{فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} [التوبة : ٢٤]، أي:" فانتظروا عقاب الله ونكاله بكم"(٥٦١٧).

عن قتادة:" {فتربصوا حتى يأتي الله بأمره}: بالفتح، أمر إياهم بالهجرة هذا كله قبل فتح مكة"(٥٦١٨).

عن علي بن بحير المعافري:" أن رجلا أراد الجهاد في سبيل الله فمنعته أمه فأتى عمرو بن يزيد الخولاني يسأله عن ذلك، فقال له عمرو بن يزيد: {قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها}، الآية"(٥٦١٩).

عن ابن عون قال: "كان إذا شاوره أحد في الغزو وله أبوان فتلا عليه هذه الآية: {قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم}، إلى آخر الآية، ثم سكت فلا يقول له: اخرج ولا أقم"(٥٦٢٠).

القرآن

{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٥)} [التوبة : ٢٥]

التفسير:

لقد أنزل الله نَصْرَه عليكم في مواقع كثيرة عندما أخذتم بالأسباب وتوكلتم على الله. ويوم غزوة (حنين) قلتم: لن نُغْلَبَ اليوم من قلة، فغرَّتكم الكثرة فلم تنفعكم، وظهر عليكم العدو فلم تجدوا ملجأً في الأرض الواسعة ففررتم منهزمين.

قوله تعالى:{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ} [التوبة : ٢٥]، أي:" لقد أنزل الله نَصْرَه عليكم في مواقع كثيرة عندما أخذتم بالأسباب وتوكلتم على الله"(٥٦٢١).

قال مجاهد:" أول ما أنزل من براءة يعرفهم بنصره ويوطنهم لغزوة تبوك"(٥٦٢٢).

(٥٦١٠) صفوة التفاسير:١/٤٩١.

(٥٦١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٣):ص١٧٧١/٦.

(٥٦١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٤):ص١٧٧١/٦.

(٥٦١٣)التفسير الميسر:١٩٠.

(٥٦١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٥):ص١٧٧١/٦.

(٥٦١٥)التفسير الميسر:١٩٠.

(٥٦١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٦):ص١٧٧١/٦.

(٥٦١٧)التفسير الميسر:١٩٠.

(٥٦١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٨):ص١٧٧٢/٦.

(٥٦١٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨١):ص١٧٧١/٦.

(٥٦٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٢):ص١٧٧١/٦.

(٥٦٢١)التفسير الميسر:١٩٠.

قوله تعالى:{ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا} [التوبة : ٢٥]، أي:" ونصركم أيضاً يوم حنين بعد الهزيمة التي منيتم بها بسبب اغتراركم بالكثرة ، فغرَّتكم الكثرة فلم تنفعكم"(٥٦٢٣).

قال الضحاك:" وحنين فيما بين مكة والمدينة"(٥٦٢٤).

عن إسماعيل بن أبي خالد، في قوله:" {ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم}، فقال رجل: لا نغلب اليوم لكثرة"(٥٦٢٥).

قال السدي:" وأن رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم حنين: يا رسول الله، لا نغلب اليوم من قلة، وأعجبه كثرة الناس فكانوا اثنى عشر ألفا"(٥٦٢٦).

قال قتادة:" وحنين ما بين مكة والطائف، قاتل نبي الله صلى الله عليه وسلم هوازن وثقيف وعلى هوازن: مالك بن عوف أخو بني نصر وعلى ثقيف عبد ليل بن عمرو الثقفي"(٥٦٢٧).

قوله تعالى:{وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ} [التوبة : ٢٥]، أي:" وظهر عليكم العدو فلم تجدوا ملجأ في الأرض الواسعة"(٥٦٢٨).

قال الحسن:" هكذا يقع ذنب المؤمن من قبله"(٥٦٢٩).

قوله تعالى:{ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ} [التوبة : ٢٥]، أي:" ففررتم منهزمين"(٥٦٣٠).

قال سعيد بن جبير:" يعني: منهزمين عن النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ فلال المسلمين مكة، فلم يجعل الله لهم النار وهذا بعد قتال أحد"(٥٦٣١).

القرآن

{ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦)} [التوبة : ٢٦]

التفسير:

ثم أنزل الله الطمأنينة على رسوله وعلى المؤمنين فثبتوا، وأمدَّهم بجنود من الملائكة لم يروها، فنصرهم على عدوهم، وعذَّب الذين كفروا. وتلك عقوبة الله للصادِّين عن دينه، المكذِّبين لرسوله.

قوله تعالى:{ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} [التوبة : ٢٦]، أي:" ثم أنزل الله الطمأنينة على رسوله وعلى المؤمنين فثبتوا"(٥٦٣٢).

عن الحس:"{ سَكِينَتَهُ}، قال: الوقار"(٥٦٣٣).

قال سعيد بن جبير:" في يوم حنين أمد الله تعالى رسوله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ويومئذ سمى الله الأنصار مؤمنين فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين"(٥٦٣٤).

قوله تعالى:{وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا} [التوبة : ٢٦]، أي:" وأمدَّهم بجنود من الملائكة لم يروها فنصرهم على عدوهم"(٥٦٣٥).

قال السدي:" هم الملائكة"(٥٦٣٦).

(٥٦٢٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩١):ص١٧٧٢/٦.
(٥٦٢٣)التفسير الميسر:١٩٠.
(٥٦٢٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩٢):ص١٧٧٢/٦.
(٥٦٢٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩٦):ص١٧٧٣/٦.
(٥٦٢٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩٧):ص١٧٧٣/٦.
(٥٦٢٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠١٠٠):ص١٧٧٢/٦.
(٥٦٢٨)التفسير الميسر:١٩٠.
(٥٦٢٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩٨):ص١٧٧٤/٦.
(٥٦٣٠)التفسير الميسر:١٩٠.
(٥٦٣١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩٩):ص١٧٧٤/٦.
(٥٦٣٢)التفسير الميسر:١٩٠.
(٥٦٣٣) انظر: النكت والعيون:٣٤٩/٢.
(٥٦٣٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٠٠):ص١٧٧٤/٦.
(٥٦٣٥)التفسير الميسر:١٩٠.
(٥٦٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٠١):ص١٧٧٤/٦.

قوله تعالى:{وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا} [التوبة : ٢٦]، أي:" وعذب الله الذين جحدوا وحدانيّته ورسالة رسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم"(٥٦٣٧).

قال سعيد بن جبير:" بالهزيمة"(٥٦٣٨).

قال السدي:" قتلهم بالسيف"(٥٦٣٩).

القرآن

{ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٧)} [التوبة : ٢٧]

التفسير:

ومن رجع عن كفره بعد ذلك ودخل الإسلام فإن الله يقبل توبة مَن يشاء منهم، فيغفر ذنبه. والله غفور رحيم.

قوله تعالى:{ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ} [التوبة : ٢٧]، أي:" ومن رجع عن كفره بعد ذلك ودخل الإسلام فإن الله يقبل توبة مَن يشاء منهم، فيغفر ذنبه"(٥٦٤٠).

عن سعيد بن جبير في قوله: "{يتوب الله}، يعني: يتجاوز"(٥٦٤١).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [التوبة : ٢٧]، أي:" والله عظيم المغفرة واسع الرحمة"(٥٦٤٢).

قال محمد بن إسحاق: "{والله غفور}، أي: يغفر الذنب، {رحيم}، يرحم العباد على ما فيهم"(٥٦٤٣).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨)} [التوبة : ٢٨]

التفسير:

يا معشر المؤمنين إنما المشركون رِجْس وخَبَث فلا تمكنوهم من الاقتراب من الحرم بعد هذا العام التاسع من الهجرة، وإن خفتم فقرًا لانقطاع غارتهم عنكم، فإن الله سيعوضكم عنها، ويكفيكم من فضله إن شاء، إن الله عليم بحالكم، حكيم في تدبير شؤونكم.

سبب النزول:

قال ابن عباس:" كان المشركون يجيئون إلى البيت ويجيئون معهم بالطعام يتجرون به، فلما نهوا عن أن يأتوا البيت قال المسلمون: فيمن أين لنا الطعام؟ قال: فأنزل الله عز وجل {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ}، قال: فأنزل الله عليهم المطر وكثر خيرهم حين ذهب المشركون عنهم"(٥٦٤٤).

قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ} [التوبة : ٢٨]، أي:" يا معشر المؤمنين إنما المشركون رِجْس وخَبَث"(٥٦٤٥).

عن قتادة قوله: "{إنما المشركون نجس}، أي: أجناب"(٥٦٤٦).

قوله تعالى:{فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} [التوبة : ٢٨]، أي:" فلا تمكنوهم من الاقتراب من الحرم بعد هذا العام التاسع من الهجرة"(٥٦٤٧).

عن ابن جريج :"تلا هذه الآية :{فلا يقربوا المسجد الحرام}، قال عمرو بن دينار: لا تدخلوا المسجد الحرام"(٥٦٤٨).

(٥٦٣٧) تفسير الطبري:١٨٩/١٤.

(٥٦٣٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٠٢):ص١٧٧٤/٦.

(٥٦٣٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٠٣):ص١٧٧٤/٦.

(٥٦٤٠)التفسير الميسر:١٩١.

(٥٦٤١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٠٦):ص١٧٧٥/٦.

(٥٦٤٢) صفوة التفاسير:٤٩٢/١.

(٥٦٤٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٠٧):ص١٧٧٥/٦.

(٥٦٤٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٢٠):ص١٧٧٧/٦.

(٥٦٤٥) التفسير الميسر:١٩١.

(٥٦٤٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٠٩):ص١٧٧٥/٦.

(٥٦٤٧) التفسير الميسر:١٩١.

(٥٦٤٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١٢):ص١٧٧٦/٦.

عن ابن المسيب قال: "قال الله تعالى: {إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام}، قال: كان أبو سفيان يدخل مسجد المدينة وهو كافر، غير أن ذلك لا يحل في المسجد الحرام"[٥٦٤٩].

عن ابن شهاب وسئل عن المشركين فقال: "ليس للمشرك أن يقرب المسجد الحرام بعد عامهم هذا، فكان ولاة الأمر لا يرخصون للمشركين في دخول مكة"[٥٦٥٠].

عن سعيد بن جبير: "الحرم كله مسجد"[٥٦٥١]. وروي عن مجاهد مثله[٥٦٥٢].

قال عطاء: "لا يدخل الحرم كله مشرك، وتلا :{بعد عامهم هذا}"[٥٦٥٣].

عن قتادة قوله: "{بعد عامهم هذا}، وهو العام الذي حج فيه أبو بكر رضي الله عنه، ونادى علي فيه بالأذان وذلك لتسع مضين من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم من العام المقبل حجة الوداع، لم يحج قبلها ولا بعدها منذ هاجر"[٥٦٥٤].

قوله تعالى:{وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً} [التوبة : ٢٨]، أي:" وإن خفتم فقرًا لانقطاع غارتهم عنكم"[٥٦٥٥].

قال عكرمة:" يعني بالعيلة: الفاقة"[٥٦٥٦]. وروي عن سعيد بن جبير والضحاك. نحو ذلك[٥٦٥٧].

قوله تعالى:{فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ} [التوبة : ٢٨]، أي:" فإن الله سيعوضكم عنها، ويكفيكم من فضله إن شاء"[٥٦٥٨].

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: قوله: "{فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء}، قال: المؤمنون: كنا نصيب من متاجر المشركين فوعدهم الله أن يغنيهم من فضله عوضا لهم بأن لا يقربوهم المسجد الحرام، فهذه الآية في أول براءة في القراءة مع آخرها في التأويل"[٥٦٥٩].

وروي عن سعيد بن جبير :{فسوف يغنيكم الله من فضله}، قال: بالجزية"[٥٦٦٠]. وروي عن الضحاك. مثله[٥٦٦١].

عن قتادة قوله:"{فسوف يغنيكم الله من فضله إن شاء}، فأغناهم الله بهذا الخراج الجزية الجارية عليهم يأخذونها شهرا شهرا وعاما عاما، فليس لأحد من المشركين أن يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم ذلك، إلا صاحب جزية، أو عبد رجل من المسلمين"[٥٦٦٢].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة : ٢٨]، أي:" إن الله عليم بحالكم، حكيم في تدبير شؤونكم"[٥٦٦٣].

قال محمد بن إسحاق: " {عليم}، أي: عليم بما يخفون"[٥٦٦٤].

عن أبي العالية :" {حكيم}، قال: حكيم في أمره"[٥٦٦٥].

القرآن

(٥٦٤٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١٣):ص١٧٧٦/٦.
(٥٦٥٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١٤):ص١٧٧٦/٦.
(٥٦٥١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١٦):ص١٧٧٦/٦.
(٥٦٥٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٧٧٦/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٥٦٥٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١٧):ص١٧٧٦/٦.
(٥٦٥٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١٨):ص١٧٧٦/٦.
(٥٦٥٥) التفسير الميسر:١٩١.
(٥٦٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١٩):ص١٧٧٧/٦.
(٥٦٥٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٧٧٧/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.
(٥٦٥٨) التفسير الميسر:١٩١.
(٥٦٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٢١):ص١٧٧٧/٦.
(٥٦٦٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٢٤):ص١٧٧٧/٦.
(٥٦٦١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٧٧٧/٦. حكاه دون ذكر الإسناد
(٥٦٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٢٢):ص١٧٧٧/٦.
(٥٦٦٣) التفسير الميسر:١٩١.
(٥٦٦٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤١):ص١٧٦٤/٦.
(٥٦٦٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٦٤/٦.

{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ (٢٩)} [التوبة : ٢٩]

التفسير:

أيها المسلمون قاتلوا الكفار الذين لا يؤمنون بالله، ولا يؤمنون بالبعث والجزاء، ولا يجتنبون ما نهى الله عنه ورسوله، ولا يلتزمون أحكام شريعة الإسلام من اليهود والنصارى، حتى يدفعوا الجزية التي تفرضونها عليهم بأيديهم خاضعين أذلاء.

قوله تعالى:{قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ} [التوبة : ٢٩]، أي:" أيها المسلمون قاتلوا الكفار الذين لا يؤمنون بالله، ولا يؤمنون بالبعث والجزاء"(٥٦٦٦).

عن ابن أبي نجيح عن مجاهد: قوله: "{قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر}، حين أمر محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه بغزوة تبوك"(٥٦٦٧).

عن سعيد بن جبير :"{قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله}، يعني: الذين لا يصدقون بتوحيد الله"(٥٦٦٨).

قوله تعالى:{وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ} [التوبة : ٢٩]، أي:" ولا يجتنبون ما نهى الله عنه ورسوله"(٥٦٦٩).

عن سعيد بن جبير :"{ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله}، يعني: الخمر والخنزير"(٥٦٧٠).

قوله تعالى:{وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ} [التوبة : ٢٩]، أي:" ولا يلتزمون أحكام شريعة الإسلام"(٥٦٧١).

قال سعيد بن جبير:" يعني: دين الإسلام، لأن كل دين غير الإسلام باطل"(٥٦٧٢).

وروي عن عمر بن عبد العزيز، أنه قال: "دين الحق الإسلام"(٥٦٧٣).

قوله تعالى:{مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} [التوبة : ٢٩]، أي:" من هؤلاء المنحرفين من اليهود والنصارى الذين نزلت عليهم التوراة والإنجيل"(٥٦٧٤).

عن سعيد بن جبير :"{من الذين أوتوا الكتاب}، يعني: من اليهود والنصارى، أوتوا الكتاب من قبل المسلمين أمة محمد صلى الله عليه وسلم"(٥٦٧٥).

قوله تعالى:{حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة : ٢٩]، أي:" حتى يدفعوا الجزية التي تفرضونها عليهم بأيديهم خاضعين أذلاء"(٥٦٧٦).

وفي قوله تعالى:{عَنْ يَدٍ} [التوبة : ٢٩]، ستة أوجه من التفسير:

أحدها : عن غنى وقدرة . قاله أبو سنان(٥٦٧٧).

والثاني : عن قهر. قاله قتادة(٥٦٧٨).

وفي قوله تعالى: { وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة : ٢٩]، قولان:

أحدهما : أن يكونوا قياماً والآخذ لها جالساً ، قاله عكرمة(٥٦٧٩).

عن سفيان عن أبي سعد قال: "بعث المغيرة إلى رستم فقال له رستم: إلام تدعو؟ فقال له: أدعوك إلى الإسلام، فإن أسلمت فلك ما لنا وعليك ما علينا، قال: فإن أبيت؟ قال: فتعطي الجزية عن يد وأنت صاغر،

(٥٦٦٦) التفسير الميسر:١٩١.

(٥٦٦٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٢٥):ص١٧٧٨/٦.

(٥٦٦٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٢٧):ص١٧٧٨/٦.

(٥٦٦٩) التفسير الميسر:١٩١.

(٥٦٧٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٢٨):ص١٧٧٨/٦.

(٥٦٧١) التفسير الميسر:١٩١.

(٥٦٧٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٠٢٩):ص١٧٧٨/٦.

(٥٦٧٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٧٧٨/٦. حكاه دون ذكر الإسناد.

(٥٦٧٤) صفوة التفاسير:٤٩٣/١.

(٥٦٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٣٠):ص١٧٧٨/٦.

(٥٦٧٦) التفسير الميسر:١٩١.

(٥٦٧٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٠٣٥):ص١٧٨٠/٦.

(٥٦٧٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٠٣٦):ص١٧٨٠/٦.

(٥٦٧٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٦١٨):ص٢٠٠/١٤-٢٠١.

فقال لترجمانه: قل له أما إعطاء الجزية فقد عرفتها، فما قولك وأنت صاغر؟ قال: تعطيها وأنت قائم وأنا جالس، وقال غير أبي سعد: والسوط على رأسك"[٥٦٨٠].

الثاني: أن يكونوا أذلاء مقهورين ، وهو معنى قول سعيد بن جبير[٥٦٨١].

عن سعيد بن جبير في قوله: "{حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون}، يعني: مذلون"[٥٦٨٢].

وعن أبي البختري عن سلمان :"{حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرو}،ن قال: وهم غير محمودين"[٥٦٨٣].

عن أبي صالح في قوله:"{حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون}، قال: لا يمشون بها، هم يتلتلون فيها"[٥٦٨٤].

عن مالك في قول الله تعالى :"{قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون}، قال مالك: فإنما يعطي أهل الكتاب الجزية من ثمن الخمر والخنزير، فذلك حلال للمسلمين أن يأخذوه من أهل الكتاب في الجزية ولا يحل لهم أن يأخذوا في جزيتهم الخنزير ولا الخمر بعينها"[٥٦٨٥].

القرآن

{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠)} [التوبة : ٣٠]

التفسير:

لقد أشرك اليهود بالله عندما زعموا أن عزيرًا ابن الله. وأشرك النصارى بالله عندما ادَّعوا أن المسيح ابن الله. وهذا القول اختلقوه من عند أنفسهم، وهم بذلك يشابهون قول المشركين من قبلهم. قَاتَلَ الله المشركين جميعًا كيف يعدلون عن الحق إلى الباطل؟

سبب النزول:

عن ابن عباس قال: "أتى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم سَلامُ بن مشكم، ونعمانُ بن أوفى، وشأسُ بن قيس، ومالك بن الصَّيف، فقالوا: كيف نتّبعك وقد تركت قِبْلتنا، وأنت لا تزعم أنّ عزيرًا ابن الله؟ فأنزل في ذلك من قولهم: {وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله}، إلى: {أنى يؤفكون}"[٥٦٨٦].

قوله تعالى:{وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ} [التوبة : ٣٠]، أي:"زعم اليهود أن عزيزا ابن الله"[٥٦٨٧].

عن السدي: "{وقالت اليهود عزير ابن الله} ، إنما قالت ذلك، لأنهم ظهرت عليهم العمالقة فقتلوهم، وأخذوا التوراة، وذهب علماؤهم الذين بقُوا، وقد دفنوا كتب التوراة في الجبال. وكان عزير غلامًا يتعبَّد في رءوس الجبال، لا ينزل إلا يوم عيد. فجعل الغلام يبكي ويقول: "ربِّ تركتَ بني إسرائيل بغير عالم"! فلم يزل يبكي حتى سقطت أشفارُ عينيه، فنزل مرة إلى العيد، فلما رجع إذا هو بامرأة قد مثلتْ له عند قبر من تلك القبور تبكي وتقول: يا مطعماه، ويا كاسِياه! فقال لها: ويحك، من كان يطعمك أو يكسوك أو يسقيك أو ينفعك قبل هذا الرجل؟ قالت: الله! قال: فإن الله حي لم يمت! قالت: يا عزير، فمن كان يعلِّم العلماء قبلَ بني إسرائيل؟ قال: الله! قالت: فلم تبكي عليهم؟ فلما عرف أنه قد خُصِم، ولَّى مدبرًا، فدعته فقالت: يا عزير، إذا أصبحت غدًا فأت نهر كذا وكذا فاغتسل فيه، ثم اخرج فصلِّ ركعتين، فإنه يأتيك شيخٌ، فما أعطاك فخُذْه. فلما أصبح انطلق عزير إلى ذلك النهر، فاغتسل فيه، ثم خرج فصلى ركعتين. فجاءه الشيخُ فقال: افتح فمك! ففتح فمه، فألقى فيه شيئا كهيئة الجمرة العظيمة، مجتمع كهيئة القوارير، ثلاث مرار. فرجع عزير وهو من أعلم الناس بالتوراة، فقال: يا بني إسرائيل، إني قد جئتكم بالتوراة! فقالوا: يا عزير، ما كنت كذَّابًا! فعمد فربط على

(٥٦٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٢):ص١٧٨١/٦.
(٥٦٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٠):ص١٧٨٠/٦.
(٥٦٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٠):ص١٧٨٠/٦.
(٥٦٨٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٣٩):ص١٧٨٠/٦.
(٥٦٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤١):ص١٧٨٠/٦.
(٥٦٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٣٣):ص١٧٧٩/٦.
(٥٦٨٦) أخرجه الطبري(١٦٦٢٠):ص٢٠٢/١٤.
(٥٦٨٧) انظر: التفسير الميسر:١٩١.

كل إصبع له قلمًا، وكتب بأصابعه كلها، فكتب التوراة كلّها. فلما رجعَ العلماء، أخبروا بشأن عزير، فاستخرج أولئك العلماء كُتبهم التي كانوا دفنوها من التوراة في الجبال، وكانت في خوابٍ مدفونة، فعارضوها بتوراة عزير، فوجدوها مثلها، فقالوا: ما أعطاك الله هذا إلا أنك ابنه!"[٥٦٨٨].

قوله تعالى:{وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ} [التوبة : ٣٠]، أي:" وزعم النصارى - أعداء الله - أن المسيح ابن الله"[٥٦٨٩].

قال عكرمة:" قالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقالت الصابئون: نحن نعبد الملائكة من دون الله، وقالت المجوس: نحن نعبد الشمس والقمر من دون الله، وقال أهل الأوثان: نحن نعبد الأوثان من دون الله فأوحى الله- عز وجل- إلى نبيه ليكذب قولهم: {قل هو الله أحد. الله الصمد}، السورة كلها"[٥٦٩٠].

قوله تعالى:{ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} [التوبة : ٣٠]، أي:" وهذا القول اختلقوه من عند أنفسهم، وهم بذلك يشابهون قول المشركين من قبلهم"[٥٦٩١].

عن قتادة قوله: "{يضاهئون قول الذين كفروا من قبل}، ضاهت النصارى قول اليهود قبلهم"[٥٦٩٢].

عن السدّي: "{يضاهئون قول الذين كفروا من قبل}، النصارى يضاهئون قول اليهود في «عزيز»"[٥٦٩٣].

عن ابن جريج: "{يضاهئون قول الذين كفروا من قبل}، يقول: النصارى، يضاهئون قول اليهود"[٥٦٩٤].

والثالث : أنهم في تقليد أسلافهم يضاهون قول من تقدمهم، قاله الزجاج[٥٦٩٥].

قوله تعالى:{قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [التوبة : ٣٠]، أي:" قَاتَلَ الله المشركين جميعًا كيف يعدلون عن الحق إلى الباطل؟"[٥٦٩٦].

عن ابن جريج قوله:"{قاتلهم الله}، يعني: النصارى، كلمةٌ من كلام العرب"[٥٦٩٧].

عن أبي مالك:" {أنى يؤفكون}، قال: كيف يكذبون"[٥٦٩٨].

القرآن

{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١)} [التوبة : ٣١]

التفسير:

اتخذ اليهودُ والنصارى العلماءَ والعُبَّادَ أربابًا يُشَرِّعون لهم الأحكام، فيلتزمون بها ويتركون شرائع الله، واتخذوا المسيح عيسى ابن مريم إلهًا فعبدوه، وقد أمرهم الله بعبادته وحده دون غيره، فهو الإله الحق لا إله إلا هو. تنزَّه وتقدَّس عما يفتريه أهل الشرك والضلال.

قوله تعالى:{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ} [التوبة : ٣١]، أي:" اتخذ اليهودُ والنصارى العلماءَ والعُبَّادَ أربابًا يُشَرِّعون لهم الأحكام، فيلتزمون بها ويتركون شرائع الله"[٥٦٩٩].

عن الضحاك : "{اتخذوا أحبارهم ورهبانهم}، قال : قُرَّاءهم وعلماءهم"[٥٧٠٠].

(٥٦٨٨) أخرجه الطبري(١٦٦٢٢):ص٢٠٣-٢٠٤.
(٥٦٨٩) صفوة التفاسير:٤٩٣/١.
(٥٦٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٦):ص١٧٨٢/٦.
(٥٦٩١) التفسير الميسر:١٩١.
(٥٦٩٢) أخرجه الطبري(١٦٦٢٤):ص٢٠٦/١٤.
(٥٦٩٣) أخرجه الطبري(١٦٦٢٥):ص٢٠٦/١٤.
(٥٦٩٤) أخرجه الطبري(١٦٦٢٦):ص٢٠٦/١٤.
(٥٦٩٥) انظر: معاني القرآن:٤٤٣/٢.
(٥٦٩٦) التفسير الميسر:١٩١.
(٥٦٩٧) اخرجه الطبري(١٦٦٢٩):ص٢٠٧/١٤.
(٥٦٩٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٤):ص١٧٨٣/٦.
(٥٦٩٩) التفسير الميسر:١٩١.
(٥٧٠٠) أخرجه الطبري(١٦٦٣٠):ص٢٠٩/١٤.

قال عبد الله المبارك:"وهل بدل الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها"[٥٧٠١].

عن الحسن : "{اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا}، قال : في الطاعة"[٥٧٠٢].

قيل لأبي العالية : "كيف كانت الرُّبوبية التي كانت في بني إسرائيل ؟ قال : [لم يسبوا أحبارنا بشيء مضى][٥٧٠٣] " ما أمرونا به ائتمرنا ، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم " ، وهم يجدون في كتاب الله ما أمروا به وما نهوا عنه ، فاستنصحوا الرجالَ ، ونبذُوا كتاب الله وراء ظهورهم"[٥٧٠٤].

قوله تعالى:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [التوبة : ٣١]، أي:" وقد أمرهم الله بعبادته وحده دون غيره، فهو الإله الحق لا إله إلا هو"[٥٧٠٥].

عن ابن إسحاق:" {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ}، أي: ليس معه غيره شريك في أمره"[٥٧٠٦].

قوله تعالى:{سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة : ٣١]، أي:" تنزَّه وتقدَّس عما يفتريه أهل الشرك والضلال"[٥٧٠٧].

عن الحسن:" سبحان الله: اسم لا يستطيعون الناس أن ينتحلوه"[٥٧٠٨].

عن النظر بن عربي، قال: "سأل رجل ميمون بن مهران عن (سبحان الله)، فقال: اسم يعظم الله به، ويحاشى به من السوء"[٥٧٠٩].

القرآن

{يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٣٢)} [التوبة : ٣٢]

التفسير:

يريد الكفار بتكذيبهم أن يبطلوا دين الإسلام، ويبطلوا حجج الله وبراهينه على توحيده الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ويأبى الله إلا أن يتم دينه ويظهره، ويعلي كلمته، ولو كره ذلك الجاحدون.

قوله تعالى:{يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ} [التوبة : ٣٢]، أي:" يريد الكفار بتكذيبهم أن يبطلوا دين الإسلام، ويبطلوا حجج الله وبراهينه على توحيده الذي جاء به محمد-صلى الله عليه وسلم-"[٥٧١٠].

عن السدي قوله: "{بأفواههم}، يقول: بكلامهم"[٥٧١١].

عن الحسن، وقتادة:"{نُورَ اللَّهِ}: القرآن والإسلام"[٥٧١٢].

قال السدي:" يريدون أن يطفئوا الإسلام بكلامهم"[٥٧١٣].

قال الضحاك: "يريدون أن يهلك محمد وأصحابه، أن لا يعبدوا الله بالإسلام في الأرض"[٥٧١٤].

قوله تعالى:{وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبة : ٣٢]، أي:" ويأبى الله إلا أن يتم دينه ويظهره، ويعلي كلمته، ولو كره ذلك الجاحدون"[٥٧١٥].

عن الضحاك في قوله: "{ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون}، يعني بها: كفار العرب، وأهل الكتاب من حارب منهم النبي- صلى الله عليه وسلم وكفر بآياته"[٥٧١٦].

(٥٧٠١)الجهاد لابن المبارك: ٢٨.

(٥٧٠٢) أخرجه الطبري(١٦٦٣٩):ص٢١٢/١٤.

(٥٧٠٣) قال المحقق:" هذه الجملة التي وضعتها بين قوسين من المخطوطة ، ولا أدري ما هي ، ولكني أثبتها كما جاءت ، فلعل أحدا يجد الخبر في مكان آخر فيصححه".

(٥٧٠٤) أخرجه الطبري(١٦٦٤٢):ص٢١٢/١٤.

(٥٧٠٥) التفسير الميسر:١٩١.

(٥٧٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦١):ص١٧٨٤/٦.

(٥٧٠٧) التفسير الميسر:١٩١.

(٥٧٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦٣):ص١٧٨٤/٦.

(٥٧٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦٤):ص١٧٨٤/٦.

(٥٧١٠)التفسير الميسر:١٩٢.

(٥٧١١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦٧):ص١٧٨٥/٦.

(٥٧١٢) حكاه عنه الماوردي في النكت والعيون:١٧٨٥/٦.

(٥٧١٣) أخرجه الطبري(١٦٦٤٤):ص٢١٤/١٤.

(٥٧١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦٦):ص١٧٨٥/٦.

(٥٧١٥)التفسير الميسر:١٩٢.

القرآن

{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣)} [التوبة : ٣٣]

التفسير:

هو الذي أرسل رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالقرآن ودين الإسلام; ليعليه على الأديان كلها، ولو كره المشركون دين الحق -الإسلام- وظهوره على الأديان.

قوله تعالى:{هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} [التوبة : ٣٣]، أي:" هو الذي أرسل رسوله محمدًا صلى الله عليه وسلم بالقرآن ودين الإسلام"(٥٧١٧).

عن قتادة :"{هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق}، قال: قاتل الله قوما ينتحلون دينا لم يصدقه قوم قط ولم يفلحه ولم ينصره إذا أظهروه إهراق به دماؤهم، وإذا سكتوا عنه كان فرحا في قلوبهم ذلك والله دين سوء قد ألاصوا هذا الأمر منذ بضع وستين سنة، فهل أفلحوا فيه يوما أو أنجحوا؟"(٥٧١٨).

عن الضحاك:" {بالهدى ودين الحق}: الهدى البيان ، ودين الحق الإسلام"(٥٧١٩).

قوله تعالى:{لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} [التوبة : ٣٣]، أي:" ليعليه على الأديان كلها"(٥٧٢٠).

وفي قوله تعالى:{لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} [التوبة : ٣٣]، وجهان من التفسير:

أحدهما : يعني: عند نزول عيسى عليه السلام فإنه لا يعبد الله تعالى إلاّ بالإسلام، فتصير الملُ كلُّها واحدةً, قاله أبو جعفر(٥٧٢١)، ومجاهد(٥٧٢٢).

عن مجاهد: "{ليظهره على الدين كله}، قال: لا يكون ذلك حتى لا يبقى يهودي ولا نصراني ولا صاحب ملة إلا الإسلام وحتى تأمن الشاة الذئب والبقرة الأسد، والإنسان الحية وحتى لا تقرض فأرة جرابا وحتى توضع الجزية ويكسر الصليب ويقتل الخنزير فهو قوله: ليظهره على الدين كله"(٥٧٢٣).

الثاني: أن الظهور الاستعلاء ، ودين الإسلام أعلى الأديان كلها وأكثرها أهلاً ، قد نصره الله بالبر والفاجر والمسلم والكافر. وهذا معنى الضحاك(٥٧٢٤).

قال الضحاك:" يظهر الإسلام على الدين كل دين"(٥٧٢٥)..

وروى النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : " إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم"(٥٧٢٦).

قوله تعالى:{وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة : ٣٣]، أي:" ولو كره المشركون دين الحق -الإسلام- وظهوره على الأديان"(٥٧٢٧).

(٥٧١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦٨):ص١٧٨٦/٦.

(٥٧١٧)التفسير الميسر:١٩٢.

(٥٧١٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦٩):ص١٧٨٦/٦.

(٥٧١٩) انظر: النكت والعيون:٣٥٥/٢.

(٥٧٢٠)التفسير الميسر:١٩٢.

(٥٧٢١) أخرجه الطبري(١٦٦٤٦):ص٢١٥/١٤.

(٥٧٢٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٠٧٢):ص١٧٨٦/٦.

(٥٧٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٢):ص١٧٨٦/٦.

(٥٧٢٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٧٨٦/٦ حكاه دون ذكر الإسناد.

(٥٧٢٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٧٨٦/٦ حكاه دون ذكر الإسناد.

(٥٧٢٦)عن أنس، وعن أبى بكرة وعن كعب بن مالك، حديث أنس: أخرجه النسائى فى الكبرى (٢٧٩/٥، رقم ٨٨٨٥) ، وابن حبان (٣٧٦/١٠، رقم ٤٥١٧) ، والطبرانى فى الأوسط (٢٦٨/٢ رقم ١٩٤٨) والضياء (٢٣١/٥ رقم ١٨٦٣) . وأخرجه أيضًا: البزار كما فى كشف الأستار (٢٨٦/٢، رقم ١٧٢٠) ، والطبرانى فى الصغير (٩٧/١، رقم ١٣٢) قال الهيثمى (٣٠٢/٥) : رواه البزار، والطبرانى فى الأوسط، وأحد أسانيد البزار ثقات.

حديث أبى بكرة: أخرجه أحمد (٤٥/٥، رقم ٢٠٤٧٢) والطبرانى كما فى مجمع الزوائد (٣٠٢/٥) قال الهيثمى: رجالهما ثقات.

وأخرجه أيضًا: ابن عدى (١٥٠/٢ ترجمة ٣٤٤ جعفر بن جسر بن فرقد القصاب) . قال المناوى (٢٧٩/٢) : قال الحافظ العراقى: إسناده جيد.

حديث كعب بن مالك: أخرجه أبو الشيخ فى طبقات المحدثين بأصبهان (١٤٤/٤، ترجمة ٥٨٨ أبى الحسن أحمد بن محمد بن زياد الهمذانى).

(٥٧٢٧)التفسير الميسر:١٩٢.

قال الضحاك:" يعني بها: كفار العرب، وأهل الكتاب من حارب منهم النبي- صلى الله عليه وسلم وكفر بآياته"(٥٧٢٨).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤)} [التوبة : ٣٤]

التفسير:

يا أيها الذين صَدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن كثيرًا من علماء أهل الكتاب وعُبَّادهم ليأخذون أموال الناس بغير حق كالرشوة وغيرها، ويمنعون الناس من الدخول في الإسلام، ويصدون عن سبيل الله. والذين يمسكون الأموال، ولا يؤدون زكاتها، ولا يُخْرِجون منها الحقوق الواجبة، فبشِّرهم بعذاب موجع.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ} [التوبة : ٣٤]، أي:" يا أيها الذين صَدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، إن كثيرًا من علماء أهل الكتاب وعُبَّادهم ليأخذون أموال الناس بغير حق كالرشوة وغيرها"(٥٧٢٩).

قال السدي:" أما «الأحبار»، فمن اليهود. وأما «الرهبان»، فمن النصارى"(٥٧٣٠).

عن الحسن:"{إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ} [التوبة : ٣٤]، قال:" أخذ الرشا في الحكم"(٥٧٣١).

عن سعيد بن جبير :"{بالباطل}، يعني: بالظلم"(٥٧٣٢).

قال الضحاك:" والباطل: كتب كتبوها- والله لم ينزلها الله، فأكلوا بها الناس فذلك قوله: {للذين يكتبون الكتاب بأيديهم}"(٥٧٣٣).

قوله تعالى:{وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} [التوبة : ٣٤]، أي:" ويمنعون الناس من الدخول في الإسلام"(٥٧٣٤).

قال السدي:" وأما {سبيل الله}، فمحمد صلى الله عليه وسلم"(٥٧٣٥).

قال ابن عون:" هم الذين يثبطون عن الجهاد في سبيل الله"(٥٧٣٦).

قوله تعالى:{وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [التوبة : ٣٤]، أي:" والذين يمسكون الأموال، ولا يؤدون زكاتها، ولا يُخْرِجون منها الحقوق الواجبة"(٥٧٣٧).

عن السدي: "أما {الذين يكنزون الذهب والفضة}، فهؤلاء أهل القبلة، و"الكنز"، ما لم تؤد زكاته وإن كان على ظهر الأرض، وإن قل. وإن كان كثيرا قد أديت زكاته، فليس بكنز"(٥٧٣٨).

قال عكرمة: "ما أديت زكاته فليس بكنز"(٥٧٣٩).

عن جابر قال: "قلت لعامر: مال على رف بين السماء والأرض لا تؤدى زكاته، أكنز هو؟ قال: يكوى به يوم القيامة"(٥٧٤٠).

عن سالم بن أبي الجعد، قال:" لما نزلت: {والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله}، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "تبًّا للذهب! تبًّا للفضة! يقولها ثلاثًا، قال: فشق ذلك على أصحاب رسول الله

(٥٧٢٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦٨):ص٦/١٧٨٥-١٧٨٦.
(٥٧٢٩)التفسير الميسر:١٩٢.
(٥٧٣٠) أخرجه الطبري(١٦٦٤٨):ص١٤/٢١٦.
(٥٧٣١) انظر: النكت والعيون:٢/٣٥٧.
(٥٧٣٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٦):ص٦/١٧٨٧.
(٥٧٣٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٧):ص٦/١٧٨٧.
(٥٧٣٤)التفسير الميسر:١٩٢.
(٥٧٣٥) أخرجه الطبري(١٦٦٤٨):ص١٤/٢١٦.
(٥٧٣٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٩):ص٦/١٧٨٧.
(٥٧٣٧)التفسير الميسر:١٩٢.
(٥٧٣٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٦٥٥):ص١٤/٢١٩.
(٥٧٣٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٦٥٤):ص١٤/٢١٨.
(٥٧٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٦٥٦):ص١٤/٢١٩.

صلى الله عليه وسلم، قالوا: فأيَّ مال نتخذ؟! فقال عمر: أنا أعلم لكم ذلك! فقال: يا رسول الله، إن أصحابك قد شق عليهم، وقالوا: فأيَّ المال نتخذ؟ فقال: لسانًا ذاكرًا، وقلبًا شاكرًا، وزوجةً تُعين أحدكم على دينه"[٥٧٤١].

عن زيد بن وهب قال: "مررت بالرَّبَذَة، فلقيت أبا ذَرّ، فقلت: يا أبا ذرّ، ما أنزلك هذه البلاد؟ قال: كنت بالشأم، فقرأت هذه الآية: {والذين يكنزون الذهب والفضة}، الآية، فقال معاوية: ليست هذه الآية فينَا، إنما هذه الآية في أهل الكتاب! قال: فقلت: إنها لفينا وفيهم! قال: فارتَفَع في ذلك بيني وبينه القولُ، فكتب إلى عثمان يشكُوني، فكتب إليَّ عثمان أنْ أقبل إليّ! قال: فأقبلت، فلما قدمت المدينة ركِبني الناسُ كأنهم لم يروني قبل يومئذ، فشكوت ذلك إلى عثمان، فقال لي: تَنَحَّ قريبًا. قلت: والله لن أدعَ ما كنت أقول!" [٥٧٤٢].

قال الزمخشري:" {والذين يكنزون} يجوز أن يكون إشارة إلى «الكثير من الأحبار والرهبان»، للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم: أخذ البراطيل. وكنز الأموال، والضن بها عن الإنفاق في سبيل الخير. ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنافقين، ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى، تغليظا ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت، ومن لا يعطى منكم طيب ماله: سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم"[٥٧٤٣].

قوله تعالى:{فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [التوبة : ٣٤]، أي:" فبشِّرهم بعذاب موجع"[٥٧٤٤].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٥٧٤٥]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٥٧٤٦].

روي :"أن عمر بن عبد العزيز وعراك ابن مالك[٥٧٤٧]، قالا في هذه الآية: {والذين يكنزون الذهب والفضة} نسختها الآية الأخرى {خذ من أموالهم صدقة}[٥٧٤٨]"[٥٧٤٩].

القرآن

{يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥)} [التوبة : ٣٥]

التفسير:

يوم القيامة توضع قطع الذهب والفضة في النار، فإذا اشتدت حرارتها أُحرقت بها جباه أصحابها وجنوبهم وظهورهم.

وقيل لهم توبيخًا: هذا مالكم الذي أمسكتموه ومنعتم منه حقوق الله، فذوقوا العذاب الموجع; بسبب كنزكم وإمساككم.

قوله تعالى:{يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ} [التوبة : ٣٥]، أي:" يوم القيامة توضع قطع الذهب والفضة في النار، فإذا اشتدت حرارتها أُحرقت بها جباه أصحابها وجنوبهم وظهورهم"[٥٧٥٠].

(٥٧٤١) أخرجه الطبري(١٦٦٦١):ص١٤/٢٢٠-٢٢١.

(٥٧٤٢) أخرجه الطبري(١٦٦٧١):ص١٤/٢٢٧.

(٥٧٤٣) الكشاف:٢/٢٦٦.

(٥٧٤٤)التفسير الميسر:١٩٢.

(٥٧٤٥) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٣/٨٢٣.

(٥٧٤٦) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٣/٨٢٣.

(٥٧٤٧)هو: عراك بن مالك الغفاري الكناني المدني ثقة فاضل من الثالثة، مات في خلافة يزيد ابن عبد الملك بعد المائة. انظر: التقريب (٣٣٧).

(٥٧٤٨)الآية (١٠٣) من سورة التوبة.

(٥٧٤٩) أخرجه ابن الجوزي في نواسخ القرآن:٢/٤٦٩، وذكر السيوطي في الدر المنثور٣/ ٢٣٢ - ٢٣٣، هذا القول وعزاه إلى ابن أبي حاتم وأبي الشيخ عن عراك بن مالك وعمر بن عبد العزيز، وذكره أيضا مكي بن أبي طالب عن عمر بن عبد العزيز، ثم قال: (ومن حمل قوله {ولا ينفقونها} على معنى: ولا ينفقون الواجب عليهم منها، قال: هي محكمة منصوصة في الزكاة). انظر: الإيضاح ص: ٢٧٢ - ٢٧٣.

قلت: ولم يتعرض لدعوى النسخ هنا الطبري ولا النحاس.

(٥٧٥٠)التفسير الميسر:١٩٢.

قال طاووس:" بلغني أن الكنوز تتحوَّل يوم القيامة شجاعًا يتبع صاحبه وهو يفرُّ منه ، ويقول : أنا كنزك ! لا يدرك منه شيئًا إلا أخذه"(٥٧٥١).

عن حميد بن هلال قال :" كان أبو ذر يقول : بشّر الكنّازين بكيّ في الجباه ، وكيّ في الجنوب ، وكيٍّ في الظهور ، حتى يلتقي الحرُّ في أجوافهم"(٥٧٥٢).

عن الأحنف بن قيس قال : "قدمت المدينة ، فبينا أنا في حَلْقَة فيها ملأ من قريش ، إذ جاء رجل أخشن الثياب ، أخشن الجسد ، أخشن الوجه ، فقام عليهم فقال : بشِّر الكنازين برضْفٍ يحمى عليه في نار جهنم ، فيوضع على حَلَمة ثدْي أحدهم حتى يخرج من نُغْضِ كتفه ، ويوضع على نُغْضِ كتفه ، حتى يخرج من حَلَمة ثدييه ، يتزلزل ، قال : فوضع القوم رءوسهم ، فما رأيت أحدًا منهم رجع إليه شيئًا. قال : وأدبر ، فاتبعته ، حتى جلس إلى ساريةٍ ، فقلت : ما رأيت هؤلاء إلا كرهوا ما قُلت ! فقال : إن هؤلاء لا يعقلون شيئًا"(٥٧٥٣).

القرآن

{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦)} [التوبة : ٣٦]

التفسير:

إنّ عدة الشهور في حكم الله وفيما كُتب في اللوح المحفوظ اثنا عشر شهرًا، يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حُرُم; حرَّم الله فيهنَّ القتال (هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب) ذلك هو الدين المستقيم، فلا تظلموا فيهن أنفسكم; لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها، لا أنَّ الظلم في غيرها جائز. وقاتلوا المشركين جميعًا كما يقاتلونكم جميعًا، واعلموا أن الله مع أهل التقوى بتأييده ونصره.

قوله تعالى:{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ} [التوبة : ٣٦]، أي:" إنّ عدة الشهور في حكم الله وفيما كُتب في اللوح المحفوظ اثنا عشر شهرًا، يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حُرُم; حرَّم الله فيهنَّ القتال (هي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب)"(٥٧٥٤).

عن مجاهد :"{إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله}، يعرف بها شأن النسيء ما نقص من السنة"(٥٧٥٥).

عن السدي: "{في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض}، أما {كتاب الله}: فالذي عنده"(٥٧٥٦).

قوله تعالى:{ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} [التوبة : ٣٦]، أي:" ذلك هو الدين المستقيم، فلا تظلموا فيهن أنفسكم; لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها، لا أنَّ الظلم في غيرها جائز"(٥٧٥٧).

عن زيد بن أسلم في قوله: "{الدين القيم}، قال: الحمد لله رب العالمين"(٥٧٥٨).

عن السدي:" {ذلك الدين القيم}، قال: المستقيم"(٥٧٥٩).

وفي قوله تعالى:{فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ} [التوبة : ٣٦]، وجهان:

أحدهما : فلا تظلموها بمعاصي الله في الأربعة الأشهر ، قاله قتادة(٥٧٦٠).

(٥٧٥١) أخرجه الطبري(١٦٦٨١):ص١٤/٢٣٣.

(٥٧٥٢) أخرجه الطبري(١٦٦٧٥):ص١٤/٢٣٠.

(٥٧٥٣) أخرجه الطبري(١٦٦٧٦):ص١٤/٢٣١.

(٥٧٥٤)التفسير الميسر:١٩٢.

(٥٧٥٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩٧):ص٦/١٧٩١.

(٥٧٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩٨):ص٦/١٧٩١.

(٥٧٥٧)التفسير الميسر:١٩٢.

(٥٧٥٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٠٣):ص٦/١٧٩٢.

(٥٧٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٠٤):ص٦/١٧٩٢، والطبري(١٦٦٩٣):ص١٤/٢٣٧.

(٥٧٦٠)انظر: تفسير الطبري(١٦٦٩٨):ص١٤/٢٣٨ -٢٣٩.

قال قتادة:" إن الظلم في الشهر الحرام أعظم خطيئة ووزرا من الظلم فيما سواه، وإن كان الظلم- على كل حال عظيما-، وكأن الله يعظم من أمره ما شاء"[٥٧٦١].

الثاني : فلا تظلموا أنفسكم في الأربعة الأشهر الحرم بإحلالها بعد تحريم الله تعالى لها ، قاله الحسن[٥٧٦٢]، وابن إسحاق[٥٧٦٣].

والراجح أن المعنى: فلا تظلموا في الأشهر الأربعة أنفسَكم ، باستحلال حرامها ، فإن الله عظمها وعظَّم حرمتها، وذلك أن العرب تقول فيما بين الثلاثة إلى العشرة ، إذا كَنَتْ عنه : " فعلنا ذلك لثلاث ليال خلون ، ولأربعة أيام بقين " وإذا أخبرت عما فوق العشرة إلى العشرين قالت : " فعلنا ذلك لثلاث عشرة خلت ، ولأربع عشرة مضت " فكان في قوله جل ثناؤه : (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) ، وإخراجِه كناية عدد الشهور التي نهى المؤمنين عن ظلم أنفسهم فيهن مخرج عدد الجمع القليل من الثلاثة إلى العشرة ، الدليلُ الواضح على أن " الهاء والنون " ، من ذكر الأشهر الأربعة ، دون الاثنى العشر. لأن ذلك لو كان كناية عن " الاثنى عشر شهرًا " ، لكان : فلا تظلموا فيها أنفُسكم"[٥٧٦٤].

قوله تعالى:{وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً} [التوبة : ٣٦]، أي:" وقاتلوا المشركين جميعًا كما يقاتلونكم جميعًا"[٥٧٦٥].

عن قتادة، قوله : "{وقاتلوا المشركين كافة}، يقول : جميعًا"[٥٧٦٦].

قال السدي:" أما {كافة} ، فجميع ، وأمركم مجتمع"[٥٧٦٧].

القرآن

{إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧)} [التوبة : ٣٧]

التفسير:

إن الذي كانت تفعله العرب في الجاهلية من تحريم أربعة أشهر من السنة عددًا لا تحديدًا بأسماء الأشهر التي حرَّمها الله، فيؤخرون بعضها أو يقدِّمونه ويجعلون مكانه من أشهر الحل ما أرادوا حسب حاجتهم للقتال، إن ذلك زيادة في الكفر، يضل الشيطان به الذين كفروا، يحلون الذي أخروا تحريمه من الأشهر الأربعة عامًا، ويحرمونه عاما; ليوافقوا عدد الشهور الأربعة، فيحلوا ما حرَّم الله منها. زَيَّن لهم الشيطان الأعمال السيئة. والله لا يوفق القوم الكافرين إلى الحق والصواب.

قوله تعالى:{إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ} [التوبة : ٣٧]، أي:" إنما تأخير حرمة شهر لشهر آخر زيادة في الكفر"[٥٧٦٨].

عن مجاهد : "{إنما النسيء زيادة في الكفر}، يقول : ازدادوا به كفرًا إلى كفرهم"[٥٧٦٩].

عن مجاهد : "{إنما النسيء زيادة في الكفر}، قال : حجوا في ذي الحجة عامين ، ثم حجوا في المحرم عامين ، ثم حجُّوا في صفر عامين ، فكانوا يحجون في كل سنة في كل شهر عامين ، حتى وافقت حجة أبي بكر الآخرَ من العامين في ذي القعدة ، قبل حجة النبي صلى الله عليه وسلم بسنة. ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم من قابلٍ في ذي الحجة ، فذلك حين يقول النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته:«إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض»"[٥٧٧٠].

(٥٧٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠١٠):ص١٧٩٣/٦.
(٥٧٦٢) انظر: تفسير الطبري(١٦٦٧٠٠)، و(١٦٧٠١):ص٢٣٩/١٤.
(٥٧٦٣) انظر: تفسير الطبري(١٦٦٩٩):ص٢٣٩/١٤.
(٥٧٦٤) تفسير الطبري:٢٣٩/١٤.
(٥٧٦٥)التفسير الميسر:١٩٢.
(٥٧٦٦) أخرجه الطبري(١٦٧٠٥):ص٢٤٢/١٤.
(٥٧٦٧) أخرجه الطبري(١٦٧٠٣):ص٢٤١/١٤-٢٤٢.
(٥٧٦٨) صفوة التفاسير:٤٩٧/١.
(٥٧٦٩) أخرجه الطبري(١٦٧١٧):ص٢٥٠/١٤.
(٥٧٧٠) أخرجه الطبري(١٦٧١٤):ص٢٤٨/١٤-٢٤٩.

قال مجاهد:" كانوا يسقطون المحرم ثم يقولون: صفران، لصفر وشهر ربيع الأول ثم يقولون: شهرا ربيع، لشهر ربيع الآخر ولجمادى الأول ثم يقولون لرمضان: شعبان ويقولون لشوال: رمضان ويقولون لذي القعدة: شوال ثم يقولون لذي الحجة: ذو القعدة ثم يقولون للمحرم: ذو الحجة، فيحجون في المحرم، ثم يأتنفون فيعدون على ذلك عدة مستقيمة على وجه ما ابتدوا، فيقولون: المحرم، فيحجون في المحرم ويحجون في كل شهر مرتين، ثم يسقطون شهرا آخر، ثم يعدون على العدة الأولى يقولون: صفر وشهر ربيع الأول على نحو عددهم في أول ما أسقطوا"(٥٧٧١).

قال السدي:" كان رجل من بني مالك بن كنانة يقال له: جنادة بن عوف يكنى أبا أمامة ينسئ الشهور، وكانت العرب يشتد عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر لا يغير بعضهم على بعض، فإذا أراد أن يغير على أحد قام يوم ممنى فخطب فقال: «إني قد أحللت المحرم» ، وحرمت صفر مكانه فيقاتل الناس في المحرم، فإذا كان صفر غمدوا السيوف ووضعوا الأسنة، ثم يقوم في قابل فيقول: «إني قد أحللت صفر» ، وحرمت المحرم"(٥٧٧٢).

قال قتادة:" فكان أول من نَسَأ النسيء : بنو مالك بن كنانة ، وكانوا ثلاثة : أبو ثمامة صفوان بني أمية أحد بني فقيم بن الحارث ، ثم أحد بني كنانة"(٥٧٧٣).

عن أبي وائل : "{إنما النسيء زيادة في الكفر}، الآية ، وكان رجل من بني كنانة يُسَمَّى " النسيء " ، فكان يجعل المحرَّم صفرًا ، ويستحل فيه الغنائم ، فنزلت هذه الآية"(٥٧٧٤).

قوله تعالى:{يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا} [التوبة : ٣٧]، أي:" يضل الشيطان به الذين كفروا"(٥٧٧٥).

قوله تعالى:{يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ} [التوبة : ٣٧]، أي:" يحلون الذي أخروا تحريمه من الأشهر الأربعة عامًا، ويحرمونه عاما; ليوافقوا عدد الشهور الأربعة، فيحلوا ما حرَّم الله منها"(٥٧٧٦).

عن السدي قوله: "{ليواطؤا عدة ما حرم الله}، فيواطئوا أربعة أشهر، {فيحلوا ما حرم الله}، فيحلوا المحرم"(٥٧٧٧).

قوله تعالى:{زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ} [التوبة : ٣٧]، أي:" زَيَّن لهم الشيطان الأعمال السيئة"(٥٧٧٨).

عن منصور قال: "سألت الحسن عن قوله: {زين لهم}، قال: زين لهم الشيطان"(٥٧٧٩).

القرآن

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨)} [التوبة : ٣٨]

التفسير:

يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه، ما بالكم إذا قيل لكم: اخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله لقتال أعدائكم تكاسلتم ولزمتم مساكنكم؟ هل آثرتم حظوظكم الدنيوية على نعيم الآخرة؟ فما تستمتعون به في الدنيا قليل زائل، أما نعيم الآخرة الذي أعده الله للمؤمنين المجاهدين فكثير دائم.

قوله تعالى:{ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ} [التوبة : ٣٨]، أي:" يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه ما بالكم إذا قيل لكم: اخرجوا إلى الجهاد في سبيل الله لقتال أعدائكم تكاسلتم ولزمتم مساكنكم؟"(٥٧٨٠).

(٥٧٧١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٢١):ص١٧٩٥/٦.
(٥٧٧٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٢٢):ص١٧٩٥/٦.
(٥٧٧٣) أخرجه الطبري(١٦٧١٢):ص٢٤٧/١٤.
(٥٧٧٤) أخرجه الطبري(١٦٧٠٩):ص٢٤٦/١٤.
(٥٧٧٥) التفسير الميسر:١٩٣.
(٥٧٧٦) التفسير الميسر:١٩٣.
(٥٧٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٢٤):ص١٧٩٥/٦.
(٥٧٧٨) التفسير الميسر:١٩٣.
(٥٧٧٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٢٥):ص١٧٩٦/٦.
(٥٧٨٠) التفسير الميسر:١٩٣.

عن السدي قوله: "{اثاقلتم إلى الأرض}، فيقول: حين قعدوا وأبوا الخروج"(٥٧٨١).
عن الضحاك:" {اثاقلتم إلى الأرض}، قال:" اطمأننتم إلى الدنيا" (٥٧٨٢).
عن مجاهد : "{ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض}، أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح ، وبعد الطائف، وبعد حنين. أمروا بالنَّفير في الصيف ، حين خُرفت النخل، وطابت الثمار ، واشتَهُوا الظلال ، وشقّ عليهم المخرج"(٥٧٨٣).
قوله تعالى:{أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ} [التوبة : ٣٨]، أي:" هل آثرتم حظوظكم الدنيوية على نعيم الآخرة؟"(٥٧٨٤).
عن شريح بن عبيد قال: "قال أبو ثعلبة: الله أحب إليكم أم الدنيا؟ قالوا: بل الله قال: فما بالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض فلم تخرجوا حتى يخرجكم الشرط من منازلكم؟ وإذا قيل لكم انصرفوا على بركة الله مأذونا لكم ضربتم أكبادها وأسهرتم عيونها، حتى تبلغوا أهليكم؟"(٥٧٨٥).
قوله تعالى:{فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ} [التوبة : ٣٨]، أي:" فما تستمتعون به في الدنيا قليل زائل، أما نعيم الآخرة الذي أعده الله للمؤمنين المجاهدين فكثير دائم"(٥٧٨٦).
عن الأعمش:" {فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل}، قال: كزاد الراعي"(٥٧٨٧).
عن قيس عن المستورد أخى بني فهر قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم» «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع»(٥٧٨٨).

القرآن
{إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٩)} [التوبة : ٣٩]
التفسير:
إن لا تنفروا أيها المؤمنون إلى قتال عدوكم ينزل الله عقوبته بكم، ويأت بقوم آخرين ينفرون إذا استُنْفروا، ويطيعون الله ورسوله، ولن تضروا الله شيئًا بتولّيكم عن الجهاد، فهو الغني عنكم وأنتم الفقراء إليه. وما يريده الله يكون لا محالة. والله على كل شيء قدير من نصر دينه ونبيه دونكم.
قوله تعالى:{إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [التوبة : ٣٩]، أي:" إن لا تنفروا أيها المؤمنون إلى قتال عدوكم ينزل الله عقوبته بكم"(٥٧٨٩).
عن قتادة: "{إلا تنفروا يعذبكم عذابًا أليمًا}، استنفر الله المؤمنين في لَهَبَان الحرِّ في غزوة تبوك قِبَل الشأم، على ما يعلم الله من الجَهْد"(٥٧٩٠).
قوله تعالى:{وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} [التوبة : ٣٩]، أي:" ، ويأت بقوم آخرين ينفرون إذا استُنْفروا، ويطيعون الله ورسوله"(٥٧٩١).
قال سعيد بن جبير:" هم أبناء فارس"(٥٧٩٢).
وقال أبو روق: "هم أهل اليمن"(٥٧٩٣).

(٥٧٨١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٢٧):ص١٧٩٦/٦.
(٥٧٨٢) انظر: النكت والعيون:٣٦٢/٢.
(٥٧٨٣) أخرجه الطبري(١٦٧١٩):ص٢٥٣/١٤.
(٥٧٨٤) التفسير الميسر:١٩٣.
(٥٧٨٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٢٨):ص١٧٩٦/٦.
(٥٧٨٦) التفسير الميسر:١٩٣.
(٥٧٨٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٣١):ص١٧٩٨/٦.
(٥٧٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٢٩):ص١٧٩٦/٦، والغمام احمد في المسند:٢٢٨/٤.
(٥٧٨٩) التفسير الميسر:١٩٣.
(٥٧٩٠) أخرجه الطبري(١٦٧٢٣):ص٢٥٥/١٤.
(٥٧٩١) التفسير الميسر:١٩٣.
(٥٧٩٢)حكاه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٤٧/٥، والبغوي في "التفسير": ٤/ ٤٨.
(٥٧٩٣)انظر: "تفسير الثعلبي" ٦/ ١٠٩ أ، والبغوي ٤/ ٤٨، والرازي ١٦/ ٦١. قال الشوكاني في "فتح القدير" ٢/ ٥٢٦: ولا وجه للتعيين بدون دليل أقول: إن مراد السلف التمثيل لا الحصر، والله أعلم.

قوله تعالى:{وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا} [التوبة : ٣٩]، أي:" ولن تضروا الله شيئًا بتولّيكم عن الجهاد، فهو الغني عنكم وأنتم الفقراء إليه"(٥٧٩٤).

قال الحسن:" لا تضروا الله لأنه غني عنكم، وعن كل شيء"(٥٧٩٥).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التوبة : ٣٩]، أي:" . والله على كل شيء قدير من نصر دينه ونبيه دونكم"(٥٧٩٦).

قال ابن إسحاق:" أي: إن الله على كل شيء ما أراد بعباده من نقمة أو عفو فهو قدير"(٥٧٩٧).

وفي حكم هذه الآية، قولان:

أحدهما: أنها منسوخة بقوله تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} [التوبة : ١٢٢]. وهذا قول عكرمة(٥٧٩٨) والحسن(٥٧٩٩)، وزيد بن أسلم (٥٨٠٠).

القول الثاني: أن الآيتين محكمتين. وهذا قول الطبري(٥٨٠١)، وأبي سليمان الدمشقي(٥٨٠٢).

قال ابن الجوزي:" لا تنافي بين الآيتين، وإنما حكم كل آية قائم في موضعها. فإن قلنا: إن قوله: {إلا تنفروا} أريد به غزوة تبوك فإنه كان قد فرض على الناس كافة النفير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولهذا عاتب المخلفين وجرت قصة الثلاثة الذين خلفوا(٥٨٠٣)، وإن قلنا: إن الذين استنفروا حي من العرب معروف كما ذكرنا في التفسير عن ابن عباس، فإنه قال: استنفر رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا من أحياء العرب فتثاقلوا عنه، وأمسك عنهم المطر فكان عذابهم(٥٨٠٤). فإن أولئك وجب عليهم النفير حين استنفروا... أبو يعلى عن بعض العلماء أنهم قالوا: ليس هاهنا نسخ، ومتى لم يقاوم أهل الثغور العدو ففرض على الناس النفير إليهم، ومتى استغنوا عن إعانة من ورائهم، عذر القاعدون عنهم"(٥٨٠٥).

القرآن

{إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)} [التوبة : ٤٠]

التفسير:

يا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لا تنفروا معه أيها المؤمنون إذا استَنْفَركم، وإن لا تنصروه; فقد أيده الله ونصره يوم أخرجه الكفار من قريش من بلده (مكة) ، وهو ثاني اثنين (هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه) وألجؤوهما إلى نقب في جبل ثور بـ «مكة» ، فمكثا فيه ثلاث ليال، إذ يقول لصاحبه (أبي بكر) لما رأى منه الخوف عليه: لا تحزن إن الله معنا بنصره وتأييده، فأنزل الله الطمأنينة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعانه بجنود لم يرها أحد من البشر وهم الملائكة، فأنجاه الله من عدوه وأذل الله أعداءه، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى. وكلمةُ الله هي العليا، وذلك بإعلاء شأن الإسلام. والله عزيز في ملكه، حكيم في تدبير شؤون عباده.

(٥٧٩٤) التفسير الميسر:١٩٣.

(٥٧٩٥) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٤٣٥/١٠، و"زاد المسير" ٣/ ٤٣٨، و"تفسير الرازي" ١٦/ ٦١، والماوردي ٢/ ٣٦٣.

(٥٧٩٦) التفسير الميسر:١٩٣.

(٥٧٩٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٢١٤):ص٥٩/١.

(٥٧٩٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٢٤):ص٢٥٥/١٤-٢٥٦.

(٥٧٩٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٢٤):ص٢٥٥/١٤-٢٥٦.

(٥٨٠٠) تفسير ابن أبي حاتم:١٧٩٨/٦.

(٥٨٠١) انظر: تفسير الطبري:٢٥٦/١٤.

(٥٨٠٢) انظر: نواسخ القرآن لابن الجوزي:٤٧٠/٢.

(٥٨٠٣)كما جاء في آية (١١٨) من السورة نفسها .

(٥٨٠٤)رواه أبو داود والبيهقي في سننهما وفي إسنادهما نجدة بن نفيع وهو مجهول كما قال الحافظ في التقريب (٣٥٦) وذكر السيوطي هذا الحديث في الدر المنثور ٣/ ٢٣٩، وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وأبي الشيخ والحاكم، وابن مردويه.

(٥٨٠٥) نواسخ القرآن:٤٧٠/٢-٤٧١.

قوله تعالى:{إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا} [التوبة : ٤٠]، أي:" يا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لا تنفروا معه أيها المؤمنون إذا استَنْفَركم، وإن لا تنصروه; فقد أيده الله ونصره يوم أخرجه الكفار من قريش من بلده (مكة)"(٥٨٠٦).

عن مجاهد : "{إلا تنصروه}، ذكر ما كان في أول شأنه حين بعثه. يقول الله : فأنا فاعلٌ ذلك به وناصره ، كما نصرته إذ ذاك وهو ثاني اثنين"(٥٨٠٧).

عن قتادة قوله : "{إلا تنصروه فقد نصره الله}، الآية ، قال : فكان صاحبَه أبو بكر ، وأما {الغار} ، فجبل بمكة يقال له : « ثَوْر »"(٥٨٠٨).

قوله تعالى:{ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} [التوبة : ٤٠]، أي:" وهو ثاني اثنين (هو وأبو بكر الصديق رضي الله عنه)، حين كان هو والصديق مختبئين في النقب في جبل ثور"(٥٨٠٩).

عن مجاهد قال : "مكث أبو بكر مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغار ثلاثًا"(٥٨١٠).

عن الزهري : "{إذ هما في الغار}، قال : في الجبل الذي يسمَّى ثورًا ، مكث فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ثلاث ليالٍ"(٥٨١١).

قوله تعالى:{إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة : ٤٠]، أي:" حين يقول لصاحبه وهو أبو بكر الصديق تطميناً وتطييباً: لا تخف فالله معنا بالمعونة والنصر"(٥٨١٢).

قوله تعالى:{فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ} [التوبة : ٤٠]، أي:" فأنزل الله الطمأنينة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم"(٥٨١٣).

عن حبيب ابن أبي ثابت في قوله: "{فأنزل الله سكينته عليه}، قال: نزلت على أبي بكر، فأما النبي- صلى الله عليه وسلم- فكانت سكينته عليه قبل ذلك"(٥٨١٤).

وروي عن قتادة في قوله: "{فأنزل الله سكينته عليه}، أي: على رسوله وعلى المؤمنين"(٥٨١٥).

وفي «السكينة،» أقوال:

أحدها : أنها الرحمة ، وهو الربيع ابن أنس(٥٨١٦).

والثاني : أنها الطمأنينة ، قاله الضحاك(٥٨١٧).

والثالث : أنها الوقار ، وهو قول قتادة(٥٨١٨).

والرابع : أنها شيء يسكن الله به قلوبهم ، قاله الحسن(٥٨١٩)، وعطاء(٥٨٢٠).

والراجح-والله أعلم- هو تفسير (السكينة) بطمأنينة القلب وسكينته.

قوله تعالى:{وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا} [التوبة : ٤٠]، أي:" وأعانه بجنود لم يرها أحد من البشر وهم الملائكة"(٥٨٢١).

قال السدي: "هم الملائكة(٥٨٢٢).

(٥٨٠٦) التفسير الميسر:١٩٣.
(٥٨٠٧) أخرجه الطبري(١٦٧٢٥):ص٢٥٨/١٤.
(٥٨٠٨) أخرجه الطبري(١٦٧٢٧):ص٢٥٨/١٤-٢٥٩.
(٥٨٠٩) انظر: التفسير الميسر:١٩٣، وصفوة التفاسير:٤٩٨/١.
(٥٨١٠) أخرجه الطبري(١٦٧٣٠):ص٢٦٠/١٤.
(٥٨١١) أخرجه الطبري(١٦٧٣١):ص٢٦٠/١٤.
(٥٨١٢) صفوة التفسير:٤٩٨/١.
(٥٨١٣) التفسير الميسر:١٩٣.
(٥٨١٤)أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٦):ص١٨٠١/٦ .
(٥٨١٥)أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٤٨):ص١٨٠١/٦ .
(٥٨١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:٤٧٠/٢. وأخرجه الطبري في تفسيره(٥٦٨٣):ص٣٢٩/٥.
(٥٨١٧) انظر: النكت والعيون:٣٦٤/٢.
(٥٨١٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٢٤٨٢):ص٤٧٠/٢. وتفسير الطبري(٥٦٨٤):ص:٣٢٩/٥.
(٥٨١٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٢٤٨٠):ص٤٦٩/٢.
(٥٨٢٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم (٢٤٨٠):ص٤٦٩/٢. وتفسير الطبري(٥٦٨٢):٣٢٩/٥.
(٥٨٢١) التفسير الميسر:١٩٣.
(٥٨٢٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٠٠٥١):ص١٨٠١/٦.

قال إسماعيل بن أبي خالد:" أعانه جبريل"[٥٨٢٣]. وروي عن الربيع بن أنس: نحو ذلك[٥٨٢٤].

قوله تعالى:{وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا} [التوبة : ٤٠]، أي:" وجعل كلمة الذين كفروا السفلى. وكلمةُ الله هي العليا، وذلك بإعلاء شأن الإسلام"[٥٨٢٥].

عن ابن كيسان، قال: "{كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا}: ما قدروا بينهم في الكيد به ليقتلوه فلم ينالوا أملهم، {وَكَلِمَةُ اللَّهِ}: وعد الله أنه ناصره هو الحق"[٥٨٢٦].

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [التوبة : ٤٠]، أي:" والله عزيز في ملكه، حكيم في تدبير شؤون عباده"[٥٨٢٧].

قال أبو العالية:" عزيز في نقمته إذا انتقم، حكيم في أمره"[٥٨٢٨]. وروي عن قتادة والربيع نحو ذلك[٥٨٢٩].

القرآن

{انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١)} [التوبة : ٤١]

التفسير:

اخرجوا -أيها المؤمنون- للجهاد في سبيل الله شبابًا وشيوخًا في العسر واليسر، على أي حال كنتم، وأنفقوا أموالكم في سبيل الله، وقاتلوا بأيديكم لإعلاء كلمة الله، ذلك الخروج والبذل خير لكم في حالكم ومآلكم من التثاقل والإمساك والتخلف، إن كنتم من أهل العلم بفضل الجهاد والثواب عند الله فافعلوا ما أُمرتم به، واستجيبوا لله ورسوله.

سبب النزول:

عن مجاهد قوله: "{يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض}، الآية، قال: هذا حين أمروا بغزوة تبوك بعد الفتح وحنين وبعد الطائف. أمرهم بالنَّفير في الصيف، حين اخترفت النخل، وطابت الثمار، واشتهوا الظلال، وشقَّ عليهم المخرج. قال: فقالوا: الثقيل، ذو الحاجة، والضَّيْعة، والشغل، والمنتشرُ به أمره في ذلك كله. فأنزل الله: {انفروا خفافا وثقالا}، [التوبة: ٤١]"[٥٨٣٠].

وروي المعتمر، عن أبيه قال:" زعم حضرميّ أنه ذُكر له أن ناسًا كانوا عسى أن يكون أحدهم عليلا أو كبيرًا، فيقول: إن أجتنبْه إباءً، فإني آثم! فأنزل الله: {انفروا خفافًا وثقالا}"[٥٨٣١].

وقال السدي: "جاء المقداد بن الأسود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان عظيما سمينا، فشكا إليه وسأله أن يأذن له، فنزلت فيه: {انفروا خفافا وثقالا}"[٥٨٣٢].

قوله تعالى:{انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} [التوبة : ٤١]، أي:" اخرجوا -أيها المؤمنون- للجهاد في سبيل الله شبابًا وشيوخًا في العسر واليسر، على أي حال كنتم"[٥٨٣٣].

عن مسلم بن صبيح قال : "أول ما نزل من «براءة»: {انفروا خفافًا وثقالا}"[٥٨٣٤].

عن مجاهد قال : "إن أول ما نزل من «براءة» :{لقد نصركم الله في مواطن كثيرة}، قال : يعرِّفهم نصره ، ويوطِّنهم لغزوة تَبُوك"[٥٨٣٥].

(٥٨٢٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٠):ص١٨٠١/٦.

(٥٨٢٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم:١٨٠١/٦. حكاه دون ذر الإسناد.

(٥٨٢٥) صفوة التفسير:٤٩٨/١.

(٥٨٢٦) حكاه عنه الواحدي في "البسيط": ٤٤٤/١٠.

(٥٨٢٧) صفوة التفسير:٤٩٨/١.

(٥٨٢٨) أخجره ابن أبي حاتم(١٠٠٥٣):ص١٨٠٢/٦.

(٥٨٢٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ١٨٠٢/٦.

(٥٨٣٠) أخرجه الطبري(١٦٧٢٠):ص٢٥٣/١٤.

(٥٨٣١) أخرجه الطبري(١٦٧٥٣):ص٢٦٦/١٤-٢٦٧.

(٥٨٣٢)مرسل، حكاه الواحدي عنه في أسباب النزول:٢٤٧، وعزاه في الدر (٣/ ٢٤٦) لابن حاتم وأبي الشيخ.

(٥٨٣٣) التفسير الميسر:١٩٤.

(٥٨٣٤) اخرجه الطبري(١٦٧٥٧):ص٢٦٩/١٤.

(٥٨٣٥) اخرجه الطبري(١٦٧٥٩):ص٢٧٠/١٤.

واختلف في تفسير قوله تعالى:{انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا} [التوبة : ٤١]، على وجوه:
أحدها : يعني شباباً وشيوخاً ، قاله الحسن[٥٨٣٦]، وأبو صالح[٥٨٣٧]، وعكرمة[٥٨٣٨]، ومجاهد[٥٨٣٩]، والضحاك[٥٨٤٠]، وبشر بن عطية[٥٨٤١].

عن المغيرة بن النعمان قال: "كان رجل من النَّخع، وكان شيخًا بادنًا، فأراد الغزوَ، فمنعه سعد بن أبي وقاص فقال: إن الله يقول: {انفروا خفافًا وثقالا}، فأذن له سعد، فقتل الشيخ، فسأل عنه بعدُ عُمَرُ، فقال: ما فعل الشيخ الذي كأنّه من بني هاشم؟ فقالوا: قتل يا أمير المؤمنين!"[٥٨٤٢].

عن حبان بن زيد الشرعبيّ قال: نفرنا مع صَفْوان بن عمرو، وكان واليًا على حمص قِبَلَ الأفْسوس، إلى الجَرَاجمة، فلقيت شيخًا كبيرًا هِمًّا، قد سقط حاجباه على عينيه، من أهل دمشق، على راحلته، فيمن أغار. فأقبلت عليه فقلت: يا عمِّ، لقد أعذر الله إليك! قال: فرفع حاجبيه، فقال: يا ابن أخي استنفرنا الله خفافًا وثقالا من يحبَّه الله يبتَليه، ثم يعيده فيبْتليه، إنما يبتلي الله من عباده من شكر وصبر وذكر ولم يعبد إلا الله"[٥٨٤٣].

الثاني : أغنياء وفقراء، قاله أبو صالح[٥٨٤٤].

وروي عن الحسن:"{ انفروا خفافا وثقالا}، في العسر واليسر"[٥٨٤٥].

الثالث : مشاغيل وغير مشاغيل ، قاله الحكم[٥٨٤٦].

الرابع : نشاطاً وغير نشاط ، قاله قتادة[٥٨٤٧].

الخامس : ركباناً ومشاة ، قاله أبو عمرو الأوزاعي[٥٨٤٨].

السادس : ذا عيال وغير ذي عيال ، قاله زيد بن أسلم[٥٨٤٩].

السابع : أصحاء وغير أصحاء ومرضى ، قاله جويبر[٥٨٥٠].

عن راشد بن سعد، "عمن رأى المقداد بن الأسود فارسَ رسول الله صلى الله عليه وسلم على تابوتٍ من توابيت الصَّيارفة بحمص، وقد فَضَل عنها من عِظَمِه، فقلت له: لقد أعذر الله إليك! فقال: أبتْ علينا «سورة البعوث»[٥٨٥١]، {انفروا خفافًا وثقالا}"[٥٨٥٢].

وأولى الأقوال بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنَّفر لجهاد أعدائه في سبيله، خفافًا وثقالا. وقد يدخل في "الخفاف" كل من كان سهلا عليه النفر لقوة بدنه على ذلك، وصحة جسمه وشبابه، ومن كان ذا يُسْرٍ بمالٍ وفراغ من الاشتغال، وقادرًا على الظهر والركاب، ويدخل في "الثقال"، كل من كان بخلاف ذلك، من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه، ومن مُعسِرٍ من المال، ومشتغل بضيعة ومعاش، ومن كان لا ظهرَ له ولا ركاب، والشيخ وذو السِّن والعِيَال. فإذ كان قد يدخل في "الخفاف" و"الثقال" من وصفنا من أهل الصفات التي ذكرنا، ولم يكن الله جل ثناؤه خصَّ من ذلك صنفًا دون صنف في الكتاب، ولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا نَصَب على خصوصه دليلا وجب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين

(٥٨٣٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٣٤):ص٢٦٢/١٤.
(٥٨٣٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٣٨):ص٣٦٣/١٤.
(٥٨٣٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٣٩):ص٣٦٣/١٤.
(٥٨٣٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٤٣):ص٣٦٤/١٤.
(٥٨٤٠) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٤٠):ص٣٦٣/١٤.
(٥٨٤١) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٤١):ص٣٦٣/١٤.
(٥٨٤٢) أخرجه الطبري(١٦٧٣٧):ص٢٥٣/١٤.
(٥٨٤٣) اخرجه الطبري(١٦٧٤٥):ص٣٦٤/١٤-٣٦٥.
(٥٨٤٤) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٤٨):ص٣٦٦/١٤.
(٥٨٤٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦٠):ص١٨٠٣/٦.
(٥٨٤٦) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٤٧):ص٣٦٥/١٤.
(٥٨٤٧) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٥٠):ص٣٦٦/١٤.
(٥٨٤٨) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٥١):ص٣٦٦/١٤.
(٥٨٤٩) انظر: تفسير الطبري(١٦٧٥٢):ص٣٦٦/١٤.
(٥٨٥٠) انظر: النكت والعيون:٣٦٥/٢.
(٥٨٥١) وفي رواية(١٦٧٥٦):ص٢٦٨/١٤." أبَتْ علينا سورة البُحُوث"
(٥٨٥٢) اخرجه الطبري(١٦٧٥٥):ص٢٦٧/١٤.

من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد في سبيله خفافًا وثقالا مع رسوله صلى الله عليه وسلم، على كل حال من أحوال الخفّة والثقل"[٥٨٥٣].

قوله تعالى:{وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [التوبة : ٤١]، أي:" وأنفقوا أموالكم في سبيل الله، وقاتلوا بأيديكم لإعلاء كلمة"[٥٨٥٤].

قوله تعالى:{ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [التوبة : ٤١]، أي:" ذلك الخروج والبذل خير لكم في حالكم ومآلكم من التثاقل والإمساك والتخلف، إن كنتم من أهل العلم بفضل الجهاد والثواب عند الله فافعلوا ما أمرتم به، واستجيبوا لله ورسوله"[٥٨٥٥].

عن أبي مالك:" {ذلكم}، يعني: هذا"[٥٨٥٦].

روي عن عكرمة والحسن البصري قالا:" قال: {إلا تنفروا يعذبكم عذابًا أليمًا}، وقال: {مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ} ، إلى قوله: {لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، فنسختها الآية التي تلتها: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} ، إلى قوله: {لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [سورة التوبة: ١٢٠ - ١٢٢]"[٥٨٥٧].

القرآن

{لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)} [التوبة : ٤٢]

التفسير:

وبَّخ الله جلَّ جلاله جماعة من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في التخلف عن غزوة (تبوك) مبينًا أنه لو كان خروجهم إلى غنيمة قريبة سهلة المنال لاتبعوك، ولكن لما دعوا إلى قتال الروم في أطراف بلاد (الشام) في وقت الحر تخاذلوا، وتخلفوا، وسيعتذرون لتخلفهم عن الخروج حالفين بأنهم لا يستطيعون ذلك، يهلكون أنفسهم بالكذب والنفاق، والله يعلم إنهم لكاذبون فيما يبدون لك من الأعذار.

قوله تعالى:{لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا} [التوبة : ٤٢]، أي:" لو كان ما دعوا إليه غُنماً قريباص سهل المنال"[٥٨٥٨].

قال السدي:" دنيا يطلبونها"[٥٨٥٩].

قوله تعالى:{وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ} [التوبة : ٤٢]، أي:" وسفراً وسطاً ليس ببعيد، لخرجوا معك لا لوجه الله بل طمعاً في الغنيمة"[٥٨٦٠].

قال السدي:" سفرا قريبا لاتبعوك"[٥٨٦١].

عن قتادة:" {لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك}، قال: في غزوة تبوك"[٥٨٦٢].

قوله تعالى:{وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ} [التوبة : ٤٢]، أي:" ولكن بعدت عليهم الطريق والمسافة الشاقة ولذلك اعتذروا عن الخروج لما في قلوبهم من النفاق"[٥٨٦٣].

عن الضحاك:"{بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ}: المسافة"[٥٨٦٤].

(٥٨٥٣) تفسير الطبري:٣٦٩/١٤.
(٥٨٥٤) التفسير الميسر:١٩٤.
(٥٨٥٥) التفسير الميسر:١٩٤.
(٥٨٥٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦٥):ص١٨٠٤/٦.
(٥٨٥٧) أخرجه الطبري(١٦٧٢٤):ص٢٥٥/١٤-٢٥٦.
(٥٨٥٨) صفوة التفاسير:٤٩٩/١.
(٥٨٥٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦٧):ص١٨٠٤/٦.
(٥٨٦٠) صفوة التفاسير:٤٩٩/١.
(٥٨٦١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦٨):ص١٨٠٤/٦.
(٥٨٦٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٦٩):ص١٨٠٤/٦.
(٥٨٦٣) صفوة التفاسير:٤٩٩/١.
(٥٨٦٤) ذكره عنه الواحدي في "البسيط": ٤٥١/١٠-٤٥٢، وقد رواه ابن أبي حاتم في "تفسيره"(١٠٠٧٠):ص ٦/ ١٨٠٤ عن الضحاك عن ابن عباس بلفظ: "المسير".

قوله تعالى:{وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ} [التوبة : ٤٢]، أي:" وسيحلفون لكم معتذرين بأعذار كاذبة لو قدرنا على الخروج معكم لما تأخرنا، ولو كان لنا سعة في المال أو قوة في الأبدان لخرجنا للجهاد معكم، يوقعون أنفسهم في الهلاك بأيمانهم الكاذبة"(٥٨٦٥).

عن الضحاك:" {وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ}: لحلفهم بالله وهم كاذبون"(٥٨٦٦).

عن قتادة قوله : "{لو كان عرضًا قريبًا}، إلى قوله{لكاذبون}، إنهم يستطيعون الخروج ، ولكن كان تَبْطِئَةً من عند أنفسهم والشيطان ، وزَهَادة في الخير"(٥٨٦٧).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ} [التوبة : ٤٢]، أي:" ، والله يعلم إنهم لكاذبون فيما يبدون لك من الأعذار"(٥٨٦٨).

عن ابن إسحاق : "{والله يعلم إنهم لكاذبون}، أي : إنهم يستطيعون"(٥٨٦٩).

القرآن

{عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣)} [التوبة : ٤٣]

التفسير:

عفا الله عنك -أيها النبي- عمَّا وقع منك مِن تَرْك الأولى والأكمل، وهو إذنك للمنافقين في القعود عن الجهاد، لأي سبب أذِنْتَ لهؤلاء بالتخلف عن الغزوة، حتى يظهر لك الذين صدقوا في اعتذارهم وتعلم الكاذبين منهم في ذلك؟

سبب النزول:

عن عمرو بن ميمون الأودي قال : "اثنتان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يؤمر فيهما بشيء : إذنه للمنافقين ، وأخذه من الأسارى ، فأنزل الله : {عفا الله عنك لم أذنت لهم}، الآية"(٥٨٧٠).

قوله تعالى:{عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ} [التوبة : ٤٣]، أي:" عفا الله عنك -أيها النبي- عمَّا وقع منك مِن تَرْك الأولى والأكمل، وهو إذنك للمنافقين في القعود عن الجهاد، لأي سبب أذِنْتَ لهؤلاء بالتخلف عن الغزوة"(٥٨٧١).

عن مجاهد : "{عفا الله عنك لم أذنت لهم}، قال : ناسٌ قالوا : استأذِنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن أذن لكم فاقعدوا وإن لم يأذن لكم فاقعدوا"(٥٨٧٢).

عن قتادة قوله : "{عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا}، الآية ، عاتبه كما تسمعون ، ثم أنزل الله التي في « سورة النور»، فرخص له في أن يأذن لهم إن شاء ، فقال : {فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ} [سورة النور : ٦٢] ، فجعله الله رخصةً في ذلك من ذلك"(٥٨٧٣).

عن موسى بن سَرْوان، قال : "سألت مورِّقًا عن قوله : {عفا الله عنك}، قال : عاتبه ربه"(٥٨٧٤).

عن مِسْعَر عن عون قال : "هل سمعتم بمعاتبة أحسن من هذا ؟ بدأ بالعفو قبل المعاتبة، فقال: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ }"(٥٨٧٥).

قوله تعالى:{حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ} [التوبة : ٤٣]، أي:" حتى يظهر لك الذين صدقوا في اعتذارهم وتعلم الكاذبين منهم في ذلك"(٥٨٧٦).

(٥٨٦٥) صفوة التفاسير:٤٩٩/١.
(٥٨٦٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧١):ص١٨٠٥/٦.
(٥٨٦٧) أخرجه الطبري(١٦٧٦٠):ص٢٧٢/١٤.
(٥٨٦٨)التفسير الميسر:١٩٤.
(٥٨٦٩) أخرجه الطبري(١٦٧٦١):ص٢٧٢/١٤.
(٥٨٧٠) أخرجه الطبري(١٦٧٦٥):ص٢٧٣/١٤.
(٥٨٧١) التفسير الميسر:١٩٤.
(٥٨٧٢) أخرجه الطبري(١٦٧٦٣):ص٢٧٣/١٤.
(٥٨٧٣) أخرجه الطبري(١٦٧٦٤):ص٢٧٣/١٤.
(٥٨٧٤) أخرجه الطبري(١٦٧٦٧):ص٢٧٤/١٤.
(٥٨٧٥) أخرجه ابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير:١٥٩/٤.
(٥٨٧٦) التفسير الميسر:١٩٤.

قال السدي:" استأذنه يومئذ ناس فأذن لهم، فقال الله: {حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا} معرفة الذين صدقوا بالخروج، { وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ}، قال: معرفة الذين كذبوا بالقعود"(٥٨٧٧).

قال مجاهد:" وذلك أنه قال ناس: " استأذنوا الرسول، فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فانفروا. قال مجاهد في قوله: {عفا الله عنك لم أذنت لهم} [التوبة: ٤٣] إلى قوله {ما على المحسنين من سبيل} [التوبة: ٩١]، «ما بينهما في المنافقين»(٥٨٧٨).

القرآن

{لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤)} [التوبة : ٤٤]

التفسير:

ليس من شأن المؤمنين بالله ورسوله واليوم الآخر أن يستأذنوك -أيها النبي- في التخلف عن الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، وإنما هذا من شأن المنافقين. والله عليم بمن خافه فاتقاه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه.

قوله تعالى:{لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} [التوبة : ٤٤]، أي:" ليس من شأن المؤمنين بالله ورسوله واليوم الآخر أن يستأذنوك -أيها النبي- في التخلف عن الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال، وإنما هذا من شأن المنافقين"(٥٨٧٩).

عن عطاء، قال: "{لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر}، الآيتين إلى قوله: {يترددون}، فنسخت في سورة النور: {إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله}، إلى {إن الله غفور رحيم}، فجعل رسول الله- صلى الله عليه وسلم- بأعلى النظرين من غزا في فضيلة من قعد قعد في غير حرج"(٥٨٨٠).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ} [التوبة : ٤٤]، أي:" والله عليم بمن خافه فاتقاه بأداء فرائضه واجتناب نواهيه"(٥٨٨١).

قال محمد بن إسحاق: "{عليم}، أي: عليم بما يخفون"(٥٨٨٢).

القرآن

{إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ (٤٥)} [التوبة : ٤٥]

التفسير:

إنما يطلب الإذن للتخلف عن الجهاد الذين لا يصدِّقون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يعملون صالحًا، وشكَّتْ قلوبهم في صحة ما جئت به -أيها النبي- من الإسلام وشرائعه، فهم في شكهم يتحيَّرون.

قوله تعالى:{إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ} [التوبة : ٤٥]، أي:" إنما يطلب الإذن للتخلف عن الجهاد الذين لا يصدِّقون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يعملون صالحًا، وشكَّتْ قلوبهم في صحة ما جئت به -أيها النبي- من الإسلام وشرائعه"(٥٨٨٣).

عن السدي:{وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ}، قال: " شكت قلوبهم"(٥٨٨٤).

قوله تعالى:{فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ} [التوبة : ٤٥]، أي:" ، فهم في شكهم يتحيَّرون"(٥٨٨٥).

(٥٨٧٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٧٨)، (١٠٠٧٩):ص١٨٠٦/٦.
(٥٨٧٨) تفسير مجاهد: ٤٦٩.
(٥٨٧٩) التفسير الميسر:١٩٤.
(٥٨٨٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨١):ص١٨٠٦/٦.
(٥٨٨١) التفسير الميسر:١٩٤.
(٥٨٨٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٢):ص١٨٠٦/٦.
(٥٨٨٣) التفسير الميسر:١٩٤.
(٥٨٨٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٤):ص١٨٠٦/٦.
(٥٨٨٥) التفسير الميسر:١٩٤.

عن عكرمة والحسن البصري قالا قوله : (لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله) ، إلى قوله : {فهم في ريبهم يترددون}، نسختهما الآية التي في «النور» :{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ}، إلى : {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، [سورة النور : ٦٢]"(٥٨٨٦).

القرآن

{وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦)} [التوبة : ٤٦]

التفسير:

ولو أراد المنافقون الخروج معك -أيها النبي- إلى الجهاد لتأهَّبوا له بالزاد والراحلة، ولكن الله كره خروجهم فثَقُلَ عليهم الخروج قضاء وقدرًا، وإن كان أمرهم به شرعا، وقيل لهم: تخلفوا مع القاعدين من المرضى والضعفاء والنساء والصبيان.

قوله تعالى:{وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً} [التوبة : ٤٦]، أي:" ولو أراد المنافقون الخروج معك -أيها النبي- إلى الجهاد لتأهَّبوا له بالزاد والراحلة"(٥٨٨٧).

قال السدي:" فأما العدة: فالقوة"(٥٨٨٨).

قوله تعالى:{وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ} [التوبة : ٤٦]، أي:" ولكن الله كره خروجهم فثَقُلَ عليهم الخروج قضاء وقدرًا، وإن كان أمرهم به شرعا"(٥٨٨٩).

عن الضحاك:" {انْبِعَاثَهُمْ}: قال: خروجهم، {فَثَبَّطَهُمْ}: حبسهم"(٥٨٩٠).

وروي عن السدي: "{فَثَبَّطَهُمْ}: حبسهم"(٥٨٩١).

قوله تعالى:{وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} [التوبة : ٤٦]، أي:" وقيل لهم: تخلفوا مع القاعدين من المرضى والضعفاء والنساء والصبيان"(٥٨٩٢).

عن ابن إسحاق قال : "كان الذين استأذنوه فيما بلغني ، من ذوي الشرف ، منهم : عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، والجدّ بن قيس ، وكانوا أشرافًا في قومهم ، فثبطهم الله ، لعلمه بهم ، أن يخرجوا معهم ، فيفسدوا عليه جنده"(٥٨٩٣).

القرآن

{لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧)} [التوبة : ٤٧]

التفسير:

لو خرج المنافقون معكم -أيها المؤمنون- للجهاد لنشروا الاضطراب في الصفوف والشر والفساد، ولأسرعوا السير بينكم بالنميمة والبغضاء، يبغون فتنتكم بتثبيطكم عن الجهاد في سبيل الله، وفيكم -أيها المؤمنون- عيون لهم يسمعون أخباركم، وينقلونها إليهم. والله عليم بهؤلاء المنافقين الظالمين، وسيجازيهم على ذلك.

قوله تعالى:{لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا} [التوبة : ٤٧]، أي:" لو خرج المنافقون معكم -أيها المؤمنون- للجهاد لنشروا الاضطراب في الصفوف والشر والفساد"(٥٨٩٤).

عن مرة الهمداني: {إِلَّا خَبَالًا}: إلا غشًّا"(٥٨٩٥).

(٥٨٨٦) أخرجه الطبري(١٦٧٦٩):ص٢٧٦/١٤.
(٥٨٨٧) التفسير الميسر:١٩٤.
(٥٨٨٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٥):ص١٨٠٦/٦.
(٥٨٨٩) التفسير الميسر:١٩٤.
(٥٨٩٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٨٦)، (١٠٠٨٧):ص١٨٠٦/٦.
(٥٨٩١) تفسير ابن أبي حاتم:ص١٨٠٦/٦.
(٥٨٩٢) التفسير الميسر:١٩٤.
(٥٨٩٣) أخرجه الطبري(١٦٧٧٠):ص٢٧٧/١٤.
(٥٨٩٤) التفسير الميسر:١٩٤.
(٥٨٩٥) ذكره عنه الواحدي في "التفسير البسيط": ٤٦٥/١٠.

قال يمان بن رئاب: "إلا مكرًا""[٥٨٩٦].
قال الضحاك: "إلا غدرًا"[٥٨٩٧].
قوله تعالى:{وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ} [التوبة : ٤٧]، أي:" ولأسرعوا السير بينكم بالنميمة والبغضاء"[٥٨٩٨].
قال مجاهد: "لأسرعوا الأزقة"[٥٨٩٩].
وعن مجاهد أيضا: "{ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة}، يبطئونكم قال : رفاعة بن التابوت ، وعبد الله بن أبيّ ابن سلول ، وأوس بن قيظيّ"[٥٩٠٠].
عن السدي قوله: "{لأوضعوا خلالكم}، يقول: أوضعوا رحالهم، حتى يدخلوا بينكم"[٥٩٠١].
عن قتادة : "{ولأوضعوا خلالكم} ، قال : لأسرعوا خلالكم، يبغونكم الفتنة بذلك"[٥٩٠٢].
وعن قتادة أيضا: قوله: "{خلالكم}، يقول: بينكم"[٥٩٠٣].
قوله تعالى:{يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ} [التوبة : ٤٧]، أي:" يبغون فتنتكم بتثبيطكم عن الجهاد في سبيل الله"[٥٩٠٤].
عن مجاهد:"{يبغونكم الفتنة}، يبغونكم: عبد الله بن نبتل وعبد الله بن أبي بن سلول ورفاعة بن تابوت وأوس بن قيظي"[٥٩٠٥].
عن السدي {يبغونكم الفتنة}، يقول: الكفر"[٥٩٠٦].
قوله تعالى:{وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ} [التوبة : ٤٧]، أي:" وفيكم -أيها المؤمنون- عيون لهم يسمعون أخباركم، وينقلونها إليهم"[٥٩٠٧].
عن مجاهد قوله: "{وفيكم سماعون لهم}: محدثين بأحاديثهم، عيونا غير منافقين"[٥٩٠٨].
وعن مجاهد –أيضا-: قوله: "{وفيكم سماعون لهم}، قال: عيون للمنافقين، عبد الله بن أبي بن سلول، ورفاعة ابن تابوت وأوس بن قيظي ليسوا بمنافقين، هم عيون للمنافقين"[٥٩٠٩].
قوله تعالى:{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [التوبة : ٤٧]، أي:" والله عليم بهؤلاء المنافقين الظالمين، وسيجازيهم على ذلك"[٥٩١٠].
عن قتادة قوله: {والله عليم}، قال: عالم"[٥٩١١].

القرآن
{لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨)} [التوبة : ٤٨]
التفسير:

(٥٨٩٦) ذكره عنه الواحدي في "التفسير البسيط": ٤٦٥/١٠، والرازي في "تفسيره" ١٦/ ٨٠.
(٥٨٩٧) ذكره عنه الواحدي في "التفسير البسيط": ٤٦٥/١٠.
(٥٨٩٨) التفسير الميسر:١٩٤.
(٥٨٩٩) أخرجه الطبري(١٦٧٧٤):ص٢٨٠/١٤.
(٥٩٠٠) أخرجه الطبري(١٦٧٧٣):ص٢٨٠/١٤.
(٥٩٠١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩٢):ص١٨٠٨/٦.
(٥٩٠٢) أخرجه الطبري(١٦٧٧٥):ص٢٨٠/١٤.
(٥٩٠٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩١):ص١٨٠٨/٦.
(٥٩٠٤) التفسير الميسر:١٩٤.
(٥٩٠٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩٣):ص١٨٠٨/٦.
(٥٩٠٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩٤):ص١٨٠٨/٦.
(٥٩٠٧) التفسير الميسر:١٩٤.
(٥٩٠٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠١٠٠):ص١٨٠٨/٦.
(٥٩٠٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩٦):ص١٨٠٩/٦.
(٥٩١٠) التفسير الميسر:١٩٤.
(٥٩١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٤٢):ص١٧٨/١.

لقد ابتغى المنافقون فتنة المؤمنين عن دينهم وصدهم عن سبيل الله من قبل غزوة (تبوك) ، وكشف أمرهم، وصرَّفوا لك -أيها النبي- الأمور في إبطال ما جئت به، كما فعلوا يوم (أحد) ويوم (الخندق) ، ودبَّروا لك الكيد حتى جاء النصر من عند الله، وأعز جنده ونصر دينه، وهم كارهون له.

سبب النزول:

أخرج الطبري عن الحسن قوله : "{وقلبوا لك الأمور}، قال : منهم عبد الله بن أبيّ ابن سلول ، وعبد الله بن نبتل أخو بني عمرو بن عوف ، ورفاعة بن رافع ، وزيد بن التابوت القينقاعي"(٥٩١٢). قال الطبري:" وفيهم ، فيما حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري ، أنزل الله : {لقد ابتغوا الفتنة من قبل}، الآية"(٥٩١٣).

قوله تعالى:{لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ} [التوبة : ٤٨]، أي:" لقد ابتغى المنافقون فتنة المؤمنين عن دينهم وصدهم عن سبيل الله من قبل غزوة (تبوك) ، وكشف أمرهم"(٥٩١٤).

قال العوفي وابن جريج: "وهو أن اثني عشر رجلاً من المنافقين وقفوا على ثنية الوداع ليلة العقبة ليفتكوا بالنبي - صلى الله عليه وسلم –"(٥٩١٥).

قوله تعالى:{وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ} [التوبة : ٤٨]، أي:" وصرَّفوا لك -أيها النبي- الأمور في إبطال ما جئت به، كما فعلوا يوم (أحد) ويوم (الخندق) ودبَّروا لك الكيد"(٥٩١٦).

قال السدي:" أما {قلبوا لك الأمور}: فقلبوها ظهرا لبطن: كيف يصنعون؟!"(٥٩١٧).

عن ابن إسحاق : "{وقلبوا لك الأمور}، أي : ليخذِّلوا عنك أصحابك ، ويردُّوا عليك أمرك {حتى جاء الحق وظهر أمر الله}"(٥٩١٨).

عن ابن إسحاق :"عن الزهري ، ويزيد بن رومان ، وعبد الله بن أبي بكر ، وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم ، كلٌّ قد حدَّث في غزوة تبوك ما بلغَه عنها ، وبعض القوم يحدِّث ما لم يحدِّث بعضٌ ، وكلٌّ قد اجتمع حديثه في هذا الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك في زمان عُسْرةٍ من الناس، وشدة من الحرّ ، وجَدْبٍ من البلاد ، وحين طاب الثمار ، وأحِبَّتِ الظلال ، فالناس يحبون المقام في ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص عنها ، على الحال من الزمان الذي هم عليه. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلَّما يخرج في غزوةٍ إلا كَنَى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الذي يَصْمِدُ له ، إلا ما كان من غزوة تبوك ، فإنه بيَّنها للناس ، لبعد الشُّقَّة ، وشدة الزمان وكثرة العدوّ الذي صَمَد له ، ليتأهَّب الناس لذلك أُهْبَتَه. فأمر الناس بالجهاد ، وأخبرهم أنه يريد الروم. فتجهز الناسُ على ما في أنفسهم من الكره لذلك الوجه ، لما فيه ، مع ما عظَّموا من ذكر الروم وغزوهم.

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جَدَّ في سفره ، فأمر الناس بالجهاز والانكماش ، وحضَّ أهل الغنى على النفقة والحُمْلان في سبيل الله.

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع ، وضرب عبد الله بن أبي ابن سلول عسكره على حِدَةٍ أسفلَ منه بحذاء " ذباب " جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع وكان فيما يزعمون

(٥٩١٢) أخرجه الطبري(١٦٧٨٣):ص٢٨٤/١٤.

(٥٩١٣) تفسير الطبري:٢٨٦/١٤، قطعة من الخبر(١٦٧٨٤):ص٢٨٤/١٤-٢٨٦.

(٥٩١٤) التفسير الميسر:١٩٥.

(٥٩١٥) ذكره عنهما الواحدي في "التفسير البسيط": ٤٧٥/١٠، وذكره عن ابن جريج الإمام القرطبي في "تفسيره" ٨/ ١٥٧، وأبو حيان في "البحر المحيط" ٥/ ٥٠، وقد روى القصة الإمام أحمد في "المسند" ٥/ ٤٥٣ عن أبي الطفيل، قال: لما أقبل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من غزوة تبوك، أمر مناديًا فنادى إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - آخذ العقبة فلا يأخذها أحد، فبينما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقوده حذيفة، ويسوق به عمار إذا أقبل وهي متلثمون على الرواحل غشوا عمارًا وهو يسوق برسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو أقبل عمار يضرب وجوه الرواحل، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لحذيفة: "قد قد" حتى هبط رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما هبط رسول الله -صلى الله عليه وسلم- نزل، ورجع عمار، فقال: "يا عمار هل عرفت القوم؟ " فقال: قد عرفت عامة الرواحل، والقوم متلثمون، قال: "هل تدري ما أرادوا؟! " قال: الله ورسوله أعلم، قال: "أرادو أن ينفروا برسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيطرحوه" الحديث، وأصله في "صحيح مسلم" (٢٧٧٩/ ١١)، كتاب: صفات المنافقين.

(٥٩١٦) التفسير الميسر:١٩٥.

(٥٩١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٩٩):ص١٨٠٩/٦.

(٥٩١٨) اخرجه الطبري(١٦٧٨٢):ص٢٨٣/١٤-٢٨٤.

، ليس بأقل العسكرين. فلما سار رَسول الله صلى الله عليه وسلم ، تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلَّف من المنافقين وأهل الريب. وكان عبد الله بن أبي ، أخا بني عوف بن الخزرج ، وعبد الله بن نبتل ، أخا بني عمرو بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، أخا بني قينقاع ، وكانوا من عظماء المنافقين ، وكانوا ممن يكيد للإسلام وأهله. قال : وفيهم ، فيما حدثنا ابن حميد قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن البصري ، أنزل الله : {لقد ابتغوا الفتنة من قبل}، الآية"[٥٩١٩].

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء الرابع من التفسير ويليه الجزء الخامس بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (٤٩) من سورة «التوبة».

(٥٩١٩) أخرجه الطبري(١٦٧٨٤):ص١٤/٢٨٤-٢٨٦. قال المحقق:" هذا خبر مفرق ، ذكرت مواضعه فيما سلف ، وهو في سيرة ابن هشام ٤ : ١٥٩ \ ثم ٤ : ١٦١ \ ثم ٤ : ١٦٢ ، وهو بتمامه في تاريخ الطبري ٣ : ١٤٢ ، ١٤٣ . والجزء الأخير من هذا الخبر ، مضى برقم : ١٦٨٧٣".